ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)

في المصنفات المصرية في القرن العشرين الميلادي

الدكتور
هادي عبد النبي التميمي

دار ومكتبة البصائر
دار البيضاء


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)

في المصنفات المصرية في القرن العشرين الميلادي

ثورة الإمام الحسين (ع)

في المصنفات العربية في القرن العشرين الميلادي

الطبعة الأولى

٢٠١٤م - ١٤٣٥هـ



بيروت - لبنان 009613210986
009611547698

دار المصطفى
العراق - بغداد

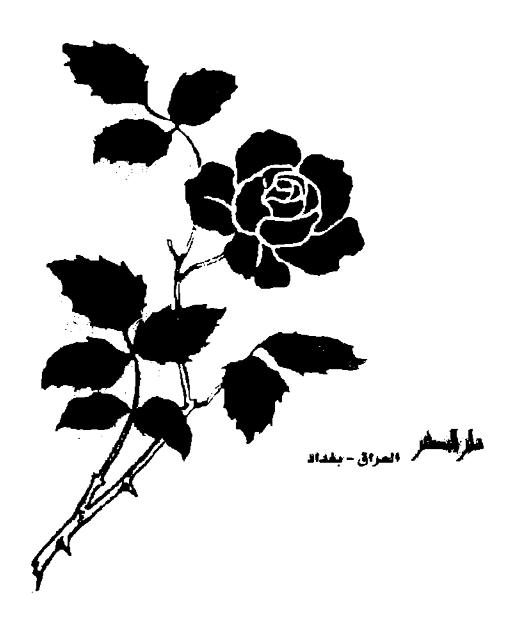
009647813111272
iraqsms@gmail.com

ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)

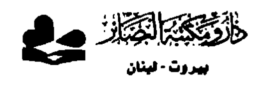
في المصنفات المصرية في القرن العشرين الميلادي

الدكتور

هادي عبد النبي التميمي



العراق - بغداد





﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾

صدق الله العلي العظيم
القصص: الآية 5

الإهـــداء

إلى الأنامل التي أمسكت القلم لترسم لي مستقبلاً أفضل...

يوم كنتُ يافعاً وقد أستهواني التاريخ بكل تفاصيله...

فكان ما رسمته خطاً بيانياً متصاعداً لا يقف عند حد...

إلى ضميرك النقي...

وأنت تمضي في درب الشهادة...

درب الامام الحسين (عليه السلام) إليك أينما كنت... والدي...

أهدي هذا المجهود الذي هو بعضٌ من غرسك اليانع...

وعهداً أن لا أقف عند هذا الحد...

سيـــدي الـــوالد



المقدمـــة

الحمد لله الذي انعم علينا بالإسلام، وهدانا لطريق مستقيم بمحمد صلى الله تعالى عليـــه وعلى آله وصحبه الكرام الطيبين الطاهرين، حجج الله ومنارات الهدى وسفن النجاة إلى يوم الدين.

وبعد، فان الإنسان يعيش في حياته أحداثاً متكررة متنوعة يعايشها بين لحظة وأخـــرى، ولكنه بشكل عام لا يجلب انتباهه منها إلاّ الحدث العظيم، وقد حدثت في العـــالم منـــذ فجـــر التأريخ احداث كان لها تأثير على مجرى حياة الإنسان، فجعل يؤرخ غيرها مـــن الأحـــداث بتلك الحادثة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر عام الطوفان – بطوفان نبي الله نوح (عليه السلام) – أو عام الفيل بمكة – بقصة ابرهة الحبشي ومحاولة هدمه الكعبـــة – أو عـــام الهجـــرة – بهجرة الرسول (صلى الله عليه وآله) من مكة إلى المدينة – وهو الذي مثل بداية النشأة للدولـــة الإســـلامية ومبدأ التأريخ عند المسلمين.

ومثلما يمثل الحدث العظيم أثراً كبيراً في التأريخ الإنساني، فان الشخصية العظيمة تعبر في ذات الوقت عن الأثر الفعلي في وعي الذات الإنساني، وما عداها يعد مجرد ذكرى قابلة للنسيان أو الاستحداث بوصفها أثراً من الآثار أو ذكرى من الذكريات القابلة للتأمل، وبمعنى ادق ان كل شخصية غير قادرة على التعايش والحياة على مر التأريخ لا تؤثر في الاجيـــال المعاصرة وبمعاييرها، هي من مخلفات الماضي مهما كان لها من الـــشهرة والـــسمعة، وهـــو السبب الذي يدفع بالناس إلى أن يقرأوا أو يسمعوا ولمرات متعددة عن خلفاء وسلاطين وقـــادة، دون ان يثير أي منهم ولو قدراً ضئيلاً من الهواجس أو الاهتمام في وعي الذات، وهذا هـــو الفرق الجوهري بين رجال التأريخ ورجال الزمن، ذلك لان رجل التأريخ هو مأثرة حية في وعي الذات الإنساني، وهي مأثرة قابلة للتجدد والتوسع والتعمق والتفاعل مع كل الاشكاليات المعاصرة على مر التأريخ.

ولعل من ينظر إلى الامام الحسين (عليه السلام) كإنسان، أو يتطلع إليه ثورةً، ثم يقوم بدراســـته بعمق، ودراستها – الثورة – بروية من خلال عناصرها وأهدافها وتأثيراتها، سيجد بأن الامام الحسين (عليه السلام) وثورته يمتلكان جميع المقومات التي من شأنها ان تجعـــل منهمـــا مـــصدراً للتأريخ، ومن ابرز تلك المقومات: اعتراف الجميع بان الثورة تلك حدث عظيم حفز المجتمع الإنساني، وظل وسيظل حياً في اعماق النفس الإنسانية ولولا لامتلاك هذه الثورة وصـــاحبها لكل مقومات التأريخ من حيث العناصر والاهداف والتأثيرات لما بقيت هذه الثـــورة نابـــضة

عبر التأريخ، ولما تناولها جمهور المهتمين بالتأريخ على مر الازمنة وفي كل البقاع والأمكنة.

لقد قام الرسول الكريم (ﷺ) بثورة لتغيير الواقع الفاسد الذي كانت الإنسانية بصورة عامة والمجتمع العربي بخاصة يعيشان فيه، ولم تمض على وفاة الرسول الكريم (ﷺ) أكثر من خمسين عاماً، حتى عاش المجتمع الإسلامي في ردة عن معالم تلك الثورة العظيمة التي قادها الرسول الأعظم محمد (ﷺ)، لدرجة لم يتورع ذلك المجتمع أن يقوم بقتل ابن بنت ذلك النبي.

وهكذا كان لزاماً والحالة هذه، على صاحب هذه النهضة والثورة الجديدة ان يقوم بعمل يكون كالزلزال يهز ضمير المجتمع الإسلامي ليعود به إلى مظان الإسلام المحمدي الذي بدأ قبيل الثورة الحسينية وكأنه إلى زوال، لذلك لم يألُ الامام الحسين (عليه السلام) جهداً إلا وسلكه لتكون ثورته تلك امتداداً لما قام به جده الرسول الأعظم محمد (ﷺ)، محدداً هدفه من تلك الثورة وذلك النهوض بقوله: ((إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي)) ومن هنا جاء تكريسه لهذه الإرادة الحرة الحكيمة فكانت ثورة إصلاحية تدور في دائرة ثورة جده محمد(ﷺ) من قبل، فكان ما قيل حقيقاً بالتصديق من أن الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء.

ان أكثر ما أستهوى الناس من هذه الثورة هو الجانب القصصي، بما اشتملت عليه من مظاهر البطولة النادرة والسمو الإنساني لدى الثائرين وقائدهم والتضحيات الجسام التي سطروها مع الضعف وقلة العدد وخذلان الناصر واليأس من النصر العسكري الآني في سبيل الوصول إلى تلك الهزة العنيفة للمجتمع الإسلامي، وقد بلغ من قوة الجانب القصصي في هذه الثورة انه فرض نفسه على معظم من كتب عنها فجاءت دراستهم على هذا الجانب دون غيره، غافلين عن قصد أو من دون قصد ان أحداث الثورة أي ثورة كانت، لم تخلق من فراغ وإنما تعد الثورات الجزء الظاهر من عملية تاريخية واسعة النطاق، تمر عبر مخاض عسير، إذ ان لكل ثورة جذور تمتد في اعماق المجتمع الذي تندلع فيه، ولا يمكن فهم أي ثورة من دون دراسة لجميع جوانبها من حيث المقدمات والظروف والنتائج.

ولم تحض الثورات في التأريخ الإسلامي بالاهتمام الذي تستحقه من المؤرخين الذين أنصبت عنايتهم بتاريخ الخليفة والسلطان الذي أسبغ على نفسه صفة الشرعية، وبمساعدة من كتب له التأريخ، وعالج من جهة أخرى الثورات بروح عدائية في اغلب الأوقات، وربما يكون المؤرخ يكتب تاريخه وهو مقيد بتوجيه أو رغبة الحاكم الذي يعيش في كنفه يرعاه وينفق عليه، ثم تلا أولئك المؤرخين من تقيد بمنهج من سبقهم ظناً منهم انه المنهج السليم في معالجة الثورات، أو ربما كان الخوف الذي يثيره الحديث عن الثورة والثائرين في مجتمعات مستقرة نسبياً دفع أولئك المؤرخين إلى تجنب الحديث عن الثورات.

ومهما كان التبرير في اهمال البحث الجاد في استيعاب الثورات من على صفحات التأريخ الإسلامي، يجعل من الصورة التاريخية مشوهه، على اعتبار ان الثورة هي الوجه

الأخر من الصورة التاريخية للمجتمع الإسلامي فقد ظهرت الضرورة القصوى للبحث والتقصي عن الثورات واسبابها ونتائجها وتأثيراتها.

وعلى ذلك فقد استعان الباحث بالله سبحانه وتعالى ليتناول في بحثه ثورة من أهم الثورات في تأريخنا الإسلامي، وما شكلته اثارها ونتائجها من تداعيات على مسار الأمة الإسلامية، برغم ان الباحث سعى لان يخرج من طور الجانب القصصي للثورة، الذي اشبع بحثاً وكتابة ليتناول منهج الكتابة لدى مدرسة تاريخية محددة هي المدرسة المصرية، من خلال مختلف مصنفات المصريين على حد اطلاع الباحث عليها – ولا يدعي الباحث الكمال – في الاطلاع على كل المصنفات المصرية للحقبة التي تناولتها الاطروحة وهي قرن كامل – القرن العشرين –.

ولعل السبب في اختيار هذه الحقبة الزمنية لم يأت اعتباطاً، اذ كان لذلك عدة أسباب، أولها كان تحديد فترة زمنية للاطروحة، والثاني ان هذه الفترة شهدت نمو المدرسة التاريخية المصرية بسبب التطورات التي اصابتها نتيجة الاحتكاك بالغرب الأوربي، وما اثرت به حركة الاستشراق خلال هذه الفترة على هذه المدرسة، أما السبب الثالث فهو ان هذه الفترة شهدت تغييرات سياسية جذرية في المنطقة العربية عموماً وفي مصر خاصة وما تركته تلك التغييرات من آثار على الحركة الفكرية في مصر طبعتها بطابعها وتأثرت بها، والسبب الرابع هو ما وجده الباحث من محاولات رواد الفكر السلفي والوهابي من فرض السيطرة على مفاصل التربية والتعليم في أي منطقة ترى امكانية النفوذ اليها ومدى تأثر المدرسة المصرية بذلك الفكر الذي بدأ يطبعه بطابعها وخاصة فيما صدر من مؤلفات في أخريات القرن العشرين وبدايات القرن الذي يليه.

ولذلك جعل الباحث عنوان اطروحته ((ثورة الامام الحسين (عليه السلام) في المصنفات المصرية في القرن العشرين))، وقسم الباحث الاطروحة إلى مقدمة وتمهيد واربعة فصول رتبت ترتيباً زمنياً وموضوعياً ضم كل ما يتعلق بالامام الحسين (عليه السلام) من حيث الولادة والنشأة ومسار حوادث الأمة الإسلامية وتأثيراتها على شخص الامام (عليه السلام).

وقد أوضح الباحث في التمهيد دراسة عن تطور الكتابة التاريخية في المدرسة المصرية في القرن العشرين الميلادي، والمؤثرات التي ادت إلى ظهور هذه المدرسة وبروزها، وكيفية تناولها للتاريخ الإسلامي بصورة عامة، ليكون ذلك مدخلاً لمضمون الاطروحة، يساعد القارئ على تفهم الطرق التي عالجوا فيها الأحداث التاريخية التي تناولوها بالبحث والتقصي في مختلف مصنفاتهم وكان ذلك ضرورة لا بد منها لكي لا يفاجأ القارئ وهو يرى كيفية دراسة الكتّاب المصريين لثورة الامام الحسين (عليه السلام) ومعالجتها من حيث الاسباب والنتائج وتقويمهم لتلك الثورة.

وابتدأ الباحث بفصول الاطروحة ملزماً نفسه بما الزم به المصريون انفسهم، في كيفية دراستهم لثورة الامام الحسين (عليه السلام) أو لشخص الامام الحسين (عليه السلام) نفسه، عندما رجعوا بالاحداث التاريخية إلى عهد الولادة والنشأة صعوداً، بل ذهب بعضهم إلى ابعد من ذلك، فرجع إلى الصراع بين أمية وهاشم على صفحات تأريخ العرب قبل الإسلام.

ضم الفصل الأول ثلاثة مباحث، خُصص المبحث الأول منه لدراسة نسب الامام الحسين(عليه السلام) وإسمه وكنيته والقابه فيما سلط المبحث الثاني الضوء على ولادته (عليه السلام) ونشأته في حياة جده (صلى الله عليه وآله)، وما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيه وفي أخيه من أحاديث تبين فضلهما، أو ما رواه الامام الحسين (عليه السلام) من احاديث جده (صلى الله عليه وآله)، فيما كان المبحث الثالث لحياة الامام الحسين (عليه السلام) في العصر الراشدي (11هـ/632م -41هـ/661م) وتأثير الحوادث التي مرت بها الأمة الإسلامية على تشكل الشخصية العامة للامام الحسين (عليه السلام)، وكان من الطبيعي ان كل ما درسه الباحث في هذا الفصل من الاطروحة قد تم الاعتماد فيه على المصادر التاريخية المتقدمة مع عرض منهجي واسع لكيفية تناول المصنفات المصرية لكل ما ورد من احداث تاريخية فيه واصبح ذلك منهجاً للباحث اتبعه في كل فصول ومباحث الاطروحة.

وأختص الفصل الثاني بدوافع ثورة الامام الحسين (عليه السلام) وأسبابها في المصنفات المصرية، إذ سُلط الضوء في المبحث الأول على مظاهر التحولات العامة في الدولة الإسلامية، حتى قيام الدولة الأموية، وفي المبحث الثاني قُدم عرض للأوضاع العامة في المجتمع الإسلامي في عهد معاوية وموقف الامام الحسين (عليه السلام) منها، أما المبحث الثالث فقد درس شخصية يزيد وما ورد عنه في المصنفات المصرية مقارنة بما ورد عنه في المصادر التاريخية المتقدمة، ثم عرض الباحث لموقف الامام الحسين (عليه السلام) من البيعة ليزيد.

وسلط الفصل الثالث الضوء على تخطيط الامام الحسين (عليه السلام) للقيام بثورته ومن ثم عرض لواقعة الطف، فجاء المبحث الأول لانتقال الامام الحسين (عليه السلام) من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، وما رافق ذلك من أحداث، فيما عرض المبحث الثاني إلى مبررات خروج الامام الحسين (عليه السلام) عبر مراحل الطريق حتى وصوله إلى كربلاء، اما المبحث الثالث فقد اهتم بمجريات الاحداث في واقعة الطف وما تلا تلك الواقعة من مسير السبايا إلى بلاد الشام حتى وصولهم إلى المدينة المنورة، مع عرض لموضوع رأس الامام الحسين (عليه السلام)، وقد سار الباحث في عرض أحداث هذا الفصل على وفق النسق الذي سار فيه في الفصول السابقة من خلال عرض تاريخي لما ورد في المصادر التاريخية المتقدمة، وما نقله المصريون بالمقارنة مع تلك المصادر.

وتطرق المبحث الأول من الفصل الرابع لتقويم ثورة الامام الحسين (عليه السلام) على وفق آراء الكتاب المصريين، فابتدأ بآراء فقهاء ومؤرخين، ثم عرض آراء الباحثين المصريين مبرزاً التطابق أو الاستعانة من قبل الكاتب المصري بآراء أولئك الفقهاء والمؤرخين، ولم يكن اختيار الباحث لهؤلاء عبثاً وإنما كان بسبب اعتماد الكتاب المصريين لآراءهم كما اشارت لذلك هوامش كتبهم أو طبيعة آراءهم.

ان بعض آراء هؤلاء الفقهاء والمؤرخين كان الباحث قد أشار إليها في طي صفحات الاطروحة كلما اقتضت المناسبة ذلك، إذ ان آراءهم كانت تشكل مرجعية للكتاب المصريين يرجعون إليها في مختلف تفاصيل ثورة الامام الحسين (عليه السلام) كقضية الظواهر الكونية التي استخدموا فيها آراءهم من خلال ما قاله ابن تيمية، أو ابن كثير، وكذلك في قضية رأس الامام

الحسين (عليه السلام)، بل كان رأيهم أنها تحرز من الدقة والوثاقة ما يجعلهم يعتمدونها مكتفين بها في مناقشات عديدة وقضايا مختلفة.

وفي المبحث الثاني تم الوقوف على منهج واسلوب المصنفات المصرية بنظرة عامة وتقويم لذلك المنهج والاسلوب من حيث العناوين الرئيسية والفرعية والمقدمات والتبويب والنواحي الفنية، والمعالجة العلمية.

وفي الخاتمة لخصت أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث والتقصي، اعقبها ثبت للمصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها في الكتابة، وكانت خاتمة المطاف مع ملخص لمضمون الاطروحة باللغة الانجليزية.

وقد تم الاعتماد في الكتابة على عشرات المصادر الأساسية والمراجع الحديثة التي أسهمت في إظهار الاطروحة بهذه الهيأة، فكان القرآن الكريم النبراس والمنهل الأول الذي نُهل من نبعه، وتمت الاستعانة بكتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم الذي وضعه محمد فؤاد عبد الباقي لاستخراج الآيات الكريمة بكل سهولة ويسر، ولقد تمت الاستعانة في بعض المواضع ببعض كتب التفسير التي أسهمت في اغناء المادة العلمية مثل كتاب جامع البيان من تأويل القرآن للطبري (ت310هـ/922م)، وأسهمت كتب الحديث من الصحاح في اضفاء معلومات قيمة، كصحيح البخاري، للامام البخاري (ت 256هـ/869م)، وكتاب الجامع الصحيح للترمذي (ت297هـ/909 م).

واسترشد الباحث ببعض كتب الطبقات والتراجم مثل كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (ت230هـ/844م)، وكتاب جمل من انساب الاشراف للبلاذري (ت279هـ/892م)، وكتاب اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير (ت630هـ/1232م).

أما كتب التأريخ العام الموضوعية منها والدولية فقد افاد منها الباحث فائدة جمة في عرض الوقائع التاريخية من منابعها الاصلية، ويأتي في المقدمة منها كتاب الأخبار الطوال للدينوري (ت282هـ/895م)، وكتاب تاريخ اليعقوبي لليعقوبي (ت 292هـ/904م)، وكتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت310 هـ/922م)، وعشرات المصادر التاريخية الأخرى.

وكان لكتب المقاتل التي اختصت بدراسة مقتل الامام الحسين (عليه السلام) دورها في رفد الأطروحة ببعض المعلومات القيمة التي غابت عن كتب التأريخ العام ويأتي في مقدمة كتب المقاتل كتاب الحسين لأبي مخنف (ت 157هـ/772 م) وكتاب مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي (ت568 هـ/1172 م).

وعلى الرغم من ان الكتب الأدبية تختص بدراسة الأدب بصورة خاصة، فإنها تعد من الكتب التي تزخر بمعلومات تاريخية كان لها فائدة قيمة مثل كتاب العقد الفريد لابن عبد ربة الاندلسي (ت328 هـ/939م)، وكتاب نهاية الإرب في فنون الأدب للنويري (ت733هـ/1332م)، كما كان لكتاب لسان العرب لأبن منظور (ت711هـ/1311م) فائدته القصوى من حيث بيان بعض الكلمات التي احتاج الباحث لمعانيها.

وكان للبلدانيين وكتبهم مساحة لا تنكر، إذ تمت الاستفادة من تلك الكتب لبيان مواقع البلدان الواردة أثناء الكتابة، فضلاً عن الافادة من بعض الروايات التاريخية التي وردت فيها

ومن هذه الكتب كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد البكري (ت487 هـ/1094م)، وكتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت626هـ/1228م).

أما المراجع الحديثة، فقد كانت المراجع المصرية العمود الفقري للاطروحة، إذ واكبتها في اغلب صفحاتها وقلما يجد القارئ صفحة من دون ان يرد فيها رأي أو قول أو إشارة إلى احد الكتاب المصريين على اختلاف كتبهم ومشاربهم سواء التاريخية منها أو الادبية، ولا يدعي الباحث انه اطلع على كل المصادر المصرية الصادرة في القرن العشرين، رغم سعيه الحثيث للالمام بهذه المصادر والحصول على أغلبها قدر استطاعته، وقد عمل على اعداد لائحة بالكتب المصرية التي سيقوم بدراستها، إلاّ ان الظروف التي مر بها عراقنا العزيز بعد 2003/4/9 حالت دون تحقيق ذلك بشكل مبكر، واثرت بشكل كبير على ان تكون فترة الكتابة طويلة على رأي البعض، على الرغم من ان الباحث يظن ان البحث العلمي لا يحدده زمن، إذ أُريد له ان يكون عملاً مبدعاً، وهو ما تم السعي إلى تحقيقه، إذ حاول الباحث السفر إلى بلد الدراسة – مصر – إلاّ ان عدم وجود سمة الدخول إلى مصر بالنسبة للعراقيين، دفع بالباحث إلى السفر إلى سوريا لمرتين ثم إلى ايران لثلاث مرات، جمع فيها من تلك الرحلات العديد من المصادر التي كونت فكرة أولية عن الاطروحة، وجد الباحث انها لن تكتمل إلاّ بالسفر إلى مصر، وقد تم له ذلك بتوفيق من الله تعالى إذ شد رحاله إلى مصر في منتصف عام 2005 واستطاع من خلال تلك الرحلة ان يحصل على اغلب المصنفات المصرية المختصة بموضوع الاطروحة، إذ اكتملت لائحة المصادر المعدة مسبقاً واضيف إليها عشرات العناوين المهمة الأخرى، على الرغم من ان كثيراً من الكتب التي اعدت عناوينها لغرض الحصول عليها لم يكن لها وجود في السوق المصرية فضلا عن اسواق الكتب في الدول الأخرى، بسبب كونها طبعت بطبعات قديمة نفدت من الاسواق ولم يُعد طبعها، مما دفع الباحث وخلال تواجده في مصر إلى قراءة كثير من الكتب والرسائل الجامعية في مكتبات جامعة القاهرة، وجامعة الازهر، وجامعة عين شمس، وجامعة المنوفية.

ولم يمنع الباحث سفره على نفقته الخاصة وميزانيته المحدودة من شراء كل مصدر أو مصنف مصري سجل في قائمته أو حصل عليه في مصر من ان يقوم بشراءه وجلبه معه إلى العراق فضلاً عن الفائدة التي حصل عليها من اللقاءات الشخصية مع اساتذة التأريخ في الجامعات المصرية الذين ساهموا في وضع بصماتهم على مسار الاطروحة لتتشكل خطتها النهائية بعد العودة من مصر والتي تطلبت جهداً مضافاً للوصول إلى الحقائق أو الخروج بنتائج جديدة قد تسهم في إضافة شيء جديد وتساهم ولو بقبس من نور يهتدي به من يكتب في موضوع الامام الحسين (عليه السلام) بعد هذه الاطروحة.

وفي الختام فإن الباحث يضع جهده بين يدي الأساتذة المناقشين وكله أمل ورجاء بأن ينال منهم الرضا والقبول فإن تحقق ما يبتغيه فذلك مبلغ الأمل والرجاء، وإن تخلل الأطروحة بعض الثغرات والقصور فهو من الباحث ويتحمل تبعته، وهو مستعد إلى أي توجيه أو تصحيح أي معلومة وردت خطأ أو سهوا، ما دام هدف الجميع خدمة الحقيقة التاريخية خاصة والعلم بصورة عامة.

التمهيد

تطور الكتابة التاريخية في المدرسة المصرية

في القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي

التمهيد

تطور الكتابة التاريخية في المدرسة المصرية

في القرن العشرين الميلادي

كان التوقيت الزمني بين سقوط الخلافة العباسية في بغداد على يد المغول[1] سنة 656هـ/1258م، وسقوط الايوبيين[2] في مصر والشام والجزيرة العربية على يد المماليك[3]، ثم على يد المغول ما بين سنتي (648 – 658هـ/1250 – 1259م) قد ((أوقع التاريخ السياسي في المشرق الإسلامي في نوع من الانقطاع وأعطاه كله مسيرة جديدة))[4].

فبعد أن بلغ العراق أوج مجده الذهبي أيام العباسيين الأوائل وغدت بغداد أكبر العواصم الثقافية في العالم، إعادته الموجات المغولية إلى حقبة من الركود، ولم تعد بغداد مركز الثقافة الإسلامية[5]؛ إذ تقلص دور المؤسسات التعليمية كالمدارس، ودور القرآن والحديث، وفترت حركة العلماء بل هاجر اغلبهم إلى الأقاليم التي بقيت بعيدة عن خطر المغول الداهم، فحفلت بلاد الشام ومصر بالعلماء والأدباء العراقيين اللاجئين إليها، وكان ذلك سبباً مهماً في اغناء الثقافة العربية في تلك الاقاليم وافقارها في مواطنهم الأولى[6].

---

(1) هم مجموعة من القبائل التي كانت تقطن قسماً من مملكة الصين ويتولى أمرها (خان) ومعناه الملك أو الأمير. وقد استقل جنكيز خان بأمرهم بعد القضاء على منافسيه فأسس ما يسمى بحكومة المغول ووحد وجهته إلى خارج بلاد الترك فهاجم العالم الإسلامي، وقد برز هولاكو بعد انقسام مملكة المغول في عهد خلفاء جنكيز خان وطمح ان ينشيء لنفسه امبراطورية خاصة في الغرب وقد نجح باجتياح بغداد في 5 صفر سنة 656هـ/1258م وقضى على الخليفة العباسي وملازميه وأوقعوا بالناس كثير من الأذى.

العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين – حكومة المغول (656هـ – 738هـ/1258م – 1338م)، ط بغداد، 1353هـ/1935م، 54/1 – 58، ص89، ص178 – 184؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية – العرب والامبراطورية العربية، ترجمة: د. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط3، بيروت، 1380هـ/1960م، ص229، ص261 – 272.

(2) أسرة كردية الأصل أسست دول حكمت كل من مصر وبلاد الشام واليمن، انشاها صلاح الدين الأيوبي وامتد حكمها ما بين (565هـ – 648هـ/1169م – 1250م) وقامت قوتهم على جيوش الرقيق والنظام الاقطاعي ونجحوا في القضاء على الدولة الفاطمية ودخلوا في صراع مستمر مع الصليبيين وأجلوهم من مناطق متعددة.

غربال، محمد شفيق وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، ط بيروت، 1408هـ/1987م، 292/1 – 293.

(3) أصولهم من الرقيق، جلبهم الفاطميون إلى مصر ثم السلاطين المتأخرين من الأيوبيين للتدريب على خدمة السلطان والجندية، انشأ أيبك دولتهم في مصر عام 648هـ/1250م، بقتله آخر سلاطين الايوبيين، وأقاموا على مدى (250) عام دولتين حكموا فيها مصر، هما: دولة المماليك البحرية، ودولة المماليك البرجية، وامتازت حقبة حكمهم بكثرة ملوكهم وقصر عهد أولئك الملوك الذي ينتهي عادة باغتيالهم على يد منافسيهم الطامعين في السلطان. المصدر نفسه، 1743/2.

(4) مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ط بيروت، 1411هـ/1990م، 7/3.

(5) دولف، جان، يقظة العالم العربي، نقله إلى العربية: لجنة من الاساتذة الجامعيين، ط بيروت، 1380هـ/1960م، ص117، مصطفى، التاريخ العربي، 23/4.

(6) رؤوف، عماد عبد السلام، التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط بغداد، 1404هـ/1983م، ص14، وينظر: سيديو، خلاصة تاريخ العرب، ط بيروت، (بلا.ت)، ص214.

ويبدو أن الاستقرار الذي حلّ في مصر بعد هزيمة المغول على يد المماليك في معركة عين جالوت سنة 658هـ/1259م، كان له الأثر الأكبر في انتقال الزعامة العلمية والفكرية إلى هذه المنطقة. وقد انصرفت مصر والشام وما يدخل في اطارهما من المنطقة العربية – رغم العداء الصليبي – إلى بناء علاقات سياسية واقتصادية عبر البحر المتوسط مع القوى الاوربية واستغلال الموقع المهم للمنطقة على مدى قرنين ونصف من الزمان حتى أسس العثمانيون[1] دولتهم في المنطقة[2].

وأصبحت مصر ملاذ العلم والعلماء وشهدت منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي حتى دخول العثمانيين في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ازدهاراً ضخماً في كتابة التاريخ مادة ومنهجاً وتنوعاً نتيجة انضمام جهود العلماء المسلمين من بغداد ودمشق إلى جهود المؤرخين المصريين مما جعل القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين حقبة التطور الحقيقي لكتابة التاريخ، وأصبحت مدرسة مصر التاريخية وريثة مدارس التاريخ الكبرى لا في بغداد ودمشق فحسب بل في المشرق الإسلامي[3]. وبرز حتى مطلع القرن الحادي عشر للهجرة / السابع عشر الميلادي ما يقارب من ثلثمائة رجل عمل في التاريخ، وحوالي (710) مؤلفاً وهي أرقام ليست بالقليلة على امتداد فترة لا تزيد على ثلاثة قرون وثلث القرن[4].

وكان من أبرز أولئك المؤرخين ابن خلكان[5]، وابن العديم[6].

ومع ان المنطقة العربية، بما فيها مصر[7]، قد خضعت للسيطرة العثمانية مع بدايات القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وساد فيها حال من التأخر طال نواحي

---

(1) العثمانيون: مجموعة من المهاجرين الترك استقروا في المناطق الشمالية الغربية من الأناضول التي أهداها السلطان السلجوقي علاء الدين منقباذ إلى طغرك بك الجد الأعلى للعائلة العثمانية، والذي ولد له عثمان وهو من ينتسب إليه العثمانيون، وامتدت دولتهم من (680هـ/1281م – 1343هـ/1924م) وبلغ عدد سلاطينها (38) سلطانا.

الجميل، سيار كوكب علي، تكوين العرب الحديث 1516 – 1916م، ط الموصل، 1412هـ/1991م، ص33 – 35.

(2) مصطفى، التاريخ العربي، 7/3.

(3) الجابري، مسلم، العقل والتاريخ، ط الكويت، 1420هـ/1999م، ص216 – 217.

(4) مصطفى، التاريخ العربي، 97/3 – 98.

(5) شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ولد سنة 608هـ/1211م في أربيل، تفقه بالموصل ولقي كبار العلماء، وسكن مصر مدة ثم ولي قضاء الشام وعزل فأقام بمصر، كان اماما، فاضلاً، متقناً، بصيراً بالعربية، علامة في الأدب والشعر وأيام الناس، ومن مؤلفاته وفيات الأعيان، توفي سنة 681هـ/1282م.

الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط بيروت، (بلا.ت)، 371/3 – 372.

(6) أبو القاسم كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي، ولد سنة 588هـ/1192م، رحل من حلب إلى بغداد مرات متعددة وحين وصل المغول إلى حلب سنة 657هـ/1258م رحل إلى مصر وتوفي فيها عام 660هـ/1261م. من أبرز مؤلفاته: تاريخه.

المصدر نفسه، 303/3؛ مصطفى، التاريخ العربي، 263/2.

(7) دخل السلطان العثماني سليم الأول (918هـ/1512م – 926هـ/1520م) إلى القاهرة سنة 923هـ/1517م في احتفال رسمي بعد هزيمة المماليك وخطب له على منابر مصر ودمشق، وقدّم له شريف مكة الطاعة، ولقب السلطان سليم بلقب خادم الحرمين الشريفين. =

الحياة كلها[1]، إلاّ أن المدرسة التاريخية في مصر لم تتوقف عن العطاء حتى بعد دخول العثمانيين بل استمرت في العطاء وسجلت أحداث القرون الثلاثة التالية لدخول العثمانيين ومن أبرز مؤرخي تلك الفترة أبو السرور البكري صاحب المؤلفات المتعددة لتاريخ مصر في عهد العثمانيين[2].

وقد اتجهت أنظار الدول الاستعمارية صوب مصر فقامت فرنسا باحتلالها سنة 1213هـ/1798م واخرجتها من سيطرة الدولة العثمانية، ومع هذا الاحتلال نقلت الحملة الفرنسية إلى المصريين مفاهيم الغرب وتقنياته وأثرت في احياء الآثار الأدبية العربية القديمة على يد المدارس والمطابع التي دخلت إلى هذه البلاد[3]، إذ لم ((يضيع نابليون[4] ساعة واحدة لادخال مشاريعه الاصلاحية))[5].

ولعل من أعظم أعماله انشائه للمجمع العلمي المصري المكوّن من نخبة من العلماء الفرنسيين الذين اصطحبهم معه، ثم اصدار أوامره بانشاء المعهد العلمي المصري الذي جعل الغرض منه تقدم ونشر العلوم والمعارف في الديار المصرية، وبحث ودراسة المباحث الطبيعية والصناعية والتاريخية لمصر وقد انقسم المعهد إلى فروع وشعب[6] ومن عرض اسماء هذه الفروع والشعب سنعرف كيف ((ان الحضارة الاوربية الحديثة قد نقلت إلى مصر دفعة واحدة في هذا المعهد: الرياضة، الهندسة، الفلك، الميكانيكا، الكيمياء، طبقات الأرض، المعادن، النباتات، حياة الحيوان، الطب والجراحة، الصيدلة، الاقتصاد السياسي، الأثار القديمة، هندسة المعمار، التصوير، الرسم، هندسة الري والطرق والجسور، الهندسة الجغرافية، الهندسة البحرية والميكانيكية، النقش، الحفر، الأدب، الموسيقى، الطباعة العربية والفرنسية، طلبة من مدرسة الهندسة العالية))[7].

= ينظر: حليم، ابراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ط القاهرة، 1425هـ/2004م، ص117 – 123؛ متولي، أحمد فؤاد، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، ط القاهرة، 1414هـ/1995م، ص95 – 247.

(1) ينظر: اليوزبكي، توفيق سلطان واخرون، دراسات في الوطن العربي – الحركات الثورية والسياسية، ط الموصل، 1394هـ/1974م، ص43، الحصري، ساطع، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط2، بيروت، 1380هـ/1960م، ص40، حسين، أحمد، موسوعة تاريخ مصر، ط القاهرة، 1408هـ/1987م، 815/3.

(2) النبراوي، فتحية، علم التاريخ دراسة في مناهج البحث، ط مصر، 1416هـ/1995م، ص217.

(3) الدوري، عبد العزيز، الجذور التاريخية للقومية العربية، ط بيروت، 1380هـ/1960م، ص62.

(4) ولد نابليون بونابرت في جزيرة كورسيكا سنة (1183هـ/1769م) ودخل المدرسة الحربية فتخرج ملازما في المدفعية، ظهرت مواهبه في عملية حصار طولون وارتفع نجمه بعد انتصاراته في ايطاليا، قاد الحملة العسكرية الفرنسية إلى مصر واستولى عليها ثم حاول تحطيم الجيش التركي في بلاد الشام ففشل وعجزت الحكومة الفرنسية عن امداده فعاد إلى فرنسا، وقاد انقلاباً عسكرياً سنة 1214هـ/1799م فحكم فرنسا كقنصل وامبراطور حتى سنة 1231هـ/1815م إذ تنازل عن العرش لحكومة انكلترا وأرسل إلى جزيرة سنت هيلانه.

يحيى، جلال، التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى، ط مصر، 1404هـ/1983م، ص301 – 328؛ الادهمي، محمد مظفر، تاريخ اوربا الحديث عصر النهضة – عصر الثورة الفرنسية القرون 16 – 18م، ط بغداد، 1410هـ/1989م، ص179 – 180.

(5) حسين، موسوعة تاريخ مصر، 886/3.

(6) المصدر نفسه، 889/3 – 890.

(7) المصدر نفسه، 890/3.

وقد أسس نابليون المطبعة الأهلية وفيها كانت تطبع المنشورات باللغة العربية وجريدتين باللغة الفرنسية[1].

لقد ساعدت الحملة الفرنسية إلى مصر على ايقاظ عدد من المصريين ودفعهم إلى العمل والإنتاج لردم الهوة الواسعة بين حضارتين مختلفتين تتفاوتان في ارتفاع كل منهما على السلم الحضاري في ذلك الوقت، وشكلت الحملة صدمة عنيفة لمصر مهدت لظهور إصلاحات حاول فيها بعض رجال الفكر والدين وقسماً من رجال الحكم والإدارة – كل على وفق طريقته – التمهيد لظهور مصر جديدة[2] ناهيك عن ان اتصال المصريين المبكر بالحضارة الأوربية قد مثل جانباً ايجابياً على المستوى الفكري فالاطلاع على مناهج جديدة – كالتي مثلها المستشرقون[3] – وتوفر مطابع الكتب وذهاب البعثات العلمية إلى فرنسا، أدى إلى بروز حركة ترجمة نشطة ونهضة فكرية شملت مختلف جوانب الحياة منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي[4]. وقد مثلت هذه النهضة الاطار الفكري الذي تنامى فيه الوعي القومي العربي[5]، فضلاً عن انها عبرت عن تيارات فكرية متعددة منها التيار الحضاري الذي استند إلى احياء الارث الحضاري الزاخر بالعطاء والإبداع وازاحة ما لحق به من دمار في العصور السابقة، والكشف عن مكنوناته العلمية والإنسانية بهدف ايقاظ وعي العرب بتاريخهم[6]. وظهر التيار الديني الاصلاحي الذي دعا إلى التوفيق بين الدين الإسلامي ومنجزات العلم الحديث لتتمكن المجتمعات الإسلامية من استيعاب متطلبات العصر الحديث وأبرز من مثل هذا الاتجاه محمد عبده[7] (1261هـ/1845م – 1323هـ/1905م)،

---

(1) حسين، موسوعة تاريخ مصر، 891/3؛ عبد الرحيم، عبد الرحمن عبد الرحيم، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط4، القاهرة، 1407هـ/1986م، ص120.

(2) يحيى، جلال، العالم العربي الحديث، ط مصر، 1386هـ/1966م، ص86 – 89.

(3) وهم الذين اشتغلوا بدراسة لغات الشرق الإسلامي، وحضاراته، وفلسفاته، وأديانه، وروحانياته من غير الشرقيين. زلط، أحمد، الدكتور محمد حسين هيكل، بين الحضارتين الإسلامية والغربية، ط مصر، 1409هـ/1988م، ص158، المقدادي، الشيخ فؤاد كاظم، الإسلام وشبهات المستشرقين، ط2، بغداد، 1425هـ/2004م، ص31، وينظر: الصغير، محمد حسين علي، المستشرقون والدراسات القرآنية، ط بيروت، 1404هـ/1983م، ص124.

(4) غزاوي، زهير، التيار الاستردادي – الفلسفي المصري ودراسة الشيعة الامامية الاثنى عشرية، مجلة المنهاج، العدد 2، بيروت، 1417هـ/1996م، ص74. ومما يشار له في هذا المجال محاولات محمد علي باشا باكتساب التمدن الاوربي بالاكثار من ترجمة الكتب الفرنسية العلمية إلى اللغة العربية، وطبع كتب متعددة في مطبعة بولاق. سيديو، خلاصة تاريخ العرب، ص286.

(5) زين، نور الدين، نشوء القومية العربية، ط3، بيروت، 1400هـ/1979م، ص112؛ حوراني، البرت، الفكر العربي في عصر النهضة، ط3، بيروت، 1398هـ/1977م، ص120.

(6) أحمد، ابراهيم خليل، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، ط الموصل، 1404هـ/1983م، ص379.

(7) من مؤسسي النهضة المصرية الحديثة، وكبار الدعاة إلى التجديد والإصلاح، التقى عام 1289هـ/1872م بالسيد جمال الدين الافغاني وتأثر بأفكاره كثيراً، اشتغل بالتدريس في دار العلوم بالأزهر وتأثر كثيراً بآراء ابن القيم والغزالي وابن تيمية. غربال، الموسوعة العربية، 1661/2.

ومحمد رشيد رضا[1] (1282هـ/1865م – 1348هـ/1929م) وآخرين غيرهم[2] فضلاً عن تيارات أخرى متعددة أهمها التيار الديني القومي الذي أكد على تغيير الأوضاع الفاسدة بالرجوع إلى الدين الإسلامي بعد عودة الخلافة إلى العرب من قريش باعتبارهم أجدر الأمم لحفظ الإسلام[3].

وعلى الرغم من ان بعض هذه التيارات قد نشأت في بلاد الشام إلا أنها وجدت في مصر مجالاً رحيباً للعمل بحرية أكبر، وهو ما أدى إلى رسوخ نزعة استعلائية ميزت بعض الباحثين المصريين اتجاه مدارس البحث العربية الأخرى من جهة وظهر شعور بالمقدرة على فرض وجهات النظر الشخصية ولاسيما ما يتعلق بالبحوث المختصة بالتراث العربي الإسلامي على انها حقائق علمية لم يتوصل إليها غيرهم من جهة أخرى، إن هذا الاستعلاء وسم التيارات التي ينتمي إليها هؤلاء الباحثين بسمة الافتقار إلى البحث الدؤوب عن المصادر الضرورية للاحاطة بكافة القضايا موضوع البحث، فغلب على نتاجهم طابع الاستسهال وإطلاق الأحكام المتعسفة على الرغم من ادعاءات الحياد العلمي المبثوثة هنا وهناك في زوايا الكتب المنشورة[4].

وكان للاستشراق الاوربي تأثيره الحاسم[5] على المنهج لدى أولئك الباحثين الذين حاولوا ((إعادة قراءة التراث العربي الإسلامي، بالمفاهيم الاستشراقية ذاتها))[6] وقد ولد ذلك رد فعل

---

(1) عالم دين سياسي واسع الشهرة، ولد ونشأ بطرابلس من بلاد الشام، رحل عام 1315هـ/1897م إلى مصر واتصل بالشيخ محمد عبده، ثم اصدر مجلة المنار لبث آراءه في الإصلاح الديني والاجتماعي، وأسس عام 1326هـ/1908م مدرسة الدعوة والارشاد.

غربال، الموسوعة العربية، 1660/2، وينظر: انطونيوس، جورج، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة: ناصر الدين الأسد واحسان عباس، ط6، بيروت، 1401هـ/1980م، ص246.

(2) أحمد، تاريخ الوطن العربي، ص363 وما بعدها.

(3) العدول، جاسم محمد وأخرون، تاريخ الوطن العربي المعاصر، ط الموصل، 1403هـ/1982م، ص6 – 7.

(4) غزاوي، التيار الاسترداديي، ص74 – 75.

(5) لم تختلف المدرسة الفكرية الشامية عن المدرسة الفكرية المصرية في تأثرها الكامل بما قدمه المستشرقون ولاسيما جهود البعثات التبشيرية الكاثوليكية وجهود المبشرين الامريكان الذين كان لجهودهم أينع الثمرات بفضل ما كان يوجهها من أفكار وما كان يدفعها من حماسة. انطونيوس، يقظة العرب، ص105، ص107.

(6) هاني، ادريس، محنة التراث الأخر النزعات العقلانية في الموروث الامامي، ط بيروت، 1419هـ/1998م، ص73.

أدى إلى بروز المنتمين إلى التيار السلفي[1] الذي يظهر تعصب بعض عناصره ولاسيما من ظل ملتصقاً منهم بالمؤسسة الأزهرية[2] التي كانت تعد نفسها خارج النقد[3].

وقد كان الرائد للاتجاه السلفي في مصر محمد رشيد رضا (1282هـ/1865م – 1344هـ/1925م) ثم جاء من بعده محب الدين الخطيب[4] (1304هـ/1886م – 1389هـ/1969م) الذي استقر في مصر وأسس في القاهرة المطبعة والمكتبة السلفية وعمل جاهداً على نشر الفكر السلفي من خلال مطبعته ومكتبته تلك[5] وعن طريق (جماعة دعوة الحق) التي أسسها وأصدر بواسطتها مجلة (دعوة الحق) ولا تزال هذه الجماعة تعمل على

---

(1) ينسب هذا التيار تراثه إلى ابن تيمية الذي عاش في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي والذي نادى بالرجوع إلى للكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، وظل ابن تيمية ينادي بمبادئه هذه حتى وفاته في محبسه بقلعة دمشق سنة 728هـ/1327م، ولم يفلح تلامذته ومريدوه في هذه الدعوة حتى قام محمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة الوهابية في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي بالدعوة إلى إحياء دعاوى ابن تيمية من دراسته لكتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية وأخذه عنها بل ونسب بعضها لنفسه؛ لذلك نستطيع القول بأن دعوته تعد تطوراً تاريخياً لدعوة ابن تيمية.

عبد الرحيم، عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ط2، مصر، 1401هـ/1980م، ص20؛ عبد الرحيم، تاريخ العرب الحديث، ص64 - 65.

(2) نسبة إلى الجامع الأزهر، وهو اقدم مؤسسة تعليمية في مصر، بناه جوهر الصقلي (360هـ/970م – 362هـ/972م) في زمن المعز لدين الله الفاطمي (342هـ/953م – 365هـ/975م)، إذ كان جوهر وزيره وقائد جيوشه وقد بنى الجامع الازهر للمعز ليصلي فيه بالناس يوم الجمعة.

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت845هـ/1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ط بيروت، بلا.ت، 273/2، رفعت، محمد ومحمد أحمد حسون، معالم تاريخ العصور الوسطى، ط4، مصر، 1346هـ/1927م، ص225؛ جونيور، جاك كرابس، كتابة التاريخ في مصر في القرن التاسع عشر – دراسة في التحول الوطني، ترجمة: عبد الوهاب بكر، ط مصر، 1414هـ/1993م، ص125.

(3) غزاوي، التيار الاستردادي، ص75.

(4) نشأ وترعرع في بلاد الشام، ساعده اطلاعه على مؤلفات ابن تيمية على الانتماء إلى الاتجاه السلفي، وظلت عقيدته ثابتة، التحق بكليتي الحقوق والآداب في الاستانة عام 1323هـ/1905م ولم يكمل تعليمه فيهما، غادر إلى القاهرة سنة 1325هـ/1907م وتعرف فيها على محمد رشيد رضا، وفي نفس السنة انتقل إلى مدينة الحديدة في اليمن ليعمل على مدى أكثر من سنة ونصف مترجما لدى (ج. هـ ريتشارد) القنصل البريطاني في الحديدة، ثم عاد أواخر السنة التالية إلى سوريا ومنها إلى البصرة عام 1333هـ/1914م واعتقل فيها لمدة تسعة اشهر تقريباً ثم خرج بسعي من السير برسي كوكس من المعتقل فعاد إلى القاهرة وظل متنقلاً بينها وبين دمشق وشبه الجزيرة العربية ثم استقر نهائيا في القاهرة حتى وفاته سنة 1389هـ/1969م.

برج، محمد عبد الرحمن، محب الدين الخطيب ودوره في الحركة العربية، ط مصر، 1411هـ/1990م، ص7، ص9، ص14، ص18، ص33، ص37، ص176.

(5) مقابلة مع محمود إسماعيل عبد الرازق، في كلية الآداب، جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية، في 7 مايس 1426هـ/2005م.

الساحة المصرية وتُصدر مجلتها حتى الآن[1]، وساعده في ذلك – فيما بعد – ابنه قصي الذي انتمى إلى جماعة الاخوان المسلمين وسار على خطى والده في نشر الفكر السلفي حتى وفاته عام 1401هـ/1980م[2].

ويجد المتتبع لتأثير التيار السلفي في المدرسة التاريخية المصرية ان هذه المدرسة لم تتأثر تأثراً واسعاً خلال النصف الأول من القرن العشرين الميلادي بمنهج هذا التيار بل سيجد ان هناك نوعاً من الحيادية والاتزان طبعت الكتابات التاريخية المصرية، فظهر بعض الكتاب ممن انتقل من السرد الاخباري إلى التحليل والتفسير الموضوعي المتزن ومن هؤلاء الكتاب محمد محمود عبد العليم في كتابه سيدنا الامام الحسين (رضي الله عنه)، وعبد الحميد جودة السحار بكتابه حياة الحسين (رضي الله عنه). ويستثنى من ذلك بعض المؤلفات التي نشأ اصحابها في بلاد الشام ثم وفد إلى مصر واستقر فيها، ومن تأثر بهؤلاء من الكتاب المصريين وقد زاد هذا التأثير شيئاً فشيئاً حتى مثّل ظاهرةً مع بدايات النصف الثاني من ذلك القرن.

وقد تنامت الحركة القومية العربية في القرن العشرين الميلادي في البلاد العربية عامة وفي مصر خاصة إذ كانت الحركة القومية فيها تشابه مثيلتها في بلاد الشام وتسير معها في نفس الاتجاه من حيث احياء الثقافة العربية، وميلاد الوعي القومي العربي فإذا ما انبعث صوت في أحد هذين القطرين تردد صداه في القطر الآخر فاستجاب له[3].

ويبدو ان هذا التنامي للوعي القومي العربي قد أخذ طريقه للتأثير في المدرسة التاريخية المصرية كما أثر في مناحي الحياة الأخرى في هذا البلد الذي اصبح فيما بعد رائداً للقومية العربية في مجالات الحياة المختلفة؛ وبين هذين التيارين السلفي والقومي تنقل الكتاب المصريون في كتابة التاريخ إلاّ ما ندر.

وفي الوقت الذي بدأ التيار السلفي بالظهور بقوة ((وجدت فئة من المثقفين تنادي بأن يحل المفهوم العلماني الخاص بالدولة القومية محل الفكرة الإسلامية))[4]، واعتقدت هذه الفئة ان الأخذ بهذا المفهوم هو المنهج الأمثل للوصول إلى اعلى درجات الرقي والنجاح[5].

وقد أدى ذلك إلى ظهور مؤلفات تنتهج نهجاً علمانياً، في مقدمتها كتاب (الإسلام واصول الحكم) الذي ألفه الشيخ الأزهري علي عبد الرازق، الذي جاء بنفي وجوب الخلافة ونكر عدم صلاحيتها للعصر ودليله على ذلك اهمال القرآن الكريم والسُنّة النبوية – كما يرى – لهذا الأمر

---

(1) الورداني، صالح، المد الحسيني في مصر، بحث منشور ضمن كتاب دراسات وبحوث مؤتمر الامام الحسين (عليه السلام) الذي عقد في سوريا، محرم 1424هـ/2003م، ط قم، 1426هـ/2005م، ص296.

(2) مقابلة مع محمود إسماعيل عبد الرازق، في 10 مايس 1426هـ/2005م.

(3) انطونيوس، يقظة العرب، ص173 – 174.

ومن الطريف أن نشير إلى أن هذا التبادل الثقافي بين هذين القطرين قد شمل الحركة المسرحية أيضاً، فإذا كانت لبنان وسوريا قد سبقت مصر إلى المسرح في مفهومه الحديث، وتكوين الفرق التمثيلية – المسرحية في قالب أوربي فإن مصر كانت سبّاقة في بناء المسارح وقد أخذت الفرق الفنية التي تكونت في لبنان وسوريا تفد إلى مصر متفادية ظروف الضغط في بلدانها وطالبة لجو أرحبٍ حيث مجال العمل أوسع وطرق العمل أيسر في مصر مما أخصب المسرح العربي وأغنى نشاطه مع بداية القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي.

داغر، يوسف أسعد، معجم المسرحيات العربية والمعربة 1848 – 1975م، ط بغداد، 1398هـ/1978م، ص96 – 97.

(4) مصطفى، أحمد عبد الرحيم، تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة، ط مصر، 1393هـ/1973م، ص47.

(5) بيومي، زكريا سلمان، الاخوان المسلمين والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المصرية 1928 – 1948م، ط2، القاهرة، 1412هـ/1991م، ص29.

مما افقد العلماء الدليل الكافي على وجوبها[1]. وصدر كتاب آخر بعنوان (في الشعر الجاهلي لطه حسين) أثار فيه المؤلف الشك حول تاريخ العرب قبل الإسلام وشكك في حقائق وردت في القرآن الكريم، إذ عدّ بناء إبراهيم الخليل (عليه السلام) وابنه إسماعيل (عليه السلام) للكعبة اسطورة وليست حقيقة[2].

وقد كان للحرب العالمية الأولى (1333 – 1337هـ/1914 – 1918م) وما تبعها من أحداث – تمثلت في قيام ثورة سنة 1338هـ/1919م وتولي حزب الوفد[3] الدور الهام في الحركة الوطنية، وانفراد بريطانيا بالسيطرة على مصر أكبر الأثر في التقليل من شان دعاة الفكرة الإسلامية حيث ساد الفكر القومي - بمساعدة الاحتلال – مسرح الفكر السياسي في مصر[4]. مما أدى إلى دخول الفكر الإسلامي في طور جديد لمواجهة التيارات المعادية، فحدث أن قامت في مصر عدد من الجمعيات الإسلامية قاربت المائة والخمسين جمعية[5]، وكان من ابرزها جماعة الشبان المسلمين التي تأسست عام 1346هـ/1927م[6] وكان من أبرز المؤسسين لها عبد العزيز جاويش، أحمد تيمور، محب الدين الخطيب وآخرون[7]. وقد رأت هذه الجماعة بأن العلاج للحالة المتردية يكمن في العودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية[8]،

---

(1) ينظر: عبد الرازق، علي، الإسلام وأصول الحكم بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، ط3، مصر، 1344هـ/1925م، ص12 – 37، حسين، محمد محمد، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ط بيروت، 1390هـ/1970م، 85/2 – 86.

(2) البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، ط8، القاهرة، 1395هـ/1975م، ص214، التوبة؛ غازي، الفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقويم، ط3، بيروت، 1398هـ/1977م، ص86 – 87.

وبوسع الباحث ان يتلمس تأثير المنهج الاستشراقي في المدرسة المصرية في هذا الوقت مما ذكر أعلاه. إذ يبدو استناد طه حسين في هذه الدعوى على ما كتبه المستشرقون مثل سبرنجر، وسنوك هجروينيه، وفنسنك في اثارة الشبهة أن في القرآن تناقضاً وان شخصية إبراهيم (عليه السلام) مرّت في القرآن بأطوار قبل أن تصبح في نهاية الأمر مؤسّسة للكعبة، وأشار فنسنك إلى السر في هذا الاختلاف بالقول: ((إن محمداً كان قد اعتمد على اليهود في مكة، فما لبثوا أن اتخذوا حياله خطة عداء، فلم يكن له بدٌ من ان يلتمس غيرهم ناصراً. هناك هداه ذكاء مسدد إلى شأن جديد لأبي العرب إبراهيم، وبذلك استطاع ان يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية إبراهيم)).

فنسنك، ارندجان، إبراهيم، دائرة المعارف الإسلامية لمجموعة من المستشرقين، ترجمة: محمد ثابت الفندي وآخرون، ط مصر، 1352هـ/1933م، 28/1، المقدادي، الإسلام وشبهات المستشرقين، ص178، ص235، ص239.

(3) هو حزب سياسي مصري، أسسه سعد زغلول عام 1337هـ/1918م، وسمي بهذا الاسم لترأسه وفدا سعى لمفاوضة الحكومة الانجليزية نيابة عن الشعب المصري للحصول على استقلال البلاد استقلالاً تاماً بالطرق السلمية المشروعة؛ وقد اضفى الوفد الصفة الشرعية على تمثيله للشعب بحصوله على توكيل منه بحركة التوكيلات. وقد تم حلّ الحزب اوائل عام 1373هـ/1953م بعد قرار حل الاحزاب المصرية عام 1372هـ/1952م.

الغنتيت، محمد علي، الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس ثورات العرب في سنة 1919م، ط مصر، (بلا.ت)، ص42، غربال، الموسوعة العربية، 1954/2.

(4) بيومي، الاخوان المسلمين، ص29.

(5) المصدر نفسه، ص67.

(6) الحسيني، اسحاق موسى، الاخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية في العالم العربي، ط بيروت، 1375هـ/1955م، ص11.

(7) رمضان، عبد العظيم محمد، تطور الحركة الوطنية في مصر 1937 – 1948، ط القاهرة، 1393هـ/1973م، 297/1.

(8) بيومي، الاخوان المسلمين، ص69.

أما الجماعة الثانية فكانت جماعة الاخوان المسلمين التي تأسست في الإسماعيلية[1] في نيسان عام 1347هـ/1928م ومؤسسها حسن البنا[2] (1324 - 1369هـ/1906 - 1949م) وستة من الذين تأثروا به في الاسماعيلية، والذين تحدثوا في شان الطريق العملي الذي يجب أن يسلكوه لعزة الإسلام وخير المسلمين[3] فكانت أفكارهم امتداداً لدعوات إسلامية سابقة مثل: دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب ومحمد رشيد رضا وغيرها من الدعوات التي كانت في الأساس امتداداً لمدرسة ابن تيمية[4] والمستمدة من مدرسة أحمد بن حنبل (ت241هـ/855م) التي نشأت في العراق في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي[5].

وفي السنوات (1349 - 1351هـ/1930 - 1932م) انتقلت الجماعة إلى القاهرة وتمحور نشاطها في التوسع إلى خارج الاسماعيلية، واتضحت النزعة السلفية للجماعة، وقد ظهر ذلك في اختيار الاسماء التي اطلقت على المنشآت التي تخص الجماعة فضلاً عن الصلة الوثيقة بين حسن البنا مؤسس الجماعة ومحب الدين الخطيب صاحب المطبعة والمكتبة السلفية في مصر، وقد اتسمت الجماعة بسرعة الانتشار، ويعود ذلك إلى النموذج التطبيقي للفكر الإسلامي الذي قدمه البنا والذي لم يقدمه الازهر أو الجماعات الإسلامية الأخرى من كون الدين الإسلامي ليس عقيدة وتراث وحضارة فحسب وإنما فكرة سياسية كذلك[6].

وقد عمل الاخوان على إنشاء مؤسسات تبدو وكأنها مؤسسات دولة وليست مؤسسات حزب سياسي مثل المؤسسات التربوية التي ضمت رياض الأطفال، ومدارس الجمعة، ومدارس محو الأمية، والمعاهد الليلية، ومدارس تجارية، والجدول التالي يمثل مؤسسات التربية والتعليم التي انشأها الاخوان المسلمون في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي[7].

---

(1) مدينة تقع شرق الدلتا بمصر، حسنة التخطيط، كثيرة الحدائق، انشأت عام 1280هـ/1863م لتكون قاعدة لعمليات حفر قناة السويس، سميت أولاً باسم قرية التمساح لوقوع بحيرة التمساح شمالها، ثم سميت بالاسماعيلية نسبة للخديوي إسماعيل. غربال، الموسوعة العربية، 160/1.

(2) عالم دين مصري ولد في الاسكندرية سنة 1324هـ/1906م، وتخرج من مدرسة دار العلوم في القاهرة واشتغل في التعليم، استقر في الاسماعيلية، وأقام فيها داراً للاخوان المسلمين واختار لنفسه لقب (المرشد العام) وكان للاخوان نشاط سياسي جعل رئيس الوزراء المصري محمود فهمي النقراشي يغلق مكاتبهم فاغتالوه، ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى اعترض البنا أشخاص مجهولين واغتالوه سنة 1369هـ/1949م.

المصدر نفسه، 718/1، مقدمة كتاب مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا، ط الاسكندرية، 1423هـ/2002م، ص5 - 6.

(3) عثمان، حافظ، الإسلام والصراعات الدينية، ط القاهرة، 1415هـ/1994م، ص224.

(4) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحراني الدمشقي الحنبلي، ولد بحران سنة 661هـ/1262م من بيت حمل لواء المذهب الحنبلي أكثر من قرب من الزمان، كان حاد الطبع، قوي الحافظة، غضب عليه قادة فقهاء المذاهب في عصره، وشيوخ الصوفية في دمشق والشام والقاهرة والاسكندرية لأنه عمق البحث في ذات الله، وسلك طرقاً لم يسلكها الأولون ورعاً وتمسكاً بحدود الشريعة في النهي عن الخوض في ذات الله وصفاته، ثارت عليه الفتن في دمشق أثر مسائل في الطلاق افتى بها بخلاف المذاهب الأربعة، وتجددت هذه الفتن سنة 726هـ/1325م بعد أن جدد الكلام في فتواه بتحريم شد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين، فنُقل إلى قلعة دمشق ثم مرض مرضاً شديداً وتوفي سنة 728هـ/1327م.

ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 80/6 - 81، عبد الحميد صائب، ابن تيمية حياته عقائده موقفه من الشيعة وأهل البيت، ط قم، 1414هـ/1994م، ص59 - 63.

(5) الحسيني، الاخوان المسلمون، ص6 - 7.

(6) بيومي، الاخوان المسلمين، ص83 - 84.

(7) نقلاً عن التوبة، الفكر الإسلامي، ص208 - 218.

جدول يمثل

مؤسسات التربية والتعليم التي انشأها الاخوان المسلمين في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي

ت	اسم المؤسسة	الموقع	عدد الطلاب
1-	**رياض الأطفال:**		
	روضة شبرا مصر	18 شارع خماروية – شبرا مصر	300 طفل وطفلة
	روضة الشرابية	شارع الألآيلي بجوار المسجد	120 طفل وطفلة
	روضة مهمشة		80 طفل وطفلة
	روضة شبرا البلد	بجوار سراي محمد علي	250 طفل وطفلة
	روضة شبرا المحطة	بجوار محطة البنزين	150 طفل وطفلة
	روضة قليوب البلد	قليوب البلد	280 طفل وطفلة
	روضة حدائق شبرا	شارع الأجهوري	75 طفل وطفلة
2-	**المدارس وأطلق عليها (مدارس الجمعة):**		
	مدرسة الجيل الجديد	شعبة حدائق شبرا	22 طالب
	مدرسة الجيل الجديد	شعبة شبرا مصر، خمارويه	55 طالب
	مدرسة الجيل الجديد	شعبة منية السيرج	25 طالب
	مدرسة الجيل الجديد	روضة الفرج	35 طالب
	مدرسة الجيل الجديد	شعبة شبرا البلد	50 طالب
	مدرسة الجيل الجديد	شعبة بنجام	15 طالب
	مدرسة الجيل الجديد	شعبة شلقان	15 طالب
	مدرسة الجيل الجديد	شعبة قليوب	20 طالب
	مدرسة الجيل الجديد	شعبة الشرابية وهاشم آغا	60 طالب
	مدرسة الجمعة	عابدين /42 شارع محمد فريد	65 طالب

ت	اسم المؤسسة	الموقع	عدد الطلاب
3-	**المعاهد الليلية:**		
	معهد شبرا مصر	18 شارع خمارويه شبرا مصر	60 طالب
	معهد شبرا البلد	بجوار سراي محمد علي	55 طالب
	معهد قليوب البلد	قليوب البلد	60 طالب
	معهد القناطر الخيرية	شارع البحر	30 طالب
	المعهد الابتدائي	منطقة جنوب القاهرة /15 شارع الشيخ البغال بالسيدة	20 طالب
	معهد العباسية	6 شارع محمد رفعت	600 طالب وضم المعهد معملاً للكيمياء والطبيعة
	معهد حدائق القبة	شارع الاجهوري	100 طالب
	معهد الطرية	منزل النجومي	90 طالب
	معهد مصر الجديدة	شارع سيدي جابر	150 طالب
	معهد الاخوان المسلمين	شارع الأمير فاروق	150 طالب
	معهد الطلاب	شعبة الجيزة شارع الملكة	300 طالب
4-	**مدارس محو الأمية:**		
	مدرسة محو الأمية	شعبة الموسكي / شارع درب المناصرة	20 طالب
	مدرسة محو الأمية	شعبة الجيزة / شارع الملكة	300 طالب
5-	**دراسات تجارية:**		
	مدرسة التجارة	العباسية /6 شارع محمد رفعت	20 طالب

وشمل نشاط الجماعة تأسيس عيادات، ومستوصفات، ومستشفيات، ومساجد، وشركات فضلاً عن شركة اعلانات ومطبعة عرفت بالمطبعة الإسلامية، وجريدة يومية صدر العدد الأول منها في 5 آيار سنة 1366هـ/1946م[1].

ويبدو واضحاً مما تقدم ان جماعة الاخوان المسلمين قد عملت على بناء أساس فكري لتكون لها قاعدة واسعة في المستقبل، إذ اهتمت بنشر الفكر الاخواني من خلال تلك المؤسسات التربوية – بدءاً من الاطفال مروراً بالشباب والشيوخ – ناهيك عما تقدمه مؤسساتها الأخرى من خدمات اجتماعية فتكون تلك المؤسسات مجتمعة مراكز استقطاب لهذه الجماعة.

ولإكمال دورها انخرطت جماعة الاخوان المسلمين في العمل السياسي وهو ما أثار انتباه السلطات المصرية إلى خطورة هذه الجماعة فأصدرت قرارها بحل الجماعة سنة 1368هـ/1948م إذ اصبحت أكبر جماعة مسلحة ولاسيما بعد حرب فلسطين[2]، مما دفع جماعة الاخوان إلى العمل بشكل تنظيم سري مستندين في تنظيمهم إلى مبدأ الجهاد ووجوبه على كل مسلم ضد اعداء الله من غير المسلمين وقد اقرت الجماعة الشعار القائل ان القوة اضمن طريق إلى الحق[3]، وفي هذا الطريق استقطبت بعضاً من ضباط الجيش كان من أبرزهم جمال عبد الناصر الذي اصبح فيما بعد أحد ابرز قادة مصر والعالم العربي[4].

وقد برز تأثير التيارات التي تبنت الفكر السلفي أو القومي – اللذان سارا جنباً إلى جنب في عملية التأثير على المدرسة التاريخية المصرية – لاسيما بعد تبني القيادات السياسية الشابة لهذين المنحيين في الحياة المصرية وإذا كان هذا التأثير ضئيلاً على منهج الكتابات التي ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي فإنه كان كبيراً على كمية الانتاج – في مجال هذه الدراسة – ففي الوقت الذي شهدت الحقبة التاريخية (1345 – 1359هـ/1926 – 1940م) طبع مؤلفات ابن تيمية (ت728هـ/1327م) مرات متعددة، وأصدرت أكثر من عشرة كتب عن الوهابية والفكر الوهابي، وطبعت كتب أحمد بن

---

(1) التوبة، الفكر الإسلامي، ص208 – 218.

(2) بيومي، الاخوان المسلمين، ص116 – 118.

(3) المصدر نفسه، ص123 – 124.

(4) المصدر نفسه، ص128.

حنبل(ت241هـ/855م) والغزالي[1] وابن العربي[2] وابن خلدون[3] فضلاً عن عشرات الكتب التي اهتمت بسيرة هذه الشخصيات وحياتها، وعشرات أخرى سعت إلى تمجيد التاريخ الأموي وشخصيات مثل عمرو بن العاص (ت43هـ/663م)، ومعاوية بن أبي سفيان (41 – 60هـ/661 – 679م)، ومروان بن الحكم (64 – 65هـ/683 – 684م) من منظور انها الدولة العربية المحض وهؤلاء قادتها العرب الافذاذ[4] في هذه الحقبة نفسها لم نجد من بين

---

(1) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الشافعي، ولد بطوس سنة 450هـ/1058م وكان والده يغزل الصوف ويبيعه، وإليه نسب الغزّالي قرأ الفقه في صباه وقدم نيسابور، ولازم امام الحرمين، ثم خرج إلى العسكر قاصداً الوزير نظام الملك فناظر العلماء في مجلسه، وظهر كلامه عليهم فولاه التدريس بالنظامية في بغداد، غادر إلى دمشق، وزار مصر ثم رجع إلى بغداد، وعاد إلى خراسان ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور ثم رجع إلى طوس وتوفي بها سنة 505هـ/1111م.

ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 383/3، 10/4 – 11، مقدمة كتاب احياء علوم الدين للغزالي عن هيئة التحقيق بدار الوعي العربي، ط بيروت، 1425هـ/2004م، ص6 – 14.

(2) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، ولد سنة 468هـ/1075م، في اشبيلية وكان والده من أولياء الدولة المتمتعين بالمكانة والوجاهة عند ولي أمرها، خرج مع أبوه من اشبيلية بعد سقوط دولة آل عباد سنة 485هـ/1092م، فمضى إلى شمال افريقية، ومرّ بمصر، وبيت المقدس ودمشق وأخذ عن علمائها ثم لقي الغزالي في بغداد واتصل به ولازمه ثم عاد إلى وطنه يفتي ويدرس أربعين سنة. وتولى منصب المشاور للقضاء ثم قضاء اشبيلية سنة 528هـ/1133م وقد ضاق وقت درسه وانقطع عنه بعض تلاميذه لأنه كان يُدرّس وبغلته عند الباب ينتظر الركوب إلى السلطان. توفي في مراكش سنة 543هـ/1148م. لمزيد ينظر الترجمة الموسعة من عدة مصادر لدى: الخطيب محب الدين، القاضي أبو بكر بن العربي مؤلف العواصم من القواصم – مقدمة كتاب العواصم من القواصم، ط3، بيروت، 1425هـ/2004م، 8 – 25.

(3) عبد الرحمن بن محمد بن محمد.. الحضرمي، لسرته عربية يمانية من حضرموت ولد في تونس سنة 732هـ/1331م، وتلقى علومه فيها، ثم انتقل إلى فاس في المغرب وصار كاتب السر لأبي عنان المريني ثم غضب عليه وسجنه مرتين، ثم عين قاضي القضاة في عهد السلطان أبو سالم، قصد غرناطة واستقر في بلاط بني الاحمر، ورحل بعد ذلك إلى بجاية وعمل حاجباً لأميرها، إلا انه لم يثبت فيها إذ بدأ يتقلب في ولائه لأمرائها، فزهد الامراء في صحبته فقرر تركهم والاعتكاف في قلعة ابن سلامة التي مكث فيها اربع سنين غادر إلى القاهرة وعين فيها مدرساً للفقه المالكي، ثم قاضياً لقضاة المالكية، ثم قاضياً لقضاة مصر. توفي سنة 808هـ/1405م.

ينظر: ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م)، التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، ط بيروت، 1400هـ/1979م، غربال، الموسوعة العربية الميسرة، 14/1.

(4) ينظر للإطلاع على عناوين الكتب والمصنفات التي طبعت خلال هذه الحقبة: نصر، عايدة إبراهيم، الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة (مصر) بين عامي 1926 – 1940م، ط القاهرة، 1389هـ/1969م.

هذا العدد الكبير الذي أصدرته دور النشر المصرية سوى سبعة كتب تخصصت في سيرة آل البيت (عليهم السلام) وهي على التوالي حسب تاريخ صدورها:-

1- أبو الشهداء الحسين بن علي (عليه السلام) لعباس محمود العقاد، عام 1348هـ/1929م.

2- الحسين (عليه السلام) لعلي جلال الحسيني، عام 1349 – 1350هـ/1930 – 1931م.

3- تاريخ ومناقب ومآثر الست الطاهرة البتول السيدة زينب وأخبار الزينبات ليحيى بن الحسن بن جعفر (ت277هـ/890م)، تحقيق: حسن محمد قاسم، عام 1353هـ/1934م.

4- غادة كربلاء (رواية) لجرجي زيدان، عام 1354هـ/1935م.

5- ريحانة الرسول (صلى الله عليه وآله) – الشهيد المظلوم الامام الحسين بن علي (عليهما السلام)، لأحمد فهمي محمود عام 1358هـ/1939م.

6- مصرع الحسين (عليه السلام) لمؤلف مجهول، عام 1358هـ/1939م.

7- سيرة الحسين السبط (عليه السلام) لعبد الله العلايلي، عام 1358 – 1359هـ/1939 – 1940م. وصدر كتاب واحد يتحدث عن عقيدة الشيعة لمؤلفه محمد رشيد رضا تحت عنوان السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة، عام 1348 – 1349هـ/1929 – 1930م.

ومع بدايات النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي وانتشار حركات التحرر في بلدان الوطن العربي واستقلال تلك البلدان من السيطرة الاستعمارية، وانتهاج اغلب تلك الدول للفكر القومي على حساب انحسار المد الديني فيها، كانت مصر الرائدة في هذا المجال بعد قيام ثورة 23 تموز 1372هـ/1952م[1] إذ تبلور مفهوم القومية العربية و ((ارتبط بالعروبة ارتباطاً كاملاً، وأصبحت الدعوة القومية دعوة إلى وصل ما انفصم من الصلات العربية القديمة على يد الاتراك والاوربيين))[2] وقد أصبح رئيس مصر جمال عبد الناصر رائد القومية العربية ولكي يتخلص من تأثير المد الديني السياسي المتمثل بجماعة الاخوان المسلمين[3] استغل حادث المنشية عام 1374هـ/1954م الذي اعلن فيه عن محاولة الاخوان اغتياله فبدأت حملة اعتقالات واسعة ضدهم، مما اضطرهم إلى الهجرة وبأعداد كبيرة – ولاسيما المثقفين منهم – إلى مناطق بعيدة عن عبد الناصر ومده القومي، فاستقبلتهم دول الخليج العربي – المملكة العربية السعودية خاصة – فبدأت عملية تلاقح فكري واسع بين

---

(1) للمزيد عن تفاصيل الثورة ينظر: حمروش، أحمد، قصة ثورة يوليو، ط بيروت، 1394هـ/1974م، 193/1 – 223، عمر، عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط بيروت، 1395هـ/1975م، ص540 – 542؛ اليوزبكي، دراسات في الوطن العربي، ص133.

(2) حلمي، محمود، المجتمع العربي، ط القاهرة، 1385هـ/1965م، ص375.

(3) ومما يذكر بهذا الصدد انه ((قد كان ثلث اعضاء مجلس قيادة الثورة منهم))، حنفي، حسن، قم تسأل والقاهرة تجيب، مجلة قضايا إسلامية، العدد الخامس، ايران، 1418هـ/1997م، ص65.

الفكر الوهابي الذي مثلته المؤسسة الحاكمة ومؤسساتها التعليمية والفكرية والتيار الديني السلفي المتمثل بالاخوان المسلمين الذين عمل اغلبهم كمدرسين في المدارس والمعاهد والجامعات السعودية[1].

وقد أصيب التيار القومي بالضعف بعد نكسة الخامس من حزيران عام 1387هـ/1967م وهزيمة العرب أمام إسرائيل[2] ويبدو أن التيار الديني السلفي قد وجد فرصة للظهور مرة أخرى بوصفه منقذاً من هذه النكسة ولاسيما ان الحكومات العربية – المصرية منها خاصة – اعترفت صراحة بمسؤوليتها عن الهزيمة وأعلن عبد الناصر استقالته من رئاسة الجمهورية متحملاً مسؤولية الهزيمة في الحرب مع إسرائيل[3].

ويعتقد الباحث ان التيارات الدينية وجدت لها مجالاً في هذا الوقت بسبب الظرف النفسي الذي رافق نكسة حزيران فضلاً عن ان الحكومات حاولت استرضاء الشارع العربي بعد الهزيمة لذلك غضت الطرف عن تحركات تلك التيارات، ورافق ذلك عودة اغلب الذين فروا إلى بلدان الخليج العربي وقد تشربت أفكارهم بالفكر الوهابي فضلاً عما كانوا يحملونه من الفكر السلفي، فظهرت مصنفات مصرية متعددة أظهرت الفكر الشيعي الامامي فكراً مرتبطاً بالوثنية، وقد تم الاستناد احياناً إلى كتابات بعض المنشقين عن التشيع[4]، أو الذين حاولوا – عن حسن نية – التقريب بين المذاهب، للاستشهاد بما كتبوه والتحامل على الفكر الشيعي. وقد قاد ذلك إلى عرض سيء للمواقف التاريخية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) ولاسيما قضية الامام الحسين (عليه السلام)، وكمثال على ذلك ما كتبه محمد الخضري بك في كتابيه: (تاريخ الدولة الأموية)، و(تاريخ الدولة العباسية)، وأحمد أمين في مؤلفاته: (فجر الإسلام)، و (ضحى الإسلام)، و(ظهر الإسلام)[5]. بل حتى الذين كتبوا بنوع من الحيادية في هذه المواضيع فانهم لم يرتقوا إلى مستوى الحدث التاريخي أو مكانة أولئك الأشخاص في مسار التاريخ الإسلامي، إذ غلب على معظم كتاباتهم النزعة العاطفية على حساب الجانب الفكري والمعرفي متماشين في ذلك مع الكتابات الشيعية المعاصرة التي توصف بأنها كتابات تتسم بالطابع الدفاعي وكأنها متهمة بشيء ما[6]. ومثال ذلك سعد حسن محمد في كتابه (أهل البيت في مصر)، وتوفيق أبو علم في كتابه (الحسين بن علي)، ومحمود منصور في كتابه (الشقيقان في كربلاء).

---

(1) مقابلة مع محمود إسماعيل عبد الرازق، مصر، 10 مايس 1426هـ/2005م.

(2) ينظر: اليوزبكي، دراسات في الوطن العربي، ص245 – 246.

(3) ينظر: جاسم، عزيز السيد، سقوط مدرسة هيكل وازمة العقل السياسي المصري، ط بغداد، 1408هـ/1987م، ص53.

(4) ينظر: عبد الأخر، أبو الوفا أحمد، التآمر على التاريخ الإسلامي، راجعه وقدم له: الدكتور محمد كامل البنا، ط القاهرة، 1410هـ/1990م، ص48 – 49.

(5) مقابلة مع محمود إسماعيل عبد الرزاق، في داره في المنصورة، مصر، 13 مايس، 1426هـ/2005م.

(6) مقابلة مع عبادة عبد الرحمن كحيله، في كلية الأداب، جامعة القاهرة، 9 مايس، 1426هـ/2005م.

ولعل النزعة العاطفية التي طغت على المصنفات التي درست قضية الامام الحسين (عليه السلام) تعود إلى الاتصال اللاشعوري للمصريين بالتراث الفاطمي[1] القديم، وما تأصل في الوجدان الشعبي نتيجة الالتصاق بمقامي الحسين والسيدة زينب (عليها السلام) في مدينة القاهرة[2].

دخلت الكتابة المصرية التاريخية مرحلة جديدة من بداية سبعينات القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي إذ استقلت امارات الخليج العربي فأعلنت البحرين وقطر استقلالهما سنة 1391هـ/1971م[3] وأعلن عن قيام دولة الامارات العربية المتحدة في الثاني من كانون الأول سنة 1391هـ/1971[4] فضلاً عما كانت تتمتع به المملكة العربية السعودية والكويت من استقرار، فأدى ذلك إلى تنامي عوائد هذه الدول من بيع النفط مما فسح المجال لهذه الامارات إلى التوجه في التوسع في إنشاء المؤسسات التعليمية ولاسيما الجامعات، فقد انشأ في المملكة العربية السعودية أكثر من عشرين جامعة ومعهد في مختلف الاختصاصات، وقد تطلب ذلك وجود كوادر علمية لإدارة هذه المؤسسات، فنشطت الدعوة للأساتذة المصريين للتوجه إلى المملكة للتدريس في جامعاتها ومعاهدها العلمية أو الدينية، ومن الطبيعي أن تكون كوادر الاخوان المسلمين – من الذين سبق لهم العمل في المملكة العربية السعودية ابان الأزمة مع عبد الناصر – ممن نال قصب السبق في التدريس في هذه الجامعات[5].

---

(1) تأسست الخلافة الفاطمية سنة 297هـ/909م في شمال افريقية عندما أفضت الدعوة السياسية الدينية للاسماعيلية إلى قيام دولة تتمذهب بالمذهب الشيعي وتقول بامامة إسماعيل بن جعفر الصادق، ونقلوا مقر دولتهم إلى مصر سنة 358هـ/969م وأصبحت القاهرة مدينة ملكية لهم، وفرضوا سيادتهم على المنطقة من شمال افريقية ومصر إلى الحجاز والشام لمدة من الزمن، وضمت سلالة الخلفاء الفاطميين (14) خليفة، وقد سقطت دولتهم على يد الايوبيين سنة 596هـ/1199م.

المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ/1441م) اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، ط بيروت، 1422هـ/2001م، 340/1، 349، دفتري، فرهاد، مختصر تاريخ الاسماعيليين، ترجمة: سيف الدين القصير، ط دمشق، 1422هـ/2001م، ص119 – 128.

(2) غزاوي، التيار الاستردادي، ص75؛ وقد لاحظ الباحث أثناء زيارته للمقامين المذكورين في مصر النزعة العاطفية للمصريين اتجاههما.

(3) قاسم، جمال زكريا، الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر 1945 – 1971م، ط الكويت، 1399هـ/1978م، ص407 – 408، زرتوقة، صلاح سالم، انماط الاستيلاء على السلطة في الدولة العربية دراسة في الأساليب – النمط الوراثي – النمط الانقلابي – انماط أخرى (1950 – 1985م)، ط2، القاهرة، 1414هـ/1993م، ص247.

(4) قاسم، الخليج العربي، ص409.

(5) مقابلة مع سعيد أبو زيد، في كلية الأداب، جامعة المنوفية، مصر، 16 مايس، 1426هـ/2005م.

وقد تنامى هذا الطلب على المدرسين وأساتذة الجامعات أثر التوسع في افتتاح مؤسسات تعليمية جديدة بعد حرب تشرين 1393هـ/1973م التي أدت إلى ارتفاع سعر النفط بشكل جنوني بعد استخدام النفط سلاحاً في تلك الحرب[1].

أما على الصعيد المحلي في مصر فقد توفي الرئيس جمال عبد الناصر عام 1390هـ/1970م[2] وخلفه الرئيس محمد أنور السادات الذي سمح للتيارات الدينية أن تمارس نشاطها وأن تنمو لما رآه من وقوفها في مواجهة التيارات الأخرى ولاسيما الشيوعيين، وقد كانت الحكومة السعودية تُمد تلك الجماعات الإسلامية والحركات الاصولية في مصر لتكون لها ورقة ضاغطة ومؤثرة على صانع القرار السياسي في مصر[3]. ونميز في هذه المدة الزمنية من حكم السادات ظهور بعض المؤلفات التي حاولت أن تسلك نهجاً توفيقياً مثل كتاب زعماء الإسلام لحسن إبراهيم حسن، الذي تضمن تراجم 31 من زعماء المسلمين من البعثة النبوية إلى آخر العصر الأموي، ومن الشخصيات التي ضمها هذا الكتاب شخصية عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وأدرج الامام الحسين (عليه السلام) معهم جاعلاً لكل منهم مكانة وفضلاً وشرفاً في الإسلام[4].

وشهد عهد السادات محاولة عرض المسرحية الشعرية (ثأر الله – الحسين ثائراً – الحسين شهيداً) لـ عبد الرحمن الشرقاوي التي طبعت سنة 1389هـ/1969م، وذلك عندما طلب مؤلف المسرحية سنة 1390هـ/1970م من الجهات المعنية في الازهر الشريف فحص المسرحية وابداء الرأي فيها ليتسنى اخراجها للمسرح القومي، وقد حصلت موافقة الازهر في نفس السنة مشروطة بعدم تجسيد شخصيتي الحسين والسيدة زينب (عليهما السلام) ويظهر بدلاً عنهما راوٍ وراوية ينقلان حديثهما، فوافق المؤلف والمخرج وحصلت موافقة الرقابة على المصنفات الفنية على النص المسرحي سنة 1391هـ/1971م بناءً على موافقة الازهر الشريف فبدأت بروفات المسرحية، وأخذت الصحف المصرية تنشر انباء تتابع العمل واكتماله، وظهرت الصحف والمجلات والاعلانات على جوانب الطرقات تقول ان (ثأر الله) ستعرض بعد اسبوع على المسرح القومي، وفجأة وقبل اسبوع من الموعد المقرر لعرضها أوقف العمل لغرض التدقيق في النصوص[5].

---

(1) مقابلة مع محمود إسماعيل عبد الرازق، في داره في المنصورة، مصر، 13 مايس، 1426هـ/2005م. وينظر: منصور، فوزي، خروج العرب من التاريخ، ترجمة: ظريف عبد الله وكمال السيد، ط مصر، 1414هـ/1993م، ص121.

(2) زرنوقة، انماط الاستيلاء على السلطة، ص297.

(3) ينظر: ارتباط السادات مع حكام المملكة العربية السعودية وأقطار النفط الأخرى قبل أن يصبح رئيساً. منصور، خروج العرب من التاريخ، ص151 – 152.

(4) ينظر: حسن، حسن إبراهيم، زعماء الإسلام – تراجم 31 من زعماء المسلمين من البعثة النبوية إلى آخر العصر الأموي، ط القاهرة، 1401هـ/1980م، ص197 – 207، ص208 – 215.

(5) اسكندر، أمير، ثأر الله، مقالة منشورة في ملحق كتاب الحسين وبطلة كربلاء لمحمد جواد مغنية، ط بيروت، (بلا.ت)، ص251 – 256.

وتساءل أحد الكتّاب المصريين على صفحات جريدة الجمهورية المصرية: ماذا حدث ؟ وأجاب: ((يبدو أن مأساة الحسين التي وقعت في العراق منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً تتكرر هنا مرة أخرى رغم اختلاف الظروف وبعد القرون، فمسرحية الحسين تتعرض الآن مثلما تعرض الحسين نفسه في الماضي للتنكر والانكار ! وهي توشك ان تلقى مصيره الدامي، مختنقة وسط حصار قوى غريبة تسلك سلوكاً غير مبرر وغير مفهوم))[1].

ويمكن للباحث من تتبع نصوص المسرحية ان يتعرّف على القوى الغريبة التي حالت دون أن يرى هذا العمل الابداعي النور، فإذا ما أدركنا درجة التمكن للتيار السلفي في الوسط الثقافي المصري لا يغدو غريباً ان تلغى مسرحية تدين منذ المشهد الأول ما أريق لأجل الدفاع عنه مداد كثير من الاقلام السلفية، ان المسرحية التي كتبت بقدرٍ عالٍ من الحرفية والموضوعية والالمام الواسع بسيرة الحسين والأسباب الحقيقية لثورته، كانت تنعت معاوية بن أبي سفيان بالطاغية، المتكبر، الدجال، الفرعون المتجبر، وتهزأ من دعوى بشارة النبي(ﷺ) له بالجنة، وتصفه بمخالفة الكتاب والسنة[2] والمسرحية تدين يزيد بن معاوية[3] (61 – 64هـ/680 – 683م)، وهند بنت أبي سفيان، وغيرهم من شخصيات أموية[4]، وتصف الدولة الأموية بدولة قطاع الطرق التي تقتل من يعاملها بالصدق والتقوى[5] وتُذكّر بسيرة الامام علي (عليه السلام) الحاكم العادل[6]، وتعد الحسين (عليه السلام) الامتداد السامي لسنة النبي(ﷺ)، وسيرة الامام علي (عليه السلام)[7]، وترد – بلباقة – على دعوى ان الحسين قتل بقول رسول الله (ﷺ) فيمن خرج على الاجماع[8] أو على مَن وصف خروجه بالفتنة[9] أو بكونه القاءً للنفس في التهلكة إذ تعرض ذلك عرضاً شفافاً على لسان السيدة زينب والحسين عليهما السلام:

((الحسين:... ولكن خرجت أرد المظالم

خرجت لاقضي لله ديناً تعلق للعدل في ذمتي

طريقي مبين

---

(1) اسكندر، ثار الله، ص253، ومما يشار إليه ان الاستاذ الدكتور محمود إسماعيل عبد الرازق قد أشار إلى هذه المسرحية وذكر ان الأزهر اعترض بحجة عدم جواز تجسيد الشخصيات العظيمة والغيت المسرحية.

مقابلة شخصية، مصر، 7 مايس، 1426هـ/2005م.

(2) الشرقاوي، عبد الرحمن، ثار الله – الحسين ثائرا، الحسين شهيدا، ط القاهرة، 1389هـ/1969م، ص7 – 8.

(3) المصدر نفسه، ص9، ص11.

(4) المصدر نفسه، ص15، 34 – 35، ص87.

(5) المصدر نفسه، ص124.

(6) المصدر نفسه، ص12، ص80 – 81.

(7) المصدر نفسه، ص19، ص26، ص31، ص32، ص33، ص38، ص72.

(8) المصدر نفسه، ص40، ص160 – 161.

(9) المصدر نفسه، ص60.

فلابد لي من سلوكي الطريق إلى غايتي
زينب: يقول ابن عمك مستغرباً
أتلقي بنفسك للتهلكة ؟
الحسين: ولكنه قدري ان اذود عن العدل مهما يقف في سبيلي هو الحق.. أخرج من أجله
فإن كان لابد من معركة
وإن كان لابد من مستشهدين
فيا أملاً عزّ من أدركه
أنا ذا خرجت بسيف الرسول
ودرع النبي إلى المعركة))[1].

وتلقي المسرحية ضوءاً على أسباب خروج الحسين (عليه السلام)[2] وغير ذلك مما لا يرضي أصحاب المنهج التبريري ممن ساروا في ركاب التيارات السلفية والقومية أو المؤسسة الحاكمة[3] ولاسيما أن المسرحية توجه رسالة للناس – المستضعفين منهم خاصة – وتدفعهم للثورة ضد الظلم والطغيان وتحمل الأمة مسؤولية السكوت على الحاكم الظالم[4] وترسل رسائل واضحة للحاكم ان يعدل في توزيع المال بين الناس[5]، وان لا ترتفع الدولة فوق الكذب والبهتان والتزوير والظلم فتفترس من ينقدها، وتنتهك من يسندها[6] وغير ذلك مما لا يبدو في مصلحة السلطة – آنذاك – ان تسمح بتناقله وانتشاره –.

ومما يشار إليه ان هذه المسرحية هي العمل المسرحي الوحيد الذي انتجته الأقلام المصرية عن الحسين (عليه السلام) وعلى مدى الحقبة الممتدة من (1265هـ/1848م – 1395هـ/1975م) فلم يكن بين العدد الكبير من المسرحيات التاريخية، والأدبية، والتهذيبية والتمثيلية سوى هذه المسرحية عن ثورة الحسين (عليه السلام)، وأربع مسرحيات أخرى اختصت بآل البيت (النبي ﷺ والامام علي عليه السلام)[7].

---

(1) الشرقاوي، ثار الله، ص138 – 139.

(2) المصدر نفسه، ص60، ص108، ص141.

(3) للتدليل على ذلك ينظر في النص الآتي: ((ان الشواهد كلها، تدل على ان موقف يزيد الخليفة من الحسين الخارج عليه كان طبيعياً بمقتضى المعايير الطبيعية، وبالرغبة المركوزة في طبيعة البشر للحفاظ على الملك والسلطان.. وربما الصالح العام..)) شعوط، ابراهيم، أباطيل يجب ان تمحى من التاريخ، ط بيروت، 1409هـ/1988م، ص225.

(4) الشرقاوي، ثار الله، ص58 – 59، ص66 – 67، ص69، ص112، ص226.

ويمكن الإشارة إلى ان مخرج المسرحية هو الفنان كرم مطاوع الذي عرف بمعارضته للسلطة، إذ عاش لاجئاً سياسياً في العراق مدة من الزمن.

(5) المصدر نفسه، ص33.

(6) المصدر نفسه، ص91 – 92،، ص170 – 171، ص186.

(7) ينظر: داغر، يوسف اسعد، معجم المسرحيات العربية والمعرّبة 1848 – 1975م، ط بغداد، 1398هـ/1978م، ص415، ص515، ص567، ص605.

ولا يجد الباحث تفسيراً لذلك الابتعاد عن شخصية بارزة مثل الحسين ولاسيما أن ((مأساة الحسين منبعاً لا ينضب لعشرات.. بل ولمئات التراجيديات والمسرحيات الملحمية.. وكل شخصية [فيها] تصلح لأن تكون محوراً لمسرحية، وكل موقف واحد يصلح لأن يكون مسرحية بأسرها... وهذه الوقائع جميعاً أضافت عليها الأحزان الشعبية جيلاً بعد جيل روعة خارقة وملهمة فواقعة الاستشهاد والمشاهد التمثيلية التي تدور حولها ثروة فنية لم يتناولها الفنانون بعد وهي أساس المسرح الملحمي العربي والتراجيديا الإسلامية))[1].

ويغدو هذا الابتعاد أكثر ابهاماً إذا ما طالعنا أسماء الشخصيات التاريخية الأخرى التي كان بعضها أقل جاذبية من شخصية الحسين، ومع ذلك كانت محوراً لمسرحيات أدبية وتاريخية، وتمثيلية وتهذيبية[2].

ويبدو أن هذا الاهمال إمتد ليشمل مجالاً ابداعياً آخر هو مجال الأدب القصصي والروائي، فمن متابعة الباحث للاصدارات المصرية عن طريق هيئة التأليف والنشر في القاهرة التي تضم الاصدارات المصرية منذ دخول المطابع إلى مصر وإلى يومنا الحالي، وجولته لمدة شهر في دور النشر والمكتبات المصرية، لم يجد قصة أو رواية معنية بالحسين(عليه السلام) لحقبة البحث عدا روايتين هما:

- غادة كربلاء، لجرجي زيدان وتصنف ضمن الرواية التاريخية التي تتخذ مادتها الأساسية من التاريخ بقصد تعليمه، وصبه في قالب روائي لاساغته وتحسين عرضه[3].
- وصوت الحسين، لـ محمد أحمد عيش التي جاءت في اطار تقويم الشخصيات التاريخية ومنها شخصية الحسين (عليه السلام)، ويزيد بن معاوية، وصرّح كاتبها في مقدمته قائلاً: ((انه ما كان للحسين ان يبايع (يزيد) اطلاقاً.. الذي مثل الفساد والطغيان والملكية الغاشمة أصدق تمثيل في القرن الأول من الإسلام. ولا غرو إذا ما كتبت كتابي... هذا لأجلو هذه الظاهرة الخطيرة...))[4].

وقد اندرج هذا العمل ضمن محاولات الكاتب ايجاد الرمز التاريخي للوقوف بوجه الملكية والطغيان ليجعل ثورة 1372هـ/1952م في مصر امتداداً لثورة الحسين[5].

---

(1) الشرقاوي، عبد الرحمن، لقاء معه أجراه نبيل زكي بعنوان: عبد الرحمن الشرقاوي وملحمة الحسين، مجلة الكاتب، العدد 101، مصر، 1379هـ/1969م، ص139.

(2) على سبيل المثال لا الحصر: كتب عن خالد بن الوليد أربع مسرحيات، وعن عمرو بن العاص مسرحيتين، وعن الحجاج بن يوسف الثقفي مسرحيتين، وعن صلاح الدين الأيوبي أربع فضلاً عن أسماء أخرى كتب عنها عشرات المسرحيات مثل: هارون الرشيد، وحكام بن أمية وغيرهم، وطبعت مرات متكررة.

ينظر: داغر، معجم المسرحيات، ص250، ص271، ص276، ص340، ص368، ص369، ص398، ص418، ص419، ص431.

(3) هيكل، أحمد، الأدب القصصي والمسرحي في مصر من أعقاب ثورة 1919 إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، ط3، مصر، 1400هـ/1979م، ص242.

(4) عيش، محمد أحمد، صوت الحسين، ط القاهرة، 1383هـ/1963م، ص7.

(5) عيش، محمد أحمد، صوت الحسين، ص7، ص22.

ومع أن الباحث لا يطمأن تماماً من غفلة أو سهو قد يقع هنا أو هناك، بدليل إغفال هيأة التأليف والنشر في القاهرة لرواية (صوت الحسين) التي عثر عليها الباحث أثناء محاولات الحصول على الإصدارات المصرية إلاّ أنه يستطيع القول ان الانتاج المصري في هذا الميدان كان شحيحاً جداً لو قورن بما اتجهت الأقلام الأدبية المصرية إلى التعبير عنه[1].

ومن نافل القول ان شعراء مصر وعلماءها قد سجلوا في ثنايا أشعارهم تمجيدهم للثورة الحسينية، وبينوا الوقائع البارزة في حياة الحسين (عليه السلام) في إطار من الشعر الجزل[2] فتفجعوا على الحسين[3]، ووصفوا مقتله، ومأساة الطف[4]، ونزهوا ثورته عن غاية طلب الملك[5]، وجعلوا من عبرة الحسين (عليه السلام) رمزاً لذكراه التي رفعت علم الحقيقة والعدالة فثأره الدائم ان يُهزم الطغاة في كل مكان لتنتصر الحياة[6].

لقد أدت المتغيرات السياسية في مصر وقيام السادات بتوقيع معاهد السلام مع الكيان الصهيوني المعروفة باتفاقية كامب ديفيد سنة 1398هـ/1977م، إلى جعل السادات هدفاً لكل التيارات المعارضة للوجود الصهيوني في مصر ومن ثمَّ اغتياله يوم 6 تشرين الأول سنة 1402هـ/1981م على أيدي مسلحين من التيارات الدينية المرتبطة بجماعة الاخوان المسلمين وتنظيماتها المسلحة [7].

وبعد انتصار الثورة الايرانية وقيام الجمهورية الإسلامية سنة 1400هـ/1979م أصبحت تأثيرات هذه الثورة تتخطى دلالاتها المحلية[8]، إذ برزت فكرة الصراع مع الاستكبار العالمي بكل صوره وأشكاله بوصفه مشروعاً يجب ان يتم، وهو ما سمي فيما بعد بتصدير الثورة الإسلامية[9].

وقد وجهت هذه الثورة الانظار – بصورة أكبر من ذي قبل – إلى الشيعة، والتشيع فبدأ الكتّاب المصريون باصدار مؤلفات اهتمت بالشيعة بوصفه مذهباً، واعتمد اغلبهم على

---

(1) ينظر على سبيل المثال: هيكل، الأدب القصصي، ص243، هامش (1).

(2) ينظر على سبيل المثال: الطنطاوي، مرسى شاكر، مسرح العين في موكب الحسين، ط مصر، 1363هـ/1944م، ص14 – 29، عطية، محمد هاشم، قصيدة شهيد كربلاء، موسوعة الشيعة في العالم – الشيعة في مصر، ط بيروت، 1423هـ/2003م، ص272.

(3) ينظر: المصري، حسين مجيب، كربلاء بين شعراء الشعوب الإسلامية، ط القاهرة، 1421هـ/2000م، ص84، جبر، محمود، قصيدة على أعتاب كربلاء، موسوعة الشيعة في العالم، ص269.

(4) تنظر الأبيات المختارة لأحمد شوقي، المصدر السابق، ص258.

(5) ينظر: المصري، كربلاء بين شعراء الشعوب، ص84، ص86، ص87.

(6) ينظر: إبراهيم، محمود، قصيدة صرخة الحق، موسوعة الشيعة في العالم، ص270 – 271، وأبيات قابيل، ماهر أحمد، المصدر نفسه، ص274 – 275.

(7) أحمد، فوزي ربيع، آل سعود من دموع عبد الناصر ودماء السادات إلى مطاردة بن لادن واعتقال صدام حسين، ط بيروت، 1424هـ/2003م، ص169 – 171، وينظر: زرتوقة، انماط الاستيلاء على السلطة، ص298.

(8) هيكل، محمد حسنين، مدافع اية الله قصة ايران والثورة، ط6، القاهرة، 1423هـ/2002م، ص17.

(9) المقدادي، الشيخ فؤاد كاظم، الامام الخميني ونظام القوى العالمي، مجلة رسالة الثقلين، العدد الثلاثون، ايران، 1420هـ/1999م، ص13 – 14.

المستشرقين[1] أو ما استقر في العقل السلفي – اتجاه الفكر الشيعي – المعتمد على كتاب (العواصم من القواصم) لابن العربي (ت543هـ/1148م) أو (منهاج السنة) لابن تيمية (ت728هـ/1327م) أو كتب الفكر الوهابي التي كان لها رواجٌ كبيرٌ في دور النشر والمكتبات المصرية، ولم يدقق أولئك الكتّاب في العقبات التي واجهها المستشرق المختص بدراسة هذه الفرقة – والتي نعني بها العثور على الوثيقة الشيعية – ذلك ان اقدم المصادر التاريخية التي احتكرت الأخبار عن الشيعة هي مصادر السنة ومنها (تاريخ الرسل والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ/922م) الذي أورد أخباراً غريبة لسيف بن عمر التميمي[2] مبدع فكرة الأصل السبئي للتشيع[3]. فخرجت إلى المكتبات المصرية العديد من الكتب التي اهتمت بأصول الشيعة اعتماداً على ما كتبه المستشرقون، مثل كتاب (الشيعة النشأة السياسية والعقيدة الدينية) لصلاح أبو السعود، وكتاب (شبهات مزعومة حول القرآن الكريم) لمحمد الصادق قمعاوي، وكتاب (العقائد الشيعية) لمؤلف اطلق على نفسه ناصر الدين شاه، والعديد من الكتب الأخرى التي نحت هذا المنحى.

ولعل هذا هو الذي دفع أحد الباحثين المصريين المنصفين إلى القول:

((من الأغلاط البينة، ما تواتر في كتابات خصوم المذهب القدامى والمحدثين من تجاهل نسبة المذهب إلى عالم فاضل يحظى باحترام المسلمين عموماً – وهو الامام جعفر الصادق – وإلحاق نسبه إلى شخصية خرافية وهمية تتمثل في عبد الله بن سبأ اليهودي))[4].

ومما ساهم في تأليف هذه الكتب الموقف الرسمي المصري المساند للحرب العراقية الايرانية (1401 – 1409هـ/1980 – 1988م) وظهر في وقت واحد تقريباً مفهوم إعادة كتابة التاريخ في العراق ومصر فظهرت ((كتب ومقالات ودراسات كثيرة تنحو باتجاه واحد، هو إعادة كتابة تاريخ بني أمية باسلوب يهدف إلى تنزيههم من جميع الأخطاء.. والطعن في جميع الروايات التي نقلها الرواة، التي تتهم هؤلاء الملوك ابتداءً من معاوية بن أبي سفيان، بالمسؤولية عن الأحداث الجسام التي عرفها تاريخ الإسلام مباشرة بعد وفاة الرسول (ﷺ) وانفجار الفتن والحروب))[5].

---

(1) لاسيما برنارد لويس أو كوربان. هاني، محنة التراث، ص49.

(2) الأسدي، الكوفي، له كتاب (الفتوح الكبير والردة)، وكتاب (الجمل ومسير عائشة وعلي) وقد أكثر بعض أهل التاريخ ومعظم أهل الحديث في الطعن عليه فوصف بالكذب والوضع وأوجبوا ترك رواياته ورموه بالزندقة، كانت وفاته بعد السبعين والمائة.

ينظر: ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب المعروف بالوراق (ت380هـ/990م)، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، ط طهران، (بلا.ت)، ص106، ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ/1448م)، تهذيب التهذيب، ط بيروت، 1405هـ/1984م، 4/259.

وينظر: آراء أصحاب الحديث والتاريخ التي جمعها العسكري، السيد مرتضى، عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، ط طهران، 1417هـ/1997م، 1/73 – 76.

(3) هاني، محنة التراث، ص54 – 55.

(4) عبد الرازق، محمود اسماعيل، فرق الشيعة بين الدين والسياسة، ط القاهرة، 1426هـ/2005م، ص101.

(5) دكير، محمد، كتاب تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي للاستاذ صائب عبد الحميد نحو قراءة واعية للتاريخ الإسلامي، بحث منشور في كتاب المنهاج – مشروع إعادة كتابة التاريخ الإسلامي مقاربات نقدية، الكتاب الحادي عشر، ط بيروت، 1425هـ/2004م، ص555.

ان التناقض الحاد بين الايديولوجية البعثية الحاكمة في العراق بتوجهاتها القومية العلمانية أساساً، وبين ايديولوجية الثورة الإسلامية الخمينية التي هدفت إلى تحقيق نموذج واقعي للدولة الدينية[1] هو الذي دفع بالعراق – في اعتقاد الباحث – إلى الاعلان بأن هوية حربه مع ايران هي هوية قومية – طائفية في وقت واحد، وهو ما دفع التيارين القومي والديني في مصر إلى الاتحاد في وجهة النظر في الكتابات التاريخية التي قدمها الكتّاب الذين عملوا على تطبيق مفهوم إعادة كتابة التاريخ فظهرت كتب من قبيل (تاريخنا المفترى عليه) ليوسف القرضاوي، وكتاب (حوار مع الشيعة حول الخلفاء الراشدين وبني أمية) لعبد المتعال الجبري، وأدلى الاكاديميون بدلوهم في هذا المجال فقدم حمدي شاهين أطروحة دكتوراه بعنوان (الدولة الأموية المفترى عليها دراسة الشبهات ورد المفتريات) والتي طبعت سريعاً بعد أن نال صاحبها الدكتوراه عنها، وكتاب (العالم الإسلامي في العصر الأموي) لعبد الشافي محمد عبد اللطيف الاستاذ في جامعة الأزهر، بل اعيدت تجزأة كتب انساقت وراء المنهج التبريري، وقدمت باسلوب مبسط في موسوعة صغيرة للأطفال تحت عنوان: (المكتبة الإسلامية لكل الأعمار)، وكان من اصداراتها: (الدولة الأموية تاريخ يحتاج إلى انصاف) لأحمد شلبي الاستاذ في جامعة القاهرة.

ومما يشار إليه ان الشيعة في مصر وهم طائفة يتجاوز عددها (700) ألف شخص قد تعرضوا منذ سنة 1409هـ/1988م وحتى يومنا الحالي إلى اعتداءات، واعتقالات، وتعذيب، وتضييق على المعتقد واعتباره مذهباً متطرفاً من أجهزة الدولة الأمنية التي كانت تقوم باستدعاء المتشيعين بشكل متكرر، وتحدث انتهاكات سافرة بحقهم من تعذيب، واذلال، وتخويف، وتهديد ومصادرة ممتلكات بما فيها بعض الكتب الدينية التي تحمل سمة التشيع والتضييق على منظمي معارض الكتب من الشيعة وإن كانت تلك المعارض تتضمن كتباً عامة – بما فيها كتب الشيعة – كل ذلك على الرغم من اعتراف المؤسسة الدينية الرسمية في الأزهر بمذهب آل البيت (عليهم السلام) كمذهب يجوز التعبد به كسائر مذاهب أهل السنة منذ سنة 1379هـ/1959م، وعلى الرغم مما ورد في الدستور المصري من نصوص ضمان حرية المعتقد[2].

يتبين مما تقدم ان الحقبة الزمنية التي عالجها البحث قد أبرزت تأثر المدرسة التاريخية المصرية منذ نشوئها بالواقع السياسي سلباً وايجاباً، وكشفت خضوع الكتابة التاريخية لتأثيرات الاتجاهات والمذاهب المتباينة التي قادت – أحياناً – إلى التعامل مع بعض المواد

---

(1) مقلد، إسماعيل صبري، امن الخليج وتحديات الصراع الدولي دراسة للسياسات الدولية في الخليج منذ السبعينات، ط الكويت، 1405هـ/1984م، ص195.

(2) ينظر: النفيس، أحمد راسم، المصريون والتشيع الممنوع، ط بيروت، 1426هـ/2005م، ص134 – 137، ص147 – 208.

مرغي، جاسم عثمان، الشيعة في مصر، موسوعة الشيعة في العالم – الشيعة في قارة أفريقيا، ط بيروت، 1423هـ/2003م، ص110 – 113.

وقد عُرض في الكتابين قضايا عدد من الشيعة في مصر في دوائر أمن الدولة المصرية، ومن شهادات الأشخاص المعنيين، والصحف المصرية ذاتها.

التاريخية بشكل غير أمين، وقد أدت الظروف السياسية ولاسيما بعد عام 1400هـ/1979م إلى توجه الكتابة التاريخية إلى اظهار الجوانب الايجابية في اعداء الشيعة وتقديم صورة جديدة للمسار التاريخي تحت شعار القراءة الجديدة للتاريخ فكانت قراءة أحداث معينة من زاوية محددة غلبت عليها النظرة المسبقة، والتغييب لبعض المصادر التاريخية لأسباب مذهبية، وقد كانت هذه السمة هي أهم ما طبعت به الكتابات التاريخية المصرية التي ختمت القرن العشرين وابتدأت بها السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين وبصورة أكبر.

الفصل الأول

الامام الحسين (عليه السلام)

نشأته وحياته حتى نهاية العهد الراشدي

(4هـ/625م - 41هـ/661م)

في

المصنفات المصرية

- المبحث الأول: أسمه وكنيته ونسبه وألقابه
- المبحث الثاني: الامام الحسين (عليه السلام) في عهد الخلفاء الراشدين (11هـ/632م – 35هـ/666م)
- المبحث الثالث: الحسين (عليه السلام) في خلافتي أبيه وأخيه: (35هـ/655م – 41هـ/661م)

المبحث الأول

أسمه وكنيته ونسبه وألقابه

لم يختلف الكتّاب المصريون[1] كثيراً في مصنفاتهم عندما أوردوا ترجمة الامام الحسين (عليه السلام) عما ورد في المصادر التاريخية الأخرى المتقدمة والمتأخرة، من حيث الاسم والكنية والنسب واللقب.

فهو الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي[2] ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضرة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن سعد بن عدنان[3].

ويكنى الحسين (عليه السلام) بأبي عبد الله، وليس له كنية غيرها[4]. وأما نسبه فـ ((اسرة الحسين (عليه السلام) من أجداده، وجداته، وأبيه، وأمه، واخوته، واخواته، وعماته، وخالاته، وبني أخيه، وبني عمه خيرة أهل الأرض وفاءً واباءً وشجاعة واقداماً وشرف نفس وكرم

---

(1) ينظر على سبيل المثال: رضا، محمد، الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ط بيروت، 1424هـ/2003م، ص55؛ عبد العليم، محمد محمود، سيدنا الامام الحسين (رضي الله عنه)، ط القاهرة، 1404هـ/1983م، ص11؛ الخربوطلي، علي حسيني، 10 ثورات في الإسلام، ط2، بيروت، 1399هـ/1978م، ص70؛ محمد، سعد حسن، أهل البيت في مصر، تقديم: طه عبد الرؤوف سعد، ط القاهرة، 1424هـ/2003م، ص42.

(2) ابن سعد، محمد بن منيع (ت230هـ/844م)، الطبقات الكبرى، ط بيروت، (بلات)، 19/3؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م)، تاريخ الرسل والملوك، تقديم ومراجعة: صدقي جميل العطار، ط2، بيروت، 1423هـ/2002م، 68/6؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/957م)، التنبيه والاشراف، ط بيروت، 1414هـ/1993م، ص271؛ الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت413هـ/1022م)، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ط قم، 1426هـ/2005م، ص13؛ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت463هـ/1070م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب بهامش الاصابة لابن حجر، ط بيروت، 1328هـ/1910م، 378/1؛ ابن الاثير، أبو الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت630هـ/1232م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط بيروت، 1377هـ/1957م، 18/2.

(3) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعافري (ت218هـ/833م)، السيرة النبوية، علق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، ط بيروت، 1395هـ/1975م، 3/1 - 5؛ اليعقوبي، أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب (ت بعد سنة 292هـ/904م)، تاريخ اليعقوبي، علق عليه: خليل المنصور، ط بيروت، 1420هـ/1999م، 80/2؛ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت573هـ/1177م)، ترجمة الامام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) من تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط بيروت، 1395هـ/1975م، 18/1، السخاوي، شمس الدين (ت902هـ/1496م)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط2، مصر، 1377هـ/1957م، 9/1.

(4) ابن عبد البر، الاستيعاب، 378/1؛ الاربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت692هـ/1292م)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، قدم له: أحمد الحسني، ط قم، 1379هـ/1959م، 551/1.

طباع))[1]، فجده لأمه رسول الله (ﷺ)، وجدته لأمه خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي[2]، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ﷺ) التي ولدت قبل البعثة بخمس سنين[3]، وتوفيت بعد وفاة رسول الله (ﷺ) بمدة قصيرة[4].

وأبوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المولود – على وفق ما جاء في روايات متواترة – في الكعبة المشرّفة في الثالث عشر من شهر رجب سنة ثلاثين من عام الفيل[5]، ونال الشهادة في محرابه فجر الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة بسيف الخارجي عبد الرحمن بن ملجم المرادي في مسجد الكوفة[6]، وله من العمر ثلاث وستون سنة[7]. وعمه جعفر[8] الطيار الذي قال فيه رسول الله (ﷺ) ((اشبهت خَلقي وخُلقي))[9].

وتبلغ عدة أخوة الحسين (عليه السلام) واخواته أربعة عشر ذكراً وسبع عشرة امرأة[10] وقيل تسع عشرة امرأة[11]، واخوته من أمه وأبيه هم

(1) الساعدي، محمد جاسم، مقدمة تحقيق كتاب أبو الشهداء الحسين بن علي لعباس محمود العقاد، ط طهران، 1425هـ/2004م، ص12.

(2) ابن هشام، السيرة، 171/1، الازورقاني، عز الدين أبو طالب إسماعيل بن الحسين المروزي (ت بعد سنة 614هـ/1217م)، الفخري في انساب الطالبيين، تحقيق: مهدي الرجائي، ط قم، 1411هـ/1990م، ص8.

(3) ابن سعد، الطبقات، 19/8.

(4) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، 78/2، ابن سعد، الطبقات، 28/8، الطبري، تاريخ، 257/3.

(5) القمي، سديد الدين شاذان بن جبرائيل (من اعلام القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) الفضائل، تحقيق: محمود البدري، ط قم، 1402هـ/1981م، ص124، الشافعي، أبو سالم كمال الدين محمد بن طلحة النصيبي (ت652هـ/1254م)، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، تحقيق: ماجد أحمد العطية، ط بيروت، 1420هـ/1999م، 51/1؛ ابن عنبة، جمال الدين أحمد بن علي (ت828هـ/1424م)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ط بغداد، 1409هـ/1988م، 58/2.

(6) الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت356هـ/966م)، مقاتل الطالبيين، شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، ط ايران، 1425هـ/2004م، ص48، ص54؛ ابن الطقطقى، محمد بن علي بن طباطبا (ت701هـ/1301م)، الفخري في الأداب السلطانية والدول الإسلامية، مراجعة: محمد عوض إبراهيم بك وعلي الجارم، ط2، مصر، (بلا.ت)، ص88، الابشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن أبي الفتح (ت850هـ/1446م)، المحلى، ط مصر، 1368هـ/1948، 221/1.

(7) ابن سعد، الطبقات، 38/3، ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، ط4، بيروت، 1423هـ/2002م، 262/3.

(8) ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، من المسلمين الأوائل، هاجر إلى الحبشة، ونال الشهادة في معركة مؤتة سنة (8هـ/829م) وحزن عليه الرسول (ﷺ) حزنا شديدا وروى انه (ﷺ) قال فيه: ((رأيت جعفرا يطير في الجنة مع الملائكة))، ابن سعد، الطبقات، 32/4، ابن هشام، السيرة، 281/1؛ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت297هـ/909م)، الجامع الصحيح – سنن الترمذي، ط بيروت، 1421هـ/2000م، ص988.

(9) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256هـ/869م)، صحيح البخاري، ط بيروت، 1422هـ/2001م، ص660؛ الترمذي، الجامع الصحيح، ص988.

(10) ينظر في تمام اسمائهم: الطبري، تاريخ، 96/6، الساعدي، مقدمة، ص13.

(11) ابن سعد، الطبقات، 20/3.

الامام الحسن[1] (عليه السلام)، والمحسن، وأم كلثوم الكبرى[2]، والسيدة زينب[3] (عليها السلام) رفيقة دربه في مأساة الطف[4].

وقد لقب الحسين (عليه السلام) بألقاب متعددة منها: ريحانة الرسول، والسبط[5]، وسيد شباب أهل الجنة[6]، وله القاب أخرى منها الرشيد، الطيب، الوفي، السيد الزكي، المبارك والتابع لمرضاة الله[7]، وقد أضفى عليه الرسول (صلى الله عليه وآله) لقب الامام في صغره فروي انه قال: ((ابناي هذان [الحسن والحسين] امامان قاما أو قعدا))[8].

2. الولادة والنشأة في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) (4هـ/625م – 11هـ/632م).

وما ورد في الحسين (عليه السلام) من القرآن والسُنّة.

اختلف المؤرخون في السنة التي ولد فيها الامام الحسين (عليه السلام)، فقد قيل انه ولد في ((سنة ثلاث، وهذا قول الواقدي وطائفة معه))[9]، فيما ذكر جمع من المؤرخين[10]: ان

---

(1) ينظر في ترجمته: اليعقوبي، تاريخ، 150/2، السيوطي، الشيخ المفيد، الارشاد، 272 – 281.

(2) الطبري، تاريخ، 68/6، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، عني بتنقيحه وتصحيحه: شارل بلا، ط قم، 1422هـ/2001م، 260/3؛ ابن الاثير، الكامل، 262/3.

(3) ينظر في ترجمتها: العبيدلي، أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر (ت277هـ/890م)، أخبار الزينبيات، نشره وقدم له: محمد الجواد الحسيني المرعشي النجفي، ط ايران، (بلا.ت)، ص111 – 123، سيد الأهل، عبد العزيز، زينب بنت علي، ط2، القاهرة، 1381هـ/1961م، بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، بطلة كربلاء زينب بنت الزهراء، ط بيروت، 1381هـ/1961م، العبودي، هناء سعدون جبار، السيدة زينب (عليها السلام) ودورها في أحداث عصرها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 1427هـ/2006م، كحالة، عمر رضا، اعلام النساء، ط2، دمشق، 1377هـ/1958م، 91/2 – 99.

(4) وهو ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، والطف أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها عدة عيون ماء جارية وفيها كان مقتل الحسين بن علي (رضي الله عنه).

ياقوت، شهاب الدين بن عبد الله الرومي الحموي (ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، ط بيروت، 1398هـ/1977م، 35/4 – 36.

(5) ابن الاثير، أسد الغابة، 19/2.

(6) الاربلي، كشف الغمة، 551/1؛ ابن حجر، أحمد الهيثمي المكي (ت974هـ/1566م)، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ط بيروت، 1420هـ/1999م، ص290.

(7) الاربلي، كشف الغمة، 551/1؛ ابن الصباغ، علي بن محمد بن أحمد المكي (ت855هـ/1451م)، الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة، ط النجف، (بلا.ت)، ص170، العاملي، محسن الأمين (ت1371هـ/1951م)، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن محسن الأمين العاملي، ط بيروت، 1403هـ/1982م، 578/1 – 579؛ العقاد، عباس محمود، أبو الشهداء الحسين بن علي، تحقيق: محمد جاسم الساعدي، ط طهران، 1425هـ/2004م، ص12.

(8) الشيخ المفيد، الارشاد، ص278، وينظر: الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت381هـ/930م)، علل الشرائع، ط النجف، (بلا.ت)، 211/1.

(9) ابن عبد البر، الاستيعاب، 378/1.

(10) الطبري، تاريخ، 81/3؛ المسعودي، مروج الذهب، 29/3، الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص84، الشيخ المفيد، الارشاد، 27/2، ابن عبد البر، الاستيعاب، 378/1، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ/1070م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ط بيروت، (بلا.ت)، 141/1، ابن الاثير، الكامل، 68/2.

ولادته كانت في السنة الرابعة للهجرة. وهو ما ذهب إليه اغلب الكتّاب المصريين[1]، وانفرد احدهم بقوله: ((وقد ولد الحسين في شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة على أرجح الأقوال))[2]. ولا نعلم من اين استقى رجحان قوله هذا. وذهب بعضهم[3] إلى ان ولادة الحسين (عليه السلام) كانت في منتصف السنة السادسة للهجرة.

وعلى الرغم من هذا الاختلاف؛ فقد أجمع كل من ترجم للإمام الحسين (عليه السلام) على ان ولادته كانت في المدينة المنورة في شهر شعبان بتفاوت بسيط في يوم الولادة.

ويبدو أن السنة الرابعة للهجرة هي الأقرب إلى الدقة وذلك لشبه الاجماع الذي حصل بين المؤرخين المتقدمين عليها.

وقد روي ان الامام علي (عليه السلام) قد سمى الحسن باسم عمه الحمزة[4] بن عبد المطلب (رض)، وسمى حسيناً بعمهِ جعفر بن أبي طالب (رض)، فدعاه الرسول (صلى الله عليه وآله) وقال له: اني أمرت ان اغيّر اسميهما، فسماهما حسناً وحسيناً[5].

وفي رواية أخرى قال الرسول (صلى الله عليه وآله): ((اروني ابني ما سميتموه، فقال علي: سميته حرباً، فقال الرسول (صلى الله عليه وآله): بل هو حسين))[6] وقد نقل هذه الرواية أغلب الكتّاب المصريين[7]، ونراها تتكرر في المصادر التي استخدمتها مع أولاد الامام علي (عليه السلام) الآخرين الحسن والمحسن.

---

(1) يوسف، حسين محمد، سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي رضي الله عنهما، ط القاهرة، 1409هـ/1988م، ص54؛ رضا، الحسن والحسين، ص55؛ عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص22، محمد، أهل البيت في مصر، ص44.

(2) غريب، مأمون، الامام الحسين (رضي الله عنه) حياته واستشهاده، ط القاهرة، 1418هـ/1997م، ص33.

(3) الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت405هـ/1014م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: محمود مطرجي، ط بيروت، 1423هـ/2002م، 387/3؛ ابن الاثير، أسد الغابة، 18/2.

(4) ابن هاشم بن عبد مناف، عم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لقبه الرسول (صلى الله عليه وآله) بأسد الله وأسد رسوله بعد اسلامه في السنة السادسة من النبوة، هاجر إلى المدينة المنورة، وأخى النبي (صلى الله عليه وآله) بينه وبين زيد بن حارثة، وعقد له أول لواء في الإسلام في أول سرية بعث بها إلى سيف البحر لاعتراض قافلة لقريش، شهد بدراً وكان له فيها صولات، وكان معلما بريشة نعامة، استشهد في معركة أحد سنة 3هـ/624م على يد وحشي بن حرب الذي شق بطنه وأخذ كبده إلى هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان فمضغته ولفظته ثم مثلت بحمزة، وكان عمره يوم استشهد 59 سنة وقال عنه الرسول (صلى الله عليه وآله): رأيت الملائكة تغسل حمزة. ابن سعد، الطبقات، 8/3 – 11.

(5) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن به هبة الله (ت571هـ/1175م)، ترجمة ريحانة رسول الله الامام الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام من تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط بيروت، 1399هـ/1978م، ص15، ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت660هـ/1261م)، ترجمة الامام الحسين من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: عبد العزيز الطباطبائي، ط قم، 1423هـ/2002م، ص31 – 32؛ الاربلي، كشف الغمة، 488/1.

(6) ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص17، ابن الاثير، أسد الغابة، 18/2.

(7) السحار، عبد الحميد جودة، أهل بيت النبي، ط مصر، 1398هـ/1977م، ص11، السحار، عبد الحميد جودة، حياة الحسين، ط مصر، 1398هـ/1977م، ص10، محمد، أحمد فهمي، ريحانة الرسول سيدنا الحسين، ط القاهرة، (بلا.ت)، ص34 – 35، منصور، محمود، الشقيقان في كربلاء الامام الحسين والسيدة زينب، ط2،=

ويبدو لي رجحان الرواية الأولى؛ إذ ان حب الامام علي (عليه السلام) لأخيه جعفر الغائب عنه في مهجره في الحبشة[1] ولعمه حمزة الشهيد في أحد (3هـ/624م) هو ما دفعه إلى تسمية ولديه باسميهما، ويمكن أن تكون الرواية الثانية من وضع الوضاعين من رواة ونقلة الحديث، دسها المؤرخون على صفحات كتبهم ارضاءً لخصوم الامام علي من الأمويين وأتباعهم ليظهروه رجل حرب وسفك دماء إلى الدرجة التي دفعته إلى تسمية أولاده باسم (حرب)، لولا تدخل الرسول (صلى الله عليه وآله) وتغييره ذلك الاسم ليخفف غلواءه في حب الحرب والسلاح وسفك الدماء، ومما يدل على ذلك ما كتبه أحد الباحثيين المصريين عندما قال: ((وهكذا: عدل النبي (صلى الله عليه وآله) بابناء الزهراء عن مسميات الجاهلية، وما تدل عليه من القتال وسفك الدماء، واختار لهم أكرم الأسماء، وأجمل المعاني التي تتفق مع روح الإسلام ومثله العليا))[2]. ثم ألم يكن اعراض الرسول (صلى الله عليه وآله) عن اسم حرب في ولادة الحسن كاف في اعراض آل البيت عن تسمية الحسين والمحسن بهذا الاسم مع ذلك العداء المستحكم بين الهاشميين وآل حرب فما هو المحبذ لآل البيت بتسمية أبنائهم باسم حرب الذي ينتمي له أبو سفيان قائد المشركين بمكة آنذاك[3] وبغض النظر عن صحة احدى الروايتين فإن الذي سمى أولاد الامام علي – الحسن والحسين والمحسن – بهذه الأسماء هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبيّن ذلك بقوله: ((سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر))[4]. ولا خلاف بين المؤرخين المتقدمين منهم والمتأخرين ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الذي تولى تسميتهم.

وعندما ولد الحسين (عليه السلام) أذّن النبي (صلى الله عليه وآله) في أذنه[5]، وعقّ عنه كبشاً، وحلقت السيدة فاطمة (عليها السلام) رأسه، وتصدقت بوزن شعره فضة كما أمرها رسول الله (صلى الله عليه وآله)[6].

= القاهرة، 1391هـ/1971م، ص14، أبو علم، توفيق، الحسين بن علي، ط6، القاهرة، 1425هـ/2004م، ص22، أبو كف، أحمد، ال بيت النبي (صلى الله عليه وآله) في مصر، ط3، القاهرة، 1419هـ/1998م، ص20.

(1) عاد جعفر من الحبشة في يوم فتح خيبر سنة 7هـ/628م وفي ذلك قال الرسول (صلى الله عليه وآله): ((لا أدري بأيهما أنا اسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر)). المسعودي، التنبيه والاشراف، ص239، التميمي، هادي عبد النبي محمد، الدور اليهودي في الدولة الإسلامية حتى نهاية عصر الرسول (صلى الله عليه وآله)، ط النجف الأشرف، 1427هـ/2006م، ص89.

(2) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص55.

(3) أبو علم، الحسين بن علي، ص23.

(4) ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص17 – 18، ابن الاثير، أسد الغابة، 18/2، يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص55.

(5) ابن الاثير، أسد الغابة، 18/2، محمد، ريحانة الرسول، ص45.

(6) الاصبحي، أبو عبد الله مالك بن أنس (ت179هـ/795م)، الموطأ، اعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط بيروت، 1418هـ/1997م، ص317 – 318؛ أبو داود، سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني (ت275هـ/888م)، سنن أبي داود، ضبط وتصحيح: محمد عدنان بن ياسين، ط بيروت، 1421هـ/2000م، ص484؛ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت303هـ/915م)، سنن النسائي، ط بيروت، (بلا.ت)، ص718؛ غريب، الامام الحسين، ص33، محمد، ريحانة الرسول، ص45.

وقد أوردت بعض المصنفات المصرية أن الحسين عليه السلام لم يرضع من ثدي أمه، ولا من غيرها، بل ان النبي (ﷺ) كان يضع ابهامه مرة ولسانه مرة أخرى في فمه فيمتص الحسين منهما ما يكفيه لليوم واليومين[1] ولكن الروايات التي تعرضت لهذه المرحلة من طفولته في المصادر المتقدمة لا تنهض بالباحث لاثبات ذلك، ومما يضعف هذه الرواية ما نقل عن أم الفضل[2] من انها جاءت إلى الرسول (ﷺ) وأخبرته بأنها رأت فيما يرى النائم، كأن عضواً من أعضاء الرسول (ﷺ) قد سقط في بيتها، فأخبرها الرسول (ﷺ) بأنها خيراً رأت، وان فاطمة (عليها السلام) تلد غلاماً وترضعه أم الفضل بلبن ابنها، فولدت فاطمة الحسين (عليه السلام) وصحّ ما قاله رسول الله (ﷺ)[3] وهذا ما يفند ما ذكر في الرواية الأولى من ان الحسين (عليه السلام) لم يرضع من ثدي أمه، ولا من غيرها.

وجاء ((في أخبار الحسين انه كان صورة احتبكت ظلالها من اشكال جده العظيم))[4]، فكان شديد الشبه برسول الله (ﷺ) ما بين عنقه إلى كعبه خلقاً ولوناً[5]. وكان الرسول (ﷺ) يُنزل الحسين بمنزلة أبنائه، ولدينا عدد لا بأس به من الروايات المعتبرة التي تثبت ذلك، فقد روي عن أم الفضل انها ناولت الحسين (عليه السلام) إلى الرسول (ﷺ) فبال عليه، فأهوت بيدها عليه، فبكى الحسين، فقال الرسول (ﷺ): يا أم الفضل آذيتيني في ابني ابكيتيه[6]، وفي رواية أخرى ان ابن عباس[7] شوهد وهو يأخذ بركاب الحسن والحسين (عليهما السلام) فقيل له: كيف تأخذ

(1) صبيح، محمود السيد، خصوصية وبشرية النبي (ﷺ) عند قتلة الحسين، ط القاهرة، 1426هـ/2005م، ص52، محمد، ريحانة الرسول، ص45، منصور، الشقيقان في كربلاء، ص14، أبو علم، الحسين بن علي، ص24.

(2) لبابة بنت الحارث بن حزن المضرية، وهي أول امرأة اسلمت بعد السيدة خديجة (عليها السلام)، وكان رسول الله (ﷺ) يزورها ويقيل في بيتها، تزوجها العباس عم النبي (ﷺ) فولدت له الفضل، وعبد الله، وعبيد الله، ومعبد، وعبد الرحمن، وأم حبيب، وقثم الذي رضع الحسين (عليه السلام) معه. وقد روت أم الفضل الحديث عن رسول الله (ﷺ). ابن سعد، الطبقات، 277/8 – 279.

(3) ابن سعد، الطبقات، 278/8 – 279، الحاكم النيسابوري، المستدرك، 386/3 – 387، ابن عساكر، ترجمة الامام الحسين، ص10، الاربلي، كشف الغمة، 553/1، الدياربكري، حسين بن محمد بن الحسين (ت982هـ/1574م)، تاريخ الخميس في أحوال انفس النفيس، ط بيروت، (بلا.ت)، 418/1 – 419.

(4) العلايلي، عبد الله، الامام الحسين سمو المعنى في سمو الذات، ط بيروت، (بلا.ت)، ص290.

(5) ابن عساكر، ترجمة الامام الحسين، ص29، الدياربكري، تاريخ الخميس، 419/1، رضا، الحسن والحسين، ص55، يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص57، صبيح، خصوصية وبشرية النبي (ﷺ)، ص17، أبو النصر، عمر، فاطمة بنت محمد (ﷺ)، ط بيروت، 1353هـ/1935م، ص105 – 106.

(6) ينظر: ابن سعد، الطبقات، 279/8، الترمذي، الجامع الصحيح، ص989، الحاكم النيسابوري، المستدرك، 390/3، الدياربكري، تاريخ الخميس، 418/1 – 419، أبو علم، الحسين بن علي، ص24.

(7) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان الخليفة عمر يحبه ويدنيه ويشاوره، كانوا يسمونه البحر والحبر لعلمه، برع في العلم والفقه والتفسير، توفي في الطائف سنة 68هـ/687م أو سنة 71هـ/690م.

ابن عبد البر، الاستيعاب، 351/2 – 357، ابن الاثير، أسد الغابة، 291/3 – 295.

بركابهما وأنت أسنّ منهما، فقال: ان هذين ابنا رسول الله (ﷺ) أوليس من سعادتي ان آخذ بركابهما[1].

ولعل في حديث مباهلة[2] نصارى نجران[3] دليلاً أصدق وأدق على هذه المنزلة. ولذلك كان يحل للحسن والحسين (عليهما السلام) رؤية امهات المؤمنين (رضي الله عنهن)، إذ لم يكن يحتجبن منهما، وعندما بلغ ابن عباس ان أم المؤمنين عائشة[4] (رض) تحتجب من الحسن(عليه السلام) قال: ان رؤيته لها حلال[5].

نشأ الحسين (عليه السلام) في ((حجر النبوة الطاهر، تتفتح اكمامه على نور الهداية، وتكتحل عيناه بمشهد أكرم الخلق، يلتقط منه ما يسمع من حديث))[6] رغم ان ابن خياط قال: ((ولا نحفظ له حديثاً عن رسول الله (ﷺ)))[7].

---

(1) ابن العديم، ترجمة الامام الحسين، ص71.

(2) قدم وفد نجران وكانوا ستين راكبا على رسول الله (ﷺ) وفيهم اربعة عشر رجلا من أشرافهم يؤل أمرهم إلى العاقب أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه، فعرض النبي (ﷺ) عليهم الإسلام فقالوا: قد أسلمنا قبلك فقال النبي (ﷺ) كذبتم انه يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، واكلكم الخنزير، وقولكم لله ولد، فسألوه: من أبو عيسى ؟ فذكر لهم ما بيّنه الله تعالى له من انه عبد الله، فأبوا إلا الجدل والخصومة فدعاهم حسب الأمر الإلهي إلى الملاعنة لقوله تعالى: **[فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ]** سورة آل عمران: الآية /61. وجاء النبي (ﷺ) بالحسن والحسين والسيدة فاطمة، فلما رأوا ذلك رجعوا وأقروا بالجزية وقالوا للنبي (ﷺ) لا نلاعنك.

ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف تفسير الطبري، ضبط وتعليق: محمود شاكر، ط بيروت، 1421هـ/2001م، 347/3 – 352؛ الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت468هـ/1075م)، أسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ لأبي النصر المفسر، ط مصر، 1315هـ/1897م، ص67 – 68، ص74 – 75، الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت538هـ/1143م)، تفسير الكشاف، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، ط بيروت، 1423هـ/2002م، 174/3 – 175، ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص224؛ صبيح خصوصية وبشرية النبي(ﷺ)، ص33 – 34.

(3) من مخاليف اليمن من ناحية مكة، كان أهلها على النصرانية، فتحت صلحاً سنة 10هـ/631م. ياقوت، معجم البلدان، 266/5 – 268.

(4) بنت أبي بكر التيمية، احدى أمهات المؤمنين، تزوجها الرسول (ﷺ) وهي ابنة ست أعوام، وبنى بها الرسول بعد معركة بدر وهي بنت تسع أعوام، وتوفي عنها وهي ابنة ثماني عشرة سنة، كانت ذكية فطنة، لها فقه وعلم بالطب، توفيت سنة 58هـ/677م.

ينظر: ابن سعد، الطبقات، 58/8 – 80؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ/1347م)، تذكرة الحفاظ، ط3، الهند، 1375هـ/1955م، 26/1.

(5) ابن سعد، الطبقات، 178/8.

(6) حسن، زعماء الإسلام، ص198.

(7) ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري (ت240هـ/854م)، طبقات خليفة، تحقيق: سهيل زكار، ط مكة المكرمة، 1414هـ/1993م، ص30.

ولكن بعد البحث في المصادر المتقدمة وجدنا ان الحسين (عليه السلام) روى جملة من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وشيئاً من سيرته ومنها[1]:-

- ((للسائل حق وإن جاء على فرس)).
- ((ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها فيحدث لذلك استرجاعاً إلاّ جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل اجرها يوم اصيب بها)).
- ((البخيل من ذُكرتُ عنده ثم لم يصلِ عليّ)).
- علمني جدي (صلى الله عليه وآله) كلمات اقولهن في الوتر: ((رب اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك، وانك لا تذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت)).
- إنما قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أجل جنازة يهودي مُرّ بها عليه فقال: ((آذاني ريحها)).
- صعدت إلى غرفة، فأخذت تمرة، فلكتها في فمي، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): ((القِها، فإنه لا تحل لنا الصدقة)).

وورد عن الامام الحسين (عليه السلام) انه خطب أصحابه في طريقه إلى الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((أيها الناس، ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال: "مَـنْ رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مُدخله"))[2].

وروى الامام الحسين (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)[3]:

- ((ان الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها)).
- عقلت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((انه يكبّر فأكبر خلفه، فإذا اسمع تكبيري أعاد التكبير حتى يكبّر سبعاً)).
- علمني رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((قل هو الله أحد، وعلمني الصلوات الخمس)).
- ((من يطع الله يرفعه، ومن يعص الله يضعه، ومن يخلص نيته لله يزينه، ومن يثق بما عند الله يغنه، ومن يتعزز على الله يذله)).

وأورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: ((أمان امتي من الغرق إذا ركبوا البحر ان يقرؤا ﴿.. **بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[4]))[5].

---

(1) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت241هـ/855م)، مسند أحمد، ط بيروت، (بلا.ت)، 201/1.

(2) الطبري، تاريخ، 215/6؛ ابن الاثير، الكامل، 408/3.

(3) اليعقوبي، تاريخ، 171/2.

(4) سورة هود: الآية 41.

(5) ابن الاثير، أسد الغابة، 19/2.

ونقل عن رسول الله (ﷺ) قوله: ((ان من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))[1].

ومما رواه الامام الحسين (عليه السلام) عن النبي (ﷺ)[2]:

- ((مَن ذكرت عنده فخطئ الصلاة عليّ خطئ طريق الجنة)).
- ((اعتكاف عشر في رمضان كحجتين وعمرتين)).
- ((يا أيها الناس لا ترفعوني فوق قدري فإن الله اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً)).
- ((لا تطرقوا الطير في أوكارها فإن الليل له أمان)).
- ((حملة القرآن عرفاء أهل الجنة يوم القيامة)).

وقال الحسين (عليه السلام): رأيت النبي (ﷺ) يشرب وهو قائم[3]، وذكر انه سمع رجلاً يقول للرسول (ﷺ): اني جبان، فقال (ﷺ): ((هلم إلى الجهاد، لا شوكة في الحج))[4]. وما نقله الحسين قوله: كان رسول الله (ﷺ) في حجر علي (عليه السلام) وكان يوحى إليه، فلما سرى عنه قال: يا علي صليت العصر، قال: لا، قال اللهم انك تعلم انه كان في حاجتك، وحاجة رسولك فرُدّ عليه الشمس، فردها عليه فصلى وغابت الشمس[5].

ان هذه جملة من الأحاديث وهناك، أحاديث أخرى يضيق بها المجال[6]، ولا يُعرف كيف غابت عن ابن خياط، ويبدو ان الكتّاب المصريين اغفلوا هذه الأحاديث كذلك وحذوا حذوه، ولم يوردوا أي حديث عن الحسين (عليه السلام) في مصنفاتهم التي كتبوها في قرن كامل – القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي – ما خلا ثلاثة منهم[7].

وقد ظل الحسين (عليه السلام) ما يقرب من سبع سنين في ظلال النبوة، نال فيها رعاية صاحبها(ﷺ) وحبه وحنوه، وترك رسول الله (ﷺ) تراثاً ثراً من الأحاديث النبوية الشريفة التي حفلت بها كتب السنن والسير والتاريخ، ارتبط خلالها حب الرسول (ﷺ) بحبه للحسين (عليه السلام)،

---

(1) ابن حنبل، المسند، 201/1، الترمذي، الجامع الصحيح، ص634.

(2) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي (ت360هـ/970م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط2، القاهرة، (بلا.ت)، 128/3، 131 – 132.

(3) المصدر نفسه، 106/3.

(4) المصدر نفسه، 135/3.

(5) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/957م)، اثبات الوصية للامام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، ط2، بيروت، 1409هـ/1988م، ص162، الطبراني، المعجم الكبير، 152/2.

(6) يمكن الرجوع إلى أحاديث أخرى أوردها: الدولابي، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الانصاري (ت310هـ/922م)، الذرية الطاهرة، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي، ط2، بيروت، 1409هـ/1988م، ص123 – 133.

(7) ينظر: صبيح، خصوصية وبشرية النبي (ﷺ) ص24 – 29، رضا، الحسن والحسين، ص57 الذي نقل ثلاثة أحاديث، يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص56 وقد اكتفى بنقل حديث واحد.

وشرطاً له في بعض الأحيان، وجاء النص الإلهي ليؤيد رسوله الكريم (ﷺ) في هذه المنزلة العظيمة التي حظي بها الامام الحسين (عليه السلام) وذلك من عظمة البيت الذي ينتمي إليه.

ولم يغفل الكتّاب والمؤلفون المصريون هذه المنزلة، فأوردوا جملة من أحاديث الرسول(ﷺ) في حقه (عليه السلام) وأورد هنا بعضاً من أحاديث النبي (ﷺ) في فضل ومكانة الامام الحسين (عليه السلام):

- أبصر النبي (ﷺ) الحسن والحسين (عليهما السلام) فقال: ((اللهم اني أحبهما فاحبهما))[1].
- كان رسول الله (ﷺ) حاملاً الحسين بن علي (عليه السلام) على عاتقه فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام. فقال النبي (ﷺ): ونعم الراكب هو[2].
- قال الرسول (ﷺ) عن الحسن والحسين: ((هما ريحانتاي من الدنيا))[3].
- وقال (ﷺ): ((من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني))[4].
- وعندما نزلت على النبي (ﷺ): ﴿... **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[5] في بيت أم سلمة[6]، دعا النبي (ﷺ) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس

---

(1) الترمذي، الجامع الصحيح، ص991، النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت303هـ/915م)، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تحقيق: محمد الكاظم المحمودي، ط ايران، 1419هـ/1998م، ص193، ابن عساكر، ترجمة الامام الحسين، ص94.

(2) الترمذي، الجامع الصحيح، ص991، الشيرواني، حيدر علي بن محمد (من اعلام القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي)، ما روته العامة من مناقب أهل البيت عليهم السلام، تحقيق: محمد الحسون، ط2، ايران، 1417هـ/1996م، ص240، السحار، حياة الحسين، ص11، يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص93، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص25.

(3) البخاري، صحيح، ص665، ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت275هـ/888م)، سنن ابن ماجة، ط بيروت، 1421هـ/2000م، ص36؛ النسائي، الخصائص، ص198؛ خالد، خالد محمد، أبناء الرسول في كربلاء، ط8، القاهرة، 1425هـ/2004م، ص63، أبو النصر، فاطمة، ص105، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص25.

(4) ابن ماجة، السنن، ص34.

(5) سورة الاحزاب: الآية 33.

(6) هند بنت أبي أمية، زوجها عبد الله بن عبد الاسد المخزومي الذي أصيب بأحد وتوفي متأثراً بجراحه، تزوجها رسول الله (ﷺ) في سنة 4هـ/625م نقلت الحديث عن رسول الله (ﷺ)، وتوفيت بعمر اربع وثمانون عام 59هـ/678م.

ابن سعد، الطبقات، 8/86 – 96.

وطهرهم تطهيرا، قالت أم سلمة: وانا معهم يا نبي الله ؟ قال: أنتِ على مكانك، وأنتِ على خير[1].

وقال النبي (ﷺ) يوم عرفة وهو على ناقته القصواء: ((يا أيها الناس اني قد تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي، أهل بيتي))[2] وروي عنه انه (ﷺ) قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام): ((انا سلم لمن سالمتم، وحرب لمن حاربتم))[3].

ومما روي عن النبي (ﷺ) في حق الحسن والحسين وانهما ولداه:

- قوله ((أما أنت يا علي فختني وأبو ولدي وأنت مني وأنا منك))[4] ((لكل بني أم عصبة ينتمون إليها إلاّ ابني فاطمة فانا وليهما وعصبتهما))[5].

- وقد جاء الحسن والحسين (عليهما السلام) يستبقان إلى رسول الله (ﷺ) – ذات يوم – فضمهما إليه ثم قال: ((ان الولد مبخلة مجنة محزنة))[6].

وقد وجد بعض المحتجين بأبوة النبي (ﷺ) لأولاد السيدة فاطمة (عليها السلام) سنداً قرآنياً لا مناص من الإقرار به والركون إليه، ومما روي في ذلك ان قوماً اجتمعوا عند الحجاج[7] فذكر الحسين (عليه السلام) عنده فقال: لم يكن الحسين من ذرية النبي (ﷺ)، فقال أحدهم: كذبت أيها الأمير !! فقال الحجاج: لتأتيني ببينة ومصداق من كتاب الله أو لأقتلنك قتلاً ! فقال الرجل: قال تعالى: ﴿... **وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ**

---

(1) الترمذي، الجامع الصحيح، ص992، النسائي، الخصائص، ص85، سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي البغدادي (ت654هـ/1256م)، تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة (عليهم السلام)، تحقيق: حسين علي زادة، ط قم، 1426هـ/2005م، ص122، الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد (ت568هـ/1172م)، المناقب، تحقيق: مالك المحمودي، ط4، قم، 1421هـ/2000م، ص61، ابن عساكر، ترجمة الامام الحسين، ص71، ابن الاثير، أسد الغابة، 19/2، ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص221.

(2) الترمذي، الجامع الصحيح، ص991.

(3) ابن ماجة، السنن، ص34، ابن عساكر، ترجمة الامام الحسين، ص102، صبيح، خصوصية وبشرية النبي (ﷺ)، ص35.

(4) الحاكم النيسابوري، المستدرك، 374/3.

(5) المصدر نفسه، 374/3.

(6) الحاكم النيسابوري، المستدرك، 374/3.

(7) ابن يوسف بن الحكم الثقفي، ولد سنة 40هـ/660م أو 41هـ/661م، كان خطيباً مفوهاً لجوجاً حقوداً كما وصف نفسه لعبد الملك بن مروان، ووصفه عمر بن عبد العزيز بالخبث فقال: ((لو جاءت كل امة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم)) وقد قتل من المسلمين عدداً كبيراً واعترف انه ضرب بسيفه مائة ألف، توفي سنة 95هـ/713م في أيام الوليد بن عبد الملك.

ابن الاثير، الكامل، 284/4 – 286.

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1]
فأخبر الله عزّ وجلّ ان عيسى من ذرية آدم لأمه، والحسين بن علي من ذرية محمد بأمه، قال: صدقت، فما حملك على تكذيبي في مجلسي ؟ قال: ما أخذ الله على الأنبياء ليبيننه للناس ولا يكتمونه[2]، فنفاه إلى خراسان[3].

وقد جاءت السيدة فاطمة – ذات مرة – إلى الرسول (ﷺ) بابنيها تطلب منه ان يورثهما فقال: ((أما حسن فإن له هيبتي وسؤددي، واما حسين فله جرأتي وجودي))[4].

وذُكر ان النبي (ﷺ) صلى مرةً وعنده الحسين (ع) فسجد سجدة أطالها، فقال أحدهم: فرفعت رأسي من بين الناس فإذا الرسول (ﷺ) ساجد وإذا الغلام راكب على ظهره فعدت وسجدت، فلما انتهى (ﷺ) من صلاته سأله الناس: لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، أفشيء أمرت به، أو كان يوحى إليك ؟ قال: لم يكن ذلك ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن اعجله حتى يقضي حاجته[5]. وكان رسول الله (ﷺ) يعوّذ الحسن والحسين: ((اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة))[6]. وذكر أكثر من راوٍ حديث رسول الله (ﷺ) فيهما: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))[7]. وقد سُئل الرسول(ﷺ): أي أهل بيتك أحب إليك ؟ قال: الحسن والحسين، وكان يقول لفاطمة (عليها السلام):

---

(1) سورة الانعام، الآية 84 – 85.

(2) الحاكم النيسابوري، المستدرك، 375/3.

(3) المصدر نفسه، 375/3، وخراسان: بلد معروف في بلاد فارس ومعناه بالفارسية مطلع الشمس، وقد دخل أهلها الإسلام رغبة منهم من دون قتال، وظهر من هذه البلاد الكثير من العلماء ورجالات الدولة كالبرامكة والقحاطبة، وطاهر وبنوه. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط3، القاهرة، 1417هـ/1996م، 489/2 – 490.

(4) ابن عساكر، ترجمة الامام الحسين، ص34، الكنجي الشافعي، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد (ت658هـ/1259م)، كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: محمد هادي الأميني، ط3، طهران، 1404هـ/1983م، ص424.

(5) الحاكم النيسابوري، المستدرك، 376/3، ابن عساكر، ترجمة الامام الحسين، ص106، لطفي، حسن أحمد، الشهيد الخالد الحسين بن علي، ط مصر، 1367هـ/1947م، ص19، العقاد، أبو الشهداء الحسين بن علي، ص132 – 133، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص24 – 25، منصور، الشقيقان في كربلاء، ص17، محمد، ريحانة الرسول، ص37، أبو النصر، فاطمة، ص102، أبو كف، آل بيت النبي، ص17.

(6) الحاكم النيسابوري، المستدرك، 377/3، غريب، الامام الحسين، ص34.

(7) الترمذي، الجامع الصحيح، ص988 – 989؛ النسائي، الخصائص، ص197، الحاكم النيسابوري، المستدرك، 377/3 وأضاف على الحديث: ((وأبوهما خير منهما))؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص120، ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص46، الشيرواني، ما روته العامة، ص243، خالد، ابناء الرسول، ص63، صبيح، خصوصية وبشرية النبي (ﷺ)، ص30.

ادع لي ابنيّ فيشمهما ويضمهما إليه[1]. وقد قرن محبته بمحبتهما فقال: ((الحسن والحسين ابناي، من أحبهما أحبني، ومن أحبني أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما ابغضني، ومن ابغضني ابغض الله، ومن ابغض الله أدخله النار))[2].

وكان رسول الله (ﷺ) يخطب المسلمين إذ جاء الحسنان (عليهما السلام) يمشيان يتعثران، فنزل الرسول (ﷺ) من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: ((صدق الله [**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ...**][3] فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويتعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما))[4].

وروي عن رسول الله (ﷺ) الحث على محبة الحسين وبيان فضله فقال: ((**حسين مني وأنا من حسين، احب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الاسباط**))[5].

وكان النبي (ﷺ) إذا مرّ على بيت السيدة فاطمة (عليها السلام) وسمع الحسين يبكي يؤذيه بكاؤه فيقول: ((أي بنية، ألم تعلمي ان بكاءه يؤذيني))[6].

---

(1) الترمذي، الجامع الصحيح، ص989، ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص89، منصور، الشقيقان في كربلاء، ص15.

(2) الحاكم النيسابوري، المستدرك، 376/3.

(3) سورة التغابن: الآية 15.

(4) الترمذي، للجامع الصحيح، ص990؛ لبن مردويه، أبو بكر أحمد بن موسى الاصفهاني (ت410هـ/1019م)، مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام) وما نزل من القرآن في عليّ، جمعه ورتبه: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، ط2، قم، 1424هت/2003م، ص207، ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص107، أبو النصر، عمر، الحسين بن علي حفيد محمد بن عبد الله، ط بيروت، 1353هـ/1934م، ص36، لطفي، الشهيد الخالد، ص19 – 20، العقاد، أبو الشهداء، ص133، منصور، الشقيقان في كربلاء، ص16.

(5) ابن ماجة، سنن، ص34، الترمذي، الجامع الصحيح، ص990، ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص79، ابن الاثير، أسد الغابة، 19/2، خالد، ابناء الرسول، ص64، محمد، ريحانة الرسول (ﷺ)، ص47، يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص94، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص25، صبيح، خصوصية وبشرية النبي، ص30، الطنطاوي، مسرح العين في موكب الحسين، ص17 وكتابه عبارة عن مجموعة شعرية وقد قرض حديث الرسول(ﷺ) شعراً فقال:

مضمون ما قال ((النبي محمد))	وهو المصدّق داعياً ورسولا
((انا من حسين)) وهو مني بضعة	مَجُدَتْ فروعاً في التقى وأصولا

(6) ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص132، أبو النصر، الحسين، ص36، العقاد، أبو الشهداء، ص132، أبو علم، الحسين بن علي، ص26، منصور، الشقيقان في كربلاء، ص15، السحار، أهل بيت النبي، ص12.

وقد اقتدى أصحاب النبي (ﷺ) بسيرته العطرة في محبة ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) فروي ان بلال بن رباح[1] كان لا يرى الحسين إلاّ ضمه إلى صدره وقبّله، وبعد وفاة الرسول (ﷺ) كان يبكي لرؤيته[2].

((وكأنه تذكر عطف الرسول (ﷺ) عليه ورعايته له، إذ انه كان يرى في الحسين صورة جده))[3]، أما أبو هريرة[4] فإنه كان يسير ذات مرة في جنازة مع الحسين (عليه السلام) فاقبل ينفض بثوبه التراب عن قدم الحسين[5] ولعل في هذه المواقف دليلاً عملياً على ما غرسه النبي (ﷺ) في نفوس أصحابه من منزلة ومكانة لأولاد السيدة فاطمة (عليها السلام) ولاسيما الحسين.

وقد روت أم الفضل ان الله سبحانه وتعالى اخبر رسوله (ﷺ) بشهادة الحسين (عليه السلام) وبكاه النبي (ﷺ) على ذلك، فذكرت انها دخلت يوماً على رسول الله (ﷺ) والحسين صغير فوضعته في حجره، فالتفتت فإذا الرسول (ﷺ) يبكي، فسألته عن سبب بكائه، فقال: ((ان جبريل أخبرني ان امتي ستقتل ابني هذا، وأتاني بتربة من تربته حمراء))[6]، وقد أخبر جبريل رسول الله (ﷺ) بأن الحسين سيقتل في الطف من أرض العراق[7]، وفي رواية

---

(1) أمه حمامة، كان من مولدي مكة، وكان يعذب في الله، اشتراه أبو بكر واعتقه، شهد مع رسول الله (ﷺ) المشاهد كلها، وهو أول من أذن لرسول الله (ﷺ)، فلما قبض رسول الله (ﷺ) خرج إلى الشام وتوفي هناك سنة 20هـ/640م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276هـ/889م)، المعارف، ط2، بيروت، 1424هـ/2003م، ص103.

(2) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت748هـ/1347م)، سير اعلام النبلاء، تحقيق: محمد سعد طلس، ط مصر، (بلا-ت)، 258/1.

(3) الجمل، وحيد عبد الحكيم، سيرة الحسين في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1401هـ/1980م، ص64.

(4) عبد الرحمن بن صخر، قدم المدينة سنة 7هـ/628م والنبي (ﷺ) بخيبر، كان مسكيناً من أهل الصُفّة لزم رسول الله (ﷺ) على شبع بطنه، وسمع منه، وأكثر الرواية عن رسول الله (ﷺ) حتى عدّ من حفاظ الصحابة. توفي سنة 59هـ/678م.

ابن سعد، الطبقات، 325/4 – 341، ابن قتيبة، المعارف، ص58.

(5) الذهبي، سير اعلام النبلاء، 193/3.

(6) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت458هـ/1065م)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المنعم قلعجي، ط2، بيروت، 1421هـ/2000م، 469/6، صبيح، خصوصية وبشرية النبي (ﷺ) ص67 – 68، محمد، ريحانة الرسول، ص48.

(7) البيهقي، دلائل النبوة، 470/6، الطبري، عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم (كان حياً حتى عام 553هـ/1108م)، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تحقيق: جواد القيومي، ط2، قم، 1423هـ/2002م، ص308.

أخرى ((بأرض اسمها كربلاء[1]))[2]. وقد حدد النبي (ﷺ) وقت شهادته – كما في بعض الروايات – فقال: ((يقتل حسين على رأس ستين من مهاجري))[3] ودعا النبي (ﷺ) أصحابه ومن يشهد مقتل الحسين إلى نصرته فقال: ((ان ابني هذا – يعني الحسين يقتل بأرض يقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره))[4]. وأراد النبي (ﷺ) ان تلاحق اللعنة قاتلي الحسين فقال: ((لعن الله قاتليك))[5].

وهناك أحاديث أخرى تقترب من هذا المعنى أوردها المؤرخون في مصنفاتهم، وقد حرص الكتّاب والمؤلفون المصريون على ايراد معظم هذه الأحاديث في مصنفاتهم[6] للتأكيد على منزلة الامام الحسين عند النبي (ﷺ) ولبيان فضله وجليل قدره.

واختم كلامي عن مكانة الحسين (عليه السلام) بأبيات شعرية للسيد الحميري تبين تقدير الرسول(ﷺ) له ولأخيه الحسن ومكانتهما عنده[7]:

أتى حسن والحسين النبي	وقد جلسا حجره يلعبان
فراحا وتحتهما عاتقاه	فنعم المطية والراكبان
وليدان أُمهما برةٌ	حَصان مطهرة للحسان
وشيخهما ابن أبي طالب	فنعم الوليدان والوالدان

---

(1) بلد يقع في طرف البرية عند الكوفة، وهو الموضع الذي قتل فيه الحسين، ولما وصل إليها سأل عن أسمها، فقيل له كربلاء فقال: أرض كرب وبلاء. ياقوت، معجم البلدان، 445/4.

(2) البيهقي، دلائل النبوة، 469/6، ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص175، ابن العديم، ترجمة الحسين، ص97، صبيح، خصوصية وبشرية النبي (ﷺ)، ص69، أبو علم، الحسين بن علي، ص28، غريب، الامام الحسين، ص46.

(3) الطبراني، المعجم الكبير، 110/3، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 142/1، ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص185.

(4) أبو نعيم الاصفهاني، أحمد بن عبد الله (ت430هـ/1038م)، دلائل النبوة، ط2، بيروت، 1406هـ/1985م، 554/2، القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله الانصاري (ت671هـ/1272م)، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ط بيروت، 1407هـ/1986م، 644/2، ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص239، الكنجي الشافعي، كفاية الطالب، ص429، ابن نما، جعفر بن محمد بن جعفر الحلي (من اعلام القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي)، ذوب النضار في شرح الثار، ط قم، 1417هـ/1996م، ص14، يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص425 – 426.

(5) ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص240.

(6) اتضح ذلك من توثيق أحاديث الرسول (ﷺ) في الامام الحسين (عليه السلام).

(7) الاميني، عبد الحسين أحمد، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ط3، بيروت، 1387هـ/1967م، 264/2، الجمل، سيرة الحسين، ص63.

المبحث الثاني

الامام الحسين (عليه السلام) في عهد الخلفاء الراشدين (11هـ/632م – 35هـ/655م)

توفي الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وعمر الامام الحسين (عليه السلام) يناهز سبع سنين، على فرض صحة رواية ولادته في سنة 4هـ/625م التي تم ترجيحها، ولعل ((معرفتنا من أخبار الحسين (عليه السلام) في عهد أبي بكر (رض) قليل للغاية))[1]، إلاّ ان الناظر في تاريخ تلك الحقبة سيجد انها شهدت أحداثاً جساماً ولابد من انها تركت رجعاً عميقاً في نفسه الغضة، فقد عاصر قضايا مهمة كان أولها قضية السقيفة وبيعة أبي بكر بالخلافة، فبعد أن تمت بيعة الخليفة أبي بكر (11هـ/632م – 13هـ/634م) و ((حلت مسألة الخلافة الشائكة بسرعة عجيبة))[2] على حد قول أحد الباحثين المصريين، فإن الامام الحسين (عليه السلام) – على قول باحث مصري آخر – انضوى وأخيه تحت لواء أبيهما يصنعان ما يصنع، ويقولان ما يقول، فقد بايع الامام علي (عليه السلام) الخلفاء الراشدين وأصدق لهم القول والنصيحة[3].

بيد أننا نجد أن بيت السيدة فاطمة (عليها السلام) قد ناله كثير من الأذى بعد بيعة السقيفة، إذ تجمع عدد من المهاجرين[4]، وطائفة من الانصار[5] للاجتماع مع بني هاشم في دار الامام علي (عليه السلام)[6]، وقد لاحقت الخلافة ذلك الاجتماع وخرج عمر بن الخطاب (رض) وبعض

---

(1) العلايلي، الامام الحسين، ص297.

(2) ماجد، عبد المنعم، التاريخ السياسي للدولة العربية عصور الجاهلية والنبوة والخلفاء الراشدين، ط6، القاهرة، 1400هـ/1979م، 143/1.

(3) أبو الخير، علي، الحسين من التربية النبوية إلى الحالة الثورية، بحث منشور ضمن كتاب دراسات وبحوث مؤتمر الامام الحسين (عليه السلام) الذي عقد في سوريا في محرم الحرام سنة 1424هـ/2003م، ط قم، 1426هـ/2005م، ص159.

وأبرز كاتب مصري أخر علاقة الامام علي (عليه السلام) بالخلفاء قبله فقال: ((والثابت تاريخيا – رغم روايات الشيعة الواهية – ان علي بن أبي طالب عاش طوال فترة الخلفاء الثلاثة من قبله مستشاراً يلجأ إليه الخلفاء يطلبون عنده صادق المشورة)).

شاه، ناصر الدين، العقائد الشيعية تعريف بالفرق الشيعية ونقدها، ط مصر، 1408هـ/1987م، ص39.

(4) منهم: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الاسود.

(5) منهم: أبو ايوب الانصاري، وحذيفة بن اليمان، وأبيّ بن كعب، وعبادة بن الصامت، والبراء بن عازب، وأبو الهيثم بن التيهان.

(6) ينظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ/889م)، الامامة والسياسة، علق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور، ط بيروت، 1422هـ/2001م، 14/1 – 15؛ اليعقوبي، تاريخ، 103/2، الطبري، تاريخ، 203/3، 208، الجوهري، أبو بكر أحمد عبد العزيز البصري (ت323هـ/934م)، السقيفة وفدك، تقديم وجمع وتحقيق: محمد هادي الأميني، ط طهران، (بلا.ت)، ص38، ص44، ص46؛ ابن الاثير، الكامل، 220/2.

المسلمين إليهم وانذروا من في الدار بالخروج أو احراق الدار على من فيها[1]، ثم استخدم العنف تجاه الزبير بن العوام (رض)[2] الذي خرج شاهراً سيفه يأبى ان يغمده حتى يبايع لعلي (عليه السلام) فأخذ سيفه وضرب به الجدار[3]، وقاد عمر بن الخطاب (رض) الامام علي (عليه السلام) إلى مقر الخلافة، ودعا الخليفة إلى عدم امهاله، وهدد الامام علي (عليه السلام) بالقتل[4]. وقد انفض الخلاف باختيار الخليفة أبي بكر (رض) اسلوب اللين مع الامام علي (عليه السلام) ولم يكرهه على البيعة[5].

وعلى الرغم من ندم الخليفة أبي بكر (رض) على مهاجمة بيت السيدة فاطمة (عليها السلام) إذ قال: ((ما آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتها ووددت اني تركتها... وددت اني لم اكشف بيت فاطمة عن شيء..))[6]. إلا ان لهذا الحادث تأثيره على البيت الذي نشأ فيه الحسين (عليه السلام) فقد ((كان بيته – في لغة هذا العصر – مُراقباً – فهذا الضرب من السياسة كان له أثره في مواطن شعور الحسين))[7].

ولا نغفل ما تركت الارزاء المجتمعة التي اصابت الحسين (عليه السلام) نتيجة شعوره بالفراغ المر لمصابه بجده رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم – انحنت نفسه على حفيظة – عندما وضع بيت أمه وأبيه تحت مراقبة السلطة الشديدة وانتهاك حرمة ذاك البيت، وهو ما جعل الخليفة متأثراً ونادماً على ما فرط منه وهو على فراش الموت[8] ويبدو ان الامام الحسين (عليه السلام) كان يرى لوالده حقاً

---

(1) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (279هـ/892م)، جمل من انساب الاشراف، حققه وقدم له: سهيل زكار ورياض زركلي، ط بيروت، 1417هـ/1996م، 268/2، الطبري، تاريخ، 202/3، المسعودي، اثبات الوصية، ص121.

(2) ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، خرج على الامام علي ابان خلافته وحاربه يوم الجمل سنة 36هـ/656م وقتل بعد أن انسحب من أرض المعركة على أقوال غالبية مترجميه وكان قد قتله عمير بن جرموز التميمي.

ينظر: ابن سعد، الطبقات، 100/3 – 113، ابن عبد البر، الاستيعاب، 580/1 – 585، ابن الاثير، أسد الغابة، 196/2 – 199.

(3) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 15/1، الطبري، تاريخ، 203/3.

(4) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 14/1، وينظر: الجوهري، السقيفة، ص60.

(5) احتج الامام علي (عليه السلام) باحقيته بالخلافة، ورفض القبول بالبيعة فرد الخليفة أبو بكر على تحريض عمر بن الخطاب مخاطباً الامام علي: ((فإن لم تبايعني لم اكرهك)). الجوهري، السقيفة، ص61؛ وينظر: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 16/1.

(6) الطبري، تاريخ، 79/4، المسعودي، مروج الذهب، 43/3.

(7) العلايلي، الامام الحسين، ص297.

(8) أبو الخير، الحسين، ص158، العلايلي، الامام الحسين، ص303 – 304.

في الخلافة[1] أخذ منه، وقد عاش الحسين (عليه السلام) تلك اللحظات الحرجة من تاريخ الأمة وسمع ما كان والده ووالدته يقولان وما تغنى به حتى الشعراء من حق الامام علي (عليه السلام) بالخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهذا شاعر الرسول (صلى الله عليه وآله) حسان بن ثابت[2] يقول[3]:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه	أبا حسن عنا ومن كأبي حسن
سبقت قريشاً بالذي أنت أهله	فصدرك مشروح وقلبك ممتحن
....	....
حفظت رسول الله فينا وعهده	إليك ومن أولى به منك مَنْ ومن
الست أخاه في الهدى ووصيه	واعلم منهم بالكتاب وبالسنن

ويقول شاعر آخر من الانصار متعجباً من صرف الأمر عن الامام علي (عليه السلام)[4]:

---

(1) ولا شك ان ذلك مستمد من تأكيدات الامام علي عدة مرات على حقه ومنها قوله: ((لا يقاس بآل محمد (صلى الله عليه وآله) من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا: هم أساس الدين، وعماد اليقين. ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة..)).

ابن أبي طالب، علي (ت40هـ/660م)، نهج البلاغة، تعليق وفهرسة: صبحي الصالح، تحقيق: فارس تبريزيان، ط3، قم، 1425هـ/2004م، ص27 – 28. وفضلاً عن الحجة الشرعية قدم الامام علي (عليه السلام) في احتجاجاته على أبي عبيدة بن الجراح أحد مساعدي أبي بكر في بيعة السقيفة قدم الحجة الواقعية المستمدة من مؤهلاته للاضطلاع بأمر الخلافة فقال: ((الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته،.. ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله.. لنحن أحق الناس به، لأنا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الأمر منكم، ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، المضطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية)).

ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 15/1، الجوهري، السقيفة، ص61.

(2) ابن المنذر بن حرام... بن النجار الانصاري، كان يقال له شاعر الرسول إذ انتدبه الرسول (صلى الله عليه وآله) لهجاء المشركين، يقال: انه لم يشهد شيئاً من مشاهد النبي (صلى الله عليه وآله) لجبنه، وينكر بعض ذلك، اختلف في وفاته فقيل قبل 40هـ/660م أو سنة 50هـ/670م، أو سنة 54هـ/673م.

ابن عبد البر، الاستيعاب، 335/1 – 343، ابن الاثير، أسد الغابة، 4/2 – 7.

(3) ابن بكار، الزبير (ت256هـ/869م)، الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، ط بغداد، 1392هـ/1972م، ص598، اليعقوبي، تاريخ، 87/2. ولم يجد الباحث هذه الأبيات في ديوان حسان بن ثابت المطبوع في دار صادر، بيروت، (بلا ت).

(4) الانصاري، خزيمة بن ثابت (ت37هـ/657م)، ديوان خزيمة بن ثابت الانصاري، جمع وتحقيق وشرح: قيس العطار، ط2، قم، 1421هـ/2000م، ص54.

ما كنت احسب هذا الأمر منصرفٌ   عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

أليس أول من صلّى لقبلتهم   واعرف الناس بالآثار والسنن

وكيف يكون الأمر عندما يكون الحسين نفسه مشاركاً في هذه القضية فمن كتاب لمعاوية ابن أبي سفيان إلى علي (عليه السلام) يعيّره فيه باسراعه إلى الخلافة فيقول: ((واعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار، ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبي بكر الصديق، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسوابق إلاّ دعوتهم إلى نفسك...))[1] وقد أكد ابن قتيبة وقوع هذه الحادثة تفصيلياً في كتابه[2].

ان الامام الحسين وباعتراف معاوية كان يقوم مع أبيه بهذا المقام، رغم صغر سنه وهو ما خلف في نفسه الكثير بسبب ضياع هذا الحق.

ومن القضايا التي احدثت – بلا شك – في نفس الحسين (عليه السلام) وقعاً قضية فدك[3]، التي أورد قصتها المؤرخون المتقدمون في كتبهم[4]، وذهبوا ازاء اثباتها أو نفيها مذاهب شتى، كل حسب ما يعتقد، في الوقت الذي يقطع الامام علي (عليه السلام) بأحقية أهل البيت (عليهم السلام) في فدك في رسالة لأحد أصحابه فيقول: ((بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين))[5] وهذا ما أكدته الرواية التاريخية من ان حكام الدولة الإسلامية على مختلف أهوائهم قد اختلفوا في هذا الحق[6]؛ إذ بقيت في يد

---

(1) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 16/1، ابن أبي الحديد، عزّ الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد المدائني (ت656هـ/1258م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، مصر، 1385هـ/1965م، 47/2.

(2) الامامة والسياسة، 16/1.

(3) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة، افاء الله بها على رسوله (صلى الله عليه وآله) صلحا في سنة 7هـ/628م، بعد فتح خيبر فصالح أهلها على ان لهم النصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم النبي (صلى الله عليه وآله) إلى ذلك، وكل ما لم يوجف عليه بخيل أو ركاب فهو خالص لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فانحلها لابنته السيدة فاطمة (عليها السلام)، وبعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) طالبت بها الزهراء فرفض الخليفة أبي بكر ان يعطيها اياها قائلا: اريد لذلك شهودا... ياقوت، معجم البلدان، 239/4.

(4) ينظر: ابن سعد، الطبقات، 28/8، ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 17/1، اليعقوبي، تاريخ، 86/2، الطبري، تاريخ، 257/3.

(5) ابن أبي طالب، نهج البلاغة، ص548، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 208/16.

(6) ينظر: ما فعله معاوية بن أبي سفيان من تقسيمها بين ثلاثة حتى خلصت إلى مروان بن الحكم في خلافته، فوهبها لابنه عبد العزيز الذي وهبها بدوره إلى ابنه عمر وهو مَن ردها إلى ولد فاطمة ثم اعادتها في خلافة يزيد ابن عبد الملك إلى آل مروان حتى سقوط الدولة الأموية سنة 132هـ/749م وفي عهد بني العباس ردها أبو العباس السفاح إلى أهلها، ثم أخذها المنصور بعد حروبه مع آل الحسن، ثم أعادها ولده المهدي، فقبضها الرشيد، وردها المأمون إلى ولد فاطمة ثم قبضها المعتصم والمتوكل وهكذا.. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/892م)، فتوح البلدان، اشراف: لجنة تحقيق التراث، ط بيروت، 1409هـ/1988م، ص42 – 43، الجوهري، السقيفة، ص103 – 105، ياقوت، معجم البلدان، 239/4، جعفر، نوري، علي ومناؤوه، قدم له: عبد الهادي مسعود، ط3، القاهرة، 1394هـ/1974م، ص44.

الخليفة أبي بكر (رض) وشطراً من خلافة عمر بن الخطاب (رض) (13هـ/634م – 23هـ/643م) فاجتهد عمر بن الخطاب (رض) حين ((ولي الخلافة وفتحت الفتوح واتسعت على المسلمين أن يردها إلى ورثة رسول الله (ﷺ) فكان علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، والعباس بن عبد المطلب يتنازعان فيها... فكانا يختصمان إلى عمر (رضي الله عنه)، فيأبى أن يحكم بينهما ويقول: انتما اعرف بشأنكما أما انا فقد سلمتها إليكما))[1].

وقد أدى رفض الخليفة أبي بكر (رض) تسليم السيدة فاطمة (عليها السلام) نحلتها من رسول الله(ﷺ) إلى هجرها للخليفة ومقاطعته، ((فلم تكلمه حتى ماتت، فدفنها علي ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر))[2]، ويظهر جلياً ان السيدة فاطمة (عليها السلام) قد غضبت على الخليفة أبي بكر لأخذ نحلتها، وقد ثبت حق السيدة فاطمة بفدك بدليل ما فعله حكام الدولة الإسلامية من أخذٍ ورد لفدك بين حين وحين إلى أولاد فاطمة (عليها السلام)، وكأنها وسيلة بأيديهم ان شاؤوا ردوها وإن شاؤوا قبضوها وفق مزاجهم الخاص أو موقف الطالبيين – كل في زمانه – من الأحداث السياسية العامة في الدولة.

وعلى أية حال فإن غضب السيدة فاطمة (عليها السلام) قد اغضب الحسين من الخليفة أبي بكر(رض) ولا ينفي ذلك ما نقله بعض الكتّاب المصريين من ان الخليفة كان يكرم الحسين وأخاه(عليهما السلام)، ويعظمهما وذكروا انه قال: ((ارقبوا محمداً في أهل بيته))، وقوله: ((والذي نفسي بيده لقرابة محمد (ﷺ) أحب اليّ من قرابتي))[3].

وقد استثمر الكتّاب المصريون هذه الأقوال عن أبي بكر (رض) للبرهنة على مكانة الحسنين(عليهما السلام) عنده، في حين انها جاءت في مناسبات تختلف عن هذا المغزى، فالقول الأول للخليفة خاطب به السيدة فاطمة (عليها السلام) عندما ذكرته بحديث رسول الله (ﷺ) بحقها: ((فاطمة بضعة مني، فمن اغضبها اغضبني))[4]، واعلمته انها ساخطة، واجدة عليه. أما القول الثاني فهو اعتذار من أبي بكر (رض) للامام علي (عليه السلام) عن موقفه في قضية فدك، واعقب ذلك بقوله: ((واني والله ما ألوت في هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم غير الخير))[5].

---

(1) ياقوت، معجم البلدان، 238/4 – 239، ابن أبي الحديد، شرح النهج، 221/16 – 223.

(2) مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري (ت261هـ/874م)، صحيح مسلم، ط بيروت، 1421هـ/2000م، ص789، الطبري، تاريخ، 257/3، الجوهري، السقيفة، ص105.

(3) الجمل، سيرة الحسين، ص64، أبو علم، الحسين بن علي، ص54، محمد،أهل البيت، ص59، السحار، أهل بيت النبي، ص50 الذي أكد ان أبي بكر ذهب إلى بيت السيدة فاطمة وترضاها في مرضها الذي توفيت فيه، فرضيت عنه وخرج مسروراً.

(4) مسلم، الصحيح، ص789، الطبري، تاريخ، 258/3.

(5) البخاري، صحيح، ص667، باختلاف بسيط في الألفاظ، النسائي، الخصائص، ص184.

وعلى الرغم من أهمية قضية فدك فيما تركته من أثر على علاقة أهل البيت ولاسيما السيدة فاطمة واسرتها مع الخليفة الأول إلاّ أن المصنفات المصرية – التي اطلع عليها الباحث – قد اغفلت وغضت الطرف عن هذه المسألة باستثناء ثلاث مؤلفات فحسب، هي:

- حوار مع الشيعة حول الخلفاء الراشدين وبني أمية، لعبد المتعال الجبري الذي سار في طرحه للقضية مسار التيار السلفي المتشدد، مستخدماً المنهج التبريري في نفي القضية مرة واثباتها مرة أخرى[1].
- أهل بيت النبي (ﷺ)، لعبد الحميد جودة السحار وقد استخدم ذات المنهج التبريري الذي دأب عليه المصريون في معالجة القضايا الحساسة[2].
- أبناء الرسول في كربلاء لخالد محمد خالد وقد عرض قضية فدك بأسطر قليلة ختمها بقوله: ((انها ما كادت تعلم [الزهراء] من أبي بكر والصحابة قول الرسول (ﷺ) في ان الأنبياء لا يورثون حتى أذعنت لقرار الخليفة وتقبلت برضا وتسليم، وضحت بتضحية جديدة وفاءً للحق))[3].

ومما يرد ذلك أن حديث انتفاء الارث الذي نقله الخليفة أبو بكر (رض) عن النبي (ﷺ): ((لا نورث، ما تركنا صدقة))[4]. لم يروه سوى أبو بكر (رض)، وقد احتجت عليه السيدة فاطمة (عليها السلام) بعموم قوله تعالى: **﴿يُوصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾**[5]. وكأنها أشارت إلى أن عموم القرآن لا يجوز تخصيصه بخبر الواحد[6].

وإن الزهراء (عليها السلام) لم ترضَ عن موقف الخليفة وعبرت عن ذلك بحزم حين خاطبته بعد منعها فدك قائلة: ((والله لا كلمتك أبداً))[7]، ولم تفلح محاولاته في استرضائها إذ أوصت عندما حضرتها الوفاة ألا يصلي عليها الخليفة أبو بكر (رض) فدفنها الامام علي (عليه السلام) ليلاً ولم يؤذن بها الخليفة[8].

---

(1) الجبري، عبد المتعال، حوار مع الشيعة حول الخلفاء الراشدين وبني أمية، ط مصر، 1406هـ/1985م، ص42 – 48.

(2) ص48 – 51.

(3) ص21.

(4) البخاري، صحيح البخاري ص550؛ مسلم صحيح مسلم، ص788.

(5) سورة النساء: الآية /11.

(6) شرف الدين، عبد الحسين الموسوي، النص والاجتهاد، قدم له: السيد محمد صادق الصدر، ط4، بيروت، 1386هـ/1966م، ص110.

(7) الجوهري، السقيفة، ص102.

(8) ينظر: ابن سعد، الطبقات، 28/8 – 29، البخاري، صحيح البخاري، ص749، الجوهري، السقيفة، ص102، ص105، ابن عبد البر، الاستيعاب، 379/4.

وكان من أعظم الارزاء التي اصابت الحسين (عليه السلام) وفاة أمه فاطمة (عليها السلام) بعد مدة قصيرة من وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)[1].

ويبدو ان تأثير ما لاقاه الحسين (عليه السلام) من أذى بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)، وفقدان الامام علي(عليه السلام) لأية فرصة في بلوغ الخلافة قد كان وراء موقفه من الخليفة عمر بن الخطاب (رض) إذ روي عنه بأنه قال: أتيت عمر وهو يخطب على المنبر فصعدت إليه، فقلت: انزل عن منبر أبي وأذهب إلى منبر أبيك، فقال عمر: لم يكن لأبي منبر. فأخذني فاجلسني معه أقلب حصاً بيدي، فلما نزل انطلق بي إلى منزله، فقال لي: مَن علمك ؟ قلت: والله ما علمني أحد !!! قال: منبر أبيك والله، منبر أبيك والله[2].

وضمن نفس سياق المنهج التبريري فقد ذكر أغلب الكتّاب المصريين هذه الحادثة وضمنوها كتبهم على انها تظهر تقدير الخليفة عمر وحبه الشديد للامام الحسين (عليه السلام)[3].

وقد حاول الخليفة بعد هذا الحدث تقريب الحسين والتودد إليه فطلب منه ان يتردد عليه فقال: ((أي بني لو جعلت تأتينا وتغشانا))[4]. وسواء أكان ذلك لحبه اياه أم لرغبةٍ منه في استقصاء حقيقة موقف الحسين (عليه السلام) أو ما إذا كان يقف خلفه تحريض ما، فقد ذهب الحسين(عليه السلام) لزيارة الخليفة – كما طلب منه – فوجده مختلٍ بمعاوية وعبد الله بن عمر[5] بالباب لم يؤذن له، فرجع الحسين (عليه السلام)، ثم لقيه الخليفة فاستفسر عن سبب عدم زيارته له، فقص عليه خبر مجيئه، فقال الخليفة: أنت أحق بالاذن من ابن عمر، إنما انبت في رؤوسنا ما ترى: الله ثم انتم !!! ووضع يده على راسه[6].

وقد بدأ الخليفة عمر (رض) بتقديم الحسن والحسين (عليهما السلام) على ولده وعلى بعض كبار الصحابة، إذ تنقل لنا الروايات بأن الخليفة عمر (رض) قسّم يوماً فأعطاهما عشرين ألف درهم، وأعطى ولده عبد الله الفاً، فعاتبه ولده بسبقه في الإسلام وهجرته وهو ما يستحق عليه التفضيل بالعطاء على هذين الغلامين، فقال الخليفة: ويحك يا عبد الله ائتني بجد مثل جدهما

---

(1) ابن سعد، الطبقات، 28/8، ابن الوردي، تاريخ، 134/1.

(2) ابن شبه، أبو زيد عمر بن شبه النميري (ت262هـ/875م)، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق. فهيم محمد شلتوت، ط جدة، 1400هـ/1979م، 799/3؛ ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص141، سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، 124/2، الكنجي الشافعي، كفاية الطالب، ص424.

(3) مشتهري، عبد اللطيف، سيد شباب أهل الجنة الامام الحسين، ط مصر، بلا.ت، ص21، الجمل، سيرة الحسين، ص64، يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص94، محمد، أهل البيت، ص60.

(4) ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص142.

(5) ابن الخطاب يكنى أبا عبد الرحمن، اسلم مع إسلام أبيه بمكة وهو صغير، وشهد المشاهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد بدر وأحد، وبقي إلى زمن عبد الملك بن مروان. مات بمكة وهو ابن 84 سنة. ابن قتيبة، المعارف، ص107.

(6) ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص142.

وانا اعطيك عطاءهما[1]. بل إن الخليفة ساوى عطاء الحسين (عليه السلام) بعطاء أبيه خمسة آلاف سنوياً[2].

إن هذه النتف من الأخبار هي ما وقع في ايدينا عن أخبار الحسين (عليه السلام) في عهد الخليفة عمر، ولعل ذلك يرجع إلى صغر عمر الحسين (عليه السلام) ابان تلك الفترة، وانشغال المؤرخين بتدوين الأحداث الكبيرة التي مرت على الأمة الإسلامية والمتمثلة بحركات الفتوح، وتوسع الدولة الإسلامية التي رافقت عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض).

ومن نافل القول ان عهد الخليفة عمر بن الخطاب لم يشهد بروز اسم الامام علي (عليه السلام) في حركات الفتوح، أو تولي الاعمال الإدارية في الدولة؛ وقد علل أحد الباحثين المصريين هذا الأمر بطريقة تحفظ للخليفة صورته الناصعة، وتصوب العمل الذي قام به فقال:

((ولم يعهد عمر لأحد من بني هاشم بامارة الجند كما لم يولِ منهم أحد في بلاد العرب، ولا في البلاد المفتوحة بل استبقاهم في المدينة ليستشيرهم في مهام الأمور لأن الشورى أساس الحكم))[3].

وكان باحث آخر[4] أقرب إلى الدقة في تفسير هذا الحال عندما ذكر انه مثلما كان هناك تجنب لعليّ (عليه السلام) في ميادين القتال، كان هناك توجه إلى عدم توليه المناصب، لقد كان عمر(رض) حذراً في كل خطوة يخطوها متجنباً كل شخصية ذائعة الصيت في المجتمع الإسلامي أو من دخل في صراع معه، وخير دليل على ذلك عزله خالد بن الوليد[5] عن قيادة الجيوش فور توليه الخلافة. وإذا كان هذا الأمر ينطبق على الامام علي (عليه السلام) بصورة خاصة، فهو سارٍ على باقي الهاشميين عامة ومن أمثلة ذلك ان الخليفة عمر (رض) لم يولِ عبد الله بن عباس (رض)[6] شيئاً من أمره على الرغم من العلاقة القوية التي تربطه به.

---

(1) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص125.

(2) ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت224هـ/837م)، كتاب الأموال، تقديم ودراسة وتحقيق: محمد عمارة، ط بيروت، 1409هـ/1989م، ص313، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 191/3، صالح، محمد أمين، العرب والإسلام من البعثة النبوية حتى نهاية الخلافة الأموية، ط القاهرة، 1413هـ/1992م، ص199.

(3) سرور، محمد جمال الدين، الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرن الأول والثاني بعد الهجرة، ط القاهرة، 1400هـ/1979م، ص55.

(4) صالح، أحمد عباس، اليمين واليسار في الإسلام، ط2، بيروت، 1393هـ/1973م، ص76.

(5) ابن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، أمه لبابة الصغرى أخت لبابة الكبرى زوجة العباس عم النبي (صلى الله عليه وآله)، كان المقدم على اعنة الخيل في الجاهلية، اختلف في سنة اسلامه، وهي على الأغلب سنة 8هـ/629م، شهد مع الرسول (صلى الله عليه وآله) فتح مكة، وقاد جيوش الفتح الإسلامي في بلاد الشام في خلافة أبي بكر، ثم عزله الخليفة عمر عن القيادة لخشيته ان يفتتن به الناس على رأي، توفي بحمص وقيل بالمدينة سنة 21هـ/641م في خلافة عمر بن الخطاب. ينظر في ترجمته: ابن سعد، الطبقات، 252/4 – 253، ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي (ت281هـ/894م)، كتاب الاشراف، تحقيق: وليد قصاب، ط الدوحة، 1414هـ/1993م، ص195، ابن الاثير، أسد الغابة، 93/2 – 96، حسن، زعماء الإسلام، ص120 – 128.

(6) عندما هلك والي حمص خطر لعمر بن الخطاب ان يولي عليها عبد الله بن عباس لكنه قال له في أثناء ذلك: ((في نفسي منك شيء لم أره منك... اني خشيت ان يأتي عليّ الذي هو آتٍ وأنت في عملك، فتقول: هلمّ الينا)). المسعودي، مروج الذهب، 330/2.

طويت بمقتل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) سنة 23هـ/643م صفحة من صفحات حياة الامام الحسين (عليه السلام) وانتقل إلى عهد الخليفة عثمان (رض) وقد بلغ من العمر ما يقارب العشرين سنة.

وقد رأى الحسين (عليه السلام) أباه وهو يخسر ترشيحه في الشورى العمرية[1]، فقد رشح الخليفة عمر (رض) ستة نفر إلى الخلافة[2]، ولم يترك الانتخاب حراً، وقد ولّد ذلك الترشيح في نفوس بعض منهم طموحات وآمال أدت بهم إلى الوقوف بوجه علي (عليه السلام) في قادم الأيام، إذ كان ترشيح الخليفة عمر (رض) لهم بمثابة التزكية لدخول هذا المعترك فيما بعد[3]. وفي ذلك يقول الامام علي (عليه السلام):

((فيا لله وللشورى متى اعترض في الريب.. فصرت اقرن إلى هذه النظائر))[4].

ورأى أحد الباحثين المصريين ان عملية الشورى سارت واستقرت ((في النهاية بالخلافة في أحضان الخط الأموي وكأنه أمر مدبر ومرسوم))[5]. وعقب باحث ثان: بأنه لا يرتاب في ان فكرة تولي الخلافة قد راحت تجول في خاطر الأمويين فعملوا على التجمع بالمدينة المنورة والإقامة فيها ليكونوا على مرأى ومسمع من الأحداث الجارية في شتى انحاء الدولة، وهكذا ارتفع سهم الأمويين ليصبحوا قادرين على توجيه الأهواء والتأثير في اختيار الخلفاء، ومرجع ذلك كله إبقاء بني هاشم بعيدين عن الوظائف والأعمال خارج المدينة وداخلها[6].

وقد سار الكتّاب المصريون في عرضهم لقضية الشورى وفق سياقها التاريخي حامدين للخليفة عمر (رض) هذا الإجراء الذي انقذ الأمة الإسلامية من خطر كان يتهددها، جرياً على عادتهم في استخدام التبرير في تحليلهم لأحداث التاريخ.

وقد نقلت المصادر التاريخية بعض أخبار الحسين (عليه السلام) في خلافة عثمان بن عفان (رض) (23هـ/643 – 35هـ/655م) فلدينا بعض الروايات المصرية[7] عن خروج الحسين (عليه السلام) إلى افريقية[8] في المدد الذي أرسله الخليفة عثمان إلى عبد الله بن

---

(1) ينظر: حادثة الشورى، الطبري، تاريخ، 77/5 – 84؛ ابن الاثير، الكامل، 459/2 – 468.

(2) هم: علي بن أبي طالب، عثمان بن عفان، الزبير بن العوام، طلحة بن عبيد الله، عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.

(3) العلايلي، الامام الحسين، ص311.

(4) ابن أبي طالب، نهج البلاغة، ص37.

(5) الورداني، صالح، السيف والسياسة صراع بين الإسلام النبوي والإسلام الأموي، ط بيروت، 1420هـ/1999م، ص83.

(6) غنيم، عبد العزيز، الثورات العلوية في العصر الأموي، ط القاهرة، 1396هـ/1976م، ص24 – 27.

(7) ينظر: العقاد، أبو الشهداء، ص143، محمد، أهل البيت في مصر، ص60، أبو النصر، الحسين بن علي، ص38.

(8) بلاد واسعة، ومملكة كبيرة قبال جزيرة صقلية، وينتهي آخرها قبال جزيرة الاندلس، سميث بهذا الاسم لتفريقها بين مصر والمغرب، وقد نهى الخليفة عمر واليه عمرو بن العاص من الدخول إلى افريقية لقسوة ماءها، وفتحت في خلافة عثمان بن عفان عنوة على يد عبد الله بن أبي سرح، وقتل بطريقها، وغنمت أموالها ثم صالح عظماؤها على ثلثمائة قنطار من الذهب مقابل الكف عنهم.

البكري، معجم ما استعجم، 176/1 – 177، ياقوت، معجم البلدان، 288/1 – 229.

أبي سرح[1] أخو عثمان (رض) من الرضاعة وقائد جيشه إلى افريقية سنة 26هـ/646م، إلاّ ان هذه الروايات لا تصمد امام ما ذكره المؤرخون المتقدمون من أمثال الطبري[2] الذي بيّن ان فتح افريقية كان سنة 27هـ/647م وليس كما نقل الكتّاب المصريون، فضلاً عن ان الطبري الذي أرّخ لفتح افريقية لم يذكر في تفاصيل الحادثة بأن عبد الله طلب مدداً من الخليفة أو ان الخليفة ارسل له مدداً من المدينة فيه الحسن والحسين (عليهما السلام)، وعبد الله بن الزبير[3]، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص[4] كما ذكر ذلك ابن خلدون[5] والسلاوي[6] والحسني[7] الذين كانوا المصدر الأساس لمعلومات الباحثين المصريين في هذه القضية. فضلاً عن ان أياً ممن ترجم للامام الحسين (عليه السلام) لم يذكر انه غاب عن المدينة المنورة بمثل المدة التي ذكرت لاقامة الجيش الإسلامي في افريقية[8].

ويبدو أن الباحثين المصريين نقلوا هذه الرواية سائرين على منهجهم في أخذ الروايات التاريخية من المصادر المتأخرة، من دون مقابلتها مع المصادر المتقدمة[9] لبيان مصداقية تلك الروايات.

---

(1) ابن سعد بن أبي سرح بن الحارث القرشي، أسلم قبل الفتح وهاجر وكان يكتب الوحي لرسول الله (ﷺ) ثم ارتد مشركا وصار إلى قريش بمكة، فأمر رسول الله (ﷺ) بقتله يوم فتح مكة سنة 8هـ/629م ففر، ثم اسلم، وولاه الخليفة عثمان مصر، لم يبايع الامام علي في خلافته. توفي سنة ست أو سبع وثلاثين للهجرة.

ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص170، ابن عبد البر، الاستيعاب، 2/374 – 378.

(2) تاريخ، 5/93.

(3) ابن العوام بن خويلد... بن قصي القرشي الاسدي، أمه اسماء بنت أبي بكر، ولد في السنة الأولى للهجرة، شهد الجمل مع أبيه وخالته السيدة عائشة، بويع له باخلافة سنة 64هـ/683م معارضا للأمويين. واجتمعت له الحجاز واليمن والعراق وخراسان. ثم قتل سنة 73هـ/692م في مكة. ابن عبد البر، الاستيعاب، 2/301 – 303.

(4) يكنى أبا محمد، أسلم قبل أبيه، وسكن مكة، ثم الشام، ثم عاد إلى مكة وتوفي بها سنة 65هـ/684م، وقيل توفي بمصر ودفن في داره الصغيرة.

ابن قتيبة، المعارف، ص163.

(5) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ/1405م)، تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط بيروت، 1400هـ/1979م، 2/128 – 129.

(6) السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت1315هـ/1897م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ط الدار البيضاء، 1365هـ/1945م، 1/36.

(7) الحسني، هاشم معروف، سيرة الائمة الاثنى عشر، ط5، ايران، 1427هـ/2006م، 2/16.

(8) ((وقد رجع ذلك الجيش بعد مقامه في افريقية سنة وثلاث اشهر)).

الملايلي، الامام الحسين، ص313، يوسف، أحمد يعقوب، أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين من الإسلام إلى الاستشهاد، ط القاهرة، 1423هـ/2002م، ص217 – 219. وقد اختلف يوسف مع من سبقه في سنة الخروج إلى افريقية، ومن خرج من الصحابة في المدد.

(9) للاستدلال على ذلك تم الاطلاع على المصادر التالية فوجد انها لا تذكر اشتراك الحسين في فتح افريقية. =

وفي رواية أخرى ذكر ان الحسين (عليه السلام) غزا مع سعيد بن العاص[1] من الكوفة طبرستان[2] سنة 30هـ/650م، ومعه الحسين (عليه السلام)، وعبد الله بن العباس وجمع من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان صاحب طبرستان الاصبهذ قد سأل المسلمين الأمان، فاعطاهم سعيد الأمان على ان لا يقتل منهم رجلاً واحداً، ففتحوا الحصن فقتلهم جميعاً إلاّ رجلاً واحداً، وحوى كل ما في الحصن[3]. وعندئذ استنكر الحسين (عليه السلام) على أمير الجيش اعطاءه العهد والأمان ونكثه به فيما بعد، ثم تنتقل حركة الانتقاد إلى المدينة فتثير الضمائر وتسعرها وتزأر العدالة على لسان علي (عليه السلام) وينعت تلك السياسة بالجبروت وسعيداً بالجبار[4].

ولا تصمد هذه الرواية – بكل تفاصيلها – أمام النقد، فالكتّاب المصريون أخذوا الرواية عن الطبري، وعند الرجوع إلى هذا المصدر نجد ان الطبري لا يتطرق لاعتراض أي أحد على سعيد بن العاص لا الحسين (عليه السلام) ولا سواه، ولا ينتقل أمر الاعتراض لديه إلى المدينة حيث الامام علي (عليه السلام) يستنكر فعل سعيد في طبرستان، ولا نعلم سند تكملة الرواية التي ذكروها فلا وجود لها في نص الطبري، ولم يصرحوا بالمصدر الذي استمدوا منه هذه المعلومات ولذلك يعتقد الباحث بأن الحسن والحسين (عليهما السلام) لم يكونا في ذلك الجيش، ويستند

= ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 27/1 – 42، البلاذري، فتوح البلدان، ص267. وقد ذكر جملة من ابناء الصحابة من دون أن يورد اشتراك الحسن والحسين؛ الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (282هـ/895م)، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، ط2، قم، 1379هـ/1959م، ص139، ابن أعثم، أبو محمد أحمد الكوفي (ت314هـ/926م)، كتاب الفتوح، تحقيق: علي شيري، ط بيروت، 1412هـ/1991م، 357/2 – 361، ابن الاثير، الكامل، 482/2 – 485.

(1) ابن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي، ولد سنة 1هـ/622م وكان من اشراف قريش وفصحائها، ندبه الخليفة عثمان فيمن ندبه لكتابة المصاحف، ولي الكوفة في خلافة عثمان، والمدينة لمعاوية بن أبي سفيان. توفي سنة 59هـ/678م. ابن عبد البر، الاستيعاب، 9/2 – 11.

(2) كلمة من مقطعين، طبر وتعني: الشيء الذي يشقق به الأحطاب وهي كلمة فارسية، واستان بالفارسية تعني الموضع أو الناحية، فمعناها ناحية الطبر، وسميت بذلك لانتشار الأشجار والأخشاب فيها، وهي بين الري وقومس والبحر وبلاد الديلم والجبل.

البكري، معجم ما استعجم، 887/3، ياقوت، معجم البلدان، 13/4.

(3) الطبري، تاريخ، 103/5، ابن الاثير، الكامل، 6/3 – 7. وعنهما أخذ اغلب الكتاب المصريين وضمنوها كتبهم أو تراجمهم عن حياة الحسين (عليه السلام) واعتبروا خروجه إلى هذه الغزوة مشاركة منه في الجهاد في سبيل الله وجعلوها احدى مناقبه.

ينظر: العقاد، أبو الشهداء، ص143، سرور، الحياة السياسية، ص41، محمد، أهل البيت في مصر، ص60، حسن، زعماء الإسلام، ص199، أبو كف، آل بيت النبي، ص21، يوسف، أمير المؤمنين عثمان، ص225 – 226، أبو النصر، الحسين بن علي، ص38، النجار، عبد الوهاب، الخلفاء الراشدون، ط بيروت، 1400هـ/1979م، ص285.

(4) لطفي، الشهيد الخالد، ص25.

في هذا الاعتقاد إلى متن الرواية إذ تقول ((غزا سعيد بن العاص من الكوفة طبرستان))[1]. فليس بين ايدينا أي نص أو رواية تفيد بأن الحسن والحسين (عليهما السلام) قد أقاما في الكوفة قبل مقدمهما مع أبيهما بعد معركة الجمل سنة 36هـ/656م. مستثنين من ذلك قدوم الحسن (عليه السلام) مبعوثاً من أبيه إلى أهل الكوفة يستنهضهم للحاق به إلى البصرة[2]. فضلاً عن ان الرواية وردت في مصدر اسبق من الطبري وهو البلاذري[3] (ت279هـ/892م) المتخصص في الفتوح، فأوردها بدون سند، وذكر في صدر خبره كلمة (يقال) مما يدل على انه يشك في الرواية ولا يؤكدها، ومما يدعم رأي الباحث أن اليعقوبي، (ت292هـ/904م) وهو أسبق من الطبري (ت310هـ/922م) يورد خبر الغزوة بشكل مختلف فهو يقول: ان سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر بن كريز[4] والي البصرة قد تسابقا فيمن يفتح خراسان وليس طبرستان، لأن الخليفة عثمان كتب لهما ((أيكما سبق إلى خراسان فهو أمير عليها))[5]، فسبق ابن عامر و ((صالح أهل الطبسين))[6] وهي جزء من المنطقة وأظنها هي طبرستان دخلت ضمن عمليات الفتوح في هذه الحملة، ولم يورد اليعقوبي، خبراً باشتراك الحسن والحسين (عليهما السلام) في هذه العمليات العسكرية، بل ليس لدى اليعقوبي، نص يفيد بأن المسلمين ساروا إلى طبرستان في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رض)[7].

ان هذا التضارب في أخبار هذه الرواية حتى عند المتقدمين من المؤرخين يعزز لدى الباحث نفي خروج الحسن والحسين (عليهما السلام) في هذه الحملة، وان سلم بخروج حملة إلى تلك الجهات سنة 30هـ/650م قد تكون دخلت طبرستان أو انها سيطرت على المناطق التابعة لهذه النواحي. فضلاً عن ان الباحث تتبع كتاباً ضم ترجمة كاملة للامام الحسين (عليه السلام) وكل

---

(1) الطبري، تاريخ، 103/5.

(2) الطبري، تاريخ، 483/4.

(3) فتوح البلدان، ص326. فقال ما نصه: ((... ومعه في غزاته فيما يقال الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب))، وينظر: حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط7، القاهرة، 1394هـ/1974م، 258/1.

(4) ابن كريز بن حبيب العبشمي، ابن خال الخليفة عثمان بن عفان، ولد في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد جمعت له البصرة وفارس في عهد عثمان بن عفان سنة 29هـ/649م، وهو ابن اربع وعشرين سنة وظل والياً عليها حتى مقتل الخليفة عثمان. ابن عبد البر، الاستيعاب، 359/2 – 360، ابن الاثير، أسد الغابة، 191/3 – 192.

(5) اليعقوبي، تاريخ، 115/2 – 116.

(6) المصدر نفسه، 116/2.

(7) ينظر: أيام الخليفة عثمان في المصدر نفسه، 112/2 – 123.

ولم يذكر فتح طبرستان مؤرخين متقدمين آخرين منهم:

ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 27/1 – 42.

الدينوري، الأخبار الطوال، ص139 – 140.

ابن اعثم، الفتوح، 335/2 – 426.

كلمة قالها في حياته[1]، فلم يجد ما يؤيد اشتراكه أو حديثه في الاعتراض على سعيد في تلك الغزوة.

وقد اشار باحث مصري آخر إلى فتوح أخرى اشترك فيها الحسين (عليه السلام) فقال: ((ان الحسين كان في طليعة المجاهدين الصابرين، فقد خرج في عهد الخليفة عثمان لفتح طبرستان مع سعيد بن العاص، وتنقل مع جيوش المسلمين لفتح افريقية، وغزا جرجان، وقسطنطينية، ويؤكد المؤرخين ان الامام الحسين زار مصر في عصر الخليفة عمر مع جيش الفتح الإسلامي))[2].

وقد أوضح الباحث رأيه في فتح افريقية وطبرستان، أما قسطنطينية فقد وجدت روايات عن ذلك لكن في فترات لاحقة على خلافة عثمان بن عفان (رض)، أما جرجان ومصر فلم يجد الباحث أي نص لدى المتقدمين أو المتأخرين على هذا الأمر، ناهيك عن ان باحثة عراقية[3] أحصت اسماء الصحابة الذي واكبوا عملية فتح مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب فذكرتهم مفصلاً ولم يكن بينهم الحسين بن علي (عليهما السلام).

وتنقل المرويات التاريخية حادثين آخرين للامام الحسين (عليه السلام) في عهد الخليفة عثمان ابن عفان (رض) (23هـ/643م – 35هـ/655م)، الأول: موقفه من قضية أبي ذر الغفاري[4]، واخراجه منفياً إلى الربذة[5] بأمر الخليفة عثمان (رض) الذي طلب إلاّ يكلمه أحد حتى يخرج، وأرسل مروان بن الحكم[6] يراقبه في خروجه، إلاّ ان الحسين (عليه السلام) خرج بصحبة أبيه وأخيه الحسن (عليهما السلام) وبعض الصحابة لوداعه، في موقف عدّه الخليفة

---

(1) ينظر: شريفي، محمد وآخرون، موسوعة كلمات الامام الحسين (عليه السلام)، ط قم، 1415هـ/1994م.

(2) أبو كف، آل بيت النبي، ص21.

(3) مرجان، زينب فاضل رزوقي، احوال مصر الإدارية والاقتصادية والاجتماعية من التحرير حتى نهاية العصر الراشدي، ط بغداد، 1424هـ/2003م، ص41 – 42.

(4) اختلف في اسمه، فقيل جندب بن جنادة، وقيل برير والمشهور جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن غفار.. من كبار الصحابة، ومن المسلمين الأوائل، اسلم ثم انصرف إلى بلاد قومه فأقام بها حتى قدم على النبي (صلى الله عليه وآله) بالمدينة، وفيه قال النبي (صلى الله عليه وآله): ((ما اقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر)) توفي في الربذة سنة 32هـ/652م. ابن عبد البر، الاستيعاب، 61/4 – 65، ابن الاثير، أسد الغابة، 301/1 – 302، الدياربكري، تاريخ الخميس، 258/2.

(5) من قرى المدينة على ثلاثة أيام منها وهي منازل الحاج وفيها قبر أبي ذر، وهي التي جعلها الخليفة عمر حمىً لابل الصدقة.

البكري، معجم ما استعجم، 633/2، ياقوت، معجم البلدان، 24/3 – 25.

(6) ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، يكنى أبا عبد الملك ولد على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان قد خرج إلى الطائف طفلا مع والده الحكم الذي نفاه النبي (صلى الله عليه وآله) إليها فلم يزل بها حتى ولي عثمان الخلافة فردهم إلى المدينة، وقد استكتبه الخليفة عثمان وضمه إليه في خلافته، شهد الجمل وصفين ضد الامام علي (عليه السلام)، ثم ولي أمرة المدينة لمعاوية ولم يزل بها حتى اخرجه عبد الله بن الزبير، وبقي في الشام فبايعه بعض أهلها بعد موت معاوية بن يزيد، وكانت خلافته تسعة اشهر أو عشر. مات سنة 65هـ/684م.

ابن عبد البر، الاستيعاب، 425/3 – 428، ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ/1448م)، الاصابة في تمييز الصحابة وبهامشه الاستيعاب لابن عبد البر، ط بيروت، 1328هـ/1910م، 477/3 – 478.

عثمان(رض) تحدياً صريحاً لأوامره، واستدعى ذلك لومه للامام علي الذي ردّ على الخليفة بحزم بأنه أمر بمعصية لا طاعة له فيها[1] وقد تكلم الحسين (عليه السلام) في وداع أبي ذر (رض) فقال:

((يا عمّاه، ان الله تعالى قادر أن يغير ما قد ترى، والله كل يوم هو في شأن، وقد منعك القوم دنياهم، ومنعتهم دينك، فما اغناك عما منعوك، واحوجهم إلى ما منعتهم، فاسأل الله الصبر والنصر، واستعذ به من الجشع والجزع، فإن الصبر من الدين والكرم، وان الجشع لا يقدم رزقاً، والجزع لا يؤخر أجلاً))[2].

وقد أورد عدد من الباحثين المصريين[3] قصة نفي أبي ذر (رض) نقلاً عن مصادرها، وانفرد أحدهم[4] بنقل ما جرى بينه وبين الحسين (عليه السلام) عند وداعه.

وقد انكر بعض الكتّاب المصريين حادثة نفي أبي ذر (رض) فقالوا[5]: ان أبا ذر هو الذي تخير منفاه، واستأذن الخليفة بالخروج إلى الربذة، فاذن له عثمان بالإقامة فيها، وصار يجري عليه العطاء حتى مات.

ويبدو ان هؤلاء الباحثين قد تبنوا في رأيهم هذا رأي المدرسة السلفية المتمثلة برأي ابن تيمية في هذه الحادثة[6].

وتطرف أحدهم إلى ابعد من ذلك فقال: ان أبا ذر كان من ((الحمقى الذين استغل السبئيون ضعف عقولهم فدفعوهم إلى الفتنة والفساد والعقائد الضالة))[7].

---

(1) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، 119/2 – 120، ابن اعثم، الفتوح، 373/2 – 376، الجوهري، السقيفة، ص77 – 78، المسعودي، مروج الذهب، 83/3 – 86.

(2) الجوهري، السقيفة، ص77، شريفي، موسوعة كلمات الحسين، ص123 – 124.

(3) حسين، طه، الفتنة الكبرى (عثمان بن عفان (رض))، ط13، القاهرة، 1420هـ/1999م، 163/1، كحيلة، عبادة عبد الرحمن، العقد الثمين في تاريخ المسلمين، ط القاهرة، 1422هـ/2001م، ص100، الورداني، السيف والسياسة، ص90 – 91، ماجد، التاريخ السياسي، 255/1، صالح، اليمين واليسار، ص67 – 68، السحار، أهل بيت النبي، ص76 – 77.

(4) كريم، سامح، اعلام في التاريخ الإسلامي في مصر أفكار للتجديد ومواقف للحياة، ط2، القاهرة، 1417هـ/1997م، ص81.

(5) سرور، الحياة السياسية، ص63 – 64، النجار، الخلفاء الراشدون، ص314 – 315، يوسف، أمير المؤمنين، ص291 – 292، حسن، تاريخ الإسلام السياسي، 258/1.

(6) ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد العليم (ت728هـ/1327م)، منهاج السنة النبوية، ط بيروت، (بلا.ت)، 198/3 – 199.

(7) الجبري، حوار مع الشيعة، ص89 – 90.

وذهب باحث مصري آخر فقال: ((ومن الثابت الذي لا نشك فيه ان واضع أسس التشيع هو عبد الله بن سبأ اليهودي، إذ انه حرك أبا ذر ليدعو إلى الاشتراكية والب الأنصار[1] على عثمان حتى قتلوه))[2].

وقد استند هؤلاء الكتّاب إلى رواية الطبري: ((لما ورد ابن السوداء – يعني ابن سبأ – الشام لقي أبا ذر، فقال: يا أبا ذر: ألا تعجب إلى معاوية، يقول: المال مال الله،.. وقام أبو ذر بالشام.. فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك، وأوجبوه على الاغنياء، وحتى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس))[3].

وقد أصبح أبو ذر (رض) ملاماً في نظر بعض الباحثين لأنه سلك طريق العنف ! فعارض بالتقريع واللهجة القاسية !! فلو ((دعا أبو ذر لمذهبه دعوة هادئة لينة، ورغب الاغنياء في البذل والانفاق في سبيل الله لكان ذلك أجدى وأنفع له وللمسلمين، ولكنه سلك طريق العنف واستخدم اسلوب التقريع، وكانت لهجته قاسية))[4]. وهذا ما دفع الخليفة عثمان(رض) إلى اتباع القسوة معه؛ ويبدو المنهج التبريري واضحاً في هذا النص، لأن متابعة هذه القضية في النصوص التاريخية[5] تثبت ان أبا ذر (رض) لم يتجه في اعتراضه إلى الاغنياء حسب، وإنما شمل نقداً لأعمال ولاة الخليفة، وحالات الاستئثار بالأموال، ونقد التصرفات المالية والاقتصادية للخليفة عثمان (رض)، فلما استجاب بعض الناس لانتقادات أبي ذر (رض) عجل الخليفة بابعاده من الشام إلى المدينة ومنها إلى الربذة، وقد كان أبو ذر (رض) في حركته مؤمناً بحق الأمة في ممارسة الرقابة، ويجد نفسه ملزماً بعهد نبوي ألا يخشى في الله لومة لائم[6].

أما الموقف الثاني للامام الحسين (عليه السلام) مع الخليفة عثمان بن عفان (رض) فقد كان ابان ازمة الخلافة مع المعارضين القادمين من الأمصار والذين حاصروا الخليفة وأرادوا قتله، فبعث الامام علي (عليه السلام) ((بابنيه الحسن والحسين مع مواليه بالسلاح إلى بابه نصرة له

---

(1) والأصح الامصار وليس الانصار.

(2) شاه، العقائد الشيعية، ص47 – 48.

(3) تاريخ، 112/5.

(4) عبد اللطيف، عبد الشافي محمد، العالم الإسلامي في العصر الأموي (41 – 132هـ/661 – 750م) دراسة سياسية، ط القاهرة، 1405هـ/1984م، ص47 – 48.

(5) ينظر: ابن شبه، تاريخ المدينة، 1035/3، الطبري، تاريخ، 283/4 – 284، الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت413هـ/1022م)، أمالي الشيخ المفيد، ط النجف، 1367هـ/1947م، ص65.

(6) ينظر: ابن حنبل، المسند، 457/6، الحسناوي، ختام راهي مزهر، المعارضة في الدولة العربية الإسلامية 11هـ/632م – 41هـ/661م، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة الكوفة، 1428هـ/2007م، ص177، ص183 – 184، ص188، ص319.

وأمرهم أن يمنعوه منهم))[1]. وأدى ذلك إلى خشية المحاصرين أن يتعصب بنو هاشم وبنو أمية فتسوروا الدار وقتلوا الخليفة في يوم الجمعة سنة 35هـ/655م[2]، وعندما بلغ ذلك علياً(عليه السلام) لام ولديه ((ولطم الحسن وضرب صدر الحسين))[3].

وذكر السيوطي[4] ان الحسن والحسين (عليهما السلام) دافعا عن عثمان (رض) حتى تخضب وجههما من الدماء، ولم يتمكن المحاصرون النفاذ إلى عثمان (رض) بسبب ثباتهما في الدفاع عنه، مما دفعهم لتسور الدار. وقد نقل بعض الباحثين المصريين هذه الرواية عن السيوطي[5]، ورأى بعضهم ان فكرة الخروج للاصلاح توقدت في نفس الحسين (عليه السلام) مع هذه الحادثة فاعتقدوا أن الثورة على عثمان (رض) أججت في نفس الحسين (عليه السلام) نزعة الإصلاح، فكان يرى أباه المصلح المنتظر، وأن الأمويين مصدر الدس والتبلبل فجزم ألا استقرار ما دام للأمويين سلطة أو شبه سلطة، وأجمع على أن يخدم هذه الفكرة في كل حين[6].

(1) المسعودي، مروج الذهب، 88/3، وينظر: ابن شبه، تاريخ المدينة، 1131/3.

(2) ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت275هـ/888م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ط2، بيروت، 1407هـ/1986م، ص23، ابن الطولوني، الحسن بن الحسين بن أحمد (ت923هـ/1517م)، النزهة السنية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية، تحقيق: محمد كمال الدين عزّ الدين علي، ط بيروت، 1409هـ/1988م، ص42.

(3) المسعودي، مروج الذهب، 89/3.

(4) السيوطي، أبو الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن (ت911هـ/1505م)، تاريخ الخلفاء، ضبط وتحقيق: رضوان جامع رضوان، ط مصر، 1425هـ/2004م، ص187.

(5) رضا، محمد رشيد، ذي النورين عثمان بن عفان – الخليفة الثالث، ط بيروت، 1402هـ/1982م، ص194، السحار، أهل بيت النبي، ص92 – 94، يوسف، أمير المؤمنين، ص388 – 391.

(6) أبو علم، الحسين بن علي، ص58.

المبحث الثالث

الحسين(عليه السلام) في خلافتي أبيه وأخيه: (35هـ/655م – 41هـ/661م)

بويع بالخلافة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رض) في شهر ذي الحجة سنة 35هـ/655م، وخطب أول خطبة له في مسجد رسول الله(صلى الله عليه وآله) بعد بيعته[1].

واعتزل بعض الناس بيعة الامام علي (عليه السلام) ومنهم ثلاثة نفر من قريش: مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة[2]، وكانت دعواهم بعدم البيعة دعوة الجاهلية لقول الوليد: يا هذا، إنك قد وترتنا جميعاً، فأجابهم (عليه السلام): الحق وتركم[3].

وكان الامام علي (عليه السلام) قد امتنع عن قبول الخلافة حتى أجبره الناس على ذلك، وقد وصف حاله مع الناس يومذاك فقال: ((فأقبلتم اليّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها، تقولون: البيعة البيعة ! فقبضت كفي فبسطتموها، ونازعتكم يدي فجاذبتموها))[4]. وقد طلب الامام علي (عليه السلام) من القوم التماس غيره[5] فلما أبوا عليه إلا البيعة نظر إلى حال الأمة فرضي بها موضحاً سبب قبولها بأنه يأسى ان ((يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها، فيتخذون مال الله دولاً، وعباده خولاً، والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً..))[6].

وقد شكك باحث مصري في ان الامام علي (عليه السلام) امتنع عن قبول البيعة قائلاً: ((وما قيل إن عليّ امتنع عن قبول البيعة قد يكون مبالغاً فيه، إذ لم يكن مرغماً على قبولها، وهو

---

(1) الطبري، تاريخ، 210/5.

(2) ابن أبي معيط، أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، أم عثمان بن عفان، فالوليد أخو عثمان لأمه، يكنى أبا وهب، أسلم يوم الفتح، وولاه عثمان الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقاص، ووصف بأنه كان فاسقاً شريبا للخمر، عزل عن الكوفة وسكن المدينة ثم خرج إلى الرقة ومات بها.

ابن عبد البر، الاستيعاب، 631/3 – 637، ابن الاثير، أسد الغابة، 420/5 – 424.

(3) اليعقوبي، تاريخ، 123/2 – 124.

(4) ابن أبي طالب، نهج البلاغة، ص239. والعوذ: الابل التي وضعت أولادها حديثا، والعوذ المطافيل: الابل مع أولادها. يريد انهم جاؤوا بأجمعهم كبارهم وصغارهم.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، مراجعة وتدقيق: يوسف البقاعي وآخرون، ط بيروت، 1426هـ/2005م، مادة طفل.

(5) ينظر: ابن أبي طالب، نهج البلاغة، ص165.

(6) المصدر نفسه، ص581.

يعارض مواقفه السابقة، بل ان علياً أراد ان يستوثق من موافقة الجميع، وعلى رأسهم المهاجرين والأنصار))[1].

وهو في هذا النص يشك في امتناع الامام علي (عليه السلام) عن البيعة، ثم يقرّ به، ويجعله وسيلة الامام إلى الاستيثاق من موافقة الانصار والمهاجرين؛ ومما يشار إليه أن الامام علي(عليه السلام) قد فسّر للمسلمين الامتناع عن قبول البيعة بتغيّر الظروف وما يتطلب حال المسلمين آنذاك من سياسة جادة قد لا ترضي الكثيرين فقال:

((دعوني والتمسوا غيري، فانا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول،.. واعلموا اني ان اجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب...))[2].

وكأنه يستشرف المستقبل بعينه الثاقبة. ويصف الامام علي (عليه السلام) استبشار المسلمين ببيعته قائلاً: ((ثم تداككتم عليّ تداك الإبل الهيم على حياضها يوم وردها حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء ووطئ الضعيف، وبلغ سرور الناس ببيعتهم إياي ان ابتهج بها الصغير وهدج إليها الكبير))[3].

وذهب بعض الباحثين المصريين إلى ان هذه البيعة لم تكن ملزمة لأحد فقالوا: ((ان هذه البيعة لا تلزم احداً وانها مجرحة من وجوه كثيرة ذلك ان المدينة والحجاز فقدتا نفوذهما السياسي كما ان هذه البيعة لم يلتزم بها أهل الأمصار))[4].

وتبدو خطورة هذا الرأي الذي ورد في منهاج قسم التاريخ بجامعة القاهرة من حيث المنهج التبريري الذي ذهب إليه هؤلاء الباحثون في تجريح بيعة الامام علي (عليه السلام) بحجة فقدان المدينة والحجاز لنفوذهما السياسي، وتعميم عدم التزام أهل الأمصار بهذه البيعة في حين ان المعروف ان قريش لم تتحول ((عن جفوتها، ولم تغير من نظرتها لعليّ وبني هاشم، ولم ينل عليّ البيعة في المدينة إلاّ بعد ان خفت فيها صوت قريش، وهبطت سمعة حكامها، وأصبحت البيعة ثورة تنكر عليها الاثرة بالحكم، والاثرة بالمال في الأمصار،.. ودخلت في حزبه كل بلاد خلت من عصبية قريش ولم يبق لها فيها زعيم، فكان من حزبه شعب اليمن ومصر والعراق وفارس، ولم تقف في وجهه إلاّ الشام لأنها كانت في يد معاوية والبصرة التي كانت في يد طلحة[5] ....

---

(1) صالح، اليمين واليسار، ص105.

(2) نهج البلاغة، ص165.

(3) المصدر نفسه، ص443 – 444.

(4) محمود، حسن أحمد وعبد الحليم راضي عبد الله، الدولة العربية الإسلامية، ط جامعة القاهرة، 1411هـ/1990م، ص207. وهو الكتاب المنهجي لدراسة تاريخ الدولة العربية الإسلامية بكلية الآداب، جامعة القاهرة، قسم التاريخ، المرحلة الثانية.

(5) ابن عبيد الله بن عثمان بن عمرو.. القرشي التيمي، هاجر إلى المدينة وشهد أحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان يعرف بطلحة الخير وطلحة الفياض خرج على خلافة الامام علي (عليه السلام) وحاربه في الجمل وقتل فيها سنة 36هـ/656م.

ابن سعد، الطبقات، 214/3 – 223، ابن عبد البر، الاستيعاب، 219/2 – 224.

والزبير))[1] وكان ذلك أيضاً بعد البيعة وإلى حين[2].

واتهم باحث مصري الامام علي (عليه السلام) بالتهافت في طلب البيعة، واضفائه على نفسه لقب (الامام) ليضيف على السلطة الزمنية سلطة دينية تصعب معارضتها[3].

ومما يرد هذا الرأي المتطرف أمران: الأول: ان السلطة الدينية في الإسلام – فيما عدا سلطة النبي (صلى الله عليه وآله) – غير محمية من النقد والاعتراض والتقويم إذا ما حادت عن الصواب، والثاني: ان المصادر التاريخية حفظت من مواقف الامام علي (عليه السلام) في فسح المجال للمعارضة لتعبر عن نفسها، وحثه المسلمين على المشاركة في النصح والتقويم لأعلى سلطة في الدولة[4] ما لا سبيل إلى انكاره إلاّ على نحو التعصب والتحزب والنظرة اللاموضوعية.

ما ان استقر الأمر في المدينة المنورة حتى نكث طلحة والزبير بيعتهما، والتحقا بالسيدة عائشة (رض) في مكة يؤلبون الناس على الامام علي (عليه السلام) وينادون بالثأر من قتلة عثمان(رض)[5]، وخرج الحسين (عليه السلام) باتجاه البصرة في العراق حيث خرج الناكثون[6]، وافرز الموقف فئة ثالثة كانت ترى اعتزال الحرب، فحكمت على أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام) وكافة أنصاره بالضلال والخطأ في المقال والفعال[7].

وقد كانت خطة الخارجين على الامام علي (عليه السلام) ان ((يعصي بالشام معاوية، ويعصون هم بالعراق، حتى إذا استقروا، حاصروا الحجاز وانتزعوا السلطة من علي؛ فهم عليٌّ ذلك كله فنشط لتسديد الضربات السريعة وهو واثق من نفسه كل الوثوق،.. لأن كل تأخير يفضي إلى خسران القضية))[8].

وقد كانت الشام والبصرة على تفاهم في هذا الصراع، فقد قال القوم: نأتي الشام، فقيل لهم: قد كفاكم معاوية الشام، فاستقام الرأي على القصد إلى البصرة[9]. وعندما وافاهم الامام

---

(1) الشريف، أحمد إبراهيم، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني الهجري، ط القاهرة، 1388هـ/1968م، ص340 – 341.

(2) ينظر: الطبري، تاريخ، 500/4، الشيخ المفيد، الجمل، ص420.

(3) ماجد، التاريخ السياسي، 261/1.

(4) ينظر: ابن أبي طالب، نهج البلاغة، ص405، ص421، الترمذي، الجامع الصحيح، ص596، الحسناوي، المعارضة، ص21 – 22، ص129 – 132.

(5) فقال الامام فيهما: ((اللهم انهما قطعاني وظلماني، ونكثا بيعتي، والبا الناس عليّ، فاحلل ما عقدا، وأرهما المساءة فيما أملا وعملا)). نهج البلاغة، ص239.

(6) الشيخ المفيد، الجمل، ص54. ومع الامام علي رجالات المهاجرين والأنصار وجميع ولد أبي طالب، وكافة اتباعه من بني هاشم.

(7) الشيخ المفيد، الجمل، ص51. وذهب إلى هذا المذهب: سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة الانصاري، وأسامة بن زيد ومن كان على رأيهم في اعتزال القتال.

(8) العلايلي، الامام الحسين، ص322.

(9) ابن الاثير، الكامل، 101/3.

علي (عليه السلام) هناك صفّ صفوف جيشه فجعل الحسن (عليه السلام) على الميمنة، والحسين (عليه السلام) على الميسرة[1]، وكانت المعركة في منطقة الخريبة[2] بالقرب من البصرة[3] وانتهت المعركة التي عرفت بمعركة الجمل[4] سنة 36هـ/656م، بانتصار الامام علي(عليه السلام)[5].

وقد جاء الناس يطلبون الأمان لرجالات قريش، ومنهم الحسين (عليه السلام) الذي تكلم في مروان بن الحكم وكان قد أختفى في بيت من البيوت، فأمنه أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم آمن آخرين، وسرى نداؤه في البصرة: من ألقى سلاحه فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن[6].

ومما يشار إليه في هذا المجال ان أحد الكتّاب المصريين قد برر خروج السيدة عائشة وطلحة والزبير على خلافة الامام علي (عليه السلام) بدعوة الثأر من قتلة عثمان (رض) وجعل ((تبعية موقعة الجمل بما حملته من أوزار كبار.. تقع على علي لأنه استعان بالسبأية وجعلها تأوي إلى جنده في الوقت الذي كانت الناس تطالب بالقصاص من قتلة عثمان، وإذا ساغ لعلي ان يؤخر القصاص منهم فلا يسوغ له بأي حال ان يستعين بهم))[7].

ومما يرد به على هذا الرأي ان قتلة الخليفة عثمان (رض) لم يكونوا من السبأية ! وإنما من ثوار الأمصار الإسلامية (مصر، الكوفة، البصرة) الذين قدموا المدينة وفاوضوا الخليفة على بعض المطالب الإصلاحية، فلما لم ترَ المعارضة من الخليفة عملاً جدياً عرضت عليه الاعتزال فلم يقبل فتفاقمت الأزمة وانتهت بمقتله[8]، وقد رجحت الروايات ان الجاني الذي أجهز على الخليفة لا يتعدى ثلاث شخصيات مصرية[9] وقد استقطب المعارضون في المدينة الاعراب من خارجها أثناء مدة حصار الخليفة ولاسيما أن المدينة بقيت بلا سلطة[10].

---

(1) الشيخ المفيد، الجمل، ص348، المسعودي، مروج الذهب، 105/3.

(2) موضع بالبصرة كان الفرس قد بنوا فيه قصرا، وخرب على مرور الزمان، فلما نزل المسلمون البصرة سنة 14هـ/635م بنوا عنده أبنية وسموها بهذا الاسم. البكري، معجم ما استعجم، 495/2، ياقوت، معجم البلدان، 363/2.

(3) اليعقوبي، تاريخ، 126/2، الشيخ المفيد، الجمل، ص293.

(4) نسبة إلى الجمل (عسكر) الذي كانت السيدة عائشة تركبه وقد البس الدروع واللبود وحوله احتدم القتال. ينظر: الطبري، تاريخ، 501/4، الشيخ المفيد، الجمل، ص377.

(5) ينظر في أحداث هذه المعركة: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 62/1 – 69، اليعقوبي، تاريخ، 126/2 – 127، الطبري، تاريخ، 259/5 – 280، الشيخ المفيد، الجمل، الكتاب بتمامه، ابن الاثير، الكامل، 126/3 – 144.

(6) ابن أبي طالب، نهج البلاغة، ص109، المسعودي، مروج الذهب، 114/3. وقال ابن الاثير ان الذي أجار مروان هو مالك بن مسمع فأجاره ووفى له وحفظ له بنو مروان ذلك في خلافتهم. الكامل، 145/3.

(7) النجار، محمد الطيب، الدولة الأموية في الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء، ط3، القاهرة، 1398هـ/1977م، ص24 – 25.

(8) ينظر: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 35/1 – 36، البلاذري، انساب الاشراف، 173/6 – 186، 213 – 215.

(9) ينظر: ابن شبه، تاريخ المدينة، 1232/4، الطبري، تاريخ، 182/5 – 183، ابن اعثم، الفتوح، 236/2.

(10) ينظر: ابن أبي طالب، نهج البلاغة، ص298 – 299.

وإذا كان القتل قد نُفذ بيد شخصيات معينة فقد تبنى التنفيذ شخصيات كثيرة[1]، عبرت عن التجاوب الفكري مع مقتل الخليفة والرضا والقبول به، وقد كان ذلك السبب وراء صعوبة فرز القتلة الحقيقيين أو ايقاع العقوبة بهم كما طلب ذلك الكثيرون من الامام علي (عليه السلام) سواء في المدينة أم في بلاد الشام[2].

بعد فراغ الامام علي (عليه السلام) من معركة الجمل، توجه إلى الكوفة فدخلها في رجب سنة 36هـ/656م[3]، فكانت مقر خلافته، وموطن أهل بيته وفيهم الحسين (عليه السلام).

ومن الكوفة أعدّ الامام علي (عليه السلام) العدة لحرب معاوية الذي لم يعترف بخلافة الامام علي (عليه السلام) وخرج عليها خروجا صريحاً بتجييش أهل الشام لحرب الامام علي (عليه السلام) بالدعوى ذاتها التي أعلنها أصحاب الجمل من قبل: دعوى الثأر من قتلة الخليفة عثمان(رض)[4]. فسار الامام علي (عليه السلام) إلى صفين[5]، ومعه الحسن والحسين (عليهما السلام) وشيوخ بدر وغيرهم من الصحابة[6]. فكانت المعركة سنة 37هـ/657م[7].

وقد عبأ الامام علي (عليه السلام) أصحابه فكان الحسن والحسين (عليهما السلام) على خيل ميمنته[8]. وكان الامام الحسين (عليه السلام) ملازماً لأبيه – مع باقي ابناء الامام علي – يقيه بنفسه، ويذب عنه[9].

---

(1) المنقري، نصر بن مزاحم (ت212هـ/827م)، وقعة صفين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط قم، 1418هـ/1997م، ص85 – 86.

(2) الحسناوي، المعارضة في الدولة العربية الإسلامية، ص59 – 60.

(3) اليعقوبي، تاريخ، 127/2.

(4) ينظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص162 وما بعدها. وينظر: ما ذهب إليه الباحث المصري الطيباوي الذي عدّ الامام علي (عليه السلام) – خليفة المسلمين الشرعي – على قدم المساواة مع ندّه معاوية الخارج على الخلافة عندما رأى ان النزاع بينهما نزاع من أجل السلطان السياسي.

الطيباوي، عبد اللطيف، محاظرات في تاريخ العرب والإسلام، ط بيروت، 1383هـ/1963م، 144/1.

(5) موضع بالقرب من الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس. ياقوت، معجم البلدان، 414/3.

(6) المسعودي، مروج الذهب، 136/3.

(7) ينظر في تفاصيلها: المنقري، وقعة صفين، ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 87/1 – 112. اليعقوبي، تاريخ، 130/2 – 132، ابن الاثير، الكامل، 161/3 – 211.

(8) ابن اعثم، الفتوح، 24/3.

(9) ينظر: المنقري، صفين، ص249، الدينوري، الأخبار الطوال، ص182. ويلاحظ ان الامام علي (عليه السلام) كان ينفس بالحسن والحسين (عليهما السلام) على الموت، لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بينما كانوا يذبون عنه ويفتدونه.

ينظر: ابن أبي طالب، نهج البلاغة، ص406.

ويحرض على الجهاد بين يديه، ومما ورد من خطبه في معركة صفين قوله مخاطباً أهل الكوفة:

((... أنتم الأحبة الكرماء، والشعار دون الدثار؛.. ألا إنّ الحرب شرُّها ذريع، وطعمها فظيع، وهي جُرعٌ متحسّاة، فمن أخذ لها أهبتها، واستعد لها عُدّتها، ولم يألم كلومها عند حلولها، فذاك صاحبها. ومن عاجلها قبل أوان فرصتها، واستبصار سعيه فيها، فذاك قِمن ألا ينفع قومه؛ وان يهلك نفسه.. ثم نزل. فأجاب علياً إلى السير والجهاد جُلُّ الناس))[1].

ويتبين من هذا النص حنكة الامام الحسين (عليه السلام) الحربية، وإدراكه التام لعدة الحرب وحاجاتها، ووعيه لمتطلبات النجاح والنصر فيها. فلا غرو ان يستشيره الامام علي (عليه السلام) في بعض ما كان يمرّ به من أزمات[2].

وقد برزت مكانة الحسنين (عليهما السلام) في حياة أبيهما حتى ان بعض المسلمين رأى فيهما الوريث المناسب لمنصب الخلافة إذا ما قتل الامام علي (عليه السلام) وهو يواجه معاوية بن أبي سفيان[3] ويبدو أن ذلك كان معلوماً في جبهة معاوية إذ تذرع أحد أفراد معسكره وهو عبيد الله بن عمر[4] باسلوب معاوية نفسه في مواجهة الخصوم، فأرسل إلى الحسين (عليه السلام) أثناء القتال وقال له: اعلم ان أباك قد وتر قريشاً وقد بغضه الناس فهل لك ان تخلعه حتى نوليك هذا الأمر؟ فزجره الحسين (عليه السلام)، ثم ان عبيد الله قال لمعاوية: أردتُ خديعة الحسين فلم يُخدع. فقال معاوية: ان الحسين بن علي لا يُخدع وهو ابن أبيه[5].

وقد أُتي الامام علي (عليه السلام) من قبل جيشه الذي انهك – فإن جيشه هو الذي كانت الدولة تستخدمه في الفتوح – وزادت الأحداث التي مرت بها الدولة في عهد الامام علي (عليه السلام) من انهاكه فمال بعليّ كرهاً إلى التحكيم[6] بخلاف جيش الشام المتماسك[7]، وكان من أمر التحكيم

---

(1) المنقري، صفين، ص115.

(2) ينظر: الثقفي، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال (ت283هـ/896م)، الغارات أو الاستنفار والغارات، حققه وعلق عليه: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، ط بيروت، 1407هـ/1987م، 35/1.

(3) ينظر: المنقري، صفين، ص425.

(4) ابن الخطاب، كان شديد البطش قتل بعد مقتل أبيه بنت أبي لؤلؤة والهرمزان وجفينة،.. اراد علي – في خلافته – قتله بمن قتل فهرب إلى معاوية وشهد معه صفين فقتل فيها.

ابن قتيبة، المعارف، ص108.

(5) ابن اعثم، الفتوح، 39/3 – 40.

(6) كان ذلك بعد ان رفع أهل الشام المصاحف على الرماح طالبين المحاكمة إلى الكتاب، فنهى الامام علي جيشه عن قبول التحكيم لأنها مكيدة وعبثاً ذهب ندائه، فلما تم الاتفاق على تنصيب عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري حكمين يحكمان على وفق كتاب الله في الصراع الدائر بين علي (عليه السلام) ومعاوية رفض الخوارج ذلك ثم رفضوا نتائج التحكيم وكفروا الامام علي (عليه السلام) لأنه حكّم في دين الله الرجال ورفعوا شعار (لا حكم إلا لله).

ينظر: المنقري، صفين، ص478 – 479، ص513 – 514، ص517.

(7) العلايلي، الامام الحسين، ص323.

ما أدى إلى ظهور الخوارج المحكمة الذين تنادوا في الناس بعد التحكيم: ((حكم والله الحكمان بغير ما في الكتاب.. وتضارب القوم بالسياط.. ونادت الخوارج: كفر الحكمان، لا حكم إلاّ لله))[1] ولذلك سموا بالمحكّمة. وقد ذكرت المصادر التاريخية ان الحسن والحسين (عليهما السلام) كانا من ضمن الشهود على وثيقة التحكيم[2].

ومما يذكره أحد الباحثين المصريين عن قضية التحكيم انها: كانت دعوة صادقة لحقن الدماء والمصالحة، ولم تكن الفكرة اختراعاً من عمرو بن العاص أو خدعة منه لانقاذ جيش معاوية، وان علياً لم يكن كارهاً لها، مشيراً في هذا المجال ان راوي الرواية التي وصفت التحكيم بالخدعة هو أبو مخنف[3]. ولما كان مؤرخا شيعياً فهو محل شك على حد قوله[4].

ولا يكفي القول بأن الراوي شيعياً لرد قوله إذ إن خدعة رفع المصاحف في صفين سنة 37هـ/657م والدعوة إلى حكم القرآن رواها أكثر من راو[5] ونقلها الطبري في تاريخه عن أبي مخنف[6] ولذلك يعاب على الباحث المصري قلة اطلاعه، ونفي الحادثة تعصباً، فضلاً عن ان رفض الامام علي (عليه السلام) للتحكيم والتشكيك بنوايا معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وهما يدعوان إلى التحكيم قد نقلته مصادر أخرى عن رواة آخرين غير أبي مخنف[7]. وكان متساوقاً تماماً مع ما عرف عن الشخصيات التي ناوأت الامام علي (عليه السلام)، وجاء وصف الامام علي (عليه السلام) لهم[8] كما هو مذكور ومعروف عنهم في الكتب

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، 132/2.

(2) المنقري، صفين، ص507، الدينوري، الأخبار الطوال، ص195.

(3) لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الازدي، وكان مخنف بن سليم من أصحاب علي عليه السلام، روى عن النبي وصحبه. ولأبي مخنف كتب متعددة عدّ منها ابن النديم: 34 كتاباً. وذكر ان العلماء قالت في أبي مخنف انه بأمر العراق واخبارها وفتوحها يزيد على غيره.

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق المعروف بالوراق (ت380هـ/990م)، كتاب الفهرست، تحقيق: رضا تجدّد، ط طهران، (بلا.ت)، ص105 – 106.

(4) عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص82.

(5) ينظر: المنقري، صفين، ص478، الدينوري، الأخبار الطوال، ص189، المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد (ت285هـ/898م)، الكامل في اللغة والأدب، ط بيروت، 1405هـ/1985م، 35/2.

(6) الطبري، تاريخ، 329/5 – 330.

(7) ينظر: ابن أبي طالب، نهج البلاغة، ص79، المنقري، صفين، ص478، ص489.

(8) لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن قال علي (عليه السلام): ((عباد الله، اني أحقُّ من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمر بن العاص، وابن أبي معيط، وحبيب بن مسلمة، وابن أبي سرح، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أني اعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالا وصحبتهم رجالا فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال. انها كلمة حق يراد بها باطل..)). المنقري، صفين، ص489.

التاريخية[1] التي تروي وتنقل عن غير الشيعة، مما يوفر لأي ناقد منصف قناعة بما نقله رواة الشيعة وغيرهم في هذا المجال.

وقد تطور الخلاف بين الامام علي (عليه السلام) والخوارج إلى انفصالهم عنه والاعتزال في النهروان[2] ومن ثم الاشتباك معهم في معركة النهروان سنة 38هـ/658م[3]، وقد صحب الحسين (عليه السلام) أباه في النهروان وفي أحلك لحظاته وأحرجها، عندما بدأت غارات معاوية تزعج أطراف دولة الامام علي (عليه السلام) بين عامي (38 – 39هـ/658 – 659م)[4].

وعندما أعد الامام علي (عليه السلام) العدة لقتال معاوية ثانية بعد اعتداءات معاوية المستمرة عقد للحسين (عليه السلام) في عشرة آلاف.. ولغيره في اعداد أخر وهو يريد الرجعة إلى صفين فما دارت الجمعة حتى ضربه عبد الرحمن بن ملجم فسقط صريعاً في محرابه وهو ينادي الناس إلى الصلاة، إلى الفلاح في غسق الليل[5].

ولا خلاف في ان مقتل الامام علي (عليه السلام) كان في مسجد الكوفة وان عبد الرحمن بن ملجم هو من قتله وان قطام كان لها دور ونشاط في هذا الحدث، أما ما سوى ذلك فهو مجال للبحث والتحليل.

إن مراجعة دقيقة للروايات التي نقلت حادثة اغتيال الامام علي (عليه السلام) تُظهر ان النفر الذين دبروا ذلك هم ثلاثة – وبالاتفاق – فإن الثلاثة من الخوارج، ولا خلاف في مهمة ابن ملجم، وإنما وقع الاختلاف في صاحبيه، فهما البرك بن عبد الله لقتل معاوية وعمرو بن بكر لقتل عمرو بن العاص على قول الطبري[6]، وهما الحجاج بن عبد الله الصريمي ولقبه – البرك – لقتل معاوية، وزادويه مولى بني العنبر لقتل عمرو على رواية المسعودي[7] في حين نراهما في رواية الدينوري: النزال بن عامر لقتل معاوية وعبد الله بن مالك الصيداوي لقتل عمرو[8].

---

(1) ينظر في تراجم الشخصيات: معاوية، وعمرو بن العاص، وعقبة بن أبي معيط، وحبيب بن مسلمة، وابن أبي سرح المصادر التالية ليتضح وصف أمير المؤمنين بحقهم. ابن عبد البر، الاستيعاب، 328/1 – 330، 395/3 – 398، 631/3 – 637، ابن الاثير، أسد الغابة، 374/1 – 375، 173/3 – 175، ابن حجر، الاصابة، 309/1، 433/3 – 434.

(2) كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي، حدها الأعلى متصل ببغداد. ياقوت، معجم البلدان، 325/5.

(3) ينظر: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 120/1 – 121، المسعودي، مروج الذهب، 156/3 – 157، ابن الاثير، الكامل، 218/3 – 223.

(4) ينظر: الثقفي، الغارات، 325/2.

(5) العلايلي، الامام الحسين، ص324.

(6) تاريخ، 62/6.

(7) مروج الذهب، 164/3.

(8) الأخبار الطوال، ص213.

وقد أختلف أيضاً في المكان الذي اجتمعوا فيه فلم يعين المكان في رواية ابن الاثير[1]، وذكر المسعودي[2] انه مكة، وزاد الدينوري[3] في مكة في موسم الحج. وذكر لنا الطبري[4] ثلاثة تواريخ من دون ترجيح لموعد الاتفاق على قتل الثلاثة – علي ومعاوية وعمرو بن العاص –، والمسعودي ميقاتين[5]، فيما لم يذكر الدينوري موعد التنفيذ[6].

وأختلف المؤرخون في مصير المكلف بقتل معاوية بن أبي سفيان فقد ذهب فريق إلى ان معاوية قتله، فيما قال آخرون بأن معاوية حبسه ثم اطلق سراحه[7]، ولا ينتهي الخلاف عند هذا الحد فقد أختلف في قطام أهو اسم الفتاة التي عشقها ابن ملجم على قول الطبري وابن الاثير[8]، أم هو اسم امها كما ذكر الدينوري[9]، وهي بنت عم ابن ملجم في رواية المسعودي[10].

واختلفوا في الأشعث بن قيس[11] ودوره في القضية، ففي رواية اليعقوبي[12] نراه ضالعاً في الأمر وأن ابن ملجم نزل عنده شهراً بعد وصوله الكوفة، وشارك في عملية الاغتيال وإلى ذلك ذهب الاصفهاني والمسعودي[13].

فيما لم يذكر للأشعث أي دور ظاهر أو مستور عند الدينوري والطبري وابن الاثير. ثم ان ابن ملجم كان رجلاً من أهل مصر[14]، ولكنه لا يكلف بقتل عمرو بن العاص في مصر، وتترك المهمة لشخص ليس من أهل مصر لقتل من أنابه عمرو بن العاص لصلاة الصبح بدلاً عنه لألم ألمّ به[15] وقيل ان السبب في هذا الخطأ هو عدم معرفة القاتل لشخص المقتول

---

(1) الكامل، 255/3.

(2) مروج الذهب، 164/3.

(3) الأخبار الطوال، 213.

(4) تاريخ، 62/6.

(5) مروج الذهب، 164/3.

(6) الأخبار الطوال، 213 – 214.

(7) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص44، المسعودي، مروج الذهب، 169/3.

(8) تاريخ، 63/6؛ الكامل، 255/3.

(9) الأخبار الطوال، ص213. إذ قال: ((فخطب [أي ابن ملجم] إلى قطام ابنتها الرباب)).

(10) مروج الذهب، 164/3.

(11) اسمه معد يكرب بن قيس وهو من كندة، سمي اشعث لشعث رأسه، وفد إلى النبي (ﷺ) في سبعين رجلاً من كندة فأسلم، تزوج الخليفة أبو بكر اخته أم فروة وعفا عنه بعد أن شارك كندة في خروجها على خلافة أبي بكر. مات سنة 40هـ/660م. ابن قتيبة، المعارف، ص188.

(12) تاريخ، 148/2.

(13) مقاتل الطالبيين، ص47، مروج الذهب 165/3، الحسناوي، المعارضة، ص510.

(14) الطبري، تاريخ، 62/6.

(15) المصدر نفسه، 66/6.

ولا تصح هذه الرواية إلاّ على فرض وصول القاتل إلى مصر قبل فترة قليلة من عملية القتل لتُقبل رواية الاشتباه[1].

لقد اكتنف القضية اضطراب واختلاف في كل نواحيها وهو ما يدعو الباحث المنصف إلى تأمل هذه الروايات ليخرج بأربع احتمالات:

الاحتمال الأول: ان الحادثة كانت تستهدف علياً (عليه السلام) لشخصه دون الآخرين ،إذ إن علياً (عليه السلام) قتل من قطام أباها وأخاها وعمها في النهروان[2]، وفي رواية الطبري: انه قتل في ذات اليوم من تيم الرباب قومها عشرة انفس[3]. وكانت المرأة جميلة وشغف بها ابن ملجم فكانت الفرصة سانحة لتستعين به على قتل عدوها وشفاء صدرها فاشترطت عليه عبداً وقينة[4] وثلاثة آلاف درهم وبذلك صرّح شاعرهم[5]:

ولم أر مهراً ساقه ذو سماحةٍ   كمهر قطامٍ من فصيح وأعجم

ثلاثة آلاف وعبد وقينة   وضرب علي بالحسام المصمصم

فلا مهر أغلى من علي وإن غلا   ولا قتل إلاّ قتل ابن ملجم

وهذا الاحتمال مستبعد للاضطراب الحاصل في مجريات الرواية – كما بيناه –، وإن صح الاحتمال فإن المستهدف سيكون علياً (عليه السلام) لوحده[6].

الاحتمال الثاني: ان الخوارج تآمروا على قتل علي (عليه السلام) ومعاوية وعمرو وكلفوا ابن ملجم وصاحبيه لانجاز المهمة، لأن الخوارج كانوا يكفرون الثلاثة لأنهم مسؤولين مسؤولية مباشرة عما مني به المسلمون من شر وفتنة، ومن قتل اصحابهم[7]، وهذا ما لا يصمد أمام النقد، فلو تم قبول الرواية على الاختلاف البين في متنها الذي نقلته كتب التاريخ فلا يمكن قبول ان الثلاثة الذين تم انتدابهم لهذه المهمة كانوا من الخوارج – على فرض صحة الرواية – لأنه لا يوجد لهم ذكر في

---

(1) الحسناوي، المعارضة، ص512.

(2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص213، الطبري، تاريخ، 63/6، المسعودي، مروج الذهب، 164/3.

(3) تاريخ، 63/6.

(4) القينة: الأمة المغنية، وقيل انها الأمة مغنية كانت أو غير مغنية. ويقصد بها الجارية التي تخدم حسب. ابن منظور، لسان العرب، مادة قين.

(5) الطبري، تاريخ، 67/6.

(6) وقد ذهب إلى هذا الاحتمال: فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مراجعة: حسين مؤنس، ط مصر، 1378هـ/1958م، ص98. وقد برر قبوله بهذا الاحتمال لأن الاغتيال لا يتفق مع تقاليد الخوارج وأيد في الوقت ذاته تدبير قطام لهذه الحادثة باستغلال هيام ابن ملجم بها.

(7) الدينوري، الأخبار الطوال، ص213، الطبري، تاريخ، 62/6، المسعودي، مروج الذهب، 164/3.

الخوارج واخبارهم ومعاركهم، وفي أي مكان آخر قبل حادثة الاغتيال، وان الخوارج لو كانوا هم المتآمرين لما اسندوا هذه المهمة لغير فرسانهم الأقوياء المشهورين أما اسنادها إلى هؤلاء المغمورين فهو ما لا تطمأن إليه النفس.

فضلاً عن انه لم يعرف من احوال الخوارج القتل غيلة أو التآمر، فهم كانوا يواجهون خصومهم مواجهة مباشرة وينفذون أحكامهم على الملأ[1].

الاحتمال الثالث: ان اغتيال الامام علي (عليه السلام) كان حلقة من حلقات سابقة لإقصاء السابقين الأولين عن دنيا السياسة وان المخططين لذلك هم ممن أدال الإسلام دولهم، فتمت الحلقة الأولى من المؤامرة بقتل الخليفة عمر (رض) على يد أبي لؤلؤة الفارسي[2] – لأن الإسلام أدال دولة الفرس – والحلقة الثانية كانت مقتل الخليفة عثمان (رض) بعد النشاط الذي مارسه ابن سبأ اليهودي وهو ما ذهب إليه اغلب الباحثين المصريين – كما قدمنا – إلاّ اننا نجد هذا الاحتمال بعيداً عن القبول لأن دولة الفرس قد دالت منذ زمن، ولم يكن هناك أي احتمال مهما كانت المحاولات لارجاعها، ولقناعة الباحث باسطورية شخصية ابن سبأ.

الاحتمال الرابع: وهو ان الأمويين تآمروا على قتل الامام علي (عليه السلام)، وهو احتمال له من المصاديق ما يدعمه فقد تنافس الأمويون والهاشميون جاهلية واسلاماً[3]، وتوفي الرسول (صلى الله عليه وسلم) فاستشرف الأمويون للخلافة، وحاولوا التدخل في تعيين الخليفة إذ روي ان أبا سفيان قال بعد بيعة أبي بكر (رض) محرضاً بني هاشم: انـي لأرى عجاجة لا يطفؤها إلاّ الدم يا آل عبد مناف ما بال هذا الأمر في اقل حيّ من قريش ؟ وطلب من علي بسط يده ليبايعه أو يملأها خيلاً ورجالاً، فزجره علي (عليه السلام) قائلاً له: والله ما أردت بهذا إلاّ الفتنة وانك والله طالما بغيت للإسلام شراً[4].

وعندما مات الخليفة عمر (رض) طلبوها بجرأة وقوة، وقد تنبأ عمر (رض) بسطوتهم عندما قال لعثمان (رض): انشدك الله يا عثمان ان وليت من أمور الناس شيئاً ان تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس[5].

فجاء عثمان (رض) فنقم منه الناس احتلالهم مراكز الامارة وتبوأ المراكز السياسية، وعندما قتل عثمان (رض) اتهموا علياً (عليه السلام) وبني هاشم بقتله ولعل معركة صفين 37هـ/657م ودعوة معاوية بالطلب بدم عثمان أكبر دليل على ذلك.

---

(1) الحسناوي، المعارضة، ص511.

(2) الطبري، تاريخ، 52/5 – 53.

(3) ينظر: المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت845هـ)، النزاع والتخاصم فيما بين أمية وبني هاشم، صححه: محمد عرنوس، ط مصر، 1356هـ/1937م.

(4) ابن الاثير، الكامل، 189/2.

(5) الطبري، تاريخ، 53/5.

ويبدو أن السيوف والنضال في ميادين القتال لم يأتِ بالنتيجة التي كان يرجوها معاوية، ومن ورائه بنو أمية لذلك تم اللجوء إلى التآمر بالفتك والاغتيال. لقد طلب معاوية من عثمان (رض) في حياته ان يجعل له هذا الأمر من بعده أو ان يخرج فيقتل علياً (عليه السلام) وطلحة والزبير، فلما رفض عثمان (رض)، ظفر معاوية منه بأن يكون ولي دمه في حال قتله[1]، ثم رفض بيعة علي (عليه السلام) واتهمه بقتل عثمان[2] ولجأ في خصومته لعلي (عليه السلام) إلى كل وسيلة يرى فيها تحقيق مصلحته، فلجأ إلى الدس والوقيعة وأفسد بين الامام علي (عليه السلام) وقيس بن سعد[3] حتى عزله عن مصر[4]، ثم لجأ إلى السم فحال بين مالك الاشتر وبين توليه مقاليد الإدارة لهذا الاقليم[5]، ثم ان علياً (عليه السلام) صمم قبيل وفاته على السير إلى معاوية في اربعين الفاً فما دارت الجمعة إلاّ وقتل الامام (عليه السلام) على يد ابن ملجم[6].

ويبدو ان معاوية استنكر صفين والدائرة التي أوشكت ان تدور عليه لولا خدعة المصاحف ودعوة التحكيم[7]، فعمل على الموازنة بين الاغتيال وما قد تجره الحرب عليه وهو قد خبر علياً (عليه السلام) في حروبه فتوجه إلى الاغتيال لتحقيق أطماعه في الحكم. وكان معاوية قد دس من رجاله في الكوفة ليشيع أخبار موته في العراق قبيل اغتيال الامام علي(عليه السلام) ليرى تأثير هذا الخبر في أصحاب علي (عليه السلام)[8].

وأورد فلهاوزن هذا الاحتمال ولكنه استبعده مستدلاً بأن أصحاب علي (عليه السلام) ومعاوية لم يثيروا مثل هذا الاتهام وان الروايات لم تتطرق إليه[9]. الا ان الواقع ينافي ما ذهب إليه

---

(1) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 31/1.

(2) الطبري، تاريخ، 216/5.

(3) ابن عبادة بن دليم بن حارثة الانصاري الخزرجي، يكنى أبا الفضل، كان قيس من كرام أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واسخيائهم ودهاتهم، وكان من أهل الرأي والمكيدة في الحروب مع النجدة والبسالة والكرم، صحب علي ابن أبي طالب وشهد معه الجمل وصفين والنهروان، وقد ولاه الامام علي مصر فضاق به معاوية وأعجزته فيه الحيلة وكايد فيه علياً حتى عزله. وصحب الحسن بعد وفاة أبيه ثم اقام بالمدينة وتوفي في آخر حكم معاوية.

ابن عبد البر، الاستيعاب، 224/3 – 231، ابن حجر، الاصابة، 249/3.

(4) الطبري، تاريخ، 286/5 – 288.

(5) المصدر نفسه، 288/5.

(6) ينظر: ابن أبي طالب، نهج البلاغة، 327، الشيخ المفيد، الارشاد، ص17.

(7) غنيم، الثورات العلوية، ص56.

(8) المسعودي، مروج الذهب، 171/3.

(9) تاريخ الدولة العربية، ص98 – 99.

فلهاوزن فالروايات التي بين أيدينا تدعم هذا الرأي فإن أبا الاسود الدؤلي[1] وهو أحد أصحاب الامام علي (عليه السلام) اتهم معاوية صراحة بمؤامرة الاغتيال إذ قال شعراً[2]:

ألا ابلغ معاوية بن حرب	فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا	بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا	وأرحلها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها	ومن قرأ المثاني والمبينا

ان كل هذه الاحتمالات قابلة للنقاش إذ ان الروايات مختلفة ومتضاربة في قصة المؤامرة الثلاثية إلا أنني ارجح تداخل احتمالين من هذه الاحتمالات وهما: الأول والرابع، فمعاوية يريد التخلص من علي (عليه السلام)، وقطام موتورة فيمن قتله الامام (عليه السلام) من أهلها، وابن ملجم مستعد لعمل أي شيء لتحقيق أمله بالزواج من قطام، وهناك من ينظم المؤامرة في الكوفة، فقد روي عن اشتراك الاشعث بن قيس في هذه المؤامرة، بل ان الاشعث كان قد هدد علياً(عليه السلام) بأن يفتك به قبيل مقتله[3].

لذلك يفترض الباحث ان العملية جرت كالتالي: ينتدب معاوية من يدسه إلى الكوفة – وقد كان بامكانه ان يفعل ذلك –، ووفق سياسة بذل المال التي كان معاوية يتبعها واتصل هذا الشخص المفترض بالاشعث بن قيس في الكوفة وبذل له الوعود والمال مستغلاً سوء العلاقة بين الامام والاشعث ولعله سمع بتهديد الاشعث للامام بالفتك. ووافق ذلك مجيء ابن ملجم إلى الكوفة وبقاءه شهراً عند الاشعث وهيامه بقطام الموتورة من الامام (عليه السلام)، فيتم التخطيط بين المتضرر – الاشعث – والموتور – قطام – والعاشق – ابن ملجم – لتنفيذ رغبة المستفيد الأكبر من المؤامرة – معاوية – وينتهي الأمر باغتيال الامام علي (عليه السلام)، وتدخل عملية الاغتيال الوهمية لمعاوية وعمرو لاقناع الناس بأن الخوارج هم القائمين بذاك العمل تجنباً للمشاكل التي قد يواجهها معاوية عندما يصعد إلى سدة الحكم، وله مما جرى مع علي (عليه السلام) بعد مقتل عثمان خير تجربة، ولاسيما أن معاوية نمى إليه ما أخبر به الامام علي (عليه السلام) عندما اشاع معاوية نبأ موته في الكوفة فقال: ((ما مات ولا يموت حتى يملك ما تحت قدمي))[4]، وهو المصدق لعلي (عليه السلام) في قرارة نفسه، وهناك دليل آخر يعين على القيام بهذا

---

(1) ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان بن كنانة، أمه من بني عبد الدار بن قصي، وكان عاقلاً، حازماً، وهو أول من وضع العربية، وكان شاعراً مجيداً وشهد صفين مع علي رضوان الله عليه، وولي البصرة لابن عباس ومات بها وقد أسن. ابن قتيبة، المعارف، ص247.

(2) الطبري، تاريخ، 67/6، المسعودي، مروج الذهب، 169/3، ابن الاثير، الكامل، 260/3.

(3) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص48.

(4) المسعودي، مروج الذهب، 171/3.

الرأي وهي ان علاقة التآمر والفتك قد استمرت بين معاوية وآل الاشعث حتى بعد اغتيال الامام (عليه السلام) عندما دس معاوية لجعدة بنت الاشعث لاغتيال الامام الحسن (عليه السلام) مقابل زواجها من ابنه يزيد والاغداق عليها بالأموال وهو ما سنبين تفصيله في الصفحات اللاحقة.

ان المستفيد الأكبر من اغتيال الامام علي (عليه السلام) هو معاوية، فقد كان خصمه اللدود، والأمر لا يتسق له إلا إذا خلا الميدان من علي (عليه السلام) الذي رفض الهدنة، فلم يكن هناك بُدّ من الحرب أو الاغتيال وهو أخف الأمرين مؤونة وأيسر عملاً على معاوية. وعلى أية حال فالباحث لا يدعي القطع في رأيه بهذه القضية، وإنما هو احتمال قد يصيب وقد يُخطأ.

لقد أوصى الامام علي (عليه السلام) وهو على فراش الموت ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) بالاقتصاص من القاتل في حال موته، أو العفو أو القصاص في حال بقائه حياً، فقتله الامام الحسن (عليه السلام)[1]، فيما يروي بعض المؤرخين[2] ان عبد الله بن جعفر[3] قطع جسد ابن ملجم ثم حُرّق بالنار.

ومما يرد ذلك ان الحسن والحسين (عليهما السلام) وأهل بيتهما أبعد من أن يخالفوا وصية أبيهم(عليه السلام) وتزداد قيمة الوصية وضرورة التمسك بها إذا ادركنا انها كانت قبيل موته (عليه السلام) والذي أكد على عدم المثلة بأسيرهم مذكراً اياهم بما سمعه من الرسول (صلى الله عليه وآله)[4]: ((اياكم والمثلة، ولو أنها بالكلب العقور)).

لذلك فإن حادثة التمثيل بابن ملجم على رأي أحد الباحثين المصريين هي محض اختلاق هدفه تصوير ابن ملجم بطلاً من الأبطال، وهو ما لا يهم إلا الخوارج ويدفع بالقول إلى انها رواية خارجية[5]. وقد ذهب فريق آخر من المصريين إلى اتهام اولاد الامام علي (عليه السلام) بعدم تنفيذ وصية والدهم بعد موته والتمثيل بابن ملجم اشنع تمثيل[6].

---

(1) الطبري، تاريخ، 65/6، الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص54، ابن الاثير، الكامل، 258/3.

(2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص215، المسعودي، مروج الذهب، 168/3.

(3) ابن أبي طالب بن عبد المطلب، وقد كان له يوم توفي النبي (صلى الله عليه وآله) عشر سنين، كان من الأجواد وسيرته مشهورة، تزوج من زينب بنت علي بن أبي طالب فولدت له: علي، وعون الأكبر، وعباس، ومحمد وأم كلثوم. توفي سنة 80هـ/699م في خلافة عبد الملك بن مروان وصلى عليه ابان بن عثمان. ابن سعد، الطبقات، 465/8، سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، 679/1 – 684، النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف (ت676هـ/1277م)، تهذيب الأسماء واللغات، ط مصر، (بلا ت)، 263/1.

(4) الطبري، تاريخ، 65/6. والعقور: هو الجارح من السباع. ابن منظور، لسان العرب، مادة عقر.

(5) الجمل، سيرة الحسين، ص2.

(6) ينظر: حسين، الفتنة الكبرى – علي وبنوه، 168/2. دنيا، عبد العزيز حافظ، بحث ضمن كتاب علي ابن أبي طالب نظرة عصرية جديدة، لمجموعة مؤلفين، ط القاهرة، 1394هـ/1974م، ص61.

بويع الحسن (عليه السلام) بعد وفاة والده بيومين[1]، وقيل يوم مات أبوه[2]، وكان قد بايع علياً(عليه السلام) على الموت اربعون الفاً للسير بهم إلى معاوية في الشام وذلك قبل اغتياله (عليه السلام)، فلما بويع الحسن (عليه السلام) وبلغه مسيرة جيش الشام إليه تجهز وسار من الكوفة يريد معاوية، إلاّ ان خذلان جيشه وقادته ومن ثمّ انتهاب متاعه وطعنه في فخذه، أدى به إلى مهادنة معاوية وكتب له بذلك شروطاً[3].

وقد روي ان الامام الحسن (عليه السلام) أعلم أخيه الحسين (عليه السلام) بذلك، فقال: ((يا هذا اني نظرت في أمري فوجدتني لا اصل إلى الأمر حتى يُقتل من أهل العراق والشام من لا أحب ان احتمل دمه، وقد رأيت ان اسلم الأمر إلى معاوية فاشاركه في احسانه ويكون عليه اساءته، فقال الحسين (عليه السلام): انشدك الله ان تكون أول من عاب أباك وطعن عليه ورغب عن أمره، فقال: اني لا أرى ما تقول، ووالله لئن لم تتابعني لأشدنك في الحديد فلا تزال فيه حتى افرغ من امري. قال: فشأنك))[4].

والغريب ألا يرد ذكرٌ للحسين (عليه السلام) في شأن الصلح إلاّ معترضاً لائماً في نص يبدو فيه التناقض واضحاً فالنص يصوّر معاوية محسناً بطلب الصلح ويغضي عن كونه الخارج على السلطة والبادئ بسفك الدماء التي بدا ان النص يجعلها في عنق علي (عليه السلام) الذي أخذ الحسن(عليه السلام) يخالف نهجه ويجنح إلى السلم – وذلك يخالف أيضاً خروج الامام الحسن بُعدة الحرب إلى معاوية –[5] وقد استدعت رغبة الحسن (عليه السلام) بالصلح أن يعزم الحسين (عليه السلام) عليه بألاّ يعيب أباه وكأن الامام علي (عليه السلام) هو الذي تشبث بالحرب ودعا إليها في نزاعه مع معاوية وهذا يناقض ما أوردته المصادر التاريخية كلها والقائلة بخروج معاوية على الخلافة وابائهِ البيعة وسعيه إلى حرب الامام علي (عليه السلام) بكل وسيلة لم تفلح معها محاولات السلام الدائمة التي قدمها الامام علي (عليه السلام)[6]؛ وقد جاءت صيغة النص توحي بتفرد الحسن (عليه السلام) بقرار الصلح دون استشارة المقربين منه، أو أهل بيته، وهذا ما سكتت عنه المصادر التاريخية كذلك، واظهرت هذه الرواية ان الحسين يرد على الحسن (عليه السلام) أمره ولا يقنع بفعله، ولا يُعقل أن يكون ذلك من شخص رافق الحسن (عليه السلام) في كل خطواته، وعاش تطورات الوضع العسكري والسياسي الذي قاد الامام الحسن (عليه السلام) إلى قبول الصلح، وبوسع

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، 181/3.

(2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص216، الطبري، تاريخ، 71/6، ابن الاثير، الكامل، 271/3، ابن الطولوني، النزهة السنية، ص46.

(3) ينظر: البلاذري، أنساب الاشراف، 282/3 – 284، الشيخ المفيد، الارشاد، 276 – 277.

(4) البلاذري، انساب الاشراف، 293/3، وينظر: الطبري، تاريخ، 71/6 – 72، ابن اعثم، فتوح، 289/4، ابن الاثير، الكامل، 271/3 – 272.

(5) ينظر: الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص70، الشيخ المفيد، الارشاد، ص275.

(6) ينظر: ابن ابي طالب، نهج البلاغة، ص463 – 464، ص492، ص494، المنقري، صفين، ص80.

الباحث ان يهتدي إلى مؤشرات أخرى منها ان تاريخ العلاقة بين الحسنين (عليهما السلام) لم يكن إلا تاريخ المودة والاحترام والتقدير لبعضهما، ولم تسجل المصادر التي عنيت بترجمتهما أي بادرة خلاف أو نزاع، ناهيك عن ان الحسين (عليه السلام) حتى وإن كان كارهاً للصلح – وهذا لا يستثنى منه الحسن أيضاً – إلا انه انسجم تماماً مع رؤية الحسن (عليه السلام) للظروف القائمة آنذاك فنجد انه لم يستغل انفعال عدد من أصحاب الامام الحسن (عليه السلام) عندما شخصوا إلى المدينة مطالبين الحسين (عليه السلام) باعادة الحرب مع معاوية فنصحهم بمثل ما نصحهم به أخيه الحسن(عليه السلام) بأن يلزم كل رجل منهم بيته ما دام معاوية حياً[1].

تفاوتت بنود الصلح الذي جرى بين الامام الحسن (عليه السلام) ومعاوية من مصدر إلى آخر ففي الوقت الذي نقل الدينوري ان الحسن (عليه السلام) اشترط على معاوية ألا يأخذ أحداً من أهل العراق بإحنة[2]، وان يؤمن الاسود والأحمر من الناس، ويجعل له خراج الأهواز[3] مسلماً إليه كل عام، ويحمل إلى أخيه الحسين (عليه السلام) مليون درهم في كل عام، ويفضل بني هاشم في العطاء والصلات على بني شمس[4]، ذهب الطبري إلى ان شروط الحسن (عليه السلام) تضمنت أن ((يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف في اشياء اشترطها))[5]، وأضاف ابن الاثير إلى ذلك: ((ان لا يشتم علياً، فلم يجبه [معاوية] إلى الكف عن شتم علي، فطلب ان لا يشتم وهو يسمع فأجابه إلى ذلك ثم لم يفِ به أيضاً))[6].

وذكر الاصفهاني ان الحسن (عليه السلام) قد اشترط على معاوية ((ألا يُتَبع أحدٌ بما مضى، ولا ينال أحدٌ من شيعة علي مكروه، ولا يذكر علي إلاّ بخير))[7]، ونقل البلاذري[8] شروط الحسن (عليه السلام): بأنه يسلم إلى معاوية ولاية أمر المسلمين، على أن يعمل فيها بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين، وعلى انه ليس لمعاوية ان يعهد لأحد من بعده، وأن يكون

---

(1) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 186/1 – 187.

(2) الإحنة: الحقد في الصدر. ابن منظور، لسان العرب، مادة أحن.

(3) أصله حوز فلما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة تبدلت الحاء هاءً فصارت أهواز، فصارت اسماً عربياً سميت به في الإسلام. وهي كورة من بلاد فارس، وفيها نهر مسمى باسمها يمرّ بها حتى يصب في البحر.

ينظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن اسحاق بن جعفر (ت بعد سنة 292هـ/904م)، البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، ط بيروت، 1423هـ/2002م، ص203، المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري (ت380هـ/990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وحواشيه: محمد مخزوم، ط بيروت، 1408هـ/1987م، ص310.

(4) الأخبار الطوال، ص218.

(5) تاريخ، 72/6.

(6) الكامل، 272/3.

(7) مقاتل الطالبيين، ص74 – 75.

(8) انساب الاشراف، 287/3.

الأمر شورى.. وذكر ابن اعثم مثل ذلك وفصّل في الأمان الذي أخذه الحسن (عليه السلام) وذكره البلاذري فقال: ((وان الناس آمنون في أرض الله في شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم، وان شيعة علي آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، على معاوية عهد الله وميثاقه أن لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين (عليهما السلام) ولا لأحد من بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) غائلة لا سراً ولا جهراً يخيف أحداً منهم))[1].

ومن كل هذه الروايات نستخلص الأمور التالية:-

- ان أمر الخلافة لا يترك بأي حال من الأحوال لمعاوية ليبتّ فيه قبل وفاته، وإنما الأمر بعده شورى بين المسلمين في رواية وإلى الامام الحسن (عليه السلام) في رواية أخرى[2] فهو بهذا يرى ان الخلافة حق له يتركه لغرض اصلاح الأمة إلى حين ويوضح (عليه السلام) ان الصلح لفترة محددة مستشهداً بقوله تعالى: **[وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ]**[3]، وذلك في خطبة له بأصحابه قبل الصلح[4].
- الاشتراط بتوفير الأمن للناس عامة وشيعة علي (عليه السلام) خاصة لأنه توقع ان يقوم معاوية بالانتقام ممن وقف ضده في الأيام السابقة لحكمه.
- الشروط المالية، ويبدو ان المؤرخين قد بالغوا في البعض منها، ووهموا في قسم، وأصابوا في آخر، فإذا سلمنا بما ذهب إليه الطبري من أنه طلب من معاوية ان يأخذ خمسة ملايين درهم من بيت مال الكوفة، فهل كان هذا المال بيد الحسن (عليه السلام) أم بيد معاوية ؟ ان الكوفة كانت عاصمة الخلافة للحسن (عليه السلام) حتى اقرار بنود الصلح ومسير الحسن (عليه السلام) ومعاوية ودخولهما الكوفة، ولذلك كان بيت المال بيد الحسن (عليه السلام) فهل يطلب من بيده الشيء ممن لا يملكه ؟!.

لقد حاول الطبري ومن أخذ عنه إظهار الحسن (عليه السلام) وكأنه متهافت للحصول على المال، وانه شخص محب للسلامة والدعة. وعن الطبري ومن نقل عنه أخذ الكتّاب المصريون وطعنوا في الحسن (عليه السلام) وفي سعيه إلى الاستحواذ على أموال المسلمين من بيت مالهم.

ومما قاله أحد الكتّاب المصريين: ((ولكني أرى ان الحسن لم يكن يريد قتالاً وكان يريد ان يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية، ثم يدخل في الجماعة.. فهو لم يفضل بصلحه

---

(1) الفتوح، 291/4، الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ط بيروت، 1392هـ/1972م، 19/3.

(2) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 184/1، البلاذري، انساب الاشراف، 286/3، ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر الشافعي (ت774هـ/1372م)، البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق: محمد عبد العزيز النجار، ط الرياض، (بلا.ت)، 41/8، ابن حجر، الاصابة، 330/1.

(3) سورة الأنبياء: الآية 111.

(4) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، 23/2.

المحافظة على ظواهر الإسلام واسم الدين أو مصلحة الإسلام العليا كما تحاول الشيعة تصويب رأيه))[1].

ويذهب كاتب مصري آخر إلى ان معاوية كان كارهاً لاراقة دماء المسلمين فكلف اثنين من قادته للذهاب إلى الحسن (عليه السلام) واعطاه ما يشاء وما يرضيه وما فيه المصلحة للمسلمين، فيقول الحسن (عليه السلام) ان الأمة قد عاثت في دماء بني عبد المطلب فهو بحاجة لارضاءهم بمال كثير ولذلك طلب الأموال[2].

وجزم آخر بأن الحسن (عليه السلام) كان ((عثمانياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة إلا انه لم يسل سيفاً للثأر بعثمان، لأنه لم ير ذلك حقاً له، وربما غلا في عثمانيته حتى قال لأبيه ذات يوم ما لا يحب))[3].

ولذلك سيكون الحسن (عليه السلام) – في نظر الكتّاب – مقبولاً من معاوية أكثر من أبيه، مما يجعل معاوية يغير من سياسته العنيفة السابقة فالحسن: خرج في عدد ضخم من أهل العراق يظهر لهم بأنه يريد الحرب، ويدبر في الخفاء أمر الصلح مع معاوية فيما بينه وبين خاصته، ولهذا السبب فإنه معاوية يغير من سياسته العنيفة والقاسية فيميل إلى الرفق ويمعن فيه، وكأنه كان يعرف عثمانية الحسن (عليه السلام) وبغضه للفتنة[4].

ويؤيد كاتب مصري آخر ذلك ويضيف بأن الامام الحسن (عليه السلام) ((لم يكن ميالاً للاضطلاع بهذه الرسالة الصعبة وكان يفضل عليها ان يحيا حياة هينة لينة بعيداً عن متاعب النضال ومشاقه))[5]. فالحسن (عليه السلام) – كما يراه آخر – لم يكن مهيئاً لتحمل أعباء الخلافة لأنه ومن خلال سيرته كان يحب الحياة السهلة، فبعد تنازله عن الخلافة ذهب إلى المدينة لينعم فيها بحياة الحواضر بما حصل عليه من الشروط التي سطرها في الصحيفة البيضاء المختومة التي منحه اياها معاوية ولاسيما الأموال والضياع[6]. ولذلك باع الخلافة لمعاوية بخمسة آلاف ألف، وسلم الأمر بهذا الثمن الرخيص وخرج من الأمر عليه لا له[7]. ان هذا التجني والتأويل للأحداث التاريخية بما لا يقوم عليه دليل علمي دقيق، واطلاق العنان للخيال لتفسير بعض القضايا التاريخية، ووصف الامام الحسن (عليه السلام) بالمخادع الذي يخدع رعيته فيريها انه ذاهب للحرب بينما هو يدبر أمر الصلح في الخفاء مع رجل الجماعة، والسلام الكاره لاراقة دماء المسلمين (معاوية)، ووصف الامام الحسن (عليه السلام) بالانتهازي الذي يبيع

---

(1) الجمل، سيرة الحسين، ص106. وينظر: ص109.

(2) الجبري، حوار مع الشيعة، ص101 – 102.

(3) حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 176/2.

(4) المصدر نفسه، 178/2، 181.

(5) صالح، اليمين واليسار، ص147 – 148.

(6) ماجد، التاريخ السياسي، 20/2.

(7) الابياري، إبراهيم، معاوية الرجل الذي انشأ دولة، ط القاهرة، 1382هـ/1962م، ص233.

دماء آل عبد المطلب تارة وخلافته تارة أخرى لينعم بحياة الترف والحواضر على حياة النضال. هو أبرز ما اتسمت به كتابات الباحثين المصريين في هذه القضية.

لقد كانت الخصومة السياسية أحد الأسباب الأساسية في محاولات الدس في الحديث النبوي الشريف[1]، وفي حادثة صلح الحسن (عليه السلام) شاع الحديث المروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) على انه احدى معالم اعجازه (صلى الله عليه وآله) إذ روي انه قال: ((ان ابني هذا سيد، ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين))[2]. وفي العقد الفريد: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) دخل على ابنته فاطمة (عليها السلام) فوجد الحسن (عليه السلام) وهو طفل يلعب بين يديها فقال: ان الله تعالى سيصلح على يدي ابنك هذا بين فئتين عظيمتين من المسلمين[3].

انتشر هذا الحديث من بين المرويات عن النبي (صلى الله عليه وآله) في الحسن (عليه السلام) والواسطة في نقل هذا الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) هو أبو بكرة[4] وبتفاوت بسيط في الألفاظ نقل كل من نقل هذا الحديث عن أبي بكرة بما سيجري على يد الحسن (عليه السلام) من إصلاح بين فئتين عظيمتين من المسلمين على حد تعبير الراوي، وأخذ عنه الباقون[5]، ذلك الحديث وكأنه من المسلّمات.

ولو تفحصنا سند هذه الرواية بدقة لثبت لدينا بأن هذا الحديث أما أن يكون من وضع أبي بكرة نفسه أو نُسب إليه لتحقيق غرض واحد محدد هو: اثبات ان معاوية وجنده فئة عظيمة من فئات المسلمين وليسوا هم الفئة الباغية التي اخبر عنهم الرسول (صلى الله عليه وآله) الذين قتلوا الصحابي عمار بن ياسر بقوله: ((تقتل عماراً الفئة الباغية))[6] ويبدو أن حديث الفئة الباغية

---

(1) طبارة، عفيف عبد الفتاح، روح الدين الإسلامي عرض وتحليل لأصول الإسلام وآدابه وأحكامه تحت ضوء العلم والفلسفة، ط6، بيروت، 1384هـ/1964م، ص459.

(2) البخاري، صحيح البخاري، ص479، وانفرد به من بين أصحاب الصحاح الستة.

(3) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الاندلسي (ت328هـ/939م)، العقد الفريد، شرحه وضبطه: أحمد أمين وآخرون، ط القاهرة، 1384هـ/1965م، 67/2.

(4) واسمه نفيع بن مسروق، أمه سمية، أخوه زياد بن أبيه، كان عبداً في الطائف، فلما حاصر النبي حصنها، أعطى الأمان للعبيد وأملهم بعتقهم ان هم نزلوا من الحصن فتدلى نفيع مع بضعة عشر رجلاً خارج الحصن، ولأنه نزل في بكرة سمي أبو بكرة. اسلم أبو بكرة بعد أن اعتقه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في السنة الثامنة للهجرة، وتوفي في ولاية زياد البصرة على عهد معاوية بن أبي سفيان.

ابن سعد، الطبقات، 159/2، 15/7 – 16، ابن قتيبة، المعارف، ص163 – 164.

(5) البيهقي، دلائل النبوة، 442/6، ابن عبد البر، الاستيعاب، 370/1، ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن محمد المعافري (ت543هـ/1148)، العواصم من القواصم، حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب، ط بيروت، 1425هـ/2004م، ص135؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، 11/2.

(6) مسلم، صحيح، ص1221، ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 103/1، البيهقي، دلائل النبوة، 549/2.

أقلق معاوية أيما قلق بعد مقتل عمار في صفين، وكاد جيشه أن ينتفض عليه، لــولا قولــه: ((إنما قتله الذين جاؤوا به))[1].

ان ما يدفع الباحث إلى الذهاب من ان هذا الحديث من الموضوعات انــه فــي روايتــه الأولى في صحيح البخاري: ان رسول الله (ﷺ) قال في المسجد النبوي والحسن (عليه السلام) إلى جانبه يُقبل مرة على الناس ومرة عليه[2]، وهذا يعني وجود أشخاص في المــسجد ســمعوا وشاهدوا الرسول (ﷺ) قلوا أو كثروا وهو يروي الحديث على فرض صدق الراوي ومــع ذلك فلم يسجل لنا التاريخ من روى هذا الحديث الذي وضع فيما بعد في قوائم دلائــل نبــوة النبي (ﷺ)، إلاّ أبو بكرة.

وأما الحديث بطريقته الثانية، فقد كان بين فاطمة وأبيها (عليهما السلام) وخلف أبواب مغلقة فأين كان أبو بكرة ليروي عن الرسول (ﷺ) ذلك الحديث ؟ ولماذا لم تروه السيدة فاطمــة (عليها السلام) مثلاً وهو في منقبة من مناقب أبنها ؟.

ومما يزيد الباحث شكاً ويدعوه إلى نقض الحديث ان الذين نقلوا عن أبي بكرة قالوا: ان الحسن كان طفلاً بعمر ثلاث سنوات، وإذا علمنا ان ولادة الحسن (عليه السلام) كانت ســنة 3هـــ على أصح الروايات على قول ابن عبد البر[3] أي ان الحادثة كانت في ســنة 6هـــ/627م، وأبو بكرة اسلم في السنة الثامنة للهجرة بعد حصار حصن الطائف[4]، فهذا يعني ان أبا بكرة كان مشركاً في سنة 6هـ/627م ويثبت عدم وجوده في تلك الحادثة المزعومة بين المصلين في المسجد ليدلي بهذا الحديث، ولعل ما يدعم قول الباحث ما ذكــره المــسعودي: مــن ان معاوية لما صالح الحسن (عليه السلام) كبّر فكبّر أهل القصر والمسجد لتكبيره فقيل له: سرك الله ما الذي بلغك ؟ قال: أتاني بشير بصلح الحسن (عليه السلام) وانقياده فذكرت قول رسول الله (ﷺ): ان ابني هذا سيد أهل الجنة وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين، فالحمد لله الــذي جعل فئتي احدى الفئتين[5].

فإذا كان معاوية – كما يقول – سمع الحديث من الرسول (ﷺ) فما ينطبق على أبي بكرة ينطبق عليه لأنه اسلم عام الفتح[6]. ومما زاد من اطمئنان الباحث إلى عدم صــحة الحــديث كون أبي بكرة كان معروفاً بانحرافه عن علي (عليه السلام) وآله ولم يشترك معه في حروبه، وخذل الناس عنه في حرب الجمل[7].

---

(1) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 103/1.

(2) الصحيح، ص479.

(3) الاستيعاب، 370/1.

(4) ابن سعد، الطبقات، 159/2.

(5) مروج الذهب، 185/3.

(6) ابن عبد البر، الاستيعاب، 395/3، ابن حجر، الاصابة، 433/3.

(7) ينظر: البخاري، صحيح، 1252 – 1253، مسلم، صحيح، 1210 – 1211، ابن ماجة، السنن، ص672، أبو داود، السنن، ص708.

وعلى الرغم من ذلك فإن الكتّاب المصريين اخذوا هذا الحديث كأحد المسلمات وضمنوه كتبهم للدلالة على تبشير الرسول (ﷺ) بهذا الصلح، وذهب احدهم إلى القول: ((.. ان هذا الحديث ترك موقعاً كبيراً في نفس الحسن ليحاول جاهداً في حياته ليحقق نبوءة جده ﷺ))[1].

ومن الواضح ان هذه الروايات تفوح منها رائحة السياسة والهدف منها التمويه على حركة الامام الحسن (عليه السلام) وطمس معالمها وتشويه أهدافها[2].

وبعد اتمام الصلح خرج الحسن والحسين (عليهما السلام) منصرفين من الكوفة فدخلوا المدينة[3]، فاقاموا بها، وأراد معاوية البيعة ليزيد فلم يكن من شيء اثقل عليه من أمر الحسن بن علي(عليه السلام) وسعد بن أبي وقاص، فدس لهما السم فماتا منه في أيام متقاربة إذ أرسل إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس وكانت زوجة الحسن (عليه السلام): اني مزوجكِ يزيد ابني على ان تسمي الحسن وبعث لها بمائة ألف درهم، فقبلت وسمت الحسن (عليه السلام) فسوغها المال، ولم يزوجها يزيد[4].

وقد سقي الامام الحسن (عليه السلام) السم مراراً، وفي المرة التي كانت فيها وفاته قال لأخيه الحسين (عليه السلام): لقد سقيت السم مراراً، ما سُقيته مثل هذه المرة، ولقد لفظت قطعة من كبدي فجعلت اقلبه بعود معي، فقال له الحسين (عليه السلام): مَن سقاكه ؟ فقال: وما تريد منه ؟ أتريد قتله ؟ ان يكن هو هو فالله أشد نقمة منك، وان لم يكن هو فما أحب ان يؤخذ بي بريء[5].

وقد حاول بعض الكتّاب المصريين نقض الرواية القائلة بدور معاوية في سم الحسن (عليه السلام) فذهب الجبري إلى بعض ما قال به ابن العربي من قبل فذكر ان معاوية ما كان يخشى من الحسن (عليه السلام) بأساً وكان قد سلمه الأمر وأعطاه الخلافة، ثم ان هذا الاتهام لم يثبت ببينة شرعية، ولا اقرار معتبر، وقد كان الحسن (عليه السلام) بالمدينة ومعاوية في الشام فكيف يسمه ؟ فالرأي الأصوب لدى هذا الكاتب هو ان الحسن (عليه السلام) كان مطلاقاً لا يدوم مع امرأة فلا ريب انه من كيدهن[6]. وإلى هذا الرأي الأخير ذهب كتّاب مصريون آخرون[7] أما طه حسين[8]

---

(1) حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 177/2.

(2) الورداني، السيف والسياسة، ص140.

(3) الطبري، تاريخ، 75/6.

(4) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص80، التميمي، أبو حنيفة النعمان بن محمد (ت363هـ/973م)، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الاطهار عليهم السلام، ط بيروت، 1415هـ/1994م، المجلد 12/3، 123 – 124، المسعودي، مروج الذهب، 182/3.

(5) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص81، التميمي، شرح الأخبار، 124/12/3، المسعودي، مروج الذهب، 181/3، ابن عبد البر، الاستيعاب، 375/1.

(6) حوار مع الشيعة، ص233 – 234، وينظر رأي ابن العربي، العواصم من القواصم، ص143 – 144.

(7) ماجد، التاريخ السياسي، ص21، الجمل، سيرة الحسين، ص4 – 5.

(8) الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، ص193.

فقد وقع في حيرة من أمره فقال: ولست اقطع بأن معاوية قد دس إلى الحسن (عليه السلام) من سمه، ولكنه لم يقطع كذلك بأنه لم يفعل، وأورد شواهد[1] استخدم فيها السم في عهد معاوية ترجح قول المؤرخين المتقدمين في ان الحسن (عليه السلام) قد سُمّ من معاوية.

وأوصى الحسن (عليه السلام) أخيه الحسين (عليه السلام) بأخيه محمد بن الحنفية[2] وأوصى محمداً بمؤازرة أخيه الحسين[3]، وأوصى الحسين (عليه السلام) أيضاً بأن لا يسفك في سبيل دفنه بالقرب من جده (صلى الله عليه وآله) محجمة من دم[4]. ثم توفي فصلّى عليه سعيد بن العاص والي المدينة قدمه الامام الحسين (عليه السلام) قائلاً له: لولا انها سُنة ما قدمتك[5].

وعندما حملت جنازة الحسن (عليه السلام) حمل سريره مروان بن الحكم فقال الحسين (عليه السلام): أتحمل سريره وقد كنت تجرعه الغيظ ؟ فقال مروان: اني كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال[6].

وقد تنادى مروان وبني أمية لمنع دفن الحسن (عليه السلام) إلى جانب جده (صلى الله عليه وآله)، وأبى الحسين (عليه السلام) إلا ان ينفذ وصية أخيه، وخرج مروان وقومه بالسلاح،.. فدفن الحسن (عليه السلام) في بقيع الغرقد[7] إلى جانب أمه فاطمة الزهراء (عليها السلام)[8].

---

(1) ومما ذكره في هذا المجال: ((فقد عُرف الموت بالسم في أيام معاوية على نحو مريب غريب. مات الاشتر – فيما يقول المؤرخون – مسموماً في طريقه إلى ولاية مصر، فخلصت مصر لمعاوية وقال معاوية وعمرو: ((ان لله جنداً من عسل))، ومات عبد الرحمن بن خالد.. ومات الحسن (عليه السلام) بين هذين الرجلين مسموماً كذلك في أكبر الظن، وخلصت الخلافة لمعاوية وابنه يزيد)). المصدر نفسه، ص193.

(2) ابن علي بن أبي طالب، أمه من سبي اليمامة فصارت إلى الامام علي، وفيه قال النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي عليه السلام: ((انه سيولد لك بعدي غلام فقد نحلته اسمي وكنيته كنيتي)). انتقل من المدينة إلى الطائف أيام عبد الله ابن الزبير وتوفي بها سنة 81هـ/700م.

ابن سعد، الطبقات، 328/3 – 329، ابن قتيبة، المعارف، 126.

(3) الدينوري، الأخبار الطوال، ص221.

(4) اليعقوبي، تاريخ، 156/2 – 157.

(5) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 361/4، الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص50، التميمي، شرح الأخبار، 126/12/3، ابن الاثير، الكامل، 316/3.

(6) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص82 – 83.

(7) مقبرة أهل المدينة المنورة، وهي داخل المدينة في أعلى أودية العقيق، ياقوت، معجم البلدان، 473/1.

(8) التميمي، شرح الأخبار، 127/3، ابن عبد البر، الاستيعاب، 374/1 – 375.

الفصل الثاني

دوافع ثورة الامام الحسين (عليه السلام)

وأسبابها في المصنفات المصرية

- المبحث الأول: مظاهر التحولات العامة في الدولة الإسلامية حتى قيام الدولة الأموية.
- المبحث الثاني: الأوضاع العامة في المجتمع الإسلامي في عهد معاوية (41-60هـ/661-679م) وموقف الامام الحسين (عليه السلام) منها.
- المبحث الثالث: موقف الامام الحسين (عليه السلام) من يزيد والبيعة له في المصنفات المصرية.

المبحث الأول

مظاهر التحولات العامة في الدولة الإسلامية حتى قيام الدولة الأموية

كان ظهور الإسلام في أوائل القرن السادس الميلادي حدثاً بارزاً غيّر وجه التاريخ إذ أرسى أسساً جديدةً في العقيدة الإلهية، ورسم للبشر طريقاً جديداً واضح المعالم[1]. فشكل بظهوره ثورة شاملة على كافة الصعد الاجتماعية منها، والاقتصادية والسياسية، وقد برز التغيير الاجتماعي عندما قضى الإسلام على المظالم الاجتماعية، وحقوق الملكية المقدسة، واستبداد الطبقات القوية بالطبقات الضعيفة، وكوّن رؤية جديدة للعالم بشتى جوانب الحياة[2].

ومع اتصال الوحي بالرسول (ﷺ) طوال حياته اكتملت عقائد الإسلام وتشريعاته القانونية والخلقية[3]، وبات الإسلام يمضي من نصر إلى نصر ولم يكن ذلك يعزى إلى الجانب العقيدي والتوحيدي الذي تضمنته الرسالة الإسلامية حسب، وإنما إلى ما تضمنه الإسلام من حلول ناجعة لمشكلات الأقوام التي آمنت به، وذلك بترسيخ مبادئ الاخوة والتكافل الاجتماعي ومحاربة الاستغلال والتسلط الاقتصادي فضلاً عن ديمقراطية الحكم[4].

بيد أن الأحداث التي رافقت وفاة الرسول (ﷺ)، وما تلى ذلك قد كشفت ان الروح والعصبية القبلية كانت متمكنة من نفوس المسلمين برغم سعي الإسلام المستمر إلى التخفيف من حدتها في طريق القضاء عليها نهائياً، وقد عبّرت هذه الروح العصبية ((عن نفسها في أعمال الرجال الذين ظهروا على الصعيد السياسي في المدينة.. وتحكمت في توجيه سير الأحداث التي توالت بسرعة مذهلة))[5]. إذ تم بمبدأ الغلبة[6]، ومبدأ حق القرابة اختيار أول الخلفاء أبا بكر بن أبي قحافة[7].

---

(1) حلمي، محمد، المجتمع العربي، ط مصر، 1385هـ/1965م، ص64.

(2) صالح، اليمين واليسار، ص44.

(3) مؤنس، حسين، عالم الإسلام، ط القاهرة، 1393هـ/1973م، ص17.

(4) عبد الرازق / محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي – طور التكوين، ط4، القاهرة، 1421هـ/2000م، 47/1 – 48.

(5) شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها السياسية، ط6، بيروت، 1401هـ/1981م، ص25.

(6) تغلب المهاجرون ودفعوا مرشح الأنصار سعد بن عبادة، وقال عمر: ((اقتلوه، فإنه صاحب فتنة)).
البلاذري، انساب الاشراف، 263/2، وينظر: الطبري، تاريخ، 257/3، ابن الاثير، الكامل، 191/2.

(7) عبد الحميد، صائب، تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي مسار الإسلام بعد الرسول ونشأة المذاهب، ط بيروت، 1417هـ/1997م، ص426.

وهناك شبه إجماع بين المؤرخين بأن عمراً (رض) أو أبا بكر (رض) أو كلاهما معاً هما أول من سمع بخبر السقيفة:

((وأتى الخبر عمر، فأتى منزل رسول الله..))[1]، وفي رواية أخرى ((فأتى آتٍ إلى أبي بكر وعمر؛ فقال: ان هذا الحي من الانصار))[2] وفي رواية ابن الاثير: ((فبلغ ذلك أبا بكر فاتاهم ومعه عمر...))[3]، وفي رواية ابن قتيبة: ((وأتى الخبر أبا بكر رضي الله عنه، ففزع اشد الفزع،...))[4].

ووفق سياق هذه الروايات فإن اجماعاً حصل على ضياع اسم المخبر، رغم ان المنطق يقول بوجوب كونه شخصية بارزة في المجتمع الإسلامي ليعلم ما يدور في الخفاء، فيخبر عمراً (رض) أو أبا بكر (رض) أو كليهما، فيصغيان إليه ويصدقاه بدليل اسراعهما بالذهاب إلى سقيفة بني ساعدة، فمخبر بمثل هذه الأهمية لا يمكن أن يضيع اسمه، مما يلقي ظلال من الشك على وجود حقيقي لمثل هذا المخبر[5].

ويبدو أن عمر (رض) هو الذي أتاه الآتي، وهو الذي سمع بنبأ السقيفة أولاً بدليل ان أبا بكر (رض) كان في بيت الرسول (ﷺ)، فبعث إليه عمر (رض) بالخروج لأمر مهم[6]، فيظهر أن عمر (رض) هو نفسه المخبر وليس هناك آتٍ مفترض كما ذكر ذلك المؤرخون. ولا نعرف لماذا نادى عمر (رض) أبا بكر (رض) لوحده دون غيره من المهاجرين مع وجود غالبيتهم بالقرب من نبيهم المسجّى بينهم[7]، وقد ذُكر اجتماع الأنصار[8] – بصيغة الاطلاق – وهم الأغلبية من السكان في المدينة، في سقيفة بني ساعدة – ولا تكفي سقيفة مهما اتسعت لاستيعاب اجتماع غالبية سكان المدينة –، ومن المؤكد أن عدداً كبيراً منهم كان بالقرب من بيت النبي (ﷺ)، فإذا قيل ان المجتمعين هم خيار الانصار وهم البدريون ومن تلاهم نجد أن رواية الطبري[9] تذكر أن أبا بكر (رض) وعمر (رض) لقيا في طريقهما رجلين من خيار

---

(1) الطبري، تاريخ، 264/3، الجوهري، السقيفة، ص55.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، 225/4.

(3) الكامل، 189/2.

(4) الامامة والسياسة، 9/1.

(5) يعقوب، أحمد حسين، نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام – رأي الشيعة – رأي السنة – حكم الشرع، ط4، قم، 1424هـ/2003م، ص311.

(6) الجوهري، السقيفة، ص55.

(7) يعقوب، نظرية عدالة الصحابة، ص311.

(8) الجوهري، السقيفة، ص54.

(9) تاريخ، 257/3.

الأنصار هما: معن بن عدي[1]، وعويم بن ساعدة[2]، فلو كان الاجتماع لاختيار خليفة المسلمين من الانصار لحضره هذان الانصاريان ولما تخلفا عنه.

ومما تذكره الرواية أيضاً ان سعد بن عبادة[3] مرشح الانصار كان مريضاً لا يقوى على النهوض: ((لا استطيع ان اسمع كلام الناس لمرضي))[4] ومن الواضح من الوصف الذي جاء في الروايات ان دار سعد كانت لصق السقيفة التي حدث فيها الاجتماع المفترض بدليل قوله بعد اتمام البيعة لأبي بكر (رض): ((احملوني من هذا المكان، فحملوه فادخلوه داره))[5].

وللباحث أن يعتقد أن الحادثة جرت كالتالي: ان مجموعة صغيرة من الانصار ذهبت لعيادة صحابي جليل هو سعد بن عبادة كونه مريضاً فالتقى بهم في السقيفة وهي لصق داره، فاخبروه بموت النبي (ﷺ)، وليس من المستبعد أن يدور بينهم حوار عن مستقبل الأمة، ومن يلي الأمر بعد النبي (ﷺ)، وكيف يتصرف الانصار حيال ذلك، ومن الطبيعي ان ينقطع الكلام – فهو خاص بالانصار – بعد مجيء المهاجرين الثلاثة: أبو بكر وعمر وأبو عبيدة[6]. الذين لا يُعرف من خولهم للحديث باسم المهاجرين جميعاً الذين لم يعرفوا بخبر السقيفة أصلاً.

وقد وصف عمر بن الخطاب (رض) في خلافته كيف بدأ الحديث بخصوص البيعة فقال: ((وإذا هم يريدون أن يخرجونا من أصلنا، ويغصبونا أمرنا، فأردت أن اتكلم، وكنت قد

---

(1) ابن الجد بن عجلان بن ضبيعة البلوي حليف بني عمرو بن عوف الأنصاري، شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد مع النبي (ﷺ) واستشهد في خلافة أبي بكر يوم اليمامة في قتال مسيلمة.
ابن عبد البر، الاستيعاب، 445/3 – 447، ابن حجر، الاصابة، 449/3 – 450.

(2) ابن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد الانصاري، شهد العقبتين وقيل شهد العقبة الثانية مع السبعين من الانصار وبدر وأحد والخندق مع رسول الله (ﷺ)، توفي بالمدينة في خلافة عمر بن الخطاب وهو ابن خمس أو ست وستين سنة.
ابن عبد البر، الاستيعاب، 171/3 – 173، ابن الاثير، أسد الغابة، 158/4.

(3) ابن دليم بن حارثة الخزرجي الانصاري، كان نقيباً شهد العقبة وبدر، وكان سيداً جواداً مقدماً في الانصار له رئاسة وسيادة يعترف قومه له بها، امتنع عن بيعة أبي بكر، وخرج عن المدينة في خلافة عمر وتوفي بحوران من أرض الشام ووجد وقد اخضرّ جسده، وفسّر موته تفسيراً غريباً بأن الجن قتلته !!.
ابن عبد البر، الاستيعاب، 38/2 – 40، ابن حجر، الاصابة، 30/2.

(4) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 9/1.

(5) المصدر نفسه، 14/1.

(6) عامر بن عبد الله بن الجراح وهو من بني الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. شهد المشاهد مع رسول الله (ﷺ)، وكان رجلاً نحيفاً خفيف اللحية أثرم الثنيتين، توفي في طاعون عمواس في الشام سنة 18هـ/639م، وهو ابن ثمان وخمسين سنة. ابن قتيبة، المعارف، ص144.

زورتُ مقالة أردت أن اقدمها بين يدي أبي بكر))[1]. فذهب أبو بكر وتكلم ((فما ترك شـيئاً كنت زورت في نفسي ان اتكلم به لو تكلمت، إلاّ قد جاء به أو بأحسن منه))[2].

فعمر (رض) قد هيأ نفسه للبيعة قبل مقدمه وهيأ المقال للمقام، ثم جرى الحوار والنقاش على ما دار عليه.

وقد قوي موقف المهاجرين بجماعة أخرى يبدو ان رأيها كان معروفاً من قبل أو مُعداً له وهي التي استبشر بها عمر في ذلك الموقف الحرج: ((ما هو إلاّ ان رأيت أسـلم، فأيقنـت بالنصر))[3]. وأسلم جماعة من الاعراب، ذُكر انهم دخلوا المدينة ليمتاروا منها[4] فأعد عمر الأمر معهم فقال: ((خذوا بالخط والمعونة على بيعة خليفة رسول الله، واخرجوا إلى الناس، واحشروهم ليبايعوا..))[5].

ويبدو مما تقدم ان الهدف من ذهاب المهاجرين الثلاثة كان بالتحديد لتنـصيب الخليفـة، وليس الوقوف بوجه الانصار الطامعين بمنصب الخلافة مع الافادة من الظروف التي تمر بها المدينة، فالمهاجرون وبنو هاشم مشغولون بوفاة النبي (ﷺ) وتجهيزه ودفنه، ومعهم عدد من الأنصار، فعلى وفق هذا الغياب تبدو الأمور متسقة – أكثر من أي وقت – ولاسيما أن تجمع الانصار لم يكن خالياً من آثار الحسد والتباغض الذي كان قبل الإسلام[6]، وفي كل الأحوال إذا ما بايعت الأوس ستبايع الخزرج بدافع المنافسة في الفضل[7].

ويبدو نشاط عمر بن الخطاب (رض) سابقاً ليوم السقيفة فقد اعترف بهدفه في مناسبات متفرقة، ففي المرة الأولى التي أراد الرسول (ﷺ) أن يكتب ما فيه صلاح شان الأمة حتى لا تضل من بعده، توقع عمر (رض) انه سيذكر علياً (عليه السلام) لخلافته فصده كما يقول هو نفسه: ((خوفاً من الفتنة، وانتشار أمر الإسلام، فعلم الرسول (ﷺ) ما في نفسي فأمسك، وأبـى الله إلاّ امضاء ما حتم))[8].

وفي السقيفة كان الغرض ابعاد بني هاشم المشغولين بمصاب الرسول (ﷺ)، لأن بطون قريش لا تتحفظ على أي شخص إذا لم يكن هاشمياً ! وقد ذكر عمر (رض) ذلك في أواخـر خلافته في حديث له مع ابن عباس فقال: ((أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد.. قال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحا، فاختـارت قـريش

---

(1) البلاذري، انساب الاشراف، 265/2.

(2) ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 265/2 – 266، الطبري، تاريخ، 256/3.

(3) المصدر نفسه، 265/3.

(4) الشيخ المفيد، الجمل، ص119.

(5) المصدر نفسه، ص119، ابن أبي الحديد، شرح النهج، 219/1. وقد وصف الطبري حضور اسلم الكثيف علـى لسان عمر: ((ان اسلم اقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك فبايعوا أبا بكر)). تاريخ، 265/3.

(6) ينظر: دور بشير بن سعد الخزرجي في حسم البيعة لأبي بكر حسداً لسعد بن عبادة. الجوهري، السقيفة، ص58.

(7) ينظر: الطبري، تاريخ، 265/3.

(8) ابن أبي الحديد، شرح النهج، 79/12.

لأنفسها فأصابت ووفقت))[1] فأجاب ابن عباس مبيناً عقيدة بني هاشم في اختيار الله لعليّ (ع) خلفاً للنبي (ص): ((.. فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عزّ وجلّ لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأما قولك: انهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فإن الله وصف قوماً بالكراهية فقال: [**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**][2] فقال عمر: هيهات والله..))[3].

فبيعة أبي بكر (رض)[4] لم تحفل بما كان يراه بنو هاشم، وبنو عبد المطلب وطرف من المهاجرين[5] والأنصار[6]، ولو أن الذين سعوا في الأمر أنصفوا الناس لارجأوا البيعة حتى يتم لهم مواراة جثمان الرسول (ص)، ثم يذهبون إلى المسجد للتشاور في اختيار خليفتهم بموجب أمر الله [**... وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ...**][7]، على فرض عدم وجود النص فيمن يخلف النبي (ص).

لقد خرجت قريش وهي ترى ان الحكم حق من حقوقها[8] وان الخلافة وراثة آلت إليها بحكم كون نبي المسلمين منها، مما سبب أسوأ الآثار في فهم القرشيين لمهمة الحكم في الإسلام، فطبع (منطق السقيفة) في البيعة الخلافة بطابعه، وفسح المجال للروح القبلية لتعبر عن نفسها يوم السقيفة لتفتح على المسلمين باب من ابواب الفتنة[9].

وانقسم الناس بعد ذلك قسمين: قسم آثر السلامة وأدرك عدم جدوى المعارضة فوادع السلطة ووالاها ولاسيما انها منحت الأموال[10] والمناصب في هذا السبيل[11]، وقسم آخر كان

---

(1) الطبري، تاريخ، 74/5. والبجح: الفخر والتباهي، ابن منظور، لسان العرب، مادة بجح.

(2) سورة محمد، الآية 9.

(3) الطبري، تاريخ، 74/5.

(4) وصفها عمر بالفلتة فقال: ((ان بيعة أبي بكر كانت فلتة.. غير ان الله وقى شرها)). المصدر نفسه، 256/3.

(5) ينظر في بعض أسماءهم: الجوهري، السقيفة، ص46 – 47.

(6) قالت ((الأنصار – أو بعض الأنصار – لا نبايع إلا علياً)). الطبري، تاريخ، 254/3.

(7) سورة الشورى: الآية 38.

(8) قال أبو بكر في السقيفة: ((... يا معشر الانصار؛... إن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش؛ وهم اوسط العرب دارا ونسبا)).

الطبري، تاريخ، 256/3، وينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 266/2.

وقال عمر للأنصار: ((... ان العرب لا ترضى ان تؤمركم ونبيها من غيركم، وليس تمتنع العرب ان تولي أمرها من كانت النبوة فيهم،... من ذا يخاصمنا في سلطان محمد وميراثه، ونحن أولياؤه وعشيرته، إلا مدل بباطل أو متجانف لاثم أو متورط في هلكة)). الجوهري، السقيفة، ص58.

(9) شمس الدين، ثورة الحسين، ص25، ص27.

(10) ينظر الجوهري، السقيفة، ص49.

(11) ينظر: ما فعلته الخلافة مع أبي سفيان بن حرب ممثل البيت الأموي. ابن سعد، الطبقات، 98/4، البلاذري، فتوح البلدان، ص108. =

يعارض لإيمانه بأحقية علي بن أبي طالب (عليه السلام) فآثر السكوت بعد أن حاجج وأنذر[1]، لأن صاحب الحق نفسه – علي (عليه السلام) – أراد الحفاظ على دولة الإسلام من مخاطر التفرق والتنازع فسالم ووادع[2].

وبوسع الباحث أن يشير إلى قضية أخرى ارتبطت بالواقع السياسي في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر (رض) (11هـ/632م – 23هـ/643م)، وشكلت تجاوزاً صريحاً على ركن مهم من أركان التشريع وهو السُنة النبوية، فمنذ أن حال عمر بن الخطاب (رض) بين النبي(ﷺ) وبين كتابة الكتاب الذي أراده هادياً للناس من الضلال[3] بات المجال مفتوحاً لأبي بكر (رض) أو غيره لمنع تدوين الحديث النبوي وتحديد روايته، ومنذ أن قام أبو بكر (رض) في مهام الخلافة لم يكن يقبل من أحد حديثاً إلاّ بشهادة غيره على شرط الاسناد الصحيح[4]، وعندما سُئل عن حديث الرسول (ﷺ)، وهل أوصى به قال أبو بكر (رض): ((أوصى بكتاب الله))[5].

واستمر عمر بن الخطاب (رض) على هذا المنع في أيام خلافته مبرراً ذلك بالخوف من اختلاط الحديث النبوي بكلام الله، فقال:

((ذكرتُ قوماً كتبوا كتاباً فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله))[6]. وهو سبب لا يقنع به عاقل عالم، ولا يقبله محقق دارس، إلاّ إذا جعلنا الأحاديث من جنس القرآن في البلاغة وان اسلوبها في الاعجاز من اسلوبه وهذا ما لا يقره أحد حتى الذين جاؤوا بهذا الرأي، إذ معناه

= ومما يدل على عصبية بني عبد شمس ورغبتها في السلطة وتطاولها لهذا الأمر رغم حداثة اسلامها ما قاله أبو قحافة والد أبي بكر حين قيل له: ولي ابنك فقال: ((أرضيت بذلك بنو عبد شمس، قالوا: نعم، قال: فانه لا مانع لما اعطى الله)). ابن سعد، الطبقات، 184/3.

(1) ينظر: احتجاج خالد بن سعيد بن العاص، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، وبريدة الأسلمي، وأبي بن كعب، وأبو أيوب الانصاري، وعثمان بن حنيف، وخزيمة بن ثابت، وسهل بن حنيف، وأبو الهيثم بن التيهان.

الهلالي، سليم بن قيس (ت76هـ/695م)، كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني، ط2، ايران، 1424هـ/2003م، ص157، الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي (ت620هـ/1223م)، الاحتجاج، تعليقات: محمد باقر الموسوي الخرساني، ط بيروت، 1425هـ/2004م، 93/1 – 96.

(2) يتجسد ذلك في قول الامام علي: ((لقد علمتم اني أحقُّ بها من غيري، ووالله لأسلمنَّ ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جورٌ إلاّ علي خاصة، التماساً لأجر ذلك وفضله،...)). نهج البلاغة، ص110.

(3) ينظر: قول النبي (ﷺ): ((هلموا اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، وقول عمر: ان النبي (ﷺ) قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله)). البخاري، صحيح، ص1033، مسلم، صحيح، ص727، الطبري، تاريخ، 249/3، ابن الاثير، الكامل، 185/2.

(4) أبو رية، محمود، أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث، ط قم، 1416هـ/1995م، ص48 – 60.

(5) ابن سعد، الطبقات، 183/3.

(6) المصدر نفسه، 287/3.

ابطال معجزة القرآن وهدم اصولها من القواعد[1]. ثم ان ذلك يتعارض مع الوعد الإلهي في حفظ القرآن من الاختلاط بغيره [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ][2]. ويظهر ان هذا المنع كان انتقائياً وعلى وفق سياسة ومصلحة الدولة فإذا ما احتاجته أُستُدل به وإلاّ فلا، وفي محاجة الخليفة أبي بكر للسيدة فاطمة (عليها السلام) في قضية فدك بحديث نبوي خير دليل على ذلك، وقد قضى الخليفة في القضية بموجب ذلك الحديث[3].

خلاصة القول ان منع تدوين الحديث كان لهدف سياسي واضح المعالم، بدأ به عمر (رض) منذ مرض الرسول (ﷺ)، وأكده الخليفة الأول لتثبيت واقع سياسي محدد ظهر بصورة جليّة في سقيفة بني ساعدة وهو الأئمة من قريش.

وعندما شارفت حياة الخليفة الأول على النهاية أملى على كاتبه عثمان بن عفان (رض) عهداً يقضي باستخلاف عمر بن الخطاب (رض) على الناس[4]. فهو ((عهد ونص لا خيار فيه لأحد))[5].

وقد جرى الخليفة عمر (رض) شطراً من حياته على وفق تقسيم العطاء بالسوية بين الناس كما كان رسول الله (ﷺ) يفعل والخليفة أبي بكر (رض)[6]. حتى إذا كانت سنة 20هـ/640م، وكثرت الأموال، فرض العطاء على مبدأ التفضيل، وأمر أن يُكتب الناس على منازلهم قائلاً: لا أجعل من قاتل رسول الله (ﷺ) كمن قاتل معه، فبدأ ببني هاشم ثم الأقرب فالأقرب فإذا استووا في القرابة، قدم أهل السابقة ثم انتهى للأنصار ففضل الأوس على الخزرج، وفضل مضر على ربيعة، وفضل قريش على سائر الناس، ثم فرض للناس على منازلهم وقراءتهم للقرآن وجهادهم، ثم جعل من بقي من الناس في باب واحد[7].

وعلى الرغم من ان القاعدة التي اعتمدها الخليفة عمر (رض) كانت تبدو أنها متصلة بالعقيدة الإسلامية – الاسبقية والجهاد – فقد بدت خلفيتها السياسية واضحة من خلال المحاولة في احتواء المعارضة السياسية، لاسيما بني هاشم – اسرة الرسول (ﷺ) –[8].

---

(1) أبو رية، أضواء على السنة، ص53 – 54.

(2) سورة الحجر: الآية 9.

(3) الطبري، تاريخ، 257/3.

(4) ينظر: المقدسي، مطهر بن طاهر (ت355هـ/965م)، البدء والتاريخ (المنسوب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي)، ط باريس، 1335هـ/1916م، ص167.

(5) عبد الحميد، تاريخ الإسلام، ص428.

(6) كُلم أبا بكر ان يفضل الناس في القسم، فقال: ((فضائلهم عند الله، فاما هذا المعاش فالتسوية فيه خير)). ابن سلام، الأموال، ص354.

(7) ينظر: ابن سعد، الطبقات، 295/3 – 297، البلاذري، فتوح البلدان، ص431 – 440، اليعقوبي، تاريخ، 105/2.

(8) بيضون، إبراهيم، من دولة عمر إلى دولة عبد الملك دراسة في تكوين الاتجاهات السياسية في القرن الأول الهجري، ط قم، 1427هـ/2006م، ص88.

إلا ان هذا المبدأ في المفاضلة بالعطاء أدى فيما بعد إلى آثار سيئة في الحياة الإسلامية، إذ وضع أساس تكوين الطبقية في المجتمع الإسلامي، وجعل من المزية الدينية سبيلاً من سبل التفوق الاقتصادي، وأعطى قريش مبرراً جديداً للاستعلاء والتحكم بمقدرات المسلمين، فكل الاعتبارات تجعل لقريش هذه الافضلية – فهم عرب وقرشيون ومضريون ومهاجرون – وهو ما يكفي لتفضيلهم[1].

وإذا كان الناس قد اعترضوا على الرسول (ﷺ) لأنه فضّل المؤلفة قلوبهم في العطاء بعد سنة 8هـ/629م، رغم قناعتهم بمبررات الرسول (ﷺ) التفضيلية[2]، فلا شك انهم وجدوا في أنفسهم شيئاً كثيراً في عهد عمر (رض)[3] لأنهم وجدوا في المفاضلة تلك سبباً جديداً من أسباب الصراع القبلي بين ربيعة ومضر والأوس والخزرج، فإن ((هذا المبدأ قد أرسى أول أساس من أسس الصراع العنصري – على أساس قبلي – بين المسلمين العرب وغيرهم من المسلمين بما جرى عليه عمر من تفضيل العرب على العجم، والصريح على المولى))[4].

وكأن الخليفة عمر (رض) قد أدرك في أواخر ايامه الاخطار السياسية والاجتماعية التي قد يؤدي إليها مبدأ التفضيل، ولعله رأى بعض الآثار الضارة التي خلفها هذا المبدأ في حياة المسلمين ومنها هذه الظاهرة التي دلت على تسرب روح التخريب والانقسام إلى مجتمع المدينة[5]. لذا نرى انه يسعى إلى تغيير سياسته المالية في أواخر ايامه فيقول: ((لئن عِشتُ إلى هذا العام المقبل لألحقنّ آخر الناس بأولهم حتى يكونوا بيّاناً واحداً))[6].

وقد إمتد طموح عمر (رض) إلى إصلاح الجهاز الإداري في الدولة أيضاً وأعرب عن نيته الجديدة في رفع الحيف الذي قد يلحق بالناس الذين لا تصل حوائجهم إليه فقال:

---

(1) شمس الدين، ثورة الحسين، ص29.

(2) أعطى رسول الله (ﷺ) المؤلفة قلوبهم، وكانوا من أشراف الناس، يتألفهم ويتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، وابنه معاوية مائة، فوجد الانصار ذلك حتى كثرت منهم المقالة فقالوا: ان الرسول (ﷺ) فضل قومه في العطاء، فرد النبي (ﷺ) ذلك بأنه تألف قوما ليسلموا ووكل الانصار إلى اسلامهم، وزهدهم بما أخذه الناس من الشاة والبعير وهم يذهبون برسول الله (ﷺ) فاطمأن الانصار ورضوا.

ينظر: ابن هشام، السيرة، 101/4، 106.

(3) ينظر: مطالبة حيّ لخم وجذام الخليفة عمر بالعدل والتسوية في قسمة الفيء لأنه استثناهما من القسمة أصلاً لتأخر إسلامهم.

ابن سلام، الأموال، ص354 – 355.

(4) شمس الدين، ثورة الحسين، ص29.

(5) المصدر نفسه، 29 – 30.

(6) ابن سلام، الأموال، ص355. وينظر قوله: ((... وان عشت هذه السنة ساويت بين الناس، فلم أفضل احمر على اسود، ولا عربياً على عجمي، وصنعت كما صنع رسول الله وأبو بكر)). اليعقوبي، تاريخ، 106/2.

((لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولاً، فاني اعلم ان للناس حوائج تقضى دوني، أما عمالهم فلا يرفعونها إليّ، وأما هم فلا يصلون الي، فأسير إلى الشام، فأقيم بها شهرين، ثم اسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين، ثم اسير إلى مصر فاقيم بها شهرين، ثم اسير إلى البحرين فاقيم بها شهرين، ثم اسير إلى الكوفة فاقيم بها شهرين، ثم اسير إلى البصرة فاقيم بها شهرين، والله لنعم الحول هذا))[1].

ناهيك عن موقف الخليفة الذي بدأ يتسرب من خلال مواقفه من الامام علي (عليه السلام) والتي بدت وكأنه يظهر ميلاً نحوه، كقوله لابن عباس: ((ان علياً ابن عمك لأحق الناس بها – يعني الخلافة –، ولكن قريشاً لا تحتمله، ولئن وليهم ليأخذنهم بمرّ الحق لا يجدون عنده رخصة !))[2].

ويبدو ان هذه السياسة المرتقبة التي أراد الخليفة عمر (رض) أن ينفذها في أواخر عهده، ارعبت الكثيرين لأنها – بدون شك – ستعمل على تقليص النفوذ المالي والسياسي للزعماء المتنفذين في آن واحد.

ولذلك شك بعض الباحثين[3] في مصداقية الطريقة التي رويت بها حادثة مقتل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) سنة 23هـ/643م على يد أبي لؤلؤة الفارسي غلام المغيرة بن شعبة[4] الذي تذمر إلى الخليفة من ثقل خراجه الذي لم يكن سوى مبلغ قليل هو درهمين[5] فذهب بيضون[6] إلى ان حادثة القتل على وفق ما جاء في كتب التاريخ تحتاج إلى أدلة ثبوتية مقنعة، وذلك لأن اقدام أبي لؤلؤة على هذا العمل من تلقاء نفسه شيء مستغرب، إلا إذا كان مجنوناً وهو ما لم تصرح به الروايات التي نقلت الحادثة، أو ارتباطه بجهة خارجية بناءً على الهوية الفارسية للقاتل، وهو الدافع القومي للقتل، وهو الأكثر سذاجة.

وإذا كان لهذا التصور حظه من الموضوعية فلابد أن يتجه الاتهام إلى الفئة المستفيدة من اغتيال عمر (رض)، وهو اعتقاد مبني على رفض الأسباب التي صرح بها المؤرخون في مقتل الخليفة التي تتعارض مع الجو السياسي غير الودي المحيط بالخليفة أواخر أيامه، إذ ان اجراءات الخليفة بتغيير سياسته المالية، والإدارية، فضلاً عن اجراءات التضييق التي اتبعها

---

(1) الطبري، تاريخ، 59/5، ابن الاثير، الكامل، 451/2.

(2) اليعقوبي، تاريخ، 110/2.

(3) ينظر: العلوي، هادي، الاغتيال السياسي في الإسلام، ط دمشق، 1408هـ/1987م، ص45 – 58، صالح، اليمين واليسار، ص70 – 72.

(4) ابن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد الثقفي، يكنى أبا عبد الله، أسلم عام الخندق وقيل ان أول مشاهدهُ الحديبية، وقد عُدّ من دهاة العرب، لحق بمعاوية فولاه الكوفة بعد صلح الحسن وتوفي فيها أميراً سنة 50هـ/ أو 51هـ/670م أو 671م.

ابن عبد البر، الاستيعاب، 388/3 – 390.

(5) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، 110/2، الطبري، تاريخ، 52/5 – 53، ابن الاثير، الكامل، 446/2 – 447.

(6) من دولة عمر، ص98.

مع الارستقراطية[1] الجديدة[2]، التي تكونت نتيجة سياسة الخليفة المالية، وابدائه بعض الميل لعلي (عليه السلام) مما يدفع إلى الاعتقاد بتآمر الاطراف التي تضررت أو ستتضرر نتيجة تهديد مكاسبها المالية والسياسية التي جنتها من حكم الخليفة، فحيك القتل بطريقة لا تحمل الشبهة.

ولو نُظر فيما قاله عبيد الله بن عمر[3]: ((والله لأقتلن رجالاً ممن شرك في دم أبي – يعرّض بالمهاجرين والأنصار –))[4] لظهرت لنا القضية اكبر من غلام المغيرة بن شعبة، وثقل الخراج الذي اشتكاه، وإن هناك مهاجرين وأنصار اشتركوا في دم الخليفة، وقد يكونوا ممن سعى لاغلاق التحقيق في القضية، فأخرج عبيد الله بن عمر من المدينة المنورة[5].

ولا يفوت الباحث التعريج على دور المغيرة بن شعبة وعلاقته بالخليفة عمر (رض)، الذي كان كثيراً ما يعرّض بالمغيرة واتهامه بقضية الزنا التي جرت في عهده، ((وكان عمر إذا رأى المغيرة قال: يا مغيرة ! ما رأيتك قط إلاّ خشيت أن يرجمني الله بالحجارة))[6]، إذ إن الخليفة عمر قد أعفاه من إقامة حد الزنا لعدم كفاية شهادة الشهود[7].

---

(1) الارستقراطية: تدين الارستقراطية كفكرة بتكوينها إلى افلاطون، وهي عند اليونان سلطة خواص النــاس، وفــي العلوم السياسية هي الحكم بواسطة خير المواطنين لصالح الدولة، وتتركز الارستقراطية على الأراضي المملوكة والثروة وتعتمد على مبدأ الوراثة. غربال، الموسوعة العربية الميسرة، 116/1، الموسوعة الفلسفية المختــصرة، تعريب: فؤاد كامل وآخرون، راجعها وأشرف عليها: زكي نجيب محمــود، ط القــاهرة، 1383هــــ/1963م، ص45.

(2) كان عمر بن الخطاب قد حجر على اعلام قريش من المهاجرين والانصار ومنع الخروج إلى البلــدان إلا بـــاذن وأجل فقال: ((ألا وان قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عبادة، ألا فاما وابن الخطاب حي فلا)).

الطبري، تاريخ، 184/5 – 185.

ووقف بوجه نفوذها الاجتماعي فقال: ((بلغني انكم تتخذون مجالس، لا يجلس اثنان معاً حتى يقال: من صحابة فلان ؟ من جلساء فلان ؟ حتى تحوميت المجالس، وأيم الله ان هذا لسريع في دينكم، سريع في شرفكم، وسريع في ذات بينكم، ولكأني بمن يأتي بعدكم.. قد قسموا الإسلام اقساما)). المصدر نفسه، 67/5.

(3) ابن الخطاب، ولد على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكان من أنجاد قريش وفرسانهم، حضر صفين مع معاوية وكــان على الخيل، وقتل فيها. ابن عبد البر، الاستيعاب، 431/2 – 432.

(4) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، 138/2؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 85/5.

(5) ابن سعد، الطبقات، 355/3 – 356، اليعقوبي، تاريخ، 113/2، ابن الاثير، الكامل، 467/2.

(6) اليعقوبي، تاريخ، 100/2.

(7) ينظر: الطبري، تاريخ، 243/4 – 245.

وكان المغيرة قد ولي الكوفة لعمر (رض) بعد أبي موسى الأشعري[1] وظل عليها حتى مقتل عمر بن الخطاب (رض) إلاّ أن عمر (رض) ((أراد أن يبعث سعداً[2] على عمل المغيرة))[3] في اخريات أيامه، وبذلك اجتمعت مصالح المتضررين من السياسة المرتقبة للخليفة في المال والسياسة مع حال المغيرة الذي نمى إليه عزم الخليفة على عزله من ولاية الكوفة مع ما كان من تعريضه به، فكان فعل أبي لؤلؤة غلامه وبتدبير منه ومن المتضررين الآخرين – كما يظن الباحث – فيقتل عمر (رض) ويقال ان الفرس وغلامهم ثأروا من الخليفة لاسقاط دولتهم وينتهي كل شيء.

وإذا كانت شخصية عمر (رض) القوية، قد وفرت الأرضية الجيدة لتأسيس دولة قوية، فإن هذه التجربة لم تكن متكاملة، والأرضية ظلت قلقة، لأنها كانت تستمد قوتها من حضور الخليفة القوي، حتى إذا غاب عن الساحة بُعثت الحياة لمخلفات الماضي التي اعتقد بعضهم خطأ انها اضمحلت وغابت من التاريخ، غير ان أصحابها استكانوا حيناً، وتراجعوا مكرهين إلى الوراء، فلم يكن غيابهم سوى هدنة مؤقتة أو مجرد انكفاءة يتربصون وراءها بالخليفة القوي، ولم يطل الأمر، فمع أول محاولة للحد من سلطتهم اسقطوا تلك المحاولة، ومعها تراث السنوات الأولى العظيم[4].

وبعد مقتل الخليفة عمر (رض) انتقل أمر الخلافة إلى مجلس الشورى الذي حدده الخليفة عمر قبل وفاته بستة من الصحابة اختارهم بنفسه[5]. وقد سيطر منطق السقيفة القبلي على

---

(1) عبد الله بن قيس من الاشعريين من اليمن، قدم على رسول الله (ﷺ) في الاشعريين فأسلموا، استعمله عمر بن الخطاب على البصرة ثم عزله عثمان بن عفان، فلما منع أهل الكوفة سعيد بن العاص من دخول الكوفة طلبوا من الخليفة عثمان أن يوليه فولاه فظل عليها حتى خلافة الامام علي وكان قد أمر الكوفيين بالقعود عن نصرة الامام علي فعزله عن الكوفة. مات بمكة سنة 42هـ/662م، وقيل غيرها.

ابن قتيبة، المعارف، ص151 – 152، ابن الاثير، أسد الغابة، 308/5 – 309.

(2) ابن أبي وقاص واسم ابن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي، من السابقين الأولين شهد المشاهد مع رسول الله (ﷺ)، وكان له فتح العراق في خلافة عمر بن الخطاب فبنى الكوفة وولي عليها حتى سنة 21هـ/641م ثم عزل وعاد والياً في ولاية ثانية على الكوفة في خلافة عثمان بن عفان ثم عزله وولى الوليد بن عقبة، وكان ممن اعتزل القتال بين علي ومعاوية، ولم يجب دعوة معاوية للانضمام إليه. توفي في المدينة في حكم معاوية.

ابن عبد البر، الاستيعاب، 18/2 – 27.

(3) ابن الاثير، الكامل، 433/2.

(4) بيضون، إبراهيم، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، ط بيروت، 1400هـ/1979م، ص99.

(5) هم كل من: علي بن أبي طالب، عثمان بن عفان، طلحة بن عبيد الله، الزبير بن العوام، سعد بن أبي وقاص، عبد الرحمن بن عوف.

بني أمية في الجدل الذي سبق البيعة لعثمان (رض) والذي بدا فيه ان قريشاً اعتبرت الخلافة مؤسسة من مؤسسات قريش وشأناً خاصاً من شؤونها، وليس لأي مسلم أن يتقدم في الخلافة برأي يتنافى ورغباتها[1].

تسلم عثمان (رض) الخلافة في ظل أجواء خاصة تشبه في بعض جوانبها تلك التي اعقبت وفاة النبي (ﷺ)، ولقد جمع هذا الخليفة بين هويته الارستقراطية بحكم انتمائه للبيت الأموي صاحب النفوذ الأقوى في المجتمع المكي القديم وبين هويته الإسلامية المبكرة التي منحته موقعاً متميزاً في اطار النخبة الأولى المناضلة مع الرسول (ﷺ) في بدايات الدعوة، وإذا كانت هويته الثانية قد رشحته لمنصب الخلافة فلقد زكى هذا الترشيح ووضعه موضع التنفيذ فئة معينة كان من أهدافها ان تمد خطاً إلى مراكز السلطة عبر الهوية الأولى للخليفة الموحدة للمصالح المشتركة، ذلك ان التيار الارستقراطي الذي كان لا يزال يمثله الأمويون وحلفاؤهم كان هو الاتجاه الغالب في مجلس الشورى او مجلس الستة الذي كان عليه ان ينتخب خليفة لعمر بن الخطاب (رض)[2] ولذلك جاء اختيار عثمان بن عفان (رض) مصطبغاً بصبغة التمييز نحو الأمويين[3].

ومن النتائج البارزة للشورى العمرية انها فتحت باب الطموح أمام أصحاب الشورى لشغل منصب الخلافة[4]، وحطت من قدر الأنصار الذين صاروا يحرمون حتى من المشورة في اختيار الخليفة[5].

---

(1) شمس الدين، ثورة الحسين، ص32.

ومما يبين ذلك رد فعل بعض الأمويين في النقاش الذي دار لاختيار الخليفة بعد عمر إذ قال عبد الله بن أبي سرح لعبد الرحمن بن عوف: إن اردت ان لا تختلف قريش فيما بينها فبايع عثمان، وقال عمار بن ياسر: إن اردت ألا يختلف المسلمون فبايع علياً، فقيل لعمار: لقد عدوت طورك يا ابن سمية، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها. ينظر: الطبري، تاريخ، 80/5، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 279/4، ابن الاثير، الكامل، 463/2.

(2) بيضون، ملامح التيارات، ص77.

(3) سرور، الحياة السياسية، ص57.

(4) في ذلك يقول معاوية: ((لم يشتت بين المسلمين ولا فرق أهواءهم إلا الشورى التي جعلها عمر إلى ستة نفر.. فلم يكن رجل منهم إلا رجاها لنفسه ورجاها له قومه وتطلعت لذلك نفسه)). ابن عبد ربه، العقد الفريد، 281/4. ويصح ذلك إذا نظرنا إلى طموح طلحة والزبير إلى الخلافة في حياة عثمان وبعد اختيار الامام علي لمنصب الخلافة.

(5) قيل للأنصار في السقيفة: ((ان الناس في فيئكم وفي ظلكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم)).

الطبري، تاريخ، 264/3 – 265.

لقد اتضح في وقت مبكر أن عثمان (رض) ليس سوى واجهة يكمن خلفها الأمويون وبدأ الصراع العلني بين التيار الاجتماعي والخلافة التي فقدت مع عثمان (رض) هالتها الكبيرة بعد ما أصبحت ستاراً لحكم الأقلية الاستثنائي وسواء أكان عثمان (رض) راضياً عن هذا الواقع الذي انزلقت إليه السلطة العليا أم كان مرغماً على اتخاذ مواقف لا تنسجم وتراثه الإسلامي تحت ضغط الارستقراطية التي تقاسمت النفوذ الفعلي في الدولة، فلا شك انه كان المساهم الرئيس في الانهيار الذي تعرضت له مؤسسة الخلافة وأدى إلى افتقادها عنصر الثقة[1].

فعندما ولي الخليفة عثمان (رض) سنة 23هـ/643م بدأ عهده بمخالفة صريحة في إقامة الحد الإسلامي بعبيد الله بن عمر بن الخطاب الذي قتل الهرمزان وجفينة وابنة للهرمزان صغيرة بأبيه الخليفة عمر (رض) لاعتقاده باشتراكهم في دم أبيه، فأخذه سعد بن أبي وقاص وحبسه لديه، ثم استشار الخليفة عثمان (رض) الصحابة عن رأيهم فقال الامام علي (عليه السلام) بقتله، وقال أقوام: ايقتل عمر امس، ويقتل ولده اليوم ؟ فاجتهد الخليفة عثمان (رض) فأودى المقتولين من ماله، وأطلق سراح عبيد الله واخرجه إلى الكوفة وأقطعه أرضاً وداراً[2].

فنبه المقداد بن الأسود[3] الخليفة بأن الهرمزان مولى لله ولرسوله (ﷺ) وليس للخليفة ان يهب ما كان لله ولرسوله[4]، وهدد زياد بن لبيد البياضي[5] ابن عمر شعراً فقال[6]:

ألا يا عبيد الله مالك مهرب	ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر
أصبت دماً والله في غير حله	حراماً وقتل الهرمزان له خطر
على غير شيء غير ان قال قائل	انتهمون الهرمزان على عمر

(1) بيضون، ملامح التيارات، ص109.

(2) ابن سعد، الطبقات، 355/3 – 356، اليعقوبي، تاريخ، 113/2، ابن الاثير، الكامل، 467/2.

(3) نسب إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب الزهري لأنه كان قد تبناه وحالفه في الجاهلية، وهو المقداد بن عمرو ابن ثعلبة كان من السابقين إلى الإسلام، والفضلاء النجباء الكبار الاخيار من أصحاب النبي (ﷺ)، شهد المشاهد مع رسول الله (ﷺ) وتوفي في خلافة عثمان بن عفان سنة 33هـ/653م، وهو ابن سبعين سنة.

ابن قتيبة، المعارف، ص150، ابن عبد البر، الاستيعاب، 472/3 – 467.

(4) اليعقوبي، تاريخ، 113/2.

(5) ابن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة الانصاري خرج إلى رسول الله (ﷺ) بمكة واقام معه حتى هاجر إلى المدينة، فكان يقال له مهاجري، انصاري، شهد العقبة وبدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ)، واستعمله النبي (ﷺ) على حضرموت. مات في أول حكم معاوية.

ابن عبد البر، الاستيعاب، 564/1 – 565، ابن حجر، الاصابة، 558/1 – 559.

(6) ابن الاثير، الكامل، 467/2.

إلا ان الخليفة نهى زياداً عن التعريض بعبيد الله بعد أن وصلته شكاية ابن عمر من زياد[1].

ويبدو أن إبعاد ابن عمر إلى الكوفة من قبل الخليفة لم يكن اختيارياً فقد توعده الامام علي (عليه السلام) بأن يأخذ حق الله منه إذا ما وقعت عينه عليه[2]، أو قدر عليه وله سلطان[3].

ورغم ان المعترضين على قرار الخليفة كانوا من كبار صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما تقدم، فقد سعى بعض الكتّاب المصريين سعياً حثيثاً إلى تبرير قرار الخليفة فقال عرجون[4]: ان عثمان لم يعطل الحد البتة، وإنما أخر اقامته سياسة، لأنه خشي ثوران فتنة أعظم إذا تعجّل فقتل عبيد الله إذ ان قومه من عدي ثم بني أمية وكثير من المهاجرين على رأيهم ولا شك انهم سيمنعون قتله.

ويصح هذا الرأي لو أن الخليفة عاد لاقامة الحد فيما بعد إلا انه كافأ القاتل فاقطعه الأرض والدار وأبعده عن المدينة، وبقي في الكوفة آمناً حتى خلافة الامام علي (عليه السلام)[5].

وقد قاد منهج التبرير الباحث المصري إلى اعتماد المغالطة والافتراء، وتشويه الواقع التاريخي، فأثبت التهمة على المقتول وبرأ القاتل، وأجاز للخليفة ان لا يبدأ عهده باقامة الحدود لأن التحقيق لم يفتح أصلاً فقال: وإذا قام عبيد الله وغضب لقتل أبيه خليفة المسلمين بيد مجوسي أثيم وتدبير دخيل في الإسلام، وممالأة نصراني خبيث وجرثومة من جرائيم النفاق، طلب من الخليفة أن يكون أول عمله قتل ابن عمر دون تثبت أو تحقيق !!، ويصف عرجون المعترضين من المسلمين بانهم منحرفون وما يطلبونه هو سياسة خرقاء !![6].

وشاطره هذا الرأي باحث مصري آخر فوصف المعترضين بأنهم ((قلة من النكرات التي دفعتها الحمية لانتقاد حكم عثمان))[7].

ولم يعد طه حسين الخليفة عثمان (رض) معطلاً للحد أو مخالفاً لأمر الله في هذه القضية، وإنما كان مغالياً في حكمه حتى أدى الدية من ماله الخاص، وغالى في العفو والحكم حين أرسل عبيد الله إلى الكوفة وأقطعه أرضاً وداراً، إذ انه أراد ان يراعي السياسة، ويترضى قريشاً فأسرف في الأمرين جميعاً[8].

---

(1) الطبري، تاريخ، 85/5.

(2) من ذلك قوله: ((اقسم بالله لئن وقعت عيني على عبيد الله بن عمر لآخذن حق الله منه وان رغم أنف من رغم)). الشيخ المفيد، الجمل، ص176.

(3) وذلك قوله: ((لو قدرت على عبيد الله بن عمر ولي سلطان لاقتصصت منه)).

ابن سعد، الطبقات، 17/5. وينظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص169.

(4) عرجون، صادق إبراهيم، عثمان بن عفان، ط3، جده، 1410هـ/1990م، ص149 – 150. وينظر: يوسف، أمير المؤمنين، ص311، الجبري، حوار مع الشيعة، ص157.

(5) الدينوري، الأخبار الطوال، ص161، ابن الاثير، الكامل، 468/2.

(6) عثمان بن عفان، ص157 – 158.

(7) ثابت، مصطفى، عفواً... سيدي عثمان لقد ظلمك الناس، ط كندا، 1420هـ/1999م، ص77.

(8) حسين، طه، إسلاميات طه حسين، ط5، بيروت، 1412هـ/1991م، ص792 – 793.

وعرض النجار القضية وفق سياقها التاريخي وخلص إلى اعتبار عبيد الله قاتلاً متعمداً وجب عليه القصاص، ولكنه يبيح للخليفة تعطيل الحد بقوله: ((ان عثمان رأى ما رآه بعض المهاجرين من استفضاع قتله على أثر مقتل أبيه – يعني عبيد الله – وأن يكون بدء خلافته ادخال المصيبة على آل الخطاب))[1] فهو تبرير كاف من وجهة نظر الكاتب ليعطل الخليفة حداً من حدود الله.

وأضاف النجار مسوغاً لعبيد الله عمله، ومبدياً في الوقت نفسه تأثره بالاتجاه السلفي في قراءة التاريخ ((ولكن الظروف التي وجد فيها الهرمزان وما يحتفي بسيرته من الغدر المنكر.. لا توجد في القلب موضعاً للأسف لما لقيه))[2].

ان هذا الإجراء الذي اتخذه الخليفة عثمان (رض) قد غاير السياسة العمرية التي التزم بها منذ يوم واحد.. وقد رضي عن هذه السياسة قوم، وسخطها آخرون، فكان بدء خلافة عثمان (رض) محاطاً بشيء من الشك والاختلاف، وقد وسم هذا الحكم خلافته بما يميزها عن خلافة عمر (رض)[3].

فقد سار الخليفة في سياسته المالية بطريقة لم يعهدها المسلمون في عهد من سبقه[4] فقد راح يغدق الهبات الضخمة على آله وذويه وغيرهم من أعيان قريش وعلى البعض من أصحاب الشورى، وسار ولاته على نفس طريقته فراحوا يأخذون من بيوت أموال المسلمين وينفقون على ذويهم وأنصارهم المقربين، فيذكر المسعودي أن ((عثمان [كان] في نهاية الجود والكرم والسماحة والبذل.. فسلك عماله وكثير من أهل عصره طريقته))[5].

وأضاف الخليفة إلى عطاياه السخية للطبقة الثرية فرصة لتنمية ثرواتها عندما اقترح على أهل المدينة أن ينقل الناس فيئهم من الأرض حيث أقاموا، فانتهز الاغنياء الفرصة فاشتروا بأموالهم المكدسة أراضٍ في البلاد المفتوحة، وبادلوا بأرضهم في الحجاز أراضي في الأمصار الأخرى، وجلبوا لها من يعمل فيها ويستثمرها[6].

---

(1) الخلفاء الراشدون، ص265 – 266.

(2) المصدر نفسه، ص267. وينظر: محاولة مصطفى ثابت تبراة عبيد الله بن عمر بدعوى انه كان في حالة جنون مؤقت افقده رشده فالمتهم غير مذنب فيما لو قدمت القضية امام محاكم الدول الغربية اليوم التي تطبق العدل إلى أقصى درجة !!. عفواً سيد عثمان، ص76 – 77.

(3) الشريف، دور الحجاز، ص280.

(4) اعترض الامام علي (عليه السلام) على سياسة الخليفة المالية مقارنا ذلك بسياسة أبي بكر وعمر فقال: ((... فلست كأحدهما... انهما وليا هذا الأمر فظلفا أنفسهما واهليهما عنه، وعمت فيه وقومك عوم السابح في اللجة ! فحتى متى، وإلى متى)). ابن أبي الحديد، شرح النهج، 15/9.

(5) مروج الذهب، 76/3.

(6) الطبري، تاريخ، 110/5، ولا يخفى ان القرار يخالف الاتجاه الذي اقر زمن عمر بن الخطاب بعدم بيع أرض الصوافي باعتبارها ملكية مشتركة للمقاتلة.

ياسين، نجمان، تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين، ط الموصل، 1409هـ/1988م، ص250.

وقد نمت ثروات أولئك النفر نمواً كبيراً، حتى بلغت ملايين الدنانير مع غيرها من القطائع والأراضي والقصور[1]. فنمت بذلك أرستقراطية دينية سداها المال ولحمتها السبق في الإسلام وصحبه الرسول[2].

وإلى جانب هذه الطبقة كانت هناك طبقة فقيرة معدمة تكونت من استئثار عمال الخليفة بالفيء والغنائم لأنفسهم[3]، وحرمان المقاتلة منها، مدعين ان الفيء لله وليس للمحارب سوى اجر قليل يدفع إليه، فرأى هؤلاء أن قريشاً حرمتهم حتى من الغنائم التي كانت تعطى للمحارب على عهد الرسول (ﷺ) وخليفتيه من بعده[4].

وكان رأي عثمان (رض) وهو خليفة للمسلمين في أموال بيت المال: ((لنأخذن حاجتنا من هذا الفيء، وان رغمت به انوف اقوام، فقال له علي (عليه السلام): اذن تمنع من ذلك، ويحال بينك وبينه))[5].

ومع هذه الفوارق الطبقية بين الاغنياء والطبقة العامة من المجتمع ظهر الترف، وبدأ بعض الناس يلعبون الميسر، ويحتسون الخمر[6] بل ان ولاة المسلمين انفسهم شربوا الخمر وحدوا فيه، ولعل حادثة الوليد بن عقبة وصلاته بالناس سكراناً دليل على ذلك[7] وانغمس الاثرياء وأولادهم في اللهو الحرام والمجون حتى ذكر ان الوليد ابن الخليفة عثمان كان صاحب شراب وفتوة ومجون وكان يوم قُتل أبوه سكراناً[8].

ولا شك ان هذا الوضع قد أثار نقمة عدد لا يستهان به من أهل التقوى في المدينة والأمصار المختلفة، وضاعف سلوك الخليفة ازاء معارضي سياسته المالية النقمة والتذمر لدى عامة الناس، فقد عارضه خازن بيت مال المسلمين فاجابه عثمان (رض): ((إنما أنت خازن لنا، فإذا اعطيناك فخذ، وإذا سكتنا عنك فاسكت. فقال: كذبت والله ! ما انا لك بخازن، ولا لأهل بيتك، إنما أنا خازن المسلمين))[9].

وكان من اشد معارضيه في سياسته المالية، أبو ذر الغفاري (رض) الذي أرسله إلى معاوية بالشام وأعاده معاوية إلى المدينة، خوفاً من انتقاض الأمر عليه بفعل دعوة أبي ذر

---

(1) ينظر: المسعودي، مروج الذهب، 76/3 – 77.

(2) حسن، تاريخ الإسلام، 357/1.

(3) ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 136/6 – 137.

(4) شمس الدين، ثورة الحسين، ص38، حسن، تاريخ الإسلام، 358/1.

وينظر: عمارة، محمد، الفكر الاجتماعي لعلي بن ابي طالب ضمن كتاب علي بن أبي طالب نظرة عصرية جديدة، ط بيروت، 1394هـ/1974م، ص12، ص26.

(5) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 49/3، وينظر قوله: ((... فلمَ لا أصنع في الفضل ما أحببت ؟ فلم كنتُ اماماً إذاً ؟)). ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص603.

(6) ينظر: الطبري، تاريخ، 186/5.

(7) المصدر نفسه، 104/4 – 108، المسعودي، مروج الذهب، 78/3.

(8) المسعودي، مروج الذهب، 76/3.

(9) اليعقوبي، تاريخ، 117/2.

(رض) إلى معارضة أعمال الولاة واستئثارهم، فنفاه عثمان (رض) إلى الربذة حتـــى مـــات فيها وحيداً[1].

وقد كان عمال الخليفة يتصرفون على وفق هذه السياسة، فسواد العراق بستان لقريش ما شئنا أخذنا منه، وما شئنا تركناه على حد قول سعيد بن العاص والي عثمان (رض) على الكوفة، فعارضه مالك الأشتر[2] بالقول: ((أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستانا لك ولقومك ؟))[3] وقسى عبد الله بن أبي سرح على الناس في جباية الخراج بمصر وأسرف في الظلم ليثبت للخليفة بأنه اكفأ من سلفه عمرو بن العاص[4].

وقد اتضح في وقت مبكر ان الخليفة عثمان (رض) كان واجهة كمن خلفها الأمويـــون، وعززت الاحداث ذلك، إذ اسند إلى آله وذويه الولايات الكبرى في دولة الخلافة، فولى عبـــد الله بن عامر بن كريز ابن خاله على ولاية البصرة وعمره خمس وعشرون سنة بعد عـــزل أبي موسى الأشعري عنها[5] وولى الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعد سعد بـــن أبـــي وقاص[6] ثم عزله وولى مكانه سعيد بن العاص بن أمية[7] أما الشام فقد كانت دمشق والأردن لمعاوية ثم ضم إليه الخليفة عثمان (رض) ولاية حمص وفلسطين والجزيرة[8] وكانت مصر لأخيه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعد عزله لعمرو بن العاص[9].

ولم يكن سلوك أغلب هؤلاء الولاة الديني والاداري في أمصارهم مقبولاً في رعيتهم، إذ كانوا لا يُخفون تعصبهم لقريش، ولم يكن لهم من السابقة في الدين والجهاد في الإسلام ما لغيرهم، وكانوا متهمين في دينهم، فمن طليق إلى طريد لرسول الله (ﷺ) إلى شارب للخمر.

---

(1) ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 167/6، المسعودي، مروج الذهب، 83/3 – 85.

(2) ابن الحرث بن يغوث بن سلمة بن ربيعة... بن مالك بن النخع النخعي كان رئيس قومه، وكان له مواقف مذكورة في فتوح الشام، صحب علي وشهد معه الجمل وصفين، وولاه على مصر فلما وصل القلزم شرب شربة عـــسل فمات فقيل انها كانت مسمومة وكان ذلك سنة 38هـ/658م. ابن حجر، الاصابة، 482/3.

(3) البلاذري، أنساب الاشراف، 152/6، ابن ابي الحديد، شرح النهج، 21/3.

(4) الطبري، تاريخ، 96/5.

(5) الدينوري، الأخبار الطوال، ص139، الطبري، تاريخ، 99/5.

(6) الطبري، تاريخ، 93/5، ابن الاثير، الكامل، 476/2 – 477.

(7) الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (ت236هـ/850م)، نسب قريش، عنى بنشره وتـصحيحه: إ. ليفـي بروفنسال، ط القاهرة، 1420هـ/1999م، ص138، ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ص33، اليعقـوبي، تـاريخ، 114/2.

(8) الدينوري، الأخبار الطوال، ص140 – 141، الطبري، تاريخ، 201/5.

(9) الزبيري، نسب قريش، ص433، ابن الأثير، الكامل، 482/2.

ومثلما استحثت سياسة الخليفة المالية والإدارية معارضة من رأى فيها تجاوزاً وخروجاً على حدود الإسلام وسيرة الخلفاء قبله، فقد رأى بعض الطامحين في الخلافة في فساد الأوضاع العامة، وشيوع التذمر والنقد فرصة للتخلص من عثمان (رض) للوصول إلى غاياتهم فذهبوا كل مذهب للمساهمة في زيادة النقمة على الخليفة. فكان طلحة والزبير أكثر من يؤلب عليه[1] وحرض عمرو بن العاص الناس عليه وقال حين وصله نبأ مقتل الخليفة: ((انا أبو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها، إن كنت لأحرض عليه، حتى اني لأحرض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل))[2].

وأرسل مروان بن الحكم البريد إلى مصر بختم الخليفة وعلى دابته وبيد غلامه بقتل محمد بن أبي بكر[3] ومعاقبته ومن معه لأنهم عارضوا سياسة الخليفة وواليه على مصر، ووضع الغلام على طريق الوفد المصري الذي اشتكى للخليفة من مظالم الوالي وطالبه بالإصلاح ليعود المصريون للتضييق على الخليفة ثانية[4] وأما معاوية فقد استصرخه عثمان (رض) للدفاع عنه فقدم في اثنى عشر ألفاً، جعلهم في أوائل الشام، وجاء إلى عثمان في المدينة، فاتهمه الخليفة قائلاً: أردت ان أقتل فتقول: أنا ولي الثأر، ارجع فأتني بالناس، فرجع ولم يعد حتى قتل عثمان[5]. وكان كل هؤلاء ممن رفع قميص عثمان وطالب بالثأر من قاتليه، وهم قاتليه بدون ريب.

وقد حاول أهل المدينة الوقوف بوجه التحولات الخطيرة في الدولة التي أدت إلى هدر الحقوق، وتغيّر السُنة فأرسلوا إلى المسلمين بمصر: ((من المهاجرين الأولين وبقية الشورى، إلى من بمصر من الصحابة والتابعين،.. أن تعالوا إلينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل ان يُسلبها أهلها، فان كتاب الله قد بدل، وسُنة رسوله قد غيرت، وأحكام الخليفتين قد بدلت، فننشد الله من قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله والتابعين باحسان، إلا أقبل إلينا، وأخذ الحق

---

(1) ينظر: ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص613، البلاذري، انساب الاشراف، 195/6، 196، 201. ومن المحرضين على الخليفة لدوافع أخرى السيدة عائشة. ينظر: المقدسي، البدء والتاريخ، 205/5.

(2) الطبري، تاريخ، 158/5.

(3) يكنى أبا القاسم، وكان من نساك قريش، وهو ممن أعان على قتل عثمان، ولاه الامام علي مصر في خلافته فأرسل إليه معاوية جيشاً فقاتله وظفر به فقتله.

ابن قتيبة، المعارف، ص102.

(4) ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 177/6، 181 – 182، المقدسي، البدء والتاريخ، 204/5.

(5) اليعقوبي، تاريخ، 121/2 – 122.

لنا، وأعطاناه.. غلبنا على حقنا واستولي على فيئنا، وحيل بيننا وبين أمرنا، وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة ورحمة، وهي اليوم ملك عضوض، من غلب على شيء أكله))[1].

ولم يكن هذا آخر ادوارهم فعندما وصلت وفود الأمصار إلى عاصمة الدولة تطالب الخليفة بالإصلاح[2] ((كتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة، ويحتجون ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله))[3]، فضلاً عن باقي المسلمين الذي كانوا يراجعون الخليفة في شأن ولاته وسياسته التي نقموها ويطالبونه بعزلهم فلا يعزلهم. وقد تمخضت هذه الملابسات والظروف السيئة عن حركة عامة، ان فقدت النظام... فانها لم تفقد وحدة الأفكار الدافعة والأهداف المشتركة[4] فكانت ثورة الناس على الخليفة التي أدت إلى قتله سنة 35هـ/655م.

ومن الواضح ان الاستئثار الأموي بمؤسسة الخلافة واجهزتها الإدارية قد أدى إلى ((انحطاط كبير في فهم الخلافة ونظام الحكم في الإسلام، كان حرياً بالخليفة أن يتداركه، لكنه الفهم الذي استقر في أذهان كبراء بني أمية منذ البداية))[5].

فقد صرح أبو سفيان في أعقاب الشورى العمرية بان الملك صار في أيدي الأمويين يتلقفونه كما يشاؤون[6]، وقال الوليد بن عقبة لسعد بن أبي وقاص وهو يتسلم منه ولاية الكوفة بعد عزله من الخليفة عثمان بن عفان: ((لا تجزعن يا أبا اسحاق، فانه الملك يتغداه قوم، ويتعشاه آخرون، فقال سعد: أراكم والله ستجعلونه ملكاً))[7].

وخرج مروان بن الحكم على الناس التي جاءت معترضة على الخليفة عثمان في أواخر أيامه قائلاً:

((ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم جئتم لنهب ! شاهت الوجوه ! جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا ! اخرجوا عنا...))[8].

---

(1) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 34/1.

(2) وقد اشترطوا جميعا: ((أن المنفي يُقلب، والمحروم يعطى، ويُوفر الفيء، ويُعدل في القسم، ويُستعمل ذوو القـوة والأمانة)). البلاذري، انساب الاشراف، 215/6.

(3) الطبري، تاريخ، 166/5.

(4) شمس الدين، ثورة الحسين، ص48.

(5) عبد الحميد، تاريخ الإسلام، ص429.

(6) المسعودي، مروج الذهب، 86/3، وينظر: البلاذري، انساب الأشراف، 19/5.

(7) الجوهري، السقيفة، ص120.

(8) البلاذري، انساب الاشراف، 180/6 – 181، الطبري، تاريخ، 162/5.

وحين وصلت المعارضة على الخليفة عثمان (رض) ذروتها وخيّرته بالاصلاح أو ان يعزل نفسه عن الخلافة إذا كان عاجزاً عنه قال:

((لم أكن لاخلع سربالاً سربلنيه الله))[1]. وهو بهذا الجواب ألغى أي حق للأمة إذ جعل الخلافة هبة من الله تعالى، إذا وهبها أحداً فلا يحق له التنصل منها بأي عذر، ولا يحق للأمة أن تأخذ على يده وتستبد له بغيره ان هو شذّ عن الجادة[2].

ومن خلال هذا المفهوم بانتفاء دور الشعب في اختيار الحاكم او محاسبته رفض عثمان (رض) الاحتجاج على سياسته أو النقد لها.

وكان يغذي هذه النزعة لديه الشعور السائد في اسرته الأموية بأنها استعادت ملكاً مفقوداً وحقاً قديماً في السلطة والنفوذ[3].

ولعل هذه الاشكالية نفسها هي التي ستفعل فعلها في قابل الأيام إذ ورث علي (عليه السلام) منذ وصوله للسلطة سنة 35هـ/655م بناءً جديداً أصبح في قمته بنو أمية، وهم من الطلقاء الذين أسلموا متأخرين، وفي سفحه الأنصار الذين رضوا أن تكون الخلافة في قريش، ثم رضوا أن تستأثر قريش بولاية الأمصار، وامتلاك الأرض والمال، ولم يشاركهم في اسفل السلم الاقتصادي إلا الشعوب المغلوبة من أصحاب الاقطار المفتوحة حديثاً... هذا هو البناء المختل الذي ورثه عليّ (عليه السلام) فأراد ان يقوّمه، فاستنكر عليه سادة قريش عزمه على الإصلاح[4].

رأى الامام علي (عليه السلام) المجتمع الإسلامي قد تردى في هوة الفوارق الاجتماعية والاقتصادية في السنوات التي سبقت خلافته، فعمل على انجاز اصلاحات شملت الإدارة والحقوق والمال، ففي الإدارة عزل ولاة عثمان (رض) باستثناء أبي موسى الاشعري الذي رضي به أهل الكوفة[5]، وفي ذلك قال: ((وأما الذي يلزمني من الحق والمعرفة بعمال عثمان فوالله لا أولي منهم أحداً أبداً فإن أقبلوا فذلك خير لهم، وإن ادبروا بذلت لهم السيف))[6]. وعندما قيل له: انزع من شئت وأترك معاوية فإن له جرأة، قال (عليه السلام):

لا استعمل معاوية يومين أبداً[7].

وأما في الحقوق فقد عدّ الامام علي (عليه السلام) المسلمين سواء في الحقوق والواجبات في

---

(1) الطبري، تاريخ، 168/5.

(2) عبد الحميد، تاريخ الاسلام، ص429.

(3) بيضون، ملامح التيارات، ص110.

(4) صبحي، أحمد محمود، الزيدية، ط بيروت، 1405هـ/1984م، ص46، عبد الحميد، تاريخ الإسلام، ص599.

(5) الدينوري، الأخبار الطوال، 141، اليعقوبي، تاريخ، 124/2.

(6) الطبري، تاريخ، 213/5.

(7) ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 11/3، الطبري، تاريخ، 214/5، ابن عبد البر، الاستيعاب، 390/3 – 391.

الإسلام[1] وإنما على الامام الاستقامة[2] وخطب في أول عهده قائلاً: ((ان الله حـرّم حرمـاً غير مجهولة، وفضّل حرمة المسلم على الحرم كلها، وشد بالاخلاص والتوحيد المـسلمين.. اتقوا الله في عباده وبلاده، انكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عزّ وجلّ ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوه، وإذا رأيتم الشر فدعوه))[3].

وقد ساوى الامام علي (عليه السلام) في قسمة العطاء بين الناس على ما كـان رسـول الله (صلى الله عليه وآله) يفعل[4]. وأمر بمصادرة جميع ما اقطعه عثمان من القطائع وما وهبه إلى الأغنياء والمتنفـذين من أموال فقال كلمتهُ الصريحة في ذلك: ((والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الاماء، لرددته، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق))[5].

وقد حاول بعض المتنفذين ممن هددت هذه الإجراءات الاقتصادية مـصالحهم مـساومة الامام علي (عليه السلام) فقال مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة: نبايعك على أن ((تضع عنا ما أصبنا وتعفى لنا عما في ايدينا.. فغضب علي وقال:... وأما وضعي عنكم ما أصبتم، فليس لي ان أضع حق الله تعالى، واما إبقائي عما في أيديكم فما كان لله وللمـسلمين فالعدل يسعكم...))[6].

فأبصر بنو أمية أموالا جمعوها تنتزع لتعود ملكاً للمسلمين عامة فهـالهم مـا رأوا[7]، وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية يقول له:

((ما كنت صانعاً إذا قشرت من كل شيء تملكه، فاصنع ما أنت صانع))[8].

وقد توفرت في معاوية مقومات زعامة القرشيين من غير المهاجرين للعودة إلى واجهة الأحداث، وأصبحت الشام نقطة الثقل القرشي بما يعنيه ذلك من أهمية فـي تعزيـز النفـوذ المعنوي لمعاوية الذي يدافع عن مبدأ (الشرعية الأموية) ويلتف حوله حزب سياسي كانـت نواته هذه العصبية القرشية[9].

---

(1) قال الامام علي (عليه السلام) موضحا ذلك: ((ألا انه من استقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أجرينا عليه أحكام القران، وأقسام الإسلام)).

المحمودي، محمد باقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، تصحيح: عزيز آل طالب، ط طهران، 1418هـ/1997م، ص514.

(2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص140.

(3) الطبري، تاريخ، 211/5.

(4) ابن أبي طالب، نهج البلاغة، ص405، المحمودي، نهج السعادة، ص215.

(5) المصدر نفسه، ص48، ابن ابي الحديد، شرح النهج، 269/1 – 270.

(6) اليعقوبي، تاريخ، 123/2 – 124.

(7) عبد الحميد، تاريخ الإسلام، ص558 – 559.

(8) المسعودي، مروج الذهب، 98/3.

(9) بيضون، إبراهيم، الحجاز والدولة الإسلامية – دراسة في اشكالية العلاقة مع السلطة المركزية في القـرن الأول الهجري، ط بيروت، 1403هـ/1983م، ص196.

وقد بدت أهمية الشام كمعقل لمعاوية ومركز ثقل قبال الحجاز والكوفة، وبـدأ معاويـة معتمداً على أهلها في الوصول إلى الخلافة التي عادت من جديد لتخـضع لمنطـق الغلبـة، فمعاوية يقول: ان فرصة الوصول للحكم وافرة، فإن كان بايع علي ((أهل الحجـاز وأهـل العراق فقد بايعني أهل الشام، وان هؤلاء في الأمر سواء ومن غلب على شيء فهو له))[1].

وعلى وفق ذلك سلك معاوية أساليباً متنوعة للوصول إلى مبتغاه[2]، وتـوج ذلـك بعـد استشهاد الامام علي (عليه السلام) سنة 40هـ/660م واضطرار الحسن (عليه السلام) على عقد الصلح سنة 41هـ/661م، فوصل إلى سدة الحكم فخوراً بأنه ((أول الملوك))[3].

وقد ميز الامام الحسن (عليه السلام) وهو يسلم الأمر إلى معاوية بين الخليفة والملك وكأنه يضع حداً فاصلاً لتلك الحقبة التي نظر الناس إلى الحكم فيها على انه خلافة النبوة، وامتداد لـذلك النظام العادل الذي أرساه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال:

((إنما الخليفة من سار بكتاب الله، وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وليس الخليفة من سار بالجور، ذلك مَلِك ملَك مُلكاً يمتّع به قليلاً ثم تنقطع لذته وتبقى تبعته))[4].

ولم يحفل معاوية بما اشترطه الحسن (عليه السلام) بأن تكون الخلافة من بعـده شـورى بـين المسلمين، فسعى في أواخر أيامه إلى ان يجعل الخلافة في ابنه يزيد فاستقر ((فـي الإسـلام لأول مرة هذا الملك الذي يقوم على القوة والخوف، والذي يرثه الابناء عن الآباء، وأصبحت الأمة كأنها مُلك لصاحب السلطان ينقله إلى مَن أحب من أبنائه))[5].

مما تقدم يتبين أبرز التغيرات التي طرأت على مفهوم الخلافة والتـي احتاجـت عـودة بالمسار إلى النظرة الإسلامية الأصيلة للحكم والحاكم، والتي دفعـت الحـسين (عليه السلام) إلـى الوقوف بوجه أئمة الجور.

وقد تفاقمت التحولات الاجتماعية والاقتصادية والإدارية حتى بلغت ذروتها علـى يـد معاوية وولاته، فاستدعت وقوفاً فاعلاً لا يعطل فريضة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ولا يتماشى مع ذلك الانحدار الكبير الذي باتت تمثله السلطة في الدولة الإسلامية.

---

(1) ابن اعثم، الفتوح، 533/2.

(2) ينظر: الحسناوي، المعارضة، ص463 – 496.

(3) ابن عبد البر، الاستيعاب، 400/3.

(4) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص80، وينظر: البيهقي، إبراهيم بن محمـد (ت بعـد سـنة 320هـ/932م)، المحاسن والمساوئ، وضع حواشيه: عدنان علي، ط بيروت، 1420هـ/1999م، ص68.

(5) الشريف، دور الحجاز، ص416.

المبحث الثاني

الأوضاع العامة في المجتمع الإسلامي في عهد معاوية (41 – 60هـ/661 – 679م) وموقف الامام الحسين (عليه السلام) منها

استقرت ولاية الشام لمعاوية بن أبي سفيان منذ خلافة عمر بن الخطاب (رض) (13 – 23هـ/634 – 643م) سنة 19هـ/640م[1].

وقد عقد أبو سفيان بن حرب الآمال بعد أن فقد دوره السياسي في المجتمع الجديد على أبنائه عامة ومعاوية خاصة إذ كانوا أكثر قدرة على التحرك في نطاق المتغيرات التي تصدى لها، كونهم اقل ارتباطاً بالصراع الذي تزعمه ضد الدولة الجديدة[2].

فلم يكن غريباً أن يغذي طموح ابنه معاوية ويدفعه إلى العمل السياسي لبلوغ الهدف الذي لم يصل إليه لاختلاف الظروف الموضوعية، ويرى ان ولاية معاوية هي الباب المفتوح للخروج من نطاق (الاتباع) إلى نطاق (السادة)[3].

وقد تجاوز نفوذ معاوية حدود الوالي العادي انطلاقا من موقع الشام الجغرافي، ومسوغات القوة الذاتية التي حرص على تحقيقها سواء على صعيد التحالف القبلي أو بناء السلاح البحري، وقد كان الخليفة عمر (رض) قادراً على احتواء سلطة معاوية الذي مثل بني عبد شمس في السلطة من خلال صيغة التوازن المنتهجة في عهده، والتزم معاوية بحدود الدور الذي رسمه له الخليفة دون القيام بنشاط ما قد يثير شكوكه[4]، ويبدو أن طموح معاوية وقوته التي صار عليها لم تكن بعيدة عن إدراك الخليفة عمر (رض) الذي حذّر أهل الشورى من تداعيات ذلك قبيل موته بالقول:

((إياكم والفرقة بعدي، فإن فعلتم فاعلموا أن معاوية بالشام. فإذا وكلتم إلى رأيكم كيف يستبزها منكم))[5].

---

(1) ابن عبد البر، الاستيعاب، 396/3.

(2) بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، ص193.

(3) أوصى أبو سفيان ابنه معاوية فقال: ((ان هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقوا وتأخرنا فرفعهم سبقهم، وقصر بنا تخلفنا، وصاروا قادة، وصرنا اتباعا. وقد ولوكم جسيماً من أمرهم فلا تخالفوهم، وانك تجري إلى أمد لم تبلغه وستبلغه)).

البلاذري، انساب الاشراف، 17/5.

(4) بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، ص192.

(5) ابن حجر، الاصابة، 434/3.

وبعد وفاة الخليفة عمر (رض) وتولي عثمان (رض) الخلافة أقر معاوية على ولاية الشام اثنتي عشرة سنة[1]، تعزز نفوذ معاوية خلالها وعمل على ان لا يبقي في بلاد الشام صحابياً يرد عليه، أو ينتقد سياسته، أو يذم أفعاله.. تمهيداً لسلطان اوسع يرتقبه[2].

وبعد مقتل الخليفة عثمان (رض) سنة 35هـ/655م استمر معاوية والياً على الشام معارضاً للخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام) (35هـ/655م – 40هـ/660م)، فلم يبايع ولم يعتزل عمله[3]. وحصل على بيعة أهل الشام له على الطلب بدم عثمان (رض) بعد أن خطب فيهم مبيناً أهليته لولاية الشام فهو والي الخليفة عمر (رض) ووالي الخليفة عثمان (رض)، الحسن السيرة فيهم، وولي عثمان المقتول ظلماً[4]، على حد قوله.

وقد رأى بعض المؤرخين المصريين أن معاوية لم يقاتل علياً (عليه السلام) إلا في أمر عثمان (رض) لأنه ولي دمه، واستند في قتاله إلى النصوص النبوية التي تظهر ان عثمان يُقتل مظلوما، ويصف الخارجين عليه بالمنافقين[5] واتهم بعضهم الآخر ان الامام علي (عليه السلام) تستر على القتلة وبويع بيعة ناقصة لافتراق أهل الحل والعقد في الأمصار فلم يحضر البيعة إلاّ قليل منهم، وامتنع بعض كبار الصحابة عنها، فمعاوية معذور في عدم البيعة والقتال[6].

وقد انساق هؤلاء الباحثين وراء تعصبهم لاعذار معاوية فالامام علي (عليه السلام) لا يتحمل وزر دم عثمان (رض)، وقد أُتهم معاوية من أكثر من صحابي بخذل عثمان (رض)، وعدم نصرته وهو يستطيع حتى حلّ به الموت فاتخذ الطلب بدمه وسيلة إلى غايته[7] فإذا ما وصل إلى الحكم نسي مقولة الثأر وعلل لأبنة عثمان (رض) التي ندبت أباها أمامه إشارة منها إلى إهمال معاوية لثأره بأن إظهار هذا الأمر الآن يؤلب الناس ويثيرها وقد تكون الدائرة على بني أمية[8]، وإذا تتبع المنصف سيجد أن الامام علي (عليه السلام) لم يطلب ممن ألحوا بأخذ ثأر

---

(1) ابن عبد البر، الاستيعاب، 396/3.

(2) عبد الحميد، تاريخ الإسلام، ص565، وينظر: موقفه من عبادة بن الصامت، وأبي ذر الغفاري حين انتقدوه في الشام، ومن منفيي الكوفة الذين أخرجهم إلى حمص خشية افساد أهل الشام عليه.

مسلم، صحيح، ص700 – 701، الطبري، تاريخ، 112/5 – 113، 138/5، ابن عبد البر، الاستيعاب، 450/2.

(3) ابن عبد البر، الاستيعاب، 396/3.

(4) ينظر: المنقري، صفين، ص32، ابن اعثم، الفتوح، 509/2 – 510.

(5) النجار، عامر، الشيعة وامامة علي، ط القاهرة، 1425هـ/2004م، ص27.

(6) ينظر: شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها، ط9، القاهرة، 1417هـ/1996م، 35/2، شاهين، حمدي، الدولة الأموية المفترى عليها دراسة الشبهات ورد المفتريات، ط2، القاهرة، 1426هـ/2005م، ص169.

(7) ينظر: المنقري، صفين، ص187 – 188، ابن شبه، تاريخ المدينة، 1289/4، الطبري، تاريخ، 301/5 – 302.

(8) البلاذري، انساب الاشراف، 133/5، ابن كثير، البداية والنهاية، 132/8 – 133.

الخليفة عثمان (رض) أكثر من التريث حتى تستتب أمور الدولة ثم يأخذ العدل مجراه[1]، فلماذا لم يكن علي (عليه السلام) في نظر هؤلاء معذوراً كما عذر معاوية ؟

وقد حارب معاوية الامام علي (عليه السلام) في صفين سنة 37هـ/657م واستقل بالشام وأضاف لها مصر، ثم تسمى بالخلافة بعد الحكمين[2]. واتبع معاوية سياسة الترهيب والقسوة مع كل من لا يتفق مع هواه فوجه أحد قادته إلى هيت[3] في ستة آلاف ليغير عليها ثم يأتي الانبار[4] والمدائن[5] فيوقع بأهلها[6] الذين كانوا مع الامام علي (عليه السلام) ويتبين من وصيته لقائد تلك الغارات ان معاوية ابتغى من منها اهداف عديدة فهي تصيب أهل العراق فـ ((ترعب قلوبهم، وتفرح كل من له هوى فينا منهم، وتدعو إلينا كل من خاف الدوائر، فاقتل كل من لقيته ممن هو ليس على مثل رأيك، واضرب كل ما مررت به من القرى، واحرب الأموال فإن حرب الأموال شبيه بالقتل وهو أوجع للقلب))[7].

وقصدت غارات معاوية أطراف الكوفة لحرب كل من هو في طاعة الامام علي (عليه السلام)، فأخذت الأموال والامتعة وقتل الناس في الثعلبية[8] والقطقطانة[9]. وكذلك كان الحال مع من وجه إليهم غاراته في الحجاز واليمن إذ أوصى معاوية من أرسله إليهم أن لا ينزل على ((بلد أهله على طاعة علي إلاّ بسطت عليهم لسانك حتى يروا أنهم لا نجاة لهم، وانك محيط بهم ثم اكفف عنهم وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبى فاقتله واقتل شيعة علي حيث كانوا))[10].

---

(1) ينظر: ابن أبي طالب، نهج البلاغة، ص298 – 299.

(2) ابن حجر، الاصابة، 433/3.

(3) بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة. البكري، معجم، 1357/4، ياقوت، معجم البلدان، 421/5.

(4) مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ، وكان الفرس يسمونها فيروز سابوز. ياقوت، معجم البلدان، 257/1.

(5) بناها انوشروان بن قباذ في العراق وأقام بها هو ومن جاء بعده من الملوك الساسانيين حتى تم فتحها في سنة 16هـ/637م على يد سعد بن أبي وقاص زمن الخليفة عمر بن الخطاب. المصدر نفسه، 74/5 – 75.

(6) الطبري، تاريخ، 56/6 – 57.

(7) الثقفي، الغارات، ص320 – 321، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 85/2 – 86.

(8) من منازل طريق مكة من الكوفة وهي ثلثا الطريق، وأسفل منها ماء يقال له الضويجعة، البكري، معجم، 341/1، ياقوت، معجم البلدان، 78/2.

(9) موضع قرب الكوفة من جهة البرية بينها وبين الرهيمة نيف وعشرون ميلاً إذا خرجت من القادسية تريد الشام. ياقوت، معجم البلدان، 374/4.

(10) الثقفي، الغارات، ص409، ابن أبي الحديد، شرح النهج، 6/2 – 7. وينظر موقف بسر بن ارطأة الذي أرسله معاوية إلى أهل المدينة وما فعله من تهديد وشتم وقتل. الثقفي، الغارات، ص417، الطبري، تاريخ، 59/6، المسعودي، مروج الذهب، 211/3.

وقد استمرت سياسة معاوية هذه بعد قتل علي (عليه السلام) لتتخذ شكلاً أكثر تنظيماً، وأشد قسوة وعنفاً، فقد بلغ ترهيب معاوية حداً جعل الناس يفضلون ان يقال لأحدهم زنديق أو كافر ولا يقال عنه انه من شيعة علي[1].

وبعد أن تم الصلح بين الحسن (عليه السلام) ومعاوية في عام 41هـ/661م الذي أطلق عليه عام الجماعة[2] بعد تغلب معاوية، ((وما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الذي تحولت فيه الامامة ملكاً كسروياً، والخلافة غصباً قيصرياً، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق))[3]. أخذ معاوية البيعة من أهل الكوفة وهم لها كارهين[4]، واستقر في أذهان الناس الفارق بين عهد الخلافة، وعهد الملك الذي مثله معاوية[5].

وقد نكث معاوية العهد الذي أعطاه للامام الحسن (عليه السلام) ولم يفِ بالشروط التي أخذ بها نفسه وضمنها للحسن (عليه السلام)[6]، وقد نال البلاء العراق عامة وأهل الكوفة خاصة، وخاف الناس الوشاية بهم لاسيما بعد أن كتب معاوية لعماله في الافاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، ولينظروا إلى من قامت عليه البيّنة بحب علي (عليه السلام) وأهل بيته فليمحوه من الديوان، ويسقطوا عطاءه ورزقه، وتلى ذلك كتاب آخر يأمر فيه بالتنكيل وهدم الدور لكل من اتهم بموالاة آل البيت (عليهم السلام)[7].

ويبدو هذا الاستهلال القمعي في أول حكم معاوية متسقاً مع الطريقة التي وصل بها إلى السلطة، فلا شك ان نظامه القائم على الغلبة والإكراه سيلجأ إلى القوة لحماية نفسه لاسيما مع أكثر الأطراف خطراً وهم شيعة علي (عليه السلام) والموالين له.

---

(1) ابن أبي الحديد، شرح النهج، 44/11.

(2) ((ولو حاسبه التاريخ حسابه الصحيح لما وصفه بغير مفرق الجماعات ولكن العبرة لقارئ التاريخ في زنة الأعمال والرجال أن تجد من المؤرخين من يسمي عامهُ حين انفرد بالدولة عام الجماعة، لأنه فرق الأمة شيعا شيعا)).

العقاد، عباس محمود، معاوية بن أبي سفيان، ط4، القاهرة، 1424هـ/2003م، ص37.

(3) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ/868م)، رسائل الجاحظ – رسالة في النابتة، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط القاهرة، 1385هـ/1965م، 11/2.

(4) ومما جاء في خطبة معاوية في أهل الكوفة بعد البيعة: ((اني والله ما قاتلتكم لتصلوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجوا، ولا لتزكوا انكم لتفعلون ذلك. وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون)). الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص77.

(5) قال صعصعة بن صوحان لمعاوية مبينا ذلك الاختلاف: ((وانى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً وأدانهم كبراً واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً)).

المسعودي، مروج الذهب، 222/3 – 223. وينظر: ابن الاثير، الكامل، 275/3.

(6) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص77، ابن اعثم، الفتوح، 294/4.

(7) ابن أبي الحديد، شرح النهج، 44/11 – 46.

ومن الوسائل الناجعة التي رأى معاوية انها تحقق له التخلص من خطر الكوفيين شيعة وخوارج هي ضرب بعضهم ببعض، فلم يكد الصلح مع الحسن (عليه السلام) يتم حتى أمر معاوية أهل الكوفة بالخروج لقتال الخوارج مؤكداً ان لا أمان لهم عنده حتى يكفوه إياهم، فلم ينعموا بالسلم الذي تعطشوا إليه[1]. وأمد واليه على البصرة عبد الله بن عامر بن كريز جيش الكوفيين الخارج لملاقاة الخوارج برجال من الشيعة أيضاً[2].

لقد كان معاوية على درجة عالية من الذكاء وبعد النظر بحيث انه كان يدرك متطلبات هذا الاقليم أو ذاك من خلال المؤثرات الداخلية والخارجية المتداخلة في سلوكه العام فعمل ما استطاع على استيعاب الولايات المختلفة.. ولعل هذه الذهنية أول ما انطبقت على العراق الذي اتخذ منذ البدء موقفاً خاصاً في علاقاته مع الحكم الأموي فالمعروف ان هذا الاقليم استسلم في أعقاب هزيمة سياسية افقدته الكثير من طاقاته مادياً وبشرياً كما انتزعت منه دوره المركزي والاقتصادي ليصبح بعد ذلك هدف السياسة القمعية بصورة مباشرة[3].

ولى معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة بعد أن آل الحكم إليه وقد استقامت له الأمور فيها وظل والياً عليها حتى وفاته سنة 50هـ/670م وأبرز ملامح سياسته كما يستشف من المصادر:-

1- استخدام المغيرة للشيعة في قتال الخوارج الذين ثاروا على الحكم الأموي وخرجوا لقتاله، فأرسل من الكوفة ثلاثة آلاف من الشيعة لقتالهم[4].

2- أوصى معاوية المغيرة بن شعبة حين ولاه الكوفة بعدم التورع على شتم علي (عليه السلام) وذمه والعيب على أصحابه وترك الاستماع إليهم[5]، وقد سار المغيرة في تطبيق هذه السياسة فبدأ يذم الامام علي (عليه السلام) في المسجد ويلعنه[6].

لقد كان سب علي (عليه السلام) يمثل لدى معاوية الأساس القوي الذي يعتمد عليه في إبعاد العامة عن بني هاشم، وخصوصاً العلويين منهم، الذين يمثلون القمة في كيانهم، باعتبارهم سلالة النبي (صلى الله عليه وآله) وأبناء بضعته، وهم في نفس الوقت يمثلون مركز القوة – في قبال الحكومة القائمة – في أوساط المسلمين ومنطلق الثورة[7]. وقد جعل الأمويون لعن علي(عليه السلام) سنة ينشأ عليها الصغير، ويهلك عليها الكبير[8].

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، 151/2، الطبري، تاريخ، 75/6.

(2) ينظر: الطبري، تاريخ، 92/6.

(3) بيضون، التيارات السياسية، ص153.

(4) الطبري، تاريخ، 88/6.

(5) الطبري، تاريخ، 124/6، ابن الاثير، الكامل، 326/3.

(6) البلاذي، انساب الاشراف، 252/5، الطبري، تاريخ، 88/6.

(7) فضل الله، محمد جواد، صلح الامام الحسن أسبابه – نتائجه، ط قم، (بلا.ت)، ص168.

(8) المسعودي، مروج الذهب، 223/3.

وقد أقر بعض الباحثين المصريين بهذه السُنة، وأعطاها البعد السياسي الذي سعت إليه السلطة عبرها وهو تخويف شيعة علي (عليه السلام) من عمل أي تكتل خاص ضد بني أمية[1]، بينما أنكرها أبو النصر في سعيه الحثيث لتزكية معاوية ورد القول بها رداً لا يتسم بالعلمية والدقة فقال: ((ان دعوى سنة لعن علي بعد كل خطبة لم يقم عليها دليل ثابت يركن إليه، وما من أثر يدل على ان هذا اللعن تقدم مروان بن الحكم، وبذلك يبرأ معاوية من هذه الوصمة))[2].

ومن الدلائل على ان لعن علي (عليه السلام) قد تقدم مروان بن الحكم ما ذكره مسلم من ان معاوية أمر سعد بن أبي وقاص بلعن علي (عليه السلام) فامتنع فقال: ما منعك ان تسب أبا تراب ؟ فعد سعد بعض مناقب الامام علي (عليه السلام) وقال: لو أن تكون لي واحدة منهن خيراً من أن تكون لي حمر النعم[3]. وغير ذلك مما ورد في كتب التاريخ مقترناً بحوادث لا سبيل إلى انكارها مثل حادثة مقتل حجر بن عدي الكندي التي سنفصل ذكرها.

وقد برّر أحمد شلبي سُنة السب تبريراً مقيتاً ليحفظ صورة أبطال بني أمية !! ناصعة وهم يسبون خصماً ميتاً فقال:

((... وهذا الأمر وإن كان يعد عيباً شخصياً ولكنه لا يقلل من شان معاوية أو غيره من أبطال بني أمية للخلافة ولا يحط من اقدارهم كقادة وساسة مبرزين، وخلاصة الأمر أن الامويين اضطروا لذلك اضطراراً ليصرفوا الناس عن تعلقهم بآل البيت فأخذوا يسبون علياً لا لشيء إلا لأجل حماية دولتهم))[4].

وتوسل معاوية للتنفير من هذه الشخصية الإسلامية ذات التاريخ العريق في الإسلام بالحديث النبوي فوضع ((قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي.. تقضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلاً يُرغب في مثله فاختلقوا ما أرضاه..))[5].

تصدى لهذه السياسة عدد من شيعة علي (عليه السلام) منهم صعصعة بن صوحان[6] الذي كان يكثر من ذكر علي (عليه السلام) ويظهر فضائله علناً[7] وحجر بن عدي[8] الذي كان يرد على

---

(1) أبو السعود، الشيعة النشأة السياسية والعقيدة الدينية، ط2، القاهرة، 1425هـ/2004م، ص55.

(2) أبو النصر، عمر، معاوية بن أبي سفيان، ط القاهرة، 1355هـ/1936م، ص91، وينظر: شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص195.

(3) الصحيح، ص1042، وينظر: الحاكم النيسابوري، المستدرك، 109/3، 121، 138.

(4) الدولة الأموية، 20/2.

(5) ابن أبي الحديد، شرح النهج، 63/4. وينظر نماذج من الأحاديث المفتراة في المصدر نفسه، 63/4 – 73، أبو رية، أضواء على السنة المحمدية، ص224 – 226.

(6) العبدي، سيداً من سادات قومه عبد القيس، وكان خطيباً فصيحاً، لسناً، ديناً، فاضلاً يُعدّ في أصحاب علي (عليه السلام)، وشهد معه حروبه، توفي في أيام معاوية. ابن الاثير، أسد الغابة، 20/3.

(7) الطبري، تاريخ، 89/6.

(8) الكندي، المعروف بحجر الخير، وفد على النبي (صلى الله عليه وآله) فأسلم، شهد القادسية، وكان من فضلاء الصحابة وشهد حروب علي أيام خلافته، قتل سنة 51هـ/671م.

ابن عبد البر، الاستيعاب، 356/1 – 359، ابن الاثير، أسد الغابة، 385/1 – 386.

المغيرة في المسجد ذمه في علي (عليه السلام) فيقول: ((بل إياكم فذمم الله ولعن))[1].

وكانت سياسة المغيرة تجاه هؤلاء تتراوح بين النهي والنصح والتحذير من غضب معاوية وسطوته[2].

3- حبس المغيرة أعطيات الكوفيين وأرزاقهم، وقد استثار ذلك نقد الكوفيين ومطالبتهم بها[3].

لم يتجاوز نشاط الشيعة حالات الاعتراض هذه طيلة ولاية المغيرة بن شعبة (41هـ – 50هـ/661م – 670م) لاسيما وان الامام الحسن (عليه السلام) قد ردّ وفد الكوفيين مؤيساً لهم من الثورة أو الخروج التزاماً بالعهد مع معاوية[4].

وقد كان تدهور أحوال البصرة واضطرابها[5] سبباً في إقالة معاوية لعبد الله بن عامر فعيّن زياد بن أبيه والياً عليها وعلى خراسان وسجستان، ثم جمع له الهند والبحرين وعمان وقدم زياد البصرة سنة 45هـ/665م[6].

وكان زياد والياً على فارس في خلافة الامام علي (عليه السلام) وقد ساس أهلها بالدهاء والمداراة[7]، وظل متحصناً بقلعة اصطخر بعد إبرام الصلح بين الحسن (عليه السلام) ومعاوية فلم يدخل في بيعة معاوية، وامتنع بفارس، ولم يستطع معاوية اجتذابه رغم محاولات الترغيب[8]، أو الترهيب[9] التي استعملها معه في حياة الامام علي (عليه السلام) وبعد وفاته. إذ ((شعر معاوية بأهمية البلاد التي يسيطر عليها زياد وكان معاوية يعرف قابلياته ودوره المهم في إدارة البلاد وضبط الأمن والنظام وخاصة نجاحه في توطيد الوضع في فارس))[10].

---

(1) الطبري، تاريخ، 124/6.

(2) البلاذري، انساب الاشراف، 253/5، الطبري، تاريخ، 124/6 – 125.

(3) البلاذري، انساب الاشراف، 252/5، الطبري، تاريخ، 125/6، ابن الاثير، الكامل، 326/3.

(4) ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 290/3 – 291.

(5) الطبري، تاريخ، 102/6 – 103.

(6) المصدر نفسه، 105/6.

(7) ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص195، الطبري، تاريخ، 59/6.

(8) ارسل إليه معاوية في وقت مبكر في حياة الامام علي فقال: ((أنت أخي)) ابن الطقطقى، الفخري، ص100. مما استدعى ارسال الامام علي لزياد يحذره معاوية ويصفه بالشيطان الذي يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه. ابن عبد البر، الاستيعاب، 570/1، ابن الاثير، أسد الغابة، 337/2.

(9) هدد معاوية زياد في رسائله ورد زياد متوعداً معاوية.

ينظر: المنقري، وقعة صفين، ص366 – 367، ابن قتيبة، المعارف، ص195، الدينوري، الأخبار الطوال، ص219.

(10) الخيرو، رمزية عبد الوهاب، إدارة العراق في صدر الإسلام، ط بغداد، 1398هـ/1978م، ص53.

ومما زاد الأمر سوءاً ان زياد ظل معتصماً بقلاع فارس حتى بعد استتباب الحكم لمعاوية، وضغوطه المتكررة على زياد[1]، مما ضاعف قلق معاوية لأنه كان يعرف قابلية زياد على تسيير دفة الأمور وتحقيق ما يريد بما يملك من ذكاء ودهاء وسعة حيلة، وبما يتوفر لديه من أموال، وطبيعة البلاد الحصينة، وان استمراره في العصيان يسبب مشاكل كثيرة يتمنى معاوية ألا تحدث[2]، فحاول ان يصل حبله بوشيجة النسب، وأرسل المغيرة ليقنعه بمهادنة معاوية، فوفق إلى ذلك وخرج من فارس سنة 43هـ/663م قاصداً معاوية الذي تنازل له عن قسم مما كان بيده من بيت المال بفارس واكتفى بمائة ألف ألف درهم وعده زياد بدفعها[3].

سكن زياد الكوفة، وكان واليها المغيرة يكرمه ويعظمه[4]، وبعد حوالي سنة واحدة اتخذ فيها معاوية خطوات اثبات النسب والاعلان عنه بعث إلى زياد ليحضر إلى الشام، ثم احضر الشهود لاثبات صحة نسب زياد إلى أبي سفيان واعلانها للملأ[5].

ومما يجدر ذكره ان زياد من موالي ثقيف، وكانت أمه سمية أمة للحارث بن كلدة فزوجها غلام عنده يسمى عبيد فولدت له زياد فكان يسمى زياد بن عبيد، وقد استطاع معاوية ان يحصل على شهود بأن أبا سفيان ألمّ بسمية عند خروجه للطائف فحملت بزياد وبهذا يستحق الاستلحاق[6].

وقد إنحاز عدد من الباحثين المصريين[7] لهذا الإجراء وأعطوا لمعاوية الحق في الحاق زياد بنسبه مستندين في ذلك إلى تبرير ابن العربي الذي اعتمد في تفسير تعارض الاستلحاق مع النصوص النبوية[8] على اجتهاد الامام مالك بأن يستلحق الأخ أخاه، ما دام ليس له منازع

---

(1) من ذلك حبس بسر بن ارطأة أولاد زياد في البصرة وتهديد زياد بقتلهم أو القدوم إلى معاوية. الطبري، تاريخ، 77/6؛ المسعودي، مروج الذهب، 192/3.

(2) الخيرو، إدارة العراق، ص57.

وقد وصف معاوية خشيته من طموح زياد بالقول:

((داهية العرب معه الأموال، متحصن بقلاع فارس، يدبّر ويربّص الحيل، ما يؤمنني أن يبايع لرجل من اهل هذا البيت، فإذا هو قد أعاد علي الحرب خدعة)).

الطبري، تاريخ، 82/6، ابن الاثير، الكامل، 284/3.

(3) ينظر: الطبري، تاريخ، 83/6، ابن الاثير، الكامل، 284/3.

(4) الطبري، تاريخ، 83/6 – 84، ابن الاثير، الكامل، 285/3.

(5) اليعقوبي، تاريخ، 152/2، ابن الطقطقى، الفخري، ص101.

(6) ينظر: ابن سعد، الطبقات، 70/7، ابن قتيبة، المعارف، ص164، الدينوري، الأخبار الطوال، ص219، الطبري، تاريخ، 103/6 – 104.

(7) عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص116، شلبي، الدولة الأموية، 43/2 – 44، شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص196، ص197.

(8) ينظر: ابن ماجة، السنن، ص355، المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (ت656هـ/1258م)، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه: إبراهيم شمس الدين، ط3، بيروت، 1423هـ/2002م، 52/3.

في ذلك النسب، ولم يجد ابن العربي ومن تابعه ((على معاوية في ذلك مغمز، بل فعل الحق على ذلك مذهب مالك، فإن قيل: فلم انكر عليه الصحابة ؟ قلنا: لأنها مسألة اجتهاد..))[1] !!

أثار استلحاق زياد معارضة أطراف عديدة منها معارضة البيت العلوي بممثليه الحسن(عليه السلام)[2] والحسين (عليه السلام)[3] اللذين تركز خلافهما لذلك استناداً إلى الالتزام الشرعي بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله):

((ان الولد للفراش وللعاهر الحجر))[4].

وعرّض بذلك الشعراء وأعابوه على معاوية[5]، وانتقده افراد من البيت الأموي نفسه منهم عبد الرحمن بن الحكم الذي تحدث باسم مجموعة من القرشيين حضروا عند معاوية فقال:

((... ثم لم ترضَ لأبي عبيد حتى جعلته ابن أبي سفيان عضيهة لأبيك، وازدراءً ببنيك، ومع ان في ذلك السخطة من ربك، والمخالفة لنبيك – صلّى الله عليه وسلم – إذ قضى بالولد للفراش، وللعاهر الحجر، فقضيت أنت بالولد، ثم نسبت أباك عاهراً، وكان غنياً عن ذلك...))[6].

وكذلك فعل سعيد بن العاص[7]، فرد معاوية ذلك مرجعاً دافع فعلهم هذا إلى الحسد، وهددهم بالموت والعقوبة وعدم المغفرة[8]. وعارض عبد الله بن عامر بن كريز هذا الالحاق فقال:

((... لقد هممت ان اتي بقسامة من قريش يحلفون ان أبا سفيان لم ير سمية))[9].

وسواء أكانت هذه الاعتراضات بدافع الحسد والعصبية في البيت الأموي[10]، أو رغبة في الاستئثار بالحكم بدون منافس[11] فهي لم تقف حائلاً دون ان يمضي معاوية في ضم زياد إليه والافادة من خبراته وحسن سياسته إذ ولاه البصرة ((فمعاوية كان بأمس الحاجة إلى شخصية قوية وقديرة كزياد لتطويع العراق الذي يمثّل منطقة القلق والسخونة في النظام الأموي، بينما وجد زياد في المنصب الكبير ما أثار شهيته للسلطة))[12].

---

(1) ابن العربي، العواصم من القواصم، ص161.

(2) ينظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ/868م)، البيان والتبيين، ط2، القاهرة، 1380هـ/1960م، 299/2.

(3) ينظر: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 146/1 – 147.

(4) ابن ماجة، السنن، ص335.

(5) ينظر على سبيل المثال قول الشاعر اليماني يزيد بن مفرّغ الحميري: ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص179.

(6) المصدر نفسه، ص177.

(7) الحميري، الأخبار الموفقيات، ص177.

(8) ينظر: المصدر نفسه، ص181 – 182.

(9) الطبري، تاريخ، 103/6، ابن الاثير، الكامل، 299/3.

(10) الخيرو، إدارة العراق، ص67.

(11) فلهاوزن، الدولة العربية، ص130.

(12) بيضون، التيارات السياسية، ص154.

وأصبح زياد يدير اقاليم واسعة وغنية، وكان عليه أن يضبط الأمن في البصرة التي تدهورت حالها من جميع النواحي في عهد الوالي عبد الله بن عامر[1]، وأن ينظم العشائر ويسيطر عليها وخاصة القبائل التي أخذت تفد إلى البصرة باستمرار وتنضم إلى قبائلها مما أدى إلى اختلال التوازن الاقتصادي والاجتماعي في البصرة من هذه القبائل[2].

قاستهل عهده بخطبة طويلة بدأها بلا تحميد لله أو تمجيد[3] وأعلن فيها سياسة الشدة التي سيتبعها مع أهل البصرة، ووعد باصلاح أمرها، وأظهر تصميمه على ذلك بالمضي بالعقوبة المتناهية فقال:

((أيها الناس أنا اصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة: نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا... لا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه عامتكم إلاّ ضربت عنقه))[4].

وحذر زياد الناس من مخالفة أوامره فقال:

((... فإذا رأيتموني أجري الأمور مجاريها، وأمضيها لسبيلها فلتستقم لي قناتكم فإن لي فيكم صرعى، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي، إلاّ وأني آخذ المقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والشاهد بالغائب حتى يلقى الرجل أخاه يقول: انجُ سعد فإن سعيداً قد قتل))[5].

وقد استدعت هذه السياسة رفضاً مبكراً إذ قام أبو بلال مرداس بن أديه[6] فقال: ((أيها الإنسان، ان الله – تعالى – أدى إلى وليه وخليله غير الذي أديت. قال الله – جلّ ثناؤه – ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[7]))[8] ثم خرج من المسجد فخرج عليه في أربعين رجلاً، فكان أول خارج خرج بالبصرة[9].

---

(1) ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، 62/2.

(2) العلي، صالح أحمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ط2، بيروت، 1389هـ/1969م، ص48، الخيرو، إدارة العراق، ص78.

(3) سميت خطبته لذلك بالبتراء. ابن الاثير، الكامل، 304/3.

(4) الطبري، تاريخ، 105/6 – 106، ابن الاثير، الكامل، 304/3 – 305.

(5) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص303.

(6) ابن عمرو بن حدير، من زعماء الخوارج، خرج على يزيد بن معاوية فأرسل عبيد الله بن زياد من البصرة إليه من هزمه وقتله سنة 61هـ/680م. ينظر: ابن قتيبة، المعارف، 231 – 232، الطبري، تاريخ، 257/6.

(7) سورة النجم: الآية /37 – 38.

(8) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص304، ومما يشار إليه ان أوفى بن حصن انتقد سياسة زياد هذه في الكوفة واتهمه بعدم التمييز بين المذنب وغيره ومخالفة السياسة الإسلامية في ذلك فقتله.

الطبري، تاريخ، 113/6، ابن الاثير، الكامل، 318/3.

(9) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص304.

وقد اتبع زياد مع خوارج البصرة أساليب عديدة تدرجت في الشدة والعنف فكان يستخدم معهم النفي، والإقامة الجبرية[1]، وتهديد القبائل التي لا تقاتل خوارجها بقطع العطاء والإجلاء[2]، ومن ثمّ القتل والصلب جماعة وأفراد[3]، ولم يتورع عن عقوبة النساء اللواتي انتمين للحركة الخارجية فغالى ((في محاربته للخوارج مغالاة خرج بها على مفاهيم المجتمع العربي ومبادئ الإسلام خروجاً يعكس شدة رد فعل سلوكهم في نفسه..، فقد استحدث صلب النساء وأكثر من هذا تعريتهن والتمثيل بهن))[4]. فكف النساء عن الخروج خوفاً من هذه العقوبة.

وقد بلغ زياد مرماه في حفظ أمن البصرة بالخوض في الدماء خوضاً[5] وأخذ بالظنة وعاقب على الشبهة حتى خافه الناس[6]. ويبدو ان هذا النجاح كان حافزاً لمعاوية ليضم إليه ولاية الكوفة سنة 50هـ/670م – 53هـ/672م) فكان يقيم في الكوفة ستة أشهر وفي البصرة ستة أشهر، ويخلف فيهما من ينوبه عند خروجه إلى أحد المصرين.

وعلى الرغم من ارتباط اسم زياد بالشدة والحزم لاسيما بعد الإجراءات القاسية التي ضبط بها إدارة البصرة إلاّ أن الكوفة شهدت بوادر اعتراض على زياد أو من كان ينوب عنه في إدارتها أثناء اقامته في البصرة[7].

وقد توجهت أنظار زياد لشخصية لامعة في الكوفة عُرفت بولائها للامام علي والحسن(عليهما السلام)[8]، ووقوفها بوجه السياسة الأموية التي مثلها المغيرة بن شعبة، فحاول استمالته باللين أولاً[9] ولكن ذلك لم يستمر طويلاً بعد أن تناهى إلى مسامع زياد أن ((حجراً يجتمع إليه شيعة علي (عليه السلام) ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه وأنهم حصبوا عمرو بن حريث[10]))[11] خليفته على الكوفة.

---

(1) ينظر: الطبري، تاريخ، 110/6، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م)، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ط القاهرة، 1367هـ/1947م، 211/2.

(2) ابن الاثير، الكامل، 318/3 – 319.

(3) ينظر: ابن خياط، تاريخ، ص135 – 137، الطبري، تاريخ، 110/6، ابن الاثير، الكامل، 318/3 – 319، 340.

(4) الخيرو، إدارة العراق، ص213، وينظر: الكامل، المبرد، 246/3، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 221/1 – 222.

(5) ورد هذا التعبير على لسان زياد معترفا بأنه لا يمكن أن يبلغ ما يريده إلاّ بخوض الدماء. ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص307، وينظر: الطبري، تاريخ، 107/6، ابن الاثير، الكامل، 305/3.

(6) ينظر: ابن قتيبة، المعارف، 195، البلاذري، انساب، 219/5، اليعقوبي، تاريخ، 159/2 – 160.

(7) ينظر: ابن سعد، الطبقات، 152/6، الدينوري، الأخبار الطوال، ص224.

(8) ينظر: المنقري، صفين، ص104، ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 52/1، الشيخ المفيد، الجمل، ص255 – 256.

(9) البلاذري، انساب الاشراف، 251/5، 253 – 254، اليعقوبي، تاريخ، 160/2.

(10) من بني مخزوم، ممن سكن الكوفة وأقام بها، وكان جوادا وشجاعا توفي سنة 85هـ/704م. ابن قتيبة، المعارف، ص166، ابن عبد البر، الاستيعاب، 515/2.

(11) الطبري، تاريخ، 126/6، ابن الاثير، الكامل، 327/3.

وقد لمس زياد قوة حجر، وشدته في الحق الذي قد يعيق إجراءات زياد القمعية الرامية إلى استتباب المصر للأمويين فقد اعترض على الحكم الباطل عندما قتل عربيٌ نبطياً ورفض زياد أن يقتل عربياً بنبطي، فأصر حجر على تنفيذ القصاص العادل تنفيذاً للشريعة محتجاً بأن المسلمين تتكافأ دماؤهم ولا فضل لعربي على غيره، وتلا من القرآن ما يؤيد اعتراضه، ويظهر مخالفة زياد فاستجاب زياد مكرها[1].

خاف زياد ان تؤدي مواقف حجر إلى مزيد من الاعتراض أو تجرئ الناس على سلطته فاتبع عدة إجراءات لاحتواء معارضة حجر والقضاء على وجوده دون ان يستثير أهل الكوفة الذين يبدو التفاف عدد غير قليل منهم حوله. فأرسل إلى جماعة من وجوه أهل الكوفة ليكف كل رجل منهم قرابته ومن يطيعه من عشيرته عن حجر[2] فيتفرق من كان يطيف به من عشائر الكوفة. ثم ارسل شرطته للقبض عليه فلما تخفى حجر في بيوت الكوفة، أغرى بعض الزعماء، وهدد البعض الآخر[3] للقبض عليه فجاءوا بحجر بعد أن أخذوا له الأمان على نفسه حتى يبعث به إلى معاوية فيرى فيه رأيه، وقد تتبع زياد أعوان حجر فأخذ ثلاثة عشر رجلاً منهم وأرسل الجميع إلى معاوية بالشام بعد أن كتب إليه كتاباً شهد فيه سبعون رجلاً ان ((حجر بن عدي خلع الطاعة، وفارق الجماعة، ولعن الخليفة ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه جموعاً يدعوهم إلى نكث البيعة، وخلع أمير المؤمنين معاوية، فكفر بالله كفرة صلعاء))[4].

ويبدو ان زياد قد أجبر بعض الناس على هذه الشهادة أو انه أقحم في الشهود اسماء مرموقة وأدلى عنهم بشهادة ملفقة بدليل ايراد اسم شريح بن هاني[5] القاضي في قائمة الشهود وهو لم يشهد أصلاً بل ارسل إلى معاوية يبرئ نفسه من هذه الشهادة ويكتب مبرءاً حجر من التهم المنسوبة إليه، تاركاً الأمر يتعلق بذمة معاوية وحده: ((... ان شهادتي على حجر انه ممن يقيم الصلاة. ويؤتي الزكاة. ويديم الحج والعمرة. ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حرام الدم والمال فإن شئت فاقتله، وإن شئت فدعه))[6].

---

(1) البلاذري، انساب الاشراف، 261/5 – 262، وتنظر: سورة المائدة: الآية /45، ومثل ذلك أيضاً عندما قاطع زياد وهو يخطب لحلول وقت الصلاة، فلما مضى زياد في خطبته نبهه مرة ثانية ثم ضربه بالحصى وقام إلى الصلاة ومعه الناس. ابن الاثير، الكامل، 337/3.

(2) البلاذري، أنساب الاشراف، 258/5 – 259، الطبري، تاريخ، 127/6.

(3) من ذلك قوله لمحمد بن الأشعث بن قيس الكندي: ((أما والله لتأتيني بحجر أو لا أدع لك نخلة إلا قطعتها ولا داراً إلا هدمتها ثم لا تسلم مني حتى اقطعك ارباً ارباً)).

البلاذري، انساب الاشراف، 259/5، الطبري، تاريخ، 130/6. ابن الاثير، الكامل، 329/3.

(4) البلاذري، انساب الاشراف، 262/5، الطبري، تاريخ، 133/6.

(5) ابن الحرث الكندي، يعد من كبار التابعين، وكان قاضياً لعمر على الكوفة ثم لعثمان ثم لعلي فلم يزل بها قاضياً إلى زمن الحجاج، كان عالماً بالقضاء، ذا فطنة وذكاء توفي سنة (87هـ/705م). ابن عبد البر، الاستيعاب، 148/2 – 149.

(6) الطبري، تاريخ، 136/6، ابن الاثير، الكامل، 334/3.

ولهذا النص أهميته البالغة إذ انه يدل على وعي بعض افراد المجتمع المسلم مشروعية الاعتراض على الحاكم دون أن يكون ذلك مبرراً إلى استحلال دمه، أو اخراجه من ملة الإسلام طالما ان التزامه بالبيعة معروف[1]. كما يظهر الاتجاه الذي مثلته السلطة (الحاكم وولاته) واضحاً وهو الانحراف الكامل عن حق الأمة في المحاسبة والنقد والاعتراض والركون إلى اتهام المعترض بالكفر الذي يوجب القتل. وللباحث ان يقيم هذا الموقف الكوفي الذي مثله القاضي شريح بأنه عودة إلى الالتزام الإسلامي بحق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لا يحق للسلطة ان تطال صاحبه بأذى. وبذلك الفهم يمكن أن يقوّم موقف حجر ابن عدي بأنه استجابة لواجبه الشرعي والأخلاقي في الوقوف أمام ما رآه منكراً لا من أجل السعي إلى الفتنة والشقاق في الأمة فالشهادة بحقه تجسد تورع هذه الشخصية الإسلامية وبراءتها من التهم التي نسبت إليها في رسالة زياد إلى معاوية.

ومن الغريب أن نجد معاوية يطلب من حجر التبرؤ من علي ولعنه ليستحق العفو[2]، فلم يحاسب حجر على الاتهامات التي سطرها زياد في كتابه، وربما اختصر ذلك كله برغبة معاوية في اخراج حجر بن عدي من دائرة الولاء لآل البيت (عليهم السلام)، فخطورة حجر أو غيره بذلك الولاء وكونه تهمه يستحق صاحبها القتل والتنكيل.

انتهت حادثة حجر بقتله مع سبعة من أصحابه لم يقبل فيهم معاوية شفاعة أحد[3].

إن سعي الباحثين المصريين إلى تنزيه تاريخ بني أمية عامة ومعاوية خاصة دفعهم إلى التأكيد على ما روي من حلم معاوية وعدّوه خصلة أخلاقية رفيعة دون أن يخضعوها للنقد والتدقيق[4]، فقد اتضح سلوك معاوية العام في قضية حجر وأصحابه، فحلمه حلم من يعجز عن اعمال قدرته لأي سبب كان، فهو قبل ان يرتكب أي عمل يخضعه لحساب الربح والخسارة فيحلم حين تنحرف النتائج عن قصده، وتكون الخسارة حتمية للعمل، ويبطش حيث يكون الربح في جانب البطش[5]، وفي ذلك شواهد عديدة منها عندما ارسل إليه عبد الله بن الزبير مهدداً فأشار إليه يزيد بقتله فقال: يا بني ان له بنون وعشيرة تمنعه ان بعثت بمائة رجل وأعطيت كل رجل ألفاً بلغ ذلك مائة ألف، ولا أدري على من تكون الدبرة فإن غُلبوا بعثت ألفاً وأعطيتهم ألف ألف ولكني اكتب إليه، فكتب إليه ووصله فرضي[6]. وفي بطش معاوية بحجر ربح واضح في اخضاع الكوفيين وتخويف الأطراف المعارضة التي أثارت الاحتجاج على والي معاوية، وهو لن يعدم الوسيلة في رمي تهمة قتل حجر على زياد كما

---

(1) ينظر في قول حجر بن عدي لزياد بعد أن قبض عليه: ((ما خلعت طاعة، ولا فارقت جماعة، واني على بيعتي)). ابن الاثير، الكامل، 3/329. وينظر: قوله لزياد: ((انا على بيعتي لم انكثها ولم استقلها، ولم آتك إلا على أمان)). البلاذري، انساب الاشراف، 5/261.

(2) ينظر: الطبري، تاريخ، 6/137.

(3) شفع في بعض المحبوسين جماعة من أهل الشام فاطلقهم معاوية. البلاذري، انساب الاشراف، 5/265 – 266.

(4) ينظر: للعقاد، معاوية، ص47 – 71، عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص112 – 113، الابياري، معاوية، ص273 – 274، أبو النصر، معاوية، ص105.

(5) فضل الله، صلح الحسن، ص189.

(6) البلاذري، انساب الاشراف، 5/60 وينظر: 5/31.

فعل عندما لامته السيدة عائشة[1]، ولاسيما انه وزع الأدوار السياسية بما يحفظ له أبهة السلطان فجعل زياداً للشدة والفظاظة والغلظة، وهو للين والألفة والرحمة[2]. ومن الجدير بالذكر ان حلم معاوية كان لاعتبارات نفسية – إذا كان المورد قابلاً لذلك – فإن ترك المجال لكي يفرغ القائل ما في نفسه من الانفعالات، دون أن تحدث ردة فعل مماثلة من الطرف الأخر، بل لا يرى إلاّ حلماً وصفحاً وعطاء سخياً، قد يؤدي إلى تهدئة روح الثورة فيه وحصرها في حدود ضيقة بعيدة عن مواطن الخطر[3] ولذلك أثر عن معاوية قوله: ((اني لا احول بين الناس وألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا))[4].

كانت حادثة حجر مأساة منكرة أحدثت صدى شديد الوقع في جميع أرجاء الدولة الإسلامية ((واعتبرها الناس صدعا خطيراً في الإسلام، فلقد استباح فيها أمير من امراء المسلمين أن يعاقب الناس على معارضة لا اثم فيها، وان يكره اشراف الناس على ان يشهدوا عليهم زوراً وبهتاناً وأن يكتب شهادة القاضي على غير علم منه ولا رضا، واستباح الخليفة لنفسه أن يحكم بالموت على نفر من الذين عصم الله دماءهم، دون أن.... يأذن لهم في الدفاع عن انفسهم عندما ارسلوا إليه انهم على بيعتهم لا يقيلونها ولا يستقيلونها))[5].

ومن ذلك رسالة الحسين (عليه السلام) إلى معاوية التي تزكي فعل حجر وأصحابه وتدرجه في سياق الفعل الإسلامي الشرعي والعادل:

((... ألست قاتل حجر، وأصحابه العادلين، الذين كانوا يستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلماً وعدوانا))[6].

وغضب الناس في الحجاز فهمّت السيدة عائشة ان تثور لولا انها خافت فتنة كفتنة الجمل[7]، وفي الشام لولا ان معاوية أسرع إلى مداواتها بالمال[8]. وانتقد الناس في خراسان السكوت على هذه السياسة حتى قال الربيع بن زياد عامل زياد على خراسان: ((لا تزال العرب تقتل صبراً بعده، ولو نفرت عند قتله لم يقتل رجل منهم صبراً، ولكنها أقرت فذلت))[9].

---

(1) ابن الاثير، الكامل، 337/3.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 136/8، وينظر: عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص115.

(3) فضل الله، صلح الحسن، ص186.

(4) البلاذري، انساب الاشراف، 28/5.

(5) الشريف، دور الحجاز، ص410، وينظر: تسليم حجر بأمرة المؤمنين على معاوية عند دخوله عليه في بلاد الشام. وفي ذلك دليل على بقاءه على البيعة. ابن الاثير، الكامل، 337/3 – 338.

(6) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 146/1.

(7) البلاذري، انساب الاشراف، 272/5 – 273، ابن الاثير، الكامل، 337/3.

(8) ينظر: الطبري، تاريخ، 139/6.

(9) المصدر نفسه، 140/6.

وكان الناس يقولون: أول ذل دخل الكوفة، موت الحسن (ع)، وقتل حجر، ودعوة زياد[1].

ويمكن القول ان صدى مقتل حجر في الكوفة كان أعمق وأكبر لأنها كانت ميدان نشاطه، فسعى زياد إلى ملاحقة انصار حجر في الكوفة، وغيرها من مدن العراق ومنهم عمرو بن الحمق الخزاعي[2]. الذي قبض عليه والي الموصل، فأمر معاوية بقتله[3]، وهو ما انتقده الحسين (ع) برسالة إلى معاوية تشير إلى مساوئ حكمه.

((.. أولست بقاتل عمرو بن الحمق الذي أبلت وجهه العبادة، فقتلته من بعد ما أعطيته العهود ما لو فهمته العصم نزلت من شعف الجبال))[4].

وقد ترك مقتل حجر وأصحابه أثراً في الكوفة، ودفعهم إلى التنظيم السري ضد الدولة وظهرت نتائج هذا التنظيم فيما بعد[5]، وقد حاول أهل الكوفة الاتصال بالحسين (ع) ورغبوه بالمجيء إلى الكوفة فرد عليهم بضرورة الهدوء والاحتراس من الظنة ما دام معاوية حياً فإن حدث به حدث وهو حي كتب إليهم برأيه[6].

ولم يستطع الولاة في الكوفة بعد وفاة زياد سنة 53هـ/672م ضبط الأمن والنظام فيها في السنوات اللاحقة[7].

---

(1) ابن الاثير، الكامل، 337/3، وينظر: ابن أبي الحديد، شرح النهج، 193/16.

(2) هاجر إلى النبي (ص) وصحبه، كان ممن سكن الكوفة وشهد مع علي مشاهده، أعان حجر بن عدي ثم هرب إلى الموصل فقتل وحمل رأسه إلى زياد وبعث به إلى معاوية وهو أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد.
ابن قتيبة، المعارف، ص166، ابن عبد البر، الاستيعاب، 524/2.

(3) البلاذري، انساب الاشراف، 281/5 – 282، الطبري، تاريخ، 131/6 – 132، ابن الاثير، الكامل، 329/3 – 330.

(4) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 146/1، الطبرسي، الاحتجاج، 19/2.

(5) الخيرو، إدارة العراق، ص198 – 199، الشريف، دور الحجاز، ص411، فلهاوزن، يوليوس، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة، ترجمة عن الألمانية: الدكتور عبد الرحمن بدوي، ط2، (د.م)، 1396هـ/1976، ص120، زكار، سهيل، دور الأمويين في تصفية المعارضة الشيعية، مجلة المنهاج، العدد الأول، بيروت، 1417هـ/1996م، ص215.

(6) ينظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص221 – 222.

(7) ينظر: ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري (ت240هـ/854م)، تاريخ خليفة بن خياط، راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه: الدكتور مصطفى نجيب فواز والدكتورة حكمت كشلي فواز، ط بيروت، 1415هـ/1995م، ص128، ص134، ص137 – 138، ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص298.

لم تكن الأوضاع السياسية خارج العراق تثير أية هموم جدية لدى معاوية، حيث كان الولاة يتبادلون الحكم فيها دون ضجة أو اعتراض[1]. أما الحجاز الذي كان يستثير معاوية من اعتبار واحد هو استقطابه لعدد من الشخصيات الإسلامية البارزة... فقد وضع السلطة في هذا الاقليم تحت مراقبته المباشرة حيث قام بتنفيذها ولاة من البيت الأموي[2]، كما حرص على تشجيع مختلف النشاطات السياسية في الحجاز من شعر وموسيقى وغناء وعلوم دينية الأمر الذي جعل من المدينتين المقدستين أهم مراكز الترف الاجتماعي في ذلك الوقت[3].

أما من ناحية السياسة المالية فقد حاول معاوية وولاته استخدام المال وإن كان من بيت مال المسلمين لتحقيق أطماعهم، فقد عُرف عن معاوية استعانته بالمال للحصول على دعم بعض الشخصيات التي يخدمه وقوفها إلى جانبه[4]، أو بذل الأموال لتفريق صفوف عدوه (الامام علي والامام الحسن في خلافتهما)[5]. وغالى في ذلك فكان يضم إليه بعض المتلاعبين بالأموال الذين كانوا يسرقون بيت مال المسلمين في ولاياتهم ويهربون من عدالة علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى أمان معاوية[6].

فحري يمثّل معاوية ان يستخدم المال لخدمة أغراضه في أيام حكمه، فكان ((الاستئثار بالفيء))[7] من أبرز معالم سياسة الأمويين. وبعد أن تم نقل بيت المال من الكوفة إلى الشام أصبح تحت سيطرة معاوية الذي كان يقول: ((الأرض لله، وانا خليفة الله، فما أخذت من مال الله فهو لي، وما تركت منه كان جائزاً لي))[8].

وقد حاول معاوية استغلال أي فرصة سانحة لزيادة أمواله، فولى مولاه خراج الكوفة فاستصفى بمشورة الدهاقين ما كان يستصفيه كسرى لنفسه من الخراج فبلغت جبايته من

---

(1) مثل ولاية مصر مثلاً التي انتقلت بعد وفاة عمرو بن العاص إلى ابنه ثم إلى أخي معاوية عتبة بن أبي سفيان ثم عقبة بن عامر بن عيسى ثم مسلمة بن مخلد الأنصاري.

الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت353هـ/964م)، الولاة والقضاة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، ط بيروت، 1424هـ/2003م، ص25، ص29، ص30 – 33.

(2) فكان معاوية يولي سعيد بن العاص المدينة سنة ومروان بن الحكم سنة.

ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص258، البلاذري، انساب الاشراف، 165/5؛ بيضون، التيارات السياسية، ص156.

(3) ينظر: المسعودي، مروج الذهب، 265/2، الصباغ، نجلة قاسم، التحول الاجتماعي بالحجاز في العصر الأموي، مجلة آداب الرافدين، العدد السابع، ط2، الموصل، 1396هـ/1976م، ص130 – 136، بيضون، التيارات السياسية، ص156.

(4) ينظر: الجاحظ، رسائل، 11/2، الدينوري، الأخبار الطوال، ص222.

(5) المنقري، صفين، ص345.

(6) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص575، الثقفي، الغارات، 357/2، وينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص230.

(7) الجاحظ، رسائل، 11/2.

(8) البلاذري، انساب الاشراف، 27/5، المسعودي، مروج الذهب، 235/3.

أرض الكوفة وسوادها خمسين مليون درهم، وتابع هذه السياسة في البصرة فحملت له هدايا النوروز والمهرجان[1] وكانت الحصيلة عشرة ملايين درهم[2].

واستصفى ما كان للملوك من ضياع وصيّرها لنفسه خاصة، واقطع منها أهل بيته وخاصته، وكان أول من كانت له الصوافي في جميع أنحاء البلاد بما فيها مكة والمدينة[3].

وقد أنكر شاهين في دفاعه عن دولة بني أمية، ظاهرة الاستصفاء للأموال من قبل معاوية وزياد لأنهما – برأيه – أتقى لله من ذلك ودعا إلى تجاوزها لأنها تهدف إلى التشنيع على بني أمية[4]، ولا نجد ذلك بعيداً عن معاوية ولاسيما هو يعطي لنفسه الحق بأخذ ما يشاء من أموال الناس[5].

وقد اتخذ من مال الله دولاً، فجعل مصر طعمة لعمرو بن العاص[6] شرطها له يوم بايع فكان عمرو لا يحمل لمعاوية من مالها شيء[7].

وقد شك شاهين باعطاء مصر طعمة لعمرو بن العاص ولم يعطِ نصاً أو دليلاً واحداً يدعم به شكه سوى قوله: ((فهو مجرد رواية ذاعت بغير حقيقة))[8].

بينما نجد ورود هذا الخبر بصيغ مختلفة في أكثر من مصدر تاريخي[9] فطعمة ابن العاص ليست رواية مفردة، وإنما هي مما قال بها أكثر من مؤرخ، كما انها ليست بعيدة الحدوث بالنظر لتاريخ شخصيتي معاوية الذي يسترضي خصومه، ويستجلب أنصاره بالمال، وعمرو الذي عرف عنه حبه للمال حتى في عهد خلافة عمر بن الخطاب (رض) إذ كان ممن قاسمه الخليفة ماله[10].

---

(1) وهي من أعياد الفرس، من حق الملك، والعلة في ذلك انهما فصلا السنة، فالمهرجان دخول الشتاء وفصل البرد، والنيروز إذن بدخول الحر إلا ان النيروز عندهم أفضل واعظم، لأن فيه أول سنتهم وافتتاح الخراج وتولية العمال.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ/868م)، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي، ط القاهرة، 1333هـ/1914م، ص146.

(2) اليعقوبي، تاريخ، 151/2 – 152، ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، 400/3؛ الريس، محمد ضياء الدين، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ط5، القاهرة، 1406هـ/1985م، ص188 – 189.

(3) اليعقوبي، تاريخ، 162/2 – 163.

(4) الدولة الأموية المفترى عليها، ص400.

(5) ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 27/5.

(6) الجاحظ، رسائل، 11/2، الدينوري، الأخبار الطوال، ص159.

(7) اليعقوبي، تاريخ، 154/2، الخربوطلي، علي حسني، مصر العربية الإسلامية السياسة والحضارة في مصر في العصر العربي الإسلامي منذ الفتح العربي إلى الفتح العثماني، ط مصر، 1383هـ/1963م، ص41.

(8) الدولة الأموية المفترى عليها، ص182.

(9) ينظر: المنقري، صفين، ص40، البلاذري، انساب الاشراف، 103/5 – 105، الدينوري، الأخبار الطوال، ص158 – 159.

(10) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، 109/2.

وولى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان خراسان يسترضيه ليبايع ليزيد[1]؛ فنقل سعيد من خراسان أموالاً طائلة واستعفى معاوية فأعفاه، وكان قد جلب معه رهائن من بخارى فجعلهم فلاحين في أرضه بالمدينة فثاروا عليه فقتلوه بعد مقدمه من خراسان[2]. واسترضى عبد الله ابن عامر الذي عزله عن البصرة بأن سوغه كل ما حصل عليه من بيت مالها عند عزله[3]، وعند اعتراض مروان بن الحكم على بيعة يزيد وتهديد معاوية، ترضّاه ففرض له ألف دينار في كل هلال وفرض له في أهل بيته مائة مائة[4].

وحاول بعض ولاته ان يستغل مال الصدقات ويخرجه عن مستحقيه فيجعله بديلاً عن الخراج في سد حاجة الناس من العطاء، لولا غضب الناس من ذلك فأمر لهم معاوية بمال الخراج بعد أن فشلت المحاولة[5].

وقد استغل المال لأمور أخرى سوى الترف والاستصفاء وإرضاء الخصوم، والاتباع، فقد استخدم وبقسوة لارضاخ المعارضين للدولة، فقد كتب معاوية لعماله بعد وصوله إلى سدة الحكم أن ينظروا إلى من قامت عليه البينة بحبه لعلي (عليه السلام) وأهل بيته بأن تمحى اسماؤهم من الديوان، ويسقط عطاءهم ورزقهم[6].

ومنع بني هاشم عطاءهم من دون الناس عندما أراد ان يأخذ البيعة ليزيد، كنوع من الضغط عليهم ليحملوا الحسين (عليه السلام) على بيعة يزيد، فلما هدد ابن عباس معاوية بتأليب الناس على الخروج عليه، رجع عن قراره في منع العطاء عنهم[7].

وحبس معاوية عن الحسين (عليه السلام) صلاته حتى ضاقت عليه حاله، فقاسمه عبيد الله بن العباس ماله ليخفف عنه[8]. ووهب معاوية فدكاً لمروان بن الحكم ليغيظ آل رسول الله(صلى الله عليه وآله)[9].

وكلمه الانصار في أمورهم فاغلظ لهم القول، فقالوا: نفعل بما أوصانا به رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ونصبر، فقال لهم: فاصبروا وخرج إلى الشام ولم يقض لهم حاجة[10].

---

(1) ابن اعثم، الفتوح، 306/5 – 307، ابن الاثير، الكامل، 356/3.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص398 – 399، ابن اعثم، الفتوح، 314/5.

(3) الطبري، تاريخ، 103/6.

(4) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 143/1.

(5) ينظر: ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص390.

(6) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 44/11.

(7) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 154/1، ابن الأثير، الكامل، 355/3.

(8) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 295/1، رضا، الحسن والحسين، ص58 – 59.

(9) اليعقوبي، تاريخ، 155/2.

(10) المصدر نفسه، 155/2.

وقد غالى ولاة معاوية على الأمصار في استعمال المال كورقة ضاغطة على المعارضة ولاسيما في الكوفة حتى إذا تساهل معاوية نسبياً تجاهها، فعندما زاد معاوية في عطاء أهل الكوفة عشرة دنانير، وكان عامله عليها النعمان بن بشير[1] وهو من المبغضين لأهل الكوفة لرأيهم في علي (عليه السلام)، أبى النعمان أن يعطيهم ذلك فلما كلموه فيها أبى وقال: والله لا اجيزها، ولا أنفذها أبداً[2].

وقد اندفع أحد الباحثين المصريين في مجال دفاعه المحموم عن بني أمية ومعاوية خاصة، فقيم سياستهم المالية وبرر اسلوب التفرقة في العطاء أو حرمان أطراف معينة منه تبريراً سياسياً لا يستقيم مع المفاهيم الإسلامية المستندة إلى الحق والعدل لضمان السلم الاجتماعي فقال:

((... أما تفضيل أهل الشام في العطاء فهو مشروع لأنهم كانوا أنصارهم المخلصين وهم عماد الجيوش المجاهدة وهم المحافظون على سلامة الدولة وقمع مخالفيها، وبنفس القدر فإن قطع العطاء على الثائرين وأنصارهم كان شيئاً مبرراً للأمويين فليس من الانصاف ان يُعطي الامويون عطاءً للثائرين عليهم في حين ان هذه الأموال خصصت لنصرة الدولة والمجاهدين تحت لوائها، إضافة إلى انه ليس من العدل اعطاء ناس اشتغلوا في الحرف والتجارة في حين ان أموال العطاء هي للمجاهدين والغازين))[3].

لقد كان معاوية في سياسته تلك اشد على الإسلام وأضرّ به من غيره، ذلك حين نرى الإسلام كما أراده الله تعالى ديناً، ومنهاجاً للحياة، ودستوراً خالداً، وميزاناً للأعمال، وضابطاً للأخلاق والقيم وليس كما يراه العاذرون.. امبراطورية وفتوحاً عسكرية وتمدداً على الأرض قبل كل شيء ولأجله يبيحون كل خروج على ثوابت الشريعة وكل تمرد على مبادئ الإسلام[4].

ان معاوية الذي أدرك أهمية الأخذ بالسياسة القبلية منذ أن كان معارضاً للامام علي(عليه السلام)[5]، لم يفته ذلك وهو في قمة السلطة فحاول تقريب غالبية سكان الشام من اليمنية،

---

(1) الانصاري الخزرجي، ولد بعد الهجرة، وروى عن النبي (صلى الله عليه وآله)، استعمله معاوية على حمص ثم على الكوفة وظل عليها حتى حكم يزيد فلما مات معاوية بن يزيد دعا إلى بيعة عبد الله بن الزبير بالشام فخالفه أهل حمص فخرج منها فاتبعوه وقتلوه سنة 64هـ/683م.

ابن قتيبة، المعارف، ص167، ابن الأثير، أسد الغابة، 22/4 – 23.

(2) الاصفهاني، الاغاني، 115/14 – 116.

(3) شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص418 – 420.

(4) عبد الحميد، تاريخ الإسلام، ص565. وينظر: رأي عدد من الباحثين المصريين بدور بني أمية في إنشاء امبراطورية إسلامية. أمين، أحمد، يوم الإسلام، ط القاهرة، 1372هـ/1952م، ص66، حسن، زعماء الإسلام، ص213، خفاجي، معارك فاصلة، ص16.

(5) ينظر: استغلال معاوية نفوذ رأس أهل الشام شرحبيل بن سمط الكندي لتحريض قبائل الشام للمطالبة بدم عثمان، وحرب الامام علي (عليه السلام)، المنقري، صفين، ص44 – 45، الدينوري، الأخبار الطوال، ص160.

فاغدق عليهم العطاء وفرض لهم ولم يفرض لغيرهم[1]، وتوطيداً لهذه الصلة ارتبط معاوية ابن أبي سفيان بوشائج القربى وصلة النسب بقبيلة كلب، أكبر القبائل اليمنية وأقواها وأغناها[2]. فتزوج معاوية ميسون بنت بحدل الكلبية أم ابنه يزيد[3]. وبذلك ((صارت اليمنية عامة وكلب خاصة حلفاء بني أمية وأنصارهم لأن المصاهرة عند العرب كانت تعني التحالف السياسي والنصرة والمؤازرة فهم أعوان الخليفة ومؤيديه))[4].

وقد ظل معاوية يؤثر القبائل اليمنية بالعطاء وينحاز إليها حتى عزت اليمن بالشام في عهده وصارت لهم اليد الطولى على سائر القبائل وتطاولوا على مضر وهددوا باخراجهم من البلاد، مما دفع معاوية إلى فرض العطاء لاربعمائة رجل من قيس دفعة واحدة، وجعل يُغزي اليمن في البحر، وقيساً في البر رعاية لها وإدراكا لما فاتها، وأرضى سخط اليمنيين على ذلك بأن أدعى انه ما فعل ذلك إلا لأنهم أهل ثقته[5].

وقد وضع ذلك التقريب من معاوية لليمنية وكلب منهم خاصة اللبنة الأولى لنزاع القيسية وسخطها على بني أمية لما بدر من معاوية وابنه يزيد من الاصهار وتخصيص العطاء والمناصب بقبائل اليمنية دونهم بما لا يتلاءم ودورهم في الفتح وشهداءهم فيه ومجهودهم في سد الثغور ومكانتهم بالشام[6]، ولعل من اظهر الشواهد على ذلك اسراع قيس إلى إعلان مبايعتها إلى عبد الله بن الزبير بعد موت معاوية وابنه يزيد وخلع طاعة بني أمية[7]، ولم يستثن من ذلك حتى الضحاك بن قيس الفهري[8] الذي كان – من بين القيسين – متمتعاً بشيء من النفوذ طيلة حكم معاوية وابنه يزيد[9] إذ انضم إلى دعوة ابن الزبير حقداً على بني أمية واليمانية[10].

---

(1) ينظر: المنقري، صفين، ص433.

(2) ينظر: السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت562هـ/1166م)، كتاب الانساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ط بيروت، 1409هـ/1988م، 383/1، دسوقي، محمد عزب، القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأموي، ط مصر، 1419هـ/1998م، ص356 – 357.

(3) ابن قتيبة، المعارف، ص198، ابن الأثير، الكامل، 372/3.

(4) دسوقي، القبائل العربية، ص357.

(5) البلاذري، انساب الاشراف، 108/5، النص، احسان، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، ط بيروت، 1383هـ/1963م، ص256.

(6) ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص63 – 164 – 165، ابن قتيبة، المعارف، ص198، دسوقي، القبائل العربية، ص361.

(7) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، 178/2، الطبري، تاريخ، 22/7.

(8) قيل لا صحبة له مع النبي (ﷺ)، كان من قادة غارات معاوية على العراق أيام الامام علي، ولي الكوفة لمعاوية سنة 53هـ/672م، وعزل سنة 57هـ/676م بايع لعبد الله بن الزبير بعد يزيد بن معاوية وقاتل مروان بن الحكم بمرج راهط فقتل سنة 64هـ/683م.

ابن قتيبة، المعارف، ص233، ابن الاثير، أسد الغابة، 36/3 – 37.

(9) تولى شرطة معاوية طوال حياته. ابن سعد، الطبقات، 410/7، وولاية دمشق في حكم يزيد حتى مات. ابن عبد البر، الاستيعاب، 205/2.

(10) البلاذري، انساب الاشراف، 46/11، المسعودي، مروج الذهب، 284/3، فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص167.

وفي الوقت الذي أقرّ باحثون مصريون بعمل معاوية على ايقاع الخلاف بين القبائل العربية المختلفة، وضرب بعضها ببعض واحياءه العصبية القديمة التي حاربها الإسلام ورسوله الكريم[1]، انكر آخرون ذلك وأكدوا ان الصراع القبلي لم يظهر في عهد معاوية الذي عمل على تأليف القلوب !! واسترضاء المعارضين، وإنما تفجر الصراع القبلي في غياب سيطرة الدولة المركزية بعد وفاة معاوية[2].

فإذا كان انفجار هذا الصراع بشكل دموي أخذ شكل الحرب بين القيسية واليمانية في عهد خلفاء معاوية فلا يعني ذلك إعفاء معاوية من مسؤولية إثارة العصبية القبلية بين هذه القبائل في وقت مبكر هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن تحريك النعرات القبلية وإثارة العصبيات وجدت مجالها كذلك بين بني أمية وأنصارها ممن يؤيدون دعواهم في أن الخلافة حق لهم دون غيرهم وبين الأطراف التي آمنت بالشورى أو بأحقية آل البيت(عليهم السلام) بالخلافة وهذا ما ظهر في النزاع على ولاية العهد ليزيد في عهد معاوية، ومن ثمّ في عهد يزيد[3].

وقد جرت الدولة الأموية منذ قيامها على خطة مزدوجة ازاء القبائل العربية، وتقوم هذه الخطة على تألف القبائل واصطناع رؤسائها بالمال والهبات وغيرها من جهة[4] ومن جهة أخرى إذلال رؤساء القبائل وخضد شوكتهم وتجريدهم من سلطانهم القبلي وقد افلحت هذه الخطة المزدوجة في ضم جل رؤساء القبائل وأنصارهم إلى صف بني أمية وضمان ولائهم لهم في أكثر الأحوال، ومن التدابير التي اتخذت لضمان ولاء القبائل للدولة الأموية جعل رئاسة القبيلة منوطة بالدولة لا بالقبيلة، وقد جرى بنو أمية وولاتهم على هذه الخطة، فكانت الدولة هي التي تختار رؤساء الكتل القبلية في الأمصار (الأخماس والارباع.. الخ)[5] وفي الكوفة أقوى مراكز المعارضة للحكم الأموي أعاد زياد بن أبيه تنظيم الكوفة على شكل ارباع على رأس كل منها رجل من الموالين له[6].

ومنذ عهد زياد أصبح رؤساء القبائل وأشرافها يؤاخذون بالجرائر التي يرتكبها رجال قبائلهم ويُلزمون بتأديب المتمردين منهم على السلطان وقد سلك زياد هذه الخطة ازاء قبائل

(1) خفاجي، عبد المنعم، وعبد العزيز شرف، معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي، ط2، القاهرة، 1413هـ/1992م، ص14 – 15، العقاد، معاوية، ص36- 37.

(2) شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص377 – 378، حسن، زعماء الإسلام، ص213.

(3) ينظر: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 141/1، الطبري، تاريخ، 271/6، النص، العصبية والدولة، ص258 – 259.

(4) ومن أمثلة اصطناع رؤساء القبائل ما فعله معاوية مع وفد بني تميم إذ أجاز رؤساء الوفد حين قدموا عليه ومنهم الأحنف بن قيس وجارية بن قدامة والحتات بن يزيد. البلاذري، انساب الاشراف، 108/12.

(5) النص، العصبية والدولة، ص243، ص245، ص246.

(6) البلاذري، انساب الاشراف، 222/4، الطبري، تاريخ، 133/6. الجنابي، كاظم، تخطيط مدينة الكوفة، ط بغداد، 1386هـ/1967م، ص80، الخيرو، إدارة العراق، ص174.

الكوفة حين أراد القبض على حجر بن عدي وأصحابه، وجعل محمد بن الاشعث الكندي[1] امثولة لسائر الرؤساء والاشراف باذلاله اياه وتهديده حتى أرغمه على الاتيان بحجر[2].

ومما يشار إليه في مجال إثارة العصبيات والنعرات القبلية في عهد معاوية هي تلك الحادثة التي قادت معاوية وابنه يزيد إلى التعصب لبني أمية على حساب الانصار عندما ثار الهجاء بين عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري وعبد الرحمن بن الحكم الأموي فلما كثر التهاجي وظهر فيه ابن حسان على عبد الرحمن الأموي دس معاوية ابنه يزيد إلى الاخطل وأمره بهجاء الانصار فقبل بشرط ان يؤمنه يزيد فهجاهم قائلاً[3]:

ذهبت قريش بالسماحة والندى ... واللؤم تحت عمائم الانصار

قومٌ إذا هدر العصير رأيتهم ... حمراً عيونُهم من المسطار

وإذا نسبت ابن الفريعة خلته ... كالجحش بين حمارةٍ وحمار

فلما بلغ بني النجار قول الاخطل خرج وفد منهم إلى معاوية واستعدوا على الاخطل، فقال: لكم لسانه إلاّ أن يكون يزيد أجاره، ودسّ إلى يزيد فأجاره فلم يصلوا إليه[4].

وإذا كان لتوتر العلاقة بين معاوية ممثل الأمويين والانصار أكثر من سبب[5] فقد يكون اغراء الشعراء بهجوهم وذمهم من العوامل الفاعلة كذلك في مزيد من السخط والنقمة. ومع ذلك فقد رأى أبو النصر ان معاوية انتفع بالشعراء ((لمصلحة الدولة، وتكوين الوطنية العربية، فابعد الشعر عن الهجو وجعله اداة عمل صالحة))[6] !!

---

(1) ولد على عهد رسول الله (ﷺ)، وسكن الكوفة، استعمله ابن الزبير على الموصل. ابن الاثير، أسد الغابة، 311/4 – 312.

(2) ينظر: الطبري، تاريخ، 130/6، النص، العصبية والدولة، ص246. وسيتضح سير عبيد الله بن زياد على سياسة أبيه مع مسلم بن عقيل عندما استعان بوجوه أهل الكوفة ليفرقوا من انضم لمسلم من عشائرهم خوفاً من بطش ابن زياد.

(3) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص227 – 228.

(4) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص229.

(5) من ذلك اعتبار معاوية الانصار من الاطراف المسيئة المساهمة في مقتل الخليفة عثمان بن عفان إذ اسلموه ولم ينصروه. البلاذري، انساب الاشراف، 62/5.

ومن شواهد التباعد بين الانصار ومعاوية خروج الناس لاستقبال معاوية عند دخوله المدينة، واجتناب الانصار لذلك. وردهم الحانق عندما تسائل عن ذلك واتهامهم له بايثاره غيرهم. البلاذري، انساب الاشراف، 124/5، ابن عبد البر، الاستيعاب، 401/3 – 402.

(6) معاوية، ص109 – 110.

وإذا كانت عصبية بني أمية صريحة لليمنية ضد القيسية ولبني أمية على بني هاشم، وللقبائل الموالية لهم على المناوئة، فقد اتسم حكمهم كذلك بالعصبية للعرب عامة ضد العجم والموالي[1].

فقد كانت دولة بني أمية تعتز بالعرب، وترفع من شأنهم ولا تنظر إلى الموالي نظرة تقدير، فدولة بني أمية عربية اعرابية لأنها حافظت على الصبغة والثقافة العربية[2].

وبهذا النفس العنصري تحدث بعض الباحثين المصريين وبرروا لمعاوية فعله فـ ((الفرس انضموا لعلي باكراً وحاربوا معاوية، فاثاروا الفتن والدمار وكان من نتيجة ذلك استحقاقهم لسخط الأمويين، فالمسألة لم تكن أكثر من دفاع عن النفس وكراهية متبادلة بين الفرس والأمويين))[3] !!

والمسلمون من غير العرب لم ينلهم ما نال الفرس من سخط الأمويين[4]، أو ان الذي ارتكب أعمالاً مؤذية بحقهم هم من العرب المتعصبين من غير الأمويين، الذين لم يكونوا يشغلوا مناصب إدارية مهمة في الدولة الأموية[5]، ومما ينقض ذلك موقف زياد بن أبيه الذي أراد قتل الموالي في الكوفة[6] وهو من أبرز الاداريين في دولة معاوية، ثم هجر قسماً من الفرس عن الكوفة إلى الشام حيث اسكنهم معاوية انطاكية[7].

ومن الملفت للنظر ان معاوية الذي تم له الأمر بمساندة قريش له بعامة وبني أمية خاصة، لم يشأ ان يبقى تحت سلطان هذه العصبية من قومه تشاركه ملكه وتقاسمه سلطانه، فلجأ إلى اصطناع الرجال من غير هذه العصبية التي تشاركه في نسبه وتدل عليه بأفعالها في مساندته فاصطنع زياداً، وألحقه بنسبه، واتخذه عاملاً له على العراق أقوى اقاليم الدولة[8].

وعقد معاوية العزم على جعل الخلافة ارثاً متداولاً في البيت السفياني، ولذلك وجه همه طوال مدة حكمه إلى كسر شوكة الرجال البارزين من فروع البيت الأموي الأخرى وتهيئة

---

(1) الحوفي، أحمد محمد، أدب السياسة في العصر الأموي، ط بيروت، 1385هـ/1965م، ص24.

(2) خفاجي، معارك فاصلة، ص14 – 15. وينظر: قول معاوية: ((اني رأيت هذه الحمراء قد كثرت، وأراها قد طعنت على السلف، وكأني انظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان، وقد رأيت ان اقتل شطراً وأدع شطراً لاقامة السوق وعمارة الطريق)).

ابن عبد ربه، العقد الفريد، 413/3. وعمل الأمويين على امتهان كرامة المولى حتى قيل: ((لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة: حمار أو كلب أو مولى... وان اطعموا المولى لسنة وفضله وعلمه أجلسوه في طرف الخوان لئلا يخفى على الناظر انه ليس من العرب)). المصدر نفسه، 413/3.

(3) شلبي، الدولة الأموية، 19/2 – 20.

(4) المصدر نفسه، 20/2.

(5) شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص353 – 355.

(6) ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 336/12.

(7) البلاذري، فتوح البلدان، ص275.

(8) الشريف، دور الحجاز، ص411.

الجو لتولية الأمر لابنه بعد وفاته وكان في طليعة من يخشى منافستهم مروان بن الحكم وسعيد ابن العاص ولذلك دأب على الاغراء بينهما ليضعف جانبهما[1].

وقد أدركوا هذا الكيد فكتب إليه سعيد بن العاص يقول:

((العجب مما صنع أمير المؤمنين بنا في قرابتنا، ان يضغن بعضنا على بعض ! فأمير المؤمنين في حلمه وصبره على ما يكره من الأجنبين وعفوه وادخاله القطيعة بيننا والشحناء وتوارث الاولاد ذلك فوالله لو لم نكن بني أب واحد إلاّ بما جمعنا الله عليه من نصر الخليفة المظلوم، واجتماع كلمتنا لكان حقاً علينا ان نرعى ذلك، والذي أدركنا به خير))[2].

وكان لهذه السياسة التي سلكها معاوية اثرها البعيد في العلاقة بعد ذلك بين فرعي البيت الأموي (الفرع السفياني، والفرع المرواني)[3].

لقد قوم عدد من الباحثين المصريين سياسة معاوية، فبرروا أعماله بمتطلبات السياسة وضرورات التدبير، وعدوها من ميزاته التي استولى بها على السلطة فقال احدهم:

((أما شخصية معاوية فهي سياسية حليمة تبرر الوسائل في سبيل الغايات، اعتمد على قوة عقله أكثر من قلبه فكانت تلك السياسة المرنة التي غلبت شخصية عليّ المتحرجة فكانت النتيجة انتصار البراعة الأموية على الشجاعة الهاشمية))[4].

ويتناقض رأي هؤلاء الباحثين مع متبنياتهم الفكرية لأن تناقض سياسة معاوية مع الصيغة الشرعية الإلهية في قيادة الأمة أمر بيّن ((وتقوم السياسة الشرعية على أصول اعتبرتها الشريعة قواعد كما يسمّيها بعض الاصوليين، إذا خرجت السياسة عن هذه القواعد كانت سياسة وضعية لا صلة لها بالشريعة))[5].

وقد اسند القائلون بحسن سياسة معاوية من المصريين رأيهم باجادته اختيار عماله الذين وصفوهم بالكفاءة، والعقل وحسن التدبير[6]، وانهم ممن لا يغفلون عن تعهد حال الناس وكشف ظلاماتهم، واتخاذ الطرق المفضية إلى ما فيه راحتهم وهناءهم[7] وهو وصف فيه من مجانبة الحقيقة الكثير لو لاة قتلوا على الظنة والشبهة وقطعوا أرزاق الناس، وتركوا السنن في طاعة معاوية[8]، وجاء وصفهم على لسان الحسين (عليه السلام) ابان ثورته بصفات الفساد

---

(1) النص، العصبية والدولة، ص359. ومن وسائله في ذلك تداول ولاية المدينة بينهما. البلاذري، انساب الاشراف، 165/5.

(2) الطبري، تاريخ، 149/6.

(3) الشريف، دور الحجاز، ص413.

(4) حمادة، محمد ماهر، دراسة وثقية للتاريخ الإسلامي ومصادره من عهد بني أمية حتى الفتح العثماني لسورية ومصر، ط بيروت، 1409هـ/1988م، ص38.

(5) القرشي، غالب، أوليات الفاروق السياسية، ط مصر، 1410هـ/1990م، ص59.

(6) النجار، الدولة الأموية، ص44.

(7) أبو النصر، معاوية، ص98، ص105.

(8) لما مات زياد ولي سمرة بن جندب البصرة لمعاوية مدة قصيرة ثم عزله فقال: ((... والله لو أطعت الله كما اطعته [معاوية] ما عذبني أبدا)). الطبري، تاريخ، 147/6، ابن الأثير، الكامل، 343/3، ابن كثير، البداية، 67/8.

واستحلال الحرمات فقال: ((.. ألا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، واحلوا حرام الله، وحرموا حلاله وأنا أحقّ من غير))[1].

وجدير بالتوضيح أن معاوية الذي آمن بحق قريش في الخلافة، وشرعية سلطتها الآتية من الله التي استندت إلى نسبهم ودارهم من ناحية وظهور النبي (ﷺ) من بينهم من ناحية أخرى[2]، حاول كذلك ان يكرس لدى الناس شرعية السلطة الأموية بأنها قدر الهي، والله المعطي للأمويين والمانع لسواهم ولذلك كان يأمر الناس بأن يقولوا خلف الصلاة الحديث النبوي الدعائي:

((... اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت...))[3].

وكان ذلك مسوغاً كافياً للوقوف بوجه المطالبين بعودة الشورى بعد أن خفتت دعوى الطلب بدم عثمان.

فصرح معاوية بذلك حين قدم المدينة تمهيداً لولاية يزيد فجمع كبار قريش وأكد لهم خصوصية السلطة في بني عبد مناف بالقول: ((إنما كان هذا الأمر لبني عبد مناف، لأنهم أهل رسول الله (ﷺ) فلما مضى رسول الله (ﷺ) ولى الناس أبا بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة.. ثم رجع الملك إلى بني عبد مناف، فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة))[4].

وان هذا القدر الكائن لا محالة هو ليزيد دون غيره كما صمم على ذلك في حديثه مع السيدة عائشة، وعبد الله بن عمر ففي كل مرة يؤكد أن ((أمر يزيد قضاء من القضاء، وليس للعباد الخيرة من أمرهم))[5].

وكنتيجة حتمية لهذا المنطق لا يحق لأي فئة من فئات الناس المعارضة والخروج لأن حكومة الأمويين على وفق ذلك شرعية، وقدر إلهي يجب على الناس الخضوع والانقياد له.

لم يكن معاوية يتورع حتى في الوقت الذي كان فيه الدين يسكن وجدان الناس ويهيمن على تصرفاتهم عن استخدام مختلف الوسائل حتى غير المشروعة، وصولاً إلى تحقيق أهدافه السياسية[6]. وكان لعملية التضليل الديني الذي مارسه معاوية أثر كبير بإيجاد تبرير للوضع الاجتماعي الشاذ الذي كان عليه المجتمع الإسلامي والذي أريد منه حمل الأمة الإسلامية على السكوت عن النقد ومحاولات التغيير، ليختفي نتيجة ذلك الشعور بالاثم عن ذلك السكوت فيستقر ذلك المجتمع بشكل نهائي في حالة الخضوع، وقد اسهم تسطيح الوعي العام في المجتمع الإسلامي إلى خلق نوع من الشخصية المزدوجة التي تعاني اصطراع

---

(1) الطبري، تاريخ، 215/6، ابن أعثم، الفتوح، 81/5، ابن الأثير، الكامل، 408/3، وينظر: العشماوي، الخلافة الإسلامية، ص173.

(2) ينظر: الطبري، تاريخ، 138/5.

(3) البخاري، الصحيح، ص1173، السيد، رضوان، الأمة والجماعة والسلطة دراسات في الفكر السياسي العربي الإسلامي، ط2، بيروت، 1406هـ/1986م، ص129.

(4) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 141/1.

(5) المصدر نفسه، 148/1.

(6) بيضون، التيارات الإسلامية، ص147.

عوامل متناقضة فيها، وقد كانت الكوفة نموذجاً لذلك الازدواج[1] الذي اصطبغ به المجتمع الإسلامي بحكم تأثرها بالقيم البدوية لما تلقته من موجات هجرة متتابعة من جهة، وكونها مهبطاً لكثير من مبادئ الإسلام وتعاليمه وأفكاره من جهة أخرى فقد استفحل فيها الازدواج[2] ونشأ صراع بين إيمان بضرورة الكفاح ضد ظلم بني أمية وجور ولاتهم، يدفعهم إلى ذلك حوافز دينية وعقلية تتراوح بين الزامية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوصول إلى العدل والمساواة، والتخلص من الظلم والاثرة، وبين نفس وزعها بني أمية بين أحاديث مثبطة للعزائم تعطي الفضل والقدسية لحكامهم[3] وتفرض على الأمة طاعتهم[4]، أو اغراء بطموح أو اسكات بمال أو احرجوها بالخوف والأزمات النفسية الخانقة وهي ترى صالحيها يموتون دون أن تحرك ساكناً.

ولعل الناظر في تاريخ هذه الحقبة عند مقارنة الوضع الإسلامي العام في عهد الخليفة عثمان (رض)، وما صار عليه في عهد معاوية ومن ثمَّ خليفته يزيد، سيجد تناقضاً واضحاً وصريحاً في رد الفعل الإسلامي ففي الوقت الذي ثارت فيه الأمصار الإسلامية في عهد الخليفة عثمان (رض) محتجة على مساوئ وتجاوزات سياسية وإدارية واجتماعية ودينية هي اقل بكل المقاييس مما ساد في عهد الأمويين فيما بعد، لا يجد رد فعل جماعي عندما يسرف معاوية في الظلم والاضطهاد والقتل والترهيب فإذا ما انبعثت احتجاجات فردية هنا وهناك سرعان ما تموت بعد أن تأخذ السلطة باستخدام اسلوب العنف والشدة المتناهية مع زعماء الاحتجاج، ومن ثمّ تشتري المنتقدين بالمال[5]، فبعد مقتل حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي التي مرت بسلام تركزت حالة الخضوع في المجتمع الإسلامي وهو ما عبر عنه المؤرخون بالذل الذي دخل على العرب، والكوفة[6].

---

(1) ازدواج الشخصية بالمعنى الاجتماعي هو أن يسلك الإنسان سلوكا متناقضا دون أن يشعر بهذا التناقض في سلوكه أو يعترف به، وهو ينشأ عن وقوع الإنسان تحت تأثير نظامين متناقضين من القيم أو المفاهيم، فهو يتأثر بأحد النظامين تارة، وبالآخر تارة أخرى. الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ط2، بيروت، 1426هـ/2005م، 313/1.

(2) ينظر: الوردي، علي، وعاظ السلاطين، ط2، لندن، 1416هـ/1995م، ص15 – 35.

(3) نقل ان سائلاً سأل الرسول (ﷺ) عن زكاة قومه لمن يدفعها بعد الرسول وعمر، فقال (ﷺ): بعد عمر ابن عفان، ثم معاوية وابنه. المروذي، نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعي (ت229هـ/843م)، الفتن، تحقيق: أبو عبد الله أيمن محمد محمد عرفة، ط قم، 1424هـ/2003م، ص103.

(4) مثل ما نسب قوله للرسول (ﷺ) من أحاديث تحث على طاعة الحكام وان جاروا وظلموا: ((ان كان لله تعالى خليفة في الأرض، فضرب ظهرك وأخذ مالك فاطعه)) أبو داوود، السنن، ص706.

وقوله: ((ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزع يداً من طاعة)). المروذي، الفتن، ص124.

(5) كان معاوية يقطع لسان من يبلغه عنه ما يكره بالاعطاء. اليعقوبي، تاريخ، 166/2. فعندما نمى إليه ان مالك ابن هبيرة السكوني بدا وكأنه سيثور لمقتل حجر وأصحابه ارسل إليه مائة ألف درهم فأخذها وطابت نفسه وسكت. البلاذري، انساب الاشراف، 270/5، ابن الأثير، الكامل، 336/3.

(6) ينظر: الطبري، تاريخ، 140/6، ابن الأثير، الكامل، 337/3. ابن أبي الحديد، شرح النهج، 193/16.

فإذا ما قدر لهذه الشخصية الإسلامية المشوهة أن تثور وتطلب قائداً للثورة فغاية ما ستقدمه لذلك القائد ان تكون قلوبها معه، وسيوفها عليه[1].

فقد أريد لهذه الأمة ان تتحول عن الأهداف العظمية التي رصدت لأجلها وأصبح وجودها ((يضمر ويضيق لينحصر في لقمة العيش وفي حفنة من الدراهم يبيع المسلم بها حياته وضميره وحريته وكرامته الإنسانية للحاكمين الظالمين))[2].

فالمجتمع الكوفي كان يعيش حالة من الانشطار ما بين واقعه النفسي والعاطفي وبين المواقف العملية تجاه الامام، فهو يحمل عاطفة تجاه الحسين (عليه السلام) ولكن لما لم يكن منشأ هذه العاطفة الوعي الايماني المبني على الفهم الصحيح لدور أهل البيت (عليهم السلام) وموقعهم القيادي في حياة الأمة، لم يكن لهذه العاطفة أثر على موقف ذلك المجتمع تجاه الامام الحسين (عليه السلام)[3].

ولذلك كان الحسين (عليه السلام) يسير على نفس مسار أبيه وأخيه الحسن (عليه السلام) في توعية الأمة بحق أهل البيت في قيادة الأمة الإسلامية[4] ولا أدل على ذلك من الكتب التي كتبها لأنصاره في الكوفة والبصرة أثناء خروجه إلى كربلاء، أو الخطب التي ألقاها على الأنصار والأعداء يوم الطف[5]. إذ سعى إلى تأكيد قدرة أهل البيت على حمل مسؤولية الحكم والخلافة، والعودة إلى نهج الكتاب والسنة قبال من عطلوا الحدود، وأظهروا الفساد، وحللوا الحرام.

ومن الجدير بالذكر ان الامام الحسين (عليه السلام) سعى في أيام معاوية إلى ابقاء قاعدة عامة – لا تنحصر في الكوفة – مؤمنة بأحقية أهل البيت في النهوض بأمر الأمة تشمل الأمصار الإسلامية. فقبل موت معاوية بسنتين حج الحسين (عليه السلام) وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس معه. وقد جمع الحسين (عليه السلام) بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليه وشيعتهم، من حج منهم ومن لم يحج، وجمع عدداً من الصحابة والتابعين وأبناءهم وقام فيهم خطيباً فقال:

((... فإن الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، واني أريد ان اسألكم عن اشياء فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالتي واكتموا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمنتموه ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون، فاني اخاف ان يندرس هذا الحق ويذهب والله متم نوره ولو كره الكافرون))[6] فما ترك

---

(1) وهو وصف دقيق للشاعر الفرزدق وصف به تخاذل الكوفيين للحسين (عليه السلام) وهو في طريقه إليهم. أبو مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي الازدي (ت157هـ/773م)، مقتل الحسين (عليه السلام)، تعليق: الحسن بن عبد الحميد الغفاري، ط قم، 1398هـ/1977م، ص68، الدينوري، الأخبار الطوال، ص245، الطبري، تاريخ، 204/6.

(2) شمس الدين، ثورة الحسين، ص128 – 129.

(3) الهديبي، حبيب ابراهيم، قراءات في بيانات الثورة الحسينية وأبعادها الرئيسة – العقيدي – السياسي – الاجتماعي – الروحي – الاعلامي، ط ايران، 1423هـ/2002م، ص167.

(4) ينظر: ابن أبي طالب، نهج البلاغة، ص35 – 38، الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص65.

(5) ينظر: الطبري، تاريخ، 186/6، 215، 226، 228، 229، القزويني، عبد الكريم الحسيني، الوثائق الرسمية لثورة الامام الحسين، ط3، قم، 1404هـ/1984م، ص51 – 54.

(6) الطبريس، الاحتجاج، 17/2. وينظر: الهلالي، كتاب قيس، 789/2.

الحسين(عليه السلام) شيئاً انزل الله فيهم من القرآن إلا قاله وفسره، وشيئاً قاله الرسول في أبيه وأمه وأهل بيته إلا رواه، وكل ذلك يقول الصحابة: اللهم نعم، قد سمعناه وشهدناه، ويقول التابعون: اللهم قد حدثنا من نصدقه ونأتمنه، فقال الحسين (عليه السلام): انشدكم بالله إلا رجعتم وحدثتم به من تثقون به ثم نزل وتفرق الناس على ذلك[1].

وتبرز أهمية هذا الاجتماع الذي عقده الحسين (عليه السلام) لاشتماله على فئات عديدة كشخصيات الهاشميين ومن يدينون لهم بالولاء، وأصحاب الرأي من المهاجرين والأنصار والتابعين الذين لا يمكن اغفال رأيهم وتجاوز وجهات نظرهم فيما يرجع إلى قضايا الأمة المصيرية، وتبرز أهمية الزمان فهو موسم الحج، وأما المكان فهي أرض منى ليكون لهذا التجمع الكبير أثره وصداه في سائر البلاد الإسلامية بعد رجوع الحجاج إلى بلدانهم وتحدثهم بما جرى[2] في ذلك الاجتماع لاسيما وأنه ذُكر للحسين (عليه السلام) موقف آخر كان خطابه فيه مطولاً لم ينحصر في توجيه الحاضرين إلى الدعوة إلى حق أهل البيت وإنما جعل ذلك في نطاق تشخيص اخطاء النظام الأموي ومسؤولية الأمة في الاستجابة لدعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوبيخ الحاضرين بالتقصير في القيام بحق الله، وتأكيد مسؤولية أهل العلم منهم، ومن ثم الانذار باستحواذ الظلمة على أمر الأمة إذا لم تنهض لنصرة الحق ومما جاء في ذلك الخطاب:

((اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الاحبار إذ يقول: **﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ﴾**[3]. وقال: **﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾**[4]. وإنما عاب الله ذلك عليهم؛ لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون... ثم انتم ايتها العصابة بالعلم مشهورة، وبالخير مذكورة، وبالنصيحة معروفة.. يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف... أليس كل ذلك انما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله، وإن كنتم عن أكثر حقه تقصرون، فاستخففتم بحق الأئمة، فاما حق الضعفاء فضيعتم، وأما حقكم بزعمكم فطلبتم، فلا مالاً بذلتموه، ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله... لقد خشيت عليكم... أن تحل بكم نقمة من نقماته... وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون،... ولو صبرتم على الأذى وتحملتم المؤونة في ذات الله كانت أمور الله عليكم ترد وعندكم تصدر وإليكم ترجع، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم واستسلمتم [واسلمتم] أمور الله في ايديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات، سلطهم على ذلك فراركم من الموت واعجابكم بالحياة التي

(1) الطبرسي، الاحتجاج، 17/2 – 18.

(2) الهديبي، قراءات في بيانات الثورة الحسينية، ص91 – 92.

(3) سورة المائدة: الآية 63.

(4) سورة المائدة: الآية 78 – 79.

هي مفارقتكم، فاسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمن مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشته مغلوب، يتقلبون في الملك بآرائهم ويستشعرون الخزي بأهوائهم، اقتداءً بالاعراب، وجرأة على الجبار، في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع، فالأرض لهم شاغرة وأيديهم فيها مبسوطة، والناس لهم خول لا يدفعون يد لامس، فمن بين جبار عنيد وذي سطوة على الضعفة شديد، مطاع لا يعرف المبدئ المعيد. فيا عجباً وما لي لا أعجب والأرض من غاش غشوم ومتسلط ظلوم، وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم، فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا))[1].

ومضى الامام الحسين (عليه السلام) منزهاً دعوته من رغبة في سلطان ومقتدياً بالامام علي (عليه السلام) برفع شعار الإصلاح[2] ومحذراً من تخاذل المؤمنين فيغلبهم الظلمة على مقاليد أمورهم فقال:

((اللهم انك تعلم انه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنري [لنرد] المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك، فانكم إلا تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم وعملوا في اطفاء نور نبيكم وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير))[3].

ولعل هذه الحادثة وتواصل أهل العراق مع الحسين (عليه السلام)[4] هو ما إنتهى إلى معاوية بن أبي سفيان مما دفعه إلى الارسال للحسين (عليه السلام) مذكراً اياه بالعهد الذي أخذ (صلح الحسن)، ومشككاً بصدق نوايا أهل العراق واخلاصهم، ومهدداً بالكيد للحسين (عليه السلام) إذا ما كاده؛ فأجابه الحسين (عليه السلام) بكتاب ((سيظل على التاريخ سجلاً لعبث السلطة، وانتقاد الشعب الذي يأبى إلا أن تكون له الرقابة الممنوحة له من قبل الله))[5] وقد أوضح فيه ان ما أوصله وشاة معاوية إليه لا يقصد منه الحسين (عليه السلام) حرباً ولا خلافاً، وإنما لابد من الأعذار لله في معاوية وأتباعه بانكار مخالفاتهم وقد أورد عدد محدود من الباحثين المصريين رسالة معاوية ورد الحسين (عليه السلام) عليها[6] ومما جاء فيه:

---

(1) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة (من علماء القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم، تصحيح: علي أكبر غفاري، ط طهران، 1373هـ/1953م، ص240 – 243.

(2) ينظر: ابن أبي طالب، نهج البلاغة، ص232.

(3) الحراني، تحف العقول، ص243، وقد أورد هذه الخطبة كاملة: النفيس، أحمد راسم، على خطى الحسين، ط ايران، 1418هـ/1997م، ص71 – 76.

(4) ينظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص222.

(5) العلايلي، الامام الحسين، ص336.

(6) لطفي، الشهيد الخالد، ص26 – 28، أبو علم، الحسين بن علي، ص89 – 91، السحار، حياة الحسين، ص74 – 76، وممن أورد رد الحسين مختصراً: الجمل، سيرة الحسين، ص70، محمد، أهل البيت في مصر، ص62، وممن أشار إليها ولم يوردها: حمادة، دراسة وثقية، ص40.

((.. فأما ما نُمي إليك فإنما رقاه الملاقون المشاؤون بالنمائم المفرقون بين الجميع، وما أريد حرباً لك ولا خلافاً عليك، وأيم الله لقد تركت ذلك وأنا أخاف الله في تركه، وما أظن الله راضياً عني بترك محاكمتك إليه، ولا عاذري دون الأعذار إليه فيك وفي أوليائك القاسطين الملحدين، حزب الظالمين وأولياء الشياطين))(1).

ثم استمر الحسين (عليه السلام) في رسالته مذكراً معاوية بمنكراته كقتل حجر بن عدي وأصحابه المصلين العابدين الذين أنكروا الظلم، وقاوموا البدعة ولم يخافوا في الله لومة لائم، وقتل عمرو بن الحمق الخزاعي المعروف بعبادته وتقواه، واستلحاق زياد بن سمية ومخالفة السنة النبوية، ثم ذكره بسيرة زياد القاسية في شيعة علي (عليه السلام) فقال:

((... أولست صاحب الحضرميين الذي كتب إليك ابن سمية أنهم على دين علي، فكتبت إليه: اقتل من كان على دين علي ورأيه، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك، ودين علي دين محمد(صلى الله عليه وآله) الذي كان يضرب عليه أباك، والذي......... أجلسك مجلسك هذا، ولولا هو كان أفضل شرفك تجشم الرحلتين في طلب الخمور..))(2).

وعندما حذّر معاوية الحسين (عليه السلام) من الفتنة، وشق عصا الألفة في الأمة أجاب الحسين(عليه السلام):

((... واني لا أعلم لها فتنة أعظم من امارتك عليها، وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد، واني والله ما اعرف أفضل من جهادك، فإن افعل فإنه قربة إلى ربي، وان لم أفعله فاستغفر الله لديني، واسأله التوفيق لما يحب ويرضى، وقلت...: متى تكدني أكدك، فكدني يا معاوية فيما بدا لك، فلعمري لقديماً يكاد الصالحون، واني لأرجو ان لا تضر إلاّ نفسك، ولا تمحق إلاّ عملك، فكدني ما بدا لك، واتق الله يا معاوية، واعلم ان لله كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، واعلم ان الله ليس بناسٍ لك قتلك بالظنة، واخذك بالتهمة،... ما أراك إلاّ وقد اوبقت نفسك، وأهلكت دينك، وأضعت الرعية))(3).

يتضح من النصوص المتقدمة من رسالة الحسين (عليه السلام) التزامه بالوفاء بما اُتفق عليه في صلح الحسن (عليه السلام) من وضع الحرب، والتريث حتى وفاة معاوية ليعاد الأمر شورى بين المسلمين، وإذا كان الامام الحسين (عليه السلام) يرى ضرورة ابداء الانكار لمخالفات معاوية وولاته فهو يلتزم بالحفاظ على وحدة الأمة، ويبدو أن مبايعة معاوية لابنه يزيد لولاية العهد، قد جعل الحسين (عليه السلام) يُسفر عن معارضته التي باتت تقاوم حكومة أخلت بالتزامها السياسي (إعادة الأمر شورى)، والديني (مفاسد الحكومة)، والأخلاقي (تتبع شيعة علي وعدم الالتزام بشروط الصلح). لكن مما يشار إليه ان خطوات الحسين (عليه السلام) لم تتعد التمهيد بخلق قاعدة معارضة

---

(1) البلاذري، انساب الاشراف، 128/5 – 129، ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 146/1، الطبرسي، الاحتجاج، 18/2.

(2) البلاذري، انساب الاشراف، 129/5، الطبرسي، الاحتجاج، 19/2.

(3) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 146/1 – 147، البلاذري، انساب الاشراف، 129/5 – 130، الطبرسي، الاحتجاج، 19/2 – 20.

تشعر بالحاجة إلى التغيير والإصلاح ولذلك عوامل متعددة منها: ما عُرف عن معاوية من اسلوب في القضاء على خصومه السياسيين[1]، فضلاً عن ان معاوية ((لم يستهتر استهتاراً مكشوفاً لا يترك للناس عذرا))[2] فبدا – وإن لم يكن لعامة الناس – انه الحاكم لأمر الناس بسلطان الدين فهو كاتب الوحي، وخال المؤمنين[3]، ومن تنازل له الحسن (عليه السلام) وفق عهد مكتوب عن السلطة، ووافق على ذلك الحسين (عليه السلام)، فإذا ما ثار الحسين (عليه السلام) في عهد معاوية لكان من السهولة على معاوية بوجود جهازه الدعائي، ووسائل تمويله الضخمة[4] ان يجعل من الحسين (عليه السلام) رجل دنيا فرق شمل الجماعة في سبيل السلطة وخرج على السلطة الشرعية – وهذا ما رأينا بوادره في رسالة معاوية وجواب الحسين (عليه السلام) عليها –. كما ان الكثير من الناس كان سيظن بأن الحسين (عليه السلام) كان مخالفاً لأخيه الحسن (عليه السلام) في الهدنة مع معاوية، في الوقت الذي كان فيه الحسين (عليه السلام) حريصاً على اظهار موافقته لأخيه في قراره ذاك[5].

ومما له أهميته موقف معاوية من الحسين (عليه السلام) إذ لم يفته أن يضع الارصاد والعيون على تحركاته ومن ذلك ارسال مروان بن الحكم إلى معاوية يعلمه بقدوم رجال من الكوفة إلى الحسين (عليه السلام) واقامتهم عنده فكتب إليه معاوية يحذره من العمل ضده أو ان يستفزه من وصفهم بسفهاء الكوفة من الذين يحبون الفتنة[6].

وعلى وفق هذه السياسة سيكون الحسين (عليه السلام) تحت الرصد، والتخلص منه سيكون سهلاً لبعده عن القاعدة التي أراد الاستناد عليها (الموالين من أهل الكوفة)، وترصد عدوه به فيُقضى عليه بهدوء فلا يكون سوى ((علوي مات حتف أنفه، يثير موته الأسى في قلوب أهله، ومحبيه وشيعة أبيه إلى حين ثم يطوي النسيان ذكراه))[7].

وإذا قُدر لثورة الحسين (عليه السلام) أن تقوم فإن مقوماتها الاقتصادية كانت ضعيفة، وجهاز الدولة أقوى منه فقد كان الحسين (عليه السلام) تحت رحمتها تضيّق عليه متى شاءت، في حين كان معاوية يتألف الناس بالأموال، ويوسع العطاء على شيوخ العشائر وذوي المكانة وينعم عليهم

---

(1) ينظر: موقفه مع سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والحسن بن علي (عليه السلام).

الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص81، ابن عبد البر، الاستيعاب، 409/2. ابن الاثير، أسد الغابة، 289/3.

(2) العلايلي، الامام الحسين، ص338.

(3) ينظر: المنقري، صفين، ص32.

(4) ينظر: الحسناوي، المعارضة، 478 – 489.

(5) ينظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص220 – 221.

(6) المصدر نفسه، ص224 – 225.

(7) شمس الدين، ثورة الحسين، ص155.

بالهبات والجوائز[1] وقد استخدم معاوية منع العطاء عن بني هاشم من دون الناس كنوع من الضغط عليهم ليحملوا الحسين (ع) على البيعة ليزيد[2].

ويبدو أن الحسين (ع) كان مدركاً لهذا الواقع عندما نصح شيعته في الكوفة بالتريث ما دام معاوية حياً وإن ظل يعد العدة اللازمة للنجاح عند القيام، وقد سارت هذه الاعدادات بالطريقة المرسومة لها حتى إذا مات معاوية كان ((أمر الشيعة في الأعوام الأخيرة من حكم معاوية قد عظم، وانتشرت دعوتهم أي انتشار في شرق الدولة الإسلامية وفي جنوب بلاد العرب، ومات معاوية... وكثير من الناس وعامة أهل العراق بنوع خاص يرون بغض بني أمية وحب أهل البيت لأنفسهم ديناً))[3].

(1) غنيم، الثورات العلوية، ص113.

(2) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 154/1، ابن الأثير، الكامل، 355/3.

(3) حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 197/2.

المبحث الثالث

موقف الامام الحسين(عليه السلام) من يزيد والبيعة له في المصنفات المصرية.

أ – شخصية يزيد في المصنفات التاريخية والمصرية:

إن لمعرفة شخصية يزيد أهمية في تحديد موقف الحسين (عليه السلام) لنصل إلى أن ((مبررات الثورة موجودة في سلوك يزيد نفسه، هذا السلوك الذي لا يلتقي مع الدين))[1].

إذ لم يُختلف في أن يزيد هو ابن معاوية بن أبي سفيان، صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس[2] وكنيته أبو خالد[3]. أمه ميسون بنت بحدل الكلبية التي تزوجها معاوية لتوطيد صلته بالقبائل اليمنية[4] فبني كلب أخوال يزيد وأنصاره[5].

وقد ولد يزيد في سنة خمس أو ست أو سبع وعشرين للهجرة /645م، 646م، 647م[6]. ونشأ وتربى في حجر معاوية يطلب فلا يرد له طلب، ويأمر فيطاع فترعرع وكبر على ((اقبال على الشهوات))[7]، وكان معاوية لا يعدل بما يرضيه شيئاً[8].

وقد تواتر في المصادر المتقدمة عن شهود كثر معروفون بورعهم وتقواهم شهادات تتحدث عن يزيد وعن سلوكه وصفاته الأخلاقية المشينة، ومن ذلك ارتكابه لبعض الكبائر كشرب الخمر، والزنا، وترك الصلاة، فقد قال فيه معقل بن سنان بن مظهر[9]، ان يزيد ((رجل يشرب الخمر

---

(1) شمس الدين، ثورة الحسين، ص167.

(2) الزبيري، نسب قريش، ص121 – 127؛ الطبري، تاريخ، 168/6، ابن كثير، البداية والنهاية، 229/8؛ ابن طولون الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي الصالحي (ت953هـ/1546م)، قيد الشريد من أخبار يزيد، دراسة وتحقيق: كرم حلمي فرحات، ط القاهرة، 1426هـ/2005م، ص85؛ الشمري، هزاع ابن عبد، حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، ط اليمامة، 1395هـ/1975م، ص11.

(3) ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت275هـ/888م)، تاريخ الخلفاء، ط2، بيروت، 1407هـ/1986م، ص28.

(4) الزبيري، نسب قريش، ص127؛ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 135/1؛ اليعقوبي، تاريخ، 168/2؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 229/8؛ ابن طولون الدمشقي، قيد الشريد، ص86.

وقد أختلف في اسم أب ميسون فجعله ابن كثير (مخول)، وابن طولون (بحدل). واثبته الباحث حسب ما ورد لدى الزبيري.

(5) دسوقي، القبائل العربية، ص357.

(6) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 229/8؛ ابن طولون الدمشقي، قيد الشريد، ص85؛ الشمري، حقائق، ص11.

(7) ابن كثير، البداية والنهاية، 230/8.

(8) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 156/1؛ وينظر: الجاحظ، رسائل، 155/2.

(9) الاشجعي، صحب النبي (صلى الله عليه وآله) وشهد معه فتح مكة، وحمل لواء قومه فيها، أسره مسلم بن عقبة المري بعد وقعة الحرة وقتله صبراً. ابن سعد، الطبقات، 282/4 – 283؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 410/3.

وينكح الحرم))[1]، وقال عنه عبد الله بن حنظلة الغسيل[2]: ((والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا ان نرمى بالحجارة من السماء، ان رجلاً ينكح الامهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاءً حسناً))[3].

وقد اشتهر يزيد بشرب الخمر حتى عُرف بـ ((يزيد الخمور))[4] على الرغم من أمر الله سبحانه وتعالى باجتناب الخمر واعتبارها رجس من عمل الشيطان قال تعالى: ﴿... **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ**...﴾ [5]، وما ورد عن الرسول(ﷺ) من لعن شاربها[6].

وقد ورد على لسان الصحابة ما يدل على اظهار يزيد لذلك فورد في رسالة الحسين(عليه السلام) إلى معاوية وصف يزيد بشرب الخمر وملاعبة الكلاب[7]، وقال عنه عبد الله بن عمر مستنكراً بيعته: ((نبايع من يلعب بالقرود والكلاب، ويشرب الخمر، ويظهر الفسوق! وما حجتنا عند الله))[8]. ونقل الطبري عن أهل المدينة بعد قدومهم من عند يزيد سنة 62هـ/681م قولهم: ((انا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطنابير، ويضرب عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسامر الخُرّاب والفتيان))[9].

وذكر ابن كثير[10] ان معاوية أحسّ بما كان يظهره يزيد فوعظه في رفق ! فقال ((يا بني ما اقدرك على أن تصل إلى حاجتك من غير تهتك يذهب بمروءتك وقدرك، ويشمت بك

---

(1) ابن سعد، الطبقات، 283/4؛ ابن حجر، الاصابة، 446/3.

(2) ابن أبي عامر، وأبوه صاحب رسول الله (ﷺ) الذي خرج إلى أحد جنباً فاستشهد وغلسته الملائكة، فيقال لولده: بنو غسيل الملائكة، ولد عبد الله بعد أحد، فرأى النبي (ﷺ) وسمع منه، وقد أجمع أهل المدينة على عبد الله لقيادتهم في وقعة الحرة لعبادته وورعه وتقواه. وقتل في تلك الوقعة سنة 63هـ/682م.
ابن سعد، الطبقات، 65/5 – 66؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 286/2 – 287.

(3) ابن سعد، الطبقات، 66/5؛ وينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، 287/2؛ ابن الاثير، أسد الغابة، 147/3.

(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 348/6؛ ووصفه عبد الله بن الزبير بـ: ((السكير الخمير)). المسعودي، التنبيه والاشراف، ص279؛ وينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 319/5.

(5) سورة المائدة: الآية /90.

(6) روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: ((لعن الله الخمر وعاصرها، ومعتصرها، وشاربها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومبتاعها، وساقيها، ومسقاها)). ابن ماجة، السنن، ص576؛ المنذري، الترغيب والترهيب، 175/3.

(7) ينظر: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 147/1؛ البلاذري، انساب الاشراف، 120/5.

(8) اليعقوبي، تاريخ، 159/2.

(9) تاريخ، 262/6 – 263.

(10) عماد الدين إسماعيل بن عمر الشافعي، ولد في سنة 700هـ أو 701هـ/1300 – 1301م، في احدى قرى الشام، نشأ في دمشق، واختلف إلى حلقات العلم والدرس، وأخذ على كبار علمائها، وصف بالحفظ والدقة والفهم الصحيح وحسن السليقة إلا انه يعد من محدثي الفقهاء ولم يكن يعمل على طريقة المحدثين في تحصيل العوالي وتمييز العالي من النازل في الحديث ونحو ذلك من فنونهم توفي سنة 774هـ/1372م. =

عدوك، ويسيء بك صديقك))[1] وعلق على ذلك ابن كثير قائلاً: وهذا كما جاء في الحديث ((من ابتلى بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله عز وجل))[2] !!

وروى البلاذري ان يزيد بن معاوية كان أول من أظهر شرب الشراب والاستهتار بالغناء والصيد واتخاذ القيان والغلمان، والتفكه بما يضحك منه المترفون من القرود والمعاقرة بالكلاب والديكة[3]. ولم يتخلف عن وصفه بتلك الصفة حتى ابنه معاوية بن يزيد[4]، عندما قال: (........ ان من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه، وبئس منقلبه..... أباح الخمر وضرب الكعبة)[5].

ومما اشتهر به يزيد تركه للصلاة فورد فيه: ((رأيت يزيد بن معاوية يترك الصلاة سكراً))[6]، وقيل عنه بأنه كان يترك ((الصلوات في بعض الأوقات، وإماتتها في غالب الأوقات))[7].

ومن الطبيعي ان تلقى هذه الصفة استهجان المسلمين وهم لا يزالون يعيشون الإسلام في عهده الأول، ولا تزال تتردد بينهم أقوال الرسول (ﷺ) الذي قرن بين الشرك والكفر وبين ترك الصلاة[8].

وقد أورد هذه الصفات والسلوك المشين الذي اتصف به من تولى قيادة أمر المسلمين عدد من الكتّاب المصريين[9] بينما أجهد عدد آخر منهم نفسه – لاسيما المتأخرين منهم أي

= ينظر: ابن حجر، أحمد العسقلاني (ت852هـ/1448م)، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، ط مصر، (بلا.ت)، 400/1، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ/1505م)، طبقات الحفاظ، تحقيق: علي محمد عمر، ط مصر، 1393هـ/1973م، ص529.

(1) البداية والنهاية، 228/8.

(2) المصدر نفسه، 228/8.

(3) انساب الاشراف، 299/5، ابن الطقطقى، الفخري، ص103. وقد أورد البلاذري قول أحد الشعراء معرضاً باتخاذه القرود:

فتباً لمن أمسى علينا خليفة ... صحابته الأدنون منه قرودُ

انساب الاشراف، 300/5؛ وينظر: الدميري، كمال الدين بن موسى بن عيسى (ت808هـ/1405م)، حياة الحيوان الكبرى، صححها: عبد اللطيف سامر، ط قم، 1425هـ/2004م، 70/2.

(4) كنيته أبو يزيد، بويع له يوم هلك أبوه، واقام ثلاثة اشهر وقيل اربعون يوماً ثم توفي سنة 64هـ/683م، وله من العمر نيف وعشرون سنة ودفن بدمشق. ابن ماجة، تاريخ الخلفاء، ص28 – 29؛ ابن الطولوني، النزهة السنية، ص55.

(5) ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص336.

(6) البيهقي، دلائل النبوة، 474/6.

(7) ابن كثير، البداية والنهاية، 230/8.

(8) روي عن النبي (ﷺ) قوله: ((بين الكفر والإيمان ترك الصلاة)). الترمذي، سنن، ص707؛ المنذري، الترغيب والترهيب، 213/1؛ وروي عنه (ﷺ): ((ليس بين العبد والشرك إلا ترك الصلاة، فإذا تركها فقد اشرك)). ابن ماجة، سنن، ص182؛ وقوله (ﷺ) عن ابن سعيد الخدري ((يكون خلف من بعد 60 سنة اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا)). البيهقي، دلائل النبوة، 465/6.

(9) ينظر: عويس، فهمي، شهيد كربلاء الامام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ط مصر، 1368هـ/1948م، ص116 – 127؛ لطفي، الشهيد الخالد، ص29؛ العقاد، أبو الشهداء، ص149 – 150؛ صالح، العرب والإسلام، ص333؛ السحار، أهل بيت النبي، ص285 – 286؛ غريب، الامام الحسين، ص63 – =

الذين كتبوا في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي – لرد هذه الاخبار التي بلغت حد التواتر وقاموا بمحاولات حثيثة ومضنية لتبرئة يزيد وما نسب إليه، أو لتبرير تلك الافعال عندما لا يجدون محيصاً من صدقها جرياً وراء المنهج التبريري وبما يوائم الفكر السلفي الذي غلب على نتاجات بعض هؤلاء الكتّاب بعد النصف الثاني من القرن العشرين.

فقد برأ بعض هؤلاء الكتّاب يزيد إذ لم يذكروا تهتكه، وتركه للصلاة وشرب الخمر وإنما نزهوه بحجة أنه من الطبقة الأولى من التابعين، وقد علمه أبوه العدل والانصاف والتواضع !! وقد شذّ ابن الزبير والحسين (عليه السلام) عن الأمة في امتناعهما عن بيعة يزيد التي استجاب لها باقي الصحابة وعقلاء الأمة !! وان تاريخ يزيد لو دُرس دراسة رائدها البحث عن الحقيقة المجردة عن الهوى والميول والعواطف لتغيرت نظرة كثير من الناس إلى يزيد ولأخذ مكانه الصحيح بين خلفاء المسلمين في التاريخ الإسلامي[1].

إن تبرأة يزيد بحجة انه من التابعين هو احتجاج واهٍ يقوم على نفي النصوص الصريحة لاعتقاد خاص بصلاح كل شخصية أو تنزيهها على أساس قربها الزمني أو بعدها عن الرسول (صلى الله عليه وآله)، وهذا الرأي غير موضوعي في تقييم أو تشخيص الخلل في سلوك أي فرد من المسلمين، فلا يخفى ان الخطأ قد وقع من صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله) فكيف بتابعيهم ؟ وان الحسين (عليه السلام) وابن الزبير لم يكونا شاذين في انكار بيعة يزيد – كما سيتضح – فقد اعترض على بيعة يزيد كل أهل المدينة الذين أخذت منهم البيعة بالاكراه، وقد تقدم ذكر رأي عبد الله ابن عمر فيها.

ولم يقدم لنا هؤلاء الكتّاب دراسة مجردة عن الهوى والميول بل اتهموا العلويين بنشر الدعايات والشائعات بسبب الخصومة السياسية التي هيأت الأجواء لتقبل هذه الدعاوى بغير تريث فقال النجار: ((والحقيقة ان يزيد لم يكن شارب خمر ولا فاسقاً كما اشتهر ذلك بواسطة الدعاية الشيعية المنظمة))[2]، وذكر شاهين ان كل الشبهات الكثيرة التي أثيرت على اخلاق يزيد لا تصمد أمام النقد العلمي البريء، إذ لم تظهر هذه الشبهات عليه إلاّ قبيل الثورات التي حدثت ضده بعد صعوده إلى سدة الحكم أما قبل ذلك وفي عهد أبيه فلا نعلم اتهاماً خطيراً يُعتد به ليزيد في عهد معاوية، وان كل ما وضع على يزيد هو من ترويج اعداء بني أمية من قبيل رميه بشرب الخمر، وترك الصلاة، واتيان الفواحش، فإن هذا الافتراء لو صحّ، فإن أباه معاوية وهو خليفة المسلمين لم يكن ليسمح لابنه بانتهاك الإسلام، وهو يعده ليكون خليفة للمسلمين وان أهل الشام وبنو أمية انفسهم سوف لا يرضون به خليفة وفيه تلك الصفات لأنهم

= 64؛ منصور، الشقيقان، ص35 – 36؛ الورداني، السيف والسياسة، ص134؛ أبو النصر، الحسين بن علي، ص44 – 46؛ عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص67؛ الشريف، دور الحجاز، 414 – 415؛ واشار إلى ذلك من كتب عن الحسين(عليه السلام) في المصنفات الأدبية المصرية مثل: عيش، صوت الحسين، ص11؛ زيدان، جرجي، غادة كربلاء، ط بيروت، بلا.ت، ص25 – 26، ص346.

(1) عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص127، ص130، ص131، ص134؛ عويس، عبد الحليم، بنو أمية بين السقوط والانتحار، ط القاهرة، 1386هـ/1966م، ص24.

(2) الشيعة وامام علي، ص26.

لا يقبلون الدنية في دينهم ليستخلفوا رجلاً سكيراً خميراً على ما وصفه به الرواة[1] وهذا الرأي يرده ما روي عن ابن كثير من نصح معاوية لابنه في تجاوز التهتك إلى التستر بالمعاصـــي[2]، واعتراض عدد من الصحابة على بيعة يزيد لسوء سيرته كالحسين (عليه السلام)، وعبد الله بـــن عمـــر، وعبد الله بن الزبير وغيرهم[3]. بل ان ولاة معاوية حاولوا منعه من استخلاف يزيد واظهروا العيب فيه[4] ولا يُنفى الاتهام الثابت بنصوص صريحة لمجرد الظن أن معاوية لم يكن ليسمح بانتهاك الإسلام لولي عهده، أو لأن بني أمية لا يرضون ان يتولاهم سكيراً خميراً، لاســيما وأن عدداً منهم قد عرف بشرب الخمر سواء كان في ولاية المسلمين أو خارجها[5].

وانضم حمادة إلى رأي شاهين فأكد أن المصادر المختلفة التي صورت يزيد في صورة قبيحة مشوهة، وأجمعت على وصفه بأقبح الصفات (سكير، سفيه، جاهل، قاسي) كانت بتأثير من الدعاية العلوية التي شوهت سمعته وسيرته وطمست محاسنه وأبرزت مـــساوئه، إلاّ أن يزيد لم يكن اسوء ممن أتى من بعده من الخلفاء، وذكر أن لدينا نصوص نستطيع من خلالها ان نرسم صورة أقل بشاعة، ولم يورد من تلك النصوص سوى خطبة ليزيد ابـــان ولايتـــه وصف نفسه فيها بالجهل وان توليه هو أمر من الله[6]، ليقول الكاتب بأن ذلك دليل على ثقـــة يزيد بنفسه، ثم مدح معالجة يزيد لثورة أهل المدينة عندما حاول ان يطمعهم بزيادة العطـــاء فلم يفلح في تجنب سفك الدماء وما حيلة يزيد إذا أصرّ القوم على تحديه وخلعه !! كما يقول الكاتب المصري[7].

وقد وصف كاتب آخر يزيد برجاحة العقل وحسن التصرف ومعرفته بالقرآن وحفظه لـــه، كما يتضح – في رأيه – من استخدام يزيد لألفاظ القرآن في طي كلامه وهو دليل على كذب ما تدعيه الروافض من توجيه الاتهامات لشخص يزيد والصاق تهمة شرب الخمـــر وتـــرك

---

(1) الدولة الأموية المفترى عليها، ص286 – 287؛ عبد الآخر، التامر على التاريخ الإسلامي، ص140.

(2) البداية والنهاية، 228/8.

(3) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 147/1؛ البلاذري، انساب الاشـــراف، 120/5، 319، 324؛ اليعقـــوبي، تـــاريخ، 159/2.

(4) ينظر: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 143/1، اليعقوبي، تاريخ، 153/2؛ المسعودي، مروج الذهب، 219/3.

(5) ينظر: قصة جلد عنبسة بن أبي سفيان أخو معاوية بن أبي سفيان الذي حد لشربه الخمر بشهادة الـــشهود، وقـــام بجلده والي الطائف عبد الله بن خالد بن أسيد المخزومي، وقد أخذ معاوية قطائع عائدة لعبد الله المخزومي بسبب جلد عنبسة ولم يردها على والي الطائف. ينظر: ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص297 – 298؛ وينظر: اظهار عبد الرحمن بن أم الحكم – ابن اخت معاوية – شرب الخمر عندما كان والياً على الكوفة واعتراف معاوية بذلك، البلاذري، انساب الاشراف، 145/5.

(6) لما توفي معاوية صعد يزيد المنبر فخطب فقال: ((ان معاوية كان حبلاً من حبال الله مده ما شاء الله ان يمده ثـــم قطعه حين شاء ان يقطعه... وقد وليت الأمر بعده ولست أعتذر من جهل ولا اشتغل بطلب علم فعلى رسلكم فإن الله لو أراد شيئا كان)). المسعودي، مروج الذهب، 263/3؛ وقد ورد المقطع الاخير عند البلاذري كـــالآتي: ((ولن أني عن طلب ولا اعتذر من تفريط، وعلى رسلكم إذا أراد الله شيئاً كان)). انساب الاشراف، 162/5.

(7) دراسة وثقية، ص42 – 45.

الصلاة وتعدي أحكام كتاب الله به ظلماً وعدوانا[1]. فالروايات بنظر هؤلاء الكتّاب لم تجرح يزيداً في كفاءته ودينه وعلمه وجهاده، وان اتهامه بشرب الخمر لا يثبت إلاّ بشاهدي عدل، وقد عجز المبطلين ان يجدوا شاهداً واحداً، وفضحت دعواهم !! كما يقول الجبري[2].

ويبدو أن الغاية من تنزيه يزيد كان لغرض الطعن في ثورة الحسين (عليه السلام) ومشروعيتها عند هؤلاء الكتّاب فيزيد وإن كان صاحب الخبرة القليلة فإن معارضيه لم يكونوا اكفأ منه فأبن الزبير أثار حرب الجمل واخرج خالته عائشة وفض عنها الحجاب وتسبب في معركة قتل فيها آلاف من المسلمين، والحسين (عليه السلام) لا يفضل يزيد بغير الأرومة الطيبة والقرابة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفيما عدا ذلك لم يثبت له التاريخ تجارب سياسية وإدارية تجعله يفضل على يزيد في حمل أعباء الخلافة[3].

وجميع الثائرين في نظر كاتب آخر ثائرون على الشرعية، فالحسين (عليه السلام) خرج على الطاعة، ورفع راية العصيان على الخليفة الشرعي الذي حصل على بيعة كل امهات المسلمين اللائي كن على قيد الحياة وان بلاد المسلمين كانت تعج بالصحابة فلم يعترض أحد منهم على بيعة يزيد لما كان فيه من تقوى وصلاح وحسن إدارة وسياسة إذ كان في جملة المبايعين له (18) بدرياً، و (14) ممن بايع بيعة الرضوان و (233) صحابياً كانوا زبدة المسلمين[4].

ومما يُرد به على ما أورده هذا الكتاب أن أهل المدينة قد خرجوا على بيعة يزيد ما خلا بني أمية الذين أخرجوا منها قبيل وقعة الحرة وقد قتل فيها (306) من المهاجرين والأنصار وأبنائهم ذكرهم ابن خياط بأسمائهم[5]، وبلغ قتلى قريش يومئذ نحواً من مائة، وقتلى الانصار والحلفاء والموالي نحو المائتين[6] فأين هؤلاء الصحابة الذين عددهم الكاتب المصري وجعلهم من جملة المبايعين.

وإذا كان أغلب الكتّاب المصريين – ممن دافع عن يزيد – قد نحى في دفاعه منحى ابن العربي، أو نزه يزيد من أي اتهام وأحال القارئ إلى دفاع ورأي ابن العربي[7]؛ فلا مناص

---

(1) فرحات، كرم حلمي، دراسة في مقدمة تحقيق كتاب قيد الشريد في اخبار يزيد لابن طولون الدمشقي (ت953هـ/1546م)، ط القاهرة، 1426هـ/2005م، ص21 – 35.

(2) حوار مع الشيعة، ص240 – 241، ص246، ص256.

(3) شلبي، الدولة الأموية، ص48 – 53.

(4) شاه، العقائد الشيعية، ص70 – 71.

(5) تاريخ، ص150 – 155؛ وينظر: التعداد بأرقام اكبر: المسعودي، التنبيه والاشراف، ص280؛ ابن الوردي، تاريخ، 165/1.

(6) ابن عبد البر، الاستيعاب، 411/3.

(7) ينظر: الجبري، حوار مع الشيعة، ص240 – 241، ص246، ص256، الجميلي، السيد، تحقيق ودراسة كتاب استشهاد الحسين للامام الطبري ويليه رأس الحسين لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط2، بيروت، 1417هـ/1997م، ص12؛ القرضاوي، يوسف، تاريخنا المفترى عليه، ط القاهرة، 1426هـ/2005م، ص84 – 85.

للباحث من عرض آراء هذا الأخير، وحججه التبريرية لأن لتلك الآراء مكانها وأثرها في الفكر السلفي المصري، وقد طبعت الكثير من النتاجات المصرية بطابعها.

وقد جاءت آراء ابن العربي في سياق اعتماده لأهلية يزيد لولاية أمر المسلمين على ضوء شروط الامامة التي قررها الواقع العام، فهو من القائلين بولاية المفضول وإن كان هناك من هو أفضل منه إذا عقدت له، لما في عدم عقدها [أي الامامة] أو طلب الأفضل من استباحة ما لا يباح، وتشتيت الكلمة، وتفريق أمر الأمة[1].

ولكي لا يسقط أحد أهم شروط الامامة الواجبة لصحة عقدها ومنها العدالة[2] قال ابن العربي في دفاعه عن أهلية يزيد: ((فإن قيل: كان يزيد خماراً. قلنا: لا يحلُّ إلاّ بشاهدين، فمن شهد بذلك عليه ؟ بل شهد العدل بعدالته. فروى يحيى بن بكير[3]، عن الليث بن سعد[4]، قال الليث: "توفي أمير المؤمنين يزيد في تاريخ كذا" فسماه الليث (أمير المؤمنين) بعد ذهاب ملكهم وانقراض دولتهم، ولولا كونه عنده كذلك ما قال إلا (توفي يزيد)))[5].

---

(1) ينظر: العواصم من القواصم، ص149 – 152.

(2) هناك من يشترط العدالة في الامام وهم: ((الخوارج، والزيدية، والروافض [يعني الشيعة] وجمهور المعتزلة وبعض السنة)). ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت456هـ/1063م)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط2، بيروت، 1395هـ/1975م، 176/4.

وان بعض السُنّة يشترطونها كقول الماوردي: ان مما يخرج بالامام عن الامامة ((شيئان: احدهما جرح في عدالته، والثاني نقص في بدنه، فاما الجرح في عدالته وهو الفسق فهو على ضربين: أحدهما ما تابع فيه الشهوة. والثاني ما تعلق فيه بشبهة، فأما الأول منهما فمتعلق بأفعال الجوارح وهو ارتكابه للمحضورات واقدامه على المنكرات تحكيماً للشهوة وانقياداً للهوى، فهذا فسق يمنع من انعقاد الامامة ومن استدامتها...)).

أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت450هـ/1058م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط2، مصر، 1386هـ/1966م، ص17. وكقول القلقشندي: ((... فلا تنعقد إمامة الفاسق، وهو التابع لشهوته، المؤثر لهواه من ارتكاب المحضورات، والاقدام على المسكرات، لأن المراد من الامام مراعاة النظر للمسلمين، والفاسق لم ينظر لنفسه في أمر دينه، فكيف ينظر في مصلحة غيره)).

الجرجاني، علي بن محمد (ت816هـ/1413م)، شرح المواقف، ط مصر، 1325هـ/1907م، 350/8. وينظر: شمس الدين، محمد مهدي، نظام الحكم والادارة في الإسلام، ط7، بيروت، 1420هـ/2000م، ص166 – 167.

(3) من أهل العراق، صنفه ابن النديم ضمن أصحاب الرأي من العراقيين اتباع أبي حنيفة النعمان، له من الكتب كتاب الشروط. الفهرست، ص261.

(4) الفهمي، يكنى أبا الحرث، من أصحاب مالك وعلى مذهبه، كان امام أهل مصر وكان يكاتب مالكاً ويسأله، له من الكتب: كتاب التاريخ، وكتاب مسائل في الفقه، وكان نواب مصر تحت أوامره. توفي سنة 165هـ/781م في رأي ابن قتيبة، وسنة 175هـ/791م في رأي الذهبي. ينظر: المعارف، ص283، ابن النديم، الفهرست، ص252، الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين (ت746هـ/1345م)، دول الإسلام، ط بيروت، 1405هـ/1985م، ص103.

(5) العواصم في القواصم، ص152 – 153.

فلم يحفل ابن العربي بما اشتهر عن يزيد من خمره وفسقه، وتصريح أكثر من صحابي[1] وتابعي معاصر ليزيد بذلك في وقت لم يقدم يزيد أمام الحكم الإسلامي لسماع شهادة الشهود، واكتفى ابن العربي برأي إنسان واحد يمثل نفسه ومعتقده، وهو بعيد زمنياً عن عصر يزيد، ناهيك عن ان اعتماد قول الليث: (أمير المؤمنين يزيد) بوصفها شهادة عدل بحق يزيد مردود لأن لهذا الأمر في الثقافة السنية أكثر من تبرير لا يوجب عدالته فقد نُقل عن الامام أحمد[2] قوله: ((ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يبيت ولا يراه اماماً عليه، براً كان أو فاجراً، فهو أمير المؤمنين))[3].

وقد استشهد ابن العربي بقول أحمد بن حنبل عن يزيد بن معاوية في كتاب الزهد ان يزيد كان يقول في خطبته: (إذا مرض احدكم مرضاً فاشفى ثم تماثل، فلينظر إلى أفضل عمل عنده فليلزمه، ولينظر إلى اسوأ عمل عنده فليدعه) فقال: ان ذلك يدل على عظيم منزلة يزيد عند ابن حنبل لأنه أدخله في جملة الزهاد من الصحابة والتابعين الذين يقتدى بقولهم ويُرعوى من وعظهم وما أدخله إلا في جملة الصحابة قبل أن يخرج إلى ذكر التابعين. فأين هذا من ذكر المؤرخين له في الخمر وأنواع الفجور..؟ وختم ابن العربي مقاله الوعظي – الذي لم يلغ حقيقة، ولم يدل على زهد يزيد بدليل عملي ملموس، يوازي المنقول من سيرته – بالقول: وإذا سلبهم الله المروءة والحياء [المؤرخين]، ألا ترعوون انتم وتزدجرون وتقتدون بالأحبار والرهبان من فضلاء الأمة [كابن حنبل مثلاً] وترفضون الملحدة والمجان من المنتمين إلى الملة[4].

ويبدو من هذه النصوص ان ابن العربي كان مصدراً للمؤرخين المصريين ليس في تنزيه يزيد فحسب بل، وفي نسبة أخبار فسقه وفجوره إلى جماعة بعينها ووصفها بالالحاد والمجون، وقد كان المصريون اشجع في التصريح باسمها (العلويون) تارة، و (الرافضة) تارة أخرى.

---

(1) فضلاً عمن تقدم ذكره ورد عن الحسين قوله لمعاوية عندما دعاه إلى بيعة يزيد وعدد له فضائل: ((تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه)).

ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 150/1.

(2) أبو عبد الله بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي البغدادي، له عدة كتب منها: كتاب العلل، كتاب التفسير، كتاب الزهد، كتاب الفضائل، وكتاب المسند ويحتوي على نيف واربعين ألف حديث، توفي في بغداد سنة 241هـ/855م، وكان له ضريح يزار في بغداد. ابن النديم، الفهرست، ص285؛ الذهبي، دول الإسلام، ص130.

(3) الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسين الحنبلي (ت458هـ/1065م)، الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، ط2، مصر، 1406هـ/1985م، 20/1.

(4) العواصم من القواصم، ص156.

وقد انتقى عدد من الباحثين والكتّاب المصريين[1] في سعيهم لتبرأ يزيد من شربه الخمر وتركه الصلاة نصاً واحداً ورد لدى ابن كثير (ت774هـ/1372م)، ولأهمية النص سيورده الباحث كاملاً:

((ولما رجع أهل المدينة من عند يزيد مشى عبد الله بن مطيع[2] وأصحابه إلى محمد بن الحنفية فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم، فقال ابن مطيع: ان يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب. فقال لهم: ما رأيت منه ما تذكرون، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواضباً على الصلاة متحرياً للخير يسأل عن الفقه ملازماً للسنة، قالوا: فإن ذلك كان منه تصنعاً لك. فقال: وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إليّ الخشوع ؟ افأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر ؟ فلئن كان إطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه، وإن لم يكن إطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا. قالوا: إنه عندنا لحق وإن لم يكن رأيناه. فقال لهم أبى الله ذلك على أهل الشهادة، فقال: ﴿... **إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[3] ولست من أمركم في شيء، قالوا: فلعلك تكره ان يتولى الأمر غيرك فنحن نوليك امرنا. قال: ما استحل القتال على ما تريدونني عليه تابعاً ولا متبوعاً. قالوا: فقد قاتلتَ مع أبيك، قال: جيئوني بمثل أبي أقاتل على مثل ما قاتل عليه، فقالوا: فمر إبنيك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا، قال: لو أمرتهما قاتلت. قالوا: فقم معنا مقاماً تحض الناس فيه على القتال، قال: سبحان الله !! آمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه إذاً ما نصحت لله في عباده. قالوا: إذا نكرهك. قال: إذاً آمر الناس بتقوى الله ولا يُرضون المخلوق بسخط الخالق، وخرج إلى مكة))[4].

وإذا كان الباحث يسجل هنا على الكتّاب والباحثين المصريين الذين أوردوا هذه الرواية منهجهم الانتقائي لأن ابن كثير الذي أخذوا عنه قائلٌ بفسق يزيد[5]، وقد أورد هذه الرواية لتبرير الرأي القائل بأن الفاسق لا يجوز خلعه لأجل ما يثور بسبب ذلك من الفتنة ووقوع الهرج[6]، **فإن لنا ان نتسائل لماذا اعتمدوا هذه الرواية وأهملوا رأي ناقلها ؟!**

---

(1) ينظر: عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص490؛ شاهين، الدولة الأموية، ص198؛ الجبري، حوار مع الشيعة، ص245 – 246؛ النجار، الشيعة وامامة علي، ص26 – 27؛ فرحات، دراسة في مقدمة كتاب قيد الشريد، ص30 – 31؛ الجميلي، دراسة في مقدمة كتاب استشهاد الحسين، ص12؛ عويس، بنو أمية بين السقوط والانتحار، ص24؛ عبد العال، محمد، الحالة السياسية للمدينة المنورة ابان الحكم الأموي، ط دسوق، 1421هـ/2000م، ص79.

(2) ابن الاسود بن حارثة بن نضلة... بن كعب القرشي العدوي، ولد على عهد رسول الله (ﷺ)، كان على قريش لما أخرج أهل المدينة بني أمية أيام يزيد بن معاوية من المدينة، وخلعوا يزيد، ثم فرّ بعد وصول أهل الشام المدينة ولحق بابن الزبير بمكة وقتل معه وكان من جُلة قريش شجاعة وجلداً. ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص222؛ ابن الاثير، أسد الغابة، 262/3.

(3) سورة الزخرف: الآية 86.

(4) البداية والنهاية، 233/8.

(5) ينظر: المصدر نفسه، 230/8، 232.

(6) المصدر نفسه، 232/8 – 233.

ويرجح الباحث وضع هذه الرواية لعدة مسوغات فهي لم ترد في المصادر المتقدمة[1] – التي قيض للباحث الإطلاع عليها – مع انها أقرب زمنياً إلى وقوع الحادثة وأسبق من ابن كثير.

وقد ذكر ابن كثير هذا النص بدون سند، فهو من أخبار الآحاد التي سُكت عن روايتها لأكثر من سبع قرون – إذ لم ترد في مصدر متقدم – ثم اصبح ايراد ابن كثير لها دليلاً على التسليم بتبرأة يزيد لدى الكتّاب المصريين واسقاط كل المروي عنه في المصادر السابقة.

أما من ناحية متن الرواية فكاتب النص – أو راويه – حاول أن يظهر يزيداً مواظباً على الصلاة، متحرياً للخير، سائلاً عن الفقه، ملتزماً بالسنة، وهي شهادة جعلها تصدر من أحد زعماء بني هاشم، وابن علي بن أبي طالب (ﷺ)، فلابد وأن تكون صادقة وان اتهام يزيد بصفات الانحلال والفسق والفجور اتهامات باطلة !!، ولعل اقحام اسم محمد بن الحنفية في الرواية كان لهذا الغرض فعند الاسترسال في قراءة النص يتبين ان محمداً وهو ابن علي(ﷺ) وأخو الحسين (ﷺ) كان يجد بأن الخروج على يزيد إنما خروج على الحاكم الشرعي والخليفة الواجب الطاعة، بل ان النص يدل على ان القتال بعد علي (ﷺ) للدولة الأموية باطل وغير مشروع (قالوا: قد قاتلت مع أبيك، قال: جيئوني بمثل أبي اقاتل على مثل ما قاتل عليه). فخروج الحسين (ﷺ) لم يكن مشروعاً على وفق هذا النص، وهذا ما يخالف ما جاء في الروايات التاريخية التي صرحت بأن محمداً نصح اخاه الحسين (ﷺ) بالمسير إلى مكة – بعد وفاة معاوية والالحاح على الحسين بالبيعة ليزيد من قبل والي المدينة – ليتخلص من ضغط الأمويين أو محاولات ايذائهم له على اعتبار ان مكة حرم آمن[2].

بل ان بقاء محمد بن الحنفية في المدينة عند مغادرة الحسين (ﷺ) إلى مكة كان بأمر الحسين (ﷺ) إذ قال له: ((وأما أنت يا أخي فلا عليك ان تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم ولا تخفي عليّ شيئاً من أمورهم))[3].

وهو ما يؤكد مشاركة محمد بن الحنفية مع أخيه في ثورته على يزيد، فضلاً عن انه سيكون من أشد المعارضين ليزيد بعد مقتل الحسين (ﷺ)، وللدولة الأموية وهو ما يبدو واضحاً في موقفه من ثورة المختار.

---

(1) قام الباحث بجرد المصادر التالية: طبقات ابن سعد (ت230هـ/844م)، تاريخ ابن خياط (ت240هـ/854م)؛ الامامة والسياسة لابن قتيبة (ت276هـ/889م)؛ أنساب الاشراف للبلاذري (ت279هـ/892م)؛ الأخبار الطوال للدينوري (ت282هـ/895م)؛ تاريخ اليعقوبي (ت292هـ/904م)؛ تاريخ الطبري (ت310هـ/922م)؛ فتوح ابن اعثم (ت314هـ/629م)؛ مروج الذهب للمسعودي (ت346هـ/957م)؛ شرح الأخبار للقاضي التميمي (ت363هـ/973م)، واستيعاب ابن عبد البر (ت463هـ/1070م)، وأسد الغابة لابن الاثير (ت630هـ/1232م) ومصادر أخرى ورد ذكرها في الاطروحة.

(2) ينظر: الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ/922م)، استشهاد الحسين، تحقيق: السيد الجميلي، ط2، بيروت، 1418هـ/1997م، ص33؛ ابن الأثير، الكامل، 379/3؛ ابن خلدون، العبر، 20/3.

(3) ابن أعثم، الفتوح، 21/5.

وقد ذهب كاتب مصري إلى تأكيد رواية ابن كثير ولكنه أوّل موقف ابن الحنفيـة إلـى التزامه بمبدأ التقية خوفاً على نفسه من أن يحدث له مثل الذي حدث للحسين (ﷺ) لأنـه لا يملك من العدة والرجال ما يساعده على شن الحرب على يزيد[1].

ويبدو للباحث ان الوضع في نص ابن كثير، جلياً خدمة لأغراض الدولة الأموية ليقـال بأن يزيداً رجل صالح لا يجوز قتاله وبشهادة ابن علي بن أبي طالب نفسه، ويبدو أن واضع النص قد حرص على إظهار أهل المدينة مخطئين بخروجهم على يزيد الذي كان – في رأيه – محقاً في إجراءاته في القضاء على حركتهم في وقعة الحرة[2].

ب – ولاية العهد ليزيد.

لم يكن أوان ثورة الحسين (ﷺ) بعيداً، ولا انتظار الامام الحسين (ﷺ) طـويلاً ((فـإن معاوية لم تكفه الاخطاء السياسية التي تورط فيها هو وعماله حتى راح يرتطم في خطأ آخر أعظم وأخطر))[3] وكان ذلك الخطأ محاولاته أخذ ولاية العهد لولده يزيد.

والمتمعن في النصوص التاريخية يجد أن ولاية العهد قد مرت بمرحلة طويلة – نـسبياً – وفي قول معاوية لولده يزيد: يا بني اني كفيتك الشد والترحال، ووطأت لك الأمور، وذللت لك الاعداء، واخضعت لك رقاب العرب، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد[4]، دليـل علـى العمـل المضني والوقت الذي احتاجه لاتمام هذا الأمر فلم يزل معاوية يروض النـاس لبيعتـه سـبع سنين[5]، ويشاور ويعطي الأقارب، ويدني الأباعد حتى استوثق له أكثر الناس، وبايع يزيد[6].

وقد تفاوت المؤرخون في ذكر الوقت الذي بدأت فيه البيعة فقال بعـضهم انهـا كانـت بمشورة المغيرة بن شعبة، وبعد وفاة الامام الحسن (ﷺ) سنة 50هــ/670م[7]، وحـددها آخرون بوفاة زياد بن أبيه سنة (53هـ/672م)[8]، فيما ذهب آخر إلـى انهـا كانـت سـنة 59هـ/678م قبيل وفاة معاوية[9].

إلا أن مراجعة دقيقة للروايات التاريخية تتيح للباحث ان يرجح ان معاوية قد بـدأ منـذ وقت مبكر من حكمه بمرحلة التفكير المقرون بالحذر من الاقدام على هذا الأمر، ثم مـضى

---

(1) الجمل، سيرة الحسين، ص51.

(2) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 232/8 – 233.

(3) غنيم، الثورات العلوية، ص118.

(4) البلاذري، انساب الاشراف، 152/5؛ الطبري، تاريخ، 164/6؛ ابن أعثم، الفتوح 348/4 – 349؛ ابن الأثيـر، الكامل، 368/3.

(5) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 368/4.

(6) المصدر نفسه، 368/4، ابن الأثير، الكامل، 353/3.

(7) ينظر: الطبري، تاريخ، 153/6؛ ابن الأثير، الكامل، 349/3؛ الدياربكري، تاريخ الخميس، 295/2.

(8) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 368/4؛ بيضون، من دولة عمر، ص157.

(9) المسعودي، مروج الذهب، 217/3.

مع توالي السنوات فلم يدع سبيلاً رأى انها تفضي إلى بيعة يزيد إلاّ سلكها ووصى عماله وولاته بها.

ولذلك يظن الباحث ان أخذ البيعة قد مرّ بأربع مراحل:

1 – **المرحلة الأولى:** وهي التي بدأت بمراسلة معاوية لخاصته من ولاته وأعضاء البيت الأموي يستشيرهم في هذا الأمر، فكتب إلى زياد وهو على البصرة بعد عام 42هـ/662م، في هذا الأمر فرد زياد معرّضاً بتصرفات يزيد الشائنة التي تثير الناس إذا ما قورنت بسلوك كبار أبناء الصحابة، ونصح معاوية أن يأمر ابنه بأن يتخلق بأخلاق أولئك الرجال حولاً أو حولين عسى أن ينسى الناس ما كان منه[1].

وكتب معاوية في الأمر نفسه إلى مروان بن الحكم والي المدينة فغضب مروان لأنه كان يرى نفسه أهلاً لهذا الأمر، فقدم إلى دمشق ودخل على معاوية وطلب منه ان يعدل عن هذا الأمر، ويبحث في قومه ففيهم نظراءه – وكان يقصد نفسه – فهدأه معاوية وأطمعه بأن يكون ولياً للعهد بعد يزيد واكرمه ورده إلى المدينة[2].

ويبدو ان معاوية قد وجد أن الاعلان عما يريده لم يحن أوانه بعد، فنزل على رغبة من كاتبهم رغم انه لم يبرأ زياداً من أن اعتراضه كان لطمع نشأ لديه في الخلافة بعد استلحاقه فقال معاوية بعد ورود مشورة زياد: ((ويلي على ابن عبيد ! لقد بلغني ان الحادي حدا له أن الأمير بعدي زياد، والله لأردنه إلى أمه سمية وإلى أبيه عبيد))[3].

وقد حاول معاوية معرفة تأثير نيته في تولية يزيد في قبائل العراق من شيوخ وزعماء قبائلهم، فتحدث في الأمر مع الأحنف بن قيس[4] أحد رؤساء تميم البصرة، فرد عليه: ((لا يغررك من يشير عليك، ولا ينظر لك، وأنت أنظر للجماعة، وأعلم باستقامة الطاعة، مع إن أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا، ولا يبايعون ليزيد ما دام الحسن حياً))[5].

وفي حديث آخر للأحنف مع معاوية قال: ((والله ان وراء الحسن خيولاً جياداً، وأذرعاً شداداً، وسيوفاً حداداً، وإن تدن له شبر من غدر، تجد وراءه باعاً من نصر، وانك تعلم ان أهل العراق ما أحبوك منذ أبغضوك، ولا أبغضوا علياً وحسناً منذ أحبوهما، ما نزل عليهم في ذلك غير من السماء، وإن السيوف التي شهروها عليك يوم صفين لعلى عواتقهم، والقلوب التي أبغضوك بها لبين جوانحهم، وأيم الله إن الحسن لأحبُّ إلى أهل العراق من علي))[6].

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، 153/2؛ وطلب زياد من معاوية التأني فقال له: ((رويدك بالأمر، فاقمن ان يتم لك ما تريد، ولا تعجل فان دركاً في تأخير خير من تعجيل عاقبته فوت)). الطبري، تاريخ، 153/6.

(2) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 143/1؛ المسعودي، مروج الذهب، 219/3.

(3) اليعقوبي، تاريخ، 153/2.

(4) اسمه الضحاك وقيل: صخر بن قيس.. التميمي السعدي، ادرك النبي (ﷺ) ولم يره، وهو أحد الحكماء، الدهاة، العقلاء، كتب فيه الخليفة عمر إلى والي البصرة: الأحنف سيد البصرة، فما زال يعلو شأنه، كان ممن اعتزل معركة الجمل بين علي وعائشة، وشهد صفين مع علي، وتوفي بالكوفة سنة 67هـ/676م.
ابن الاثير، أسد الغابة، 55/1.

(5) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 137/1.

(6) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 138/1.

وقد كان معاوية يدرك ان ذلك العهد الذي قطعه للامام الحسن (ع) في الصلح عقبة كبرى في طريق أخذ البيعة ليزيد، لذلك لم يكن مكان الحسن (ع) محبباً إلى معاوية فهو يراه الحائل بينه وبين مبتغاه[1].

فلم يكن مستبعداً أو مستغرباً ان يسعى معاوية إلى التخلص من الامام الحسن (ع) وهو يسعى إلى غايته[2] خاصة وانه قد شعر بوطأة السنين على كاهله، ولم يشأ أن ينتظر أكثر لحسم هذه المشكلة، وهو يمتلك القدرة على تنفيذ ما يريد[3]. وقد حرص على متابعة الحسن(ع) في كل أموره فظل يراقب حاله قبيل وفاته، وكتب إلى عامله على المدينة: إن استطعت ألا يمضي يوم يمر بي إلاّ يأتيني فيه خبره فافعل، فلم يزل عامله يكتب إليه بحاله حتى توفي (ع)[4]، وقد اتهم أحد الكتّاب المصريين يزيداً في قتله وتحريض زوجته جعدة على ذلك وبرأ بذلك معاوية من هذا الفعل[5].

وعندما توفي الحسن (ع) قويت نفس معاوية في المضي على جعل يزيد ولياً لعهده[6]، وبوفاة الحسن (ع) تنتهي المرحلة الأولى من سعي معاوية في هذا الأمر.

2- **المرحلة الثانية:** وتبدأ هذه المرحلة من سنة 50هـ/670م حتى سنة 53هـ/672م.

ففي سنة 50هـ/670م سعى معاوية لعزل المغيرة بن شعبة عن ولاية الكوفة، وما ان علم المغيرة بعزم معاوية حتى شد الرحال إلى دمشق، ودخل على يزيد وأعلمه بأنه سيسعى لطلب البيعة له في الكوفة، فاتصل الخبر من يزيد إلى معاوية، فلائم هوى نفسه، فعدل عن العزل وأرجعه إلى الكوفة وأمره ان يسعى بأمر البيعة لابنه[7].

فرجع المغيرة بدهائه والياً على الكوفة وقال في ذلك: لقد وضعت رجل معاوية في غرز لا يخرجها منه إلاّ سفك الدماء، أو غرز بعيد الغاية على امة محمد، وفتقت عليه فتقاً لا يرتق أبداً[8].

---

(1) الخربوطلي، عشر ثورات في الإسلام، ص75، حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 192/2؛ السحار، أهل بيت النبي، ص265.

(2) ينظر: ص من الاطروحة.

(3) بيضون، من دولة عمر، ص156.

(4) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 141/1.

(5) سعد، طه عبد الرؤوف وسعد حسن محمد، السيدة زينب أخت الحسين، ط القاهرة، 1421هـ/2000م، ص40.

(6) الدياربكري، تاريخ الخميس، 295/2؛ السحار، أهل بيت النبي، ص277؛ الخربوطلي، عشر ثورات، ص76.

(7) ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان (ت281هـ/894م)، كتاب الاشراف، تحقيق: وليد قصاب، ط الدوحة، 1414هـ/1993م، ص72؛ اليعقوبي، تاريخ، 152/2؛ الطبري، تاريخ، 153/6؛ ابن الأثير، الكامل، 349/3؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 79/8.

(8) ينظر بتفاوت في الألفاظ: ابن أبي الدنيا، كتاب الاشراف، ص2؛ اليعقوبي، تاريخ، 153/2؛ ابن الأثير، الكامل، 349/3 – 350؛ وينظر في تنزيه المغيرة من هذا القول لأحد الكتّاب المصريين: غنيم، الثورات العلوية، ص122؛ وقد علقت زوجة معاوية فاختة بنت قرظة على مشورة المغيرة بولاية يزيد فقالت لمعاوية: ((أراد ان يجعل لك عدواً من نفسك، يتمنى هلاكك كل يوم)). المسعودي، مروج الذهب، 135/3.

ان مشورة المغيرة تكتسب بعداً غير اعتيادي في هذه المرحلة فوعده لمعاوية بالسعي لطلب البيعة ليزيد في اشد ولايات الدولة معارضة للأمويين (الكوفة)، مقارنة باعتراض ولاة آخرين في البصرة والمدينة مؤشر لامكانية تحويل الفكرة إلى عمل جدي يبدأ بالشام والكوفة ويمتد إلى أقاليم الدولة الأخرى.

وبالفعل بدأت خطوات المغيرة في هذا السبيل فأوفد عشرة من أهل الكوفة يقودهم ابنه، فزينوا له بيعة يزيد ودعوه إلى عقدها، وكان المغيرة قد بذل المال في سبيل ذلك[1]. فتركه معاوية يمهد الأمر في الكوفة ويذاكر من يثق به من أهلها ممن يعلم انه شيعة لبني أمية[2]، في الوقت الذي كان معاوية يدعو أهل الطاعة من أهل الشام – الذين لا يرفضون له أمراً – إلى بيعة يزيد فأجابوه وبايعوه سنة 50هـ/670م[3].

وقد كان ذلك هو الاتجاه الأول الذي سار عليه معاوية ليكون أكثر تنظيماً في أمر البيعة، أما الاتجاه الثاني فكان بتأثير موقف زياد ومروان من البيعة، فاتخذ خطوات سريعة لجعل يزيد شخصية مؤهلة لخلافة المسلمين، ورسم صورة جديدة له في أذهان الناس، تختلف كلياً عما كان شائعاً عن خلق وتصرفات يزيد[4].

((وفي سبيل ذلك حاول ان يصلح من اعوجاجه، ويقوّم من سلوكه، ويزوده بالنصائح، حتى يرضى الناس عنه))[5] فأرسل في طلب يزيد ووعظه بترك التهتك الذي يُذهب مروته وقدره، ويُشمت به عدوه[6]، ثم إن معاوية سير جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم فجعل عليهم سفيان بن عوف الغامدي[7] وأمر يزيد بالغزاة معهم فتثاقل واعتل[8] فأبى معاوية إلاّ أن يفعل فكتب يزيد إليه يقول[9]:

نجيٌ لا يزال يعدُّ ذنباً	لتقطع وصل حبلك من حبالي
فيوشك ان يريحك من اذائي	نزولي في المهالك وارتحالي

فأمسك عنه أبوه فأصاب الناس في غزاتهم جوع ومرض شديد فقال يزيد:

---

(1) ابن الأثير، الكامل، 350/3.

(2) المصدر نفسه، 350/3.

(3) ابن خياط، تاريخ، ص129.

(4) بيضون، من دولة عمر، ص156.

(5) عبد العليم، سيدنا الحسين، ص66.

(6) ابن كثير، البداية والنهاية، 228/8.

(7) صحب النبي (ﷺ)، واستعمله معاوية على الصوائف، كان له بأس ونجدة وسخاء، أغار على هيت والأنبار في خلافة الامام علي (عليه السلام) بأمر معاوية فقتل وسبى، توفي سنة 52هـ أو 53هـ672م. ابن حجر، الاصابة، 56/2.

(8) ابن الأثير، الكامل، 314/3.

(9) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 367/4؛ ياقوت، معجم البلدان، 189/4.

ما أن ابالي بما لاقــت جمـــوعهم بالفرقدونة[1] من حمى ومن مـــوم
إذا اتكأتُ علـــى الأنمـــاط مرتفقـــاً بدير مـــروان[2] عنـــدي أم كلثـــوم

وأم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز هي زوجة يزيد، فبلغ معاوية شـــعره فأقـــسم ليلحقن يزيد بسفيان في أرض الروم ليصيبه ما اصاب الناس، فسار معه جمع كبير اضـــافهم إليه أبوه، وكان في هذا الجيش كبار الصحابة، فـــأوغلوا فـــي بـــلاد الـــروم حتـــى بلغـــوا السقطنطينية[3]، ولم يستطيعوا فتحها[4].

وقد انفرد ابن كثير من بين المؤرخين بذكر اشتراك الامام الحسين (عليه السلام) في تلك الغزوة تحت أمرة يزيد[5]، وعنه أخذ الكتّاب المصريون ذلك فقالوا باشتراك الحسين (عليه السلام) فيها[6].

ويظن الباحث ان الحسين (عليه السلام) لم يشارك في هذه الواقعة ولو ((صح اشتراك الحسين كجندي في جيش يزيد بن معاوية لأذاعته اجهزة الأمويين بكل وسائلها، ولما خفي على أحدٍ من المؤرخين، والنصوص التاريخية لم تؤكد اشتراك الحسين فـــي تلـــك الغـــزوة وهـــو الراجح))[7].

---

(1) وهو اسم جامع للثغر الذي منه طرطوس، ووردت باسم غذقذونة، ياقوت، معجم البلدان، 188/4.

(2) دير بالغرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران، ورياض حسنة، وبناءه بالجص، وأكثـــر فرشـــه البلاط الملون، وتحيط به الأشجار، وورد باسم دير مران.
المصدر نفسه، 533/2 – 534.

(3) مدينة منيعة، بناءها من الحجر، وهي محصنة بحصن واحد، ويحيط بها البحر، بناها قسطنطين الأكبر بعد انتقاله من بيزنطة فبنى عليها سورا، وسماها القسطنطينية سنة 330م، وظلت عصية على أن تفتح حتى دخلها السلطان العثماني محمد الفاتح سنة 857هـ/1453م.
ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص130؛ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت487هـ/1094م)، المسالك والممالك، حققه ووضع فهارسه: جمال طلبه، ط بيروت، 1424هـ/2003م، 46/2؛ غربال، الموســوعة العربية الميسرة، 1380/2.

(4) ينظر: ابن خياط، تاريخ، ص129؛ البلاذري، انساب الاشراف، 301/5؛ اليعقوبي، تـــاريخ، 159/2؛ الطبـــري، تاريخ، 112/6؛ ابن الأثير، الكامل، 134/3؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 229/8؛ ابن خلدون، العبـــر، 9/3 – 10؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت862هـ/1457م)، اثار البلاد وأخبار العبـــاد، ط بيـــروت، (بـــلا.ت)، ص606، ابن طولون الدمشقي، قيد الشريد، ص92 – 93؛ الدياربكري، تـــاريخ الخمـــيس، 294/2؛ الـــشمري، حقائق، ص18.

(5) البداية والنهاية، 151/8.

(6) ينظر: لطفي، الشهيد الخالد، ص26؛ العقاد، أبو الشهداء، ص143، أبو علم، الحسين بن علي، ص84؛ مشتهري، سيد شباب أهل الجنة، ص43؛ الجمل، سيرة الحسين، ص70؛ قرون، عرفات القصبي، عظمة الامام الحسين، ط مصر، 1398هـ/1977م، ص49.

(7) الحسني، سيرة الأئمة، 25/2.

وفي سياق المسعى ذاته، ارسل معاوية يزيداً إلى مكة نائباً عنه في موسع الحج في سنة 50هـ/670م[1] ثم ولاه امرة الحج سنة 51هـ/671م[2]، والغاية من ذلك التأثير على الرأي العام الإسلامي، لاسيما الحجازي، فضلاً عن تبديد الشكوك بجدية يزيد وتغير الصورة القائمة التي انطبعت في أذهان الناس عنه[3].

وعلى الرغم من أن يزيد قد فرّق في مكة والمدينة أثناء حجه أموالاً كثيرة يشتري بها قلوب الناس[4]، فإن إجراءات معاوية في التمويه على الناس لم تنفع، فقد تهاون يزيد، وأساء حتى في موسع الحج[5]، ولم ينسَ الناس ما كان من سوء سلوك يزيد، فروي ان المسور بن مخرمة[6] هجا يزيداً لشربه الخمر مما أغاض معاوية فكتب لعامله على المدينة بجلد مسور حد القذف ففعل فقال مسور[7]:

أيشربها صرفاً بطين دنانها أبو خالدٍ ويُضرب الحد مِسوَرُ

3- **المرحلة الثالثة:** وتمتد هذه المرحلة بعد وفاة زياد سنة 53هـ/672م[8]، وحتى سنة 56هـ/675م، وابتدأ فيها معاوية يوطد لمر الناس في الأمصار لابنه ((فكتب لعماله بتقريض يزيد ووصفه))[9]، وعمل على أن يجمع لولده اشراف الولايات وزعماءها ويتعرف على آراءهم واتجاهاتهم لكي يستطيع ان يتعامل مع المقارب والمباعد[10]، وجعل في هذه السنوات يروض الناس ويدعوهم كل موسم لبيعة يزيد[11].

---

(1) الطبري، تاريخ، 116/6، ابن الأثير، الكامل، 338/3.

(2) اليعقوبي، تاريخ، 167/2؛ الطبري، تاريخ، 144/6؛ ابن الأثير، الكامل، 324/3.

(3) ينظر: ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص246، بيضون، من دولة عمر، ص156.

(4) ابن أعثم، الفتوح، 329/4.

(5) ينظر: ابن الأثير، الكامل، 465/3 – 466.

(6) ابن نوفل.. القرشي الزهري، له صحبة، ولد بمكة قبل الهجرة بسنتين، وكان فقيها من أهل العلم والدين، ممن كره بيعة يزيد، واقام بمكة مع ابن الزبير، وقتل في مكة بعد قدوم جيش أهل الشام لقتال ابن الزبير أصابه حجر منجنيق وهو يصلي في الحجر سنة 64هـ/683م. ابن الاثير، أسد الغابة، 365/4.

(7) ابن قتيبة، المعارف، ص243؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 348/6.

(8) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 368/4؛ ابن الأثير، الكامل، 351/3.

(9) ابن الأثير، الكامل، 352/3.

(10) غنيم، الثورات العلوية، ص124.

(11) ابن أعثم، الفتوح، 332/4.

وفي سنة 55هـ/674م[1]، كتب معاوية إلى عماله يطالبهم بارسال الوفود إليه في دمشق للمشورة في ولاية العهد[2]. فوفدت ((على معاوية وفود الأمصار))[3]، فكان فيمن أتاه محمد بن عمرو بن حزم[4] من المدينة المنورة، والأحنف بن قيس من البصرة[5]، وآخرون من ((أهل مكة والمدينة وأهل مصر والجزيرة ومن جميع البلاد))[6].

وخلا معاوية بمحمد بن عمرو بن حزم فسأله عن رأيه في البيعة ليزيد، فنصحه محمد قائلاً: ان الله سائل كل راع عن رعيته، فاتق الله وانظر من تولي أمر امة محمد، فقال معاوية: انك رجل ناصح، وإنما هذا رأيك، إلاّ انه لم يبق من أولاد الصحابة إلاّ ابني وأبناءهم، وابني أحب إليّ منهم[7]. ودخل الأحنف على يزيد بأمر معاوية، فلما سأله الأخير عن رأيه بيزيد قال:

إنا نخاف الله ! ان كذبنا، ونخافكم ان صدقنا، وأنت أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسره وعلانيته، وأنت أعلم بما أردت، وإنما علينا ان نسمع ونطيع، وعليك ان تنصح للأمة[8].

وقد بعث معاوية إلى حلفاءه من الشاميين ((الضحاك بن قيس (فهر)، ويزيد بن المقنع (كنده)، والحصين بن نمير (السكون)، ومسلم بن عقبة (مرة)، وحسان بن بحدل (كلب)... زعيم اليمنية في الشام وخال يزيد المرشح لولاية العهد))[9]. وبعث إلى عبد الرحمن بن عثمان (ثقيف)، عبد الله بن مسعدة (فزارة)، وثور بن معن (سلم)، وعبد الله بن عصام (اشعر)، فحضروا عنده[10]. وطلب من الضحاك بن قيس الفهري ان يتكلم عند اجتماع الوفود ويدعو لبيعة يزيد ويحثه – أي يحث معاوية – عليها[11]، وأمر الباقين ان يقولوا في يزيد بما يصدق قوله وقول الضحاك، ويدعون الناس إلى البيعة[12].

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 369/4.

(2) ابن أعثم، الفتوح، 332/4؛ ابن الأثير، الكامل، 352/3.

(3) المسعودي، مروج الذهب، 217/3.

(4) الانصاري، كنيته أبو القاسم، ولد سنة عشر من الهجرة وأبوه عامل رسول الله (ﷺ) على نجران، كان فقيهاً، فاضلاً من فقهاء المسلمين، قتل يوم الحرة سنة 63هـ/682م. ابن الاثير، أسد الغابة، 327/4.

(5) ابن الأثير، الكامل، 352/3.

(6) ابن أعثم، الفتوح، 332/4؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 369/4.

(7) ابن أعثم، الفتوح، 332/4؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 369/4؛ ابن الأثير، الكامل، 352/3.

(8) ابن سعد، الطبقات، 95/7؛ البلاذري، انساب الاشراف، 324/12؛ ابن الأثير، الكامل، 352/3؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 80/8.

(9) بيضون، من دولة عمر، ص157.

(10) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 135/1.

(11) ابن أعثم، الفتوح، 332/4؛ ابن الأثير، الكامل، 352/3.

(12) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 135/1؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 369/4.

فتكلم الضحاك في تقريض يزيد ومدحه بما شاء وختم قوله داعياً القوم إلى البيعة ليزيد[1]، ثم تكلم عبد الرحمن الثقفي، وثور بن معن، وعبد الله بن عصام، وعبد الله بن مسعده، وكلهم مجّد معاوية ويزيد وطالبوا الوفود بمبايعة يزيد لولاية العهد[2].

وتكلم بمثل ذلك عمرو بن سعيد الاشدق، ويزيد بن المقنع الذي اخترط من سيفه شبراً وقال: هذا أمير المؤمنين، وأشار إلى معاوية، فإن هلك فهذا وأشار إلى يزيد، ومن أبى بهذا وأشار إلى سيفه، فقال له معاوية: اجلس فأنت سيد الخطباء[3].

وقال الحصين بن نمير بأن عدم البيعة ليزيد ضياع للأمة[4].

وحسم الاحنف مشورة معاوية في ولاية يزيد بالقاء التبعة على معاوية فقال: أنت أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره، فإن كنت تعلمه لله عزّ وجلّ وللأمة رضا فلا تشاورن فيه أحد من الناس، وان كان غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت ماضٍ للآخرة[5]. فقام الضحاك مغضباً، وذم أهل العراق، وقام أصحابه بنحو ذلك[6]. ثم خطب معاوية في الوفود مهدداً أهل العراق، متوعداً إياهم بالبطش والانتقام إذا لم يذعنوا لإرادته، ولم ينقادوا لبيعة ابنه[7].

وقد بايعت الوفود ولو على كره[8]، وكانت مكافأة الضحاك عن دوره أن ولاه الكوفة، وولى عبد الرحمن بن عثمان الثقفي ولاية الجزيرة[9].

وقد سكت سعيد بن عثمان بن عفان عن مطالبته بولاية العهد بعد أن ولاه معاوية خراسان[10]. واشترى معاوية ألسنة الشعراء لاسيما في البصرة والكوفة فبعثوا إليه بقصائد التأييد بعد أن كانوا من الكارهين لبيعة يزيد[11]. وبهذه الطريقة استطاع معاوية أن يروض الناس على بيعة يزيد حتى مال إليه الكثير منهم وأجابوه لما أراد، وانتهت المرحلة الرابعة

---

(1) ينظر: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 135/1؛ ابن أعثم، الفتوح، 333/4؛ المسعودي، مروج الذهب، 217/3؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 369/4 – 370؛ ابن الأثير، الكامل، 352/3.

(2) ينظر فيما قالوه في الدعوة إلى بيعة يزيد: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 136/1 – 137.

(3) ابن قتيبة، عيون الأخبار، 210/2؛ ابن أعثم، الفتوح، 333/4؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 370/4؛ ابن الأثير، الكامل، 352/3.

(4) ابن أعثم، الفتوح، 334/4.

(5) المصدر نفسه، 334/4؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 370/4.

(6) المسعودي، مروج الذهب، 218/3.

(7) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 139/1؛ غنيم، الثورات العلوية، ص127.

(8) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، 370/4.

(9) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 139/1.

(10) ينظر: الطبري، تاريخ، 155/6.

(11) ينظر: موقفه من عقيبة الأسدي شاعر أهل البصرة وعبد الله بن همام السلولي شاعر أهل الكوفة: ابن أعثم، الفتوح، 329/4 – 331؛ المسعودي، مروج الذهب، 218/3.

والطابع الغالب فيها نجاح معاوية سواء بالرهبة حيناً أو بالرغبة وبذل المال احياناً أخرى في اطفاء غضب المعارضين لاسيما وان أهل الشام كانوا إلى جانبه.

4- **المرحلة الرابعة:** وهي مرحلة الحزم والحسم، وكان الحجاز ميدانها، فبعد ان اطمـأن معاوية إلى مقدرة ولاته على الأمصار ولاسيما العراق (بولايتيه البصرة والكوفـة)، وبلاد الشام[1]، قرر أن يأخذ البيعة من أهل الحجاز، وقد نقل الطبري معالم هـذه المرحلة بروايتين، الأولى اكتفى فيها بقوله: ان معاوية استوثق من بيعة يزيد ولم يخالفه سوى افراد قلائل، وذكر انهم خمسة نفر ولم يسمهم، والثانية: يذكر فيهـا انهم اربعة هم الحسين (عليه السلام)، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبيـر، وعبد الله بن عمر، وان معاوية طالبهم بالبيعة لابنه من دون أن تحـدد الروايـة مكان الاجتماع ولا زمانه، ولا النهاية التي انتهى إليها الأمر[2].

ومن متابعة الروايات المتفرقة هنا وهناك يبدو أن معاوية قبل أن يقدم علـى خطوتـه الأخيرة، حاول أن يتعرف على آراء ابناء بعض الصحابة في يزيد، وأخذ البيعة له من دون أن يطالبهم بشيء مع ارسال بعض الأموال إليهم ليرى تأثير ذلك في نفوسهم لتكون خطـوة أولى تليها خطوات.

فقد سأل معاوية عبد الله بن الزبير عن رأيه بالبيعة ليزيد، فقال له: ((انـي اناديـك ولا أناجيك، ان اخاك من صدقك، فانظر قبل ان تتقدم، وتفكر قبل ان تندم، فإن النظر قبل التقدم والتفكر قبل التندم))[3].

وكان رد عبد الله بن عمر أكثر حدة فأجاب معاوية:

((نبايع من يلعب بالقرود والكلاب، ويشرب الخمر، ويُظهر الفسوق، ما حجتنا عند الله))[4].

وكان معاوية قد بعث له قبل ذلك بمائة ألف درهم، فلما كلمة في أمر يزيـد عـرف ان المال كان لذلك الأمر فقال: ((أرى ذاك أراد، ان ديني عندي إذاً لرخيص))[5].

وعندما دعا معاوية عبد الرحمن بن أبي بكر إلى بيعة يزيد، امتنع فقال: تبعث له بمائـة ألف درهم، فردها عبد الرحمن وأبى ان يأخذها، وقال: لا أبيع ديني بدنياي، وخرج إلى مكة فمات بها قبل أن تتم البيعة ليزيد[6].

ثم كتب معاوية إلى والي المدينة سعيد بن العاص يأمره بأن يمهد فيهـا الأمـر للبيعـة ويكتب له بمن يسارع إليها أو يتأخر عنها، فحاول سعيد وابطأ الناس عنه لاسيما بني هاشـم،

---

(1) ابن الأثير، الكامل، 353/3.

(2) تاريخ، 154/6 – 155.

(3) ابن أعثم، الفتوح، 331/4 – 332؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 368/4 – 369.

(4) اليعقوبي، تاريخ، 159/2.

(5) ابن سعد، الطبقات، 182/4.

(6) ابن عبد البر، الاستيعاب، 401/2؛ ابن الاثير، أسد الغابة، 306/3؛ ابن حجر، الاصابة، 408/2.

وآخرون يعارضونها، وقد ابلغ سعيد معاوية بذلك فالناس تبع لهؤلاء المعارضين فلو بـــايعوا لبايع الناس جميعاً ولم يتخلف منهم أحد[1].

وقد وجد معاوية ان محاولات أخذ البيعة عن طريق الوالي لا تأتي بالنتيجة المرجـــوة، فقرر أن يكتب كتباً إلى ابناء الصحابة يستجلي بها مواقفهم بطريقة مباشرة، فكتب إلى كل من الحسين (عليه السلام)[2]، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير[3] وطلب من وإليه على المدينة ان يأخذ جوابها ليرسلها إليه موصياً إياه: ((وانظر حسيناً خاصة، فلا يناله منك مكروه، فإن لـــه قرابة وحقاً عظيماً لا ينكره مسلم ولا مسلمة، وهو ليث عرين، ولست آمنك ان شاورته ان لا تقوى عليه))[4].

ورد هؤلاء على معاوية بأجوبة قاسية رفضوا فيها بيعة يزيد، وكان جواب الحسين(عليه السلام) أقساها، فهو يذهب إلى محاكمة معاوية عن المساوئ التي ارتكبها في حق الأمة، ويظهر حق أهل البيت (عليهم السلام) في الأمر، موضحاً سيرة عماله وولاته الظالمين للناس، وأشار إلـــى قتلـــه بالظنة، وأخذه على التهمة، منتهياً إلى رفض بيعة يزيد الشارب للخمر، اللاعب بالكلاب[5].

وعندما يأس معاوية من أخذ البيعة من أهل الحجاز بوجود هؤلاء النفر وامتناعهم، قرر المسير بنفسه إلى الحجاز لملاقاتهم، واقناعهم، أو اكراههم على البيعة، فسار في ألف فارس إلى الحجاز[6].

وينقل ابن قتيبة كل حوادث قدوم معاوية حتى أخذ البيعة ليزيد فيرويها على انها حدثت كلها في المدينة المنورة[7] فيما ذهب آخرون[8] إلى أنها جرت على مرحلتين كانت الأولى في المدينة المنورة، وكانت الثانية في مكة المكرمة.

وخلاصة الأمر ان معاوية قدم إلى المدينة فلقيه الحسين (عليه السلام)، وابن الزبير، وابن عمر فلم يُحسن معاوية لقاءهم، وهو ما دفعهم إلى المغادرة باتجاه مكة، وبقي معاوية في المدينـــة ليخطب في أهلها، ذاكراً يزيداً بالفضل ورجاحة العقل، ومهدداً باجتثاث أصول من يـــرفض البيعة له، ثم دخل على السيدة عائشة (رض) وهو يتوعد أولئك النفر الذي تركوه ورحلوا إلى

---

(1) ينظر: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 144/1، 147.

(2) ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 367/3.

(3) ينظر: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 144/1 – 145.

(4) المصدر نفسه، 144/1.

(5) ينظر: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 145/1 – 147؛ البلاذري، انساب الاشراف، 118/5 – 120.

(6) ابن خياط، تاريخ، ص131؛ ابن الأثير، الكامل، 353/3؛ وينظر: ابراهيم، محمد أبـــو الفـــضل وعلـــي محمـــد البجاوي، أيام العرب في الإسلام، ط4، القاهرة، 1394هـ/1974، ص399.

(7) ينظر: الامامة والسياسة، 145/1 – 147.

(8) ينظر: ابن خياط، تاريخ، ص131 – 133؛ ابن أعثم، الفتوح، 336/4 – 343؛ ابن الأثير، الكامـــل، 353/3 – 355.

مكة ان لم يبايعوا، فوعظته، فقال: ولكني بايعت يزيداً، وبايعه غيرهم، افترين ان انقض بيعة قد تمت[1]، وأمر يزيد قضاء لا خيرة للناس فيه[2] !!.

وقد أكد معاوية أثناء لقاءاته في المدينة بأنه قد أخذ بيعة أهل الامصار كلهم، وإنما أخر المدينة لأن أهلها هم أصل يزيد، وقومه، وعشيرته، وهم ممن لا يخافهم عليه[3].

وقد ارسل معاوية إلى ابن عباس مذكراً اياه بحربه لعلي، والحسن ومتسائلاً عن موقف بني هاشم بالقول:

((فإن الله تعالى أبى إلاّ ما قد علمتم، افترجون بعد علي والحسن مثلهما ؟ فقطع ابن عباس كلامه، وقال:... رويداً لا تعجل ! فهذا الحسين بن علي حي وهو ابن أبيه، واحذر أن تؤذيه يا معاوية فيؤذيك أهل الأرض، فليس على ظهرها اليوم... ابن بنت نبي سواه))[4].

ومكث معاوية قليلاً في المدينة ثم رحل إلى مكة والتي كان فيها المرحلة النهائية في مسيرة أخذ ولاية العهد ليزيد. وقد التقى معاوية بمكة الحسين (عليه السلام) وابن الزبير وابن عمر، فأحسن لقاءهم، وطلب منهم البيعة لولده مرة أخرى، وحذرهم غضب أهل الشام في حال رفضهم لاسيما وأنه قد قدم في ألف فارس منهم، ولم يستبعد ان يقتلهم أهل الشام، وفي رأي كاتب مصري انه ((لو فعل لما اعوزته الحجة في سُنة عمر رضي الله عنه فقد أوصى بقتل المعارضين في مجلس الشورى إذا هم قلوا عن المؤيدين))[5] !! لكن ابن الزبير تحدث نيابة عن الجمع الرافض للبيعة مخيراً اياه بين أن يترك الأمر شورى أو يسير فيهم بسيرة أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)، فرأى معاوية ان الشدة معهم أنجع، فاخرجهم معه إلى المسجد وجعل على كل منهم حارسين أمرهما بضرب عنق كل من يردُّ عليه برفض أو قبول، وفي المسجد دعا الناس إلى البيعة ليزيد وأخبرهم بأن هؤلاء هم زعماء الناس وقادتهم الذين لا تقضى الأمور من دون مشورتهم وانهم رضوا وبايعوا ليزيد بولاية العهد، ولم يستطع الحسين (عليه السلام) ومن رفض معه اقناع الناس بعد ذلك ان هذا الأمر كان خدعة من معاوية وان سلوكهم كان خوفاً من القتل[6]. ومع إشارة المصادر هذه إلى طريقة البيعة، واستعمال معاوية

---

(1) ابن أعثم، الفتوح، 336/4 – 338؛ ابن الأثير، الكامل، 353/3.

(2) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 148/1.

(3) ابن أعثم، الفتوح، 339/4.

(4) المصدر نفسه، 338/4.

(5) غنيم، الثورات العلوية، ص134.

(6) ينظر: ابن خياط، تاريخ، ص132 – 133؛ ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 148/1 – 154؛ ابن أعثم، الفتوح، 338/4 – 343؛ ابن الأثير، الكامل، 353/3 – 355؛ وجعل ابن خياط هذه الحوادث ضمن سنة 51هـ/671م؛ وذكر ابن أعثم، انها استمرت سبع سنين، الفتوح، 332/4.

للترهيب والترغيب[1] إلاّ أن أحد الباحثين المصريين انكر ان يكون معاوية قد ((استخدم طريقة الترهيب مع ابناء الصحابة لأخذ البيعة ليزيد))[2] ومن دون أن يورد دليلاً على قوله.

وجدير بالإشارة – قبل ان نعرّج على رأي الكتّاب المصريين في ولاية يزيد – ان بعض التصرفات التي قام بها الحكّام أتخذت مصدراً تشريعياً لدى بعض الفرق الإسلامية، فقد صُرف النظر تحت وطأة الرغبة أو الاضطرار إلى تبرير النهج القائم الذي آل إليه الحكم الإسلامي عن دور الأمة، وتوقف الشرعية عليها إلى الاكتفاء عنها ببيعة شخص واحد، ثم آل الأمر إلى اعتبار ولاية العهد طريقاً شرعياً حتى في حالة تعدد ولاة العهد ثم إلى اعتبار التسلط بالقوة طريقاً شرعياً[3].

فقال القاضي ابن العربي: ان معاوية ترك الأفضل في ان يجعلها شورى، وإلاّ يخص بها أحداً من قرابته فكيف ولداً، وان يقتدي بما أشار به عبد الله بن الزبير في الترك والفعل فعدل إلى ولاية ابنه وعقد له البيعة وبايعه الناس، وتخلف عنها من تخلف، فانعقدت البيعة شرعاً، لأنها تنعقد بواحد، وقيل باثنين،... فإن قيل كان هنالك من هو أحقُّ منه عدالة وعلماً منهم مائة وربما ألف. قلنا: إمامة المفضول... مسألة خلاف بين العلماء[4].

والخلاف في عدد من تنعقد بيعة الامام بهم من أهل الحلّ والعقد قديم وضحه الأشعري (ت324هـ/935م) بأنه كان بين الرجل الواحد أو الاثنين أو الأربعة أو الخمسة، وقال قائلون: لا تنعقد الامامة إلاّ بجماعة لا يجوز عليهم ان يتواطأوا على الكذب، ولا تلحقهم الظنة[5].

وقد تقلص أهل الحل والعقد عند الأشاعرة إلى عدم اشتراط العدد اطلاقاً، فيكفي بيعة الواحد إذا شهد عليه الشهود، ويمكن القول ان الرأي المذهبي عند أهل السنة جميعاً قد استقر على ذلك[6].

وقد ذهب ابن العربي إلى تكذيب الأخبار الواردة باكراه معاوية لابناء الصحابة على البيعة برواية ذكرها البخاري ملخصها خروج ابن عمر إلى معاوية وهو يخطب ويقول: من كان يريد ان يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحق به منه ومن أبيه،.. قال ابن عمر: فحللت حبوتي، وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام،

---

(1) الشايب، أحمد، تاريخ الشعر السياسي، ط6، القاهرة، 1404هـ/1983م، ص195؛ زيادة، محمد مصطفى، الحسين في التاريخ، بحث منشور في سلسلة مقالات العترة، قسم الملحمة الحسينية، ط بيروت، 1421هـ/2000م، 249/1.

(2) عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص123.

(3) شمس الدين، نظام الحكم والإدارة، ص111، ص113.

(4) العواصم من القواصم، ص149 – 150.

(5) الاشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت324هـ/935م)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط3، (د.م)، 1400هـ/1980م، ص460.

(6) شمس الدين، نظام الحكم والإدارة، ص110 – 111؛ وينظر: الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد ابن جعفر (ت403هـ/1012م)، التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، تحقيق: الخضيري وأبو ريدة، ط القاهرة، 1366هـ/1947م، ص164 – 239؛ البغدادي، عبد القاهر أبو منصور ابن طاهر التميمي (ت429هـ/1037م)، أصول الدين، ط استانبول، 1346هـ/1928م، ص280 – 281.

فخشيت ان أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويُحمل عني غير ذلك فذكرت ما أعدّ الله في الجنان[1].

وعلى الرغم من ان الرواية صريحة بحدة معاوية وتهديده لمن يعارضه إلاّ ان ابن العربي أخذ منها ما يؤصل رأيه ويفيد بقبول ابن عمر بولاية يزيد خوفاً من تفريق الأمة، وتشتيت أمرها وروى لتدعيم رأيه عن ابن عمر قوله حين بويع يزيد:

إن كان خيراً رضينا، وإن كان شراً صبرنا، وقول رجل من أصحاب رسول الله (ﷺ) لم يسميه: تقولون ان يزيد بن معاوية ليس بخير أمه محمد، لا أفقهها فقهاً، ولا أعظمها فيها شرفاً. وأنا أقول ذلك ولكن والله ان تجتمع امة محمد أحب اليّ من ان تفترق. أرأيتم باباً دخل فيه امة محمد ووسعهم، أكان يعجز عن رجل واحد لو كان دخل فيه ؟.. قال: أرأيتم لو ان امة محمد قال كل رجل منهم لا اريق دم أخي ولا آخذ ماله، أكان هذا يسعهم ؟ قلنا نعم، قال: فذلك ما أقول لكم ثم قال: قال رسول الله (ﷺ): ((لا يأتيك من الحياء إلاّ خير))[2].

ان هذه الآراء التي تقر بولاية العهد للمفضول عند الضرورة درءاً للفتنة، والفوضى أرادت ((جعل طاعة هؤلاء الجبارين الباغين واجبة شرعاً على الإطلاق، وجعل التغلب أمراً شرعياً كمبايعة أهل الاختيار من أولي الأمر، وأهل الحل والعقد للامام الحق، وجعل عهد كل متغلب باغ إلى ولده أو غيره من عصبته، لأجل حصر السلطان والجبروت في أسرته حقاً شرعياً وأصلاً مرعياً لذاته))[3].

فرأى ابن خلدون ان الذي دعا معاوية لايثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق اهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش وأهل الملة اجمع وأهل الغلب منهم فآثره بذلك دون غيره ممن يُظنّ انه أولى بها وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصاً على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع[4]..

وأوضح تغلب العصبية بالقول: ((فكانت العصبية قد اشرفت على غايتها من الملك والوازع الديني قد ضعف واحتيج إلى الوازع السلطاني والعصباني فلو عهد إلى غير من ترتضيه العصبية لردّت ذلك العهد وانتقض امره سريعاً وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف))[5].

وقد أسهمت هذه الآراء المبنيّة على الأمر الواقع – في رأي الباحث – إلى تشويه إرادة الأمة فإذا كان الإقرار بولاية يزيد ضرورةً – لدفع الفتنة – فلا يعني ذلك الاستكانة والصبر على الشر كما عبر ابن العربي على لسان ابن عمر وإنما ((يجب السعي دائماً لازالتها عند

(1) ينظر: صحيح البخاري، ص728، العواصم من القواصم، ص150.

(2) العواصم من القواصم، ص151.

(3) رضا، الشيخ محمد رشيد، الخلافة، ط مصر، 1409هـ/1988م، ص51.

(4) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ/1405م)، المقدمة، ط5، بيروت، 1403هـ/1982م، ص210.

(5) ابن خلدون، المقدمة، ص211.

الامكان، ولا يجوز ان توطن الانفس على دوامها، ولا ان تُجعل كـالكرة بـين المتغلبـين يتقاذفونها ويتلقونها، كما فعلت الأمم التي كانت مظلومة وراضية بهذا الظلم لجهلها بقوتهـا الكامنة فيها))[1].

كانت الآراء المتقدمة بمجملها مرجعية للكتاب المصريين الذي زكّوا فعل معاوية بتوليـة يزيد بعده فكانت حجة بعضهم انه ما كان ((يضير معاوية ان يبايع الجمهور.. لابنه ويتخلف عن ذلك من يتخلف، فقد قال الفقهاء: ان الخلافة تنعقد بيعتها شرعاً بمن ينوب عن الجمهور، واحداً أو اثنين))[2]. لاسيما وان معاوية عزم على الأخذ بعقد ولاية عهد يزيد وتم لـه ذلـك وبايع الناس لابنه عدا الامام الحسين بن علي (عليه السلام)، وعبد الله بن الزبير وتوفي معاوية دون ان يرغمهما في رأي آخر[3].

وإذا كان الخضري يرى بأن معاوية قد استهان بالنفر الذي لم يرضوا ببيعة يزيد وهـم من سادة الأمة الذي يتطلعون لولاية أمر المسلمين، ولم يهتم بخلافهم، وادعى – معاويـة – انهم بايعوا لينال بيعة أهل مكة وذلك غير لائق بمقام خليفة المسلمين، إلاّ ان الخضري مـن جانب آخر عدّ تولية يزيد حتمية ((لصلاح أمر المسلمين والفتهم ولم شعثهم فانه كلما اتسعت الدائرة التي منها يختار الخليفة كثر الذي يرشحون انفسهم لنيل الخلافة، وإذا انضم إلى ذلـك اتساع المملكة الإسلامية، وصعوبة المواصلات بين أطرافها، وعدم وجود قوم معينين يرجع إليهم الانتخاب فإن الاختلاف لابد واقع...))[4].

وانضم إليه في رأيه هذا كُلٍ من أبو النصر[5] وعبد اللطيف[6]. فرأيهما ان ولاية يزيـد ضرورة لوحدة الأمة ومنع الاختلاف.

ولا يخفى على الناظر تطابق هذه الآراء مع ما تقدم من رأي ابن العربي وابـن كثيـر وابن خلدون لاسيما وان قسماً من هؤلاء الباحثين انحاز إلى وجهة النظر الخلدونية فـي ان معاوية ((لو عهد لأحد من غير بني أمية لحدث الخلاف لأنهم لن يقبلوا ان تخـرج الخلافـة منهم...))[7].

ولو لم يكن ليزيد بن معاوية إلاّ أخواله من قضاعة وأحلافهم من قبائل اليمن، لكان هذا كافياً لترجيح كفته منعاً للفتنة كما يرى الجبري[8]. فهو مؤهل أكثر من غيره للخلافة في رأي محب الدين الخطيب لأنه يمتاز عليهم بأعظم ما تحتاج إليه الدولة وهي القوة العسكرية التي

---

(1) رضا، الخلافة، ص45.

(2) الجبري، حوار مع الشيعة، ص242، عويس، بنو أمية بين السقوط والانتحار، ص24.

(3) النجار، الشيعة، ص28.

(4) الخضري بك، محمد، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة الأموية، ط مصر، 1398هـ/1977م، ح2 ق1 /118.

(5) معاوية، ص143.

(6) العالم الإسلامي، ص121.

(7) العالم الإسلامي، ص124؛ شلبي، الدولة الأموية، 2/48 – 53.

(8) حوار مع الشيعة، ص240.

تؤيده إذا تولى الخلافة، فتكون قوة للإسلام، كما تؤيده إذا أوقع الشيطان الفتنة على هذا الكرسي بين المتزاحمين عليه[1] !!

ان تبرير ولاية معاوية ليزيد، والدفاع عن ذلك بعنوان درء الفتنة، ومسايرة روح العصر من تغلب روح العصبية كان مقدمة لهؤلاء الكتّاب والباحثين أنفسهم لتخطئة الحسين (عليه السلام) في خروجه، وتسويغ فعل يزيد بقتله بالحجة نفسها[2].

وقد لاحظ الباحث ان الكتّاب والباحثين المصريين الذين طرقوا قضية الحسين (عليه السلام) لم تكن لدى أغلبهم خلفية سليمة، وفهم دقيق لمعنى الامام، ودوره في الأمة، فسيطرت على أفكارهم النظريات التي وضعت لتبرير الواقع التاريخي وكتبت في ضوء احداثه، لغاية واضحة هي تصحيح اجتهادات الخلفاء، واخضاعها للتشريع الديني، بل واعتمادها كتشريع ديني[3] أساساً مثل: عهد الخليفة إلى من يخلفه من دون استشارة للمسلمين أو على وفق استشارة محدودة، أو القول بإمامة الفاسق، وغير ذلك[4] فمن الطبيعي أن نلاحظ وقوع هؤلاء الباحثين بأخطاء كثيرة وهم يدرسون ثورة الحسين (عليه السلام) وأسبابها، أو يقيمون أهدافها وتداعياتها ويستندون إلى بعض التفسيرات اللاموضوعية.

وقد تفاوت المصريون كتّاباً ومؤرخين وباحثين في فهمهم لدوافع الحسين (عليه السلام) في ثورته، وركنوا إلى تفسيرات شتى، تضمن بعضها تفسيراً آحادياً تارة أو جاءت على شكل عوامل متداخلة تارة أخرى.

ويمكن استعراض هذه التفسيرات كالآتي:

1- **التفسير الشخصي المزاجي:** الذي يصوّر الحسين (عليه السلام) ذا مزاج ثوري صارم فلم يكن الحسين (عليه السلام) ((ميسراً على نفسه في أمر الدنيا، إذ لم يكن مزواجاً مطلاقاً، ولا منبسطاً في الحديث، ولا متحبباً إلى الناس، وإنما كان صارماً على نفسه صارماً على غيره، يتجرع مرارة الصبر على ما لا يحب رأى الوفاء لأخيه حقاً عليه فوفى له وأطاعه كما أطاع أباه من قبله، ولا أشك انه في أثناء هذه السنين التي قضاها في المدينة بعد صلح أخيه كان يتحرق شوقاً إلى الفرصة التي تتيح له استئناف الجهاد من حيث تركه أبوه، واتيحت له هذه الفرصة عندما صارت رياسة الشيعة إليه، وأصبح سيد قومه ورئيس حزبه))[5].

---

(1) العواصم من القواصم، هامش التحقيق رقم 3، ص144 – 145.

(2) ينظر رأي مؤنس: بأن جمهور المسلمين ظل يرى في البيت الأموي بيتاً غاصباً لسلطان ليس من حقه، وأبغض الناس خلفائهم بعد أن خاب ظنهم في السياسة وأهلها وبخاصة لاعتماد بني أمية على القوة العسكرية القبلية اعتماداً كبيراً. عالم الإسلام، ص195 – 196.

(3) ينظر: رأي شمس الدين، نظام الحكم والإدارة 49 – 50، ص106؛ صبحي، الزيدية، ص35 – 37.

(4) مثل: حرمة الخروج على الحاكم الجائر.

(5) حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 195/2.

ويتضح خطل وجهة النظر هذه التي عرّضت بشخصية الامام الحسن (عليه السلام)، وتناقضت مع الواقع التاريخي الذي يشير إلى مكانة الحسين (عليه السلام) في المجتمع الإسلامي لاسيما الحجازي والكوفي[1]، والذي لا شك يدل على شخصية الحسين (عليه السلام) المحببة، فضلاً عن ان فرصاً عديدة واتت الحسين (عليه السلام) للثورة في حياة أخيه ولم يكن ينتظر ان تواتيه بوفاة الحسن(عليه السلام) ومآل رئاسة الحزب الشيعي إليه، مما يدل على قناعته التامة برأي أخيه في الصلح وفي نظرته لمصلحة الأمة وقتذاك.

وقد استمد الحسين (عليه السلام) في رأي أصحاب هذا التفسير روحه الثورية من المثل الأعلى الذي شهده في حياته متمثلاً بجده وأبيه، فقد كان الامام علي (عليه السلام) متمسكا بالحق وسيلة وغاية، وكان صارماً يأبى أن ينحط إلى مستوى الباطل، وكان الحسين (عليه السلام) على خطا والده صلباً صارماً في سبيل سيادة القانون الإلهي[2]، فثورة الحسين (عليه السلام) بوجه العبث والتلاعب والتجاوز حتمية، فرضتها شخصية الحسين (عليه السلام) ذات العزم والعناء. فشخص كالحسين ((تقلب في الثورة على الحكم الشاذ وخاض مع والده الحروب في كل مكان تألب عليه اعداء الأمة وخصوم حريته، ورافق حركة التطهير التي بذل فيها من قلبه ونفسه يجب ان يغضب وان يتنمر وان يندفع متلظياً وان يثور مهدماً فبانيا))[3] ولم يكن هذا المزاج الصارم في نظر بعض أصحاب هذا التفسير مكتسباً مما عايشه في نموذج جده وأبيه فحسب وإنما هو مزاج موروث لا محيص عنه فسواء ((أدرك الامام الحسين الخطر المحدق به وبأسرته أو لم يدركه فإن طبيعته التي ورثها عن أبيه كانت تمنعه من التردد في أمر قد اتخذه فاستعد بالرحيل مصحوباً باسرته وآل بيته برغم تحذيرات الصحابة له))[4].

وقد ردّ العقاد الذي عرض لطبائع الناس من حيث انها مزاجان متقابلان: مزاج يعمل أعماله للاريحية والنخوة، ومزاج يعمل أعماله للمنفعة والغنيمة، متمثلاً بالنموذج الذي عرضه لنا التاريخ في النزاع بين الحسين بن علي (عليه السلام) ويزيد بن معاوية، فنزه الحسين(عليه السلام) من ان يكون المزاج فاعلاً في ثورته بالقول: ((وكان خليقا بالمؤرخين ان يعرفوا ان العقيدة الدينية في نفس الحسين لم تكن مسألة مزاج أو مساومة وانه كان رجلاً يؤمن اقوى الإيمان بأحكام الإسلام، ويعتقد أشد الاعتقاد بأن تعطيل حدود الدين هو أكبر بلاء يحيق به وبأهله، وبالأمة العربية في حاضرها ومصيرها))[5].

2- **التفسير السياسي:** وينقسم أصحاب هذا التفسير إلى صنفين صنف تعامل مع هذا الدافع تعاملاً أميناً فقال بأن خروج الحسين (عليه السلام) كان لأجل إقامة حكم الله في

---

(1) ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 366/3.

(2) عبد العليم، محمود، سيدنا زيد العابدين، ط2، القاهرة، 1420هـ/1999م، ص22 - 23.

(3) العلايلي، الامام الحسين، ص550.

(4) كريم، اعلام في التاريخ الإسلامي، ص82.

(5) أبو الشهداء، 206.

الأرض وعلى ذلك أيده أصحابه وأهله لا يبالون ما يلقون إذ علموا انهم قائمون بالحق وعليه يموتون[1] ولم يكن يريد حاجة لنفسه، ولا لأهله وإنما كان خروجه لحاجة الأمة والسلوك بها مسالك الخير[2]، إذ لم تكن البيعة ليزيد جائزة بظاهر الشريعة، وان قبول الحسين لهذه البيعة كان فيه هدم لصرح الإسلام، وفيه ضياع الحقوق المقدسة، وخيانة للمسلمين لأنه لو بايع يزيداً فقد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشجع السفهاء في ارتكاب الموبقات وما يسببه ذلك من اخلال بالأمن ولذلك رفض الحسين البيعة صوناً للدين[3].

ورأى بعض أصحاب هذا الاتجاه في التفسير أهلية الحسين كشخص مكلف، أراد ان يخلق النموذج المضحي في الأمة، فلا ريب ان يقوم بازالة المنكر ولو بتضحية نفسه لأن مثل هذه التضحية جهاد في سبيل الله[4]، وأمر بمعروف ونهي عن منكر وليس حبا بالسلطان[5] ولاسيما بعد ورود الكتب من الكوفة ودعوة أهلها للحسين (عليه السلام) فحق عليه تلبية الدعوة فهم يدعونه إلى رشاد وله في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اسوة فهو لبى دعوة أهل يثرب وخرج إليهم وانتصر بهم على الباطل والضلال[6] وما كان الحسين (عليه السلام) ليحجم وهو رجل الاقدام، وبعث مسلماً كما بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مصعباً[7] لأهل يثرب، وما كان ليبايع ليزيد ولو بايع لأقر الفسق والفجور، وثبت دعائم الظلم والطغيان ومكن الباطل، وما كان الحسين (عليه السلام)

---

(1) أبو كف، ال بيت النبي، ص27؛ صبيح، خصوصية وبشرية النبي، ص101؛ مشتهري، الامام الحسين، ص57.

(2) سيد الأهل، زينب بنت علي، ص56؛ عيش، صوت الحسين، ص19.

(3) عويس، شهيد كربلاء، ص126 – 127.

(4) رضا، الحسن والحسين، ص111؛ وينظر: أبو النصر، الحسين بن علي، ص153.

(5) أبو السعود، الشيعة، ص69 – 70، العقاد، أبو الشهداء، ص208 – 209.

(6) ولذلك شبّه أبو السعود هجرة الحسين إلى مكة ومن ثم إلى العراق بهجرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة. وقال في ذلك الطنطاوي شعراً في رسالته الأدبية:

ولنعم ما صنع الحسين ورهطه	في قصد مكة راضيا مشمولا
ليعيد للأذهان أمجد هجرة	حلت غموضا لم يكن محلولا

الطنطاوي، مسرح العين في موكب الحسين، ص25.

(7) ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف القرشي العبدري، من فضلاء الصحابة وخيارهم، ومن السابقين إلى الإسلام، كتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، هاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة بعد العقبة الأولى ليعلم الناس القران، ويصلي بهم، وكان يسمى في المدينة المقريء استشهد في معركة أحد مع النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة 3هـ/624م.
ابن عبد البر، الاستيعاب، 3/468 – 472؛ ابن الاثير، أسد الغابة، 4/368 – 369.

ليرضى ان يحيد عن الحق وان كان في ذلك تشريده وتشريد أهله أو هلاكه وهلاك ناصريه[1].

أما الصنف الثاني ممن تعامل مع التفسير السياسي تعاملاً غير منصف فكانت أراءهم متنوعة إذ رأى بعضهم ان رسائل أهل الكوفة إلى الحسين هي السبب الوحيد في خروجه، إذ أبرزوا ان الحسين كان رجلاً بلا كفاءة سياسية، أو قابلية إدارية وعسكرية فهو ينخدع بأهل الكوفة تارة[2] – وهم المسؤولين الأوائل عن هذه المأساة وليس يزيد الذي لم يكن يريد ان يصل الأمر إلى هذا الحد –[3]، أو أن الحسين (عليه السلام) ينخدع بتحضيض ابن الزبير له على الخروج تارة أخرى[4]. ولا يقيم وزنا لناصحيه بعدم الخروج، ويطالب أهل الكوفة بالبيعة لنفسه[5]. ويرى انه خيرا من يزيد أبا وأما ونفسا، فيمتنع عن بيعته بالخلافة[6]، ويخرج خائفا من أن يُرغم عليها لاسيما وان والي المدينة طالبه بالبيعة، وخائفاً من ان يقتل فيها لأن مروان بن الحكم طالب بحبسه وضرب عنقه إن لم يبايع فهو في نظر القائلين بذلك ((لم يخرج من المدينة لأنه رأى انه يتعين عليه الخروج على يزيد من أجل فسقه))[7]. ولكنه خرج بدافع الخوف.

أما القائلين بخروج الحسين بدافع الوصول إلى أمنيته الذاتية في الاستيلاء على الحكم[8] فقد تباينوا في تفسير عوامل اخفاقه: لأن حساباته اخطأت إذ أعدّ قوة تصورها كافية لتحقيق غرضه فلم تكن كذلك، فكفاءته لم تتحقق لبعده عن الأعمال السياسية والإدارية[9]. أو لأنه صمم على المضي إلى الكوفة لأنه ظن أن أهلها سرعان ما يرجعون لمبايعته حال ظهوره بينهم، فيشتد ويقوى بهم على نيل غرضه والكيد من خصومه[10] ولكن الأمر لم ينتهي إلى ذلك إذ قتل أهل الكوفة مسلما فأراد الحسين (عليه السلام) الرجوع لولا اصرار اخوة مسلم على الأخذ بثأر أخيهم، فسار إلى كربلاء، فخروجه بدافع التنافس على السلطة يتحول إلى دافع

---

(1) أبو السعود، الشيعة، ص69؛ السحار، حياة الحسين، ص105، ص111؛ السحار، أهل بيت النبوة، ص306، ص311.

(2) السيد، سيرة آل بيت النبي، ص326.

(3) حمادة، دراسة وثقية، ص44.

(4) السيد، سيرة آل بيت النبي، ص426.

(5) حمادة، دراسة وثقية، ص44؛ الحوفي، أدب السياسة، ص40.

(6) الخربوطلي، 10 ثورات في الإسلام، ص76 – 77.

(7) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص427 – 428.

(8) سرور، الحياة السياسية، ص99؛ شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص327؛ الخضري، محاضرات، ح2 ق1 /127 – 128؛ شلبي، الدولة الأموية، 206/2.

(9) شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص327؛ النجار، الدولة الأموية، ص91 – 92.

(10) محمد، الحالة السياسية، ص58 – 59.

جاهلي مقيت (أخذ الثأر) كما يرون[1]. طالما انهم يقعون في تناقض من القول بين خروجه لطلب الحكم لا غير، وبين عدم التراجع بعد العلم بمقتل مسلم لأن هدفه قد سُلبت منه عوامل النجاح السياسي.

وفي رأي آخر انه اخفق في الوصول إلى الخلافة لأنه لم يبذل شيئاً في تحقيق أدنى الدعاوى التي ادعاها، وترك للآخرين ان يعملوا من أجله كل شيء، ولم يكن أحد يوليه ثقة فإن المهاجرين والأنصار وهم عصب الإسلام تخلوا عنه، ولم يؤيدوا حركته من أول الأمر[2].

وقد تعمد هذا الكاتب ان يغض النظر عن كل ما بذله الحسين (عليه السلام) لتحقيق غايته من تضحية بنفسه، وعياله أو ما خطط له لانجاح مهمته، وانزل الحسين بمنزلة لم يصرح بها أحد من المتقدمين أو المتأخرين، ولتفنيد رأيه في افتقاد الحسين لثقة الصحابة دليل تاريخي بيّن هو: مَنْ صحبه من الأنصار على وجه الخصوص من المدينة واستشهد معه على المبدأ نفسه، والعقيدة ذاتها، وإذا كان انصار الحسين قِلةً فهو ليس بدعاً في ذلك من بين دعاة الحق.

وقد صوّر عدد من الباحثين المصريين – ممن قالوا بالدافع السياسي – الامام الحسين(عليه السلام) ساعياً إلى هدفه في نيل الحكم مغتراً ((ببعض كتب كتبها دعاة الفتن ومحبوا الشر، فحمل أهله وأولاده، وسار إلى قوم ليس لهم عهد))[3]. ولو انهم ابلغوه بعجزهم عما بايعوا عليه لما خرج إليهم ولرجع من الطريق.. ولكنه خرج إلى الكوفة فمضى إلى حتفه بظلفه[4]. فما كان للحسين أن ينخدع بهم... ولذلك فإنه يشترك في تحمّل تبعة المصير المحزن الذي آل إليه[5] لاسيما وان دعوة أهل الكوفة له كانت نزعة أو عصبية اقليمية متجددة في العراق يقابلها نظيرتها في بلاد الشام[6].

وهكذا هوّن هؤلاء الباحثين مأساة الحسين (عليه السلام) التي تقاسم فيها الذنب حسب قولهم طرفين (الحسين – وأهل الكوفة) الذين حرّكتهم عصبيتهم الاقليمية ضد مركز الحكم الأموي في الشام !!.

ومن جانب اخر رفض بعض الباحثين المصريين القول بانخداع الحسين برسائل أهل الكوفة، فأقرّ بأن الحسين كان سيخرج حتى لو لم تأته تلك الرسائل التي قد تكون عجّلت بخروجه ولم تكن السبب الوحيد فيه، ونزه مقصد الحسين من الرغبة بالخلافة أو الملك[7]، فالحسين

---

(1) ينظر: المصدر السابق، ص59؛ سرور، الحياة السياسية، ص136 – 137.

(2) شلبي، الدولة الأموية، 206/2.

(3) الخضري، محاضرات، ح2 ق128/1 – 128؛ ينظر: فرحات، دراسة مقدمة كتاب قيد الشريد، ص64 – 76؛ شاه، العقائد الشيعية، ص72 – 73.

(4) الجبري، حوار مع الشيعة، ص247 – 248.

(5) النجار، الدولة الأموية، ص91 – 92؛ الجميلي، دراسة في مقدمة كتاب استشهاد الحسين، ص21.

(6) صالح، العرب والإسلام، ص311.

(7) الجمل، سيرة الحسين، ص80.

حين عارض استخلاف يزيد، وخرج على النظام الذي وضعه معاوية بتخليف ابنه وأهدر به قاعدة الشورى، إنما أراد ان يرد الأمور إلى نصابها، وان يعيد الشورى كما كانت ولم يكن يطالب لنفسه بالامامة على أساس الوراثة أو أحقية آل البيت بالخلافة دون غيرهم[1].

وإذا كان لرد هذه الآراء شواهد عديدة من تصريحات الحسين (عليه السلام) نفسه[2] التي تبين انه كان يستهدف من تحركه هدفاً سياسياً – فضلاً عن الأهداف الاجتماعية والإصلاحية – فلابد من الإشارة إلى ان ((طرحه مفهوم الحاكمية، وان الحقّ لابد من أن يرجع إلى أهله، وان الامام عامل في كتاب الله ومقيم بالقسط، هذه المفاهيم والشعارات التي كان يطرحها لثورته عنواناً، لابد من ان تطرح على كل حال، حتى ولو كان يعلم بأنه سوف يستشهد، وذلك من أجل تنبيه الأمة إلى منشأ الخطر ومبدئه وأساسه، وان ضياع الحق الذي قام به هؤلاء – وأسهمت الأمة أيضاً فيه – سوف يؤول إلى تلك النتائج الخطيرة فكان لزاماً على الامام ان يُفهم الأمة ذلك بطرحه الحق أو الشهادة فمن جانب يوعي الأمة على هذا المفهوم، ويبين لها من أين يأتي الخطر، وفي الوقت نفسه يبين أمراً واقعياً وصحيحاً..))[3].

فالأمة أمام خيارين فهي إما أن تتبنى سياسة الرفض القاطع للواقع الفاسد والمنحرف الذي فرض عليها مهما كان الثمن أو تقبل بسياسة الأمر الواقع ويُصبح عليها ان تتنازل عن دينها ورسالتها وعظمتها وعزتها في الحياة لتقبل بالذل والهوان[4].

3- **التفسير الغيبي:** وأصحاب هذا التفسير يرجعون دوافع الحسين في ثورته إلى تكليف صادر من عالم الغيب كانت وسيلته رؤيا رأها الحسين عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنبأه فيها جده ان الله قد شاء ان يراه قتيلاً[5]، وقد ركن بعض الباحثين المصريين إلى هذا الرأي لأنهم اعتقدوا ان ليس ثمة تعليل عقلي لمسير الحسين والخروج من مكة على الرغم

---

(1) الشريف، دور الحجاز، ص425.

(2) مثل ما نقله الطبري عن الحسين في رسالة إلى أهل الكوفة: ((.. أما بعد فإن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه،...، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله اليه... وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، واحببنا العافية، ونحن نعلم انا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه... وانا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فإن السنة قد أميتت، وان البدعة قد أحييت، وان تسمعوا قولي وتطيعوا أمري اهدكم سبيل الرشاد)). تاريخ، 186/6.

وفي رسالة ثانية: ((... فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملئكم على نصرنا، والطلب بحقنا، فسألت الله ان يُحسن لنا الصنع، يثيبكم على ذلك أعظم الأجر)). المصدر نفسه، 209/6؛ الشيخ المفيد، الارشاد، ص320.

(3) الشاهرودي، محمود الهاشمي، الثورة الحسينية دراسة في الأهداف والدوافع (2)، مجلة المنهاج، العدد 30، بيروت، 1424هـ/2003م، ص20؛ وينظر بعض ما كان يشير اليه الحسين (عليه السلام): الطبري، تاريخ، 183/6.

(4) النفيس، أحمد راسم، نفحات من السيرة موجز سيرة الرسول صلى الله عليه واله وسلم وأهل البيت، ط بيروت، 1422هـ/2001م، ص104.

(5) ينظر: ابن طاووس، علي بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد (ت664هـ/1265م)، اللهوف في قتلى الطفوف، ط قم، 1424هـ/2003م، ص41.

من ان قراءة الأمور بمنطق الحوادث التاريخية تؤكد استحالة انتصار الحسين على يزيد ومع ذلك كان الامام عازماً على المواجهة ولذلك رجحوا انه كان مدفوعاً بإيمانه **بما رآه من رسول الله (ﷺ) في منامه، وتأثير تلك القوة الخفية التي لا يدركها إلاّ أهل البصائر**[1]**. ولذلك فقد جرى ذكر الموت على لسان الامام في أكثر من موضع** ولا غرابة في ذلك ((لأن الامام حقيقة كان يعلم – سلفاً – بمقتله، فمثله يعلم ساعة مصرعه زماناً، ومكاناً أيضاً ولا غرو فإن الله جل وعلا أعطى أصحاب العبقريات الروحية كثيراً من الكرامات والخوارق))[2].

بينما أنكر آخرين هذه الرؤيا وعدّها تبريراً ((ساقه بعض المؤرخين ليبرروا خروج الحسين وذلك باسناده إلى سبب غيبي لا يملك إلاّ طاعته وما هي إلاّ وضع من بعض المؤرخين المحدثين لتبرير خروج الحسين على انه كتاب من الله مختوم بذهب))[3].

وقد رد أخر ذلك بالقول: من يرفضون الحلول الغيبية هنا، والارتكاز على لا مرئيات تدفع لتحركات على سطح الواقع عليهم ان يعوا ان هذا الرجل هو حفيد النبي (ﷺ) وانه سيد شباب الجنة، مما يلغي التحفظ تماماً، وتبقى للرؤيا دلالتها العظمى الروحانية والصوفية التي تضيف للواقع بعداً مهماً وهماً مؤكداً[4].

ويتفق الباحث تماماً مع وجهة النظر التي ترى ان التفسير الغيبي – بهذا المعنى الذي تقدم – يجعل قضية الحسين (عليه السلام) قضية خاصة باهتة لا فائدة فيها، ويخرجها من نطاق القدوة التي تغذت منها الحركات والثورات بشكل دائم، وان روايات رؤيا الحسين (عليه السلام) تدل على انه كان يعرف ان نهاية مسيرته هي الشهادة، وان نهاية حركته الاستشهاد، وكان يريد ان يُفهم الناس بأنه سيستشهد، وكان يطلب منهم التصميم على الشهادة إلا ان هذه المسألة غير التفسير الغيبي، إذ ربما يشخّص قائد ان حركته سوف تنتهي إلى الشهادة، ومع ذلك تكون دوافعه في التحرك مفهومة وعامة وليست تكليفاً غيبياً خاصاً به، بل من أجل ان الدور الذي يقوم به كمسلم، يتوقف انجازه وتحقيقه على شهادته في سبيل الله، فتكون الشهادة مفهومة حينئذ وعقلائية، وما أكثر أصحاب الحركات الذين يقدمون على التحرك مع علمهم – في الحركات المادية فضلاً عن الدينية والإسلامية – بأن هذا التحرك سوف ينتهي بهم إلى الشهادة.

فدوافع الحسين مفهومة لجميع الناس، ألا وهي حفظ الإسلام وحفظ بيضته من الخطر الكبير الذي كان محدقاً به، وهذا الدافع موقوف على عملية صعبة، لا يتحملها إلاّ الإنسان الذي قد أخذ الإيمان بقلبه، لأنه موقوف على ان يدفع دمه وجميع ما يملك في هذا السبيل، فالعملية التي قام بها الحسين (عليه السلام) عملية بشرية قابلة للفهم البشري، من حيث مسوغاتها

---

(1) ينظر: غريب، الامام الحسين، ص80 – 84؛ عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص83 – 84؛ أبو علم، الحسين بن علي، ص114 – 115، قرون، عظمة الامام الحسين، ص62، لطفي، الشهيد الخالد، ص45.

(2) عيش، صوت الحسين، ص21 – 22.

(3) شعوط، اباطيل يجب أن تمحى، ص244 – 245؛ شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص314.

(4) عيسى، ابراهيم، دم الحسين قصة قتل سيدنا الحسين والانتقام من القتلة، ط القاهرة، 1424هـ/2003م، ص52 – 53.

ودوافعها وأسبابها، وهي عملية تريد الرسالات السماوية ان تربـي البـشرية عليهـا لتبلـغ المستوى الذي تكون فيه مستعدة لتحمل العبء، ولبذل التضحية[1].

ومن الأمور التي ينبغي للباحث الإشارة إليها ان بعض الكتّاب المصريين أدرجوا الدافع القبلي العشائري ضمن الدوافع الفاعلة في ملابسات الثورة الحـسينية ومآلهـا[2]، فنظـروا للصراع القائم بين الحسين (عليه السلام) ويزيد على انه في وجه من وجوهه امتداد لـذلك النـزاع التاريخي بين أمية وهاشم[3]، الذي استمرت بعض من بصماته في الإسلام والمتمثلـة بفئـة المعارضة الارستقراطية التي شكل البيت السفياني على وجه التحديد نواتها[4].

فإذا كانت العلاقة بين الهاشميين والأمويين في الجاهلية تسري فيها روح التنافس، وتفوح منها رائحة الخلاف على مناصب الشرف ومزايا الرياسة[5]، فقد استمر ذلك مع بداية الدعوة الإسلامية إذ حظي البيت الهاشمي بشرف النبوة دون غيره من كافة بيوتات قريش وبطونها العشرة[6].

وعلى الرغم من قيادة البيت الأموي للعداء ومعارضة الإسلام إلا ان النبي (صلى الله عليه وآله) سـعى إلى ازالة كل العوامل التي تعكر صفو العلاقة بين الهاشميين والأمويين بعـد دخـولهم فـي الإسلام[7].

ومع ذلك نجد ان هذه العوامل ظلت فاعلة في نفس معاوية الذي كان يحرّض في معركة صفين سنة 37هـ/657م عدد من القرشيين على أخذ ثأرهم من واترهم علـي بـن أبـي طالب(عليه السلام) الذي قتل آبائهم وأخوانهم في الإسلام[8]. فضلاً عن ان العصر الأموي قد شهد تجدد الضغائن والاحقاد ((لتوفر دواعي الخصومة والتنازع بين القبائل، فظلت لذلك قبائـل العرب في هذا العصر تعاودها ذكرى احقادها القديمة وضغائنها المتوارثة ودمائها المطلوبة في القبائل الأخرى، وكان مسلكها ازاء القبائل الأخرى مستوحى في كثير من الأحيان مـن هذه الضغائن))[9].

---

(1) الشاهرودي، الثورة الحسينية دراسة فـي الأهـداف والـدوافع (1)، مجلـة المنهـاج، العـدد 29، بيـروت، 1424هـ/2003م، ص32 – 33، وتنظر الصفحات ص26 – 32، ص33 – 36.

(2) ينظر: لطفي، الشهيد الخالد، ص8 – 11؛ عويس، شهيد كربلاء، ص7 – 9؛ العقاد، أبو الشهداء، ص91 – 98؛ الطنطاوي، مسرح العين، ص18 – 21؛ الأبياري، معاويـة، ص6 – 25؛ منـصور، الـشقيقان، ص6 – 13؛ غريب، الامام الحسين، ص13 – 29؛ قرون، عظمة الامام الحسين، ص3 – 7.

(3) ينظر في هذا الصراع التاريخي: الطبري، تـاريخ، 190/2 – 192؛ ابـن الأثيـر، الكامـل، 552/1 – 553؛ المقريزي، النزاع والتخاصم، ص18؛ التميمي، الدور اليهودي، ص54.

(4) عبد الرزاق، سوسيولوجيا الفكر، 49/1.

(5) غنيم، الثورات العلوية، ص16.

(6) ينظر في بطون قريش ابن عبد ربه، العقد الفريد، 313/3.

(7) من ذلك مصاهرة أبي سفيان في ابنته أم حبيبة، وجعل رجالاتهم بعد الفـتح مـن المؤلفـة قلـوبهم، واسـتعمال النبي(صلى الله عليه وآله) لعدد من الأمويين في وظائف الدولة.

ابن هشام، السيرة، 215/4؛ المقريزي، النزاع والتخاصم، ص46 – 47.

(8) ينظر: المنقري، صفين، ص417؛ البلاذري، انساب الاشراف، 125/5.

(9) النص، العصبية القبلية، ص285.

ولم يكن غريباً في ضوء ذلك موقف يزيد بن معاوية من هزيمة أهل المدينة في وقعه الحرة سنة 63هـ/682م، عندما تمثّل بأبيات أحد الشعراء[1] وكأنه قد ثأر لصرعى قريش في معركة بدر 2هـ/623م[2].

ومن هذه المواقف وغيرها رأى بعض الباحثين ان العصبية اشتبكت في الصراع بين البيتين الهاشمي والأموي لاسيما في العصر الأموي بسبب التنافس على الحكم والمنافع المادية والسلطان السياسي، فلم يعد التنافس بينهما مقصوراً على مراتب الشرف والرياسة في قريش، شأنه في الجاهلية[3].

بينما اجتهد آخرون في تفنيد وجود هذا الصراع التاريخي أصلاً فقالوا: ان ((تلك الروايات التاريخية تشم منها رائحة الوضع والمبالغة والاختلاق، ويتضح منها مدى التحامل الذي تعرض له بنو أمية عند تدوين تاريخهم))[4]، وقد اتهم الشيعة بوضع تلك المفتريات فقال شاهين: ((يحق لنا ان نشك في الروايات التي تفترض وجود عداء مستحكم بين بني هاشم وبني عبد شمس وأمية قبل الإسلام... وهم يروون ان منافرات حدثت بين هاشم وأمية...، وبين عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية، وكلتا الروايتين ترويان عن هشام الكلبي[5] وهو راوية شيعي كذاب))[6].

ويتساوق مع شاهين في ذلك عبد الاخر الذي يرى ان المقريزي ألف كتاب النزاع والتخاصم في عصر الانحدار الطائفي، وتخلى فيه عن صفة المؤرخ[7] ثم يتناقض مع نفسه بعد ذلك فيقول: ((لا يمكن لعاقل ان يتصور ان المقريزي قد خط حرفاً واحداً من هذا

---

(1) وهو عبد الله بن الزبعري الذي قال في معركة أحد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الاسل
حين حكت بقباء بركها	واستحرّ القتل في عبد الاشل
فقتلنا الضعف من اشرافهم	وعدلنا ميل بدر فاعتدل

ابن هشام، السيرة، 69/3.

(2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص267.

(3) النص، العصبية القبلية، ص385.

(4) شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص24؛ واتفق معه: عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص3.

(5) هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر، عالم بالنسب وأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها، أخذ عن أبيه وعن جماعة من الرواة. له من الكتب المصنفة كتباً في الاحلاف، وكتباً في المآثر والبيوتات والمنافرات والموعودات، وفي أخبار الاوائل، وأخبار الجاهلية، والإسلام، والبلدان، والشعراء، وأيام العرب، والأخبار والاسمار، والنسب، والانبياء، سمّاها ابن النديم بأسمائها فنيفت على المائة كتاب. توفي سنة 206هـ/821م. ينظر: الفهرست، ص108 - 111.

(6) الدولة الأموية المفترى عليها، ص122.

(7) التآمر على التاريخ الإسلامي، ص75.

الكتاب، إذ لا يعقل ان ينزل إلى هذا الدرك من اهدار العقيدة والجهل بالأحكام))[1]، فهذا ليس إلا من أدعياء التشيع الذين أسلموا ولما يدخل الإيمان إلى قلوبهم، الذين وجدوا في فكرة الحب والعطف على آل بيت الرسول (ﷺ) التي أدت إلى ظاهرة التشيع فرصة سانحة للتنفيس عن أحقادهم ضد صفوة الصحابة والتابعين، وكان قصدهم تحقير السلف الصالح، والتشهير بعظماء المسلمين، وتشويه جلال الماضي الإسلامي[2].

ولم يفت هؤلاء الباحثين وهم يسعون إلى تنزيه بني أمية إلى القول ان بني هاشم اعتنقوا الإسلام وفق منطق العصبية القبلية السائد في الجاهلية والذي يقتضي الوقوف خلف النبي الهاشمي بالتأييد والبذل[3] وان اتهام أبي سفيان بايذاء النبي (ﷺ) باطل بل انه (ﷺ) كان إذا أوذي بمكة يدخل دار أبي سفيان ولذلك رد النبي (ﷺ) الجميل بأحسن منه عندما جعل دار أبي سفيان يوم فتح مكة ملجأ آمناً للناس، ثم ينقض – القائل بذلك – رأيه بعد صفحات قليلة ليذكر ان عم النبي (ﷺ) – العباس – قال للنبي (ﷺ) أن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً، فقال الرسول (ﷺ): من دخل دار أبو سفيان فهو آمن[4].

يتضح مما تقدم ان الانحياز واللاموضوعية هي الطابع الغالب على مثل هذه الآراء التي استهدفت بكل وسيلة تنزيه تاريخ بني أمية.

وإذا كان للباحث أن يرى ان الدافع القبلي والعشائري له أمثلة في حياة معاوية وابنه يزيد واضحة وبيّنة، قد تكون مع العامل السياسي قد شكّلت الموقف الذي اتخذوه من افراد البيت الهاشمي، فإنه يجد كذلك ان أصل العقيدة الإسلامية في حق أهل البيت تنزه الحسين (عليه السلام) من هذا الدافع، قال تعالى في أهل بيت النبي (ﷺ): [**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**][5]، كما ان الناحية التاريخية والواقعية تضيّق فرص القبول به فلو كان الحسين (عليه السلام) في صدد القيام بمشروع عشائري قبلي لكان الأجدر به النهوض بعشيرته وأهل مدينته في الحجاز، لا استنهاض جماعة من الغرباء البعيدين عنه، حيث لم تكن الكوفة ولا البصرة موطناً عشائرياً له، فلو كانت المشاعر العشائرية والقبلية هي دوافع ثورة الحسين (عليه السلام) لكان ينبغي ان تنطلق الثورة من مهد تلك العشيرة، وسواعد ابنائها، والواقع ان ثورة

---

(1) المصدر نفسه، ص75.

(2) ينظر: التآمر على التاريخ الإسلامي، ص93، ص98؛ شلبي، الدولة الأموية، 18/2 – 19.

(3) شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص125.

(4) المصدر نفسه، ص129، ص139.

(5) سورة الاحزاب: الآية /33.

نقل الواحدي عن أبي سعيد الخدري انه الاية نزلت في خمسة: النبي (ﷺ)، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين (عليهم السلام)، ونقل مثل ذلك عن عبد الله بن أحمد بن حنبل وغيره. ينظر: أسباب النزول، ص266 – 267.

وأورد الطبري عن أم سلمة، وعائشة، وعدد من الصحابة وأبنائهم مثل ذلك وقال ان اخرون ذكروا انها نزلت في ازواج رسول الله (ﷺ) ذكر أن من قال بذلك هو عكرمة. الطبري، جامع البيان، 10/22 – 13.

الحسين لم تبدأ من موطن تلك العشيرة، وأكثر أصحابه فيها والذين قتلوا معه في كربلاء لم يكونوا من بني هاشم، فضلاً عن ان تصريحات الحسين (عليه السلام) نفسه والتي شرح فيها أسباب خروجه، أكدت على طلب الإصلاح في الأمة لا النصرة للعشيرة والأقارب وهذا هدف رسالي مبدئي وليس هدفاً قبلياً عشائرياً[1].

ومما يرد ذكره في المصنفات المصرية[2] كأحد أسباب الصراع بين الحسين (عليه السلام) ويزيد، قصة غريبة قالوا بأنها هي التي دفعت يزيد في ان يحمل ذلك الحقد الكبير على شخص الامام الحسين (عليه السلام) لدرجة ان يأمر بقتله عطشانا هو وأهل بيته وأصحابه، ومن ثم تطأ جسده الخيل[3].

وهذه القصة عرفت في المصادر التي نقلتها بقصة زواج الحسين (عليه السلام) من (أرينب أو زينب) على وفق ما يرد من اسم في سياق القصة، وكأنما كانت المنافسة المؤصلة في الجذور لا تكفي فأضاف إليها اناس من ثقاتهم قصة منافسة أخرى كانت وحدها كافية لاتمام ما نقص من النفرة والخصومة بين الحسين (عليه السلام) ويزيد[4].

ومضمون القصة ان أرينب أو زينب بنت اسحاق كانت من اشهر فتيات زمانها ومضرب الأمثال بجمالها، وكانت زوجة لوالي العراق من قبل معاوية عبد الله بن سلام القرشي، ووصل خبر ذلك الحسن والجمال ليزيد فمرض بحبها، ووصل الخبر لمعاوية الذي لم يكن يعدل بما يرضي يزيد شيئاً فاعمل الحيلة لكي ينال ابنه مرامه، فاستدعى أبو هريرة[5] وأبو الدرداء[6] وقال لهما بأن له ابنة يريد تزويجها، ولم يرض لها زوجاً سوى ابن سلام لدينه وفضله وشرفه ورغبته في اكرامه وتقريبه، فأرسل الصحابيين في طلب ابن سلام وابلغاه ذلك، وانطلت الحيلة عليه؛ ففاتح معاوية في الزواج من ابنته، فوكل معاوية الأمر إلى أبي هريرة ليبلغ ابنة معاوية، ويستمع إلى جوابها – الذي كان على وفق الاتفاق مع أبيها – بأنها لا تكره هذا الزواج ولكنها تخاف ان تكون له زوجة أخرى، فسارع ابن سلام إلى تطليق زوجته، واستنجز معاوية وعده، فكان جواب معاوية ان ابنته تتوجس خيفة من رجل يطلق زوجته وابنة عمه وهي اجمل نساء عصرها من أجل امرأة أخرى فهي لا ترضى به

---

(1) الشاهرودي، الثورة الحسينية دراسة في الأهداف والدوافع (1)، ص21 – 23.

(2) عويس، شهيد كربلاء، ص80 – 86؛ غريب، الامام الحسين، ص57 – 60؛ السحار، أهل بيت النبي، ص291 – 299؛ السحار، حياة الحسين، ص88 – 97؛ قرون، عظمة الامام الحسين، ص35 – 37؛ وقد ورد ذكر تأثير هذه القصة في يزيد في رواية صوت الحسين لأحمد محمد عيش، ص35، ص71 – 82، ص164.

(3) غريب، الامام الحسين، ص60.

(4) العقاد، أبو الشهداء، ص108. ومع ذلك فقد أوردها العقاد في أسباب ثورة الامام الحسين (عليه السلام). ينظر: أبو الشهداء، ص108 – 115.

(5) الدوسي من اليمن، قدم المدينة سنة 7هـ/628م، وصحب النبي (صلى الله عليه وآله)، توفي سنة 57هـ/676م. ابن قتيبة، المعارف، ص158.

(6) عويمر بن عامر بن مالك بن زيد الخزرجي الانصاري، شهد أحد ومشاهد كثيرة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وولي القضاء لمعاوية في خلافة عثمان في الشام. اشتهر بعلمه وفقهه، واختلف في وفاته. ينظر: ابن سعد، الطبقات، 7/391 – 392؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 4/59 – 61.

زوجاً، أما ارينب أو زينب التي طلقها ابن سلام فعندما انقضت مدتها بعد الطلاق بعث معاوية أبا الدرداء إلى العراق خاطباً لها، لابنه يزيد، وفي العراق يومئذ الحسين بن علي (ع) وهو سيد أهل العراق فقهاً ومالاً وجوداً وبذلاً، فأقبل عليه صاحب رسول الله (ص) قبل كل حاجة، وسمع الحسين (ع) الغرض الذي جاء من أجله إلى العراق، واستشف مكيدة معاوية، فطلب من أبي الدرداء ان يذكره عند ارينب أو زينب، ففعل أبو الدرداء وخطبها مخيراً لها بين الحسين (ع)، ويزيد، فاستشارته في القبول بأحدهما، ففضّل أبو الدرداء الحسين (ع)، وتزوجها الحسين (ع) الذي لم يلبث ان ردها إلى زوجها بعد حين قائلاً: انه ما أدخلها إلى بيته، وتحت نكاحه، رغبة في مالها وجمالها ولكنه أراد ان يُحلها لبعلها، فعاش الزوجان (أرينب وابن سلام) متحابين متصافيين حتى قبضهما الله، وحرمها الله على يزيد[1].

هذا هو ملخص ما روي من القصة، وفيها من الهنات والخلل ما يدفع الباحث إلى مشاركة السيد جعفر العاملي في القطع بأن الرواية موضوعة[2].

فمن حيث السند تبدأ الرواية بعبارة ((وذكروا))[3]، ومن دون ذكر أي سند، أي ان الراوي مجهول في هذه الرواية وهو ما يضعفها. فضلاً عن ان الرواية متناً فيها عدد من نقاط الضعف، فلم يرد في المصادر التاريخية ان من بين زوجات الحسين (ع) من كان اسمها أرينب أو زينب بنت اسحاق، كما ورد ذلك في الرواية[4]. والقارئ يجد في صدرها ان معاوية يخاطب ابنه قائلاً: ((ونصبتك اماماً على أصحاب رسول الله (ص)، وفيهم من عرفت، وحاولت منهم ما علمت...))[5]، وهو يعني ان الحادثة وقعت بعد أخذ ولاية العهد ليزيد التي لم تتم قبل سنة 56هـ/675م[6] على بعض الروايات.

فشخصيات الرواية بناءً على هذا التاريخ تصبح محل شك، فهي تصرح ان الحسين(ع) كان في العراق التي قدمها أبو الدرداء، والثابت تاريخياً ان الحسين (ع) غادر الكوفة

---

(1) ينظر: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 156/1 - 163؛ الشبراوي الشافعي، عبد الله بن محمد بن عامر (ت1171هـ/1757م)، الاتحاف بحب الاشراف، ط2، قم، 1263هـ/1846م، ص201 - 210؛ الشيرازي، عبد المجيد بن محمد رضا الحسيني (ت1345هـ/1926م)، ذخيرة الدارين فيما يتعلق بمصائب الحسين وأصحابه عليهم السلام، تحقيق: باقر درياب النجفي، ط قم، 1421هـ/2000م، ص97 - 106.

(2) ينظر: العاملي، جعفر مرتضى، دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، ط3، بيروت، 1414هـ/1993م، 159/1 - 166.

(3) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 156/1.

(4) ينظر في اسماء زوجات الحسين (ع): الشيخ المفيد، الارشاد، ص368؛ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (من أعلام القرن السادس الهجري / الاثني عشر الميلادي)، اعلام الورى باعلام الهدى، ط قم، 1417هـ/1996م، 478/1.

(5) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 157/1.

(6) ينظر: ابن خياط، تاريخ، ص131 - 133؛ الطبري، تاريخ، 153/6 - 155؛ المسعودي، مروج الذهب، 217/3 - 219؛ ابن الأثير، الكامل، 349/3 - 355؛ ابن خلدون، العبر، 15/3 - 16؛ العاملي، دراسات، 160/1.

والعراق بعد صلح الحسن (عليه السلام) سنة 41هـ/661م[1]، ولم يرجع إلى العراق إلاّ في عام 61هـ/680م في ثورته على يزيد بن معاوية، فهو لم يكن في العراق لا في سنة 56هـ/675م، ولا في أي من السنوات الفاصلة بين 41 – 61هـ/661 – 680م.

أما عبد الله بن سلام فقد صرحت الرواية انه كان أحد ولاة معاوية على العراق: ((فكتب معاوية إلى عبد الله بن سلام: وكان قد استعمله على العراق، ان اقبل حين تنظر في كتابي...))[2]، ولقد راجع الباحث أسماء ولاة العراق منذ بداية حكم معاوية حتى وفاته فلم يجد من جُمعت له البصرة والكوفة وهي ولاية العراق سوى زياد بن أبيه للحقبة (50 – 53هـ/670 – 672م) ولم يجد فيمن ولي العراقين لمعاوية من له هذا الاسم[3]، والرواية تصرح بأن ارينب قد تزوجها رجل من بني عمها يقال له: عبد الله بن سلام من قريش[4]، فلم نعثر على من اشتهر بهذا الاسم في الفترة المتقدمة سوى عبد الله بن سلام الحبر اليهودي[5] ولذلك فهو ليس المعني في هذه الرواية لكونه ليس قرشياً، فضلاً عن ان وفاته كانت سنة 43هـ/663م[6]، قبل ولاية العهد بكثير[7]، ولم يثبت انه قد ولي أي أمر لمعاوية طيلة حياته.

أما أبو الدرداء: عويمر بن عامر الذي تقول الرواية انه وجهه إلى العراق خاطباً أرينب ليزيد[8] والمقصود فيها أبو الدرداء صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، إذ قال له الحسين (عليه السلام): ((مرحباً بصاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)... ففاضت عينا أبي الدرداء لذكر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)))[9].

وليس بين صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من له هذا الاسم غير عويمر.

وإذا رجعنا إلى تاريخ وفاة أبي الدرداء التي أُختلف فيها فقيل عنه ((توفي قبل مقتل عثمان بسنتين، قيل توفي سنة ثلاثة أو اثنتين وثلاثين بدمشق، وقيل توفي بعد صفين سنة ثمان أو تسع وثلاثين))[10]، وإذا أخذنا أعلى تاريخ ذُكر لوفاته أي سنة 39هـ/659م، فإن ذلك يعني انه توفي قبل وصول معاوية إلى الحكم فكيف يبعثه إلى العراق، وأين هو من أخذ

---

(1) العاملي، دراسات، 162/1.

(2) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 158/1.

(3) ينظر: آل خليفة، محمد علي، امراء الكوفة وحكامها، مراجعة وتنقيح: د. ياسين صلواتي، ط ايران، 1425هـ/2004م، ص147 – 213.

(4) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 157/1.

(5) وكان حبراً عالما من احبار اليهود في يثرب، عرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصفته واسمه وزمانه الذي كانت اليهود تترقبه، فجعل يترقب قدومه حتى إذا قدم الرسول (صلى الله عليه وسلم) مهاجراً إلى المدينة اسلم عبد الله هو وأهل بيته.
ينظر: ابن هشام، السيرة، 118/2؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 27/8.

(6) ينظر: ابن خياط، تاريخ، ص126؛ ابن الأثير، الكامل، 297/3؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 27/8.

(7) العاملي، دراسات، 161/1.

(8) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 160/1.

(9) المصدر نفسه، 161/1.

(10) ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، 60/4، ابن الاثير، أسد الغابة، 160/4.

البيعة ليزيد، وهو يناقض كذلك ما نُقل في الرواية من ان الحسين (عليه السلام) كان سيد أهل العراق، فالامام علي وابنه الحسن (عليهما السلام) كانا سادة العراق في سنة وفاة أبي الدرداء[1].

من كل ما تقدم في متن الرواية من الشخصيات، وتاريخ وقوع الأحداث، وتضارب بعض الأسماء فيها، يستطيع الباحث ترجيح رأي السيد العاملي في القطع بوضعها، ومما يدعم رأي الباحث ما ورد في الرواية من ان انخداع عبد الله بن سلام بخدعة معاوية قد ((ذاع أمره في الناس وشاع، ونقلوه إلى الأمصار، وتحدثوا به في الاسمار وفي الليل والنهار، وشاع في ذلك قولهم))[2] ولكننا لا نرى سنداً واحداً لهذه الرواية التي لو كان أمرها قد شاع لما غفل عنها اشهر المؤرخين المتقدمين الذين كانت تشد اهتماماتهم كل قصة غريبة[3]، فكيف بقضية مشهورة ذاع خبرها في كل الأمصار !!.

إن عدم نقل المؤرخين المتقدمين – عدا ابن قتيبة – لهذه الرواية يقوي احتمال عدم وقوعها ووضعها، ولعل الدافع وراء وضعها هو ((إرادة تخفيف حدة اللوم الذي يتوجه إلى يزيد بقتله الامام الحسين، وذلك بسبب وجود إحن وأحقاد قديمة، كان الحسين هو السبب في وجودها لاسيما وان ما اقدم عليه الحسين كان بمثابة صدمة عاطفية، وطعنة نجلاء في صميم قلب يزيد الذي برّح به الهوى، والظ به الشوق، وواضح ان ذلك يعتبر من الأسباب الرئيسية في تخفيف فظاعة الجريمة ومضاعفة عقابها))[4] على يزيد.

وان من أدرج هذه القصة من الكتّاب المصريين استهدف تفسير حقد يزيد على الحسين(عليه السلام) فحسب دون أن يقصدوا تخفيف فظاعة جريمته لأنهم من الكتّاب المنصفين الذين عالجوا قضية الحسين بروح موضوعية.

---

(1) العاملي، دراسات، 160/1 – 161.

(2) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 160/1.

(3) العاملي، دراسات، 164/1.

(4) المصدر نفسه، 164/1.

الفصل الثالث

تخطيط الحسين (عليه السلام) للثورة

وواقعة لطف

- المبحث الأول: انتقال الحسين (عليه السلام) من المدينة إلى مكة.
- المبحث الثاني: مبررات خروج الحسين (عليه السلام) إلى العراق ومراحل الطريق.
- المبحث الثالث: معركة الطف وما تلاها من أحداث في المصنفات المصرية.

المبحث الأول

انتقال الحسين (عليه السلام) من المدينة إلى مكة

من خلال متابعة دقيقة لمجريات ثورة الامام الحسين (عليه السلام) في المصنفات المصرية أو سواها من الكتب المتقدمة أو المتأخرة، لاحظ الباحث ان اغلب الكتّاب أخذوا من كتاب (تاريخ الرسل والملوك) للطبري، لأنه وكما يصفه أحد الباحثين المصريين قد ((سجّل الأحداث التي احتوتها هذه الفترة وفصلّها وأبرز سماتها وملامحها))[1].

وهذا لا يقلل من شأن الروايات التاريخية التي وردت في بعض المصادر المتقدمة الأخرى، فهناك بعض الروايات التاريخية التي لا نجدها لدى الطبري ولكننا نجدها في مصادر متقدمة أخرى تكمل اتساق الرواية أو تفسر مسار الثورة وبعض أحداثها، والتي اغفل الطبري ذكرها في بعض الأحيان.

ولعل الميزة التي جعلت تاريخ الطبري أدق من غيره في هذا المضمار هي الطرق التي اعتمدها هذا المؤرخ في سرده لمجريات ومسار الثورة، فالمتابع لروايات الطبري سيجد انه اعتمد في روايته لتسجيل أحداث هذه الفترة على رواة عراقيين[2] فيما أقلّ الأخذ والرواية عن غيرهم؛ من مدنيين أو شاميين[3].

ويبدو أن الطبري قد تعمد في الأخذ عن رواة عراقيين لأن بلادهم كانت ساحة الصراع وان أولئك الرواة هم الذين كانوا الأقرب[4] إلى الذين شهدوا مصرع الحسين (عليه السلام) ونقلوا

---

(1) غنيم، الثورات العلوية، ص145.

(2) اعتمد الطبري في نقله على مجموعة من الاخباريين والرواة العراقيين منهم على سبيل المثال لا الحصر: عوانة ابن الحكم (ت147هـ/763م)، أبو مخنف (ت157هـ/772م)، هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت204هـ/819م)، عمر بن شبه البصري (ت262هـ/875م)، حُميد بن مسلم الازدي.

(3) على سبيل المثال: أخذه عن محمد بن عمر الواقدي (ت207هـ/822م) مسألة طلب البيعة من الامام الحسين (عليه السلام) في المدينة بعد هلاك معاوية، وأخذه بعض الروايات عن علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)، أو عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (محمد الصادق عليه السلام)، أو عن القاسم بن عبد الرحمن مولى يزيد بن معاوية.

(4) ومن الملفت في هذا المجال ان ابن كثير الدمشقي الذي وصف روايته لمقتل الحسين بأنها ((مأخوذة من كلام أئمة هذا الشأن لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب الصريح والبهتان)) على حد تعبيره لم يستغن عن رواية الشيعة نفسها فقال مناقضا نفسه في موضع اخر واصفا ما ذكره في مقتل الحسين (عليه السلام) بأنه ((أكثره من رواية أبي مخنف لوط بن يحيى، وقد كان مسلما شيعيا وهو ضعيف الحديث عند الأئمة، ولكنه إخباري حافظ عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره)).

ابن كثير، البداية والنهاية، 172/8، 202/8، وينظر: النفيس، على خطى الحسين، ص105 – 106.

أنباءه سواء زماناً أم مكاناً.

وعلى ذلك سيكون اعتماد الباحث على تاريخ الرسل والملوك كثيراً من غير ان يغفل إضافة ما يراه مهماً من الكتب المتقدمة الأخرى أو التالية التي أوردت روايات تركها أو لم يسجلها الطبري في كتابه، مع تحليل مجمل الروايات للوصول إلى الرواية الدقيقة حسب جهد الباحث ونظرته لمسار الثورة الحسينية التي مرت بمراحل متعددة. منها هذه المرحلة التي هي مرحلة التهيؤ والتحفز للقيام بالثورة والتي تقع احداثها في مواقع متعددة وفي فترة متقاربة زمنياً في بلاد الشام، والمدينة، ومكة، والكوفة، والبصرة.

ففي بلاد الشام كان إحساس معاوية يتنامى بدنو أجله فأرسل إلى يزيد الغائب عن دمشق فلما ابطأ عنه جمع خاصته وأبلغهم وصيته إلى يزيد يعلمه كيفية التعامل مع رعيته في الأمصار الإسلامية – العراق والحجاز وبلاد الشام –[1].

وأضاف معاوية في هذه الوصية تخوفه على يزيد من ثلاثة نفر هم: الامام الحسين(عليه السلام)، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر[2] وزاد اخرون عبد الرحمن بن أبي بكر[3] على الرغم من ان المصادر[4] تذكر انه توفي قبل هذا التاريخ بسنة 53هـ/ .

وقد أرشد معاوية في هذه الوصية ابنه يزيد إلى سبل التعامل مع كل شخصية من هذه الشخصيات فأوصاه بشأن الحسين (عليه السلام) بالقول: أرجو ان يكفيكه الله فإنه قتل أباه وخذل أخاه[5]. وهو رجل خفيف لن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه[6].

وفي رواية أخرى ان معاوية قال ليزيد: اياك وان تكون لعين هذه الأمة، فقد لعن النبي(صلى الله عليه وآله) قاتل ولده الحسين (عليه السلام) مراراً بعد أن اخبره جبرائيل بأن أمته ستقتله، وقد أكد معاوية بأنه سمع هذا الخبر من ابن عباس[7].

ولم تُعطِ الرواية أهمية كبيرة لابن عمر، أما ابن الزبير فقد وصفه معاوية بأنه ضب خب وأمر يزيداً ان ظفر به ان يقطعه إرباً إربا[8].

---

(1) الدينوري، الأخبار الطوال، ص226، الطبري، تاريخ، 164/6 - 165، ابن اعثم، الفتوح 351/4، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 373/4؛ يعقوب، أحمد حسين، النظام السياسي في الإسلام، ط لندن، 1413هـ/1992م، ص182.

(2) الطبري، تاريخ، 165/6، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 373/4، ابن كثير، البداية والنهاية، 115/8.

(3) الدينوري، الأخبار الطوال، ص226، الطبري، تاريخ، 164/6، ابن اعثم، الفتوح، 349/4، ابن الأثير، الكامل، 368/3.

(4) ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص102، ابن عبد البر، الاستيعاب، 402/2، ابن الأثير، أسد الغابة، 306/3.

(5) الطبري، تاريخ، 165/6، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 373/4، ابن كثير، البداية والنهاية، 115/8.

(6) أبو مخنف، نصوص من تاريخ أبي مخنف، 392/1، الدينوري، الأخبار الطوال، ص226، ابن الاثير، الكامل، 368/3 – 369، ابن كثير، البداية والنهاية، 115/8.

(7) ابن اعثم، الفتوح، 350/4، الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي (ت568هـ/1172م)، مقتل الحسين، تحقيق: محمد السماوي، ط قم، 1423هـ/2002م، 258/1.

(8) أبو مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي (ت157هـ/773م)، نصوص من تاريخ أبي مخنف، استخراج وتنسيق وتحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط بيروت، 1419هـ/1999م، 393/1، الدينوري، الأخبار الطوال، ص226، الطبري، تاريخ، 164/6، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 373/4، ابن الاثير، الكامل، 369/3، سبط ابن =

وقد حاول كاتب مصري تبرئة معاوية من وصيته في ابن الزبير مخالفا كل المصادر التاريخية المعتبرة التي نقلت الرواية فيقول: ((وكان معاوية من الحلم والاتزان بحيث يبعد ان يأمر ولده بتمزيق ابن الزبير وقد كان في حياته يشتري الحمد بالصفح، ويطلب حسن الاحدوثة بجميل المغفرة))[1].

وقد إندرج هذا الكاتب ضمن عدد من الكتّاب المصريين الذين غلبوا صفة الحلم على معاوية متجاهلين عمداً أفعال ولاته في العراق خاصة وحادثة حجر بن عدي التي لا سبيل إلى انكارها أو تأويلها. وبخلاف هذا الرأي فإن اغلب الكتّاب المصريين نقلوا وصية معاوية وضمنوها كتبهم كما وردت في المصادر التاريخية المتقدمة نصاً من دون تغيير[2].

وفي رجب من سنة 60هـ هلك معاوية[3] تاركاً لولده يزيد دولة مترامية الأطراف بعد أن رسم له في وصيته طريقة إدارته لهذه الدولة.

وكانت خاتمة الأحداث في بلاد الشام في هذه المرحلة ذلك السعي الحثيث ليزيد في أخذ البيعة لنفسه من الامام الحسين (عليه السلام)، ومن الذين وردت اسماؤهم في وصية أبيه، فكان ان كتب إلى واليه على المدينة يخبره بهلاك معاوية وكتب في صحيفة صغيرة: أما بعد فخذ حسيناً، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام[4].

وأضاف أخرون في رواية أخرى[5]: فمن أبى عليك منهم فاضرب عنقه وابعث اليّ برأسه.

ولقد أورد الكتّاب المصريون الرسالة الأولى فيما انفرد وحيد عبد الحكيم الجمل، من بين كل الكتّاب المصريين الذي أتيح لي الإطلاع على مؤلفاتهم بايراد الرواية الثانية[6]. فيما أشار طه حسين إشارة إلى هذه الرواية من دون ان يصرّح بها فقال: ((ولم يكن يزيد يحتمل ان

= الجوزي، تذكرة الخواص، 129/2، ابن كثير، البداية والنهاية، 115/8. والخبُّ: الخدّاع المفسد. ابن منظور، لسان العرب، مادة خب.

(1) غنيم، الثورات العلوية، ص148 – 149.

(2) أبو النصر، معاوية، ص154 – 155، محمد، أحمد رمضان أحمد، حضارة الدولة العربية في عهد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأموية، ط مصر، 1399هـ/1978م، ص119 – 120، قرون، عظمة الامام الحسين، ص33، أبو السعود، الشيعة، ص67 – 68، عيسى، دم الحسين، ص19، الابياري، معاوية، ص262، العقاد، معاوية، ص121 – 122، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص66 – 67، رضا، الحسن والحسين، ص65.

(3) ابن خياط، تاريخ، ص141، الدينوري، الأخبار الطوال، ص225، الطبري، تاريخ، 165/6، ابن اعثم، الفتوح، 352/4، الجزائري، عبد الباقي قرنه، معاوية، ط قم، 1426هـ/2005م، ص211.

(4) ينظر بتفاوت في الألفاظ: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص3، البلاذري، انساب الأشراف، 313/5، الدينوري، الأخبار الطوال، ص227، الطبري، تاريخ، 174/6، ابن الاثير، الكامل، 377/3، سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، 130/2، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م)، نهاية الارب في فنون الأدب، ط القاهرة، (بلا.ت)، 377/20، ابن كثير، البداية والنهاية، 146/8 – 147.

(5) اليعقوبي، تاريخ، 168/2، ابن اعثم، الفتوح، 10/5، ابن اعثم، أبو محمد أحمد بن اعثم الكوفي (ت314هـ/926م)، مقتل الحسين (عليه السلام)، وقيام المختار، ط2، قم، 1424هـ/2003م، ص17، ابن طاووس، اللهوف، ص16، سبهر، لسان الملك ميرزا محمد تقي، ناسخ التواريخ في أحوال حضرة سيد الشهداء (عليه السلام)، عني بمراجعة أصوله، نخبة من العلماء، ط4، طهران، 1421هـ/2000م، 381/1.

(6) سيرة الحسين، ص77.

يلتوي عليه أحد بطاعة، وإنما كان يرى ان طاعته حق على الناس جميعا، فمن التوى بها عليه فليس عنده إلاّ السيف))[1].

ولعل قراءة دقيقة للنصين اللذين نقلهما المؤرخون تبين للباحث ان أمر يزيد إلى واليه على المدينة على ما جاء في النصين يؤدي إلى نتيجة واحدة وهي: قتل الممتنع عن البيعة ! فالنص الأول يصرح فيه يزيد بأن على الوالي ان يشتد بأخذ البيعة من دون اعطاء أي رخصة في أخذها وهو أمر بالقتل من دون التصريح به، أما النص الثاني ففيه تصريح واضح بالقتل وكلا النصين يؤديان إلى نتيجة واحدة هي قتل الممتنع عن اعطاء البيعة ليزيد، إذ كان لدى ممثل الحكومة في المدينة ((الأوامر الحازمة، بأخذ البيعة طوعاً أو كرهاً من أبناء الصحابة))[2].

أما في الحجاز وفي المدينة المنورة بالتحديد فقد وصلت رسالة يزيد إلى واليها الذي لم يتلكأ في تنفيذ أوامر يزيد فاستدعى مروان بن الحكم على ما كان بينهما من نفرة وخصومة وذلك لأهمية الأمر طالباً منه المشورة، فأشار باخفاء نبأ هلاك معاوية وضرب أعناق المخالفين إذا رفضوا البيعة[3].

وفي هذه الرواية مسألتين مهمتين الأولى: اخفاء نبأ هلاك معاوية في المدينة إلاّ عن بعض الخواص المقربين في دار الحكومة في خطوة لأخذ البيعة من الحسين (ع) بشتى طرق الضغط والاكراه، وبعد ذلك سيكون من السهولة أخذ البيعة من باقي الناس. وقد أدرك الحسين(ع) رغبة السلطة في تأمين الموقف من الحسين أولاً لئلا يؤدي رفضه العلني إلى شيء من المعارضة في المدينة فباغت والي المدينة وطلب منه ان يدعوه إلى البيعة بمحضر من الناس فقال:

((ان مثلي لا يعطي بيعته سرا ولا أراك تجتزأ بها مني سراً دون ان تظهرها على رؤوس الناس علانية.. فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً))[4].

وقد فطن مروان بن الحكم لخطورة رأي الحسين (ع) وما يمكن ان يؤدي إليه من اضطراب المدينة وغيرها اذا ما أعلن الحسين (ع) انكاره لصلاحية يزيد للبيعة وعزف عن مبايعته، أو دعى لنفسه[5]، فحاول ان يحول دون حصول ذلك فقال للوالي الأموي في المدينة:

---

(1) الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 237/2.

(2) بيضون، من دولة عمر، ص183.

(3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص4، الدينوري، الأخبار الطوال، ص227، الطبري، تاريخ، 174/6، الخوارزمي، مقتل الحسين، 263/1، ابن الأثير، الكامل، 377/3، النويري، نهاية الارب، 377/20.

(4) ينظر بتفاوت في الألفاظ: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص5، الطبري، تاريخ، 175/6، ابن اعثم، الفتوح، 13/5، ابن الأثير، الكامل، 378/3، ابن كثير، البداية والنهاية، 147/8، شريفي، موسوعة كلمات الامام الحسين، ص281 – 282.

(5) لعل الباحث يستطيع ان يلمح هذا التحسب من مروان لاسيما وان الحسين (ع) أقبل على والي المدينة بعد ان دعاه إلى البيعة سراً فقال: ((أيها الأمير: انا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة.. ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، مُعلنٌ بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيُنا أحقُ بالخلافة والبيعة ؟)). ابن طاووس، اللهوف، ص16.

((احبس الرجل، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه))[1].

أما المسألة الثانية في الرواية: وهي ضرب اعناق المخالفين لبيعة يزيد والتي صورها الطبري وكأنها كانت من بنات أفكار مروان بن الحكم[2]. فلم تكن كذلك إذا ما أخذنا وجهة نظره هو في استخلاف يزيد والذي كان رافضاً له، إذ كان يرى نفسه أحق بالخلافة، وعلى ذلك فإن مروان كان قد صوب رأي يزيد في ضرب أعناق المخالفين وارسال رؤوسهم إليه في الوقت الذي رفض فيه والي المدينة تنفيذ أمر يزيد أو النزول على مشورة مروان[3].

ولعل خير ما يدلل على ان مشورة ضرب أعناق المخالفين كانت من يزيد نفسه، ولم تكن من مروان، ان يزيداً كتب لوالي المدينة مرة أخرى بعد أن علم بفرار ابن الزبير إلى مكة طالباً منه أخذ البيعة من أهل المدينة وقال: ((وليكن مع جوابك اليّ رأس الحسين بن علي، فإن فعلت ذلك جعلتُ لك أعنة الخيل ولك عندي الجائزة والحظ الأوفر))[4].

وقد أكد ذلك رفض الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والي المدينة لاغراء يزيد رفضاً قاطعاً بقوله: ((لا والله لا يراني الله قاتل الحسين بن علي، وانا لا اقتل ابن بنت رسول الله (ﷺ) ولو أعطاني يزيد الدنيا بحذافيرها))[5].

وقد أدى ذلك إلى معاقبته بعزله عن المدينة، ووليها عمرو بن سعيد الأشدق مكانه[6].

وعلى الرغم من ان الكثير من الكتّاب المصريين[7] أوردوا في كتبهم امتناع الوليد عن تنفيذ أمر يزيد أو مشورة مروان في قتل المخالفين للبيعة فإن حمدي شاهين بعد ان برأ يزيد من الأمر سعى لتبرأة مروان من مشورة قطع رؤوس المخالفين مدعياً انها رواية مشكوك بها لأن راويها هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف وكلاهما شيعي كذاب كما يعبر الكاتب المصري الذي يستطرد فيقول: ولا ريب ان عداء الرواة من الشيعة لبني أمية ومروان منهم قد قادهم إلى تشويه موقفه من الأحداث في الوقت الذي أوضحت الروايات ان مرواناً كان من

---

(1) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 165/1، الطبري، تاريخ، 175/6، الخوارزمي، مقتل الحسين، 267/1.

(2) تاريخ، 175/6.

(3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص6، الدينوري، الأخبار الطوال، ص228، الطبري، تاريخ، 175/6، النويري، نهاية الارب، 379/20.

(4) ابن اعثم، الفتوح، 18/5، ابن اعثم، مقتل الحسين، ص28، الخوارزمي، مقتل الحسين، 269/1.

(5) ابن اعثم، الفتوح، 18/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 269/1، وينظر بألفاظ أخرى: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص6، الطبري، تاريخ، 175/6، ابن الأثير، الكامل، 378/3، ابن طاووس، اللهوف، ص17، ابن كثير، البداية والنهاية، 147/8.

(6) الطبري، تاريخ، 177/6، الطبري، استشهاد الحسين، ص34، ابن الأثير، الكامل، 380/3، النويري، نهاية الارب، 382/20، ابن كثير، البداية والنهاية، 148/8.

(7) النفيس، على خطى الحسين، ص81، أبو النصر، الحسين بن علي، ص51، منصور، الشقيقان في كربلاء، ص41، رضا، الحسن والحسين، ص61، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص69، أبو السعود، الشيعة، ص68 – 69، صبيح، خصوصية وبشرية النبي، 75، لطفي، الشهيد الخالد، ص32، قرون، عظمة الامام الحسين، ص50.

الآسفين على مقتل الحسين، والباكين عليه[1]. وإذا كان له ان يأخذ بالاعتبار عداء رواة الشيعة لبني أمية فلا مناص من ان يسأل الباحث ما الذي جعل كل شيعي كذاب لدى شيعة الأمويين، حتى وإن كان من الحفاظ وعنده ما ليس عند غيره يعتمده الثقة من الحفاظ الذين اطمأن إليهم الناقلين ؟[2]. فضلاً عن ان الباحث لم يجد فيما تسنى له الإطلاع عليه من المصادر مصداقاً لقول الكاتب بأسف مروان وبكائه.

أصبح الامام الحسين (عليه السلام) أمام أمرين لا ثالث لهما، الأول: البقاء في المدينة والتعرض للاذلال والغصب على بيعة يزيد أو القتل في حال اصراره على الرفض بناءً على أوامر يزيد ورغبة بعض اعضاء البيت الأموي مثل مروان بن الحكم، أما الأمر الثاني الذي كان أمام الامام الحسين (عليه السلام) فكان الخروج من المدينة باتجاه مكان أمن لفترة محدودة من الزمن ريثما ينجلي الموقف ويتخذ قراره النهائي، ولم يكن أمام السلطة الأموية إلاّ ان تغضّ طرفها عن خروج الحسين (عليه السلام) من المدينة المنورة، ليتسنى لها الإعلان عن هلاك معاوية واخذ البيعة من أهل المدينة بعد خلوها من الحسين (عليه السلام) وهذا أمرٌ يسير على السلطة التي قد تدعي انه بايع ليزيد لاسيما وهو غائب لا يمكن ان ينفي ذلك عن نفسه. وقد صار أمر البيعة ليزيد في المدينة ميسوراً خاصة بعد أن قدم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر من مكة وبايعا ليزيد فبايع الناس وكان ذلك بعد خروج الحسين (عليه السلام) منها[3].

قرر الحسين (عليه السلام) الخروج من المدينة المنورة ووافق ذلك ما أشار به أخوه محمد بن الحنفية، فأشاد الحسين (عليه السلام) بنصيحة أخيه وطلب منه المكوث في المدينة فقال: ((لقد نصحت، وأشرت بالصواب، وانا عازم على الخروج إلى مكة.. وأما أنت يا أخي فلا عليك ان تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم ولا تخفِ عني شيئاً من أمورهم))[4].

وقد كتب الحسين (عليه السلام) وصيته إلى أخيه محمد بن الحنفية قبل خروجه إلى مكة موضحاً فيها غايته وأهداف اعتراضه ومنها:

((.. اني لم اخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بقبول الحق))[5].

---

(1) الدولة الاموية المفترى عليها، ص308.

(2) ينظر على سبيل المثال ما ذكره ابن كثير عن رواة مقتل الحسين (عليه السلام): البداية والنهاية، 202/8.

(3) ابن الأثير، الكامل، 380/3.

(4) ابن اعثم، الفتوح، 21/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 272/1، شريفي، موسوعة كلمات الامام الحسين، ص289.

(5) ينظر بتفاوت في الألفاظ: ابن اعثم، الفتوح، 21/5، ابن اعثم، مقتل الحسين، ص32، الخوارزمي، مقتل الحسين، 273/1، القزويني، الوثائق الرسمية، ص46، شريفي، موسوعة كلمات الامام الحسين، ص290 – 291.

وقد ذكر ذلك بعض الكتّاب المصريين[1] كما ورد في المصادر المتقدمة.

تحرك الركب الحسيني إلى مكة والامام يقرأ قوله تعالى: ﴿**فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[2]، سالكا الطريق الأعظم من دون ان يتنكب عن الطريق، أو يسلك الطرق الفرعية في تحدٍ واضح للسلطة الأموية[3]، وقد تضمن ذلك الخروج العلني وإشهار المسير إلى مكة نوعا من التعبئة للرأي العام الإسلامي[4]، إذ حرص أبو عبد الله على أن تكون ثورته جماهيرية التأثير والاستمرار برغم انه كان عارفا بالظروف الموضوعية التي يعيشها المجتمع الإسلامي آنذاك، ويعلم ان الأمة لن تستجيب لصوته استجابة سريعة إلا انه أصرّ إلاّ أن يوصل انباء نهضته إلى سائر البلاد الإسلامية لايجاد جمهور لثورته سواء أكان ذلك على مستوى الاستجابة العاجلة المتمثلة في النخبة التي ضحت معه أم على مستوى من ينضم إلى جمهور الثورة فيما بعد الواقعة، وهذا الحرص من الامام يمكن ملاحظته من إعلانه عن عزمه على الثورة في البيت الحرام وفي موسم الحج حيث التجمع السنوي للمسلمين من مختلف البلدان الإسلامية وتصريحه بالدعوة إلى الشهادة والتضحية[5]. ولذلك أعطى بعض الكتّاب المصريين لخروج الحسين (عليه السلام) طابعا مقدسا وبعدا تاريخيا فشبهوه بهجرة النبي (ﷺ) من مكة[6]. ومن ذلك ما قاله الطنطاوي شعرا[7]:

ولنعم ما صنع الحسين ورهطه	في قصد مكة راضياً مشمولا
ليعيد للأذهان أمجد هجرة	حلّت غموضا لم يكن محلولا
وهناك بين الهجرتين تتابعت	ستون عاماً يطردن حمولا

فلم يكن خروج الحسين مع جماعته من المدينة إلى مكة فرارا من مطالبة الوالي إياه بالبيعة ليزيد كما يذكر ذلك بعض الكتّاب المصريين[8] إذ لو كان ذلك الخروج فراراً لسلك

---

(1) عويس، شهيد كربلاء، ص139، النفيس، على خطى الحسين، ص82 – 83.

(2) سورة القصص: الاية /21.

(3) الطبري، تاريخ، 182/6، ابن اعثم، الفتوح، 22/5، ابن اعثم، مقتل الحسين، ص32 – 33، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 376/4، الخوارزمي، مقتل الحسين، 273/1، شريفي، موسوعة كلمات الامام الحسين، ص299.

(4) ينظر: جعفر، صادق، المشروع الاستراتيجي للنبي وأوصيائه (عليهم السلام)، ط بيروت، 1424هـ/2004م، ص248.

(5) الهديبي، قراءات في بيانات الثورة، ص154.

(6) الجمل، سيرة الحسين، ص77 – 78.

(7) مسرح العين، ص25.

(8) حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 237/2، غنيم، الثورات العلوية، ص151، الحوفي، أدب السياسة، ص40، عبد العال، الحالة السياسية، ص54.

مسلك عبد الله بن الزبير في الذهاب إلى مكة من خلال اتباعه الطرق الفرعية ليفوت على السلطة الأموية فرصة اللحاق به[1].

وليس الذهاب إلى مكة هو إباء للارغام وخوف من القتل لا يتضمن الخروج الواجب على يزيد بسبب فسقه كما يقول كاتب مصري آخر مستدلاً على ذلك بأنه لو استهدف الخروج على يزيد لفسقه لاتجه مباشرة إلى الشمال الشرقي حيث توجد الكوفة، لذلك كان التجاءه إلى مكة احتماءً بالبيت الحرام من الذل والارغام[2].

ويدحض هذا الرأي كل النصوص الواردة عن الحسين (عليه السلام) لناصحيه بالبقاء في مكة وعدم الخروج منها إلى العراق إذ كان يذكر استهداف بني أمية لشخصه، وانهم يتعقبونه في كل مكان، وأينما يكون، وانه ميت على أي حال سواء بقي في مكة أم خرج منها، وان بني أمية قد صمموا على تصفيته ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة وانه كان حريصاً ألا تنتهك حرمة الحرم الشريف بسفك الدماء فيها[3] وهذا ليس كلام شخص خرج ليلوذ بالحرم الذي اقتنع بأن بني أمية لا يتورعون عن انتهاك قدسيته.

فلم يأتِ خروج الحسين (عليه السلام) رضوخاً لحالة من الخوف وإن كان يتأسى بقول الأنبياء(عليهم السلام) في التوجه إلى الله، والانقطاع إلى رحمته إذ قرأ لما دخل مكة لثلاث مضين من شعبان[4] قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾**[5].

وإنما أراد الحسين (عليه السلام) في مكة ان يلفت النظر إلى قيامه ودوافعه وأهدافه، وأن يستعرض المواقف العامة للناس، ويشدّ اهتمامهم[6]؛ فلاشك ان الحسين (عليه السلام) قد أصبح محطة للمعتمرين وأهل الأمصار الذين وفدوا لأداء مناسك الحج طيلة الأربعة اشهر التي أمضاها قبل مغادرة مكة ولم يُخفِ نيته بالخروج على يزيد وحكمه بدليل انه تلقى نصائح عدد من وجهاء الأمة المشفقين عليه من الخروج على يزيد مخافة قتله وفشل ثورته[7].

---

(1) الطبري، تاريخ، 176/6.

(2) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص427.

(3) ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص67، البلاذري، انساب الاشراف، 375/3، الطبري، تاريخ، 203/6، ابن كثير، البداية والنهاية، 183/8.

(4) البلاذري، انساب الاشراف، 371/3.

(5) سورة القصص: الآية /22.

(6) جعفر، المشروع الاستراتيجي، ص250.

(7) منهم: عبد الله بن عباس، عبد الله بن عمر، عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، وزرارة ابن صالح، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر.

ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 373/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص243، الطبري، استشهاد الحسين، ص74.

ومن ناحية أخرى مثّل خروج الحسين (عليه السلام) إلى مكة واباءه البيعة بارقة أمل لمن يرغبون في التخلص من بني أمية والسير خلف راية أهل البيت (عليهم السلام)[1] إذ كان العراق في هذا الوقت ملتهبا بعد أن علم أهله بهلاك معاوية وبيعة يزيد، وخروج الحسين (عليه السلام) إلى مكة رافضا البيعة فعقدت في الكوفة الاجتماعات المناهضة للسلطة الأموية فأجتمع الكوفيون في بيت سليمان بن صرد الخزاعي[2].

وقد أورد عدد من الكتّاب المصريين ذكر اجتماع أهل الكوفة هذا ضمن سياقه التاريخي وكما ورد في المصادر التاريخية المتقدمة[3] وحاول أحمد شلبي ان يعلل موقف الكوفيين هذا بحبهم للتمرد والخروج على السلطة بلا مسوغ فقال:

((لقد كان أهل الكوفة يستجيبون لكل نداء للثورة حتى ليجد الباحث ثورات متصلة دون ان يجد لها سببا معقولا، كأن الثورات أصبحت هدفاً لذاتها، واضطراب الأمن أصبح مقصوداً لذاته))[4].

وهو يتجاهل عمداً بهذا الحكم ما لحق بالكوفيين من اضطهاد وتنكيل نتيجة السياسة الأموية.

وقد شاركت البصرة الكوفة في عملية التحرك فالتئم اجتماع عدد من أهلها في بيت امرأة من عبد القيس يقال لها مارية بنت سعد[5]. وقد أشار لذلك بعض الكتّاب المصريين[6].

وقد أنتقدت في الاجتماع سياسة معاوية، ورفضت ولاية يزيد، واستقرت كلمة الحاضرين على دعوة الحسين (عليه السلام) للقدوم عليهم فكتبوا إليه[7] ((من أجل قيادة الثورة التي قطعت

---

(1) النفيس، على خطى الحسين، ص93.

(2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص15، الدينوري، الأخبار الطوال، ص229، الطبري، تاريخ، 182/6، ابن اعثم، الفتوح، 27/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 282/1. وسليمان بن صرد بن الجون الخزاعي، أحد الصحابة، كان خيرا فاضلا له دين وعبادة، سكن الكوفة، وكان له قدر وشرف في قومه، شهد مع الامام علي مشاهده كلها، وكان فيمن كتب للحسين بعد موت معاوية يسأله القدوم إلى الكوفة ثم ترك القتال معه، فندم وطلب بثاره وقاد التوابين سنة 65هـ/ وقاتلوا عبيد الله بن زياد في عين الوردة فقتل وحمل رأسه إلى مروان بن الحكم في الشام. ابن عبد البر، الاستيعاب، 63/2 – 64، ابن الاثير، اسد الغابة، 351/2.

(3) أبو النصر، الحسين بن علي، ص54، رضا، الحسن والحسين، ص65 – 66، لطفي، الشهيد الخالد، ص33، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص76، سرور، الحياة السياسية، ص134 – 135، ابراهيم، أيام العرب، ص400.

(4) موسوعة التاريخ الإسلامي، 195/2.

(5) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص17 – 18، الطبري، تاريخ، 183/6، ابن الأثير، الكامل، 386/3.

(6) رضا، الحسن والحسين، ص66، غنيم، الثورات العلوية، ص151، النفيس، على خطى الحسين، ص93.

(7) ينظر فيما كتبه أهل الكوفة والبصرة إلى الامام الحسين (عليه السلام): أبو مخنف، مقتل الحسين، ص15 – 17، الدينوري، الأخبار الطوال، ص229، الطبري، تاريخ، 182/6 – 183، ابن اعثم، الفتوح، 27/5 – 29، الخوارزمي، مقتل الحسين، 282/1 – 283، ابن الأثير، الكامل، 385/3.

شوطاً من النضج جاء في النتيجة محصلاً للمرحلة السرية وجهودها المكثفة كاطار وحيد للنضال السياسي في العهد السابق))[1].

وكان أول كتاب ورد للامام الحسين (عليه السلام) في مكة لعشر ليال خلون من شهر رمضان[2] وعلى الرغم من تواتر مكاتبات أهل العراق للامام الحسين (عليه السلام) في المصادر التاريخية المتقدمة فقد خالف كتّاب مصريون ذلك فزعموا بأن الامام الحسين هو الذي كاتب الشيعة في الكوفة يطالبهم بالبيعة له فكاتبوه بالقدوم عليهم[3].

لقد توالت الرسائل والكتب ووفود الكوفة والبصرة إلى الامام الحسين (عليه السلام) في مكة[4] ولم يغفل الكتّاب المصريين ذلك فأوردوا أسماء من راسل الحسين (عليه السلام) من الكوفة أو البصرة أو من قدم عليه إلى مكة يدعونه إلى القدوم إلى العراق كما ورد في المصادر المتقدمة[5].

وشك أحدهم[6] ان الكتاب الذي ارسله الحسين (عليه السلام) إلى البصرة قد زيدت فيه مزاعم وعبارات لا يمكن أن تصدر من الحسين (عليه السلام)، وشاطر بذلك ابن كثير – قبله – الذي عبّر عن تحفظه على رسالة الحسين (عليه السلام) لأهل البصرة بالقول: ((وعندي في صحة هذا عن الحسين نظر، والظاهر انه مطرز بكلام مزيد من بعض رواة الشيعة))[7].

ومما جاء في ذلك الكتاب:

---

(1) بيضون، من دولة عمر، ص185.

(2) البلاذري، انساب الاشراف، 3/370.

(3) حسن، زعماء الإسلام، ص200، مسعود، اقاليم الدولة الإسلامية، ص134، لطفي، الشهيد الخالد، ص33. وينظر: توهم أحدهم بأن الحسين (عليه السلام) لم يخرج إلى مكة وبقي في المدينة حتى ورود رسالة مسلم بن عقيل يدعوه بالتوجه إلى الكوفة. كريم، اعلام في التاريخ الإسلامي، ص82.

(4) كان ممن قدم على الامام الحسين (عليه السلام) من أهل الكوفة حاملا كتب أهلها إليه: قيس بن مسهر الصيراوي، وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي، وعمارة بن عبيد السلولي وعبد الله بن سبع الهمداني، وعبد الله بن وائل السلمي، وهانئ السبيعي، وسعيد بن عبد الله الحنفي، ومن البصرة: يزيد بن نبيط وولديه عبد الله وعبيد الله.

ينظر بتفاوت في ذكر الأسماء: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص16 – 18، البلاذري، انساب الاشراف، 3/370، الدينوري، الأخبار الطوال، ص229، الطبري، استشهاد الحسين، ص44 – 45، الطبري، تاريخ، 6/183، ابن اعثم، الفتوح، 5/28 – 29، الخوارزمي، مقتل الحسين، 1/282 – 283، ابن الأثير، الكامل، 3/385 – 386، النويري، نهاية الارب، 20/386.

(5) عويس، شهيد كربلاء، ص142 – 143، محمد، أهل البيت في مصر، ص62، أبو النصر، الحسين بن علي، ص54 – 56.

(6) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص418.

(7) البداية والنهاية، 8/158.

((أما بعد، فإن الله اصطفى محمدا صلّى الله عليه وسلم على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده، وبلغ ما أُرسل به صلّى الله عليه وسلم، وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحقّ بذلك الحقّ المستحق علينا ممن تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا، وتحروا الحق، فرحمهم الله، وغفر لنا ولهم. وقد بعثت رسولي بهذا الكتاب، وأنا ادعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلّى الله عليه وسلم، فإن السنة قد اميتت، وان البدعة قد أحييت، وان تسمعوا قولي وتطيعوا أمري اهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله))[1].

ولو نظرنا في نص الكتاب سنجد إشارة إلى ذلك الخلاف الذي حصل حول الخلافة بعد وفاة الرسول الكريم (ﷺ) بين بني هاشم وسواهم، وتواترت كتب التاريخ على اختلاف مذاهب أصحابها على نقله، وفي الكتاب قول بحق أهل البيت بخلافة النبي (ﷺ) ووصايته ووراثته، وهذا ما لم يتخلّ عن التصريح به الامام علي (عليه السلام) قبل خلافته وبعدها، وصرح به الحسن (عليه السلام) بعده، وذكر الحسين (عليه السلام) ترك بني هاشم للخلاف حباً للجماعة والائتلاف في زمن الخلفاء الراشدين لأنهم أحسنوا وأصلحوا وهذا يشهد عليه الواقع التاريخي أيضا، أما دعوته أهل البصرة لاحياء السُنة واماتة البدعة، فهذا شعار الإصلاح الذي كرره الحسين (عليه السلام) كثيرا، فلا ندري ما الذي زاده الشيعة في نسخة الكتاب ؟ ويحتج الكاتب باجتهاد ابن كثير وقد عرف ميله لبني أمية، ولا نعرف لماذا يعتمد الكتّاب المصريون نسبة كل ما لا يوافق هواهم إلى الكذب من دون دليل علمي.

ولعل المتمعن في الحوادث التاريخية سيجد ان الإرادة الشعبية قد أبدت مطالبتها – ولو ظاهرياً – للامام الحسين (عليه السلام) للقيام بالثورة على الحكومة القائمة، وقد ظهر ذلك جلياً من اجماع أهل الحجاز على تفضيل الحسين (عليه السلام) وخاصة بعد اعلانه عدم البيعة وقدومه إلى مكة[2]، ومن اجتماع أهل العراق – كوفة وبصرة – على مكاتبته ودعوته للقدوم، وقد حدد الامام الحسين (عليه السلام) نظرته للحكم ورؤيته للسلطة، ومفهومه لارادة الناس، وبيعة الجمهور من خلال رسالته التي بعثها إلى أهل الكوفة جواباً على كتبهم: ((قد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلكم انه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله ان يجمعنا بك على الهدى والحق... فلعمري ما الامام إلاّ العامل بالكتاب والأخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله))[3]. وهو يوضح ان الحسين (عليه السلام) يستجيب لإرادة عامة (مقالة جُلكم) ويفضح بطلان بيعة الحاكم يزيد وعدم أهليته لولاية المسلمين ببيان بعض الشروط الموضوعية للامام

---

(1) الطبري، تاريخ، 185/6 – 186، ابن كثير، البداية والنهاية، 158/8.

(2) الطبري، تاريخ، 182/6.

(3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص17، الطبري، تاريخ، 183/6، ابن اعثم، الفتوح، 30/5 – 31، ابن اعثم، مقتل الحسين، ص42، الخوارزمي، مقتل الحسين، 284/1، ابن الأثير، الكامل، 385/3 – 386.

على الناس. وهو ما أكده الحسين (عليه السلام) في المدينة عندما طلب منه مروان بن الحكم مبايعة يزيد فقال له: ((إنا لله وإنا إليه راجعون؛ وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة بـراع مثـل يزيد.. يا مروان ! أترشدني لبيعة يزيد، ويزيد رجل فاسق))[1].

ولذلك يعتقد الباحث بأن دوافع الثورة كانت قائمة، وان الحسين (عليه السلام) كان سـيقوم بهـا حتى إذا لم تأته رسائل الكوفيين التي قد تكون عجلت بقيام الثورة لأنها تعبيـر عـن إلقـاء المسؤولية الشرعية على عاتق الحسين (عليه السلام) في الخروج على الحاكم الظالم[2]. فضلاً عـن ان السلطة الأموية لم تكن لتترك الحسين (عليه السلام) دون انتزاع البيعة منه أو قتله، وقد صـرح الامام بهذه الحقيقة في كلامه مع الذين حاولوا ان يثنوه عن مسيره أو الخروج من مكة فقـال: ((والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فإذا فعلـوا سـلط الله علـيهم مـن يذلهم..))[3] وفي نص آخر: ((وايم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاسـتخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم))[4]. لاسيما وان اتخاذ الحسين (عليه السلام) لمكة بما تمثلـه مـن موقـع إسلامي، وطابع قرشي مقراً لهذه الحركة، من أكبر التحديات التي واجهت يزيد فـي ذلـك الوقت فقد كان – احتمال – خروجها من الإطار الأموي ضربة شديدة لعهده، المحاط بالنقـد والارتياب بكفاءة الخليفة[5].

وإذا كانت الثورة قد أصبحت القرار النهائي للامام الحسين (عليه السلام) فقد حرص على تهيئة الموقف السياسي في العراق قبل الوصول إليه، إذ انه أمام إلحاح أهل العراق وتوالي كتـبهم ورسلهم إليه في مكة كتب إليهم يقول: ((... وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته ان يكتب اليّ بحالكم وامركم ورأيكم، فإن كتب اليّ بأنه قد أجمع رأي ملـئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم وقرأت في كتبكم، اقدم عليكم وشيكاً إنشاء الله))[6].

ويتبين من هذا الكتاب ان الحسين (عليه السلام) قد أرسل من يتعرف على ما أجمع أهل الكوفة عليه، وأكد لهم انه سوف يلبي مطالبهم بالقدوم إليهم إذا كتب إليه رسوله بما يشاهده مـنهم،

---

(1) ينظر بتفاوت في الألفاظ: ابن اعثم، الفتوح، 17/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 268/1، ابن طاووس، اللهـوف، ص17.

(2) لقد أكد الحسين (عليه السلام) في خطبته في موسم الحج أيام معاوية على مسؤولية علماء الأمة في التصدي للظلـم. ينظـر: ص من الاطروحة. ويندرج ذلك في موقف الاحساس بالمسؤولية الذي أكده الامام علي من قبل عندما عدّ هـذا الأمر اجبارياً وليس اختيارياً أبا بيعته فقال: ((... أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقاروا على كظةِ ظالم، ولا سغب مظلوم، لا لقيت حبلها على غاربها.. ولا لفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز)). ابن أبي طالب، نهج البلاغة، ص39.

(3) ابن الأثير، الكامل، 401/3.

(4) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص67، الطبري، تاريخ، 203/6، ابن اعثم، الفتوح، 67/5، ابن اعثم، مقتل الحـسين، ص83، الخوارزمي، مقتل الحسين، ص312، ابن الأثير، الكامل، 400/3.

(5) بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، ص252.

(6) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص17، الدينوري، الأخبار الطوال، ص230، الطبري، استـشهاد الحـسين، ص45، الطبري، تاريخ، 183/6، ابن الأثير، الكامل، 386/3.

وهذا غاية ما يستطيعه للاحتراز قبل الاقبال إلى العراق[1] فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة[2] وارسل مولاه سليمان إلى البصرة[3].

وفي الوقت الذي سجل فيه المصريون[4] اخبار مسلم بن عقيل وضمنوها كتبهم وفق ما وردت ضمن سياق الروايات التاريخية في المصادر المتقدمة، نجد أنهم قد اغفلوا ذكر ارسال الامام مولاه إلى البصرة، إذ لم يجد الباحث فيما اطلع عليه سوى مصادر قليلة جداً ذكرت ذلك[5].

نزل مسلم بن عقيل في الكوفة دار المختار بن أبي عبيد[6] وقد يكون ذلك النزول محسوباً لأن المختار كان زوج ابنة النعمان بن بشير الانصاري والي الكوفة أنذاك، وهو ما قد يحول دون مداهمة دار المختار أو انتزاع مسلم منها حين ينكشف وجوده فيها، أو على الأقل يخفف من حدة الاجراء الذي قد يتخذ بحق المختار في حال انكشف ايواءه لمسلم، وفي ادنى الاحتمالات أن يكون توقع وجود مسلم في دار صهر الوالي بعيداً إذا ما تكتم مسلم عن مكان اقامته.

وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فبايعه منهم اثنا عشر الفا[7] وفي رواية ثمانية عشر الفا[8]. وقد تطور أمر مسلم في الكوفة فبدأ يقبض أموال من يريد الاعانة ويشتري لهم السلاح[9] في خطوة جدية لإعداد الكوفة اعداداً عسكرياً لحين وصول الحسين (عليه السلام) إليها. لاسيما وان

---

(1) لاسيما وان الكوفيين كتبوا اليه: ((ولو قد بلغنا انك قد أقبلت الينا، اخرجناه [أي الوالي] حتى نلحقه بالشام)). الطبري، تاريخ، 183/6.

(2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص19، ابن خياط، تاريخ، ص143، ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 182/2، البلاذري، انساب الاشراف، 370/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص230، اليعقوبي، تاريخ، 169/2، الطبري، تاريخ، 184/6، ابن اعثم، الفتوح، 31/5، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 377/4، ابن الأثير، الكامل، 386/3.

(3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص24، الدينوري، الأخبار الطوال، ص231، الطبري، استشهاد الحسين، ص48، الطبري، تاريخ، 186/6، ابن طاووس، اللهوف، ص25.

(4) ينظر: الخضري، محاضرات تاريخ الأمم – الدولة الأموية، 125/2، الجبري، حوار مع الشيعة، ص247، العقاد، أبو الشهداء، ص173، الحوفي، أدب السياسة، ص40، عيسى، دم الحسين، ص28، سرور، الحياة السياسية، ص135، عبد العال، الحالة السياسية، ص55، عويس، شهيد كربلاء، ص143 – 144، محمد، أهل البيت في مصر، ص64، النجار، الدولة الأموية، ص82، أبو علم، الحسين بن علي، ص105 – 106، حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 237/2، قرون، عظمة الامام الحسين، ص54، أبو السعود، الشيعة، ص70.

(5) قرون، عظمة الامام الحسين، ص55، غنيم، الثورات العلوية، ص154، خالد، ابناء الرسول، ص93، أبو النصر، الحسين بن علي، ص58.

(6) بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، كان أبوه من جلة الصحابة، ولد المختار عام الهجرة، وكان قد خرج يطلب بثار الحسين واجتمع عليه كثير من الشيعة فغلب على الكوفة، وطلب قتلة الحسين فقتلهم، ثم سار إليه مصعب بن الزبير من البصرة فقتل المختار بالكوفة سنة 67هـ/676م.

ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص226 – 227، ابن الاثير، اسد الغابة، 336/4.

(7) الطبري، تاريخ، 180/6.

(8) الشيخ المفيد، الارشاد، ص298، ابن طاووس، اللهوف، ص24.

(9) ينظر: الطبري، تاريخ، 190/6، الشيخ المفيد، الارشاد، ص302، ابن طاووس، اللهوف، ص30.

النعمان بن بشير لم يضيّق على نشاط الكوفيين أو نشاط مسلم بن عقيل بملاحقة أو طلب، وظلوا بمأمن رغم تهديداته[1]، وقد كانت هذه الفترة مناسبة لاستكمال استعداد الكوفيين ريثما يحضر الحسين (عليه السلام) خاصة ان دور مسلم هو استكشاف موقف الكوفيين لا أكثر، وقد اتخذ حتى ذلك الوقت تدابير الاستيثاق من موقفهم عبر البيعة والتسليح والاعداد، مما يرجح معه الظن بأن كتاب مسلم إلى الحسين بالقدوم إلى الكوفة[2] كان ضمن هذه الفترة من ولاية النعمان.

اعترض على النعمان وسياسته تجاه المعارضين بقيادة مسلم عدد من شيعة وحلفاء بني أمية ووصفوا رأيه برأي المستضعفين وطالبوه صراحة باتباع سياسة ظالمة فلما لم ينفع ذلك كتبوا إلى يزيد متهمينه بالضعف أو التضعّف، وخوفوا يزيداً من ضياع الكوفة ببقاء النعمان والياً عليها[3].

وقد ذكر كاتبان مصريان[4] ان النعمان بن بشير هو الذي اخبر يزيد بخبر مسلم خلافاً لما جاء في المصادر التاريخية المتقدمة. فيما أجمع اغلب الكتّاب المصريين[5] بأن النعمان كان حليماً ناسكاً لا يحب اراقة الدماء، ويحب العافية وهو ما دفع بعيون السلطة إلى الكتابة إلى يزيد ونعتوه بالضعف، وهم بذلك يعتمدون على الحوارات التي دارت بين النعمان وشيعة بني أمية إذ كثيراً ما قال النعمان فيها بأن يكون ((من المستضعفين في طاعة الله أحب اليّ من ان أكون من الاعزين في معصية الله))[6].

وذهب كاتب أخر إلى ان النعمان تعاطف مع مسلم بن عقيل وذلك لنزوله في دار زوج ابنته وهو ما اثار حفيظة عيون السلطة الأموية[7]. وحمله كاتب مصري أخر نصيباً مما حدث من ثورة ضد الدولة الأموية ((فلو انه اظهر الحزم، ومنع مسلماً من الاتصال بأهل الكوفة كما يحتم عليه واجبه كوالٍ مسؤول عن الأمن في الكوفة لربما تغير الموقف كله، ولكان مسلم لم يبادر لطلب قدوم الحسين ولم تكن مأساة كربلاء أصلاً))[8].

---

(1) ينظر: الطبري، تاريخ، 185/6، الشيخ المفيد، الارشاد، ص299.

(2) ينظر: نسخة كتاب مسلم إلى الحسين: الطبري، تاريخ، 209/6.

(3) ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص22، الدينوري، الأخبار الطوال، ص231، الطبري، تاريخ، 185/6، ابن اعثم، الفتوح، 35/5 – 36، ابن الأثير، الكامل، 387/3، النويري، نهاية الارب، 388/20.

(4) أبو علم، الحسين بن علي، ص106، محمد، أهل البيت في مصر، ص64.

(5) ينظر: شاه، العقائد الشيعية، ص72، أبو السعود، الشيعة، ص70، قرون، عظمة الامام الحسين، ص55، محمد، حضارة الدولة العربية، ص160، عبد العال، الحالة السياسية، ص55، شاهين، الدولة الأموية، ص309، الجبري، حوار مع الشيعة، ص247، خالد، ابناء الرسول، ص92.

(6) الطبري، تاريخ، 185/6، الشيخ المفيد، الارشاد، ص299.

(7) غنيم، الثورات العلوية، ص153.

(8) عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص473.

وبغض النظر عن هذا اللون من التبرير المنحرف الذي بات يصب اللوم على الثائر والوالي لتبرأة يزيد من مأساة كربلاء فإن الباحث يرى في موقف النعمان بعداً أخر لا يتصل بما حاول ان يوحي به مبغضوه من شيعة بني أمية ليزيد وهو: التضعّف، كناية عن الدور المشبوه الذي له ربما علاقة بانتماء النعمان الحجازي الانصاري – الذي كان يثير حفيظته إغراء يزيد لبعض الشعراء بهجاء الأنصار[1] – لاسيما وهو يصرح لاتباع بني أمية ممن طلبوا منه اتباع الحزم مع مسلم: ((يا أهل الكوفة، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلينا من ابنة بحدل))[2].

فإذا كان لانتمائه الانصاري بعض الأثر فلا يصح أن يكون مواليا لابن بنت رسول الله وهو الذي كان يجاهر ببغض الامام علي (عليه السلام) ويسيء القول فيه، وهو الذي أخذ أصابع نائلة زوجة عثمان، وقميص الخليفة عثمان الذي قتل فيه إلى معاوية فاستخدمهما لإثارة أهل الشام ضد الامام علي (عليه السلام)[3]، وحارب الامام علي في معركة صفين وكان من أمراء معاوية فيها، ولم يكن مع معاوية في صفين من الانصار إلاّ هو ومسلمة بن مخلد الأنصاري[4].

فضلاً عن ان النعمان ظل رجل الدولة المخلص في الكوفة[5] كما نستشف ذلك من خطابه في أهلها ابان نشاط مسلم فيها إذ قال: ((... اتقوا الله عباد الله ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإن فيهما يهلك الرجال، وتسفك الدماء، وتغصب الأموال.. اني لم اقاتل من لم يقاتلني، ولا اثب على من لا يثب عليّ، ولا اشاتمكم، ولا اتحرش بكم، ولا آخذ بالقرف[6] ولا الظنّة ولا التهمة، ولكنكم إن أبديتم صفحتكم لي، ونكثتم بيعتكم وخالفتم امامكم، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمة في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر..))[7].

وهذا يعني انه كان مستعدّ لاستعمال السلاح ضدهم إذا ما خرجوا عن بيعتهم ليزيد، أو تجاوزوا على السلطة، غاية الأمر ان النعمان اتبع مع أهل الكوفة قاعدة إسلامية في التعامل مع المعارضة وهي منح الحرية لهم طالما لم يصطدموا مع الدولة بشكل مباشر وهو اسلوب سبقه إليه الامام علي مع الخوارج[8]، والمغيرة بن شعبة – نسبياً – مع شيعة أهل الكوفة ابان ولايته

(1) ينظر: ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص228.

(2) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 182/2، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 377/4.

(3) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح النهج، 77/4، الذهبي، سير اعلام النبلاء، 412/3.

(4) المنقري، وقعة صفين، ص445 و ص448.

(5) أو في المدينة بدليل ارسال يزيد له إلى أهل المدينة المنورة ليرد قومه من الانصار عن مناصرة ابن الزبير، فقدم المدينة، وحذر قومه الفتنة، وبطش أهل الشام ودعا الناس إلى الطاعة وعاد إلى الشام، ولو لم يكن ثقة لدى يزيد لما وجهه في هذه المهمة. الطبري، تاريخ، 263/6.

(6) القرف: الذنب، والتهمة. ابن منظور، لسان العرب، مادة قرف.

(7) الطبري، تاريخ، 185/6، الشيخ المفيد، الارشاد، ص299.

(8) ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 133/3.

وقد وصفه طه حسين: ((بأنه سار فيهم بسيرة رجل من اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله)، سار سيرة علي (عليه السلام) في الخوارج، وجعل يرفق بهم، وينصح لهم، ويحبب إليهم العافية)). الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 238/2.

عليهم فلا نستطيع ان نفصل هذا الموقف عن التعامل الإسلامي السلمي مع المعارضة، وان ظل هذا التعامل يعاني قصوراً في التطبيق في غالب الأحيان من كثير من الشخصيات.

أرعب تسارع الأحداث في الكوفة السلطة الحاكمة فبادر يزيد إلى اتخاذ تدابير حازمة لإعادة الوضع في الكوفة إلى سابق عهده، فاستشار بشأنها مولاه سرجون فأشار بتوجيه عبيد الله بن زياد من البصرة إليها[1] فكتب إليه بجمع البصرة والكوفة[2] وقال في كتابه:

((أما بعد: فإنه كتب اليّ شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني ان ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي حتى تأتي أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام))[3]، وجاءت الرسالة بشكل أكثر صرامة في مصادر أخرى: ((فإذا ظفرت به فاقتله ونفذ اليّ رأسه، واعلم انه لا عذر لك عندي دون ما أمرتك))[4].

وقد اغفل اغلب الكتّاب المصريين إيراد أمر يزيد بقتل مسلم بن عقيل، فلم يذكر ذلك سوى عدد يسير منهم[5].

وقبل ان يغادر ابن زياد البصرة وصل إليه خبر كتاب الامام الحسين (عليه السلام) إلى شيعته فيها، فتم قتل سليمان مولى الامام ورسوله إلى أهل البصرة وصلبه، وكان المنذر بن الجارود أحد اشراف البصرة الذين اختارهم الامام الحسين (عليه السلام) ليراسلهم قد انهى خبر الكتاب إلى ابن زياد وعلل المنذر خيانته تلك بالخوف من ان يكون الرسول دسيساً من ابن زياد مما يعرضه لعقوبة القتل[6]. ويبدو ان الحقيقة كانت غير ذلك إذ كان عبيد الله زوجا لابنة

---

(1) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص22 – 23، الطبري، تاريخ، 185/6، ابن اعثم، الفتوح، 36/5، ابن الأثير، الكامل، 387/3، النويري، نهاية الارب، 388/20.

وفي رواية أخرى انه استشار أهل الشام فأشاروا عليه بتلك التولية: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 182/2، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 377/4.

(2) ابن خياط، تاريخ، ص143.

(3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص23، الدينوري، الأخبار الطوال، ص231، الطبري، تاريخ، 185/6.

(4) ابن اعثم، الفتوح، 36/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 288/1.

(5) الجبري، حوار مع الشيعة، ص247، الشريف، دور الحجاز، ص420، غنيم، الثورات العلوية، ص154 الذي صوب عمل يزيد ورأيه.

(6) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص26، الطبري، تاريخ، 186/6، ابن اعثم، الفتوح، 37/5، ابن الأثير، الكامل، 388/3، ابن طاووس، اللهوف، ص28.

وقد عدّ السيد الصدر رد الفعل هذا من الجارود برودا مطلقا يمثل اخلاقية الهزيمة التي ابتليت بها الأمة فتسليمه لرسول الحسين (عليه السلام) لم يكن حبا بعبيد الله بن زياد، ولا ايمانا بخطه بل حفاظا على نفسه، وابتعادا عن أقل مواطن الخطر.. ولكي يوفر له كل عوامل السلامة، وكل ضمانات البقاء الذليل. الصدر، محمد باقر، الحسين يكتب قصته الأخيرة، تحقيق وتعليق ومراجعة: صادق جعفر الروازق، ط قم، 1427هـ/2006م، ص62 – 63.

المنذر[1] ولا شك انه كان يتمنى لزوج ابنته النجاح في مهمته فوشى برسول الحسين (عليه السلام) ليقوم ابن زياد بقتله وصلبه قبل يوم من تركه البصرة، وليكون أول شهداء الثورة الحسينية[2].

وقد حذر ابن زياد أهل البصرة – قبل ان يغادرها إلى الكوفة – من الخلاف، وهددهم بالقتل والصلب وانه سيأخذ الأدنى بالأقصى، وترك أخاه نائباً عنه على البصرة وتوجه إلى الكوفة[3]. وانتخب ابن زياد خمسمائة من أهل البصرة ليسيروا معه فأخذوا يتساقطون في الطريق رجاء أن يتأخر في معالجتهم فيسبقه الامام الحسين (عليه السلام) فيدخل الكوفة قبل ابن زياد، فجعل لا يلتفت إلى من يسقط منهم لتعجله في الوصول إلى الكوفة[4]. وتبين هذه الرواية مقدار الشلل النفسي الذي وصل إليه مثل هؤلاء، فهم راغبون بالتغيير، ساخطون على وضعهم ولكنهم لا يريدون أن يكون التغيير بايديهم، وإنما بجهد غيرهم، وإلاّ فلِمَ هذا الاسلوب الملتوي في الاحتيال لتأخير عبيد الله، فقد كانوا وهم زعماء البصرة قادرين على تأخيره أياماً في البصرة بإثارة شغب خفيف فيها، بل كانوا على مقدرة على قتله في الطريق ان أرادوا وهم الأغلبية إلا ان الشلل النفسي الذي أصاب الأمة الإسلامية كان المعطل لقدرتها في الثورة على الواقع الفاسد[5].

قدم ابن زياد الكوفة ليلاً، وقد غطى وجهه، فأخذ لا يمرّ على جماعة إلا سلموا عليه على انه الحسين (عليه السلام)، وقد ساءه ذلك كثيراً[6] وقد نقل بعض من الكتّاب المصريين هذه الرواية ضمن سياقها التاريخي[7].

واتخذ ابن زياد إجراءات قاسية وصارمة عند قدومه الكوفة إذ أخذ العرفاء اخذاً شديدا ووجه إليهم امره بأن: ((اكتبوا لي الغرباء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبرئ، ومن لم يكتب لنا

---

(1) الدينوري، الأخبار الطوال، ص231، ابن اعثم، الفتوح، 37/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 288/1.

(2) الطبسي، نجم الدين، الامام الحسين في مكة المكرمة، ط قم، 1421هـ/2000م، 38/2، ومما يشار إليه ان يزيدا كان ساخطا على عبيد الله بن زياد، وكان قد همّ بعزله عن البصرة. الطبري، تاريخ، 180/6.

(3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص26، الدينوري، الأخبار الطوال، ص232، الطبري، تاريخ، 186/6، ابن اعثم، الفتوح، 38/5، ابن طاووس، اللهوف، ص28.

(4) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص28، الطبري، تاريخ، 187/6، ابن الأثير، الكامل، 388/3.

(5) شمس الدين، محمد مهدي، انصار الحسين، دراسة عن شهداء ثورة الحسين الرجال والدلالات، ط طهران، 1407هـ/1986م، ص203.

(6) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص26 – 27، الدينوري، الأخبار الطوال، ص232، الطبري، تاريخ، 187/6، ابن اعثم، الفتوح، 39/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 289/1، ابن الأثير، الكامل، 388/3.

(7) النجار، الدولة الأموية في المشرق، ص83، أبو السعود، الشيعة، ص71، محمد، أهل البيت في مصر، ص64، عبد العال، الحالة السياسية، ص55 – 56، كريم، اعلام في التاريخ، ص87، قرون، عظمة الامام الحسين، ص56.

احداً، فليضمن لنا ما في عرافته ان لا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغ علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وايما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صُلب على باب داره والغيت تلك العرافة من العطاء، وسُير...))[1].

فلم يكتفِ ابن زياد بجواسيسه، وإنما جعل من كل عريف على قومه جاسوساً يوافيه بأخبار كل داخلٍ ووافد، وإلا يستحل دمه وماله وهذه إجراءات تخلق أجواءً من الرعب والرهبة والتحسب من الكوفيين.

وفي نفس السياق فإنه عمل على القاء القبض على عدد من الذين كان يعرف ولائهم لأهل البيت (عليهم السلام) ومن بينهم المختار بن أبي عبيد وعبد الله بن الحارث[2].

وفي ظل استهداف عبيد الله لمسلم بن عقيل كان لابد من تغيير مكان إقامته، فلم يعد صالحاً بقائه في مكان معروف، فلجأ إلى دار أخرى هي دار هانئ بن عروة المذحجي[3].

وعلى الرغم من كل التهديدات التي وجهها ابن زياد إلى العرفاء والشرطة والناس فإنه لم يتعرف على مكان مسلم إلا عن طريق أحد جواسيسه، مما أدى إلى استقدام هانئ إلى ابن زياد ومواجهته بذلك الجاسوس الذي كان يدخل دار هانئ ويلتقي بمسلم على انه من الموالين، ثم أهين هانئ وضرب وحبس[4].

وعندما علم مسلم بما صار من أمر هانئ خرج وعبأ اربعة آلاف من قواته، سار بهم إلى قصر الامارة حيث ابن زياد[5]، ويتبادر إلى الذهن سؤال له اهميته وهو: لماذا لم يباغت مسلم زياداً في قصر الامارة لاحتلاله وطرد زياد منه قبل القبض على هانئ لاسيما وان المصادر ذكرت ان مبايعيه من أهل الكوفة كانوا بعدد لا يُستهان به، ولماذا تحول مسلم إلى هذا الموقف من الهجوم متأخراً ؟

ولما لم يرد في المصادر التاريخية أي تفسير لهذا الموقف، فليس أمام الباحث إلا ان يستنتج ذلك من ملابسات الحوادث. إذ يمكن القول ان مسلماً قد حاول أن يتجنب ادخال المجتمع الكوفي في نزاع داخلي بين اطراف موالية وأخرى معادية في الكوفة[6] قبل وصول

---

(1) الطبري، تاريخ، 187/6، ابن الأثير، الكامل، 389/3.

(2) الطبري، تاريخ، 201/6.

(3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص31، الدينوري، الأخبار الطوال، ص233، اليعقوبي، تاريخ، 169/2، الطبري، تاريخ، 189/6، ابن اعثم، الفتوح، 40/5، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 378/4، الخوارزمي، مقتل الحسين، 290/1، ابن الأثير، الكامل، 389/3.

(4) ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص31 – 38، الدينوري، الأخبار الطوال، ص235 – 238، الطبري، تاريخ، 189/6 – 192، ابن اعثم، الفتوح، 41/5 – 48، الخوارزمي، مقتل الحسين، 290/1 – 296.

(5) ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص41 – 42، الدينوري، الأخبار الطوال، ص238، الطبري، تاريخ، 193/6، ابن اعثم، الفتوح، 49/5، ابن طاووس، اللهوف، ص33.

(6) أشارت المصادر إلى وجود عناصر معادية للحسين (عليه السلام) وموالية للأمويين في الكوفة. ينظر: الطبري، تاريخ، 187/6، الشيخ المفيد، الارشاد، ص299، ابن طاووس، اللهوف، ص24.

الحسين، وربما يكون قد فكر في مناورة ابن زياد كما سبق مع النعمان حتى يتحقق من مقدم الحسين (عليه السلام) لاسيما وانه غير مأمور من الامام بأكثر من الاستطلاع، وقد يكون في حساب مسلم الفترة الزمنية التي يقتضيها وصول كتابه إلى الحسين (عليه السلام) مخبراً إياه باستعداد الكوفة لمقدمه، فاخراج والي يزيد من الكوفة والاستيلاء عليها قبل خروج الحسين (عليه السلام) من مكة سيعرض الحسين (عليه السلام) لخطر محقق وليس محتمل، إذ سيقود ذلك إلى إرسال السلطة لقوة عسكرية شامية لتسيطر على الكوفة ثانية، وتذيق أهلها ألواناً من التنكيل والأذى وقد نستطيع التدليل على هذا الاحتمال بأن مسلما تحول إلى موقف الهجوم على قصر عبيد الله بعد انقضاء مدة كافية لوصول رسالته إلى الامام، فلا ريب ان عيون يزيد ستحتاج إلى فترة أخرى لاخباره بتطورات الموقف في الكوفة وهي كفيلة بأن يصل ركب الحسين (عليه السلام) ويعزز وجوده قبل أي مواجهة عسكرية مع السلطة.

وقد تكون إجراءات عبيد الله في الكوفة التي هددت وجوده، وسرت شديدةً تنذر بتضييق الحركة والعمل قد دفعته إلى موقف الهجوم الذي حاول ان يتجنبه و ((لعل مسلم أراد ان يمتحن صدق أهل الكوفة في النزال والدفاع عن شعاراتهم وأفكارهم التغييرية قبل قدوم الامام (عليه السلام) إليهم بحيث يتمكن من الوثوق بعهودهم في حال استقاموا معه وصدقوا، أو تحذير الامام الحسين (عليه السلام) في حال نكصوا ونكثوا فكانت حادثة حبس هانئ وتعذيبه أفضل فرصة لاختبار موقف الكوفيين وكشف حالتهم الحقيقية ولم تحدث فرصة لاختبار ذلك في وجود مسلم قبل اعتقال هانئ))[1]. ولم يكن يعلم ان ذلك التأييد ينقلب إلى الضد مع أول اختبار حقيقي[2].

ولعل دليل ذلك محاولة مسلم بن عقيل في ساعته الأخيرة ثني الحسين (عليه السلام) عن التوجه إلى العراق حين أوصى محمد بن الأشعث ان يعمل لاخبار الحسين (عليه السلام) بتخاذل الكوفيين ونكوصهم، ثم كرر هذا الطلب مع عمر بن سعد لما تأكد من حلول أجله على يد عبيد الله ابن زياد[3].

لقد استغل ابن زياد اشراف الكوفة الذين تسللوا إلى قصره بينما كان مسلم يحاصره، فدعاهم ليسيروا بالكوفة ويخذّلوا الناس عن ابن عقيل، ويخوّفونهم الحرب، ويحذرونهم عقوبة السلطان، ويهددونهم بقدوم جيش من الشام، فبادر الاشراف إلى تنفيذ الأمر وقبضوا على عدد من ابناء عشائرهم ممن خرج لامداد مسلم فأتوا بهم ابن زياد، وخطبوا في الناس مثبطين لهم، ومرهبين بجنود يزيد القادمة إليهم، ومنذرين كل من لا ينصرف في تلك العشية بأن تحرم ذريتهم العطاء، وتفرق مقاتلتهم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وان يؤخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب حتى لا يبقى فيهم بقية، فلما سمع الناس ذلك بدأوا بالتفرق

---

(1) جعفر، المشروع الستراتيجي، ص260.

(2) محمد، حضارة الدولة العربية، ص160، حسن، تاريخ الإسلام، 398/1.

(3) ينظر: الطبري، تاريخ، 196/6 – 198، الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص107 – 108، الشيخ المفيد، الارشاد، ص312، ص314.

عن مسلم، وسرت فيهم روح التخاذل والهزيمة والاتكالية حتى ان المرأة كانت تأتي ابنها أو اخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك؛ ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشر ! انصرف؛ فما زال الناس يتفرقون حتى بقي مسلم وحيداً على باب امرأة تدعى طوعة أوته حتى قبض عليه ابن زياد[1].

ويفسر خليف هذه المفارقة في سلوك الكوفيين على انها ليست غدر ونفاق وتقلب وهوائية، وإنما هي فقدان روح التضحية والفدائية خاصة حين تكون الفرصة ضيقة ميؤساً منها فهم ((يسخطون ويتمنون، ويبالغون في الأماني، ثم يصدمون بالواقع، وهكذا تدور بهم الحياة، ولكن هذا كله لم يكن عن غدر أو تقلب أو هوائية، وإنما كان بسبب الظروف السياسية التي كانوا يمرون بها، وهي ظروف كانت تجعل واقع الحياة أمامهم واقعاً مرّاً تجري الرياح فيه دائماً بما لا تشتهي السفن))[2].

وإذا كان الوالي الأموي قد زرع الخوف في مجتمع لاقى من قهر السلطة وبطشها ما جعله يتردد في البقاء على صموده، وان ظل على ولائه القلبي لحركة الحسين (عليه السلام) وثورته، فما بال الاشراف في الكوفة ؟ تذكر المصادر المتقدمة على لسان أحد الكوفيين ان ((اشراف الناس قد أُعظمت رشوتهم، وملئت غرائرهم))[3]. ويُفسر باحث مصري اسراعهم إلى السلطان بأن اشراف الناس هؤلاء ((الذين يملكون الثروة لم يعد يهمهم في شيء أن يخرج حفيد النبي، بل لعل خروجه يهمهم من زاوية أخرى وهو ان هذا الحفيد يريد أن يغيّر مراكز القوى وان يعيد توزيع الثروة وان يمضي في نفس الطريق الذي مضى فيه أبوه فهو من هذه الناحية عدو طبقي... فمن أراد ان يدافع عن ثروته وعن مركزه الاجتماعي فليشترك في دم الحسين))[4].

وقد علل كاتب مصري اخر أسباب اخفاق مسلم في الكوفة، فلم يردها إلى سوء تنظيمه لقواته، إنما على تفكك الكوفيين الذي دفعت إليه عوامل عدة، إذ لم يصل ولاء الشيعة حتى تلك اللحظة إلى الدرجة التي تجعلهم يقدمون على التضحية، ومن ناحية أخرى فقد وجد الشيعة انهم حتى وان حققوا نصراً عسكرياً آنياً، فإن النصر لن يدوم لأن جنود يزيد لا يلبثوا ان ينتزعوا منهم هذا النصر، إضافة إلى قطع العطاء عنهم، وكل هذه العوامل تجعلهم في موقع الأدنى في الدولة بسبب الخروج على الحاكم، وقد ساعد الكوفيين على نقض نصرتهم لآل علي ان الاشراف الذين كاتبوا الحسين يحرضونه على القدوم، كانوا أول من نقض العهود وحرضوا الناس على تفريق صفوف الشيعة في جيش مسلم واخماد حماستهم[5].

---

(1) ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص44 – 45، الدينوري، الأخبار الطوال، ص239، الطبري، تاريخ، 193/6 – 195، ابن اعثم، الفتوح، 50/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 298/1.

(2) خليف، يوسف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، ط القاهرة، 1388هـ/1968م، ص130، وينظر: ص131 – 132.

(3) الطبري، تاريخ، 216/6.

(4) صالح، اليمين واليسار، ص163.

(5) أبو السعود، الشيعة، ص74.

وإن هذا التفسير يلقي ضوءاً على الدور المزدوج الذي أداه اشراف الكوفة، وأوضح مقدار التذبذب في مواقفهم والتطرف في الولاء أو العداء حين كانوا بين ((خوف وغضب السلطة، والشك في ولائهم ثم للمصلحة الطبقية الواضحة وبين أن يأثموا بدم الحسين))[1].

وإذا كان أهل الكوفة قد قصروا مع مسلم فإن غاية التقصير في رأي مصري آخر هو ((بعدم التخلص من ابن زياد على الرغم من استطاعتهم على تنفيذ ذلك الأمر فقد قدم ابن زياد إلى الكوفة بصحبة ثلاثون جندياً وعشرون من الاشراف ولكنهم لم يعملوا على الخلاص منه، ثم انهم لم يمكنوا مسلماً من الهرب من الكوفة والرجوع إلى الحسين (عليه السلام) وبدلاً من ذلك فرطوا فيه وهو بين ظهرانيهم فألقوا به في الجحيم وأسلموه إلى عدوه ليلقى مصيره المحتوم))[2].

إن هذه التفسيرات التي حملت أهل الكوفة المسؤولية التاريخية في تراجع موقف مسلم بن عقيل ومن ثم الحسين (عليه السلام)، قد حصرت هذه المسؤولية في مكان واحد من العالم الإسلامي واستثنت من ذلك الأمة الإسلامية الراضية بالظلم والتي كان لها قصور واضح في ثورة الحسين (عليه السلام) الذي أعلن خروجه على الحاكم الظالم في أقدس مكان إسلامي، وفي أكبر محفل لتجمع المسلمين، فلم يلتفت منهم إلى ذلك النهوض سوى نخبة قليلة جداً بينما حرص كبار زعماء المسلمين على الظهور بمظهر الناصح المشفق على الحسين (عليه السلام) من هذا العمل، مفسحين المجال لمن يريد الادعاء بأن خروج الحسين (عليه السلام) كان لشق صف المسلمين ونشر الفتنة !، ومتخلين عن مسؤولية العلماء في ألا يقاروا على ظلم ظالم.

بعث زياد بن أبيه بعد أن قتل مسلماً وهانئ بن عروة المذحجي برؤوسهما إلى يزيد[3] فأظهر الأخير سروره وأطراه وصوّب عمله، وأعدّه للخطوة التالية وهي مواجهة الحسين(عليه السلام)، فكتب إليه: ((... بلغني ان الحسين بن علي، قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس على الظن، وخذ على التهمة، غير ألا تقتل إلا من قاتلك، واكتب اليّ في كل ما يحدث من الخبر))[4].

وفي رواية أخرى انه كتب: ((قد بلغني ان أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين من مكة متوجها نحوهم، وقد بلي به بلدك من بين البلدان، وايامك من بين الأيام، فإن قتلته، وإلاّ رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد، فاحذر ان يفوتك))[5].

---

(1) صالح، اليمين واليسار، ص163.

(2) النجار، الدولة الأموية، ص84 – 85.

(3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص59، الطبري، استشهاد الحسين، ص71، الطبري، تاريخ، 200/6، ابن اعثم، الفتوح، 62/5.

(4) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص60، الدينوري، الأخبار الطوال، ص242، الطبري، تاريخ، 200/6، ابن اعثم، الفتوح، 63/5، ولم يذكر قول يزيد: (لا تقتل الا من قاتلك)؛ ابن الأثير، الكامل، 398/3، النويري، نهاية الارب، 403/20.

(5) اليعقوبي، تاريخ، 169/2 وينظر: الخوارزمي، مقتل الحسين، 288/1.

وقد سكتت اغلب المصادر المصرية عن إيراد خبر سرور يزيد بمقتل مسلم، باستثناء عدد محدود منهم ضمنوا هذا الخبر مؤلفاتهم[1]. ويبدو ان الغالبية منهم ممن يدعون إلى تبرئة يزيد مما يشينه فإذا ما وجدوا في الروايات التاريخية ما ينقص يزيد أو يحط من شأنه تغافلوا عن نقله لكي لا يتحملوا مسؤولية مناقشتها أو إيجاد المبررات لتلك التصرفات.

وقد تجاهل اغلب الكتّاب المصريين ذكر إجراءات عبيد الله بن زياد في الكوفة وفي محيطها، ولم يشيروا إلى مَن قتل وسجن[2] وخفف أحدهم من وحشية اجراءاته فلم يشر إلى قتل وتنكيل، وإنما عدّها اسلوباً في قمع الفتنة ! فقال: ((وقبض عبيد الله على كبار الشيعة وخاصة مسلم بن عقيل وانصاره فقضى بذلك على بوادر الفتنة))[3].

وقد بدأ عبيد الله بن زياد بتنفيذ توجيهات يزيد بسد المنافذ في وجه الحسين (عليه السلام)، ووجه الخارجين إليه، فبعث الحصين بن نمير صاحب شرطته فنزل القادسية[4]، إلى خفان[5]، ومن القادسية إلى القطقطانة وإلى جبل لعلع[6] لينشر قواته في هذه المناطق[7]، وأمر ان يؤخذ الطريق ما بين واقصة[8]، على طريق الشام إلى طريق البصرة فلا يدعون احداً يلج أو احداً يخرج[9].

وقد استهدفت هذه السياسة علاوة على سد المنافذ بوجه من يحاول اللحاق بالحسين (عليه السلام)، منع اتصال الحسين (عليه السلام) بالكوفيين، أو وصول مبعوثيه، وهذا ما تحقق فعلاً إذ استطاعت هذه القوات القاء القبض على رسول الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة قيس بن مسهر الصيداوي وتم قتله[10] ثم القي القبض على مبعوث الامام (عليه السلام) إلى مسلم: عبد الله بن يقطر فقتل أيضاً[11].

---

(1) عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص80، غنيم، الثورات العلوية، ص157، أبو السعود، الشيعة، ص76، أبو النصر، الحسين بن علي، ص87.

(2) ومنهم من ذكر تهديده للعرفاء ومنهم: العقاد، أبو الشهداء، ص177، الخضري، محاضرات، 126/2، رضا، الحسن والحسين، ص67 – 68، أبو السعود، الشيعة، س71.

(3) حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص284.

(4) بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا، وفي هذا الموضع حصلت المعركة المشهورة مع الفرس أيام الخليفة عمر. ياقوت، معجم البلدان، 291/4.

(5) موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحيانا، وقيل هو فوق القادسية. المصدر نفسه، 379/2.

(6) جبل من أخر السواد إلى البر ما بين البصرة والكوفة وهي من منازل بني تميم. البكري، معجم ما استعجم، 1156/4.

(7) ينظر: الطبري، تاريخ، 209/6، ابن الأثير، الكامل، 402/3.

(8) منزل بطريق مكة، يقال لها واقصة الحزون. ياقوت، معجم البلدان، 354/5.

(9) الطبري، تاريخ، 207/6.

(10) وكان الحسين (عليه السلام) قد ارسله بكتاب إلى الكوفة فأخذه الحصين في القادسية وبعث به إلى عبيد الله الذي أمره بسب الحسين (عليه السلام) من أعلى القصر، فصعد فسب يزيداً وابن زياد فرمي من أعلى القصر فتقطع ومات، المصدر نفسه، 210/6، الشيخ المفيد، الارشاد، ص320 – 321.

(11) وهو اخو الحسين بن الرضاعة، أرسل إلى مسلم قبل ان يعلم بمقتله فتلقاه الحصين في القادسية وبعث به إلى ابن زياد فقتله، الطبري، تاريخ، 211/6 – 212.

وقد استكمل عبيد الله حالة الاستعداد لوصول الحسين (عليه السلام) بارهاب الكوفيين، وممارسة القتل العنيف ببعض الشيعة في الكوفة ليكونوا نكالاً لغيرهم، فقتل عبد الأعلى الكلبي وعمارة بن صلخب الازدي[1]، وفي رواية ان من بين من طاله تعسف ابن زياد فقتل كان رشيد الهجري[2] وهو من كبار أصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام)[3] وقد شمل القتل آخرين لم يستطع ابن زياد ردهم عن مناصرة الحسين (عليه السلام) ومنهم ميثم بن يحيى التمار الاسدي[4] الذي صلبه ابن زياد عاشر عشرة في الكوفة، فجعل يحدث بفضائل بني هاشم، فقيل لابن زياد قد فضحكم هذا العبد، فأمر بلجمه، ثم طعن بحربة بعد ثلاثة أيام من صلبه، وكان ذلك قبل مقدم الامام الحسين (عليه السلام) إلى العراق بعشرة أيام[5] وبذلك هيأ عبيد الله الوضع الداخلي في الكوفة للتخاذل والتخذيل.

وفي مكة وبعد انتشار نبأ نية الامام الحسين (عليه السلام) بالخروج إلى العراق، لم تتوقف نصائح المشفقين عليه من هذا الوجه الذين توقعوا مقتله في حال خروجه، وقد ضمّن الكتّاب المصريون بعضاً مما قاله الصحابة في كتبهم وفق سياقها التاريخي[6]. ومنهم: عبد الله بن عباس الذي تحدث مع الامام الحسين (عليه السلام) مرات وحاول منعه، وكان الامام يرده مرة بالقول: بأنه سيستخير الله فيما يفعله[7]، وأخرى بالقول: بأنه أجمع على المسير إلى العراق[8]

---

(1) الطبري، تاريخ، 199/6. وقد اخذهما بنصرتهما لمسلم فقطع رأس الأول، وضربت عنق الثاني في مضارب قومه.

(2) ويقال الفارسي مولى بني معاوية من الانصار ثم من الأوس وفي رواية انه من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله)، شهد معه معركة أحد وكناه النبي (صلى الله عليه وآله)، أبا عبد الله.

ابن الاثير، اسد الغابة، 176/2، ابن حجر، الاصابة، 516/1.

(3) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت406هـ/1067م)، أمالي الشيخ الطوسي، ط قم، 1414هـ/1993م، ص165.

(4) عدّه ابن حجر من الصحابة، نزل الكوفة وله بها ذرية، وكان عبدا لامرأة من بني اسد فاشتراه الامام علي منها واعتقه، حبسه عبيد الله مع المختار، ثم أمر بقتله.

ينظر: الاصابة، 504/3 – 505.

(5) الشيخ المفيد، الارشاد، ص246 – 248، ابن حجر، الاصابة، 504/3 – 505.

(6) الجبري، حوار مع الشيعة، ص247، عبد العال، الحياة السياسية، ص58، الحوفي، أدب السياسة، ص40، صالح، العرب والإسلام، ص315، شاهين، الدولة الأموية، ص310 – 311، سرور، الحياة السياسية، ص136، حسن، زعماء الإسلام، ص200، لطفي، الشهيد الخالد، ص43، أبو النصر، الحسين بن علي، ص90 – 93، غنيم، الثورات العلوية، ص159، الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم، 127/2 – 128.

(7) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص64، البلاذري، انساب الاشراف، 373/3، الطبري، استشهاد الحسين، ص74، الطبري، تاريخ، 202/6، ابن اعثم، الفتوح، 65/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 310/1، ابن الأثير، الكامل، 399/3.

(8) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص65، البلاذري، انساب الاشراف، 374/3، الطبري، تاريخ، 202/6، ابن اعثم، الفتوح، 66/5، ابن الأثير، الكامل، 400/3 – 401.

وعندما يحذره ابن عباس من العراق يجيبه الحسين (عليه السلام) بأن مقتله هناك أحبّ إليه من مقتله بمكة[1].

أما عبد الله بن الزبير فقد ذكرت بعض الروايات التاريخية انه حاول منع الحسين (عليه السلام) من الخروج، فيما اتهمته روايات أخرى بأنه حرض الامام على الذهاب إلى الكوفة حالفا بالله بأنه لو كان له فيها مثل شيعته لما تردد بالذهاب إليهم[2].

ويبدو ان ابن الزبير قد شجع الحسين (عليه السلام) على الخروج إلى الكوفة، ثم خاف ان يتهم بذلك فطلب منه البقاء على ان يقوم هو بنصرته[3].

وقد رجح عدد من الكتّاب المصريين القول برغبة ابن الزبير بخروج الحسين (عليه السلام) من مكة ليخلو له المكان[4]، بينما ذهب أخرين إلى تبرئة ابن الزبير من ذلك فاستبعد احدهم أن تكون الكراهية هي دافع ابن الزبير فقال: ((لماذا تأخذ بالرواية التي تتهم ابن الزبير بكراهية ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتسيء به الظن دون بينة))[5] ورد آخر الشك بأن يكون وراء نصيحة ابن الزبير الرغبة في الانفراد بالحجاز فقال: ((وعندي ابن ابن الزبير لم يختلف عن غيره من نصحاء الحسين... ولم يكن يخطر ببال ابن الزبير ان يبايع لنفسه، والحسين على قيد الحياة، ولم يكن الحكم هو الذي كان يستهدفه احدهما أو كلاهما حتى يتآمر ابن الزبير على الحسين، ويكيد له، وإنما كان الهدف اعطاء المقادة لمن يحسن القيادة من المهاجرين، ولم يكن يرتاب ابن الزبير، وغيره في ان الحسين هو أهلها، أحق الناس بها، وهذا الخلاف الذي كان بين الزبير وعليّ قد ذهب واسدلت عليه ستائر النسيان))[6].

ويرى الباحث ان اتهام ابن الزبير بالرغبة في مغادرة الحسين (عليه السلام) مكة كان له ما يسوغه لاسيما وان الامام قد صرح بأن ليس شيء في الدنيا أحب إلى ابن الزبير من خروجه من الحجاز لأنه يعلم بأن الناس لا يعدلون بالحسين أحداً، فودّ ابن الزبير أن يخرج الامام الحسين (عليه السلام) من مكة ليخلو له الجو فيها[7]. وليس أدل إلى ذلك مما قاله ابن عباس لابن الزبير: قرت عينك يا ابن الزبير ! ثم أنشد:

---

(1) الخوارزمي، مقتل الحسين، 310/1.

(2) ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص64، ابن خياط، تاريخ، ص144، الطبري، استشهاد الحسين، ص74 – 75، الطبري، تاريخ، 202/6، الخوارزمي، مقتل الحسين، 311/1، ابن الأثير، الكامل، 400/3.

(3) الطبري، تاريخ، 202/6.

(4) ينظر: ابراهيم، أيام العرب، ص413، أبو السعود، الشيعة، ص77، عبد العال، الحالة السياسية، ص57، صالح، العرب والإسلام، ص313 – 314، السيد، سيرة آل بيت النبي، ص326، لطفي، الشهيد الخالد، ص43، الجمل، سيرة الحسين، ص80، شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، 198/2، عويس، شهيد كربلاء، ص144، منصور، الشقيقان، ص50.

(5) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص422.

(6) غنيم، الثورات العلوية، ص160.

(7) الطبري، تاريخ، 202/6، ابن الأثير، الكامل، 400/3، ابن كثير، البداية والنهاية، 160/8.

يـــا لـــك مـــن قبـــرةٍ بمعمـــر   خلا لك الجو فبيـضي واصـفري

وانقـــري مـــا شـــئت أن تنقـــري

واستطرد قائلاً: هذا حسين يخرج إلى العراق، ويخليك بالحجاز[1].

وعندما أكثر ابن الزبير من التردد على الحسين (عليه السلام)، ينصحه بالتريث قال له الامام(عليه السلام): ((ان أبي حدثني ان بها كبشا يستحل حرمتها، فما أحب ان اكون انا ذلك الكبش))[2].

وفي رواية أخرى: ((لأن أدفن بشاطئ الفرات أحبّ الي من أن ادفن بفناء الكعبة))[3].

ولم يكتفِ الامام بالتلميح إلى نوايا بني أمية بقتله في مكة وإنما صرح في نـص أكثـر دلالة فقال لابن الزبير: ((والله لئن أقتل خارجاً منها بشبر – يعني مكة – أحب اليّ ان اقتـل داخلاً منها بشبر، وايم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم، ووالله ليعتدينّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت))[4].

وأوضح بأنه سيقصد الكوفة وعلل ذلك بأن شيعته هناك قد كتبوا إليه[5].

وقد علق أحد الكتّاب المصريين على رواية خروج الحسين (عليه السلام) مـن مكـة مخافـة الاغتيال على يد بني أمية فيها قائلاً: ان كل الروايات التي أشيعت في بعض كتب التاريخ أو التلميحات التي وردت فيها حول مسؤولية الأمويين عن دفع الحسين إلى ثورة ميؤوس منهـا للتخلص منه ما هي إلا مزاعم قد وضعها رواة الشيعة بعد مقتل الحسين (عليه السلام)؛ ليردوا انتقاد بعض الناس له على خروجه، وليضيفوا للحسين مجداً جديداً إذ ضحى بنفسه، ولـم يـستحل القتال في الحجاز، وقد جاءت هذه المزاعم من الرواة العراقيين ليدفعوا عن أهلهـا وصـمة تخاذلهم، وليوحوا بأن الحسين لم يجد غيرهم ناصراً له، بعد أن خذله أهل الحجاز وضـيّق عليه بنو أمية الخناق، وبالتالي فإن أهل العراق لم يكونوا يستطيعون تحقيق النصر لـه إزاء قهر بني أمية فهم بتلك الروايات يدفعون عن أنفسهم أولاً ثم عن إمامهم الشهيد[6].

وبغض النظر عن الرغبة المحمومة في الدفاع عن بني أمية في لهجة هذا الكاتب فإن ما أورده بدون أي دليل علمي لا يثبت امام النقد، كما انه تضمن خلطاً بين سبب تعجيل الحسين

---

(1) الطبري، تاريخ، 202/6 – 203، المسعودي، مروج الذهب، 249/3 – 250، ابن كثير، البداية والنهاية، 160/8.

(2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص66، الطبري، استشهاد الحسين، ص76، ابن الأثير، الكامـل، 400/3، النـويري، نهاية الارب، 407/20.

(3) ابن قولويه، أبو القاسم جعفر بن محمد (ت367هـ/977م)، كامل الزيارات، صححه وعلق عليه: عبـد الحـسين الأميني، ط النجف، 1356هـ/1937م، ص72. وينظر: ص73.

(4) ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص67، البلاذري، انـساب الاشـراف، 375/3، الطبـري، تـاريخ، 203/6، النويري، نهاية الارب، 407/20.

(5) الطبري، تاريخ، 202/6، ابن كثير، البداية والنهاية، 160/8.

(6) شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص312 – 313.

(عليه السلام) بالخروج من مكة، ودوافع قرار التوجه إلى العراق أصلاً إذ ان أسباب الثورة قائمـــة، ونية الحسين (عليه السلام) بالذهاب إلى العراق معقودة قبل ذلك ومنذ انتقاله من المدينة المنورة إلى مكة ولم تكن ضغوط الأمويين سوى أسباب للتعجيل، أما أن يكون الحسين (عليه السلام) قـــد ثـــار وضحى بنفسه لئلا يستحل القتال في الحجاز، فهو أيضاً تمويه على كل ما ورد عن الحسين (عليه السلام) من رغبة في الخروج لطلب الاصلاح في أمة جده، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، فما أحراه وهو يقصد هذه الغاية ان يمنع المنكر ويحرص على حرمة بيت الله الحـــرام مـــن ان ينتهكها بنو أمية الذين سفكوا الدماء المحرمة، وان يصون حرمة مكة التي تواترت الآيـــات القرآنية والأحاديث النبوية في وجوب الحفاظ عليها:

كقوله تعالى: ﴿... **أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَـدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿... **وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِـنْ عَـذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[2] بمعنى ان تستحل في الحرم من الحرام ما حرّم الله عليك من لسان أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فمن فعل ذلك فقد وجب له عذاب اليم[3]. وقوله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام): ﴿... **رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَـرَاتِ**...﴾[4]. وما ورد عن النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) إذ بين في اقوال كثيرة حرمة البيت الحرام ومكة المكرمة فورد عنه قولــه: ((ان هذا البلد حرمه الله، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صـيده، ولا يلـتقط لقطتــه إلاّ مــن عرفها))[5] ووقف بوجه أي تأويل لاستحلال حرمتها فقال: ان مكة حرمها الله تعــالى ولــم يحرمها الناس ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر، ان يسفك فيها دما، أو يعـضد بهــا شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيها، فقولوا له: ان الله أذن لرسوله (صلى الله عليه وآله) ولم يأذن لك، وإنما إذن لي في ساعة من النهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلــغ الشاهد الغائب[6]. وأكد في حجة الوداع قدسية المكان، والشهر – وهو ذات المكان والـشهر الذي حافظ عليه الحسين (عليه السلام) –: ((ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هــذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا))[7].

أما ما عدّه شاهين من ان اسراع الحسين (عليه السلام) من مكة لخشيته بني أمية، إنما هو مزاعم رواة عراقيين ليدفعوا عن أهل الكوفة وصمة التخاذل، فيرد عليه بأنّ هذه الروايات قـد وردت

---

(1) سورة القصص: الآية 57.

(2) سورة الحج: الآية 25.

(3) الطبري، جامع البيان، 165/17.

(4) سورة البقرة: الآية 126.

(5) البخاري، صحيح، ص284، النسائي، سنن، ص484.

(6) الترمذي، سنن، ص239.

(7) ابن هشام، السيرة، 186/4، ابن ماجة، سنن، ص525.

لدى ابن كثير[1] وهو ذو ميول أموية، وقد ذكر انه استقى روايات مقتل الحسين (عليه السلام) من أئمة هذا الشأن[2]. فضلاً عن ان الرواة الشيعة لم يخفوا في رواياتهم ما وقع من خذلان أهل الكوفة للحسين (عليه السلام)، وذكروا في رواياتهم ما قاله الحسين (عليه السلام) من توبيخ أهل الكوفة ثم ما قاله أهل بيته لهم بعد مقتل الحسين (عليه السلام) وفيه اتهام لهم بالتقصير والخذلان للحسين (عليه السلام)[3]، وهـذا لا يعفي الامصار الإسلامية الأخرى من مسؤولية التقصير تجاه ثورة الحسين (عليه السلام)، والحجـاز أولها، لأنها كانت معنية قبل غيرها بالحفاظ على رسـالة النبـي (صلى الله عليه وسلم)، وأمتـه، وان الواقـع التاريخي يشير إلى تخاذل أهل الحجاز وعدم انضمامهم لدعوة الحسين (عليه السلام) العلنية بـالخروج على الظالم، فلم يلحق به سوى عدد محدود جداً منهم[4].

ومن جانب آخر فقد ورد في عدد قليل من المصادر التاريخيـة[5] أقـوال لعـدد مـن الصحابة[6]، حذروه أهل العراق، وطالبوه بالبقاء، وخافوا عليه القتل، وتوجسوا مـن الفتنـة والقتال، ونصحوه بلزوم الجماعة وعدم الخروج على الامام، وكاتبته إحدى النـساء وهـي عمرة بنت عبد الرحمن تعظم عليه ما يريد ان يصنع، وتأمره بالطاعـة ولـزوم الجماعـة وتخبره انه ان لم يفعل إنما يساق إلى مصرعه وتقول: أشهد لسمعت عائشة تقول انها سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: ((يقتل الحسين بأرض بابل)) فلما قرأ كتابها قال: فلابد لي إذا مـن مصرعي[7].

وان انفراد ابن عساكر وابن كثير دون المصادر المتقدمة بذكر هذه الاسماء من الصحابة يشكك الباحث في صحة نسبة هذه الأقوال إليهم، وقد تكون زيدت للتشكيك في شرعية قـرار الحسين (عليه السلام) بمعارضة السلطة، ولاسيما أن هذه الأقوال سيقت بدون سند، ومسبوقة بكلمـة قالوا[8]. وإنّ بعض هذه الشخصيات مشهورة بولائها لأهل البيت (عليهم السلام)[9].

وقد أورد بعض الكتّاب المصريين شيئاً من هذه النصائح في كتبهم[10].

---

(1) ينظر: البداية والنهاية، 161/8، 165، 166.

(2) المصدر نفسه، 172/8.

(3) ينظر: الطبري، تاريخ، 215/6، ابن طاووس، اللهوف، ص94 – 95.

(4) ينظر: الشيخ المفيد، الارشاد، ص318.

(5) ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص201 – 202، ابن كثير، البداية والنهاية، 163/8.

(6) مثل جابر بن عبد الله الانصاري، وأبو سعيد الخدري، وأبي واقد الليثي، والمسور بن مخرمة.

(7) ابن كثير، البداية والنهاية، 163/8.

(8) ينظر: المصدر نفسه، 161/8.

(9) مثل جابر بن عبد الله الانصاري.

(10) ينظر: السيد، سيرة ال بيت النبي، ص325 – 326، عويس، شهيد كربلاء، ص146، غنيم، الثورات العلويـة، ص159، صبيح، خصوصية وبشرية النبي، ص76 – 77، خالد، ابناء الرسـول، ص102، فرحـات، دراسـة وتحقيق: كتاب قيد الشريد، ص75.

وقد كانت آخر محاولات ثني الحسين (عليه السلام) عن وجهته هي محاولة عبد الله بن جعفر الذي طلب من والي يزيد عمرو بن الاشدق ان يبذل الأمان للحسين (عليه السلام) فكتب الوالي ذلك في كتاب وبعثه[1] وقال فيه: ((... فاني اسأل الله ان يصرفك عما يوبقك، وان يهديك لما يرشدك، بلغني انك قد توجهت إلى العراق، واني اعيذك بالله من الشقاق، فاني أخاف عليك فيه الهلاك.. فأقبل.. فإن لكَ عندي الأمان والصلة والبر))[2].

وقد أورد الكتّاب المصريون نص هذه الرسالة في كتبهم واستدل بعضهم بها على ان الدولة الأموية لم تكن تريد بالامام الحسين (عليه السلام) شراً بدليل انها أمنته[3].

وقد فات هؤلاء الكتّاب ان الحسين (عليه السلام) لم يكن همه السلامة، وان الشرّ الذي كان يراه الحسين (عليه السلام) ان يقف بين سل السيف، أو المبايعة والدخول تحت سيطرة الحاكم الأموي[4]. وإذا ما تمعنا في رسالة الوالي الأموي إلى الحسين (عليه السلام) سنجد أنه يعدّ خروج الحسين (عليه السلام) شقاً لعصا الطاعة، وتفريقاً للأمة يوبق الامام، ويعرضه للهلاك، أما الحسين (عليه السلام) فقد كان يعدّ خروجه للاصلاح والدعوة إلى الله عز وجل، فلا سبيل إلى دخول في طاعة تورث غضب الله، فرد الحسين (عليه السلام) على الاشدق أمانهُ وكتب إليه: ((أما بعد؛ فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين؛ وقد دعوت إلى الأمان والبرّ والصلة، فخير الأمان أمانُ الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة مَن لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا تُوجب لنا أمانه يوم القيامة...))[5].

وأجاب الحسين (عليه السلام) ابن جعفر بأنه ماضٍ في طريقه لأنه رأى رؤيا عن النبي (صلى الله عليه وآله)، وانه ساعٍ إلى تنفيذها، دون ان يُفصح عن مضمون تلك الرؤيا[6].

وعلق أحد الكتّاب المصريين على هذه الرواية فقال: ولعل إصراره على مواصلة السير كان لأسرار ربانية وحكم خفية لا يدركها إلاّ أهل البصائر والأنوار ممن هم على درجته.. وحينما يقول الحسين (عليه السلام) انه رأى جده فقوله الحق وكلامه الصدق وحينما يحدثه جده (صلى الله عليه وآله)

---

(1) ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص69، الطبري، تاريخ، 205/6، ابن اعثم، الفتوح، 67/5 – 68، الخوارزمي، مقتل الحسين، 312/1، ابن كثير، البداية والنهاية، 164/8.

(2) الطبري، تاريخ، 205/6، ابن كثير، البداية والنهاية، 164/8.

(3) الجبري، حوار مع الشيعة، ص248، صالح، العرب والإسلام، ص315، رضا، الحسن والحسين، ص71، شاهين، الدولة الأموية، ص314، سعد، السيدة زينب، ص41، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص82، غنيم، الثورات العلوية، ص161 – 162، ابراهيم، أيام العرب، ص415.

(4) ورد عن الحسين (عليه السلام) قوله: ألا وان الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة وهيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون.. المسعودي، اثبات الوصية، ص177، ابن طاووس، اللهوف، ص62.

(5) الطبري، تاريخ، 205/6، ابن كثير، البداية والنهاية، 164/8.

(6) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص69، ابن الأثير، الكامل، 402/3، ابن كثير، البداية والنهاية، 163/8.

حتى في الرؤيا ويأمره بأمر فهو (ﷺ) يحدثه بلسان الحق من دار الحق، وما على الحسين (عليه السلام) إلا ان يصدع بما يؤمر[1].

وقال آخر في نفس المستوى من التعليل الغيبي:

((ان ثمة دوافع كانت تربط الحسين بمصيره المحتوم، فقد ربط قلبه بذكر الله وعلق مصيره بالقدر المكتوب، كما كشف عن بصره بارتياده طريق الشهادة الكامن له في الطريق وايقن يقيناً لا رجعة فيه انه مأخوذ بهذا الأمر سواء مكث في مكة أو خرج منها، فإنه لا محالة مقتول))[2].

مما تقدم نجد ان نصائح المشفقين على الحسين (عليه السلام) ذات بعدين:

الأول: الخشية على الحسين (عليه السلام) من القتل، وقد واجه الحسين (عليه السلام) ذلك بتأكيد استهداف بني أمية لشخصه[3]، وحتمية نزول الموت به، وذهابه لمصرعه دون مبالاة.

والثاني: التهويل من الوجه الذي قصده الحسين (عليه السلام) أن يكون فيه الفتنة، وشق عصا الطاعة، وواجه الحسين (عليه السلام) ذلك بتأكيد أسباب ثورته الشرعية بأنها: لطلب الإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو انه أكد إصراره على عدم الدخول في بيعة يزيد، وخاطب بعض الصحابة مبيناً لهم انه قد خرج استجابة لإرادة جماهيرية أرادت التغيير في الكوفة وأقامت عليه الحجة الشرعية بالخروج، بينما اكتفى مع آخرين بأن أيسهم من الرجوع عن الثورة لأنها إرادة إلهية صدرت إليه بأمر غيبي.

إنّ هذه النصائح كانت تعبر عن نوع من الانهيار النفسي الكامل الذي شمل زعماء وسادة المسلمين فضلاً عن الجماهير التي كانت تعيش هذا الانهيار مضاعفاً في اخلاقها وسلوكها وأطماعها ورغباتها[4].

وهكذا عقد الحسين (عليه السلام) عزمه على الخروج مع انه كان يتوقع ان يكون مصيره القتل إذ ان بني أمية لن يرضوا منه بما دون البيعة ليزيد والدخول في طاعته، وإلا فانهم سيعتدون عليه اعتداء اليهود في السبت، وإذا كانت هذه البيعة منافية لشروط الخلافة التي يؤمن بها الحسين (عليه السلام)، فإن بيعته ليزيد تعني شهادة منه باستحقاق يزيد للخلافة، ودعوة منه لدخول الأمة في طاعته، ولما كان ذلك فقد اختار الحسين (عليه السلام) الموت الكريم على الحياة التي يضطر معها إلى العدول عن المبدأ الذي التزم به.

---

(1) عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص84.

(2) قرون، عظمة الامام الحسين، ص62، وينظر: لطفي، الشهيد الخالد، ص45.

(3) قال الحسين (عليه السلام) لمن سأله عن سبب تعجيله في الخروج إلى العراق وترك الحج: ((لو لم اعجل لأخذت)). الطبري، تاريخ، 204/6، ابن كثير، البداية والنهاية، 167/8.

(4) الصدر، الحسين يكتب، ص95.

المبحث الثاني

مبررات خروج الحسين عليه السلام إلى العراق ومراحل الطريق

قرر الامام الحسين (عليه السلام) الخروج من مكة و ((لو لم يعجل بالخروج لحيل بينه وبين ذلك، ولوقع أسيراً في ايدي اعدائه ولأحدق الخطر به من كل ناحية))[1].

وقد ذكر الدينوري[2] ان خروج الحسين (عليه السلام) كان بعد ورود كتاب مسلم بن عقيل إليه يخبره باجتماع رأي الكوفيين عليه، ويدعوه للقدوم إلى الكوفة وعنه أخذ النويري[3] وابن كثير[4]. وعلى هذا حصل شبه إجماع لدى الكتّاب المصريين وإليه ذهبوا في تعليل خروج الامام الحسين (عليه السلام)[5]. على الرغم من ان بعضهم قد ناقض نفسه فيما بعد. وقد كان اسراع الحسين (عليه السلام) بترك مكة على رأي كاتبين مصريين مبادرة منه قبل ان يتفرق ذلك الجمع الهائل الذي بايع مسلماً، ولذلك كان خروجه رغم نصح الناصحين[6].

وقد حاولت السلطة الأموية ان تثني الحسين (عليه السلام) عن الخروج إلى العراق فأرسل يزيد ابن معاوية إلى عبد الله بن عباس رسالة كتب فيها:

((... واحسبه قد جاءه رجال من أهل المشرق فمنوه الخلافة، وعندك منهم خبر وتجربة، فإن كان قد فعل فقد قطع راسخ القرابة، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه، فاكففه عن السعي في الفرقة))[7].

ثم أردف الرسالة بأبيات ضمنها تهديد بالقتل منها[8]:

---

(1) عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص83.

(2) الأخبار الطوال، ص243.

(3) نهاية الارب، 405/20.

(4) البداية والنهاية، 159/8.

ومما يشار إليه ان ابن اعثم، والخوارزمي قد ذكرا أن خبر مقتل مسلم بن عقيل قد ورد على الامام (عليه السلام) وهو بعد في مكة لم يغادرها. ينظر: الفتوح، 64/5، مقتل الحسين، 309/1.

ولم يرد ذلك عند أي من الكتاب المصريين ممن اطلع الباحث على مصنفاتهم، ويشاطرهم الباحث ذلك لأن الحسين (عليه السلام) خرج في اليوم نفسه الذي قتل فيه مسلم بن عقيل فمتى وصله الخبر ؟

(5) عويس، شهيد كربلاء، ص144، محمد، حضارة الدولة العربية، ص160، العقاد، أبو الشهداء، ص173، الجبري، حوار مع الشيعة، ص247، عبد العال، الحالة السياسية، ص58، صالح، العرب والإسلام، ص313، شاهين، الدولة الأموية، ص310، سرور، الحياة السياسية، ص136، كريم، اعلام في التاريخ، ص87، لطفي، الشهيد الخالد، ص43، الجمل، سيرة الحسين، ص79، غنيم، الثورات العلوية، ص158، عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص474.

(6) العقاد، أبو الشهداء، ص173 – 174، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص77.

(7) ابن كثير، البداية والنهاية، 164/8.

(8) المصدر نفسه، 164/8.

انـــي لأعلـــم أو ظنـــاً كعالمـــه	والظـــن يـــصدق أحيانـــاً فينـــتظم
ان سوف يترككم ما تـــدعون بهـــا	قتلـــى تهـــاداكم العقبـــان والـــرخم
يا قومنا لا تشبوا الحرب إذ مسكت	وامسكوا بحبال السلم واعتـــصموا
قد جرب الحرب من قد كان قـــبلكم	من القرون وقد بادت بهـــا الأمـــم

وقد انفرد ابن كثير – حسب اطلاع الباحث – في نقل هذه الرسالة بنصها، وقـــد أوردت بعض المصادر[1] ان يزيداً كتب كتاباً إلى واليه في الحجاز وأمره ان يقرأه على أهل الموسم من دون ذكر تفاصيل الكتاب، وكتب بهذه الابيات إلى من بالمدينة المنـــورة، فوجّـــه أهلهـــا الابيات إلى الامام الحسين (عليه السلام) من دون أن يعلموه مصدرها، فلما قرأها علم انها من يزيـــد فقرأ (عليه السلام) قوله تعالى: **[وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَـــا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُـــونَ]**[2]. وقد تكون غاية يزيد من الكتابة إلى ابن عباس في شأن الحسين هي ((تحقيق ما يستهدفه من صرفه عن الخروج أو إضعاف حجته فيه أمام الناس))[3].

ولما أراد الحسين (عليه السلام) التوجه إلى العراق طاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمـــروة، وأحلّ احرامه وجعلها عمرة لأنه لم يتمكن من تمام الحج[4].

ولما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً فقال:

((... خط الموت على ولد أدم مخطّ القلادةِ على جيد الفتاة، وما أولهني إلـــى أســـلافي، اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيرَ لي مصرعٌ أنا لاقيه.

كأني بأوصالي تُقطّعها عُسلان[5] الفلوات بين النواويس[6] وكربلاء فيملأن مني اكراشـــاً جوفاً، وأجربة سُغبا. لا محيص عن يوم خُط بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين.

لن تشذ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحمته[7] وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقرّ بهم عينـــه، وينجز بهم وعده، من كان باذلا فينا مهجته وموطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فـــاني راحلٌ مصبحاً إن شاء الله تعالى))[8]. وقد أورد عدد محدود من الكتّـــاب المـــصريين هـــذه الخطبة دون تعليق على مضمونها[9].

---

(1) ابن اعثم، الفتوح، 69/5 – 69، الخوارزمي، مقتل الحسين، 313/1.

(2) سورة يونس: الآية /41.

(3) غنيم، الثورات العلوية، ص165.

(4) الشيخ المفيد، الارشاد، ص318.

(5) جمع عسل وهو الذئب والثعلب. ابن منظور، لسان العرب، مادة عسل.

(6) الناووسة: من قرى هيت. ياقوت، معجم البلدان، 254/5.

(7) اللحمة: الشابك من النسب. ابن منظور، لسان العرب، مادة لحم.

(8) ابن طاووس، اللهوف، ص39.

(9) النفيس، نفحات من السيرة، ص110، عويس، شهيد كربلاء، ص149، أبو علم، الحسين بن علي، ص116.

ويتبين مما تقدم وضوح الخطاب الحسيني وحزمه، الذي يمكن أن نتلمس منه أموراً متعددة منها:

- تأكيد الحسين (عليه السلام) حتمية الموت المكتوب على بني آدم، ثم اختياره لأشرف درجاته وهي الشهادة: ((وخير لي مصرع انا لاقيه))، واستعداده لوحشية أعدائه في طريقة القتل ثم الإشارة إلى معرفته بمصيره وتصوير إقباله على التضحية بأنه قدر وتوجيه إلهي ((لا محيص عن يوم خط بالقلم)) وان استجابته وطاعته لله هي تسليم العاشق لله الذي يجد في ((رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين)).
- تأكيد الحسين (عليه السلام) على منزلة أهل البيت (عليهم السلام) على أرفع مستوى وربط هدفه بهدف النبي (صلى الله عليه وآله)، وتوجيه الناس إلى بذل الأرواح في الاستجابة لدعوتهم (أهل البيت).
- الإشارة إلى صعوبة الطريق الذي يسلكه للجهاد والإصلاح والذي يقتضي توطين النفس على الصبر.
- وضع **الناس** أمام مسؤوليتهم التاريخية في الوقوف بوجه الظلم، فإما النكوص، أو الاستجابة، فإن كانت الأخيرة فالموضع موضع تضحية لابد من أن يوطن المسلم فيه نفسه على لقاء الله. ويستشف من ذلك ان الحسين (عليه السلام) قد أراد ومنذ بداية تحركه – ومع حاجته القصوى إلى التأييد – ألا يرتبط به، ولا يسير معه إلاّ المدرك لأهدافه، والواعي لمتطلبات المرحلة، والمستعد لأخطر التداعيات.
- إعلان الحسين (عليه السلام) لموعد مغادرته مكة – بعد أن اعلن وجهته – فلا يترك فرصة لمتعلل، ولا عذر لقائل بأن الحسين (عليه السلام) قد أخفى أمره. فقد ظل الامام (عليه السلام) يستخدم قاعدة الإشهار ليصل إلى أقصى حد من الانتشار الإعلامي والاجتماعي.

خرج الحسين (عليه السلام) من مكة لثماني مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء يوم التروية[1]، وهو اليوم نفسه الذي خرج فيه مسلم بن عقيل على ابن زياد في الكوفة ثم قتل في اليوم التالي[2].

وقد جمع الحسين (عليه السلام) أصحابه الذين عزموا على الخروج معه فأعطى كل واحد منهم عشرة دنانير وجملاً يحمل عليه زاده ورحله ثم طاف بالبيت وبالصفا والمروة، حاملاً بناته واخواته على المحامل[3] وأخذ طريقه نحو الكوفة.

وقد روى ابن قتيبة[4]، وابن عبد ربه[5] ان عمرو بن سعيد الاشدق حينما بلغه خبر خروج الحسين (عليه السلام) طلب من عسكره، ان يركبوا كل بعير بين الأرض والسماء ليطلبوه.

---

(1) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص61، البلاذري، انساب الاشراف، 371/3، الطبري، تاريخ، 201/6، ابن اعثم، الفتوح، 69/5، المسعودي، مروج الذهب، 256/3، الشيخ المفيد، الارشاد، ص318، النويري، نهاية الارب، 409/20، ابن كثير، البداية والنهاية، 166/8.

(2) البلاذري، انساب الاشراف، 371/3، الطبري، استشهاد الحسين، ص71.

(3) ابن اعثم، الفتوح، 69/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 317/1.

(4) الامامة والسياسة، 181/2.

(5) العقد الفريد، 377/4.

وتبدو المبالغة في هذه الرواية، إذ ان خروج الامام (عليه السلام) لم يكن سراً فهو قد أعلنه ليلة خروجه ((اني راحل مصبحا إن شاء الله تعالى))[1] وهو يعني انتشار خبر ارتحاله بين الناس، ومن الطبيعي ان تعلم السلطة الأموية هذا التوقيت سواء من عموم الناس أم من عيونها المنتشرين في مكة، ولم يكن بالإمكان ان يختفي الركب الحسيني بسرعة فلا يُدرك. ومما يؤكد ذلك ان عمرو بن سعد قد أرسل أخاه يحيى على شرطته ليدرك الحسين (عليه السلام) خارج مكة ويمنع ركبه من الاستمرار بالمسير، فلحقه ودارت بين الطرفين مشاجرة استعملت فيها السياط، وامتنع الحسين وأصحابه امتناعاً قوياً، وبلغ ذلك عمرو فخاف ان يتفاقم الأمر فأرسل إلى أخيه بأمره بالانصراف، فانصرف القوم وهم يصيحون بالحسين (عليه السلام): ألا تتق الله تخرج من الجماعة، وتفرق بين الأمة، فرد الحسين (عليه السلام) بقوله تعالى: [... **لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ**][2] وواصل الحسين (عليه السلام) طريقه إلى العراق[3].

وتدلنا هذه الرواية على ان السلطة حاولت حجز الحسين وإعادته إلى مكة بالقوة و ((ان الحسين لم يكن واهماً في شعوره بتدبير القوم لأخذه، وانه فعلاً لو لم يعجل بالخروج لأخذ بالقوة حياً أو ميتاً وحدث ما توقعه من استباحة البلد الحرام، والبيت الحرام))[4] والشهر الحرام.

لقد عظم على السلطة الأموية مغادرة الحسين (عليه السلام) مكة لأن ذلك يعني انفلات حركته من طوق الحصار الذي سعت السلطة إلى فرضه في المدينة المنورة ففشلت ثم جهدت إلى ذلك في مكة للقضاء على الحركة وهي في مهدها من خلال القضاء على قائدها باغتياله بأي طريقة من الطرق في ظروف مفتعلة، لا تعجز السلطة عن ايجادها، والقاء التهمة في ذلك على غيرها، وتغطية ذلك الفعل بألف ادعاء تدعيه، وقد تطالب بعد ذلك بدمه لاظهار نفسها بمظهر الآخذ بثأره لابعاد التهم والشبهات عنها[5].

لقد فوت خروج الحسين (عليه السلام) من مكة بذلك التوقيت المدروس الفرصة على السلطة للتخلص منه بالطريقة التي تراها، أو تطويق الثورة ومحاصرتها، وان هناك اشارات واضحة من أحاديث الحسين (عليه السلام) نفسه بأنه كان يخاف الأخذ أو القتل داخل الحرم، وقد أكد ابن عباس وجود مثل تلك المحاولات في رسالة منه إلى يزيد بن معاوية كتبها موبخاً اياه على فعله مع الامام (عليه السلام): ((وما أنسَ من الأشياء، فلست بناسٍ اطرادك الحسين بن علي من حرم رسول

---

(1) ابن طاووس، اللهوف، ص39.

(2) سورة يونس: الاية 41.

(3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص67 – 68، البلاذري، انساب الاشراف، 375/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص244، الطبري، تاريخ، 203/6، الخوارزمي، مقتل الحسين، 317/1، ابن كثير، البداية والنهاية، 166/8.

(4) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص439.

(5) الطبسي، محمد جواد، وقائع الطريق من مكة إلى كربلاء، ط قم، 1421هـ/2000م، 28/3.

الله إلى حرم الله، ودسك إليه الرجال تغتاله، فاشخصته من حرم الله إلى الكوفة... ثم انك الكاتب إلى ابن مرجانة ان يستقبل حسينا بالرجال، وامرته بمعاجلته وترك مطاولته، والالحاح عليه، حتى يقتله ومن معه من بني عبد المطلب أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس))[1].

وفي هذه الرسالة دلالة واضحة على أن يزيد كان قد دسّ الرجال لاغتيال الحسين (عليه السلام) وهو في مكة، ولم تمانع السلطة الأموية عبر ممثلها في الحجاز عمرو بن سعيد باستبقائه في مكة لحين تنفيذ الاغتيال عبر عرض الأمان والبر والصلة. فلما لم ينفع ذلك استخدمت السلطة الاسلوب القمعي بمحاولة ردّه هو وركبه إلا ان كلتا المحاولتين فشلتا لأن الامام (عليه السلام) عرف بتلك المحاولات فخرج أولاً من مكة يوم التروية دون الانتظار لتأدية مناسك الحج، ولم يخضع لشرطة الوالي الأموي وأصر على الاستمرار في طريقه إلى الكوفة.

وقد ذهب أحد الكتّاب المصريين إلى تصوير المواجهة بين جند الأشدق والركب الحسيني على اطراف مكة على انها مواجهة صورية أريد منها ابعاد الامام الحسين (عليه السلام) عن مكة، والحجر عليه في الصحراء حتى يسهل القضاء عليه، وقد علل ذلك بعدم بذل الاشدق محاولات جدية لمنع الامام الحسين (عليه السلام) من الخروج من مكة بسبب وجود كثير من شيعة الامام (عليه السلام) في عمله، بل لعل الاشدق قدر سهولة القضاء على الامام في الصحراء بعيداً عن انصاره حتى ان بني هاشم اتهموا يزيد فيما بعد بأنه هو الذي دس إليه الرجال حتى يخرج[2].

ولا يميل الباحث لهذا الرأي لعدة مسوغات منها: أن ابعاد الحسين (عليه السلام) عن مكة غير مضمون العواقب، ولاسيما أن الحجر لم يقع على الحسين (عليه السلام) في الصحراء، وإنما كان حجر مؤقت لحين وصول أوامر الوالي النهائية، وان تصريح الحسين (عليه السلام) بمخافته من القتل أكثر من مرة، وتفاقم ذلك الخطر إلى درجة تعجيله عن امضاء الحج دليل على ان ذلك الدس محاولة حقيقية، وليس مناورة سياسية.

إن الكاتب المصري يصور لنا وكأن والي الحجاز كان يمتلك قوة عسكرية كبيرة في مكة، وقد أرسل قسماً صغيراً منها لمنع الركب الحسيني من الاستمرار في مسيره، فهو يصف المحاولة بأنها غير جادة، ومما يشار إليه في هذا المجال أن مكة مدينة دينية لم يكن فيها سوى قوة محدودة من الحرس والشرطة تكفي لتنفيذ الأوامر الإدارية، والقضاء وحفظ الامن الداخلي، ولم تكن من المدن الملتهبة أو التي شُكلت لأغراض عسكرية كالكوفة والبصرة، لتكون مستقراً للجند، لذلك نجد أن الانتفاضات التي حدثت فيها أو في المدينة كان يقضى عليها. بجيوش تأتيها من خارجها، كوقعة الحرّة في المدينة، وسعي السلطة للقضاء على حركة ابن الزبير في مكة إضافة إلى ان السلطة الأموية حتى لو توفرت لها القوة الكافية فإنها لم تكن ستتبع اسلوب القتال مع الركب الحسيني لما يشكله من انتفاضة جموع الحجيج

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، 173/2 – 174. وينظر: عويس، شهيد كربلاء، ص147 – 148.

(2) ماجد، التاريخ السياسي، 72/2 – 73.

ضدها والتي كانت مكة تغص بهم، لذلك نرى أن محاولة المنع حصلت خارج مكة واقتصرت على الضرب بالسياط[1].

وقد أخطأ الكاتب المصري كذلك عندما قال بوجود الكثير من شيعة الامام الحسين (ع) في عمل الاشدق، وهي دعوى لم يجد الباحث ما يدعمها تاريخياً – على وفق اطلاعه على المصادر – بل ان هناك ما يدحضها فقد كانت الأغلبية القرشية في مكة تبغض الامام علي(ع) وتوالي بني أمية[2]، كما ان من كان بالمدينة ومكة لم يكن ولاؤهم لأهل البيت عامة والحسين (ع) خاصة ولاءً واعياً[3] بدليل قلة من التحق منهم بالركب الحسيني الخارج على ظلم بني أمية، وعلى ذلك يبدو ان الكاتب المصري قد حصل لديه خلط بين أهل مكة وبين من وفد إليها يومذاك من الحجيج الذين احتفوا بالامام الحسين (ع) أيام إقامته بمكة.

وعندما فشل عمرو بن سعيد الاشدق في تنفيذ أوامر يزيد في منع الحسين (ع) من مغادرة مكة حاول أن يثير همة ابن زياد في القضاء على الحسين (ع) فكتب إليه يحذره من ان يفوته الحسين (ع) ويهدده بعقوبة يزيد[4].

ونقل ابن عساكر وابن كثير[5] رسالة من مروان بن الحكم إلى عبيد الله بن زياد كتب فيها: ان الحسين (ع) قد توجه إليك وهو ابن فاطمة وتالله ما أحد يسلمه الله أحب إلينا من الحسين (ع)، فاياك ان تهيج على نفسك ما لا يسده شيء ولا تنساه العامة، ولا تدع ذكره أخر الدهر، والسلام.

ولم يجد الباحث في سيرة مروان بن الحكم ما يؤيد قوله في هذه الرسالة فلم يُعرف عنه في موقف واحد حبه أو عطفه على الامام الحسين (ع) أو أهل البيت (ع)، وهو الذي حرّض والي يزيد في المدينة على قتل الحسين (ع) قبل فترة وجيزة فكيف يكتب إلى والي الكوفة يحذره من ايذائه، لذا يُرجح أن تكون هذه الرسالة من الوليد بن عتبة كما قال ابن اعثم[6] عندما أورد ما يشابه مضمون تلك الرسالة وختمها بالقول ان ابن زياد لم يلتفت إلى هذا الكتاب، وان امكانية التوهم حاصلة بين الرجلين (مروان والوليد) ولاسيما أن مروان قد ولي المدينة مرات متكررة.

---

(1) الطبرسي، وقائع الطريق، 38/3.

(2) ينظر: الثقفي، الغارات، 393/2، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 104/4.

(3) ينظر: ما ورد عن علي بن الحسين زين العابدين بهذا الصدد؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 103/4.

(4) ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص205، ابن كثير، البداية والنهاية، 165/8.

(5) المصدر نفسه والصفحة نفسها، 165/8.

(6) فتوح 70/5.

لقد وجد الامام الحسين (عليه السلام) ان التوجه إلى العراق هو أفضل الخيارات المطروحة، وانسبها للقيام بثورته، لذلك صرّح لابن عباس الذي طلب منه الشخوص إلى اليمن بأنه: ((لابدّ من العراق))[1].

فقد ضعفت قدرات الحجاز البشرية والاقتصادية نتيجة التفريغ المستمر لطاقاته – عبر دعم جبهات القتال والهجرة إلى الامصار – وافتقد الأهمية التجارية التي تمركزت في جزء أساسي منها في البصرة[2] فضلاً عن ان أهل مكة وفيهم القرشيون ليسوا من انصاره، وليس هواهم مع بني هاشم، وأهل المدينة وإن كانوا يجلونه، وفيهم الانصار الذين جاهدوا في صفوف أبيه، فإن في المدينة عدداً كبيراً من قريش بعامة وبني أمية بخاصة، وليس في المدينة قوة تحزم أمرها خلفه، فضلاً عن ان عجز الحجاز[3] عن الدفاع عن نفسه قد ظهر من قبل ضد أية قوة تأتيه من الخارج[4]. فالحسين (عليه السلام) لا يستطيع في ظل هذه الظروف الاعتصام في الحجاز أو الاعتماد عليه في دعم خروجه على السلطة. أما اليمن فلم تكن معقودة الولاء على أهل البيت حصراً ولا على موالاة ابناء علي، وإنما ((كان الناس بها أحزاباً وشيعاً، فشيعة ترى رأي عثمان، وأخرى ترى رأي علي))[5] وفي ذلك دليل على انقسامها بين شيعة موالية للامام علي (عليه السلام) وابنائه، وأخرى موالية لبني أمية، فضلاً عن ان اليمن قد ظهر عجزها، وعجز شيعة علي فيها حين قدمت إليها قوات معاوية في خلافة الامام علي (عليه السلام)، إذ لم يقاتلوا سوى قتالاً ضعيفاً، وتخاذلوا وقالوا: لا طاقة لنا بمن جاءنا[6].

فالاتجاه إلى اليمن مع قلة وضعف الناصر أمر محفوف بالمخاطر ولاسيما أن يد السلطة قادرة على الوصول إليه متى شاءت وبقوة كبيرة.

وقد تحاشى الحسين (عليه السلام) البقاء في مكة، وحرص على صيانة حرمة بيت الله الحرام من ان ينتهكها بنو أمية بقتله، وقد بقي فيها ما ينيف على الثلاثة اشهر، اقام فيها الحجة على الأمة الإسلامية، واعلن استعداده للخروج على ظلم بني أمية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الإصلاح، فلم تجبه إلى ذلك سوى فئة قليلة سارت معه حين لم يبقَ ثمة خيار سوى الاتجاه نحو العراق، وخاصة الكوفة لأن فيها ((إرادة جماهيرية تطلب التغيير، وتستحث الامام الحسين للمبادرة إلى قيام الحركة، وكان موقع هذه الإرادة في الكوفة، تمثلت في رسائل البيعة القادمة من أهلها))[7].

---

(1) الخوارزمي، مقتل الحسين، 310/1.

(2) بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، ص255.

(3) ليس أدل على ذلك من مقتل الخليفة عثمان بايدي عدد قليل من ثوار الأمصار الإسلامية، دون أن تكون في يد الخليفة قوة عسكرية كافية لردهم.

ينظر: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 35/1 – 36، البلاذري، انساب الاشراف، 174/6.

(4) الشريف، دور الحجاز، ص421.

(5) الثقفي، الغارات، 433/2.

(6) الثقفي، الغارات، 425/2، الشريف، دور الحجاز، ص421.

(7) النفيس، على خطى الحسين، ص94.

وقد كان تعامل الحسين (عليه السلام) مع رسائل أهل الكوفة تعاملاً طبيعياً فلو قُرأتْ خطابات الكوفيين والبصريين لوجد انها تمثل حالة ثورية، لو لم يستثمرها الحسين (عليه السلام) لاتهم بالقعود والهروب عن تحمل دوره التاريخي؛ فالعراق موطن من مواطن الشيعة ومهد للتشيع الذي وقف بوجه الحكم الأموي، وتمنى أهله زوال هذا الحكم فكاتبوا الحسن (عليه السلام)، ثم الحسين (عليه السلام) بعده، للوقوف بوجه مظالم بني أمية وذكر الحسين (عليه السلام) أثر ذلك في اتخاذه قرار التوجه إليهم بالقول: ((والله لقد حدثت نفسي باتيان الكوفة، ولقد كتب اليّ شيعتي))[1].

وفي محاورة جرت بينه وبين أحد الصحابة في الأبواء[2] سأله فيها الصحابي عن وجهته قال الحسين ((العراق وشيعتي))[3].

ولم تكن كتابتهم إليه السبب الوحيد لاتجاه الحسين (عليه السلام) نحو شيعته في الكوفة بل لأن العراق أنسب أرضية اجتماعية تتنامى فيه جماهير الثورة فيما بعد الشهادة بالرغم من ان المجتمع الكوفي قد نفذ إرادة السلطة الحاكمة في قتال وقتل الامام (عليه السلام) نظراً إلى وجود شريحة واعية لقضية أهل البيت مع قلتها إلاّ انها تمثل النواة لتنامي هذا الخط مع مرور الأيام[4].

فالحسين (عليه السلام) قد وجد من الحكمة ان يختار لمصرعه أفضل الظروف الزمانية والمكانية والاجتماعية المساعدة على كشف مظلوميته، وفضح اعدائه ونشر أهدافه، فالحسين (عليه السلام) بمنطق الشهيد الفاتح كان يريد العراق، ويصرّ على التوجه إليه لأنه أفضل أرض للمصرع المختار لما ينطوي عليه من استعداد للتأثر بالحدث والتغيير نتيجة له، لأن شيعته كانوا في العراق أكثر من وجودهم في أي اقليم إسلامي أخر، ولأن العراق لم ينغلق إعلامياً ونفسياً لصالح الأمويين كما هو في الشام[5].

فإذا أضفنا لذلك ان النبي (صلى الله عليه وآله) قد ذكر موضع قتل الحسين (عليه السلام) بكربلاء[6] وتصريحات الحسين (عليه السلام) بأنه خرج منفذاً لقدر إلهي، وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) له بذلك عبر رؤيا رآها[7] نجد ان عوامل عديدة تضافرت في هذا الاختيار الذي لم يحبذه عدد من الصحابة الذين أوصوه بعدم الوثوق بأهل الكوفة[8]، بحيث وصفت بعض المصادر المصرية

---

(1) الطبري، تاريخ، 202/6.

(2) قرية من أعمال المدينة المنورة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا، وتقع على يمين الطريق إلى مكة من المدينة وفيها قبر أم النبي (صلى الله عليه وآله)، ياقوت، معجم البلدان، 79/1.

(3) ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص201.

(4) الهديبي، قراءات في بيانات الثورة، ص169.

(5) الطبسي، وقائع الطريق، ص19 – 20.

(6) ينظر: الشيخ المفيد، الارشاد، ص364 – 365.

(7) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص69، ابن الأثير، الكامل، 402/3، ابن كثير، البداية والنهاية، 163/8.

(8) جاء ذلك على لسان عبد الله بن عباس، والمسور بن مخرمة، وبكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن جعفر، وعبد اللن بن مطيع وغيرهم. ينظر: الطبري، تاريخ، 202/6، ابن كثير، البداية والنهاية، 162/8 – 163.

الحسين (عليه السلام) بأنه اغترّ برسائل الكوفيين أهل الغدر والخيانة وخرج إليهم بغير تأني واستماع لنصائح الناصحين[1]، ويرد على هذا الاشكال القديم الجديد – وحسب ما قدمه الباحث من قراءة لأهداف الثورة الحسينية – بأن اتهام الكوفيين بالخيانة، والتخلي عن الحسين (عليه السلام) بعد وصوله إليهم، كان سيبقى مجرد رأي بلا دليل حتى يتحقق في الواقع، بينما كانت رسائلهم التي تعلن البيعة والولاء هي واقع ملموس[2]، أو بعبارة أخرى، الولاء أمر قائم، والخيانة أمر متوقع قد يحدث أو لا يحدث.

ولم يكن بوسع أبي عبد الله (عليه السلام) أن يقف موقف المتفرج الهارب بنفسه من ساحة الوغى أو الفار بدينه إلى ساحات الاعتزال والانعزال، وهي جميعها أشكال مختلفة من الهروب والتهرب من تحمل المسؤولية، وهو مسلك فضلاً عن ضرره البليغ على الواقع في تلك اللحظة فإنه يعطي مبررا لكل من تعرض لهذه الظروف أو ما شابهها أن يهرب بنفسه حتى يستوفي الأجل المحتوم، ويبقى في وجدان الأمة رمزاً من رموز الكهنوت الهارب من مواجهة الشيطان في أرض الواقع واللائذ بالنصوص والتبريرات[3].

وقد وضع الحسين (عليه السلام) نصب عينيه هدف التضحية والشهادة[4] لايقاظ الأمة من رقدتها المميتة، وتجديد روح الجهاد ومقاومة الفساد والانحراف، ولتبقى هذه الروح سارية المفعول في حياة الأمة بكل أجيالها وان هذا الهدف وذلك التصميم لديه لم تبعثه رسائل أهل الكوفة، وإنما الباعث هو الشعور بالمسؤولية أمام الله والإسلام والأمة، لأنه تكليف رباني اندفع الامام للقيام به وامتثاله[5].

إن الحسين (عليه السلام) كان يعلم انه لابد من فدية ضخمة، فدية تتوهج بالدم وكان هو الوحيد الذي يملك ان يتقدم كفدية تهز الضمير شبه الميت في قلب الأمة. ان الأمر هنا ليس حنكة سياسية وليس غفلة سياسية، ليس واقعية رومانتيكية، انه أمر واضح تماماً يرتفع عن مستوى الغفلة أو الخيال، هو موقف اشبه بموقف المسيح، موقف الفدية والمخلص، أذكى واشرف رجل في عصره يُقدّم نفسه ليوغل فيه أعداء القيم العليا ما شاء لهم انحدارهم كأخر ما يستطيع ان يصل إليه بشر، فتكون الصرخة التي توقظ ضميرا خرّبوه بكل الوسائل[6].

---

(1) ينظر: السيد، سيرة آل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) ص325، الجبري، حوار مع الشيعة، ص248 – 249، شاه، العقائد الشيعية، ص72، خليف، حياة الشعر في الكوفة، ص67.

(2) ينظر: جعفر، المشروع الاستراتيجي، ص253.

(3) النفيس، على خطى الحسين، ص94.

(4) لم يكف الحسين (عليه السلام) عن التصريح بأنه مقتول لا محالة عند وصوله إلى العراق وقد استقرأ مصيره عدد من الصحابة أيضا كابن عباس وعبد الله بن عمر.

ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 275/3، الخوارزمي، مقتل الحسين، 311/1، ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص211.

(5) الهديبي، قراءات في بيانات الثورة، ص169.

(6) صالح، اليمين واليسار، ص162.

وحينما تبرز أخلاقية الهزيمة وتترسخ وتتعمق تتحول كل محاولة جدية لمقابلة الظلم والظالمين إلى نوع من السفك والقتل في نظر المثبطين والمجمدين، هذه الأخلاقية التي يريد الامام الحسين (عليه السلام) ان يحولها إلى أخلاقية التضحية والإرادة، إلى الأخلاقية الإسلامية الصحيحة التي تمكن الإنسان المسلم من ان يقف موقفه الايجابي والسلبي على وفق ما تقرره الشريعة الإسلامية ايجاباً وسلبا، وفي عملية التحويل هذه كان الامام الحسين يواجه أدق مراحل عمله[1]، وكان يحاول أن يخلق ردود الفعل المناسبة لكي يتحرك، وكان من الأساليب التي اتخذها الامام الحسين (عليه السلام) انه حشد كل القوى والامكانيات، فلم يكتفِ بأن يعرّض نفسه للقتل عسى أن تقول اخلاقية الهزيمة: (إنه شخص حاول أن يطلب سلطانا فقُتل)، بل أراد أن يعرّض أولاده وأهله للقتل، ونساءه للسبي[2]، أراد أن يجمع على نفسه كل ما يمكن أن يجتمع على إنسان من مصائب وتضحيات وآلام لأن أخلاقية الهزيمة مهما شككت في مشروعية أن يخرج إنسان للقتل فهي لا تشكك في ان هذا العمل الفظيع الذي قامت به جيوش بني أمية،.. ضد بقية النبوة لم يكن عملاً صحيحا على كل المقاييس، وبكل الاعتبارات، كان لابد للامام الحسين (عليه السلام) من ان يُدخل في المعركة دمه وأولاده وأطفاله ونساءه وحريمه وكل الاعتبارات العاطفية... لكي يسد على أخلاقية الهزيمة كل منفذ، وكل طريق إلى التعبير عن هزيمتها وعن نوع من أنواع الاحتجاج على هذا العمل لكي يهز بذلك ضمير ذلك الإنسان المسلم المهزوز الذي تميعت ارادته[3].

ويضاف لذلك ان الحسين (عليه السلام) قد يكون رأى في وجود العائلة معه اكمالاً لما سيبدأ هو من ثورة إذ سيقع على عاتقها جزء لا يستهان به من ديمومة الثورة، فقد كان يمكن للسلطة الأموية ان تشيع براءتها من قتل الامام الحسين (عليه السلام) إلاّ ان اصطحابه لعائلته معه ومقتله، وسبي العائلة بالصورة التي نقلها المؤرخون لم تدع أي مجال للسلطة الأموية للتبرؤ من قتله. ولاسيما أن السبايا قاموا بعمل دعائي ضاهى أجهزة الدعاية الأموية، بل تفوق عليها في شرح وقائع المأساة في الأمكنة التي حلّ فيها الاسرى مبطلين زيف الدعاية الأموية في ان هذا السبي من الخوارج على السلطة الأموية، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار علم الامام الحسين (عليه السلام) بالمصير الذي سيؤول إليه لتبين لنا صواب الإجراء الذي اتخذه الامام الحسين (عليه السلام) باصطحابه النساء والأطفال معه في سيره إلى كربلاء.

ولا شك في أن الامام الحسين (عليه السلام) قد خاف ان ينكل بنسائه[4] وأطفاله أو يتم إيذاءهم وأسرهم للضغط عليه في حال قيامه بالثورة[5]، ((ولم يخطيء الحسين حين أبى ان يترك أهل

---

(1) الصدر، الحسين يكتب، ص86 – 87.

(2) رد الحسين (عليه السلام) على من ساءل عن حمله للنساء معه بالقول: ((ان الله قد شاء ان يراهُنّ سبايا)). ابن طاووس، اللهوف، ص41.

(3) الصدر، الحسين يكتب، ص109 – 110.

(4) ينظر على سبيل المثال ما فعله الامويون مع زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي المتهم بالتشيع للامام علي (عليه السلام) عندما سجنوها حتى قبضوا على زوجها. ابن الاثير، اسد الغابة، 101/4.

(5) ذكر ابن طاووس: انه لو تركهن (عليه السلام) بالحجاز أو غيرها من البلاد، كان يزيد... قد ينفذ ليأخذهن إليه ويصنع بهن من الاستئصال وسوء الاعمال ما يمنع الحسين (عليه السلام) من الجهاد والشهادة ويمتنع (عليه السلام) – بأخذ يزيد بن معاوية لهن – عن مقامات السعادة. اللهوف، ص53.

بيته بالحجاز، فلم يكن يأمن ان يأخذهم يزيد بمسيره هو إلى العراق))[1] ويجبره بذلك على الاستسلام[2].

جدّ الامام الحسين (عليه السلام) في المسير إلى العراق، ماراً في طريقه بالعديد من المواقع والمنازل، لبث في بعضها يوماً وليلة، فيما بقي في بعضها يوماً، ولم يلبث في بعضها الآخر إلاّ لأداء الصلاة، أو لسويعات قليلة، ومرّ في امكنةٍ أخرى بلا توقف. وعلى الرغم من عدم ورود أسماء عدد من أسماء المواقع التي مرّ بها الحسين (عليه السلام) في المصادر التاريخية، فإن الباحث تتبع الطريق بين مكة والكوفة، وأشار إلى المواضع التي تقع عليه والتي لابدّ لمن يسلكه من المرور بها، فثبّتها من ضمن المواقع التي قد مرّ بها الحسين (عليه السلام)، وأشار إلى ذلك في مواضعه.

كان أول موضع نزل فيه الحسين (عليه السلام) هو بستان بني عامر[3] ففي رواية ان الامام الحسين (عليه السلام) لقي في هذا الموضع الفرزدق الشاعر[4]. وقد روي عن الفرزدق ما يؤكد ذلك إذ قال: ((حججت بامي،... إذ لقيتُ الحسين بن علي خارجاً من مكة معه اسيافه وأتراسه، فقلتُ لمن هذا القطار ؟ فقيل: للحسين بن علي، فأتيته... ثم سألني: فمن أنت ؟ فقلت له: امرؤٌ من العراق؛... فقال: اخبرني عن الناس خلفك ؟... فقلت له: القلوب معك، والسيوف مع بني أمية، والقضاء بيد الله؛ قال: فقال لي: صدقت))[5].

وزاد الشيخ المفيد[6] وابن كثير[7] في قول الحسين (عليه السلام): ((صدقت لله الأمر وكل يوم ربنا هو في شأن، ان نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وان حال القضاء دون الرجاء فلم يبعد من كان الحق نيته، والتقوى سريرته)).

وروى سبط ابن الجوزي[8] ان الحسين (عليه السلام) أجاب الفرزدق فقال: ان هؤلاء – بني أمية – قوم لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، واظهروا الفساد في الأرض، وابطلوا الحدود وشربوا الخمور واستأثروا بأموال الفقراء والمساكين وانا أولى من قام بنصرة دين الله، واعزاز شرعه، والجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا؛ فاعرض عنه الفرزدق وسار.

---

(1) حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 239/2.

(2) الشريف، دور الحجاز، ص422.

(3) ويعرف ببستان ابن معمر وهو موضع معروف ببطن نخلة. ياقوت، معجم البلدان، 414/1.

(4) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، 140/2، وقد انفرد صاحب التذكرة بخبر نزول الحسين (عليه السلام) في هذا الموضع من بين كل المؤرخين المتقدمين.

(5) الطبري، تاريخ، 204/6.

(6) الارشاد، ص318.

(7) البداية والنهاية، 166/8.

(8) تذكرة الخواص، 140/2.

وقد تفاوتت المصادر التاريخية[1] في الموضع الذي لقي فيه الحسين (عليه السلام) الفرزدق، فذكرت بعض الروايات ان هذا اللقاء تم في مراحل لاحقه في طريق الحسين (عليه السلام)، وتبدو الرواية المتقدم ذكرها اقربها إلى الدقة لأنها رويت عن ابن الفرزدق، ولأنها نصت على ان اللقاء كان في بستان بني عامر أو في اطراف مكة، وكان في يوم التروية ((فلابد ان يكون مكان اللقاء على هذا القرب من مكة حتّى يستطيع الفرزدق مع أمه ادراك أعمال الحج في وقتها))[2].

سار الحسين (عليه السلام) من بستان بني عامر حتى وصل إلى التنعيم[3]، وفي هذا المكان لقي قافلة بعث بها عامل يزيد على اليمن، وفي هذه القافلة الورس[4] والحلل[5]، هدية إلى يزيد فأخذها الحسين (عليه السلام) ثم قال لأصحاب الابل: لا اكرهكم، مَن أحبّ ان يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسنا صحبته، ومن أحب ان يفارقنا من مكاننا هذا اعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض، فمن فارقه منهم حوسب فأوفى حقه، ومن مضى منهم معه اعطاه كراءه وكساه[6]. ولعل ما يقوي خبر أخذ القافلة ان هناك رواية تتحدث عن ورس أنتهب من مخيم الحسين (عليه السلام) بعد مقتله[7].

ولم تشر المصادر إلى امتناع حصل من حملة هذه المواد في تسليمها إلى الحسين (عليه السلام)، ولا إلى حراسةٍ مرافقة لها، وكل ما ذُكر ان الأمر تم بعملية سلمية، إذ انصاع بعض اصحاب الجمال إليه واستأجرهم عليها إلى الكوفة، ودفع إليهم اجرتهم. كما لم يُعلل أخذ الحسين (عليه السلام) لهذه القافلة عدا ما ذكره ابن طاووس بأنه أخذ ((الهدية لأن حكم أمور المسلمين إليه))[8]. وينطلق ابن طاووس في هذا من منظور عقيدته بأن الحسين (عليه السلام) أولى من يزيد بإمامة المسلمين. ولم يرد ما يشير إلى غاية الحسين (عليه السلام) من هذا الفعل الذي ظلت حكمته غائبة.

---

(1) فذكر بعضهم انه كان في الصفاح، أو ذات عرق، أو بعد زبالة، ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص68، ابن خياط، تاريخ، ص143، البلاذري، انساب الاشراف، 376/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص245، ابن الأثير، الكامل، 401/3 – 402، ابن طاووس، اللهوف، ص46.

(2) الطبسي، وقائع الطريق، 187/3.

(3) موضع على فرسخين [ست أميال] من مكة وقيل اربعة وسمي بذلك لأن على يمينه جبل نعيم، وعلى يساره جبل ناعم، والوادي يدعى نعمان فسمي الموضع بالتنعيم. البكري، معجم ما استعجم، 321/1، ياقوت، معجم البلدان، 49/2.

(4) نبت أصفر يكون باليمن، تتخذ منه الغُمرة للوجه، وصبغ للثياب. ابن منظور، لسان العرب، مادة ورس.

(5) برود اليمن ولا تسمى حُلة حتى تكون ثوبين، المصدر نفسه، مادة حلل.

(6) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص68، البلاذري، انساب الاشراف، 375/3 – 376، الدينوري، الأخبار الطوال، ص245، الطبري، تاريخ، 203/6، الخوارزمي، مقتل الحسين، 317/1 – 318، ابن كثير، البداية والنهاية، 166/8.

(7) الدينوري، الأخبار الطوال، ص258.

(8) اللهوف، ص44.

مع ان أحد الكتّاب المصريين رأى شرعية هذا العمل عندما قال:

((وكما لم يعرف المسلمون تفاصيل الحقوق والواجبات بين كل من الامام والبغاة إلا بالمرجعية إلى سلوك الامام علي في قتال البغي، فكذلك علم من مسلك الامام الحسين ان أموال النظام الجائر حِلٌ للخارجين بالحق، وان لم يوصف النظام بالكفر الصراح))[1].

ثم سار الحسين (عليه السلام) حتى وصل إلى الصفاح[2] وفيها على بعض الروايات لقي الفرزدق[3]، وسار من الصفاح حتى نزل ذات عرق[4]، وفيها لقي بشر بن غالب الاسدي قادماً من العراق فلما سأله الامام عن حال أهلها، أجابه بما اجاب الفرزدق من قبل قلوبهم معه وسيوفهم مع بني أمية[5].

وروى البلاذري بأن عون بن عبد الله بن جعدة بن هبيرة لحق بالامام الحسين (عليه السلام) بذات عرق بكتاب أبيه يسأله الرجوع، ذاكراً ما يخافه عليه من هذا المسير[6].

ويبدو ان البلاذري قد شبه عليه اسم جعفر وجعدة إذ ان الثابت تاريخياً هو التحاق عون ومحمد ولديّ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالامام الحسين (عليه السلام) بعد خروجه من مكة، فجاءاه وهما يحملان رسالة أبيهما إليه[7]. فضلاً عن أن أبناء جعدة بن هبيرة كانوا في الكوفة، وكانوا ممن كتبوا إلى الامام (عليه السلام) يخبرونه بحسن رأي أهل الكوفة فيه، وحبهم لقدومه، وتطلعهم إليه[8].

خرج الحسين (عليه السلام) من ذات عرق مواصلاً سيره حتى أتى غمرة[9]، ثم رحل منها قاصداً مسلح[10]، ومنها إلى الافيعية[11]، وتابع سيره منها إلى معدن سليم[12]، ثم رحل إلى

---

(1) الصدفي، شريف راشد، أبدا حسين، ط قم، 1425هـ/2004م.

(2) موضع بين حنين وانصاب الحرم على يسار الداخل إلى مكة. ياقوت، معجم البلدان، 412/3.

(3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص68، البلاذري، انساب الاشراف، 376/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص245، الطبري، تاريخ، 204/6، ابن الأثير، الكامل، 401/3 – 402، شريفي، موسوعة كلمات الامام الحسين، ص336.

(4) وهو الحد بين نجد وتهامة، وعرق جبل بطريق مكة ومنه ذات عرق. ياقوت، معجم البلدان، 108/4.

(5) ابن خياط، تاريخ، ص143 ويختلف مع المصادر بأن من التقاه الحسين (عليه السلام) هو الفرزدق وليس بشر، ابن اعثم، الفتوح، 69/5 – 70، الخوارزمي، مقتل الحسين، 318/1، ابن طاووس، اللهوف، ص90، شريفي، موسوعة كلمات الامام الحسين، ص337.

(6) انساب الاشراف، 377/3.

(7) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص69، الطبري، تاريخ، 205/6، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 377/4، ابن الأثير، الكامل، 402/3، النويري، نهاية الارب، 410/20، ابن كثير، البداية والنهاية، 167/8.

(8) ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 366/3.

(9) منهل من مناهل طريقة مكة، ومنزل من منازلها وهي تفصل بين تهامة ونجد. ياقوت، معجم البلدان، 212/4. (لم ترد في المصادر التاريخية في مسار الحسين عليه السلام).

(10) موضع من اعمال المدينة قبل ذات عرق [للقادم من الكوفة] يُحرم منه الشيعة. ابن عبد الحق البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن (ت731هـ/1338م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، ط بيروت، 1373هـ/1954م، 1271/3. (لم ترد في المصادر التاريخية في مسار الحسين عليه السلام).

(11) وتقع في الطريق النجدي إلى مكة من الكوفة. ياقوت، معجم البلدان، 233/1. (لم ترد في المصادر التاريخية في مسار الحسين عليه السلام).

(12) من اعمال المدينة ويقال له معدن فرات، وهو ماء لبني سليم. ياقوت، معجم البلدان، 245/4، ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الإطلاع، 1288/3. (لم ترد في المصادر التاريخية).

عمق[1]، ثم اجتاز هذا الموضع حتى وصل إلى السليلية[2]، ثم ارتحل إلى مغيثة الماوات[3]، وسار منها إلى النقرة[4]. ثم وصل إلى الحاجر من بطن الرمة[5]، ومن هناك بعث قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة وكتب معه إليهم:

((... أما بعد فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا... وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم وجدّوا، فاني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله))[6].

ولا ندري لماذا تأخر الحسين (ع) في ارسال رسالته حتى هذا الموضع، وقد يكون اثر ذلك حتى يأمن الطريق، فأوصى الكوفيين بالثبات على أمرهم وأخبرهم بسرعة قدومه إليهم وثبّت تاريخ شخوصه نحوهم.

وفي رواية أخرى يذكرها الشيخ المفيد ان الامام (ع) ارسل في هذا المكان أخاه في الرضاعة عبد الله بن يقطر[7] وبغض النظر عن الخلاف فيمن أرسله الحسين (ع) من هذا الموضع فقد ذكرت المصادر انه أرسل مبعوثين لم ينجحا في مهمتهما، وانتهى أمرهما إلى الوقوع في أسر الحصين قائد ابن زياد في القادسية، الذي بعث بهما إليه فقتلا كما ذكرنا ذلك. ويرجح ان احدهما قد ارسل إلى مسلم بن عقيل، والآخر إلى أهل الكوفة ومن مواضع مختلفة.

سار الحسين (ع) من الحاجر حتى وصل إلى ماء من مياه العرب فإذا عليه عبد الله ابن مطيع العدوي فناشد الحسين (ع) بعدم اتيان الكوفة، وبترك التعرّض لبني أمية، قائلاً: ((... فوالله لئن طلبت مافي ايدي بني أمية ليقتُلُنّك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً. والله انها لحُرمة الإسلام تُنتهَك، وحُرمة قريش، وحُرمة العرب... فأبى [الحسين] إلاّ أن يمضي))[8].

---

(1) وتقع على جادة الطريق إلى مكة بين معدن سليم وذات عرق، ياقوت، معجم البلدان، 156/4 – 157. (لم ترد في المصادر التاريخية في مسار الحسين (ع)).

(2) ماء على الطريق من مكة إلى الربذة وبينه وبين الربذة ستة وعشرون ميلا. ياقوت، معجم البلدان، 243/3. (لم ترد في المصادر التاريخية في مسار الحسين (ع)).

(3) منزل في طريق مكة ما بين النقرة والربذة، وكانت مدينة خربت وبها بركة وآبار. ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الإطلاع، 1293/3 – 1294. (لم ترد في المصادر التاريخية في مسار الحسين (ع)).

(4) موضع بطريق مكة، وهي من منازل حاج الكوفة، وفيها بركة وثلاثة آبار ماؤهن عذب وفيها آبار صغار للأعراب تنزح عند كثرة الناس، المصدر نفسه، 138/3. (لم ترد في المصادر التاريخية).

(5) فاما الحاجر فهو ما يمسك الماء في شفة الوادي. ياقوت، معجم البلدان، 204/2، وبطن الرمة: وادٍ معروف بنجد تصب فيه أودية. المصدر نفسه، 449/1.

(6) ينظر بتفاوت في الألفاظ: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص71 – 72، البلاذري، انساب الاشراف، 378/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص245 – 246، الطبري، تاريخ، 209/6، ابن كثير، البداية والنهاية، 168/8.

(7) الارشاد، ص320.

(8) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص72 – 73، الطبري، تاريخ، 210/6، ابن الأثير، الكامل، 402/3 – 403.

ويقف الباحث متشككاً من صدق العدوي، أو خوفه على الحسين (عليه السلام)، إذ انه من الذين انضموا إلى حركة ابن الزبير، وأصبح عاملاً له على الكوفة ثم ((جعل يطلب الشيعة ويخيفهم))[1].

قصد الركب الحسيني توز[2] ومنها سار حتى وصل إلى فيد[3]، ثم قصد الأجفر[4] حتى نزل الخزيمية[5]، وأقام بها يوماً وليلة، وفيها ابلغته السيدة زينب بنت علي (عليها السلام) بأنها سمعت هاتفاً يقول:

ألا يــا عــين فــاحتفلي بجهــد	ومن يبكي علــى الــشهداء بعــدي
علــى قــوم تــسوقهم المنايــا	بمقــدارٍ إلــى إنجــاز وعــدِ

فقال لها الامام الحسين (عليه السلام): كل ما قضي فهو كائن[6].

ومن الخزيمية سار الحسين (عليه السلام) إلى زرود[7] فإذا فسطاط مضروب لزهير بن القين البجلي، الذي كان قد خرج من مكة في نفس الوقت الذي خرج فيه الحسين (عليه السلام) ولكنه كان يتحاشى مسايرة الحسين (عليه السلام) ويبغض النزول معه في منزل[8]، وقد وصف بأنه كان عثمانيا[9] فبعث إليه الحسين (عليه السلام) ليأتيه، فحدثه، فعاد مستبشراً إلى من صحبه من بني بجيلة وفزارة، عازماً على صُحبة الحسين (عليه السلام) ليفديه بنفسه، فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم وحُمل إلى الحسين (عليه السلام)، ثم طلق امرأته وأمرها باللحاق بأهلها متمنياً ألا يصيبها بسببه غير الخير، وخيّر أصحابه ان يتبعونه وإلاّ فإنه آخر العهد[10]، ثم قال: ((انـي سـأحدثكم حديـثا، غزونـا

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، 180/2، ويورد اليعقوبي في نفس الصفحة ان العدوي قاد الجيوش لمحاربة المختار، واستعان على قتاله بقتلة الامام الحسين (عليه السلام) انفسهم، وكانت الحرب بينه وبين المختار من اشد الحروب وأصعبها.

(2) منزل في طريق مكة، وهي جبل يسمى المخروق لأن في أعلاه خرقاً صار مثل باب إلى فضاء. ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الإطلاع، 280/1. (لم ترد في المصادر التاريخية في مسار الحسين عليه السلام).

(3) بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة يودع الحاج فيها أزوادهم، وما يثقل من امتعتهم عند أهلها، فاذا رجعوا أخذوا أزوادهم. ياقوت، معجم البلدان، 282/4. (لم ترد في المصادر التاريخية في مسار الحسين عليه السلام).

(4) موضع بين فيد والخزيمية بينه وبين فيد ستة وثلاثون فرسخا نحو مكة، فيه ماء لبني يربوع. ياقوت، معجم البلدان، 102/1. (لم ترد في المصادر التاريخية في مسار الحسين عليه السلام).

(5) منسوبة إلى خزيمة بن خازم، وهي منزل من منازل الحاج بينها وبين الثعلبية اثنان وثلاثون ميلاً. ياقوت، معجم البلدان، 370/2.

(6) ابن اعثم، الفتوح، 70/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 323/1 – 324.

(7) رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج إلى الكوفة. ياقوت، معجم البلدان، 139/3.

(8) الطبري، تاريخ، 210/6، ابن طاووس، اللهوف، ص45.

(9) البلاذري، انساب الاشراف، 378/3، ابن الأثير، الكامل، 403/3.

(10) ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص73 – 75، الدينوري، الأخبار الطوال، ص246 – 247، الطبري، تاريخ، 210/6، ابن طاووس، اللهوف، ص45 – 46.

بلنجر[1]، ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلي[2] أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم ! فقلنا: نعم، فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد، فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم منكم بما أصبتم من الغنائم، فأما انا فاني استودعكم الله))[3].

ولم تذكر المصادر فحوى الحديث الذي جرى بين الحسين (عليه السلام) وزهير الذي لم يكن إلا مجافياً، وكيف تحول بهذه السرعة إلى ولاء الحسين (عليه السلام) والتضحية في سبيل قضيته، وهل وجد في حديث سلمان الباهلي مصداقاً لما رآه في خروج الحسين (عليه السلام) ؟ وما الذي جعله يدرك انه مقتول فودع أصحابه، وقال بأنه آخر العهد، ولم يكن حتى ذلك الوقت ما يشير إلى خروج الكوفة من يد الحسين (عليه السلام)؟ وما معنى الاستبشار الذي علا وجهه وهو يتوجه إلى الموت؟ انها اسئلة لم تُجب عليها المصادر.

ومن زرود سار الحسين (عليه السلام) حتى وصل الثعلبية[4]، وفي هذا الموضع وصله الخبر بمقتل مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة من رجلين اسديين اشفقا على الحسين (عليه السلام) من مواصلة السير فقالا: ((ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوف ان تكون عليك ! قال: فوثب عند ذلك بنو عقيل ابن أبي طالب... قالوا: لا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا، أو نذوق ما ذاق أخونا))[5].

وفي رواية ثانية[6] ان الحر بن يزيد التميمي هو الذي لقي الحسين (عليه السلام) بالخبر فقال له: ((ارجع فاني لم ادع لك خلفي خيراً أرجوه، فهمّ ان يرجع، وكان معه اخوة مسلم بن عقيل، فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا أو نُقتل؛ فقال: لا خير في الحياة بعدكم !)).

وفي رواية ثالثة وردت لدى الشيخ المفيد[7] والخوارزمي[8] ان الامام الحسين (عليه السلام) بعد ان سمع بمقتل مسلم وهانئ نظر إلى بني عقيل فقال: ما ترون ؟ فقد قُتل مسلم فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا.

---

(1) مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب، فتحها سلمان بن ربيعة الباهلي واستشهد فيها، وكان الترك قد أخذوا سلمان بن ربيعة وجعلوه في تابوت، يستسقون به إذا قحطوا لأنهم كانوا يرون نوراً على مصرعه ومصارع أصحابه في بلنجر. ياقوت، معجم البلدان، 490/1.

(2) هو سلمان بن ربيعة أحد بني قتيبة بن معن بن مالك، كوفي، له صحبة، كان عمر بن الخطاب (رض) قد بعثه قاضياً بالكوفة قبل شريح، فلما ولي سعد الولاية الثانية الكوفة استقضاه أيضاً، كان الأمير في غزاة بلنجر واستشهد فيها وأختلف في سنة شهادته فقيل 28هـ/648م وقيل 30هـ/650م.

ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، 61/2 – 62، ابن الاثير، اسد الغابة، 327/2؛ ابن حجر، الاصابة، 61/2.

(3) الطبري، تاريخ، 210/6، ويتضح من ترجمتي بلنجر، وسلمان الباهلي دقة الخبر التاريخي الذي ورد عند الشيخ المفيد، أيضاً، الارشاد، ص322.

(4) يوردها أحد الكتّاب المصريين خطأ باسم التغليبية. ينظر: محمد، أهل البيت في مصر، ص68.

(5) الطبري، تاريخ، 211/6، وباختلاف بسيط في الألفاظ: البلاذري، انساب الاشراف، 379/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص247، الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص111، ابن كثير، البداية والنهاية، 168/8 – 169.

(6) الطبري، تاريخ، 205/6، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 379/4، ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص298.

(7) الارشاد، ص323.

(8) مقتل الحسين، 328/1.

ويرجح الباحث الرواية الأولى الواردة لدى البلاذري والدينوري والطبري والاصفهاني وابن كثير، وهي لا تذكر رغبة للحسين (عليه السلام) بالعودة، وإنما تنصّ على نُصح الاسديان، ورفض بني عقيل للعودة. وهذا يتفق مع كل ما قدمناه من عزم الحسين (عليه السلام) على الشهادة والمضي في طريقه على كثرة وعظمة التضحيات.

ويبدو ان الخلل الذي وقع فيه نقلة الرواية الثانية ودفعهم إلى القول بأن الحسين (عليه السلام) همّ بالرجوع كما ورد لدى ابن عبد ربه، وابن حجر يعود إلى ورود عبارة ((فاسترجع الحسين))[1] عندما سمع بمقتل مسلم وهانئ وهي عبارة قد توهم بأن المقصود هو الرغبة بالرجوع لاسيما وان بني عقيل يقولون بعدها: لا نرجع والله ابداً.

وفي رواية الشيخ المفيد والخوارزمي اللذين زادا كلمة الحسين (عليه السلام) لبني عقيل: ((ما ترون ؟ فقد قتل مسلم، فقالوا: والله لا نرجع...)) قد توحي بمعنى الرجوع أيضاً ومما يَردُّ ذلك ان الحسين (عليه السلام) لم يقل: ما ترون ؟ على سبيل استشارة بني عقيل في المضي أو الرجوع عن العراق وإنما يُفهم منها انها كانت تخييراً لهم في المضي معه أو تركه لاسيما وان المصادر[2] صرحت انه توجه إلى الناس مخبراً اياهم بحراجة موقفه وتاركاً لهم حرية البقاء معه أو التفرق عنه. ومنهم بني عقيل انفسهم الذين قال لهم: ((حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم اذهبوا فقد اذنت لكم))[3].

ثم ألم يكن القتل متوقعاً لمسلم ولبني عقيل بل ولجميع من لحق بركب الحسين (عليه السلام) الذي كتب لبني هاشم قبل ان يغادر مكة: ((أما بعد: فإنه من لحق بي منكم استشهد، ومن تخلف عني، لم يبلغ الفتح))[4].

والحسين (عليه السلام) لم يُخفِ عمن استقطبه في الطريق من اصحاب غايته ووجهته وهدفه، والمقبل عليه من الشهادة، وفي ما فعله زهير بن القين دليل صارخ إذ طلق امرأته وأخبر صحبه انه آخر عهده بهم.

لماذا إذن يكون رد الذاهب إلى الشهادة، والغاية العظيمة، الهمّة بالرجوع لأول شهيد، فلا يعيده إلى طريقه إلاّ غاية – ما عرفت سبيلها إلى بيت النبوة يوماً غاية – قبلية مقيتة حاربها الإسلام وأدانها وهي الثأر ؟!!.

ويجد الباحث نفسه مشاطراً لأحد الكتّاب المصريين المنصفين رأيه إذ فسر مضمون الرواية الثانية بالقول:

ان ما تحاول هذه الرواية اثباته ان الامام الحسين (عليه السلام) أُصيب بالاحباط فور علمه بنبأ مقتل مسلم، وقرر العودة، وفي هذا إشارة إلى ان خروجه لم يكن بهدف الثورة كما انه لم

---

(1) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص111، وقد كان ابن كثير أكثر وضوحاً عندما ذكر ان الحسين (عليه السلام) قال: ((إنا لله وإنا إليه راجعون مراراً)). البداية والنهاية، 168/8.

(2) ينظر: الطبري، تاريخ، 212/6، ابن كثير، البداية والنهاية، 169/8.

(3) ابن طاووس، اللهوف، ص58.

(4) المصدر نفسه، ص42.

يكن يقوم على أساس خطة منظمة، ثم ان اصرار اخوة مسلم على مواصلة السير للأخذ بثأر اخيهم، يُظهر ان موقفهم كان ردة فعل لمقتل مسلم، ولم يكن نابعاً من إيمانهم بالإسلام النبوي الذي يقاتلون تحت لوائه، وبالإمام الحسين قائدهم[1].

ومع رجحان الوضع في هذه الرواية فقد انساق كاتب مصري وراءها ليتخذها دليلاً على ضعف قيادة الحسين (عليه السلام) بحيث يقوده ابناء مسلم إلى التهلكة، فتأخذ الكاتب الدهشة من موقفهم في الثأر لأخيهم، ((فهم يعلمون ان الذي قتل اخاهم الدولة، فهل كان في مقدورهم وهم على قلتهم ان يتصدوا للدولة ليثأروا منها، الحق انه منطق عجيب فقد عرضوا انفسهم وابن عمهم للهلاك))[2].

وقد أصاب الكاتب من حيث اخطأ فما نقله دليل فعلي على خطل هذه الرواية واضطرابها، ومع ذلك فقد اعتمدها عدد من الكتّاب المصريين للقول بأن الحسين (عليه السلام) همّ بالرجوع بعد أن علم بمقتل مسلم وهانئ في الكوفة[3].

وعلى الرغم من ان اغلب الكتّاب المصريين تجاهلوا مراحل الطريق التي سار فيها الامام الحسين (عليه السلام) والأحداث التي جرت فيها باستثناء عدد محدود منهم[4]، فانهم أجمعوا على أمرين فيها:

الأول: هو لقاء الحسين (عليه السلام) وحديثه مع الفرزدق[5].

الثاني: هو إصرار اخوة مسلم على الاستمرار بالمسير إلى الكوفة بعد وصول خبر مقتل أخيهم، ونزول الحسين (عليه السلام) على رأيهم[6].

---

(1) الورداني، السيف والسياسة، ص146.

(2) عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص475.

(3) ينظر: الخربوطلي، عشر ثورات، ص81، عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص474 – 475، حسن، تاريخ الإسلام، 399/1، شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص316، سرور، الحياة السياسية، ص136 – 137، صالح، العرب والإسلام، ص316، محمد، حضارة الدولة العربية، ص160، الجمل، سيرة الحسين، ص84.

(4) ينظر: غنيم، الثورات العلوية، ص168، أبو السعود، الشيعة، ص77 – 81، عويس، شهيد كربلاء، ص150 – 165، أبو النصر، الحسين بن علي، ص82 – 108، أبو علم، الحسين، بن علي، ص120 – 130، ونقل بعض مراحل الطريق كل من: شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، 199/2 – 201، ابراهيم، أيام العرب، ص414 – 416، قرون، عظمة الامام الحسين، ص64 – 70.

(5) ينظر: حسن، تاريخ الإسلام، 399/1، الجبري، حوار مع الشيعة، ص247، شاهين، الدوين الأموية، ص312، لطفي، الشهيد الخالد، ص44، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص83، سعد، السيدة زينب، ص42، عيسى، دم الحسين، ص32، صالح، العرب والإسلام، ص315، أبو كف، آل بيت النبي، ص24، محمد، أهل البيت في مصر، ص67، أبو علم، الحسين بن علي، ص120، النجار، الدولة الأموية في الشرق، ص68، غريب، الامام الحسين، ص76 – 77، ماجد، التاريخ السياسي، 73/2، خالد، أبناء الرسول، ص104 – 105، ابراهيم، أيام العرب، ص414، وقد أجمعوا على هذا اللقاء دون تحديد مكانه.

(6) ينظر: سرور، الحياة السياسية، ص137، صالح، العرب والإسلام، ص216، محمد، حضارة الدولة العربية، ص160، عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص475، شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص316، الجمل، سيرة الحسين، ص84، أبو النصر، الحسين بن علي، ص96، منصور، الشقيقان في كربلاء، ص52، لطفي، الشهيد الخالد، ص46، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص86، سعد، السيدة زينب، ص43، محمد، أهل بيت النبي في مصر، ص68، النجار، الدولة الأموية في الشرق، ص86، قرون، عظمة الامام الحسين، ص66، عويس، شهيد كربلاء، ص151، أبو السعود، الشيعة، ص78، ابراهيم، أيام العرب، حسن، التاريخ الإسلامي، ص475.

ويبدو أن التركيز على ذلك – من بعضهم – كان لغرض تحميل اطراف عديدة مقتل الحسين (عليه السلام)، لكي لا يتحمل الأمويون ويزيد خاصة وزر هذه الرزية الإسلامية. فأهل الكوفة ملامون، وأخوة مسلم، والحسين نفسه ملام عندهم لأنه لم يأخذ بنصائح الصحابة في مكة أولاً وبنصيحة الفرزدق في الطريق ثانيا، ومن ثم ألقى بنفسه للتهلكة ليأخذ بثأر مسلم ثالثا[1] !!!.

كان نزول الامام الحسين (عليه السلام) في الثعلبية وقت الظهيرة، فاغفى اغفاءة قصيرة ثم انتبه وقال لابنه علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) بأنه رأى في المنام فارساً يهتف بهم ويقول: انتم تسرعون والمنايا تسرع بكم إلى الجنة، فعلمت ان انفسنا نُعيت إلينا، فقال له السجاد (عليه السلام): يا أبة، أفلسنا على الحق !؟ فأجاب الامام الحسين (عليه السلام) بالايجاب، فلم يبالِ السجاد بالموت[2].

وقد علق كاتب مصري على ثبات الحسين (عليه السلام) بعد هذه الرؤيا بالقول: لقد كان الحسين مصراً على المضي إلى هدفه كأنه سائر بوحي إلهي لا يستطيع البشر إدراك أغراضه الجليلة[3] بينما عدّ آخر[4] خبر هذه الرؤيا خبراً كاذباً فهي – في رأيه – تبرير ساقه بعض المؤرخين لاسناد خروج الحسين (عليه السلام) إلى سبب غيبي ايماني لا يملك إلا طاعته، وعدّ ذلك احتيال من المؤرخين للتخلص من تهمة وخزي تخاذل أهل الكوفة في نصرة الامام الحسين(عليه السلام).

وقد جهد هذا الكاتب في كل مرة إلى رد روايات المصادر التاريخية التي لا تتفق مع هواه، باتهام رواتها بالتشيع، أو اتهام المؤرخين انفسهم الذين نقلوا تلك النصوص في كتبهم بالتشيع أو التواطؤ مع الشيعة لنقل أخبار لم يفندها بانتقاد علمي وإنما باتهام كل شيعي بالكذب، وبغض الأمويين.

التقى الحسين (عليه السلام) في هذا الموضع بأبي هرة الازدي، وهو رجل من أهل الكوفة، فسأل الحسين (عليه السلام) عن سبب تركه حرم الله وحرم جده (صلى الله عليه وآله) فأجاب الامام (عليه السلام):

((يا أبا هرة، ان بني أمية اخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت ! وأيم الله يا أبا هرة، لتقتلني الفئة الباغية وليلبسهم الله ذلاً شاملاً وسيفا قاطعاً...))[5].

---

(1) ينظر على سبيل المثال: صالح، العرب والإسلام، ص315، السيد، سيرة آل بيت النبي، 325، فرحات، دراسة في تحقيق كتاب قيد الشريد، ص76.

(2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص92، الطبري، تاريخ، 217/6، وذكر ان الحادثة حصلت عند ارتحال الامام الحسين (عليه السلام) من قصر بني مقاتل، ابن اعثم، الفتوح، 70/5 – 71، الخوارزمي، مقتل الحسين، 324/1، ابن طاووس، اللهوف، ص44.

(3) لطفي، الشهيد الخالد، ص45.

(4) شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص314.

(5) ابن اعثم، الفتوح، 71/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 324/1، ابن طاووس، اللهوف، ص45.

وقد كذّب شاهين هذه الرواية أيضاً وقال: ان هذا إدعاء ابن اعثم وهو كذب صريح خاصة وان ابن اعثم مغال في تشيعه ومشهور برواية الأكاذيب[1].

وليس في هذا الحديث ما ينكر وليس فيه ما لا يتوافق مع الواقع التاريخي. فلا يثبت تكذيب شاهين، فقد ضيّق الأمويون على الحسين (عليه السلام) وطلبوه حتى في حرم الله، فخرج يتقي بغيهم، فلم يلبثوا حتى قتلوه.

رحل الامام الحسين (عليه السلام) من الثعلبية إلى بطان[2] ثم اجتازها وسار إلى الشقوق[3] ومنها إلى زبالة[4] وفي هذا الموضوع وصله خبر مقتل أخيه من الرضاعة عبد الله بن يقطر، فخطب فيمن كان معه، وأخبرهم بخذلان شيعته، وخيّرهم بين البقاء معه أو الانصراف عنه، فتفرق الناس الذين صحبوه، فأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في اصحابه الذين جاؤوا معه من الحجاز[5]، وإنما ((فعل ذلك لأنه ظن إنما اتبعه الاعراب، لأنهم ظنوا انه يأتي بلداً قد استقامت له طاعةُ أهله، فكره ان يسيروا معه إلاّ وهم يعلمون علامَ يقدمون، وقد علم انهم إذا بيّن لهم لم يصحبه إلاّ من يريد مواساته والموت معه))[6].

ثم ارتحل الحسين (عليه السلام) من زبالة إلى القاع[7]، ومن القاع إلى بطن العقبة[8]، فلقيه شيخ من بني عكرمة وطلب منه الانصراف والرجوع لأنه لا يقدم إلاّ على الأسنة وحدّ السيوف، فقال له الامام: ((يا عبد الله، انه ليس يخفى علي، الرأيُ ما رأيتَ، ولكن الله لا يُغلب على أمره؛ ثم ارتحل منها))[9] وفي رواية الدينوري[10] ان الشيخ أخبر الحسين (عليه السلام) باجراءات ابن زياد ونشره الجيش ما بين القادسية والعذيب.

---

(1) الدولة الأموية المفترى عليها، ص312.

(2) منزل بطريق الكوفة بعد الشقوق من جهة مكة دون الثعلبية. ياقوت، معجم البلدان، 446/1. (لم ترد في المصادر التاريخية في مسار الحسين عليه السلام).

(3) منزل بطريق مكة بعد واقصة للقادم من الكوفة. المصدر نفسه، 356/3. وروي ان الحسين (عليه السلام) لقي الفرزدق في هذا الموضع. ابن اعثم، الفتوح، 71/5 – 73، الخوارزمي، مقتل الحسين، 321/1 – 322.

(4) منزل معروف بطريق مكة من الكوفة وهي قرية بها اسواق. ياقوت، معجم البلدان، 129/3.

(5) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص78 – 79، البلاذري، انساب الاشراف، 380/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص248، الطبري، تاريخ، 211/6 – 212، الخوارزمي، مقتل الحسين، 328/1 – 329، ابن الأثير، الكامل، 404/3، ابن كثير، البداية والنهاية، 169/8 وذكر ان الحادثة حصلت بزرود.

(6) الطبري، تاريخ، 212/6، ابن كثير، البداية والنهاية، 169/8.

(7) منزل في طريق مكة بعد العقبة لمن يتوجه إلى مكة، ومنها يتوجه إلى زبالة. ياقوت، معجم البلدان، 298/4 (لم ترد في المصادر التاريخية التي ذكرت مسار الحسين عليه السلام).

(8) منزل في طريق مكة بعد واقصة، وهو ماء لبني عكرمة بن وائل. المصدر نفسه، 134/4.

(9) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص79 – 80، الدينوري، الأخبار الطوال، ص248 وسماها بطن العقيق بدلاً من بطن العقبة، الطبري، تاريخ، 12/6.

(10) الأخبار الطوال، ص248.

يتضح إصرار الحسين (عليه السلام) على المضي، مع كل ما علمه من خذلان شيعته، واستعداد ابن زياد لحربه ومحاصرته، فالحسين (عليه السلام) كما يصرح بأنه غير خفيّ عليه قيام ابن زياد بمثل هذه التدابير لمنعه من دخول الكوفة، وان الرأي الذي يقول بالسلام يقتضي رجوع الحسين (عليه السلام) عن طريقه، بيد أنه يواصل ويستمر ويؤكد ان ذلك أمر الله إليه. ولا يجد الباحث لذلك تفسيراً سوى ما تقدم من رأي بأن الحسين (عليه السلام) كان طالباً للشهادة، ومختاراً لها، ومستجيباً لقدر الله باذلاً ومضحياً وراضياً.

وفي هذا المكان صرح الحسين (عليه السلام) بأنه مقتول لرؤيا رآها، وفيها كانت الكلاب تنهشه، واشدها عليه كلب أبقع[1].

لقد كان الحسين (عليه السلام) يؤكد أن ليس ثمة نجاة في طريقه الذي اختاره، وربما ((أراد اختبار وامتحان تصميم باقي اصحابه في الثبات معه على الشهادة من خلال ما رآه من الحق في عالم المنام))[2].

ثم سار الحسين (عليه السلام) قاصداً واقصة[3] ومنها انتهى إلى القرعاء[4]، ثم نزل في شراف[5]. فلما كان السحر أمر فتيانه فاستقوا الماء فأكثروا، ثم ان رجلاً من أصحابه كبر، فكبر الامام الحسين (عليه السلام) وسأله عن سبب تكبيره، فقال الرجل: رأيت النخيل، فقيل ان لا نخيل في هذا الموضع ان هي إلاّ اسنة الرماح وأذان الخيل، فاختار الحسين (عليه السلام) ان يلتجأ إلى مرتفع من الأرض ليجعله خلف ظهره يدعى ذو حسم ليستقبل من اتاه من وجه واحد[6].

نزل الحسين (عليه السلام) بازاء ذي حسم فأمر بابنية فضربت، وجاء الحر بن يزيد الرياحي مبعوث عبيد الله بن زياد في ألف فارس، في حرّ الظهيرة، فأمر الحسين (عليه السلام) فتيانه أن يسقوا القوم ويرشفوا خيولهم[7] رغم علمه ان هذه القوة هي مقدمة جيش ابن زياد، وان قائدها

---

(1) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص75، شريفي، موسوعة كلمات الامام الحسين، ص351 – 352.

(2) الطبسي، وقائع الطريق، 240/2.

(3) منزل في طريق مكة وهي دون زبالة بمرحلتين. ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الإطلاع، 1421/3. (لم ترد في المصادر التاريخية في مسار الحسين عليه السلام).

(4) سميت بذلك لقلة نباتها وهي منزل في طريق مكة من الكوفة قبل واقصة. ياقوت، معجم البلدان، 325/4.

(5) تقع بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الاحساء وفيها ثلاثة ابار، ماؤها كثير عذب. المصدر نفسه، 331/3.

(6) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص81، البلاذري، انساب الاشراف، 380/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص248 وسماها شراة وليس شراف، الطبري، تاريخ، 213/6، الخوارزمي، مقتل الحسين، 329/1.

(7) البلاذري، انساب الاشراف، 380/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص249، الطبري، تاريخ، 213/6، ابن الأثير، الكامل، 407/3.

الحرّ عليه وليس له[1]، فلما حضرت صلاة الظهر واذن مؤذن الحسين (عليه السلام) خرج الحسين(عليه السلام) في ازار ورداء ونعلين فخطب فيهم: ((أيها الناس، انها معذرةٌ إلى الله وإلى من حضر من المسلمين، اني لم اقدم إلى هذا البلد حتى اتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم ان اقدم إلينا ليس علينا إمام، فلعل الله ان يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم فإن تعطوني ما يثق به قلبي من عهودكم ومن مواثيقكم دخلت معكم على مصركم، وان لم تفعلوا وكنتم كارهين لقدومي عليكم، انصرفت إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم.. فسكتوا عنه))[2].

ثم صلّى الحسين (عليه السلام) وصلّى الحر وأصحابه بصلاته فلما انتهى انصرف إلى القوم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((أما بعد، أيها الناس، فانكم ان تتقوا وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدَّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، وإن انتم كرهتمونا، وجهلتم حقنا، وكان رأيكم غير ما اتتني كتبكم، وقدمت به عليّ رسلكم انصرفت عنكم))[3] فلما تساءل الحر عن هذه الكتب أمر الحسين (عليه السلام) أحد أصحابه فأخرج خرجين مملوءين صحفاً فنشرها بين ايديهم فقال الحر: فانا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أُمرنا إذا نحن لقيناك ألاّ نفارقك حتى نُقدمك على عبيد الله بن زياد، فقال له الحسين (عليه السلام): الموتُ أدنى إليك من ذلك[4]، لأن ليس وراء عبيد الله سوى مطالبة الحسين (عليه السلام) بالبيعة ليزيد وهو ما لا يعطيه الحسين (عليه السلام)، ولا يهادن فيه وإنما الموت الكريم أهون مما يطلبون.

ولما ركب الحسين (عليه السلام) وأصحابه للانصراف حال الحر بينه وبين ذلك، وأصرّ على مرافقة الحسين (عليه السلام) لينطلق به إلى عبيد الله بن زياد، فلما أبى الحسين (عليه السلام) ذلك طلب من الامام ان يأخذ طريقاً لا تدخله الكوفة، ولا ترده إلى المدينة حتى يكتب بشأنه إلى ابن زياد، فتياسر الحسين (عليه السلام) عن طريق العُذيب والقادسية، وبينه وبين العُذيب ثمانية وثلاثون ميلاً، وسار في أصحابه والحر يسايره[5].

---

(1) ابن اعثم، الفتوح، 76/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 330/1.

(2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص83، البلاذري، انساب الاشراف، 380/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص249، الطبري، تاريخ، 214/6، ابن كثير، البداية والنهاية، 172/8.

(3) الطبري، تاريخ، 214/6، الشيخ المفيد، الارشاد، ص327.

(4) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص84، البلاذري، انساب الاشراف، 380/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص249، الطبري، تاريخ، 214/6، ابن اعثم، الفتوح، 78/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 332/1، ابن الأثير، الكامل، 408/3.

(5) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص84 – 85، البلاذري، انساب الاشراف، 381/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص250، الطبري، تاريخ، 214/6، ابن اعثم، الفتوح، 78/5 – 79، ابن طاووس، اللهوف، ص51.

وقد علق كاتب مصري على موقف الحسين (عليه السلام) هذا فقال: ان الحسين عندما علم من الحرّ ما اجمع عليه أهل الكوفة داخله الشك وهمّ بالرجوع[1]، وانساق معه كاتب اخر فقال: عندما أحس الحسين بالخطر، واحدقت به سيوف الحر بدأ يفكر في الانصراف بأصحابه، ولكن الانصراف لم يكن له من سبيل لأن التعليمات كانت قد صدرت للحر بعدم مفارقته حتى اقدامه على ابن زياد[2].

والحق ان الحسين (عليه السلام) لم يخش سيوف الحر وظل حتى ذلك الوقت يقيم الحجة على أهل الكوفة بأنه قدم على بلدٍ كاتبه أهله، واتته رسله، وشكى إليه الجور والعدوان، وأكد على ان أهل البيت احقّ بولاية امرهم من بني أمية السائرين فيهم بالظلم والاثم، وهو إذ يقول ذلك فهو يعلنه أمام كوفيين عرفوا من منزلة أهل البيت وسيرتهم ما يغنيه عن التفصيل، أما عرضه الانصراف عنهم فلم يكن كما حسبه بعض الكتّاب المصريين بأنه فرار من سيوف الحرّ التي لم يُفاجأ الحسين (عليه السلام) بها، بل علم بأن عبيد الله بن زياد يُعدّ له قوات مضاعفة من كل من قدم عليه في مراحل الطريق الذي انذروه بأنه مقتول لا محالة، وإنما كان ذلك العرض اعذار لله ولهم، وسُنة لأبيه علي (عليه السلام) الذي لم يُكره الناس على القبول به أو السير معه في أقسى ظروفه السياسية وإنما حرص على أن يكون ولاء الناس له قائماً على القناعة لا الاكراه[3]، فالحسين (عليه السلام) يقف مخيراً الناس ليتخذوا الموقف المسؤول، وليتولوا مسؤوليتهم الشرعية، والحسين (عليه السلام) يمنح الفرصة للتبصر فيخاطبهم بالنصيحة والتوجيه، والتشجيع والتوبيخ وبكل اساليب الحوار لتحريكهم لاتخاذ الموقف المطلوب، فلم ييأس منهم وعندما اتخذ طريقه إلى البيضة[4] والحر يسايره خطب فيهم قائلاً: ((أيها الناس ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال [من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله ان يدخله مُدخله] ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، واحلّوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحقّ من غيّر، قد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تُسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيّ أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما

---

(1) حسن، تاريخ الإسلام، 399/1.

(2) شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، 201/2.

(3) ينظر على سبيل المثال موقف الامام علي (عليه السلام) عندما ترك معتزلي بيعته طالما ان ذلك الاعتزال لا يؤثر على ارادة الرأي العام فقال لمن طالبه باكراه الناس على البيعة: ((لا حاجة لنا فيمن لا يرغب فينا)). ابن اعثم، الفتوح، 256/2، وينظر: الحسناوي، المعارضة، ص333 – 347.

(4) ماء بين واقصة إلى العُذيب متصلة بأرض الحزن من ديار بني يربوع، ياقوت، معجم البلدان، 532/1.

هي لكم بنُكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغترّ بكم، فحظكم اخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فانما ينكث على نفسه، وسيُغني الله عنكم))[1].

وقد خطب الحسين (عليه السلام) في أصحابه موطناً انفسهم على الشهادة والتضحية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: انه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها واستمرّت جداً، فلم يبق منها إلاّ صُبابة كصبابة الاناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل. ألا ترون أنّ الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه ! ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فاني لا أرى الموت إلاّ شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً))[2].

فلما سمع أصحاب الحسين (عليه السلام) ذلك، خرجوا فتكلوا بما يؤيد ولائهم، وتأكيد عهدهم ومساندتهم له على القتال بين يديه حتى تقطع أعضاؤهم[3].

وأقبل الحر الرياحي يساير الحسين (عليه السلام) ويثبطه عن المضي فيقول: ((يا حسين، اني اذكرك الله في نفسك، فاني اشهد لئن قاتلت لتُقتلَن... فقال له الحسين (عليه السلام): أفبالموت تخوّفني! وهل يعدو بكم الخطب ان تقتلوني! ما أدري ما أقول لك! ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه، ولقيه وهو يريد نصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال له: أين تذهب ؟ فانك مقتول؛ فقال:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى	إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وآسى الرجال الصالحين بنفسه	وفارق مثبوراً يغشُّ ويُرغما

... فلما سمع ذلك منه الحرّ تنحى عنه؛... حتى انتهوا إلى عُذيب الهجانات[4]))[5]. وفي هذا الموضع اقبل أربعة نفر من الكوفة[6] على رواحلهم وانضموا إلى عسكر الحسين (عليه السلام) فأراد الحرّ منعهم، فأصر الامام على ان يمنعم مما يمنع منه نفسه لأنهم انصاره وأعوانه

---

(1) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص85 – 86، الطبري، تاريخ، 215/6، ابن الأثير، الكامل، 408/3 ولم يذكر ابن الأثير مكان خطاب الحسين (عليه السلام).

(2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص84، الطبري، تاريخ، 215/6، ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص214، وذكر ان هذه الخطبة قيلت عندما نزل بالحسين جيش عمر بن سعد، واتفق معه الاربلي، كشف الغمة، 576/1.

(3) ينظر: الطبري، تاريخ، 215/6، الخوارزمي، مقتل الحسين، 337/1، ابن طاووس، اللهوف، ص50 – 51.

(4) ماء طيب بين القادسية والمغيثة، وهو واد لبني تميم من منازل حاج الكوفة وكان مسلحة للفرس. ياقوت، معجم البلدان، 92/4.

(5) الطبري، تاريخ، 215/6، وبتفاوت بسيط البلاذري، انساب الاشراف، 382/3، وزاد بيتاً آخر:

فان عشت لم أذمم وإن مت لم ألم	كفى لك ذلا ان تعيش وترغما

(6) وهم: نافع بن هلال المرادي، وعمرو بن خالد الصيداوي، وسعد مولاه، ومجمع بن عبد الله العائذي من مذحج. البلاذري، انساب الاشراف، 382/3.

فكفّ الحرّ عنهم ولحقوا بالحسين (عليه السلام)[1]. وقد أخبر القادمون الحسين (عليه السلام) بحال أهل الكوفة ومقتل رسوله قيس بن مسهر الصيداوي فبكى الامام (عليه السلام) لمصرعه وقال: [فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً][2]، اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلاً واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك ورغائب مذخور ثوابك))[3].

وقد لقي الطرماح بن عدي الحسين (عليه السلام) فحذّره الاقبال على الكوفة، وكثرة جمع عبيد الله بن زياد، وعرض عليه ان ينزله أحد جبلي طيء، ووصف له منعته، وكثرة من يستطيع جمعهم له من طيء يحمونه ان اقام فيهم فلا يوصل إليه بسوء، فجزاه الحسين (عليه السلام) خيراً وقال: ((انه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف، ولا ندري علامَ تنصرف بنا وبهم الأمور في عاقبه!))[4] فودعه الطرماح حتى يؤدي نفقة قومه إليهم ثم يقبل إليه ليكون من انصاره، فأمره الحسين (عليه السلام) بالتعجيل[5].

سار الحسين (عليه السلام) والحر يسايره حتى وصلوا أقساس مالك[6]، ومنها سار إلى الرهيمة[7] ثم إلى قصر مقاتل[8] فإذا هو بفسطاط مضروب بقربه لرجل يقال له عبيد الله بن الحر الجعفي، وقد ترك الكوفة تجنباً لدخول الحسين (عليه السلام) إليها، وكان يقول: ((اني والله ما خرجت من الكوفة إلاّ كراهة ان يدخلها الحسين وأنا بها، فإن قاتلته كان ذلك عند الله عظيماً، وإن كنت معه كنت أول قتيل في غير غناء عنه))[9]، فدعاه الحسين (عليه السلام) للخروج معه فاستقاله مما دعاه إليه، فقال له الحسين (عليه السلام): ((فإلا تنصرنا فاتق الله ان تكون ممن يقاتلنا، فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلاّ هلك؛ قال: أما هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله، ثم قام الحسين (عليه السلام) من عنده))[10].

وانضم للحسين (عليه السلام) أنس بن الحارث الكاهلي وكان من أهل الكوفة، تركها مع الجعفي كراهية قتال الحسين (عليه السلام) أو القتال معه ثم بدّل رأيه بعد ان سمع حوار الحسين مع عبيد الله

---

(1) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص87 – 88، الطبري، تاريخ، 216/6، ابن الأثير، الكامل، 409/3.

(2) سورة الاحزاب: الاية /23.

(3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص88، الطبري، تاريخ، 216/6، ابن الأثير، الكامل، 409/3 – 410، ابن كثير، البداية والنهاية، 173/8 – 174.

(4) الطبري، تاريخ، 216/6، ابن كثير، البداية والنهاية، 174/8.

(5) البلاذري، انساب الاشراف، 384/3، الطبري، تاريخ، 216/6.

(6) قرية بالكوفة، أو كورة بها سميت بهذا الاسم نسبة إلى مالك بن عبد هند. ياقوت، معجم البلدان، 236/1.

(7) ضيعة قرب الكوفة، وفيها عين ماء وتقع في الطريق إلى الشام إذا أردتها من الكوفة. ياقوت، معجم البلدان، 109/3.

(8) قصر كان بين عين التمر والشام، وهو قرب القطقطانة منسوب إلى مقاتل بن حسان ثعلبة، المصدر نفسه، 364/4.

(9) البلاذري، انساب الاشراف، 384/3.

(10) الطبري، تاريخ، 217/6، الشيخ المفيد، الارشاد، ص328، الخوارزمي، مقتل الحسين، 324/1 – 326.

بن الحر الجعفي وذكر للحسين (عليه السلام) ان الله ((قذف في قلبي نصرتك وشجعني على المسير معك، فقال له الحسين، فاخرج معنا راشداً محفوظاً))[1].

ومن الملفت ان الحسين (عليه السلام) في الوقت الذي كان يخيّر الناس بين الانصراف عنه أو المسير معه إلى التضحية والشهادة فإنه لم يتوقف في مراحل الطريق عن دعوة من يمرّ به إلى الخروج معه ونصرته، وإقامة الحجة بأنه يمضي إلى الحق والمجاهدة – مثلما مرّ في دعوته للطرماح الطائي، وعبيد الله الجعفي – والترحيب بمن ينضم إليه من انصار – كترحيبه بالنفر الكوفيين، وأنس بن الحارث الكاهلي – فما الذي يرمي إليه الساعي إلى الشهادة ؟ هل كان الحسين (عليه السلام) الذي حاول ان يستثمر كل الوسائل الناجعة في مساره يريد أن يجعل من الكوفة ومحيطها بيئة موتورة من الأمويين ؟، هل كان يريد ان يزرع روح الجهاد في طريق ثورته وإن أثمر بعد حين[2] ؟

ارتحل الحسين (عليه السلام) في اخر الليل، فلما أصبح نزل فصلى الغداة ثم عجل بالركوب، وأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرقهم، والحرّ الرياحي يردهم رداً شديداً من اتجاه الكوفة فلم يزالوا يتسايرون حتى انتهوا إلى نينوى[3] وفيها وصل كتاب عبيد الله بن زياد إلى الحر: ((أما بعد فجعجع[4] بالحسين حين يبلغك كتابي هذا، ويقدم عليك رسولي، ولا تنزله إلا بالعراء في غير خضر وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي ان يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بانفاذ أمري والسلام))[5].

---

(1) البلاذري، انساب الاشراف، 384/3.

(2) قد نستشف ذلك على سبيل المثال من: ندم الجعفي على ترك نصرة الحسين (عليه السلام) وتفجعه على الحسين شعراً. البلاذري، انساب الاشراف، 384/3، ثم مضى نحو أرض الجبل مغاضبا لابن زياد، واتبعه ناس من أهل الكوفة. الدينوري، الأخبار الطوال، ص262.

(3) ناحية بسواد الكوفة، منها كربلاء التي قتل فيها الحسين بن علي (عليه السلام). ياقوت، معجم البلدان، 339/5، ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الإطلاع، 1414/3.

(4) الجعجع: ما تطامن من الأرض، والموضع الضيق الخشن، ومناخ سوء لا يقر فيه صاحبه، والجعجعة: تحريك الابل للاناخة أو الحبس أو للنهوض وبروك البعير وتبريكه، والحبس والقعود على غير طمأنينة.

الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ/1414م)، القاموس المحيط، اعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط2، بيروت، 1424هـ/2003م، مادة جع.

(5) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص92 – 93، البلاذري، انساب الاشراف، 385/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص451، الطبري، تاريخ، 218/6، الخوارزمي، مقتل الحسين، 334/1.

فأخذ الحر الحسين (عليه السلام) وأصحابه بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قريــة، فقالوا دعنا ننزل نينوى، أو الغاضرية[1] أو الشفية[2] فقال الحر: لا والله ما اســتطيع ذلــك فرسول ابن زياد عينٌ عليّ[3].

وفي هذا المكان طلب زهير بن القين من الحسين (عليه السلام) أن يقاتلوا جيش الحرّ لأن قتالهم أهون من قتال من يليهم فرفض الحسين (عليه السلام) ان يبدأهم بقتال، فطلب منه زهير السير إلــى قرية حصينة على شاطئ الفرات اسمها العقر[4]، فقال الحسين (عليه السلام): اللهم اني اعوذ بك من العقر[5]. وطلب من الحرّ ان يسير قليلاً ففعل حتى وصل إلى مكان وقف فيه مع أصــحابه، ثــم منعهم الحرّ من المسير عنه، وقال للحسين (عليه السلام): انزل في هذا المكان، فالفرات قريب منك، فسأل الحسين (عليه السلام) عن الموضع فقيل له انه كربلاء فقال: ((انزلوا هذا موضع كرب وبلاء، ههنا مناخ ركابنا، ومحط رجالنا، وسفك دمائنا))[6].

وكان نزوله بكربلاء يوم الخميس الثاني من محرم سنة 61هـ/680م[7].

---

(1) منسوبة إلى غاضرة من بني أسد، وهي قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء. ياقوت، معجم البلدان، 183/4.

(2) قرية قريبة من شاطيء الفرات. الطبري، تاريخ، 241/6.

(3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص93 - 94، البلاذري، انساب الاشــراف، 385/3، الــدينوري، الأخبــار الطــوال، ص252، الطبري، تاريخ، 218/6، ابن الأثير، الكامل، 411/3.

(4) قرية بالقرب من كربلاء. ياقوت، معجم البلدان، 136/4.

(5) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص94، الدينوري، الأخبار الطوال، ص252، الطبري، تاريخ، 218/6، ابن الأثيــر، الكامل، 411/3 – 412.

عقرهُ: جرحه فهو عقير، والعقر شبيه بالحزّ، وعقر الفرس والبعير بالسيف عقرا: قطع قوائمه، وقيل كانوا إذا أرادوا نحر البعير عقروه أي قطعوا إحدى قوائمه ثم نحروه لئلا يشرد واتسع في العقر حتى استعمل فــي القتــل والهلاك. ابن منظور، لسان العرب، مادة عقر.

(6) ابن اعثم، الفتوح، 84/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 337/1، ابن طاووس، اللهوف، ص102.

(7) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص94، البلاذري، انساب الاشراف، 385/3، الدينوري، الأخبار الطــوال، ص253، الطبري، تاريخ، 218/6، الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص84 – 85، ابن كثير، البداية والنهاية، 174/8.

المبحث الثالث

معركة الطف وما تلاها من أحداث في المصنفات المصرية

بدأت المرحلة الثالثة من الصراع وهي مرحلة المواجهة أو مرحلة الاستشهاد بمجيء الأمر من ابن زياد إلى الحر الرياحي بالتضييق على الامام الحسين (عليه السلام)، وتقع أحداث هذه المرحلة في كربلاء والكوفة، ودمشق ثم المدينة المنورة بعد أن يصلها بقية الركب الحسيني بعد انتهاء الفاجعة.

ومما يلاحظ أن الكتّاب والباحثين المصريين قد تفاوتوا في طريقة سردهم لمقتل الحسين (عليه السلام). فاتجه قسم منهم إلى ايراد تفاصيل المقتل على وفق سياقها التاريخي مع بعض التصرف والاختصار[1]، وأورد القسم الثاني منهم تلك التفاصيل بشكل مقتضب قد لا يتجاوز بضعة اسطر أو بضع صفحات درس فيها شيء من مراحل القتال المهمة[2].

استقر الامام الحسين (عليه السلام) في كربلاء في الثاني من محرم، فقدم عليه في اليوم التالي عمر بن سعد بن أبي وقاص[3] بأربعة ألاف من الكوفة، إذ كان عبيد الله بن زياد قد كتب له عهداً بولاية الري[4]، ليقضي على الاضطرابات التي حدثت في دستبي[5]. فخرج معسكراً

---

(1) ينظر: العقاد، أبو الشهداء، ص222 – 256، رضا، الحسن والحسين، ص86 – 105، لطفي، الشهيد الخالد، ص48 – 63. السحار، أهل بيت النبي، ص340 – 390، أبو النصر، الحسين بن علي، ص108 – 148، خالد، ابناء الرسول في كربلاء، ص117 – 147، قرون، عظمة الامام الحسين، ص72 – 107، عويس، شهيد كربلاء، ص165 – 217، السحار، حياة الحسين، ص146 – 199، غريب، مأمون، بطلة كربلاء السيدة زينب رضي الله عنها، ط القاهرة، 1420هـ/1999م، ص111 – 123، أبو علم، الحسين ابن علي، ص130 – 159، منصور، الشقيقان، ص59 – 109، غريب، الامام الحسين، ص91 – 140، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص90 – 136.

(2) ينظر: النجار، الدولة الأموية، ص87 – 91، محمد، أهل البيت في مصر، ص71 – 74، ابراهيم، أيام العرب، ص417، ماجد، التاريخ السياسي، 73/2 – 76، النفيس، نفحات من السيرة، ص111 – 119، حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 240/2 – 242، محمد، حضارة الدولة العربية، ص160، الحوفي، أدب السياسة، ص40، أبو كف، آل بيت النبي، ص26 – 32، أبو السعود، الشيعة، ص81 – 84، كحيلة، العقد الثمين، ص154.

(3) امه مارية بنت قيس بن معدي كرب، كان قائد حملة ابن زياد لقتال الامام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، قتله أبو عمرة هو وابنه حفص من قبل المختار الثقفي عند طلبه لقتلة الامام الحسين (عليه السلام) سنة 66هـ/686م. الزبيري، نسب قريش، ص246، المسعودي، مروج الذهب، 522/7.

(4) مدينة مشهورة من امهات البلاد وهي محط الحاج على طريق السابلة، وقصبة بلاد الجبال بناها فيروز بن يزدجرد وسميت رام فيروز. ياقوت، معجم البلدان، 116/3.

(5) موضع مذكور في رسم قزوين، وهي من أرض همدان من بلد الديلم. وكانت على قسمين: قسم منها تابع للري، وقسم لهمذان إلى ان سعى رجل من سكان قزوين فصيّرها كلها الى قزوين. البكري، معجم ما استعجم، 551/2، ياقوت، معجم البلدان، 454/2.

بالناس في حمام اعين[1]، فلما وصلت أخبار قدوم الحسين (عليه السلام) إلى كربلاء وجهه ابن زياد لقتال الحسين (عليه السلام) بقواته بدلاً من دستبي، ثم النفاذ إلى الري إذا أكمل المهمة، فتردد ابن عمر وطلب الامهال ولم يكن يستشير أحداً إلا نهاه، وأشار عليه بعدم تولي إمرة ذلك الجيش[2]، وقد رويت مناجاة ابن عمر لنفسه وتحيّره في الأمر، وتردده بين طموحه في ولاية الري، وقتل الحسين (عليه السلام) لأنها السبيل الوحيد لذلك الطموح ولكنه القتل المفضي إلى الاثم والمذمة فقال[3]:

أأترك ملك الري والري رغبة ... أم أرجع مذموماً بقتل حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها ... حجاب وملك الري قرة عيني

وقد غلب عمر بن سعد الطمع الدنيوي، فسار بجيشه حتى نزل بالحسين (عليه السلام).

وقد يبدو السؤال وجيهاً عن السبب الذي دفع ابن زياد لاختيار عمر بن سعد لقيادة الجيش الزاحف لملاقاة الحسين (عليه السلام) فهل كان ذلك محض صدفة لأن ابن سعد كان قائداً لقوة عسكرية مُعدة ومستعدة للقتال، وكل ما حدث هو تغيير وجهتها من الري إلى كربلاء ؟ قد يكون هذا السبب وغيره وراء ذلك الاختيار مثل كون ابن سعد من اشراف الكوفة المعروفين الذين استمالهم ابن زياد واشترى ضمائرهم بالرشوة حيناً والترهيب حيناً أخر – كما ذكرنا – وقد تكون له قابليات عسكرية معروفة بدليل ارساله على رأس حملة لقمع منطقة متمردة، وقد توقع أحد الباحثين المصريين أن يكون هذا الاختيار ((لأنه قرشي، وأباه أحد أعضاء مجلس الشورى العمرية، أو لوقوفه وأبيه موقف الحياد من صراع علي (عليه السلام) ومعاوية فلم يشاركا في حرب، ولم يستعملا في ولاية. إضافة إلى ان ابناء المهاجرين لم يكونوا ليقبلوا بهذه المهمة إذا عرضت عليهم، وقد يقول قائل ان ابن زياد لم يكن يطمأن لاشراف الكوفة – قيسيهم ويمانيهم – حتى يؤمر أحدهم على ذلك الجيش، وهو ما لا تستريح له النفس، إذ لو كان ذلك صحيحاً لما صح ان يؤمر شمر بن ذي الجوشن الضبابي عندما أحس بتباطئ ابن سعد ورغبته في السلم، بل وأمره بضرب عنق ابن سعد وتولي إمرة الجيش بدلاً عنه ان هو لم ينفذ أمره بقتل الامام الحسين عليه السلام))[4].

ويتضمن هذا الرأي رغبة ابن زياد باختبار أحد الأطراف غير المعروفة بولائها للامام علي، وغير المنضوية في صفوف شيعته، وهو طرف توفرت فيه الجرأة على قتل

---

(1) في الكوفة مشهور، منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص. ياقوت، معجم البلدان، 299/2.

(2) البلاذري، انساب الاشراف، 385/3 – 386، الدينوري، الأخبار الطوال، ص253، الطبري، تاريخ، 218/6 – 219، الخوارزمي، مقتل الحسين، 340/1 – 341، ابن الأثير، الكامل، 412/3، سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، 149/2 – 150، ابن كثير، البداية والنهاية، 174/8.

(3) ابن الأثير، الكامل، 412/3، ياقوت، معجم البلدان، 118/3.

(4) غنيم، الثورات العلوية، ص171.

الحسين(عليه السلام) والقبول بمهمة الاشتباك معه. ولا نتفق مع غنيم في نفي احتمال اختياره لأنه ليس من يمنية أو قيسية الكوفة لأن غنيم نفسه يضع قرشية ابن سعد ضمن عوامل اختياره أولا ولأن حراجة المواجهة مع الحسين (عليه السلام) تتطلب أخذ الاحتياطات لضمان الطاعة للسلطة، والابتعاد عن أي شخصية ذات تكتل خاص في الكوفة والتي قد تنقلب وتقلب موازين المواجهة العسكرية لصالح الحسين (عليه السلام)، وقد تم تدخل ابن زياد والتلويح لابن سعد بتبديله بشمر بن ذي الجوشن اضطراراً لأنه خاف انفلات الأمر، لاسيما وان الشمر قد أبدى عدوانية شديدة تجاه الحسين (عليه السلام)، وحرص على نجاح مهمة السلطة في قتله كما سيتضح ذلك.

وقد كتب عبيد الله بن زياد للامام الحسين (عليه السلام) عند نزوله بكربلاء مهدداً ومتوعداً بأن تعليمات المواجهة الحاسمة قد وصلت من أعلى سلطة في الدولة فأخبر الحسين (عليه السلام) بأن يزيداً قد كتب إليه إلاّ يتوسد الوثير وان لا يشبع من الخمير حتى يقتله أو ينزل على حكمه ويبايع يزيد، فرد الامام الحسين (عليه السلام): لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق[1].

وقد أورد بعض الباحثين المصريين هذه الرسالة[2] ويرجح الباحث أن خطبة الحسين (عليه السلام) التي أوضح فيها اباءه للاستسلام والنزول على حكم ابن زياد واختياره للقتال على قلة عدد أنصاره، وخذلان أهل الكوفة له قد حدثت عقب وصول رسالة ابن زياد هذه، وقال فيها:

((ألا أن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة ! يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وأني زاحف بهذه الاسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر...))[3].

ومن الجدير ذكره مجموعة الإجراءات التي اتخذها ابن زياد في الكوفة في هذا الوقت بالتحديد، والتي اغفل أغلب المؤرخين ذكرها رغم اهميتها البالغة فهي تعطي في رسم صورة حيّة لوضع الكوفة انذاك، فقد أمر ابن زياد الناس – ممن بقي خارج معسكر عمر بن سعد – أن يعسكروا بالنخيلة[4]، وألاّ يتخلف منهم أحد، وخطب فيهم فقرظ معاوية وذكر احسانه وإدراره الاعطيات، وعنايته بامور الثغور، وذكر اجتماع الالفة به وعلى يده، وعدّ يزيد ابنه سالكاً لمناهجه، ومحتذيا لمثاله، فابلغ الكوفيين انه زاد اعطياتهم مائة مائة، وحث على أثر هذا الترغيب على الخروج لقتال الحسين (عليه السلام) فأمر ألا يبقى رجل من العرفاء والمناكب

---

(1) الخوارزمي، مقتل الحسين، 340/1.

(2) أبو علم، الحسين بن علي، ص131، عويس، شهيد كربلاء، ص165، سعد، السيدة زينب، ص43.

(3) المسعودي، اثبات الوصية، ص177، الخوارزمي، مقتل الحسين، 9/2 – 10، ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص217 – 218، ابن طاووس، اللهوف، ص62.

(4) تصغير نخلة: بالكوفة وهي التي كان عليّ (عليه السلام) يخرج إليها اذا أراد أن يخطب الناس. البكري، معجم ما استعجم، 1305/4.

والتجار والسكان إلاّ خرج فعسكر معه، وأي رجل وجد بعد ذلك اليوم متخلفا عن العسكر برئت منه الذمة[1].

وأورد ابن اعثم خطبة ابن زياد، وأضاف ان يزيداً بعث لابن زياد أربعة الاف ألف ومائتي ألف درهم وأمره أن يفرقها بينهم، وانفرد ابن اعثم بقوله ان جيش ابن زياد ضم مقاتلين من أهل الشام، وان ابن زياد وضع العطاء فأعطاهم حال نزوله من المنبر[2]. وهذا يخالف ما ورد في بعض المصادر التاريخية من ان قتال الحسين (عليه السلام) لم يحضره أحد من أهل الشام، واقتصار ذلك على أهل الكوفة[3]، كما يرجح الباحث ان توزيع العطاء أو المبالغ المالية التي ارسلها يزيد قد اقتصر على الاشراف فقط الذين أعظمت رشوتهم لضمان سيطرتهم على افراد قبائلهم، ولا يُستبعد ان الناس قد اكتفت خلال هذا الوقت بالوعد بزيادة العطاء دون ان يأخذوا منه شيئاً[4]. وقد استكمل ابن زياد إجراءاته بأن أمر اشراف الكوفة بالطواف فيها ليأمروا الناس بالطاعة والاستقامة، ويخوفونهم عواقب الفتنة والمعصية، ويحثونهم على الالتحاق بمعسكر ابن زياد، وأمد معسكر عمر بن سعد بأربعة آلاف أخرين كانوا مع الحصين في القادسية، ووجه حجار بن أبجر العجلي في ألف، وشبث بن ربعي في ألف، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم في ألف أو أقل ثم استخلف على الكوفة عمرو ابن حريث، وترك من يطوف بالكوفة – في غيابه – في خيل، فوجد رجلاً من همدان قد قدم يطلب ميراثاً له بالكوفة، فأتى به ابن زياد فقتله، فلم يبق بالكوفة محتلم إلاّ خرج إلى العسكر بالنخيلة[5].

وتبين هذه الروايات للمتمعن حرص عبيد الله بن زياد على حشد أكبر قدر ممكن من الكوفيين، وحشدهم للقتال على الرغم من معرفته المسبقة بتعداد الحسين (عليه السلام) الضئيل[6] الذي لا يمكن أن يصمد أمام قوة الحر الرياحي فكيف بمعسكر عمر بن سعد والقوات التي أمدته بعد ذلك، وفي هذا ما يشير إلى تحسب ابن زياد وبشدة لأي عملية نكوص كوفي، أو أي انضمام محتمل لجانب الحسين (عليه السلام) وفي هذا دليل بيّن على صعوبة الاطمئنان إلى تألب الناس ضد الحسين (عليه السلام) في الكوفة، ومن الاطراف الموالية له على الاقل والتي كانت باعداد لا يستهان بها مقارنة بمن كانوا ضده[7] ولاسيما أن قسماً من الذين لم يحسبوا في

---

(1) البلاذري، انساب الاشراف، 386/3 – 387، الخوارزمي، مقتل الحسين، 344/1.

(2) فتوح، 89/5.

(3) المسعودي، مروج الذهب، 257/3، سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، 161/2.

(4) لضالة المبلغ الذي ذكره ابن اعثم عن ان يفي باعداد من جيّشهم ابن زياد لملاقاة الحسين (عليه السلام).

(5) البلاذري، انساب الاشراف، 387/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص254 – 255.

(6) استنتج شمس الدين من خلال دراسة معمقة للروايات التي ذكرت عدد أصحاب الحسين (عليه السلام)، ان عددهم لم يكن يزيد على المئة إلا قليلا اخذاً بنظر الاعتبار تحول بعض جنود الجيش الأموي إلى معسكر الحسين (عليه السلام). ينظر: انصار الحسين، ص31 – 42.

(7) تلمسنا ذلك من الاعداد التي بايعت مسلم بن عقيل قبل استشهاده.

ولائهم على اتباع الحسين (عليه السلام) قد اظهروا التأثم من القتال وكرهوا البقاء في الكوفة لئلا يجبروا على القتال ضد الحسين (عليه السلام) أو معه[1].

وان جهود ابن زياد الترغيبية والترهيبية، ومهما قيل فيها من انها أثمرت في انقلاب الكوفيين ضد الحسين (عليه السلام) إلاّ أننا يمكن أن نقول انها لا تعني ان الناس تحولوا جميعا من دائرة الولاء إلى العداء، وإنما أصبحوا في خوف ورعب من اظهار ذلك الولاء بدليل ما ورد في ان ابن زياد كان يبعث الرجل ((في ألف فلا يصل إلاّ في ثلاثمائة أو اربعمائة وأقل من ذلك كراهة منهم لهذا الوجه))[2]. فعلى الرغم من شدة ابن زياد وفتكه بكل مُتخلف عن القتال إلاّ ان عدداً من الكوفيين كانوا يفرون في طريقهم إلى القتال بعد ان ضاق عليهم التخفي في الكوفة، فاحتاط ابن زياد لئلا يجوز أحد منهم فيلحق بالحسين (عليه السلام) ويغيثه بوضع المناظر والمسالح على الكوفة وحولها[3]. فضلاً عن أن بعضهم كانوا يتأثمون من ارتكاب تلك الجريمة الشنعاء بحق الله وحق سيد المرسلين فقد كان عبد الله بن يسار في الكوفة يحث ببطولة على ضرب الأمويين، ونصرة ابن رسول الله ويخذل الناس عن مناصرة الحكم اللامشروع، فطورد واختفى، ثم قبض عليه وقتل[4].

وفي النخيلة حيث كان زياد يهيمن على شؤون الناس فيها حاول عمار بن أبي سلامة الدلاني القيام باغتياله والتخلص منه، فلم يتمكن من ذلك، فلحق بالحسين (عليه السلام) واستشهد معه[5].

وفي ساحة القتال كانت الرجال تنكشف عن يمين وشمال الحسين (عليه السلام) انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب، ويهربون أمامه[6]. وفي ذلك دلالة على كراهة مواجهة الحسين (عليه السلام) بالقتال من أشخاص قد يكونوا قد جندوا ترغيباً وترهيباً ناهيك عما ورد من ان بعضهم قد وقف وقوف العاجز في ساحة المعركة، عاجز عن التضحية مع الحسين (عليه السلام)، وعاجز عن مواجهة عبيد الله بن زياد بالفرار أو التخلي عن القتال، فلم يكن في ايديهم سوى البكاء والدعاء للحسين (عليه السلام) بالنصر[7].

ان النماذج التي ذُكرت والتي أشارت لها بعض المصادر باختصار دون تركيز وتعليل، تدعم وجهة نظر الباحث بطبيعة المناخ الذي ساد الإعداد لقتال الحسين (عليه السلام)، والاتجاهات

---

(1) مرّ ذلك في حالة عبيد الله بن الحر الجعفي، وأنس بن الحارث الكاهلي. البلاذري، انساب الاشراف، 384/3.

(2) البلاذري، انساب الاشراف، 387/3، وينظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص254 – 255.

(3) البلاذري، انساب الاشراف، 388/3.

(4) المصدر نفسه، 377/3، وينظر: عابدين، محمد علي، الدوافع الذاتية لانصار الحسين، ط3، قم، 1404هـ/1983م، ص210.

(5) البلاذري، انساب الاشراف، 388/3.

(6) الطبري، تاريخ، 240/6، 245، الشيخ المفيد، الارشاد، ص350 – 351، ابن طاووس، اللهوف، ص75.

(7) الطبري، تاريخ، 208/6.

المتناقضة التي سادت في معسكر اعدائه، وأعطت فكرة عن عدم إمكانية القول بتألب الناس جميعاً ضد الحسين (عليه السلام)، وان إجراءات التضييق على الكوفيين قد شهدت محاولات انفلات ربما لم يحفظ التاريخ منها إلا تلك النماذج المحدودة.

وقد فسر أبو السعود هذا التضارب في الموقف الكوفي بكونه حالة اضطرارية في حالة تهديد بالقتل، عاجلة أو آجلة من الامويين، وانهم مالوا إلى الخيار الذي يضمن حياتهم، من منطلق نظرة نفعية فقال: ((لم يكن من حارب ضد الحسين – سواء ممن كتب له أو لم يكتب – كارهاً له، ولكن وجد ان الانضمام إلى حزب الحسين لن يجلب عليه النفع، فحتى إذا دخل الحسين الكوفة فإن يزيد بن معاوية لن يلعب دور المتفرج، ولكن سيرسل إليه جنود الشام فيقتله ومن شايعه، فمن سينضم إلى الحسين لن ينال إلا خسران مركزه بل وحياته أيضاً، لأن الانقلاب لن ينجح بأي حال من الاحوال وسيظل كل من ينضم الخائن الأول للسلطة القائمة ومن المحرضين على قلب نظام الحكم، وكل من وُضع اسمه بالقائمة السوداء لن يمحى اسمه إلا بالقتل؛ لذا كان الافضل لهم اللعب مع الحزب الاقوى حيث الجاه والنفوذ لا الجهاد ثم القتل))[1].

لقد انتجت هذه النظرة الدنيوية توجه أعداد كبيرة من أهل الكوفة لمواجهة الحسين (عليه السلام)[2]. ولذلك جرت محاولة من أحد أصحاب الحسين (عليه السلام) وهو حبيب بن مظاهر الأسدي لزيادة عدد المقاتلين تحت راية الحسين (عليه السلام) فاستأذن الامام في الذهاب إلى حي من بني اسد ينزلون على مقربة من كربلاء يستنصرهم، فأذن له، فذهب وكلمهم فخرج معه منهم سبعون، قدموا لنصرة الحسين (عليه السلام) فلاقتهم خيل ابن سعد وحالوا بينهم وبين مبتغاهم[3].

ويبدو ان محاولة حبيب بن مظاهر قد نبهت قيادة الجيش الأموي إلى إمكان تسرب قوات موالية للحسين (عليه السلام) من جانب الفرات، فعزز أثر هذه المحاولة حصار العطش لحماية الضفة من تسرب أي إنسان موالٍ للحسين (عليه السلام) من خلالها[4]، ورجعت تلك الخيل التي منعت الاسديين من الوصول إلى الحسين (عليه السلام) ((حتى نزلت على الفرات، وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء، فأضرّ العطش بالحسين وبمن معه))[5].

---

(1) الشيعة، ص83 – 84.

(2) تفاوتت الروايات في احصاء العسكر الذي خرج لحرب الحسين (عليه السلام) بين ستة الاف أو 22 الفا و 30 الفا أو غير ذلك.

ينظر: ابن اعثم، الفتوح، 89/5 – 90، الخوارزمي، مقتل الحسين، 344/1، ابن طاووس، اللهوف، ص75، سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص /226.

(3) البلاذري، انساب الاشراف، 338/3، ابن اعثم، الفتوح، 90/5 – 91، الخوارزمي، مقتل الحسين، 345/1 – 346 وذكر الخوارزمي ان عددهم تسعون.

(4) شمس الدين، انصار الحسين، ص54.

(5) الخوارزمي، مقتل الحسين، 346/1.

وقد كان تشدد عمر بن سعد بمنع الماء عن الحسين (عليه السلام) استجابة لأوامر عبيد الله الذي طلب ألا يذوق الحسين (عليه السلام) وأصحابه من الماء قطرة، كما حيل بين عثمان (رض) والماء، فسارع ابن سعد لتنفيذ الأمر ووضع خمسمائة فارس على الشريعة[1].

ويبدو غريبا ذلك الربط الفج بين مقتل الخليفة عثمان (رض) عطشاناً وبين الثأر لذلك من شخص الحسين (عليه السلام)، في تلميح دعائي يستهدف في نظر الباحث – إن صحت الرواية – استثارة الفئة المعادية للحسين (عليه السلام)، والموجودة بكل تأكيد في صفوف الجيش الكوفي بعدد يعتد به، ولتحريك مشاعرهم المعادية ضد الامام علي (عليه السلام) – الذي ظلت تلاحقهُ تهمة قتل عثمان (رض) حتى استشهاده – ومن ثم ابنه الحسين (عليه السلام).

ولم يمنع ذلك ان يذهب العباس بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) بأمر من أخيه الحسين (عليه السلام) في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً مع عشرين قربة فاقتحموا المشرعة عنوة وملأوا القرب وعادوا إلى عسكر الحسين (عليه السلام)[2].

وقد حرص ابن زياد على ألا يصبح ولا يمسي إلاّ ورسول ابن سعد بين يديه يخبره التطورات الأخيرة لساحة النزال، فرتب بينه وبين عسكر ابن سعد خيلاً فكانت الأخبار تأتيه في كل وقت[3].

وصل لابن زياد رسول ابن سعد يعلمه ان الحسين (عليه السلام) قد أجاب مبعوثه انه لم يقدم على أهل الكوفة حتى اتته كتبهم ورسلهم، وانه سينصرف عنهم إن هم كرهوا مقدمه، فلما قرأ ابن زياد الكتاب قال:

الآن إذ علقت مخالبنا به   يرجو النجاة ولات حين مناص

وكتب لابن سعد يؤكد أوامره بأخذ البيعة من الحسين (عليه السلام)، وجميع أصحابه ليزيد، ليرى فيما بعد فيه رأيه[4].

وقد روي ان الحسين (عليه السلام) بعث إلى ابن سعد ليلتقيا بين العسكرين ليلاً، ونتج عن ذلك ان الامام قد خير ابن سعد بين ثلاث خصال وهي: اما أن يرجع إلى المكان الذي قدم منه، أو يقدم على يزيد فيضع يده في يده ويرى يزيد فيه رأيه، أو أن يسير إلى أي ثغر من ثغور

---

(1) ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص96، الدينوري، الأخبار الطوال، ص253 – 254، البلاذري، انساب الاشراف، 389/3، الطبري، تاريخ، 219/6 – 220.

(2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص96 – 97، البلاذري، انساب الاشراف، 386/3 – 389، الدينوري، الأخبار الطوال، ص255، الطبري، تاريخ، 220/6 – 221، ابن الأثير، الكامل، 412/3 – 413.

(3) البلاذري، انساب الاشراف، 388/3، الخوارزمي، مقتل الحسين، 344/1.

(4) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص96 – 97، الدينوري، الأخبار الطوال، ص255، الطبري، تاريخ، 220/6 – 221، ابن الأثير، الكامل، 412/3 – 413.

المسلمين فيكون كأي رجل منهم[1] وقد تصدى شمر بن ذي الجوشن وحرّض ابن زياد على عدم القبول إلاّ بنزول الامام وأصحابه على حكمه[2].

وليس للباحث إلاّ ان يرفض هذه الرواية، فقد ذكر أبو مخنف ومن أخذ عنه هذه الرواية ان الامام الحسين (عليه السلام) وابن سعد قدما بعشرين فارساً وتنحى هؤلاء عند اللقاء ((فانكشفا عنهما بحيث لا تسمع اصواتهما ولا كلامهما، فتكلما فأطالا حتى ذهب من الليل هزيع، ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره بأصحابه))[3]. ويضيف أبو مخنف ان الناس تحدثوا بما توصل إليه الطرفان ((وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئاً ولا علموه))[4].

فالمفاوضات اقتصرت على الحسين (عليه السلام)، وعمر بن سعد دون غيرهما، ولم يسمع أحد ما دار من حديث وقد تكون تلك الشائعة هي لون من ألوان الهروب النفسي – ولو إلى حين – من ثقل الاهتمام بحرب الحسين (عليه السلام) إلى أمل التخلص من الحرب ولو بمسألة الحسين(عليه السلام) المزعومة وقبوله بالاقرار ليزيد، والابقاء على بني أمية. ومما يدعم نفي صدور مثل هذه الخيارات المطروحة – ولاسيما خيار بيعة يزيد – عن الحسين (عليه السلام) ما ذكره عقبة بن سمعان[5] بوصفه شاهد عيان، وأحد الناجين مما حصل في كربلاء: ((صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلاّ وقد سمعتها، إلاّ والله ما اعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من ان يضع يده في يد يزيد بن معاوية وان لا يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنه قال: دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس))[6].

---

(1) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص99 – 100، ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 184/2، البلاذري، انساب الاشراف، 390/3، الطبري، تاريخ، 221/6، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 379/4، ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص220، ابن الأثير، الكامل، 413/3، محب الدين الطبري، أحمد بن عبد الله (ت694هـ/1294م)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تقديم ومراجعة: جميل إبراهيم حبيب، ط بغداد، (بلا.ت)، ص159؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 175/8.

(2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص101، البلاذري، انساب الاشراف، 390/3، الطبري، تاريخ، 222/6، ابن الأثير، الكامل، 414/3.

(3) مقتل الحسين، ص99، الطبري، تاريخ، 221/6.

(4) مقتل الحسين، ص99.

(5) مولى الرباب بنت امرؤ القيس الكلبية زوجة الامام الحسين (عليه السلام)، وأم ابنته سكينة، جيء به إلى عمر بن سعد بعد نهاية معركة الطف، فسأله عن نفسه فقال عقبة: انا مملوك، فخلى ابن سعد سبيله. البلاذري، انساب الاشراف، 410/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص259.

(6) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص100، الطبري، تاريخ، 221/6، ابن الأثير، الكامل، 413/3، ابن كثير، البداية والنهاية، 175/8.

وروابة عقبة هذه توافق تماما ما ذكره الحسين (عليه السلام) في خطبته قبل نشوب المعركة: ((أيها الناس، إذا كرهتموني فدعوني انصرف عنكم إلى مأمني من الأرض))[1] وهي غاية ما يستطيعه من القاء الحجة على هذا الجمهور الذي أيده بالبيعة واستقدمه بالرسل ثم انضم إلى الأمويين لقتله، وينسجم هذا الموقف مع رفض الحسين (عليه السلام) في وقت مبكر لبيعة يزيد إذ قال لمن دعاه إلى النزول على حكم يزيد: ((لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أُقرّ إقرار العبيد))[2] ثم تلا الاية القرانية التالية متوجها لله، وعازما على ألا يفت في عضده عن قرار الثورة أحد: **[وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ * وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ]**[3].

وقد تكون هذه الخصال الثلاث هي امنيات من عمر بن سعد افتعلها في كتابه إلى عبيد الله ابن زياد[4] في محاولة منه للتخلص من مسؤولية قتال الحسين (عليه السلام) لاسيما وان بعض المصادر قد أشارت إلى ان الحسين (عليه السلام) قد رغّب ابن سعد بترك معسكر ابن زياد ودعاه إلى اللحوق به[5].

ويذكر أحد الباحثين المصريين كتاب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد ويشير إلى ان الحسين (عليه السلام) طلب الامهال ليلة العاشر من ابن سعد، فاستحى ابن سعد ان يقاتله وكتب إلى ابن زياد بعروض الحسين (عليه السلام) عدا البيعة ليزيد، ويجد أن هذا الفعل يدل على حسن نية ابن سعد، وسلامة طويته، وتخوفه من مقاتلة الحسين (عليه السلام) فألقى عن كاهله ما تجر عليه الأحداث من سوء القالة، ووخز الضمير[6]. لكن الدقة في قراءة الأحداث تثبت خطأ ما ذكره هذا الباحث في توقيت ارسال ابن سعد لتلك الشروط فلم يكن ذلك ليلة العاشر وإنما في بداية نزوله لأرض كربلاء وقبل أن يطلب الحسين (عليه السلام) الامهال الذي لم يرض به ابن سعد في البداية، ولم يتم إلا بعد مداولة ونقاش بين ابن سعد وصحبه[7]، ويبدو ان هذا الخطأ كان مقصوداً من الباحث المصري ليجعل القول بسلامة طوية ابن سعد مقبولاً، وليلقي عن كاهله إثم مجاراة ابن زياد بقتال الحسين (عليه السلام).

---

(1) الطبري، تاريخ، 229/6، ابن الأثير، الكامل، 419/3، ابن كثير، البداية والنهاية، 179/8.

(2) البلاذري، انساب الاشراف، 396/3 – 397 وجعلها البلاذري ((لا أفرّ فرار العبيد))، الطبري، تاريخ، 229/6، الخوارزمي، مقتل الحسين، 358/1، ابن الأثير، الكامل، 419/3، ابن كثير، البداية والنهاية، 179/8.

(3) سورة الدخان: الآية 20 – 21. وقد أورد البلاذري ذلك في انساب الاشراف، 397/3.

(4) أبو علم، الحسين بن علي، ص136 – 137.

وتنظر: نسخة الكتاب: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص100، ابن الأثير، الكامل، 414/3.

(5) ينظر: ابن اعثم، الفتوح، 92/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 347/1 – 348.

(6) قرون، عظمة الامام الحسين، ص75 – 76.

(7) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص104 – 107، البلاذري، انساب الاشراف، 391/3 – 393، الدينوري، الأخبار الطوال، ص256، الطبري، تاريخ، 223/6 – 224، الخوارزمي، مقتل الحسين، 353/1 – 355، ابن كثير، البداية والنهاية، 176/8.

وقد أيد مجموعة من الكتّاب المصريين رواية اعطاء الحسين (ع) الخصال الثلاث لابن سعد، ورأوا انه (ع) قدم عروضاً كريمة في منتهى العدل والنصفة، كانت كفيلة بمنع الحرب والقتال[1]، ورأى فيها عبد اللطيف مبادرة طيبة، برأ فيها الحسين (ع) ذمته تماماً، ورجع إلى الصواب !! رغم خطأه أساساً في الخروج[2].

وذكر قسم آخر منهم خيارين فقط عرضهما الحسين (ع) وتفاوتوا في اختيار هذين الخيارين من بين ثلاث خيارات ذكرتها الرواية الأصلية في المصادر المتقدمة. فذكروا خيار الرجوع إلى المدينة، وخيار الذهاب إلى أي ثغر من ثغور المسلمين، وعللوا ذلك بضيق الأمر على الحسين، واشتداد الكرب، وانفضاض الناس عنه، ومنعه عن الماء فاضطر ان يعرض على ابن سعد إحدى الخصلتين[3].

بينما ذكر حسن إبراهيم حسن خيارين أيضاً ولكنه انتقى منهما خيار الذهاب إلى يزيد أو الرجوع إلى الحجاز لأنه رأى ضآلة قوته، وعجزه عن القتال[4]. وإذا كان الباحث يسجل هنا تهاون الكتّاب المصريين في نقل الحقيقة التاريخية من مصادرها والسير بها عن قصد أو غير قصد إلى سبيل التحريف فإن ذلك كان أشد وضوحاً، وبصورة لا تخلو من قدح بشخص الامام الحسين (ع) لدى أحدهم إذ قال: ان الحسين (ع) حين حاصره جيش عمر بن سعد، ناشد ابن سعد وشمراً الله والإسلام ان يسيّروه إلى أمير المؤمنين يزيد ليضع يده في يده، فأبوا إلا نزوله على حكم ابن زياد[5].

ومن ناحية أخرى أوردت بعض المصادر المصرية رواية عقبة بن سمعان التي كذّب فيها قضية الخصال الثلاثة التي اعطاها الحسين (ع) لعمر بن سعد، وقد رجحوا رواية عقبة تلك[6]، لكن من اغرب ما قرأه الباحث في هذا المجال محاولة العقاد ان يجمع بين هذه الآراء جميعاً فيورد شهادة عقبة بن سمعان التي تبرأ الحسين (ع) من طلب الذهاب أو مبايعة يزيد، ويعود ليضع احتمال وقوع الحادثة فيؤول قراءة الأحداث كالتالي:

---

(1) مشتهري، سيد شباب أهل الجنة، ص56 – 57، النجار، الدولة الأموية، ص88.

وينظر: ابراهيم، أيام العرب، ص417، الجندي، عبد الحليم، الامام جعفر الصادق، ط القاهرة، 1407هـ/1986م، ص49، شلبي، للدولة الأموية، 40/ق28/5، حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 240/2، الحوفي، أدب السياسة، ص40، سرور، الحياة السياسية، ص137، رضا، الحسن والحسين، ص86، شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي – الدولة الأموية، 201/2.

(2) العالم الإسلامي، ص475 – 476.

(3) ماجد، للتاريخ السياسي، 74/2، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص91.

(4) التاريخ الإسلامي العام، ص284 – 285.

(5) السيد، سيرة آل بيت النبي، ص333.

(6) ينظر: منصور، الشقيقان، ص63 – 64، غريب، الامام الحسين، ص98 – 99، عويس، شهيد كربلاء، ص168، خالد، ابناء الرسول في كربلاء، ص120 – 121، أبو النصر، الحسين بن علي، ص110، لطفي، الشهيد الخالد، ص50، أبو علم، الحسين بن علي، ص136 – 137.

((ان الحسين ربما اقترح الذهاب إلى يزيد ليرى رأيه ولكنه لم يعدهم أن يبايعه أو يضع يده في يده... ولعل عمر بن سعد قد تجوز في نقل كلام الحسين عمداً، ليأذنوا له في حمله إلى يزيد، فيلقي عن كاهله مقاتلته وما تجر إليه سوء القالة ووخز الضمير))[1].

وقد رأى غنيم أن رواية عقبة بن سمعان هي أقرب الأشياء إلى خلق الحسين (عليه السلام) وإباءه، وإيثاره الموت على ان يعطي اعداءه بيده اعطاء الذليل، أو أن يقرّ لهم إقرار العبيد[2].

وفسّر باحث مصري اخر وجود رواية الخصال الثلاث التي اعطاها الحسين (عليه السلام) على انها من أحاديث الافك فقال: ان البطل فور ما يموت فإنه تخرج أحاديث الافك لتنسب له تنازلات وسقطات تشوه من الصورة النقية وتشكك في المواقف القاطعة، لمجرد ان تشوه الفكرة لدى الناس وتأخذ بهم مأخذ الرد والايجاب والنفي والجدل، والمنطق يرفض الرواية التي زعمت عروض الحسين (عليه السلام) على اعدائه من الخصال الثلاث جملة وتفصيلا[3].

وجاء تفسير الورداني ليستكشف زوايا أخرى في هذا التشويه وأحاديث الكذب التي نُسبت للحسين (عليه السلام) فيذكر: ان هذه الرواية قد وجهت طعنة شديدة للامام الحسين (عليه السلام) وأخيه وأبيه وخط آل بيته وللإسلام النبوي الذي يمثله في ذلك الطرح الانهزامي الخانع الذي يعكس شخصية منهارة قدمت التنازلات فور وقوع المواجهة ومن قبل وقوع الصدام، فهو يطلب تسييره إلى ثغر من الثغور ليقاتل تحت راية الامويين، فما دام لا يحمل أي صورة من العداء لبني أمية فلِمَ كان خروجه إذن ؟ وحين يطلب الرجوع إلى المدينة فكأنه ضحى بكل القيم والمبادئ التي آمن بها وتبعه الناس على أساسها فكأنه يخدع أولئك الناس من أجل النجاة بنفسه، وحين يطلب منه ان يضع يده بيد يزيد فكأنه يضحي بالإسلام النبوي وجهاد أبيه وأخيه وينفي وجود أي بوادر عداء وصراع بين الحق الذي يمثله والباطل المتمثل بيزيد وبنو أمية، وكيف للامام (عليه السلام) ان يطلب ان يضع يده في يد يزيد ويقدم مثل تلك التنازلات وفي النهاية يرفض النزول على حكم ابن زياد ويقاتل ؟ ان الذي يقدم مثل تلك التنازلات، لا يشكل له النزول على حكم ابن زياد حرجا ويخلص الكاتب إلى ان مثل هذه الروايات هي من صنع السياسة واخترعت خصيصاً لخدمة الأمويين ونصرتهم وضرب خط آل البيت وتشويهه[4].

ويخالف شاهين الباحثين الأخيرين في أسباب وضع هذه الرواية عن الحسين (عليه السلام) وينتقد القائلين بوضعها لهدف تشويه موقف الحسين (عليه السلام) وايهام الناس بأنه قد خضع وأحنى رأسه للسلطان، فيرى انها وضعت للإساءة إلى عامل الامويين (عبيد الله بن زياد) على العراق فصورته متعنتاً، متصلباً، متربصاً بالحسين (عليه السلام)، يسعى إلى إذلاله وقتله، وألمحت الرواية إلى ضعفه عندما جعلته يستشير لقبول تلك الخصال أو رفضها أحد رجال القبائل

---

(1) أبو الشهداء، ص192.

(2) الثورات العلوية، ص175.

(3) عيسى، دم الحسين، ص61.

(4) السيف والسياسة، ص146 – 147.

المغامرين (شمر بن ذي الجوشن)، بينما اظهرت الحسين (عليه السلام) مسالماً باذلاً ما في وسعه لتجنب القتال، ومجدت موقفه، وجعلته شهيداً مظلوماً، وقد أنكر شاهين أن يكون الأمويين وأعوانهم هم واضعوا هذه الرواية، فحسبَ ما قدمه شاهين، أن الرواية وردت في مصادر شيعية، وبرواية شيعية فهي إذن شيعية الأصل[1].

وان المتأمل في هذه الرواية يجد أن أول من أوردها ووصلت عن طريقه في كتاب الطبري وغيره، هو أبو مخنف وانه قد أورد أولاً عمن شهد قتل الحسين (عليه السلام) لقاء الحسين (عليه السلام) بابن سعد وذكر ان ذلك اللقاء لم يحضره أحد وقد ((تحدث الناس فيما بينهما؛ ظناً يظنونه ان حسيناً قال لعمر بن سعد: اخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين.. وشاع فيهم))[2]، ثم أورد رواية الخصال الثلاث برواية المحدثين[3]، واعقب ذلك برواية شاهد عيان هو عقبة بن سمعان النافية لحصول ذلك. ويتبين من هذا النقل أمانة الراوي الشيعي واحاطته بكل ما قيل عن الحدث التاريخي حتى ذلك الذي انتشر على سبيل الشائعة؛ وان خبر الخصال الثلاث قد ورد في حديث المحدثين وليس شهود العيان الذي حضروا المقتل ورووا كل ما ينفي وقوعها؛ ان تسلسل النقل لدى أبو مخنف يوحي بانسجامه مع نفي هذه الرواية فلم يؤكد عليها ليقال ان رواة الشيعة قد وضعوها لتشويه صورة ابن زياد أو حشد التعاطف مع الحسين (عليه السلام) !!.

وقد استبعد شاهين نفسه رواية الخصال الثلاث لأسباب أخرى، منها: ان عرض الحسين(عليه السلام) الذهاب إلى يزيد لا يعني بالضرورة استعداده لمبايعة يزيد. ويتفق هنا في هذا الاحتمال مع العقاد[4]، ولوجود رواية عقبة بن سمعان التي تتفق مع رواية شامية لما حدث، تظهر الحسين (عليه السلام) يأبى الاستسلام وهذا يتفق مع طبيعة الحسين (عليه السلام) وإبائه وشممه الذي رفض ان يبايع ليزيد وعارض توليته منذ عهد معاوية واشتهر عنه ذلك في الحجاز والعراق، كما ان ترجيح عدم وقوع رواية الخصال من الحسين (عليه السلام) أكثر منطقية في تفسير موقف ابن زياد الذي يصعب تبريره في الروايات الأخرى إلاّ بالرغبة في التشفي والانتقام، وهي تتفق مع المعروف من ذكاء ابن زياد السياسي الذي استطاع به تحويل موقف الكوفة وجمعها خلفه في حرب من استدعاه أهلها ليبايعوه، ولم يكن مما يتفق مع ذلك الذكاء ان يرفض ابن زياد الخيارات السياسية التي تطرحها الروايات الأخرى على لسان الحسين (عليه السلام) مع ان فيها على الأقل تخليصاً له من ذلك المأزق، وتحميلاً اياه على عاتق يزيد، كما انه مما لا يتفق مع قدرات ابن زياد أن تصوره الرواية قد تلعب به شمر بن ذي الجوشن فأحاله عن رأيه في موادعة الحسين (عليه السلام) إلى تصميم كامل على قتاله بغير حجة ناصعة أو سبب قوي يعلل ذلك التحول، وابن زياد كان أحوج ما يكون إلى ان يقدم دليلاً على ولائه واخلاصه للنظام –

---

(1) الدولة الأموية المفترى عليها، ص317.

(2) مقتل الحسين، ص99، الطبري، تاريخ، 6/219 – 220.

(3) مقتل الحسين، ص99.

(4) الدولة الأموية المفترى عليها، ص317 – 318، وينظر: أبو الشهداء، ص192.

بسبب علاقته السيئة بيزيد قبل توليه العراق – ولن يتحقق ذلك ان ترك الحسين (عليه السلام) يمضي من حيث أتى ليثير معركة محتملة من جديد[1].

ومع رجحان ما ذكره شاهين من أسباب لرفض الرواية إلاّ انه بالغ في اعفاء شمر من توجيه النصح لابن زياد، أو حاجة الأخير إلى مثل تلك المشورة؛ واخطأ فيما ذكره من ان مشورة الشمر لم تكن بحجة ناصعة أو سبب قوي لصرف ابن زياد عن الموادعة إلى القتال بدليل ما قاله الشمر في تلك النصيحة:

((أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك ! والله لئن رحل من بلدك، ولم يضع يده في يدك، ليكونن أولى بالقوة والعزة ولتكوننّ أولى بالضعف والعجز، فلا تعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأُصحابه، فإن عاقبت فأنت وليّ العقوبة، وإن غفرت كان ذلك لك))[2].

ففي هذا الرأي حجة قاطعة، وسبب قوي ليركن إليها ابن زياد إذ ان شمراً نبّه ابن زياد إلى ان السلام هو فرصة سياسية سانحة للحسين (عليه السلام) تساعده على حشد قوته من جديد في الكوفة أو غيرها، في الوقت الذي تمكن منه وحاصره، وان دعوته للنزول على حكم ابن زياد هي الموقف اللائق بقوة الدولة التي إن شاءت عاقبت وإن شاءت غفرت؛ فعروضها يجب أن تكون من منطلق القوة لا الضعف في مواجهة معارضة خارج عليها، ومنكر لشرعيتها.

بعث ابن زياد بكتاب إلى ابن سعد مع شمر عنّفه فيه على لقائه بالحسين (عليه السلام) وطلب منه أن يخيّر الامام بين الاستسلام والنزول على حكم ابن زياد أو القتال، فإن أبى إلاّ القتال فعلى ابن سعد ان يقتله وأصحابه ويمثّل بهم لأنهم – في رأي ابن زياد – لذلك مستحقون، وعليه ان يطأ الخيل صدر الحسين (عليه السلام) وظهره لأنه عاق مشاق، قاطع ظلوم كما وصفه ابن زياد، ثم أوصى شمراً ان يسمع لابن سعد ويطيعه إذا التزم بتنفيذ الأوامر فإن خالف ذلك فلشمر أن يقتله ويبعث برأسه إليه ويصبح أمير الجيش بدلاً عنه[3].

نهض عمر بن سعد إلى حرب الحسين (عليه السلام)، ولم يتخلَ عن إمرة الجيش فأوامر ابن زياد تضعه على حافة الاختيار الصعب والخطير الذي لا مجال معه للتردد، وكاد القتال ان ينشب لولا ان الحسين (عليه السلام) طلب إمهاله إلى صباح اليوم التالي، وبعد محاورة بين ابن سعد واشراف الكوفة أُجيب الحسين (عليه السلام) إلى طلبه[4].

---

(1) الدولة الأموية المفترى عليها، ص318 – 319.

(2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص101، البلاذري، انساب الاشراف، 390/3، الطبري، تاريخ، 222/6، ابن الأثير، الكامل، 414/3.

(3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص101، البلاذري، انساب الاشراف، 391/3، الطبري، تاريخ، 222/6، ابن اعثم، الفتوح، 93/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 348/1، ابن الأثير، الكامل، 414/3.

(4) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص104 – 107، البلاذري، انساب الاشراف، 391/3 – 393، الدينوري، الأخبار الطوال، ص256، الطبري، تاريخ، 223/6 – 224، الخوارزمي، مقتل الحسين، 353/1 – 355، ابن كثير، البداية والنهاية، 176/8.

ويذكر أحد الباحثين المصريين ان الحسين (عليه السلام) طلب الهدنة لأنــه يعــرف ان القــوم يطلبونه فلماذا يقتل الآخرون، فهو طلب الهدنة ليطلب من اصحابه التفرق ويتخــذوا الليــل جملا[1].

جمع الحسين (عليه السلام) في ليلة العاشر من محرم أصحابه وأثنى عليهم وجزاهم عنه خيــراً وقال: ((... فاني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً، ألا وإني اظن يومنا من هؤلاء الاعداء غداً، ألا وإني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم مني ذمام، هذا ليلٌ قد غشيكم فاتخذوه جملا))[2].

وقد تكون هذه آخر مرة وضع فيها الحسين (عليه السلام) أصحابه على محك الاختيار، وتــرك لهم اختيار طريق النجاة أو الشهادة واستصفى بطريق غير مباشر كل من آمن بمبدأه، واستعد للبذل في سبيله، وآثر الآخرة على العاجلة، بعد أن نقى ذلك المعسكر الضئيل من كل راغبٍ في دنيا، أو مصاحبٍ لطمع، أو متبع لنصر عاجل.

وقد رفض أصحابه وأهل بيته ان يتفرقوا عنه وأبدوا استعدادهم للموت والتضحية[3].

لقد كانوا على أعظم معنويات وأرفع طاقات شهدها تــاريخ الأبطــال البواســل ! لــم يستوحشوا من قلتهم أو يخشوا كثرة العدو اللدود ولم يستاؤوا لندرة عددهم[4]، ولــذلك قــيّم العقاد موقفهم في البذل فقال: ((وإنما تكون الندرة هنا أدل على جلالة المرتقى الذي تطيقــه النفس الواحدة أو الانفس المعدودات، ولا تطيقه نفوس الأكثرين))[5].

وشارك العقاد باحث مصري آخر فأوضح ان تفرد ابطال الحق هو انتمــاؤهم العظــيم للتضحية والحق، وقد أوضحت كربلاء شرف التضحية على نحو باهر وجليل، حتى لنظن ان الاقدار إنما أرادت ذلك اليوم بكل أهواله وتضحياته لتؤكد شرف التضحية في وعي البشرية كلها، وليضيء بمغزاه العظيم ضمير الحياة، من أجل ذلك اختارت لها في يوم كربلاء، نماذج رفيعة، بالغة الرفعة، وقضية عادلة، بالغة العدالة، ونضالاً باسلاً بالغ البسالة[6].

ومن العجيب ان ينعت الجميلي أصحاب الحسين (عليه السلام) بأنهم كانوا أعصى جند معتمــداً على رواية ضعيفة تذكر رغبة الحسين (عليه السلام) بالرجوع عن طريق الكوفة بعد مقتل مسلم بن

---

(1) غريب، مأمون، بطلة كربلاء السيد زينب رضي الله عنها، ط القاهرة، 1420هـ/1999م، 112 – 113.

(2) ينظر بتفاوت في الألفاظ: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص109 – 110، البلاذري، انــساب الاشــراف، 393/3، الطبري، تاريخ، 224/6 – 225، ابن اعثم، الفتوح، 95/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 349/1 – 351.

(3) ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص109 – 110، البلاذري، انساب الاشــراف، 393/3، الطبــري، تــاريخ، 224/6 – 225، ابن طاووس، اللهوف، ص57 – 60.

(4) عابدين، الدوافع الذاتية، ص247.

(5) أبو الشهداء، ص88.

(6) خالد، ابناء الرسول في كربلاء، ص161.

عقيل فيها[1] ويخالف بذلك التواتر الحاصل على موقف أصحاب الحسين (عليه السلام) البطولي والفدائي، ووصف الحسين (عليه السلام) لهم بأنهم خير، وأبرّ، وأوصل أصحاب وأهل بيت.

وقد أمسى الحسين (عليه السلام) وأصحابه الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون[2].

وقد عدّ غنيم ذلك من تصوير الرواة لاثارة المشاعر وجلب العواطف تجاه الحسين (عليه السلام) وصحبه فقال: ((... ويصور أبو مخنف وشيوخه انباء هذه الليلة – ليلة عاشوراء – باسلوب عاطفي يثير المشاعر، ويهيج الخواطر، ويبدي الحسين ورجاله في ثياب الأنبياء والصديقين الذين أثروا المبادئ والمثل ولم يفضلوا عليها شيئاً من اطايب الدنيا))[3]. ويبدو ان تفهم ذلك المثل الأعلى لأصحاب الحسين (عليه السلام) هو مما لا تطيقه نفوس الأكثرية كما ذكر العقاد، فأصحاب الحسين (عليه السلام) قد اثروا فعلاً – وبموقف عملي يوم عاشوراء – المبادئ والمثل ولم يفضلوا عليها اطايب الحياة.

أمر الحسين (عليه السلام) بمضارب اصحابه وأهل بيته ان يدنى بعضها من بعض، وبالقصب من خلف المضارب فيرمى في خندق أمر بحفره ثم أضرم النار في ذلك القصب في يوم العاشر مخافة ان يأتيهم العدو من خلفهم[4].

وعندما استعد الطرفان للقتال رفع الامام الحسين (عليه السلام) يده داعياً الله سبحانه، وواثقاً بوعده فقال:

((اللهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل ثقة وعدة، كم من هم يُضعف الفؤاد وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، انزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمن سواك، ففرجته وكشفته فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة))[5].

ثم خطب في معسكر ابن سعد قبل ان تدور المعركة قائلاً:

((أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى اعظكم بما لحقٌ لكم عليّ، وحتى اعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي واعطيتموني النصف من انفسكم كنتم بذلك أسعد، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من انفسكم فاجمعوا امركم وشركائكم ثم لا يكون امركم عليكم غمة ثم اقضوا اليّ ولا تنظرون، ان وليّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين.. أما بعد فانسبوني فانظروا من انا ؟ ثم ارجعوا إلى انفسكم وعاتبوها، فانظروا هل

---

(1) مقدمة كتاب استشهاد الحسين للطبري، ص22.

(2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص112، البلاذري، انساب الاشراف، 394/3، الطبري، تاريخ، 226/6، ابن اعثم، الفتوح، 99/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 355/1، ابن كثير، البداية والنهاية، 177/8.

(3) الثورات العلوية، ص176.

(4) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص112 – 113، البلاذري، انساب الاشراف، 395/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص256، الطبري، تاريخ، 227/6، ابن الأثير، الكامل، 417/3.

(5) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص115 – 116، الطبري، تاريخ، 227/6، ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص214، ابن الأثير، الكامل، 418/3.

يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟ ألست ابن بنت نبيكم (ﷺ) وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ؟ أوليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي؟ أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم: ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة ؟ فإن صدقتموني بما اقول – وهو الحق – والله ما تعمدت كذباً مذ علمت ان الله يمقت عليه أهله ويضرّ به من اختلقه، وان كذبتموني فإن فيكم من ان سألتموه عن ذلك اخبركم سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري[1]، أو أبا سعيد الخدري[2]، أو سهل بن سعد الساعدي[3]، او زيد بن أرقم[4] أو أنس بن مالك[5]، يخبروكم انهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله (ﷺ) لي ولأخي، أفما في هذا حاجز

---

(1) يكنى أبا عبد الله، من المكثرين عن النبي (ﷺ) له ولأبيه صحبه، ممن شهد العقبة، كان له حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم، كف بصره في أخر عمره، توفي سنة 74هـ/693م أو 78هـ/697م، في المدينة. ابن قتيبة، المعارف، ص173، ابن عبد البر، الاستيعاب، 221/1 – 222، ابن حجر، الاصابة، 213/1.

(2) سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الانصاري، من الحفاظ المكثرين، العلماء الفضلاء. يعد من فقهاء الصحابة. شهد مع رسول الله (ﷺ) مشاهده، أختلف في وفاته، وذكر ابن عبد البر قول الواقدي انه توفي سنة 74هـ/693م. ابن قتيبة، المعارف، ص153، ابن عبد البر، الاستيعاب، 89/4، ابن حجر، الاصابة، 35/2.

وقد ذكر جابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري في رواية لابن كثير انهما من الناصحين للحسين (عليه السلام) بعدم الخروج على السلطة واستبعدنا حصول ذلك كما تقدم. وقد أورد ابن طاووس ان جابر بن عبد الله الانصاري قد زار قبر الحسين (عليه السلام) في العشرين من صفر فقد يكون ساكنا في هذا الوقت في الكوفة حسب ما ورد في الخطبة أعلاه. ينظر: اللهوف، ص126.

(3) خزرجي انصاري، توفي النبي (ﷺ) ولسعد خمسة عشر سنة وقد عمّر حتى أدرك الحجاج، وفي سنة 74هـ/ أرسل الحجاج إليه يريد اذلاله فقال له: ما منعك من نصر أمير المؤمنين عثمان، قال: قد فعلته، قال كذبت ثم أمر به فختم في عنقه وعنق أنس بن مالك وفي يد جابر يريد بذلك اذلالهم، وان يجتنبهم الناس ولا يسمعوا منهم. اختلف في وفاته فقيل سنة 91هـ/709م، وقيل سنة 96هـ/714م، ابن عبد البر، الاستيعاب، 95/2 – 96، ابن الاثير، اسد الغابة، 366/2، ابن حجر، الاصابة، 88/2.

(4) بن زيد الانصاري الخزرجي يُعد في الكوفيين، نزل الكوفة وسكنها وبنى بها داراً، صحب النبي (ﷺ)، وشهد صفين مع علي (عليه السلام) وهو معدود من خاصة أصحابه. توفي في الكوفة سنة 68هـ/687م.

ابن عبد البر، الاستيعاب، 556/1 – 558، ابن حجر، الاصابة، 560/1.

(5) بن ضمضم الانصاري الخزرجي، خادم رسول الله (ﷺ)، وأحد المكثرين من الرواية عنه، أقام بالمدينة بعد وفاة الرسول (ﷺ) ثم شهد الفتوح وقطن البصرة، وتوفي في قصره بالطف على فرسخين من البصرة سنة 93هـ/711م. ابن عبد البر، الاستيعاب، 71/1 – 73، ابن حجر، الاصابة، 71/1 – 72.

وقد وردت روايات تثبت وجود الصحابيين (زيد وأنس) في الكوفة في زمان حصول مقتل الحسين (عليه السلام).

ينظر: البخاري، الصحيح، ص665، الترمذي، الجامع الصحيح، ص990، الطبري، تاريخ، 248/6، ابن كثير، البداية والنهاية، 190/8.

والحسين (عليه السلام) قد أورد بعض السماء لصحابة قد يكونوا من سكنة الكوفة في هذا الوقت، ولا يشترط وجودهم جميعا.

لكم عن سفك دمي ؟.. فإن كنتم في شك من هذا القول أفتشكون أثراً ما أني ابنُ بنت نبيكم ! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن نبي غيري منكم ولا من غيركم، انا ابن نبيكم خاصـــة، اخبروني اتطلبوني بقتيل منكم قتلته ! أو مال استهلكته ؟! أو بقصاص من جراحـــة ؟.. يـــا شبث بن ربعي، ويا حجار بن ابجر، ويا قيس بن الاشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبـــوا ليّ ان قد اينعت الثمار، واخضرّ الجناب، وطمت الجمام وإنما تقدم على جند لك مجنّد، فأقبل ! قالوا له: لم نفعل؛ فقال: سبحان الله ! بلى والله، لقد فعلتم؛ ثم قال: أيها الناس، إذ كرهتموني فدعوني انصرف عنكم إلى مأمني من الأرض..))[1].

لقد حاول الامام الحسين (عليه السلام) في خطبته هذه قبل بدء المعركة ان يُلقي الحجـــة علـــى الجيش الزاحف لحربه طالبا منهم ألا يتعجلوا حتى يستمعوا إلى خطابه وعظته لهم، لعل هذه المواعظ والحجج التي ساقها تترك أثرها في توعيتهم في اللحظات الأخيـــرة؛ فعمـــد إلـــى تذكيرهم بشخصيته ومكانته الدينية وقربه من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وانه وأخاه الحسن (عليه السلام) سيدا شباب أهل الجنة ليكسب ذلك التعريف الشخصي بعده الاجتماعي والأخروي في آن واحد وقد يكون ذلك للمقايسة مع شخصية يزيد من جهة أو استمراراً لما بدأه من التشديد على مكانـــة أهل البيت (عليهم السلام) واحقيتهم في مكة وطريق كربلاء – كمـــا تقـــدم – لقـــد اعتـــصم الامـــام ((بالمنطق في التحاجج مطالباً أهل الكوفة من الذي شحذوا سيوفهم لقتله وقتل أصحابه.. بأن يستخدموا ما أعطاهم الله من عقل وفكر وان لا ينساقوا كالهمج الرعاع، وبذلك وضع الامام يده على الجرح عندما أراد أن يحررهم من استبداد الطغاة والدعاية المظللة والفكرة الخاطئة، وان يمنحهم قوة الشخصية لكي يفكروا ويتسائلوا ويبحثوا عن الأمور والحقيقة بأنفسهم، ولـــم ينس ان يستخدم اسلوب العتاب، لأن في العتاب وتأنيب الضمير علاج للكثير مـــن حـــالات الانهزامية والشلل النفسي والازدواجية))[2]. فهل يطلبونه بدم قتيل لهـــم أو مـــال أخـــذه، أو قصاص ؟ ثم يتساءل لهم: ألم يقدم عليهم حين كاتبه أشرافهم وأهل الـــرأي مـــنهم، طـــالبين حضوره، ومهيئين لوصوله ؟ لكن هذه المواجهة والحجج قابلها الاشراف بالنكران والتنصل، فأراد الحسين (عليه السلام) للحقيقة ان تسطع فأقسم بحدوث ذلك، ولما يئس من يقظتهم دعاهم إلـــى ان يتركوه لينصرف وألا يتورطوا بقتله.

لقد أثرت هذه الخطبة التي قالها الحسين (عليه السلام) في عدد من افراد جيش عمر بـــن ســـعد فالتحق الحرّ بن يزيد الرياحي في تلك اللحظات الحاسمة بمعسكر الحسين (عليه السلام) وطلب منـــه العفو والمغفرة والتوبة عما بدر منه، فثمن الامام (عليه السلام) موقفه، وميّز سلوكه عن بقية الجيش المعادي فقال: أنت الحر كما سمتك أمك، أنت الحر في الدنيا والآخـــرة[3]. وذكـــر المحـــب الطبري التحاق ثلاثون رجلاً من أهل الكوفة بمعسكر الحسين (عليه السلام)، وأوضح ابن كثير أنهم

---

(1) ينظر بتفاوت في الألفاظ: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص116 – 117، الطبري، تـــاريخ، 228/6 – 229، ابـــن الأثير، الكامل، 418/3 – 419.

(2) الكرمي، ناصر، الامام الحسين كما رأيت، ط ايران، 1426هـ/2005م، ص396.

(3) ذخائر العقبى، ص159.

ثلاثين فارساً التحقوا مع الحر الرياحي بمعسكر الحسين (عليه السلام)[1]. ويبدو أن هناك مجموعة محددة قد انتقلت إلى صفوف الحسين (عليه السلام) من جيش ابن سعد، وقد يكون الحر أولهم ثم تلاه أخرون، فضلاً عن الافراد الذين حاولوا الالتحاق بالحسين (عليه السلام) من الكوفة وضواحيها[2] والذين ذكرنا بعض منهم.

وقد واصل الحسين (عليه السلام) وأصحابه ومنهم الحرّ الرياحي الاعذار للقوم، والانذار والتذكير[3]، فلم يثمر ذلك فيهم وإنما بدأوا يتبرمون بكثرة النصح ويحدثون الضوضاء لكيلا تصل إليهم الحجة البالغة التي تضعهم في مواجهة نفوس خائنة، فعل فيها الازدواج والنفاق فعله[4]، فوبخهم الحسين (عليه السلام) مستخدماً اسلوب التقريع الشديد، والمواجهة الصريحة التي كشفت موقفهم المتخاذل، الغادر بغير إصلاح مأمول في السلطة، أو أمل في غدٍ يرتجى، فهم ينضمون لعدوهم، ويقتلون أملهم ولات حين نكوص فقال:

((تبا لكم ايتها الجماعة وترحا، أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في ايمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم البأ لاعدائكم على أوليائكم، بغير عدل افشوه فيكم، ولا امل اصبح لكم فيهم، فهلا لكم الويلات ! تركتمونا والسيف مشيم والجأش ضامن والرأي لما يستحصف... أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون ؟ أجل والله غدرٌ فيكم قديم، وشجت إليه اصولكم...))[5].

ويبدو أن عمر بن سعد قد خشي انتقاض أمره بعد تلك الخطب التي استهوت قلوب بعض من جنده، فرفع قوسه وأطلق سهماً وهو يقول: اشهدوا لي عند الأمير بأني أول من رمى[6]، وبدأت المعركة بالمبارزة، وتراشق الناس بالنبال وقد أبلى أصحاب الحسين (عليه السلام) بلاءً حسناً فاضطر ابن سعد امام شدتهم ان ينهى الناس عن المبارزة ويعطي أوامره بالهجوم[7]. وأخذ

---

(1) البداية والنهاية، 179/8.

(2) ينظر: خروج عبد الله بن عمير الكلبي وزوجته أم وهب بنت عبد وانضمامها إلى الحسين (عليه السلام) بعد أن رأوا الناس يعرضون بالنخيلة ليسرّحوا الى الحسين (عليه السلام). الطبري، تاريخ، 231/6؛ ويزيد بن زياد بن المهاصر، المصدر نفسه، 241/6.

(3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص119 – 120، البلاذري، انساب الاشراف، 397/3، اليعقوبي، تاريخ، 170/2، الطبري، تاريخ، 229/6 – 230، ابن الأثير، الكامل، 420/3.

(4) ينظر: الطبري، تاريخ، 228/6 – 229.

(5) ابن طاووس، اللهوف، ص61 – 62.

(6) ينظر بتفاوت في الألفاظ: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص123، البلاذري، انساب الاشراف، 398/3، الطبري، تاريخ، 231/6، ابن اعثم، الفتوح، 100/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 11/2، ابن كثير، البداية والنهاية، 181/8.

(7) ينظر: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص123 – 135، البلاذري، انساب الاشراف، 399/3 – 400، الطبري، تاريخ، 231/6 – 235، الخوارزمي، مقتل الحسين، 11/2 – 18، ابن الأثير، الكامل، 423/4، ابن كثير، البداية والنهاية، 181/8 – 182.

ومما يذكر في هذا المجال قول عمرو بن الحجاج لمنع المبارزة: ((يا حمقى أتدرون من تقاتلون ؟ إنما تقاتلون نقاوة فرسان أهل المصر، وقوما مستقتلين مستميتين فلا يبرزنّ لهم منكم أحد، فانهم قليل، وقلّ ما يبقون.. فقال عمر: صدقت، هذا الرأي..)). البلاذري، انساب الاشراف، 400/3، الطبري، تاريخ، 235/6.

رجال الحسين (عليه السلام) يستشهدون الواحد تلو الآخر، وكلما يُصرع أحدهم يوصي من بعده بالدفاع عن الحسين (عليه السلام) والموت دونه، وهم يتنافسون للموت بين يديه حتى قتل أصحابه عن آخرهم[1]، ثم برز أهل بيته بأسيافهم حتى نالوا الشهادة[2].

وقد مارس الجيش الأموي الوان القسوة تجاه الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، فقد أمر ابن سعد بتقويض مضارب الحسين (عليه السلام) واحراق خيامه[3]. وعندما اتى الامام (عليه السلام) بولده الرضيع عبد الله فوضعه في حجره، رموه وقتلوه وهو في حجر أبيه[4].

وظل الحسين (عليه السلام) وحيداً يناجز القوم ويدعو عليهم:

((اللهم امسك عنهم قطر السماء، وامنعهم بركات الأرض، اللهم متعهم إلى حين ففرقهم فرقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترضي عنهم الولاة ابداً، فانهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فقتلونا))[5].

ثم نادى شمراً بالناس التي كانت تتحاشى ان يتولوا قتله: ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم امهاتكم، فحمل القوم عليه من كل جانب، ومال عليه الرجال رمياً بالسهام وطعناً بالرماح وضرباً بالسيوف حتى هوى (عليه السلام) إلى الأرض، فقال سنان بن انس النخعي لخولي بن يزيد الاصبحي احتز رأسه، فأراد ان يفعل فضعف وأرعد، فقال سنان: فت الله عضديك وأبان يديك فنزل إليه وذبحه واحتز رأسه، وسلب ما كان عليه، ومال الناس إلى متاع الحسين (عليه السلام) فانتهبوه، ثم ما لوا إلى نسائه وثقله ومتاعه، فإن كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تُغلب عليه فيُذهب به منها[6].

وقد وقع الاختلاف فيمن احتز رأس الامام (عليه السلام)، فقائل انه شبل بن يزيد الاصبحي[7]، وقائل انه خولي بن يزيد[8]، واشتهر بذلك شمر بن ذي الجوشن[9] وترسخ هذا الاسم في الوجدان الشعبي كثيراً إلى يومنا هذا؛ وقد انقسم الباحثون المصريون ازاء هذه القضية كذلك،

---

(1) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص136 – 160، البلاذري، انساب الاشراف، 400/3 – 406، الدينوري، الأخبار الطوال، ص256، الطبري، تاريخ، 235/6 – 242، الخوارزمي، مقتل الحسين، 18/2 – 29، ابن الأثير، الكامل، 423/3 – 428.

(2) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص160 – 192، ابن خياط، تاريخ، ص145، البلاذري، انساب الاشراف، 406/3 – 407، الدينوري، الأخبار الطوال، ص256 – 257، الطبري، تاريخ، 242/6 – 245، ابن اعثم، الفتوح، 110/5 – 115.

(3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص141، البلاذري، انساب الاشراف، 402/3، ابن الأثير، الكامل، 425/3.

(4) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص171 – 173، البلاذري، انساب الاشراف، 407/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص258، اليعقوبي، تاريخ، 170/2، ابن اعثم، الفتوح، 115/5، سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، 164/2.

(5) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص193، الطبري، تاريخ، 245/6، ابن الأثير، الكامل، 431/3.

(6) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص200 – 201، البلاذري، انساب الاشراف، 409/3 – 410، الطبري، تاريخ، 246/6، ابن الأثير، الكامل، 432/3، النويري، نهاية الارب، 459/20 – 460.

(7) الدينوري، الأخبار الطوال، ص258.

(8) ابن اعثم، الفتوح، 119/5، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 380/4.

(9) ينظر: ابن خياط، تاريخ، ص146، الخوارزمي، مقتل الحسين، 41/2، وذكره ابن كثير ضمن من روي بأنه احتز الرأس الشريف لكنه رجح رواية أبي مخنف من كون سنان هو الذي باشر ذلك. البداية والنهاية، 188/8.

فذهب قسم منهم إلى أن سنان بن أنس النخعي هو من احتز رأس الحسين (عليه السلام)[1]، وذكر آخرون انه شمر بن ذي الجوشن[2]؛ ويرى الباحث ان السبب في هذه الشهرة يرجع إلى أحاديث أكدت ولوغ شمر في دماء أهل بيت النبوة، فقد روي عن الحسين (عليه السلام) قوله: صدق الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) إذ يقول: كأني انظر إلى كلب ابقع يلغ في دماء أهل بيتي[3]، وان الحسين(عليه السلام) رأى في المنام كلباً ابقع يلغ في دمائهم ففسّره بأنه شمر بن ذي الجوشن[4].

ويبدو أن المؤرخين أخذوا هذه الروايات على ان شمراً هو الذي قام باحتزاز الرأس، ويرى الباحث ان دلالة قول الرسول أو رؤيا الحسين (عليه السلام) ان شمراً كان اشد الناس في التحريض على الحسين (عليه السلام) فهو الذي دعا ابن زياد إلى رفض مشورة ابن سعد بترك الحسين (عليه السلام) وحسّن إليه نزول الامام على حكمه وهو يعلم إباء الحسين (عليه السلام) لذلك[5]. ثم ان شمراً كان على مدار المعركة قاسياً جباراً يحاول حرق فسطاط الحسين (عليه السلام) على أهله[6] ويصول ويجول في المعركة، فقتل عددا من أصحاب الحسين (عليه السلام) وهو يرتجز[7]:

خلوا عداة الله خلو عن شمر　　يضربهم بسيفه ولا يفر

وهو لكم صابٌ وسَمّ ومَقِر[8]

ثم انه هو الذي حرض الناس على قتل الحسين (عليه السلام) بعد بقائه وحيداً حتى كانت كلمته على حد قول غنيم ((شرارة القيت في هشيم فقد مال عليه الرجال رمياً بالسهام، وطعناً

---

(1) شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي (الدولة الأموية)، 203/2، حسن، زعماء الإسلام، ص201، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص116، أبو السعود، الشيعة، ص83، رضا، الحسن والحسين، ص88، غريب، الامام الحسين، ص109، النجار، الدولة الأموية، ص90، السحار، حياة الحسين، ص180، أبو النصر، الحسين بن علي، ص137، الجمل، سيرة الحسين، ص95، لطفي، الشهيد الخالد، ص59.

(2) منصور، الشقيقان، ص104، قرون، عظمة الامام الحسين، ص94، ماجد، التاريخ السياسي، 75/2، خالد، ابناء الرسول في كربلاء، ص146، النفيس، نفحات من السيرة، ص119، العقاد، أبو الشهداء، ص250، أبو كف، آل بيت النبي، ص35، عبد العال، الحالة السياسية، ص60، محمد، أهل البيت في مصر، ص73 – 74.

(3) الخوارزمي، مقتل الحسين، 41/2، ابن كثير، البداية والنهاية، 188/8.

(4) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ/868م)، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط بغداد، 1403هـ/1982م، ص119.

(5) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص101، البلاذري، انساب الاشراف، 390/3، الطبري، تاريخ، 222/6.

(6) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص141، الطبري، تاريخ، 237/6، ابن طاووس، اللهوف، ص78.

(7) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص150.

(8) مقِر: أي مرّ. ابن منظور، لسان العرب، مادة مقر.

بالرماح وضرباً بالسيوف حتى هوى شهيداً))[1] قد كثرت جراحاتــه[2]. ولا خــلاف بــين المؤرخين المتقدمين ان مقتله (عليه السلام) كان في العاشر من محرم سنة 61هــ[3]. ثم نفذ عمــر ابن سعد وصية عبيد الله بن زياد فانتدب عشرة من الجيش فداسوا الحــسين (عليه السلام) بخيــولهم حتى رضوا صدره وظهره[4].

وقد استبعد شاهين حصول الأساليب التي سبق ذكرها في عملية قتل الحسين (عليه السلام)، فلم يصدق سلب الحسين (عليه السلام) بعد قتله، أو سلب ما كان مع نسائه من ثقل ومتاع، أو أن يــأمر عمر بن سعد ان يوطأ الحسين (عليه السلام) بالخيل، وقد اعتمدوا على هذا الاســتبعاد علــى عــدة مسوغات منها: أن ((هؤلاء الرجال المتقاتلين كانوا مسلمين اجتهدوا فاختلفوا فتقاتلوا، ولــم يكونوا ليخرجوا عن دائرة الإسلام وقيمه إلى هذا الحد الذي يهون عليهم المثلة بجسد ابن بنت نبيهم أو سلبه بعد موته، أو ارتكاب هذه الخسة مع نساء عربيات، ناهيك عن نساء النبــوة.. ولقد كان بعض هؤلاء الرجال منذ قليل يصلون خلف الحسين اعترافاً بقدره، وكان عمر بن سعد قائد الجيش كارهاً ذلك القتال، مؤثراً العافية، لولا ان اضطر إليه اضطراراً...))[5].

ومما يرد رأي شاهين هذا انه ذكر بداية ان بعض المؤرخين المحققين استبعدوا وقــوع ذلك ولم يشر لغير ابن كثير، وعندما راجع الباحث هذا المصدر لم يجد المــؤرخ زاد علــى عبارة: ((ولا يصح ذلك والله اعلم))[6] وليس في ذلك أي دلالة علمية على عدم وقوع تلــك الفعال بحق الحسين (عليه السلام)؛ أما ما ذكره شاهين من أن المتقاتلين مسلمين لا يقع منهم ما وقع فيرد بالقول ان قائد ذلك الجيش والموجه هو عبيد الله بن زياد وقد ارتكب المثلة البشعة قبل ذلك بميثم التمار، وهانيء، ومسلم[7] ورسولي الحسين (عبد الله بن يقطــر والــصيداوي) إذ صلب البعض ثلاث أيام، وقطع رؤوس البعض الآخر، وألقى بأجساد الشهداء مــن القــصر العالي وسحب جسدي هاني ومسلم في طرق الكوفة كما تقدم ذكره فما المانع ان يوصي قائد

---

(1) الثورات العلوية، ص180.

(2) ذكر المؤرخون انه وجد في الحسين (عليه السلام) حين قُتل ثلاثة وثلاثون طعنة واربع وثلاثون ضربة. ينظر: الطبري، تاريخ، 1 / 246 ، الخوارزمي، مقتل الحسين، 2 / 40 – 42 ، ابن طاووس، اللهوف، ص 82.

(3) ابن خياط، تاريخ، 212/6، اليعقوبي، تاريخ، 171/2، الطبري، تاريخ، 212/6، ابن عبد ربــه، العقــد الفريــد، 380/4، المسعودي، التنبيه والاشراف، ص278، ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص284.

(4) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص202، الــبلاذري، انــساب الاشــراف، 410/3، الطبــري، تــاريخ، 247/6، المسعودي، مروج الذهب، 259/3، الخوارزمي، مقتل الحسين، 44/2، ابن طاووس، اللهوف، ص86.

(5) الدولة الأموية المفترى عليها، ص320.

(6) ابن كثير، البداية والنهاية، 189/8.

(7) ومما قاله مسلم بن عقيل لابن زياد – الذي هدده بقتله قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام –: ((أما انك أحق من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما أنك لا تدع سوء القتلة، وقبح المثلة، وخبث السريرة، ولؤم الغلبة، ولا أحد من الناس أحق بها منك)). الطبري، تاريخ، 198/6، الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص109.

جيشه بأن يفعل مع الحسين (عليه السلام) ما فعله، وما الذي يمنع عمر بن سعد من تنفيذ ذلك وقد أطاعه لتنفيذ ما هو انكى وأكثر اثماً وهو قتل الحسين (عليه السلام).

ثم ان عمر بن سعد سرح برأس الحسين (عليه السلام) من يومه إلى ابن زياد وأقام هو وعيال الحسين (عليه السلام) التي سبيت إلى غده، ثم أذن بالرحيل إلى الكوفة، فحمل معه بنات الحسين (عليه السلام) واخواته ومن كان معه من الصبيان، ومعهم علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) وهو مريض[1]، وساقوهم من كربلاء كما تساق الأسارى[2] على اقتاب الجمال بغير وطاء ولا غطاء كما يساق سبي الترك والديلم[3].

ومرّ ابن سعد ومعه السبايا على مصرع الحسين (عليه السلام) وأصحابه، فتوجعت السيدة زينب (عليها السلام) وناحت وناجت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهي تقول: ((يا محمداه صلّى عليك ملائكةُ السماء، هذا حسين بالعراء، مرمّل بالدماء، مقطع الأعضاء، يا محمداه وبناتك سبايا، وذريتك مقتله، تسفى عليها الصبا.. فأبكت والله كل عدو وصديق))[4].

وبعد مغادرة جيش ابن سعد، عمد أهل الغاضرية من بني اسد إلى الحسين (عليه السلام) فكفنوه وأصحابه وصلّوا عليهم ودفنوهم[5].

ومما يلفت نظر الباحث ما ورد في روايات المقتل من ذلك الازدواج واللامبالاة، والنفاق البغيض وضعف الوعي الديني والعقيدي في مجتمع الكوفيين الذين حضروا القتال، فعلاوةً على ما تجسد من تمردهم وانهزاميتهم باجتماعهم مع ابن زياد ضد الحسين (عليه السلام) فقد بدى بعض من حضروا القتال بصورة متزمتة لا ترعوي لنصح أو تذكير[6]، وبدا أخرين بازدواجية باردة كبكاء عمر بن سعد على الحسين (عليه السلام) وهو يقتل[7]، أو تأسف شبث بن ربعي على قتل مسلم بن عوسجة الاسدي، ورده الشمر عن نساء الحسين (عليه السلام)، واعترافه

---

(1) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص203، الخوارزمي، مقتل الحسين، 44/2.

(2) ابن اعثم، الفتوح، 120/5.

(3) ابن طاووس، اللهوف، 91.

(4) ينظر بتفاوت بسيط في الالفاظ: أبو مخنف، مقتل الحسين، ص203 – 204، البلاذري، انساب الاشراف، 411/3 – 412، الطبري، تاريخ، 248/6، الخوارزمي، مقتل الحسين، 44/2 – 45، ابن الأثير، الكامل، 434/3.

(5) البلاذري، انساب الاشراف، 411/3، الطبري، تاريخ، 247/6، المسعودي، مروج الذهب، 259/3، الخوارزمي، مقتل الحسين، 44/2، ابن الأثير، الكامل، 433/3.

(6) ينظر: موقف كعب بن جابر بن عمرو الازدي الذي حمل على برير بن حضير القارئ من أصحاب الحسين(عليه السلام) ليقتله فذكره، رجل معه بالقول: انه هذا برير بن حضير القارئ الذي كان يقرئنا القران في المسجد، فلم يبال وحمل عليه بالرمح حتى وضعه في ظهره. الطبري، تاريخ، 233/6.

(7) ينظر: المصدر نفسه، 245/6، ابن طاووس، اللهوف، ص86.

على نفسه بالضلال[1]، أو قول سنان وهو يحز رأس الحسين (عليه السلام) ((والله اني لأحتز رأسك واعلم انك ابن رسول الله وخير الناس أبا وأما))[2].

ان هذا النوع من الفعل القبيح اللامتوازن الذي حفلت به اخبار مقتل الحسين (عليه السلام) دعت بعض الكتّاب المصريين إلى الوقوف عنده فعلّق غريب على ذلك قائلاً:

((ان الذين حاربوا الحسين لم يحاربوه محاربة شريفة.. يتبع فيها تقاليد الحرب كما جاء بها الإسلام الذي نهاهم عن الاجهاز على الجريح أو قتل الاطفال، ولكنهم فعلوا كل شيء، بل انهم منعوا الماء عن آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحرقوا الخيام ومثلوا بالجثث، وطافوا برؤوس الضحايا على أسنة الرماح، فكانوا وحوشاً في اثواب آدمية تقتل وتسلب وتنهب بلا عقل ولا ضمير))[3].

وتعجب آخر من ظاهرة القتل والتمثيل بجثث القتلى، والطواف بها من مكان إلى آخر مع ان الإسلام حرم هذه الظاهرة الجاهلية وأبطلها ثم علل ما حدث بالقول:

((ولكن لا عجب فإن هوى النفس وحب الذات والتشبث بالمناصب، كانت أقوى من الدين لدى الحكام وأولى من أي اعتبار، بهذه القسوة والهمجية، التي افزعت قلوب المسلمين. في عهد الأمويين أُستذل المسلمون، وفقدوا كرامتهم، وشاع النفاق والكذب، ونأى الصالحون من الناس عن الاشتراك في تسيير أمور الدولة، وبهت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشاعت السلبية))[4].

لقد كانت إجراءات قمع ثورة الحسين (عليه السلام) وسحقها تشتمل على تصرفات شاذة لا تقضي بها أية ضرورة عسكرية، فقد أرادت السلطة ان تجعل هؤلاء الثائرين عبرة لغيرهم، وأرادت ان تحدث تأثيرا نفسياً محطماً في العناصر (الشاذة) في القبائل، لقد أرادت ان تحطم المناعة النفسية في البؤر الثورية في كل العرب، في عرب اليمن – وهم الذين كبرت على السلطة ثورتهم وهم المقربون من الدولة وأهل السلطان – وفي عرب الشمال. وهدف النظام الأموي من هذا كله تبديد الهالة القدسية التي تحيط بالحسين (عليه السلام) وأهل البيت (عليهم السلام)، وإفهام الثائرين الذين لم يتح لهم ان يشاركوا في ثورة كربلاء ان إجراءات السلطة في حماية نفسها لا تتوقف عند حد، ولا تحترم أية قداسة وأي مقدس وأي عرف ديني واجتماعي، ويأتي قطع

---

(1) ومما قاله متأسفا على قتل مسلم بن عوسجة: ((ثكلتكم امهاتكم ! انما تقتلون انفسكم بايديكم، وتذللون انفسكم لغيركم، تفرحون ان يقتل مثل مسلم بن عوسجة !..)) الطبري، تاريخ، 235/6 – 236. وينظر باختلاف بسيط: البلاذري، انساب الاشراف، 400/3 – 402.

(2) ابن طاووس، اللهوف، ص80.

وذكر البلاذري ان سنان لما جاء مفتخرا بقتل الحسين (عليه السلام) قال عمر بن سعد: ادخلوه اليّ فلما دخل حذفه بالقضيب ثم قال: يا احمق اتتكلم بهذا، والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك، انساب الاشراف، 401/3.

(3) بطلة كربلاء، 128.

(4) عياد، عبد الرحمن، نظام الحكم والصحوة الإسلامية، ط القاهرة، 1416هـ/1995م، ص225 – 226.

الرؤوس، وحملها من بلد إلى بلد والطواف بها في المدن – وخاصة الكوفة – جزء من هـذه الخطة العامة، ولتبديد امكانات الثورة وتحطيم المناعة النفسية لدى المعارضة، وإفهامها بـأن الثورة قد انتهت بالقضاء عليها، ولقطع الطريق على الشائعات بالأدلة المادية الملموسة وهي رؤوس الثائرين وفي مقدمتها رأس الحسين (عليه السلام)، واذن فقد كان ثمة هدف سياسـي لقطـع الرؤوس بالإضافة إلى كونه عملاً انتقامياً[1].

وقد نقلت المصادر التاريخية المتقدمة العديد من الظواهر الغريبة بعد مقتل الحسين (عليه السلام) فقد روي ان الناس مكثوا شهرين أو ثلاثة كأنما تلطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الـشمس حتى ترتفع[2]، وروي قولهم: مطرنا دماً أيام قتل الحسين (عليه السلام)[3] وورد لدى البلاذري. انـه ما رفع حجر بالشام يوم قتل الحسين (عليه السلام) إلاّ عن دم[4]، وانه لم يرفع حجر إلاّ وجد تحته دم عبيط[5].

وروي ان الشمس انكسفت ثلاثة أيام[6] أو بتعبير آخر انها اظلمت نهارا حتـى رؤيـت النجوم فيها[7]. ونُقل عن أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قولها: ان الجن ناحت على الحسين(عليه السلام)، وأمطرت السماء عليه دماً، ولم تـنح الجـن بعـد وفـاة الرسـول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا ليلـة مقتـل الحسين(عليه السلام)[8] وذُكر ان الجصاصين كانوا إذا اخرجوا في السحر سمعوا نوح الجن علـى الحسين(عليه السلام) بقولهم[9]:

مـــسح الرســـول جبينــــه	فلـــه بريـــق فـــي الخـــدود
ابــواه فـــي عليـــا قريــــ	ــــشٍ جـــده خيـــر الجـــدود

وروى الطبري باسناده ان صوتاً سُمع بالمدينة ينادى صبيحة مقتل الحسين (عليه السلام)[10]:

---

(1) شمس الدين، انصار الحسين، ص184، ص213.

(2) البلاذري، انساب الاشراف، 424/3، ابن الأثير، الكامل، 442/3، الشيرواني، ما روته العامة، ص247.

(3) البلاذري، انساب الاشراف، 413/3، القرطبي، أبو عمران موسى بن عبد الله (ت601هـ/1204م)، الجـامع لأحكام القرآن، ط بيروت، 1305هـ/1984م، 141/16، ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص294، الشيرواني، مـا روته العامة، ص248.

(4) انساب الاشراف، 425/3، ابن كثير، البداية والنهاية، 201/8.

(5) الشيرواني، ما روته العامة، ص248، والعبيط: الطري. ابن منظور، لسان العرب، مادة عبط.

(6) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص77، ابن كثير، البداية والنهاية، 201/8.

(7) البلاذري، انساب الاشراف، 413/3، ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص294.

(8) المحب الطبري، ذخائر العقبى، ص160.

(9) ابن أبي الدنيا، كتاب الاشراف، ص235، ابن كثير، البداية والنهاية، 200/8.

(10) تاريخ 255/6، ابن الأثير، الكامل، 441/3، ابن كثير، البداية والنهاية، 201/8.

أيهـــا القـــاتلون جهـــلا حـــسيناً	ابــــشروا بالعـــذاب والتنكيـــل
كل أهـــل الـــسماء يـــدعو علـــيكم	مـــن نبـــيٍ ومـــلاك وقبيـــل
قد لعنـــتم علـــى لـــسان ابـــن داو	دَ وموســـى حامـــل الانجيـــل

وروي عن النوار بنت مالك زوج خولي – الذي أقبل برأس الحسين إلى الكوفة ليلاً فلما وجد باب القصر مغلقا اتى منزله فوضعه تحت إجانة فيه – انها رأت نـورا يـسطع مثـل العمود من السماء إلى الإجانة، وطيوراً بيضاء ترفرف حولها[1].

وان الابل التي غنموها من ابل الحسين (عليه السلام) حين طبخوها صار لحمها مثل العلقم[2].

وعلى الرغم من ان ابن كثير نقل معظم هذه الروايات بأسانيدها فإنه يعلق علـى ذلـك بقوله: ((ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة كذباً فاحشاً.. لا يـصح منها شيء))[3]. ولكنه استدرك كلامه بالقول: ((وأما ما روي من الأحاديـث والفـتن التـي اصابت من قتله فأكثرها صحيح، فإنه قلّ من نجا من أولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة فـي الدنيا، فلم يخرج منها حتى أُصيب بمرض، وأكثرهم أصابهم الجنون))[4].

وكلامه الأخير يوافق ما نقله البلاذري[5] والطبري[6] من مصادر مختلفة ورواة متفرقين عما أصاب كل من اعتدى على الحسين (عليه السلام) بمنع الماء، وتعمد ايذاءه بالعطش، أو سلب ما كان يرتديه من ملابس، بشتى انواع الآفات والعاهات والفقر. وهو اعتراف بامكانية حصول بعض الظواهر غير المعتادة بسبب هذا الحادث الجليل. فضلاً عن ان الباحث يمكنه أن يؤكد رواية امطار السماء دما التي وردت على لسان السيدة زينب عندما خطبت الكوفيين بعد قتل الحسين (عليه السلام) – وكما سيرد مفصلا – والتي استنكرت ان يكون ذلك عجيباً بالقيـاس إلـى عذاب الآخرة الذي ينتظر من اجرموا بحق أهل بيت النبوة[7].

وللباحث ان يسجل تحفظه على بعض الروايات الواردة في هذا الـشأن كنـوح الجـن، وهاتفهم في المدينة بأبيات الشعر أو تلك الطيور البيضاء التي حكت عنهـا النـوّار والتـي نستشف منها حالة الاحساس الشعبي الكثيف بالمأساة ((فالأحداث قد لا تكون وقعـت ماديـاً، غير انها وقعت نفسياً... وهذا الوقوع يصور الاحساس بالاثم، وبالرعب مـن فظاعـة مـا

---

(1) الطبري، تاريخ، 247/6 – 248، ابن كثير، البداية والنهاية، 190/8.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 201/8.

(3) المصدر نفسه، 201/8.

(4) المصدر نفسه، 201/8 – 202.

(5) ينظر: انساب الاشراف، 389/3، 408.

(6) تاريخ، 220/6، 243، 244، 245، 247.

(7) ينظر: ابن اعثم، الفتوح، 122/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 47/2، ابن طاووس، اللهوف، ص95.

حدث... والاحساس الذي كان ينتاب اناس ذلك العصر فيولّد لهم رؤى واحداثاً هي ابنة الحالة التي كانوا يعيشونها ويعانون وطأتها، ولم يكن هذا الاحساس خاصاً بالشيعة، وإنما كان احساساً عاماً وصل إلى صميم النفس الإسلامية، وإلى لاوعيها، وقد تم التعبير عنه على شكل رؤى تجسد الحالة الشعبية))[1].

وقد يكون الشعراء أرادوا أن يبلغوا الغاية من الترميز والإثارة فراحوا يعزون بعض اشعارهم إلى الجن، ويزعمون انهم يسمعون نشيجهم بها في ظلمات الليل – كما يرى باحث مصري –[2].

وقد وجد الباحث ان بعض الكتّاب المصريين قد ردد ما ذكره ابن كثير وعدوا كل ما روي في هذا المجال في المصادر المتنوعة هو خرافات وأساطير صنعها غلاة الشيعة فالرسول (ﷺ) مات ولم نسمع عن كسوف الشمس أو ان الأرض أظلمت، ولم نسمع بهذه الأشياء عند مقتل علي والحسن (عليه السلام) كما يقول الجمل[3]، أو من قُتل في حرب مسيلمة الكذاب وكشهداء أُحد، والذين قتلوا في بئر معونة، وكقتل عثمان وقتل علي (عليه السلام) كما ذكر شاهين[4] معتمداً على ابن تيمية في ذلك[5]، وما تقدم من قول ابن كثير ومعتبراً ان قولهما هو الفصل في هذه القضية، فالحسين (عليه السلام) لا يحتاج إلى مثل هذه الخرافات التي لا تزيده شرفاً فضلاً عن أن عدم وقوعها لا ينقص من قدره ومقامه كما يقول يوسف[6]. وهذه الأراء تنكر ان يكون ذلك خصيصة أو فضيلة للحسين (عليه السلام) كما يراها باحث مصري ثالث[7].

ويرى باحث مصري آخر ان (غلو الشيعة في الأخبار عن مقتل الحسين) الذي جعله عنواناً لفصل في كتابه شمل أموراً أخرى علاوة على ما أورده من رواية الزهري: ببكاء السماء دماً، وانكساف الشمس ونوح الجن... الخ، فالشيعة في نظره غالوا عندما ذكروا ان يزيد كتب لعبيد الله بن زياد يأمره بقتل الحسين (عليه السلام)، وغالوا في عدد الجيش الخارج لملاقاته[8].

ومما يرد به على هذا الباحث ان ابن شهاب الزهري الذي ورد عنه بعض هذه الظواهر[9]، لا يعدُّ من الشيعة وكان حظياً عند الأمويين لا يقدمون عليه أحداً حتى توفي،

---

(1) زراقط، عبد المجيد، دراسات في التراث الأدبي، ط بيروت، 1419هـ/1998م، ص71.

(2) غنيم، الثورات العلوية، ص206.

(3) سيرة الحسين، ص99.

(4) الدولة الأموية المفترى عليها، ص326.

(5) ابن تيمية، منهاج السنة، 2/249 – 250.

(6) سيد شباب أهل الجنة، ص447 – 449، الجمل، سيرة الحسين، ص100.

(7) ينظر: صبيح، محمود السيد، اخطاء ابن تيمية في حق رسول الله (ﷺ) وأهل بيته، ط مصر، 1424هـ/2003م، ص120 – 121.

(8) رضا، الحسن والحسين، ص106.

(9) ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 3/425، المحب الطبري، ذخائر العقبى، ص160.

وعلى امتداد ماكتبه من سيرة النبي (ﷺ) ومغازيه لا تجد لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ذكرا إلا حين لا ينطوي ذكره على فضيلة تميزه على غيره[1]؛ أما المغالاة في تحميل يزيد مسؤولية قتل الحسين (عليه السلام)، فقد أوضح الباحث فيما تقدم توجيهات يزيد بهذا الخصوص، وفي المغالاة بتعداد الجيش الذي خرج لحرب الحسين (عليه السلام) فيجب التنبيه الى ان المصادر التاريخية لم تزد عدد الذين وصلوا لملاقاة الحسين (عليه السلام) فعلاً على 12 ألف[2] بما فيهم من تسرب فارا أو الحشد الآخر الذي عسكر في النخيلة فهو لا يعدو سوى تحسبٍ من ابن زياد لأي طارئ ولم يصل إلى ساحة النزال لأن جيش عمر بن سعد قد كفاهم مؤونة ذلك.

وصل سبايا أهل البيت (عليهم السلام)، ومن كان معهم إلى الكوفة فضجّ الناس واجتمعوا يصيحون ويبكون، فبادرت السيدة زينب (عليها السلام) فخطبت فيهم فقالت:

يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر ! أتبكون ؟ فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف والصدر الشنف وملقة الأماء... اتبكون وتنتحبون أي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها ابدا... ويلكم يا أهل الكوفة ! أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم ؟ واي كريمة له أبرزتم ؟ واي دم له سفكتم ؟ واي حرمة له انتهكتم ؟ لقد جئتم بها صلعاء عنقاء سوداء فقماء خرقاء شوهاء كطلاع الأرض أو ملاء السماء أفعجبتم ان امطرت السماء دماً، ولعذاب الأخرة اخزى، وانتم لا تنصرون، فلا يستخفنكم المهل فانه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، وان ربك لبلمرصاد))[3].

وفي هذا الخطاب اعطت السيدة زينب صورة دقيقة عن الواقع السيء في المجتمع الكوفي فأشارت إلى مجموعة من الصفات السيئة والظواهر الانحرافية البارزة في حياة ذلك المجتمع (الختل / الخداع والمراوغة، الغدر / ترك الوفاء ونقض العهد، الصلف / ادعاء الإنسان ما ليس فيه تكبرا، النطف، القذف بالفجور، والشنف، وهو البغض بغير حق، وملق الاماء، وهو ان يعطي الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه وهو نوع من النفاق الاجتماعي...)[4] فالمجتمع الذي تسوده هذه الصفات يصبح مجتمعا ضعيفاً متقلباً في مواقفه وسلوكه، ويبتعد عن الفضائل الإنسانية، وتسهل السيطرة عليه من اعدائه[5]؛ وقد ضربت السيدة زينب مثلاً

---

(1) ينظر: الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت211هـ/826م)، المصنف، تحقيق: حبيب عبد الرحمن الأعظمي، ط بيروت، بلا.ت، 313/5 – 439، عبد الحميد، تاريخ الإسلام، ص86.

(2) ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 387/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص254 – 255.

(3) ابن اعثم، الفتوح، 121/5 – 122، الخوارزمي، مقتل الحسين، 45/2 – 47، ابن طاووس، اللهوف، ص94 – 95.

(4) ينظر معاني هذه الالفاظ: ابن منظور، لسان العرب، مادة ختل، مادة غدر، مادة صلف، مادة نطف، مادة كذب، مادة شنف، مادة ملق.

(5) الهديبي، قراءة في بيانات الثورة، ص219 – 221.

قرآنياً ذكره القرآن الكريم: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾[1].

واعتبرتهم إنموذجا تطبيقيا للمثل المعروف عن المرأة الحمقاء التي كانت تغزل مع جواريها إلى انتصاف النهار ثم تأمرهنّ ان ينقضن ما غزلن[2]، وهذا دأبها كل يوم، فهي تشير إلى ان أهل الكوفة قد تكرر في تاريخهم وواقعهم انهم يقفون إلى جانب الحق، ويقدمون التضحيات لكنهم في ذروة الصراع مع أهل الباطل يتراجعون ويضيعون بذلك جهودهم وتضحياتهم ومستقبلهم[3] وهم ينقضون عهودهم مع الله بسبب ان تلك المجموعة (أربى) أو أكبر من هذه فيقعوا في الخيانة والفساد[4].

لقد استعملت السيدة زينب (عليها السلام) هذا المثل القرآني الكفيل بتأجيج روح الندم والأسف لما فرطوا به، وأرادت ان تهز مشاعرهم بالخطأ الجسيم الذي اقترفوه مع الحسين (عليه السلام)، وأهل بيته، وأصحابه[5] فركزت على ان ما حدث في كربلاء ليس أمراً سهلاً، وليس شيئاً عادياً بسيطاً، فالسلطة الحاكمة قد تحاول تبسيط ما حدث، فهو تمرد على النظام اضطر الجيش إلى قمعه ليس إلاّ !! لكن السيدة زينب (عليها السلام) أوضحت ان ما ارتكب في كربلاء يمثل جريمة نكراء، تسوّد وجوه وتاريخ اصحابها بالعار والشنار، وهو أقبح العيب، ولا يمكن إزالة وتطهير آثار تلك الجريمة، فبالمقياس الديني انهم قد اعتدوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فالحسين(عليه السلام) سبطه وحبيبه، وعيال الحسين (عليه السلام) وثقله، هم حرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فكيف يسمحون لأنفسهم كمسلمين أن يقترفوا ذلك ؟ كما تشير السيدة زينب (عليها السلام) إلى انهم مارسوا الجريمة بأكبر قدر من الحقد والبشاعة ((لقد جئتم بها صلعاء، عنقاء، سوداء، خرقاء، شوهاء...)) كما تثبت في خطابها ما تداولته بعض المصادر من ان السماء امطرت دماً يوم مقتل الحسين (عليه السلام)، وتؤكد ارتباط ذلك بمقتل الحسين (عليه السلام) لمن قد يكون غافلاً عن الربط بين القضيتين، وأخيراً تنذر بانتقام الله من قتلة الحسين (عليه السلام) ومن المجتمع المتواطئ معهم انتقاما شديداً قوياً قد لا يأتي فورياً[6].

لقد تركت هذه الخطبة أثرها في نفوس الكوفيين فوصف موقفهم من بعض الرواة بالقول: ((فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون وقد وضعوا أيديهم في أفواههم..))[7].

---

(1) سورة النحل: الآية /92.

(2) ينظر تفسير الآية في: الطبري جامع البيان، 198/14 – 199، الزمخشري، الكشاف، 582/14.

(3) الصفار، حسن موسى، المرأة العظيمة قراءة في حياة السيدة زينب بنت علي (عليها السلام)، ط لندن، 1421هـ/2000م، ص186.

(4) الطبري، جامع البيان، 199/14 –200، الهديبي، قراءة في بيانات الثورة، ص220.

(5) أبو سعيدة، السيد حسين، هكذا أنت يا بطلة كربلاء فكر جهادي انقدح من مدرسة عاشوراء دراسة وتحليل، ط بيروت، بلا.ت، ص63.

(6) الصفار، المرأة العظيمة، ص188 – 189.

(7) ابن طاووس، اللهوف، 95.

لقد تكلم بمثل هذا الكلام وأكثر منه كل من الامام السجاد (عليه السلام)، وفاطمة بنت الحسين، فزادوا من بكاء الكوفيين وندمهم على ما جرى حتى قال بعضهم لبعض هلكتم وما تعلمون[1].

وقد أورد بعض الكتّاب المصريين خطبة السيدة زينب (عليها السلام) في الكوفة بنصها[2] وأشار إليها عويس إشارة فقط عندما قال:

((خطبت في أهل العراق خطبة بليغة مؤثرة))[3] من دون أن يوردها. وعلى الرغم من أن لمأمون غريب كتاباً متخصصاً عن السيدة زينب (عليها السلام). فإنه اغفل فيه ذكر خطبتها في الكوفة ودمشق أمام يزيد، ولم يذكر خطبة علي بن الحسين (عليه السلام) في الكوفة إلاّ كاتب مصري واحد[4]، وأغفل عبد الحليم محمود – في كتابه المتخصص بحياة وشخصية السجاد – (عليه السلام) أن يشير – أية إشارة – إلى خطبته في الكوفة أو الشام[5].

ونصب ابن زياد رأس الحسين بالكوفة وجعل يُدار به فيها[6] ثم جلس ابن زياد للناس، وأدخل السبايا عليه فإذا رأس الحسين (عليه السلام) بين يديه ينكت ثناياه بقضيب، فصاح به زيد بن أرقم أن ارفع يدك عن هاتين الشفتين، فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليهما تقبلانهما، ثم بكى، فأخرجه ابن زياد من المسجد، فخرج وهو يسب ابن زياد وبني أمية[7]. وقد اتجه ابن زياد إلى السيدة زينب (عليها السلام) شامتاً فقال: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم واكذب احدوثتكم ! فقالت: الحمد لله الذي اكرمنا بمحمد صلّى الله عليه وسلم وطهّرنا تطهيرا، لا كما تقول أنت، إنما يفتضح الفاسق، ويكذّب الفاجر؛ قال: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك! فقالت: كُتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجون إليه، وتخاصمون عنده، فغضب ابن زياد واستشاط ورغب في قتل علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) لولا ان السيد زينب (عليها السلام) رمت بنفسها عليه، وطلبت ان تقتل معه، فانصرف ابن زياد عن قتلهما[8].

وخطب الناس في المسجد بعد ان دعاهم للاجتماع ليعلن نصره العسكري فقال: الحمد لله الذي اظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذاب بن

---

(1) المصدر نفسه، ص101.

(2) أبو علم، الحسين بن علي، ص161 – 162، منصور، الشقيقان، ص118، محمد، أهل البيت في مصر، ص98 – 99، أبو كف، ال بيت النبي، ص53، كريم، اعلام في التاريخ الإسلامي، ص96 – 97، سعد، السيدة زينب، ص49 – 50.

(3) شهيد كربلاء، ص208.

(4) أبو علم، الحسين بن علي، ص162 – 163.

(5) ينظر صفحات كتاب: سيدنا زين العابدين.

(6) البلاذري، انساب الاشراف، 415/3، الطبري، تاريخ، 250/6، ابن الأثير، الكامل، 436/3، ابن كثير، البداية والنهاية، 191/8.

(7) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص204، البلاذري، انساب الاشراف، 412/3 – 413، الدينوري، الأخبار الطوال، ص259 – 260، الطبري، تاريخ، 248/6، الخوارزمي، مقتل الحسين، 51/2، ابن كثير، البداية والنهاية، 190/8.

(8) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص205 – 206، الطبري، تاريخ، 248/6 – 249، ابن اعثم، الفتوح، 1222/5 – 123، ابن الأثير، الكامل، 435/3.

الكذاب، الحسين بن علي وشيعته؛ فوثب عبد الله بن عفيف الازدي الغامدي[1] فقال: يابن مرجانة، ان الكذّاب ابن الكذّاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه، يا بن مرجانة، اتقتلون ابناء النبيين، وتكلّمون بكلام الصديقين ! فأمر به ابن زياد، فلما أرادوا أخذه نادى بشعار الازد: يا مبرور، وحاضرٌ الكوفة يومئذ من الازد سبعمائة مقاتل، فوثب إليه فتيةٌ من الازد فانتزعوه وأتوه به أهله، فأرسل إليه ابن زياد من أتاه به، فقتله وأمر بصلبه في السبخة[2] فصُلب هناك[3]، وقد أورد البلاذري انه حصل بين جند ابن زياد والازد قتال شديد في سكك الكوفة بالقرب من مضارب الازد ذهب ضحيته جماعة من العرب[4].

ويبدو أن احتجاج ابن عفيف وما تلاه من قيام قومه بتخليصه من يد ابن زياد، وما تلا ذلك من قتال عنيف – ان صح ما اورده المؤرخون – يعني أول انتفاضة ولو على نطاق محدود ضد الحكم الأموي وهو في أوج سروره وزهوه بقتل الامام الحسين (عليه السلام). ولعل اخراج ابن عفيف إلى السبخة في البصرة لصلبه هناك مؤشر لخوف ابن زياد من تفاقم الأمر في الكوفة، في نفس الوقت الذي يشكل صلبه في البصرة حادثاً ترهيبياً لشيعة الحسين (عليه السلام) هناك وانذاراً لكل من يفكر بالخروج على السلطة أو انتقاد فعلها لاسيما وان ابن زياد قد طاف برأس الحسين (عليه السلام) في سكك الكوفة في اسلوب من التهديد المباشر لأهلها ليعلموا ان الأمويين قد قتلوا الحسين (عليه السلام) بالطريقة التي قتلوه بها وهو من يعلمون مكانه من رسول الله(صلى الله عليه وآله) فكيف يكون عقاب غيره لو فكر بالقيام ضدهم.

حمل ابن زياد نساء الحسين (عليه السلام) وصبيانه، وأمر بالسجاد ان يغلّ بغل إلى عنقه ثم ارسلهم إلى يزيد[5] على محامل بغير وطاء من بلد إلى بلد، ومن منزل إلى منزل كما يساق اسارى الترك والديلم[6]، أو كما يسير سبايا الكفار يتصفح وجوههم أهل الأقطار[7].

وحين بلغوا قصر يزيد أوقفت السبايا على درج باب المسجد حيث يقام السبي لينظر الناس إليهم[8]. ثم أدخل أهل بيت الحسين (عليه السلام) على يزيد وهم مقرنون بالحبال فقال له علي إبن الحسين (زين العابدين) (عليه السلام): ما ظنك بجدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) لو رآنا بهذه الحال ؟ فأمر

---

(1) من شيعة علي (عليه السلام)، ذهبت عينه اليسرى يوم الجمل، وضرب يوم صفين ضربتين على رأسه وحاجبيه فذهبت عينه الأخرى، فكان لا يفارق المسجد الاعظم في الكوفة يصلي فيه ليلا ثم ينصرف.
أبو مخنف، مقتل الحسين، ص207، الطبري، تاريخ، 249/6.

(2) الأرض الملحة النازّة: موضع بالبصرة. ياقوت، معجم البلدان، 183/3.

(3) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص207، الطبري، تاريخ، 249/6 – 250، ابن كثير، البداية والنهاية، 191/8.

(4) انساب الاشراف، 413/3 – 414، ابن اعثم، الفتوح، 123/5 – 126، الخوارزمي، مقتل الحسين، 60/2، ابن طاووس، اللهوف، ص106.

(5) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص212، البلاذري، انساب الاشراف، 416/3، الطبري، تاريخ، 250/6، ابن الأثير، الكامل، 436/3.

(6) ابن اعثم، الفتوح، 127/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 62/2.

(7) ابن طاووس، اللهوف، ص110، ابن الصباغ، الفصول المهمة، ص204.

(8) ابن اعثم، الفتوح، 130/5، المقدسي، البدء والتاريخ، 12/5.

يزيد بالحبال فقطعت[1]. وقد وضع رأس الحسين (عليه السلام) في طست من ذهب، ثم أخذ يضرب ثنايا الامام الحسين (عليه السلام) بقضيب في يده، فوبخه أبو برزة الأسلمي[2]، وقال له: أما انك يا يزيد لتجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك ويجيء هذا ومحمد (صلى الله عليه وآله) شفيعه، فغضب يزيد وأمر باخراجه[3].

وجعل يزيد يتمثل بأبيات عبد الله بن الزبعري التي قالها بعد معركة أحد[4]:

ليت اشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الاسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا يا يزيد لا تشل
حين ألقت بقناة بركها	واستحرّ القتل في عبد الاشل

وقد كذّب ابن تيمية قضية سبي أهل البيت (عليهم السلام) وحملهم على الجمال، ووصف القائلين بذلك ممن لا عقل لهم وأضاف ((... ولا سبى أهل البيت أحد، ولا سُبي منهن أحد))[5].

وذكر في منهاج السنة: ((وأما ما ذُكر من سبي نسائه والدوران بهم في البلدان وحملهم على الجمال بغير اقتاب فهذا كذب وباطل ما سبى المسلمون ولله الحمد هاشمية قط ولا

---

(1) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، 198/2، ابن طاووس، اللهوف، ص115.

(2) نضلة بن عبيد الاسلمي مشهور بكنيته، ممن شهد فتح خيبر وفتح مكة وحنينا، كان من ساكني المدينة ثم نزل البصرة وغزا خراسان، شهد مع علي (عليه السلام) قتال الخوارج بالنهروان ويقال انه شهد صفين والنهروان، وقد حقق ابن حجر في وفاته فخرج سنة 65هـ/684 في أيام عبد الملك بن مروان وذكر ان وفاته كانت بمصر.

ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، 24/4، ابن الاثير، اسد الغابة، 147/5، ابن حجر، الاصابة، 556/3 – 557.

(3) البلاذري، انساب الاشراف، 416/3، الطبري، تاريخ، 253/6 – 254، ابن اعثم، الفتوح، 129/5، ابن اعثم مقتل الحسين، ص165 – 166، الخوارزمي، مقتل الحسين، 63/2 – 64، ابن كثير، البداية والنهاية، 192/8.

(4) ابن اعثم، الفتوح، 129/5، ابن حمدون، أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت562هـ/1166م)، التذكرة الحمدونية، تحقيق: احسان عباس وبكر عباس، ط بيروت، 1417هـ/1996م، 262/1 وأضاف بعض المؤرخين البيت التالي:

لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحي نزل

الخوارزمي، مقتل الحسين، 66/2، ابن طاووس، اللهوف، ص116.

(5) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت728هـ/1327م)، رأس الحسين، تحقيق ودراسة: السيد الجميلي، ط2، بيروت، 1417هـ/1997م، ص208.

استحلّت امة محمد صلّى الله تعالى عليه وسلم سبي بني هاشم قط ولكن أهل الهوى والجهل يكذبون كثيراً))[1] ثم استأنف كلامه بلا دليل علمي فقال:

((... وفي الجملة فما يعرف في الإسلام ان المسلمين سبوا امرأة يعرفون انها هاشمية ولا سبي عيال الحسين بل لما دخلوا دار يزيد قامت النياحة في بيته واكرمهم وخيّرهم بين المقام عنده والذهاب إلى المدينة فاختاروا الرجوع إلى المدينة، ولا طيف برأس الحسين وهذه الحوادث فيها من الكذب ما ليس هذا موضع بسطه))[2].

ويتضح نفي ابن تيمية لقضية السبي بلا أي دليل علمي، مع انه اعترف بوصول أهل بيت الحسين (عليه السلام) إلى الشام ودخولهم على يزيد، فلأي غرض كان هذا الذهاب ؟ ولأي غاية؟ إذا لم يكن سبياً وتنكيلاً بأهل بيت النبوة.

ان تكذيب ابن تيمية لخبر السبي هو تكذيب جريء بما نقله اوثق المؤرخين – بنظره – الذين أرخوا لهذا الحدث، كابن سعد، والزبير بن بكار، وابن أبي الدنيا الذين اعتمد عليهم ابن تيمية حين أراد ان يُثبت ان رأس الحسين (عليه السلام) لم ينقل إلى القاهرة ولا إلى عسقلان، وجعلهم اعلم واصدق من غيرهم لأنهم لا يذكرون نقل الرأس إلى القاهرة أو عسقلان ![3] ولكنهم جميعاً قد أثبتوا سبي أهل البيت ونهبهم وحملهم كالسبايا إلى الكوفة ثم من هناك إلى يزيد في الشام ومعهم رأس الحسين، واثبتوا قصة يزيد مع الرأس الشريف ونكته بالقضيب، وتمثله بالشعر وقد نقله عنهم ابن الجوزي[4]. فلأي سبب جاز له أن يُكذب من وثقهم في قضية دون قضية ؟

وقد توافق شاهين مع ابن تيمية في هذا التكذيب ونقل رأي الأخير ورجح أن ابن زياد بعد ان ذهبت عنه نشوة النصر أحسّ فداحة خطأه وكان ذلك الشعور هو المسيطر على بعض افراد اسرته، ونقل هدم عبيد الله بن زياد دار رجل قتل ولدين لعبد الله بن جعفر كانا ممن اشترك في الطف ولجئا إليه خوفاً من بطش ابن زياد[5] لكن مما يلاحظه الباحث ان الراوي الذي روى فعل ابن زياد بذلك الرجل هو نفس الراوي الذي ذكر ارسال رأس الحسين (عليه السلام) إلى يزيد ونكثه بالقضيب[6] فلماذا تخيّر شاهين خبراً وترك آخر ؟

وبنفس هذا اللون من التعصب كذب ابن تيمية وشاهين ما روي عن نكث يزيد لثنايا الحسين (عليه السلام) واعتراض أبو برزة الاسلمي على ذلك فقال ابن تيمية: ((ففي الحديث ما يدل على انه كذب فإن الذين حضروا نكثه بالقضيب من الصحابة لم يكونوا بالشام وإنما كانوا

---

(1) 249/2.

(2) المصدر نفسه، 249/2.

(3) ينظر: رأس الحسين، ص197 – 198.

(4) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ/1200م)، الرد على المتعصب العنيد، تحقيق: محمد كاظم المحمودي، (د.م)، 1403هـ/1982م، ص45 – 47، عبد الحميد، تاريخ الإسلام، ص670 – 671.

(5) الدولة الأموية المفترى عليها، ص322 – 323.

(6) ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 424/3.

بالعراق، والذي نقله غير واحد ان يزيد لم يأمر بقتل الحسين ولا كان له غرض في ذلك بل كان يختار ان يكرمه ويعظمه))[1].

أما شاهين فأضاف بعد ان نقل رأي ابن تيمية: ((وليس معقولا ان يتكرر هذا الحدث في العراق والشام معا أو أن يحدث في مجلس ابن زياد ثم يتكرر مثله تماما في مجلس يزيد، ولكن الرواة استغلوا ذلك ليشوهوا صورة الرجلين معا، وليزيدوا السخط على بني أمية))[2].

ومما يرد به على رأي ابن تيمية ان المصادر لم تصرح بنفي وجود أبو برزة في هذا الوقت في بلاد الشام، وإن ذكرت مصادر ترجمته انه من سكنة البصرة[3] فما المانع أن يكون في هذا الوقت في بلاد الشام لأي حاجة ؟ لاسيما واننا لا نملك ما يثبت وجوده في الكوفة، أو نفي ذهابه إلى بلاد الشام.

أما شاهين فقد انساق وراء غرضه من كتابه في نفي أي اتهام موجه لبني أمية، فسعى جاهداً لتكذيب أي رواية تمس سيرتهم، فلا عجب ان ينفي تكرار اعتراض الصحابة زيد بن أرقم (في العراق)، وأبو برزة الاسلمي (في الشام) على نكت ثنايا الحسين (عليه السلام)، بل ينفي وجود معترضٍ من الأصل فيقول: ((وأصل هذه الرواية الذي زيد عليه،... أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين، فجعل في طست فجعل ينكت، وقال في حسنه شيئا، فقال أنس: " كان أشبههم برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكان مخضوبا بالوسمة "[4]؛ فالتقط الرواة هذا القدر لينسجوا منه هذه القصة؛ وليمزجوها بالخيال الخصب والعاطفة الحزنى))[5].

لقد انبرت السيدة زينب (عليها السلام) لتفضح يزيداً، ولتثبت في خطبتها في مجلسه في بلاد الشام عدة وقائع تاريخية حاول البعض ان يخفوها من كتبهم أو يكذّبوها كما فعل ابن تيمية، إذ خطبت فقالت:

((الحمد لله رب العالمين والسلام على سيد المرسلين، صدق الله تعالى إذ يقول **﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾**[6] أظننت يا يزيد! حين أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، وأصبحنا نساق كما تساق الأسارى، أن بنا على الله هوانا، وبك عليه كرامة ؟ وان ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بانفك، ونظرت في عطفك جذلان مسرورا، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً ! أنسيت قول الله تعالى **﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾**[7] أمن العدل يا ابن الطلقاء ! تخديرك

---

(1) منهاج السنة، 249/2.

(2) الدولة الأموية المفترى عليها، ص321.

(3) ابن عبد البر، الاستيعاب، 24/4، ابن الاثير، اسد الغابة، 147/5، ابن حجر، الاصابة، 557/3.

(4) البخاري، صحيح، ص665، الترمذي، الجامع الصحيح، ص990، ابن تيمية، منهاج السنة، 248/2.

(5) الدولة الأموية المفترى عليها، ص321.

(6) سورة الروم: الآية /10.

(7) سورة آل عمران: الاية /178.

حرائرك وامائك، وسوقك بنات رسول الله سبايا ؟ قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، يحدى بهن من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من رجالهن وليّ، ولا من حماتهن حميّ، وكيف ترجى المراقبة ممن لفظ فوه اكباد السعداء، ونبت لحمه بدماء الشهداء ؟ وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت مَن نظر إلينا بالشنف والشنئان والأحن والاضغان ؟ ثم يقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله تنكتها بمخصرتك، وكيف لا تقول ذلك، وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية آل محمد، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ؟ أتهتف بأشياخك ؟ زعمت تناديهم، فلتردن وشيكاً موردهم، ولتودن أنك شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت، اللهم خذ بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دمائنا، وقتل حماتنا، فوالله ما فريت إلاّ جلدك، ولا جزرت إلاّ لحمك، ولتردّن على رسول الله بما تحمّلت من سفك دماء ذريته، وانتهاك حرمته في لحمته وعترته، وليخاصمنك حيث يجمع الله تعالى شملهم، ويلم شعثهم، ويأخذ لهم بحقهم، **﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾** [1]، فحسبك بالله حاكماً، وبمحمد خصماً، وبجبرئيل ظهيراً وسيعلم من سول لك ومكنك من رقاب المسلمين، ان بئس للظالمين بدلا، وايكم شر مكاناً واضعف جندا، ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك، فاني لأستصغر قدرك، واستعظم تقريعك، واستكبر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى، ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء، فتلك الايدي تنطف من دماعنا، وتلك الأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل، وتعفوها الذئاب، وتؤمها الفراعل، فلئن اتخذتنا مغنماً، لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلاّ ما قدمت يداك، وان الله ليس بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى، وعليه المعول، فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، والله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عند عارها، ولا تغيب منك شنارها، فهل رأيك إلاّ فند ! وأيامك إلاّ عدد ! وشملك إلاّ بدد ! يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة والرحمة، ولآخرنا بالشهادة والمغفرة واسأل الله ان يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد وحسن المآب، ويختم بنا الشرافة انه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير))[2].

---

(1) سورة آل عمران: الآية 169.

(2) الخوارزمي، مقتل الحسين، 71/2 – 74، ابن حمدون، التذكرة، 262/1 – 264، ابن طاووس، اللهوف، ص116 – 119.

إن خطاب السيدة زينب (عليها السلام) في مجلس يزيد، يُعد وثيقة فكرية سياسية، تسلط الاضواء على خلفيات المعركة بين أهل البيت (عليهم السلام) والأمويين كما تناقش بعض التفاصيل والقضايا الهامة في تلك المعركة، وتقدم استشرافاً وتصوراً مستقبلياً لآثار المعركة ونتائجها... فالسيدة زينب تذكر يزيد ألا ينظر إلى نفسه من خلال ما يملك من قوة وسلطة فليس في ذلك دلالة على الأحقيّة والمشروعية والرضا الإلهي، فقد يفسح الله المجال واسعاً أمام الكافرين لتتضاعف قوتهم وامكانيتهم، دون ان يعني ذلك أحقيتهم أو رضا الله عنهم بل يكون ذلك سبباً لزيادة انحطاطهم وعذابهم عند الله. فالحسين (عليه السلام) وأهل بيته (عليهم السلام) ليسوا مغلوبين مهزومين قد خسروا الحياة، وابتلعهم الموت بل هم على وفق مقياس المبادئ الإلهية شهداء خالدون وأحياء عند ربهم يرزقون لأنهم قتلوا في سبيل الله. وهم يحتسبون المآسي التي حلت بهم عند الله لأنها لم تحدث في سياق صراع دنيوي مصلحي، وإنما لأنهم يحملون رسالة الله، ويدافعون عن دينه، وحسب المبادئ والقيم، فهناك عدالة إلهية وهناك دار آخرة تكون فيها النتائج الحاسمة.. والصراع بين أهل البيت والأمويين في نظر السيدة زينب (عليها السلام)، ليس صراعاً قبلياً على الزعامة، وإنما هو مظهر وامتداد للصراع الابدي الدائم بين الخير والشر بين حزب الله وحزب الشيطان[1].

وقد استفهمت السيدة زينب (عليها السلام) استفهاماً استنكارياً لتتساءل كيف يدعي يزيد بأنه حاكم إسلامي يحكم باسم الإسلام وباسم النبي (صلى الله عليه وآله) والحكم في الإسلام قائم على العدل، فأين حكمه من الإسلام ؟ وهل فعلته بعترة النبي (صلى الله عليه وآله) جزءاً من عدله ؟ ثم رجعت إلى السوابق التاريخية ليزيد لتذكره بماضيه المتمثل في موقف أسلافه وربطت بين فعله بأهل البيت (عليهم السلام) وذلك الماضي حين دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكة منتصراً وأصبحت قريش وأهل مكة في قبضته، إلاّ أنه قابل أولئك الذين كذبوه وأهانوه وعذبوا اتباعه وجمعوا له حتى غزوه في دار هجرته – ومنهم جده أبو سفيان – بالعفو، وهي بذلك تستهدف بيان الفرق البعيد بين اهداف الإسلام ونبي الإسلام وبين يزيد وسيرته وأهدافه فانهما إتجاهان لا يلتقيان، وأرادت الإشارة إلى ان خلافة يزيد على المسلمين لا تستند على مستند شرعي لأن يزيد من ابناء الطلقاء[2]،

---

(1) الصفار، المرأة العظيمة، ص205 – 206.

ولإيضاح ايمان أهل البيت (عليهم السلام) بنتيجة الصراع المبدئي من أجل الحق، وفي سبيل الله ينظر في هذا النص: عندما سئل الامام زين العابدين (عليه السلام) وهو يدخل المدينة: يا علي بن الحسين، من غلب ؟ أجاب السائل: ((إذا أردت ان تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة فاذّن ثم أقم)). الطوسي، الأمالي، ص677.

(2) ان الخليفة عمر بن الخطاب قال: ((هذا الأمر [ويقصد الخلافة] في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد، وفي كذا وكذا، وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء)). ابن سعد، الطبقات الكبرى، 260/3.

وروي قول الخليفة عمر بن الخطاب لأهل الشورى: ((... وانّ هذا الأمر لا يصلح للطلقاء ولا ابناء الطلقاء)). ابن حجر، الاصابة، 297/2.

ثم اشارت إلى ان ما فعله يزيد في حق العترة النبوية يلتقي وينسجم مع طبيعة يزيد ونشأته، لأنه قد نبت لحمه على بغض آل محمد، وقد ورث ذلك من أسلافه فمن الطبيعي ان يصدر منه ما صدر ما دامت هذه منطلقاته الاسرية، وهذه موروثاته الأخلاقية[1].

وقد طفقت تستنكر عليه ترنمه بأبيات شعر انكر فيها نزول الوحي على النبي (ﷺ)، وتشفيه من رسول الله (ﷺ) بأنه انتقم من ذريته بدلاً عن مقتل أجداده يوم كانوا مشركين في ساحة الجهاد الواجب من قبل المسلمين في غزواتهم، وقد وضحت ليزيد بأن انتصاره المزعوم ما هو إلا انتصار مؤقت قد أنشئت قواعده على الغرور بأماني الدنيا الفانية لأن الله تعالى إنما يملي للكافرين لعدم تبصرهم ولهم في الأخرة عذاب السعير[2] وبعد أن أوضحت الإجراءات التي أتخذت مع حرائر بيت النبي (ﷺ) وكيفية حملهن أسارى سبايا تهتك ستورهن، لتبقى كلماتها دليلاً على كل من يحاول ان يخفي الحقائق أو يحاول تزيفها؛ انطلقت لتستشرف المستقبل فتنبأت ليزيد ان ايامه معدودة، وصح ما توقعته السيدة زينب فلم تتمتع الدولة الأموية بالاستقرار بعد شهادة الحسين (عليه السلام) نتيجة الانتفاضات والثورات التي جعلت من ثورة الحسين (عليه السلام) مناراً تهتدي بهديه.

وقد ذكر مجموعة من الكتّاب المصريين خطبة السيدة زينب (عليها السلام) في دمشق أمام يزيد[3]. وعلى الرغم من ان عبد العزيز سيد الأهل كتب كتاباً متخصصاً عن السيدة زينب (عليها السلام) إلا انه أورد خطبتها في مجلس يزيد بصورة مختصرة وبجزء يسير فقط[4].

لقد شهد مجلس يزيد حدثاً آخر بحضور أهل بيت النبوة إذ دعا يزيد من يخطب بالناس، ويسيء إلى الامام علي والحسين (عليهما السلام)، وقد يكون ذلك رداً من يزيد على خطبة السيدة زينب(عليها السلام) التي اظهرت من الإباء والرفعة والشموخ في مجلسه ما أحرج جبروته، وقوة سلطانه، أو استمراراً بنهج أموي في نشر الدعاية المضادة وهو ما دأب عليه أبوه معاوية من قبل. فلما أكثر الخطيب من الكلام، صاح به علي بن الحسين السجاد (عليه السلام): ويلك أيها الخاطب، اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فانظر مقعدك من النار[5]. ثم تقدم ليخطب في الناس، فرفض يزيد اجابته ثم ألح عليه الحاضرون بالسماح له، فخطب خطبة[6] أشار

---

(1) الهديبي، قراءات في بيانات الثورة، ص238 – 240.

(2) أبو سعيدة، هكذا أنت يا بطلة كربلاء، ص75، وينظر: الديباجي، أبو القاسم، زينب الكبرى بطلة الحرية، ط بيروت، 1424هـ/2003م، ص190 – 193.

(3) منصور، الشقيقان، ص129 – 130، عويس، شهيد كربلاء، ص210 – 212، سعد، السيدة زينب، ص53 – 54، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص131 – 132، وذكر الخطبة مختصرا: محمد، أهل البيت في مصر، ص100 – 101، قرون، عظمة الامام الحسين، ص102، كريم، اعلام في التاريخ الإسلامي، ص98.

(4) ينظر: زينب بنت علي، ص14 – 144.

(5) ابن اعثم، الفتوح، 132/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 76/2، ابن طاووس، اللهوف، ص120.

(6) تنظر تفاصيل هذه الخطبة لدى: ابن اعثم، الفتوح، 32/5 – 133، الخوارزمي، مقتل الحسين، 76/2 – 78.

فيها إلى ميزات أهل البيت (عليهم السلام) عن الناس، وفضائلهم التي خصهم الله بها كالعلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، ثم أوضح ما فضل الله سبحانه الاسرة الهاشمية به بأن جعل فيهم: النبي المختار (صلى الله عليه وآله) الذي كان رحمة للعالمين، وانقاذاً لهم من الشرك والوثنية، وفيصلاً بين الظلمات والنور، ومنهم: الصدّيق وكان يعني علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولعل اختيار هذا اللقب للامام علي (عليه السلام) كان رداً على الدعاية الأموية التي حاولت بكل ما أوتيت من قوة وعلى مدى حكم معاوية الاساءة إليه، ومنهم: أسد الله وأسد رسوله وهو عم النبي (صلى الله عليه وآله) حمزة بن عبد المطلب، وجعفر الطيار الشهيد في معركة مؤتة 8هـ/629م، وبعد أن أشار إلى هذه النخبة المؤمنة المجاهدة التي ذبت بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) إعلاءً لكلمة الحق عرّج على السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وسيدا شباب أهل الجنة، فهذه النماذج الرفيعة التي يشير إليها السجاد (عليه السلام) لا يمكن أن توضع في نسق واحد مع مَن أشارت لهم السيدة زينب (عليها السلام) من الطلقاء، وبعد أن وضح السجاد (عليه السلام) جوانب الفضل لأسرة النبي (صلى الله عليه وآله)، تحدث عن نسبه الوثيق بالنبي (صلى الله عليه وآله) ليُشعر بعلاقة السبايا بالرسول (صلى الله عليه وآله)، ثم انتقل للحديث عن جده الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مبرزاً مواقفه وجهاده وفضائله، وتبدو خطوة هامة هذه التي اقبل عليها السجاد (عليه السلام) في مواجهة مجتمع يجهل ما يتعلق بشخصية الامام علي (عليه السلام)، وهو يرى خليفته الأموي يسبّه، ويدعو إلى سبّه في مساجد الشام، ولم يزل يعرف بنفسه حتى ذكر أبوه الحسين (عليه السلام) فنعاه حتى كثر بكاء الناس،، وخشي يزيد من تفاقم الأمر فأمر المؤذن ان يقطع الخطبة بالأذان، فلما قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله، التفت السجاد إلى يزيد فقال: ((محمد هذا جدي أم جدك ؟ فإن زعمت انه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدي فلمَ قتلت عترته ؟))[1]. وقد ذكر هذه الخطبة عدد من الكتّاب المصريين[2].

وبعد خطبتي السيدة زينب (عليها السلام) وعلي بن الحسين السجاد (عليه السلام)، وفعل كلامهما في الناس، ظهر الأثر الواضح لذلك في انقلاب رأي يزيد الذي – لما وصلت إليه رأس الحسين(عليه السلام) – حسنت حال ابن زياد عنده، ووصله، وسرّه ما فعل، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى بلغه بغض الناس له، ولعنهم وسبهم، فندم على قتل الحسين (عليه السلام)[3]. ثم حاول جاهداً أن يتنصل من مسؤولية ما حدث رامياً مسؤولية الاحداث في عنق ابن زياد، فنرى انه يقول

---

(1) ابن اعثم، الفتوح، 132/5 – 133، الخوارزمي، مقتل الحسين، 77/2 – 78.

(2) أبو علم، الحسين بن علي، ص167 – 168، عويس، شهيد كربلاء، ص214 – 216، السحار، حياة الحسين، ص195 – 196.

(3) ابن الأثير، الكامل، 439/3. وروى ابن اعثم أن يزيدا وصل ابن زياد بألف ألف درهم جائزة له، وقد علا أمره وارتفع قدره. فتوح، 135/5.

مرة: ((عجل عليه ابن زياد فقتله قتله الله))[1] وأخرى يقول: ((والله يا حسين لو كنت انا صاحبك ما قتلتك))[2]. أو قوله: ((ويحكم لقد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه، رحم الله أبا عبد الله))[3]. أو قوله محملاً ابن زياد تبعة قتل الحسين (عليه السلام): ((.. فبغضني بقتله إلى المسلمين، وزرع في قلوبهم العداوة، فأبغضني البر والفاجر، بما استعظموه من قتلي الحسين، مالي ولابن مرجان، لعنهُ الله وغضب عليه))[4].

وفي الوقت الذي يحاول فيه يزيد ان يُبرأ نفسه من قتل الامام الحسين (عليه السلام) ويبين عدم رضاه على ذلك فإن التاريخ يسجل لنا نصا لشريك يزيد في الجريمة عبيد الله بن زياد يثبت أن يزيداً هو الآمر بقتل الحسين (عليه السلام)، وان ابن زياد كان اليد التي نفذت تلك الأوامر، فقد رد على سائلٍ سأله عن قتل الحسين (عليه السلام): ((أما قتلي الحسين فإنه أشار عليّ يزيد بقتله أو قتلي فاخترت قتله))[5].

وعندما وجه يزيد ابن زياد للمسير إلى المدينة بعد انتقاض الأمر فيها عقب مقتل الحسين (عليه السلام)، ثم الذهاب لمحاصرة ابن الزبير في مكة قال ابن زياد: ((والله لا جمعتها للفاسق: قتل ابن رسول الله، وغزو الكعبة، ثم ارسل إليه يعتذر))[6].

وروى الذهبي عن بعض أهل الشام: انه رأى رأس الحسين (عليه السلام) مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام[7]. ومع إظهار ندمه فإنه ((ما انتصر للحسين ولا أمر بقتل قاتله ولا أخذ بثأره))[8].

وإنما اكتفى ببعض الإجراءات التي لم تكلفه شيئاً، فأمر بأن تنزل النسوة من سبايا أهل البيت (عليهم السلام) في دار مفردة ومعهن ما يصلحهن، وأن يكون علي بن الحسين (عليه السلام) معهن في تلك الدار[9]، وقد نقل ابن طاووس وصفاً لتلك الدار بأنها كانت منزل لا يقيهم من حرّ ولا برد حتى تقشرت وجوههم[10].

---

(1) الطبري، تاريخ، 253/6.

(2) المصدر نفسه، 251/6، ابن الأثير، الكامل، 438/3.

(3) البلاذري، انساب الاشراف، 415/3، الدينوري، الأخبار الطوال، ص261، الطبري، تاريخ، 250/6، ابن اعثم، الفتوح، 127/5، الخوارزمي، مقتل الحسين، 63/2، ابن الأثير، الكامل، 437/3.

(4) ابن الأثير، الكامل، 439/3 – 440.

(5) ابن الأثير، الكامل، 474/3.

(6) المصدر نفسه، 455/3.

(7) سير اعلام النبلاء، 319/3، وذكر صلبه في الشام ثلاثا. ابن كثير، البداية والنهاية، 204/8.

(8) ابن تيمية، منهاج السنة، 249/2.

(9) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص214 – 215، الطبري، تاريخ، 251/6، ابن اعثم، الفتوح، 133/5.

(10) ابن طاووس، اللهوف، ص121.

ويُذكر في بعض الروايات ان نساء آل معاوية قد أقمن المناحة على الحسين (عليه السلام) ثلاثة أيام[1]، ولا ينسجم ما قيل في تبرأة يزيد مع إجراء صلب رأس الحسين (عليه السلام) في دمشق ثلاثة أيام، أو الطريقة التي عومل بها سبايا آل البيت (عليهم السلام).

وقد شاور يزيد جلساءه في أمر السبايا فأشاروا عليه بقتلهم ولاسيما علي بن الحسين(عليه السلام) فقالوا: لا تتخذ من كلب سوءٍ جرواً، اقتل علي بن الحسين (عليه السلام) حتى لا يبقى من ذرية الحسين (عليه السلام) أحد[2]. إلا أن ذلك لم يحصل وقد خيّرهم يزيد في المكان الذي يتوجهون إليه فاختاروا العودة إلى ديارهم في مدينة جدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)[3]، وأنفذ معهم من يسير بهم إليها وهو النعمان بن بشير الانصاري[4]. وأمر يزيد بأن يُرد ما أُخذ من نساء الحسين (عليه السلام)، وضاعف لهم في الأموال[5]، وليس لدينا دليل على إعادة ما أُخذ منهن ولاسيما أن علي بن الحسين (عليه السلام) ردّ مال يزيد وفسّر مطالبته بإعادة ما أُخذ منهم بالقول: ((أما مالك فلا نريده، وهو موَفرٌ عليك، وإنما طلبتُ ما أخذ منا لأن فيه مغزل فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله)، ومقنعتها وقلادتها وقميصها))[6].

وكان ابن زياد قد أرسل رسولاً إلى المدينة لنقل خبر قتل الامام الحسين (عليه السلام) فلما وصل الرسول أخبر عمرو بن الاشدق فأمر بنشر الخبر بين الناس، فلم يُسمع واعية قط مثل واعية بني هاشم في دورهم على الحسين (عليه السلام)، ومن استشهد منهم، فتبسم ابن الاشدق وفرح وتمثل بقول الشاعر:

عجت نساء بني زياد عجة ... كضجيج نسوتنا غداة الارنب

ثم قال: هذه واعية بواعية عثمان، ثم صعد المنبر فاعلم الناس بقتل الحسين (عليه السلام)، دعا ليزيد بن معاوية ونزل[7]. ويتبين استمرار النهج الأموي في تحميل الحسين (عليه السلام) جريرة مقتل عثمان كما حدث مع الامام علي (عليه السلام) من قبل أيام معاوية، وتعمق نزعة الثأر الجاهلية في نفوسهم التي تلقي ضوءاً على بعض مبررات الصراع مع الحسين (عليه السلام).

---

(1) أبو مخنف، مقتل الحسين، ص215، الطبري، تاريخ، 251/6، الخوارزمي، مقتل الحسين، 81/2.

(2) ينظر: المسعودي، اثبات الوصية، ص182، ابن كثير، البداية والنهاية، 196/8.

(3) البلاذري، انساب الاشراف، 417/3، الخوارزمي، مقتل الحسين، 82/2.

(4) الطبري، تاريخ، 252/6، الشيخ المفيد، الارشاد، ص127، ابن الأثير، الكامل، 440/3.

(5) الطبري، تاريخ، 253/6، ابن كثير، البداية والنهاية، 196/8.

(6) ابن طاووس، اللهوف، ص126.

(7) البلاذري، انساب الاشراف، 417/3، ويختلف عن المصدرين الاخرين في اسم قائل الأبيات فيذكرانه مروان ابن الحكم، الطبري، تاريخ، 254/6، ابن الأثير، الكامل، 440/3 – 441.

ومن الجدير ذكره ان المؤرخين لم يختلفوا في قضية من قضايا واقعة استشهاد الحسين(ع) كما اختلفوا في مصير رأسه (ع)، ولما لم يجد الباحث دليلاً تاريخياً حاسماً على ترجيح إحدى الروايات فإنه وجد من المناسب ان يذكرها بشكل مختصر من دون أن يرجح رواية على أخرى، على الرغم من إيمان الباحث من أن الرأس الشريف قد عاد إلى الجسد في كربلاء ودفن ولكنه يفتقر إلى الدليل القاطع الذي يدعم ذلك التوجه والإيمان.

تذكر المرويات التاريخية تسعة مواضع افترضت وجود رأس الحسين (ع) فيها، وقد ارتبطت معظم هذه الروايات بالمدن التي شملت خط سير آل البيت عقب واقعة كربلاء، بينما ارتبطت روايات أخرى بالمدن التي حُكمت من قبل أُسر شيعية إلا انها تتفق جميعاً على توجه الرأس في البداية إلى مقر الدولة الأموية بدمشق[1].

ولا يفوت الباحث أن يؤكد ان الغموض لم يكتنف مصير رأس الحسين (ع) فحسب وإنما مصير رؤوس شهداء الطف جميعاً، أو على الأقل رؤوس شهداء بني هاشم التي أرسلت إلى يزيد.

والمواضع التي ذُكرت لرأس الحسين (ع) كالتالي:

1- **كربلاء:** وهي موطن الجسد الشريف، وتذكر بعض المصادر ان الرأس أُعيد إلى الجسد يوم العشرين من صفر مع علي بن الحسين السجاد (ع)[2]، وفي رواية سبط بن الجوزي ((رده يزيد إلى المدينة مع السبايا ثم رُد إلى الجسد بكربلاء فدفن معه))[3].

2- **النجف الأشرف:** تذكر بعض المرويات ان الرأس مدفون عند الامام علي (ع)، إذ نقل عن الامام جعفر الصادق ان ابن زياد بعث الرأس إلى الشام ثم رده يزيد إلى الكوفة، فقال ابن زياد: اخرجوه عنها لا يفتتن به أهلها، فصيّره الله عند أمير المؤمنين[4] ويصعب القبول بهذه الرواية لأن المعروف ان مرقد الامام علي بن أبي طالب بالنجف لم يكتشف إلا بعد سقوط الدولة الأموية[5]، وبالتالي فإن دوافع الدفن بالنجف تبدو معدومة لعبيد الله بن زياد حيث انه لا يعلم بوجود قبر في هذا المكان[6]، وقد بُني في الجهة الغربية من السور الخارجي لمشهد الامام علي (ع) مسجداً سمي بـ (مسجد الرأس) قيل انه موضع رأس الحسين (ع) وان المسجد بني عليه ولأجله، وتقول الكاتبة المصرية التي أوردت هذه الرواية انها لا تقوم على سند ولا

---

(1) صبري، أحمد، رأس الحسين تناقض العوامل الذاتية ومنهج الحراك التاريخي، ط مصر، 1422هـ/2002م، ص17.

(2) البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت440هـ/1048م)، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ط بغداد، (بلا.ت)، ص321، ابن طاووس، اللهوف، ص126.

(3) تذكرة الخواص، 206/2.

(4) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص36 – 37.

(5) ينظر: الشيخ المفيد، الارشاد، ص27 – 29.

(6) صبري، رأس الحسين، ص20 – 21.

دليل[1]، ويقال ان في ظهر الكوفة عند قائم الغري مسجد يسمى بـ (مسجد الحنانة) وضع فيه رأس الحسين (عليه السلام)، وقيل انه سمي بالحنانة لأنه سُمع من الرأس عندما وضع في ذلك الموضع حنين وأنين حتى الصباح[2].

وقيل ان ابن زياد وهب الرأس لعمرو بن حريث المخزومي فطيبه وغسله وكفنه ودفنه في داره بالكوفة[3].

ويستبعد الباحث ان يرد الرأس إلى مدينة الكوفة التي ظهرت فيها بوادر الألم والأسف لمقتل الحسين (عليه السلام)، ويرجح ان يكون مسجد الحنانة هو موضع التبرك بمرور رأس الحسين(عليه السلام) بهذا المكان أثناء ارساله من كربلاء إلى عبيد الله في الكوفة.

3- **المدينة المنورة:** وذُكر ان يزيداً بعث برأس الحسين (عليه السلام) إلى عمرو بن سعيد نائبه على المدينة فدفنه عند أمه بالبقيع[4]، وذهب ابن تيمية إلى ((ان الذي ذكره من يعتمد عليه من العلماء والمؤرخين ان الرأس حُمل إلى المدينة ودفن عند أخيه))[5].

والغريب ان ابن جبير الرحالة زار المدينة المنورة سنة 578هـ/1182م، وذكر المراقد الموجودة في البقيع، ولم يشر إلى وجود رأس الحسين (عليه السلام) هناك رغم ذكره لكل مراقد آل البيت (عليهم السلام)[6]. ولم يشتهر وجود الرأس في المدينة المنورة.

4- **مرو**[7]: وروي أن في خارج مدينة مرو يوجد رباط فيه قبر صغير زعموا ان فيه رأس الحسين بن علي (عليه السلام)[8]، وقيل ان الرأس بقي في خزائن بني أمية إلى قيام الدولة العباسية، فقام أبو مسلم الخراساني بنقله إلى خراسان[9].

---

(1) محمد، سعاد ماهر، مشهد الامام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف، ط القاهرة، 1388هـ/1968م، ص153.

(2) النصراوي، حسين عبد الأمير، رأس الحسين (عليه السلام) من الشهادة إلى الدفن، ط بيروت، 1421هـ/2000م، ص25.

(3) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، 191/2 – 192.

(4) الخوارزمي، مقتل الحسين، 83/2، سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، 206/2، النويري، نهاية الارب، 481/20، ابن الوردي، تاريخ، 165/1، ابن كثير، البداية والنهاية، 204/8، ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص301 وأوردت الرواية الكاتبة المصرية: محمد، سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياءها الصالحون، ط القاهرة، 1391هـ/1971م، 364/1.

(5) ابن تيمية، رأس الحسين، ص197.

(6) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد البلنسي (ت614هـ/1217م)، اعتبار المناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، ط بيروت، 1402هـ/1981م، ص155، صبري، رأس الحسين، ص22.

(7) مدينة بفارس معروفة، وهما مدينتان: مرو الروذ، ومرو الشاهجان، وبينهما خمسة أيام، والشاهجان هي مرو العظمى اشهر مدن خراسان وقصبتها. البكري، معجم ما استعجم، 1216/4، ياقوت، معجم البلدان، 112/5.

(8) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص52، محمد، مساجد مصر، 367/1.

(9) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فرغلي (ت654هـ/1256م)، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان حوادث سنة (50 – 89هـ)، مخطوط مصور في مكتبة الامام أمير المؤمنين العامة، النجف الأشرف، برقم (17/1/2)، ورقة 102.

5- **الرقة**[1]: إذ روي ان الرأس عندما أُحضر إلى يزيد بن معاوية قال: لأبعثنه إلى آل أبي معيط عن رأس عثمان، وكانوا بالرقة فبعثه إليهم فدفنوه في بعض دورهم[2].

6- **حلب**[3]: وقيل ان رأس الحسين (عليه السلام) دفن بها إلاّ ان ابن تيمية يقول انه قول لا يُعتد به[4].

7- **دمشق**: وتؤكد بعض الروايات ان الرأس لم تغادر دمشق بعد مقدمه إليها، وانه وضع في خزائن السلاح حتى عهد سليمان بن عبد الملك الذي صلى عليه، ودفنه في مقابر المسلمين[5]. وذكر ان هناك مشهداً كبيراً في المسجد الأموي كان فيه رأس الحسين بن علي (عليه السلام)[6] ولا زال هذا المشهد معروفاً حتى يومنا هذا في المسجد الأموي بدمشق. وفي رواية أخرى ان يزيداً دفن الرأس في قبر أبيه معاوية[7] وقد نفى ابن تيمية روايات دفن الرأس في دمشق قائلاً ان ذلك ((قول لا أصل له))[8] بل نفى نفياً قاطعاً وصول الرأس إلى يزيد في بلاد الشام، قائلاً: ((ان نقل رأس الحسين إلى الشام لا أصل له في زمن يزيد))[9].

إن محاولة ابن تيمية هذه هي محاولة لتبرأة يزيد من الممارسات التي قام بها تجاه رأس الحسين (عليه السلام) وحصر هذه الممارسات بعبيد الله بن زياد في الكوفة فحسب[10]. والواقع ان ابن تيمية انفرد بهذه الرؤية، وقد اضطر تلميذه ابن كثير، إلى رفض رأيه عندما تناول قضية رأس الحسين (عليه السلام)، وتبنى رأياً مغايراً[11] رغم حرصه على عدم نقل أي من المرويات التي يتهم اصحابها بالتشيع، ان هذا الموقف الذي اتخذه ابن كثير وهو أكثر المؤرخين تعصباً لابن

---

(1) مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام. ياقوت، معجم البلدان، 58/3 – 59.

(2) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، 208/2.

(3) مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات، طيبة الهواء، صحيحة الأديم والماء، وهي قصبة جند قنسرين في بلاد الشام. ياقوت، معجم البلدان، 282/2.

(4) رأس الحسين، ص198.

(5) الخوارزمي، رأس الحسين، 83/2، ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص308.

(6) البلاذري، انساب الاشراف، 416/3، ابن جبير، اعتبار الناسك، ص218، سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، 207/2 – 208.

(7) ينظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ورقة 102، علي بيج، أمير جواد كاظم، الحائر الحسيني دراسة تاريخية (ت61هـ/656م – 680هـ/1258م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 1428هـ/2007م، ص34.

(8) رأس الحسين، ص198.

(9) المصدر نفسه، ص207.

(10) رأس الحسين، ص206.

(11) ومما قاله ابن كثير في هذا المجال: ((فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السير انه بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية، ومن الناس من انكر ذلك. وعندي ان الأول اشهر)). البداية والنهاية، 204/8.

تيمية وأفكاره ربما يعود لإدراك ابن كثير مدى ضعف الوعي التاريخي لدى استاذه، وهو ما يجعل ابن تيمية جريئاً في إنكار الحوادث التاريخية المتفق عليها في ردوده على مخالفيه العقائديين – وبدون سند علمي – الأمر الذي يسبب حرجاً بالغاً لتلامذته، وقد اضطر ابن كثير إلى عدم التصريح باسم ابن تيمية عند استعراضه لرأيه بانكار ارسال الرأس إلى يزيد ربما خجلاً من هذا الرأي[1].

8- **عسقلان**[2]: إذ روي ان جماعة حضروا دخول الرؤوس على يزيد وكان بحضرته جماعة من أهل عسقلان، فسألوه أن يُدفن عندهم، فسلمه إليهم فدفنوه بمدينتهم وبنوا عليه مشهداً يُزار يعرف بمشهد الرأس[3]، ويؤكد سبط ابن الجوزي[4]: ان الرأس نقل من دمشق إلى عسقلان، وأشار المقريزي إلى مكوثه في عسقلان[5]، فيما علق ابن تيمية على هذا القول: ((بل نعلم ونجزم بأنه ليس رأس الحسين، ولا كان ذلك المشهد العسقلاني مشهداً للحسين))[6] ورجح أن يكون قبراً نصرانياً لبعض النصارى أو بعض الحواريين[7]، ويندرج ذلك في محاولات ابن تيمية الدفاع عن يزيد أو عدم القبول بوصول الرأس إلى دمشق لأن الاقرار بوجوده في عسقلان يعني وصوله إلى يزيد في دمشق، وهو ما نفاه أصلاً.

9- **القاهرة:** ويروى ان الفرنجة عندما استولوا على عسقلان افتدى الفاطميون رأس الحسين (عليه السلام) بمال جزيل، وجيء به إلى القاهرة سنة 548هـ/1153م فدفن في الموضع المعروف فيه الآن[8] وعن هذا الموضع يقول ابن جبير: ((وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك، وأحداقهم به وانكبابهم عليه، وتمسحهم بالكسوة التي عليه وطوافهم حوله مزدحمين باكين متوسلين إلى الله (سبحانه وتعالى) ببركة التربة المقدسة ومتضرعين ما يذيب الاكباد، والأمر فيه اعظم، ومرأى الأحوال أهول، نفعنا الله ببركة ذلك المشهد الكريم.. قدس الله العضو الكريم الذي فيه منه وكرمه))[9].

---

(1) صبري، رأس الحسين، ص18.

(2) مدينة بالشام من اعمال فلسطين، ويقال لها: عروس الشام، وكان يرابط بها المسلمون لحراسة الثغر منها. ابن عبد الحق، مراصد الإطلاع، 940/2.

(3) ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت580هـ/1184م)، الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، ط ليدن، 1393هـ/1973م، ص54.

(4) تذكرة الخواص، 209/2.

(5) ينظر: المواعظ والاعتبار، 427/1.

(6) رأس الحسين، ص194.

(7) المصدر نفسه، ص190.

(8) ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ/1348م)، تاريخ ابن الوردي، ط بيروت، 1417هـ/1996م، 165/1، المقريزي، المواعظ والاعتبار، 427/1، القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ط القاهرة، 1383هـ/1963م، 347/3.

(9) اعتبار الناسك، ص19.

ويؤكد ابن جبير ان الذي بمدينة القاهرة هو ((رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وهو في تابوت فضة مدفون تحت الأرض))[1].

وقد شاهد الباحث هذا الموضع عند زيارته لمدينة القاهرة، وفيه مشهد عظيم يؤمه ويزوره الآلاف ويتبركون به.

وقد انكر ابن كثير وجود الرأس في القاهرة واتهم الفاطميين بأنهم افتروا ذلك لأنهم ((أرادوا ان يروجوا بذلك بطلان ما أدعوه من النسب الشريف وهم في ذلك كذبة خونة))[2] والواقع ان وجود الرأس في القاهرة لا علاقة له بنسب الفاطميين بأي حال، وحتى لو كان يمنحهم بعض الشرعية فقد كان الأولى أن يقوموا بنقله في أيام المستنصر الفاطمي (427هـ/1035م – 487هـ/1094م) عقب اكتشافهم المرقد مباشرة، وليس في أواخر دولتهم وفي أضعف أيامها وأكثرها خوفاً من وقوعها في يد الصليبيين، ولو كان ثمة شرعية تتحقق بوجود رأس الحسين (عليه السلام) بالقاهرة كما يردد ابن كثير لعمل الفاطميين على نقل جسد الحسين (عليه السلام) من كربلاء عندما وقعت العراق كلها تحت الحكم الفاطمي لمدة عام كامل[3].

وابن كثير في نفيه هذا ينسجم مع استاذه ابن تيمية الذي ذكر ان مشهد الحسين (عليه السلام) في القاهرة الذي يدعى فيه رأس الحسين (عليه السلام) ما هو إلا كذب واختلاق وأفك وبهتان[4].

وقد كان ابن تيمية في محاولاته لانكار وجود الرأس بالقاهرة واقعاً تحت ضغط عدائه المذهبي للفاطميين (الشيعة) من جهة، وللصوفية (السنة) من جهة أخرى، ولم تكن محاولته هذه بعيدة عن سعيه لتحجيم سيطرة تيارات الصوفية على الواقع الديني في مصر، وبالتالي فالحسين (عليه السلام) ذاته كشخصية تاريخية كان بالنسبة إليه وسيلة للخصوم في مواجهته[5].

ومما يشار إليه في هذا المجال ان هناك عدداً من الكتّاب المصريين الذي شاطروا أحمد صبري في دفاعه عن وجود رأس الحسين (عليه السلام) في المشهد القاهري ومنهم أبو كف[6] الذي ذكر سبعة مواضع لرأس الحسين (عليه السلام) مغفلاً موضعي النجف الأشرف وحلب ومرجحاً وجوده في القاهرة، ومرغي[7] الذي ذكر ستة مواضع لرأس الحسين (عليه السلام) ولم يذكر حلب ومرو والنجف الأشرف ورجح وجوده في القاهرة. ورجح بعضهم[8] الدفن في عسقلان ومن

---

(1) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد البلنسي (ت614هـ/1217م)، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الاسفار (رحلة ابن جبير)، ط مصر، (بلا ت)، ص48.

(2) البداية والنهاية، 204/8.

(3) صبري، رأس الحسين، ص34 – 35، وينظر بقاء الفاطميين في العراق لمدة عام: المقريزي، المواعظ والاعتبار، 356/1.

(4) رأس الحسين، ص215.

(5) صبري، رأس الحسين، ص36.

(6) آل بيت النبي، ص34 – 38.

(7) الشيعة في مصر، ص147 – 156.

(8) حسن، زعماء الإسلام، ص207، شلبي، الدولة الأموية، 40/ق33/5 – 34، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص146 – 152، عويس، شهيد كربلاء، ص239، ماجد، التاريخ السياسي، 78/2، كريم، اعلام في التاريخ الإسلامي، ص83.

ثم نقل الرأس إلى القاهرة من قبل الفاطميين من دون الإشارة إلى الروايات التي تذكر وجوده في مناطق أخرى. وذكر مثل هذه الروايات قسم من هؤلاء الكتّاب المصريين من دون أن يقطعوا بوجوده في المشهد القاهرة، مؤكدين انه أينما يكون فهو في كل موضع أهل للتشريف والتكريم، قد سكن القلوب والضمائر[1].

وتزمت آخرين في اثبات وجوده وآثار بركته في القاهرة فقال صبيح: ((ومهما قال ابن تيمية واتباعه واذنابه عن عدم وجود الرأس الشريفة في مصر فلن يثنوا أحباب أهل البيت من زيارته واثبات بركته))[2].

وذكر آخر بعد أن استعرض مواضع الدفن في المدينة المنورة، ودمشق، وكربلاء، والقاهرة انه ((مهما كان وكيف يكون فإن في مشهده القاهري، إنما تطل علينا روحه الشريفة فتبعث فينا من الروحانية ما الله اعلم به))[3].

وقد يكون هذا التعلق بمشهد الحسين (عليه السلام) أينما يكون ولاسيما في القاهرة خطيراً في نظر بعض التيارات وخاصة التيارات السلفية التي كانت ((سبّاقة في إدراكها لمدى خطورة ارتباط الجهور المسلم بالحسين، فسعت إلى التشكيك في وجود رأسه سواء في مصر أو العالم، كما سعت بقوة خاصة بعد قيام الثورة الايرانية إلى نشر عشوائي للعديد من الفتاوى – القديمة والحديثة – التي تحرم زيارة مرقده سواء في مصر أو كربلاء، خوفاً من استغلال أي من التيارات الثورية لهذا الارتباط للقيام بحالة توعية دينية واجتماعية تهدد سيطرتها على الواقع الديني في العالم الإسلامي))[4].

ويدرُّ مشهد رأس الحسين (عليه السلام) في القاهرة على الحكومة المصرية موارد لا يستهان بها كموقع أثري وسياحي، ولذلك فقد رفضت دراسة تقدم بها أحد الباحثين للأزهر الشريف أراد فيها اثبات عدم وصول الرأس إلى القاهرة، وعُنف هذا الباحث لأنه يضر بمصالح البلاد الاقتصادية التي يشكل مشهد الحسين (عليه السلام) القاهري أحد مصادرها[5].

وقد تبنى الكاتب المصري محمود إسماعيل عبد الرزاق هذا الرأي القاضي بعدم وجود رأس الحسين (عليه السلام) في القاهرة واقتنع فيه متأثراً بتلك الدراسة التي لم يفصح عن اسم صاحبها أثناء مقابلة له مع الباحث[6].

وقد قال بهذا الرأي أيضاً الجبري مكرراً ما ذكره ابن تيمية في هذا المجال[7].

---

(1) أبو علم، الحسين بن علي، ص170 – 172، منصور، الشقيقان، ص109، العقاد، أبو الشهداء، ص260 – 262.

(2) خصوصية وبشرية النبي، ص283.

(3) محمد، أهل البيت في مصر، ص77.

(4) صبري، رأس الحسين، ص13 – 14.

(5) مقابلة شخصية مع الدكتور محمود اسماعيل عبد الرزاق، في داره بالمنصورة، مصر، 13 مايس، 1426هـ/2005م.

(6) مقابلة شخصية معه في داره بالمنصورة، مصر، 13 مايس، 1426هـ/2005م.

(7) ينظر: حوار مع الشيعة، ص255 – 256.

وخلاصة القول ان عظمة العمل الذي قام به الحسين (عليه السلام) قد تكون وراء ادعاء هذه الأماكن شرف ضمّ رأس الحسين (عليه السلام)، ولعل من الحكمة الإلهية ان يضيع موقع الرأس بين هذا العدد من الأماكن، وأماكن أخرى مرّ بها الرأس أو أدعي ان قطرة من دمه سقطت فيها فبُنيت عليه المشاهد[1] لينتشر خبر الاثم الذي ارتكبه يزيد ولا يبقى لمن يحاول تبرئته من ذلك العمل الفضيع حجة، ومهما يكن من اختلاف أماكن الدفن، فإن الأثر الباقي لرأس الحسين (عليه السلام) هو في الضمائر والقلوب لأنه ((بكل ما مثله من صمود وعظمة وتضحية لم يعد ملكاً للحسين، ولا ملكاً لجسده.. بل صار ملكاً للبشرية الراشدة في كل زمان ومكان. صار ملكاً للحق، يرفعه في أوديته العامرة والثائرة لواءً، وقدوة، ويملأ بسناه إرادة الحياة عزماً، وضميرها نوراً))[2].

وقد عبر الكاتب المسرحي المصري عبد الرحمن الشرقاوي عن ذلك الأثر المعنوي تعبيراً شفافاً فقال[3]:

لا تطلبوا رأس الحسين بشرق أرضٍ أو بغربِ...

فالرأس مثواه بقلبي...

رأس الحسين هنا بقلبي..

---

(1) نصر الله، إبراهيم، آثار آل محمد (صلى الله عليه وآله) في حلب، ط حلب، 1416هـ/1995م، ص36 – 51، وذكر ان هناك مساجد ومشاهد إدعت شرف بقاء الرأس فيها أو سقوط قطرات من دمه الزكي على أرضها فانشأت تبركاً بذلك في الموصل ونصيبين، وبالسن، وحماة وحمص.

وينظر: النصراوي، رأس الحسين، ص26 – 27.

(2) خالد، ابناء الرسول في كربلاء، ص169.

(3) الحسين شهيداً، ص176.

الفصل الرابع

ثورة الحسين عليه السلام في المصنفات المصرية

أسس المعالجة.. وأسلوب الكتابة

- المدخل.
- المبحث الأول: الموقف المصري من ثورة الحسين (عليه السلام) مرجعية مذهبية... ورؤية معاصرة
- المبحث الثاني: المصنفات المصرية المنهج... الاسلوب نظرة عامة وتقويم

المدخل

إن التحولات السياسية الكبرى التي وقعت في العالم الإسلامي في عصر الاقطاعية العسكرية – منذ منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي كظهور دول امبراطورية متغلبة مثل دولة السلاجقة في الشرق والمرابطين في الغرب – انتزعت السلطات الحقيقية من الخلافة وأصبحت صاحبة الحل والعقد. كما ان ضعف الخلافة في قرطبة ثم القاهرة وأخيراً في بغداد وتطاول السلاطين والأمراء المتغلبين؛ كان بحاجة إلى تبرير شرعي للأمر الواقع.

وفي هذا الصدد قنّن الفقهاء وشرعوا وسوّغوا دينياً تلك الظاهرة، كما عرض لها كُتّاب الدواوين، ورجال الإدارة، وبعض الفقهاء أيضاً فدونوا مصنفات في النصح والارشاد وقدّموها للسلاطين والأمراء أو صُنفت – على وفق طلب هؤلاء الأخيرين – كحلول ناجعة للمشكلات المترتبة على الحكم الجديد وضمان استمراريته واخضاع الرعية لطاعته.. أما عن الفكر السياسي عند قوى المعارضة؛ فقد ظل الشيعة والخوارج والمعتزلة، متشبثين بنظرياتهم المعروفة في الامامة من الناحية النظرية.

وبخصوص جهود الفقهاء في مجال أدب السياسة، أو التدابير الشرعية، أو سياسة الرعية.. وغيرها من الاصطلاحات التي شاعت في هذا العصر، نلاحظ انها جميعاً نهلت من الاشعرية – ايديولوجية الملوك – ومن كتب (الأحكام السلطانية) التي كان الماوردي الاشعري رائدها مع فارق وحيد؛ وهو تكريسها القديم والمستحدث لتسويغ حكومة المتغلب وتبرير سياسة الأمر الواقع. ولم تأتِ المسألة عرضاً أو كيفما اتفق بين الفقهاء، بقدر ما كانت حركة منظمة تبنتها المدارس النظامية ونظر لها أبو حامد الغزالي، وعمل نظام الملك وزير السلاجقة على نشرها في سائر أقاليم العالم الإسلامي.

وبعد ضعف الخلافة العباسية؛ تعاظمت هذه الظاهرة وتفرغ الفقهاء يقدمون المبررات – باعتبارهم أهل الحل والعقد – لترويض الرعية على طاعة الحكام المتغلبين حتى لو كانوا عبيداً وأرقاء، جهلة أو ظلمة لذلك كثرت التواليف والكتب في هذا الصدد، وغدت من مباحث الفقه بصورة أكبر وأكثر من ان تحصى. وفي ذلك دلالة على ارتباط السياسة بالدين ارتباطاً عضويا مصلحياً بصورة لم تكن معهودة في العصور السابقة. فالنظم الجديدة المتغلبة احتاجت إلى الفقهاء لدعمها بالولاء والاعتراف الشرعي مقابل المناصب الهامة كالقضاء والافتاء.. ولعل مما يزكي الارتباط بين السياسة والدين أن الخروج على الحاكم كان يُعد فتنة ومروقاً على الإسلام.. وما أن قامت الدولة السلجوقية حتى عوّلت على استرضاء الفقهاء السنة وعلى رأسهم الغزالي؛ الذي نجح في عقد أواصر الوفاق بين الخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة الأوائل، والحق ان الغزالي كان قد أهّل لهذا الدور؛ فهو فقيه اشعري على مذهب الشافعي في الفقه. ومعلوم ان الاشعرية كانت ايديولوجية الحكام، كما ان انطواءها على قدر من العقلانية يدعمها المنطق الأصولي – الذي أسسه الشافعي – يمكن بأن يحقق الغاية المنشودة والظفر في صراع جدالي مذهبي مرتقب.

لقد دخل الغزالي معترك السياسة، ولكن من باب التبرير للسلطان الجائر المتغلب، يسوغ حكم حاكم غير مستوفي الشروط، مبرراً ذلك بأن الضرورات تبيح المحظورات، بل أكثر من ذلك مضيه قدماً في طريقه لتبرير الذرائع حين أوجب طاعة المتغلب حتى لو كان جائراً، فمنظومة الغزالي السياسية إذن قوامها الخليفة والسلطان والفقيه، أما الرعية فلا وجود لها، إلاّ التزامها بوجوب الطاعة للسلطان، ومن درس تاريخ عصر الغزالي يعلم ان الخلافة جرّدت من صلاحياتها، وان السلطان تجمع في يد السلاطين، وان الفقهاء صاروا أبواقاً للسلاطين ينشرون ايديولوجيتهم في مدارس خصصت لهذا الغرض، وان الغزالي صار هو الفقيه الأول والمنظر لتلك الايديولوجية بامتياز. فكان مسؤولاً عن الترويج لسياسات الاستبداد في العالم الإسلامي بأسره مثال ذلك صلاته بالمرابطين، وبثّ افكاره في تلميذه ابن العربي الذي عوّل على نشرها في الغرب الإسلامي، فأخلص في نشر فكر الغزالي التبريري المؤازر للحكام خصوصاً في الأوساط الصوفية التي أقبلت عليه. ومن مظاهر هذا التبرير إرجاء معاقبة الجائرين من الحكام إلى الله سبحانه وتعالى، أما من عدل منهم فإن عدله ينال الرعية.

لكن تهافت الفقهاء على السلاطين لإضفاء المشروعية على حكمهم، واستقرار الأمر لهؤلاء السلاطين بتعاظم الشوكة وخذلان الرعية، وضعف الفقهاء نتيجة الصراع فيما بينهم لإرضاء السلاطين ونيل الجاه والمال والمناصب، حفز فقيهاً مثل ابن تيمية للقيام بمحاولة لحفظ ماء وجه الفقهاء ورد الاعتبار للشريعة، فكانت نظرته للسياسة – وان التقى مع الرؤى السابقة في كثير من الوجوه – مؤسسة على تصور عدد من الدول الدينية الكبرى تكون نواة لاسترجاع وحدة الأمة؛ واشترط ضرورة تولي الحاكم السلطة عن طريق البيعة، وإلزامه بتحقيق مبدأ الشورى، وربط بين طاعة الرعية للسلطان والتزامه بالشريعة والإصلاح، مما يعني جواز عصيان الرعية إذا أخل السلطان بمسؤولياته ومع ذلك كان ابن تيمية لا يميل إلى سفك للدماء إلاّ من أجل ردع أهل البدع والضلالة !!.

وقد ظهرت في الأدب السياسي كتابات جمعت بين البعد الفلسفي المبسط ممزوجاً بتنظيرات الاصوليين، ونصائح وارشادات رجال الإدارة وكتب الأحكام السلطانية. وممن كتب في هذا الصدد عبد الرحمن بن خلدون الاشعري المالكي الذي انصرف إلى السياسة منذ بداية شبابه فاشتغل بها وخدم سلسلة من الحكام في الاندلس والمغرب ومصر والشام، سالكاً نحو تحقيق طموحاته مسلكاً لا أخلاقياً. وانعكس ذلك على ما تضمنته مقدمة كتابه العبر، حيث برر للشوكة والغلبة والقوة والتطاول والاستبداد، محاولاً تطويع الدين ليضفي على حكم السلطان المتغلب صفة المشروعية، ومفهوم الغلبة عنده متضمن فيما كتب عن العصبية، وان استخدم مصطلح (الشوكة) على غرار نظرائه من الكتّاب الاشاعرة في الشرق، أما التبرير الديني عنده فهو متضمن فيما كتب عن مفهوم الدعوة[1].

---

(1) اعتمد الباحث فيما تقدم من تلخيص على الدراسة القيّمة التي قدمها الأستاذ عبد الرازق للفكر الإسلامي في طور الانهيار، ولأهمية هذه الدراسة وعلاقتها الوثيقة بما سيفصل في البحث عمد الباحث إلى الافادة منها في هذا المجال.

عبد للرازق، سوسولوجيا الفكر الإسلامي – طور الانهيار، 80/2 – 86، ص90، ص93. =

((ان الخطاب السياسي الخلدوني خطاب تهيمن فيه المفاهيم والعبارات الدالة على الاستبداد والعنف.. وتغيب عنه بصورة تامة المفاهيم التي تقابلها وتضادها.. أما مفهوم أهل الحل والعقد، ومفهوم الشورى، وهما مفهومان اسلاميان، فإن ابن خلدون لا يرى لهما معنى في الواقع))[1] فالسياسة عند ابن خلدون هي الوسيلة التي تمكن من استعباد الرعية وجباية الأموال، فأراؤه عموماً يغلب عليها المفهوم السلطوي للسياسة[2].

لقد تعاظم المد السني المحافظ والمتعصب والمساير للسلاطين والحكام الذين وجهوه لاستئصال شأفة الاتجاهات الفكرية المعارضة الشيعية والاعتزالية، وأسست المدارس النظامية لهذا الغرض بعد أن مزجت المذهب الاشعري في الكلام بالمذهب الشافعي في الفقه بالتصوف في صيغة متنافرة وحدها الغزالي ووجهها لتخريج أجيال من الاتباع والانصار جرى بثهم في سائر أقاليم العالم الإسلامي لمحاصرة فكر المعارضة واستئصال شأفته[3].

ومن هذا البعد ندرك أسباب دخول بعض الفقهاء في مجال التاريخ الإسلامي ولاسيما التاريخ الأموي مثل مساهمة ابن العربي على صورة شبهات حول تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية والرد عليها في كتابه (العواصم من القواصم) وابن تيمية عن بعض احداث التاريخ الأموي ضمن ردوده على – ما أسماه – أحد المعتزلة الروافض في كتابه (منهاج السنة النبوية)، وما كتبه ابن كثير من تاريخ الدولة الإسلامية متصل حتى عهده في (البداية والنهاية)، وبعض مباحث التاريخ الأموي في (مقدمة) ابن خلدون.

وقد لاحظ أحد الكتّاب المصريين اتجاه هؤلاء الفقهاء إلى بحث الشبهات – كما سماها – التي اثارتها بعض الفرق الإسلامية وعلى رأسها الرافضة والمعتزلة وقيّم بحوثهم التاريخية بـ ((شيوع روح الانصاف للأمويين على نحو ملحوظ وقد كان ذلك [برأيه] لعدة أسباب ترجع في مجملها إلى سببين رئيسيين هما: التحرر من الحزبية السياسية والأهواء المذهبية، وتأثير منهج علم الحديث في نقد الروايات والأخبار))[4] فأما التحرر من الحزبية والأهواء فعلله بأن ابن العربي عاش في الاندلس، وعاش ابن تيمية [وابن كثير] وابن خلدون بعد القضاء على الخلافة العباسية – في بغداد – بفترة طويلة، وكان كلهم من الملتزمين باعتدال

= وينظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي (ت505هـ/1111م)، الاقتصاد في الاعتقاد، ط بيروت، 1389هـ/1969م، ص27، ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت728هـ/1327م)، السياسة الشرعية وإصلاح الراعي والرعية، ط القاهرة، 1375هـ/1955م، ص157 – 158، السيد، الأمة والجماعة والسلطة، ص274، لامبتون، الفكر السياسي عند المسلمين – دراسة في كتاب تراث الإسلام، ط الكويت، 1409هـ/1988م، 187/2، برنارد، لويس، السياسة والحرب – دراسة في كتاب تراث الإسلام، ط الكويت، 1409هـ/1988م، 249/1، 250، العلوي، سعيد بنسعيد، الخطاب الاشعري، ط بيروت، 1415هـ/1994م، ص261.

(1) الجابري، محمد عابد، العصبية والدولة، ط الدار البيضاء، 1401هـ/1980م، ص375.

(2) الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، ط بيروت، 1412هـ/1991م، ص228، ص231.

(3) عبد الرازق، سوسيولوجيا الفكر، 11/2.

(4) شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص77.

أهل السنة والجماعة بعيداً عن غلو الشيعة وشطط الاعتزال !![1] والحق ان القول بكونهم من أهل السنة لا ينفي عنهم التحزب والمذهبية لصالح الأمويين[2] على حساب الفرق الأخرى التي كانوا يسيئون إليها بتهمة الرفض أو الاعتزال، أما منهجهم في نقد الروايات فقد كان قائماً باعتراف الكاتب المصري على ((رفض روايات أهل البدع والأهواء.. وبخاصة الرافضة ومن روى عنهم كابي مخنف، ومحمد بن السائب الكلبي وابنه هشام...))[3] وهذا دليل على اتباع منهج الاقصاء لروايات الشيعة بعنوان الرفض لأنها تقدح في بني أمية، ناهيك عن ان هذا المنهج ذاته يتبع في كثير من الاحيان التبعيض فهم يروون عن هؤلاء الرواة – بالاعتماد على الطبري – ما يتوافق مع ما يريدون اثباته وقد مرّ بعض ذلك في البحث وسيزداد تأكيده في الآتي منه.

---

(1) المصدر نفسه، ص77.

(2) رأى أحد الباحثين ان ميل بعض علماء الاندلس كابن العربي إلى الأمويين ظاهرة اندلسية جاءت نتيجة تأثير خلافة الأمويين التي كانت هناك. مؤنس، حسين، هامش تاريخ التمدن الإسلامي، لجرجي زيدان، ط مصر، 1378هـ/1958م، 91/4.

(3) شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص78.

المبحث الأول

الموقف المصري من ثورة الحسين (عليه السلام)

مرجعية مذهبية... ورؤية معاصرة

أصبحت المسؤولية عن مقتل الحسين (عليه السلام) مسألة خلافية بين أكابر العلماء والمؤرخين، وذلك نتيجة طبيعية للاختلاف حول ملابسات الواقع والبواعث الحقيقية لتلك الملابسات[1] فقد اختلط الدين – في هذه القضية – بالسياسة، وامتزج الرأي فيها بالعاطفة، وكف البعض ايديهم عنها حتى لا يقعوا بالحرج، وحتى لا يتهموا بالتعصب والانحياز، وان الكثرة من الكتّاب والمؤرخين قد اختلفوا حولها فذهب فريق منهم إلى ادانة الحسين (عليه السلام) والقاء المسؤولية عليه، وذهب الفريق الثاني إلى ادانة يزيد والقاء المسؤولية عليه[2].

وكما كان هذا الخلاف قديماً بين أصحاب المصنفات، فقد امتد ليشمل المدرسة المصرية، إذ أصبحت هذه الآراء المتباينة مرجعية لكثير منهم يعودون إليها للترجيح أو للتفنيد أو للوصول إلى رأي مقارب، أو مباين في ثورة الامام الحسين (عليه السلام)، وتصويب أو تخطئة خروجه (عليه السلام).

ومن الصعب الإشارة إلى هذه الآراء المصرية دون بيان آراء تلك المراجع المذهبية التي شكلت أفكارها تياراً واسع الانتشار في مصر – كابن العربي وابن تيمية مثلاً – يتبنى الدفاع عن بني أمية عامة ويزيد خاصة، ويتهم كل من يروي رواية تسيء إلى سمعتهم بالرفض والتشيع والكذب[3]، في الوقت الذي لا يتورعون عن اتهام الحسين (عليه السلام) في صحة ثورته، مع القول – وبمنتهى التناقض – بقداسة شخصه، ونيته الصالحة في الحفاظ على الدين !!.

---

(1) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص427.

(2) غنيم، الثورات العلوية، ص188.

(3) إن مشكلة العرب والمسلمين في مجال الكتابة التاريخية، تكمن في كونهم حولوا هذه الممارسة الموضوعية إلى وظيفة لتركيز ايبولوجيا ما أو اثبات الشرعية لكيانات سياسية مختلفة؛ التاريخ العربي قتلته السياسة. لذا جاء مجزأ ومتلبساً، بناء على تجزئة الخريطة السياسية والمذهبية التاريخية للعرب والمسلمين. فالمؤرخ بالدرجة الأولى، رجل منخرط – رغماً عنه – في الصراع السياسي لأن قطاع المعرفة كله بيد البلاط، ولا حديث حينئذ عن استقلال المؤرخ ! وحينما لا يستقل المؤرخ لا يستقل التاريخ.. وقد عمد المسلمون – في مجال ضبط الرواية – إلى ضبط الرجال.. غير ان التجربة الإسلامية انتهت إلى نوع من التجزئة السياسية والمذهبية، جعل مفهوم الثقة ذاته يخضع لمعايير ذلك التشطير المذهبي. هاني، محنة التراث الآخر، ص24.

وسيعمد الباحث إلى عرض آراء أبرز العلماء الذين صنفوا في هذا المجال وكان لهم تأثيرهم الواضح فيما كتبه الباحثون والكتّاب المصريون، وسيبين من اتفق منهم أو اختلف مع تلك الآراء.

1- آراء القاضي أبي بكر بن العربي (ت543هـ/1148م):

((وذكر المؤرخون ان كتب أهل الكوفة وردت على الحسين، وانه أرسل مسلم بن عقيل – ابن عمه – إليهم ليأخذ عليهم البيعة وينظر هو في اتباعه، فنهاهُ ابن عباس وأعلمه انهم خذلوا أباه وأخاه، وأشار عليه ابن الزبير بالخروج فخرج، فلم يبلغ الكوفة إلاّ ومسلم ابن عقيل قد قُتل، وأسلمه من كان استدعاه ! ويكفيك بهذا عِظة لمن اتعظ. فتمادى واستمرّ غضبًا للدين وقياماً بالحق. ولكنه – رضي الله عنه – لم يقبل نصيحة أعلم أهل زمانه ابن عباس، وعدل عن رأي شيخ الصحابة ابن عمر وطلب الابتداء في الانتهاء، والاستقامة في الاعوجاج، ونضارة الشبيبة في هشيم المشيخة. ليس حوله مثله، ولا له من الانصار من يرعى حقه، ولا من يبذل نفسه دونه، فأردنا أن نطهر الأرض من خمر يزيد فأرقنا دم الحسين، فجاءتنا مصيبة لا يجبرها سرور الدهر. وما خرج إليه أحد إلاّ بتأويل، ولا قاتلوه إلاّ بما سمعوا من جده المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذر من الدخول في الفتن. وأقواله في ذلك كثيرة: منها قوله (ﷺ): ((انه ستكون هناتٌ وهنات، فمن أراد ان يُفرّق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان))[1]. فما خرج الناس إلاّ بهذا وأمثاله. ولو أن عظيمها وابن عظيمها وشريفها وابن شريفها الحسين وسعهُ بيته أو ضيعته أو إبله – ولو جاء الخلقُ يطلبونه ليقوم بالحق، وفي جملتهم ابن عباس وابن عمر – لم يلتفت إليهم، وحضره ما أنذر به النبي (ﷺ) وما قال في أخيه[2] ورأى انها خرجت عن أخيه ومعه جيوش الأرض وكبار الخلق يطلبونه، فكيف ترجع إليه بأوباش الكوفة، وكبار الصحابة ينهونه وينأون عنه ؟ ما أدري في هذا إلاّ التسليم لقضاء الله، والحزن على ابن بنت رسول الله (ﷺ) بقية الدهر. ولولا معرفة اشياخ وأعيان الأمة بأنه أمر صرفه الله عن أهل البيت وحال من الفتنة لا ينبغي لأحد أن يدخلها، ما أسلموه أبداً.... وانظروا إلى ابن عباس وعقله واقباله على نفسه، وانظروا إلى ابن عمر وسِنّه وتسليمه للدنيا ونبذه لها. ولو كان للقيام وجه لكان أولى بذلك ابن عباس، فإن ولدي أخيه عبيد الله قد ذكر انهما قتلا ظلماً ولكن رأى بعقله أن دم عثمان لم يُخلص إليه، فكيف بدم ولدي عبيد الله ! وان الأمر راهق[3] قد خرجا عنه حفظاً للأصل، وهو اجتماع أمر الأمة وحق دمائها وائتلاف كلمتها، ودع الأمر

(1) مسلم، الصحيح، ص836.

(2) ويقصد الإشارة إلى حديث ((ابني هذا سيد، ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)). وقد مرّ مناقشة الباحث لهذا الحديث.

(3) أعسر. ابن منظور، لسان العرب، مادة رهق.

يتولاه اسود مجدع حسبما أمر به صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه[1]. وكُلّ منهم عظيم القدر مجتّهد، وفيما دخل فيه مصيب مأجور، ولله فيه حُكم قد أنفذه، وحكم في الآخرة قد أحكمه وفرغ منه. فاقدروا هذه الأمور مقاديرها، وانظروا بما قابلها ابن عباس وابن عمر فقابلوها، ولا تكونوا من السفهاء الذين يرسلون ألسنتهم وأقلامهم بما لا فائدة لهم فيه، ولا يُغني من الله ولا من دنياهم شيئاً عنهم))[2].

ويمكن أن نلخص أبرز الافكار الواردة في النص على لسان ابن العربي كالآتي:

- ان الحسين (عليه السلام) أرسل مسلم إلى الكوفة لطلب البيعة.
- انه (عليه السلام) خرج بتأثير مشورة ابن الزبير عليه بالخروج.
- لم يتعظ بمقتل مسلم بن عقيل وقد علم بذلك قبل بلوغ الكوفة.
- تمادى ! واستمر غضباً للدين وقياماً بالحق.
- لم يقبل نصائح الناصحين بالسكوت.
- طلب الاستقامة (الإصلاح) بوسيلة معوجة لأن ليس له عدة كافية (انصار).
- كل من خرج لقتال الحسين (عليه السلام) كان متأولاً (مجتهداً) لأن الرسول (صلى الله عليه وآله) حذر من الفتن، وأمر بقتال من يدعو إليها كائناً من كان فقتل الحسين (عليه السلام) تطبيق لتلك الأحاديث النبوية !!.
- ان من الأجدى للحسين (عليه السلام) لو وسعه بيته أو ضيعته أو ابله !! فالخلافة خرجت من الحسن (عليه السلام) ومعه جيش أكبر مما كان مع الحسين (عليه السلام) وامر الخلافة صرفهُ الله عن أهل البيت (عليهم السلام)، وحال من الفتنة لا يصح الدخول فيه، وهذا ما أدركه اشياخ وأعيان الأمة ولم يدركه الحسين (عليه السلام) !!.
- ان فعل ابن عباس، وابن عمر بتجنب الخروج حرصاً على اجتماع أمر الأمة وحقن دمائها، والتسليم بخلافة يزيد (الذي لاشك كان في نظر ابن العربي أفضل من عبد مجدع) فعل عقلاني متبع أوامر الشرع بالطاعة. (إذن فعل الحسين (عليه السلام) عكس ذلك!!).
- ثم يخلص إلى ان كل الاطراف – القاتل والمقتول، الناصح ومن لم يسمع النصح، الساكت والثائر – مجتهد، مصيب، مأجور !!! والحكم على هذه الاطراف لله، فهو يقدر لكل منهم حكمه (ولكن بعد ماذا ؟ بعد ان جعل الحسين (عليه السلام) مخطئاً من بين المجتهدين، متجاوزاً لشرع جده، وقاتليه متأولين أحاديث الشرع المحذر من الفتن !!).

---

(1) يقصد الإشارة إلى الحديث المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع: ((إن أُمّر عليكم عبدٌ مجدعٌ.. يقودكم بكتاب الله. فاسمعوا له وأطيعوا)). مسلم، الصحيح، ص830.

(2) العواصم من القواصم، ص154 – 157.

- ولا يفوت ابن العربي ان يختم بدعوةٍ - ربما كانت هي الغاية من الولوج إلى قضية الحسين (عليه السلام) الشائكة - إلى الاقتداء بفعل ابن عباس وابن عمر، فلا خروج على سلطان! ولا تهييج للفتن، ولا فائدة تُرجى من الترويج لأفعال السفهاء !!.

وقد رد آراء ابن العربي عدد من الباحثين المصريين ممن كانت لهم وجهات نظر مختلفة في غاية خروج الحسين (عليه السلام)، ومن ثم في تقويم ثورته، وسيعمد الباحث إلى عرض تلك الردود لتكون شاهداً على وجهة النظر المصرية التي قابلت وخالفت آراء ابن العربي ومن تأثر به من باحثين وكتاب مصريين:-

لقد أخطأ ابن العربي حين ذكر ان الحسين (عليه السلام) قد أرسل مسلماً لطلب البيعة من أهل الكوفة، فالواقع غير ذلك، وكتابه (عليه السلام) إلى أهلها يوضح الغرض الذي استهدفه الحسين(عليه السلام) من ارسال ابن عمه، إذ يقول فيه: ((وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته ان يكتب اليّ بحالكم وأمركم ورأيكم...))[1] فلما جاء مسلم الكوفة بايعه منها اثنا عشر الفاً، وقيل ثمانية عشر الفاً، والفارق كبير بين أن تكون هذه البيعة قد تمت بناء على سعي الحسين (عليه السلام) وطلبه، كما قال ابن العربي، وبين ان تتم البيعة تلقائياً، من هؤلاء الذين ظلوا بضعة اشهر يبعثون الوفود، ويرسلون إلى الحسين (عليه السلام) مئات الكتب، يلحون عليه في الخروج إليهم، دون دعوة من الحسين (عليه السلام)، أو طلب منه[2].

ويقول ابن العربي باغراء ابن الزبير للحسين (عليه السلام) بالخروج، وانه (عليه السلام) خرج بتأثير مشورته، ومما يرد ذلك ان أصل الرواية يشير إلى ان الحسين (عليه السلام) لم يثق بنصيحة ابن الزبير تلك وقام فخرج من عنده وقال: ((ها إنّ هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحب إليه من أن اخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم انه ليس له من الأمر معي شيء، وان الناس لم يعدلوه بي، فودّ اني خرجت منها لتخلو له))[3]. فكيف خرج إذن بتأثير تلك النصيحة، وقد ورد ذلك في المصدر الذي أوصى ابن العربي بأن لا يؤخذ التاريخ إلاّ عنه (الطبري)[4]، فضلاً عن ان ابن العربي قد عُني في كتابه (العواصم من القواصم) بتحقيق كثير من مواقف الصحابة وتنزيههم عما لا يليق بشريف مقامهم فلماذا أخذ بالرواية التي تسيء إلى ابن الزبير وتتهمه بكراهية الحسين (عليه السلام)، ولا يأخذ بالرواية المعارضة؟[5] التي ذكرها الطبري وتنص على ان ابن الزبير قد قال للحسين (عليه السلام): ((ان شئت ان تقيم أقمت، فوليت هذا الأمر،

---

(1) الطبري، تاريخ، 183/6.

(2) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص421.

(3) الطبري، تاريخ، 202/6.

(4) ينظر: العواصم من القواصم، ص166.

(5) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص422.

فأزرناك وساعدناك، ونصحنا لك وبايعناك...))[1] وقد رد الحسين (عليه السلام): بأنه لا يريد ان يستحل حرمة مكة المكرمة[2] ويبدو ان الانتقاء الذي مارسه ابن العربي كان يخدم ويوافق ما أراد طرحه من تخطئة الحسين (عليه السلام) في خروجه.

وقد أغفل ابن العربي كذلك الأسباب التي دفعت الحسين (عليه السلام) إلى الخروج من مكة بعد التجائه إليها وهي افتقاده الأمن فيها، وخوفه من ان يؤخذ بها، ويقتل فيها، وتستحل بذلك حرمة البلد الحرام، والبيت الحرام[3].

أما ما ذكره ابن العربي من ان الحسين (عليه السلام) واصل الطريق رغم مقتل مسلم وتمادى واستمر غضباً للدين وقياماً بالحق، فهو اعتراف بشرعية غاية الحسين (عليه السلام) لكن ابن العربي يناقض نفسه عندما يقول ان تلك الغاية الشريفة العادلة تؤدي إلى احداث الفتنة، وتفرق الأمة، ولذلك فإن محاربيه متأولين لأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) في قتل الخارج لتفريق أمر الأمة، وناصحيه متأولين السكوت لأن السمع والطاعة واجبة ولو كان الحاكم عبد مجدع.

وقد عارض ابن خلدون رأي ابن عربي هذا فقال: ((وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي في هذا، فقال... ما معناه: ان الحسين (عليه السلام) قتل بشرع جده، وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الامام العادل، ومن اعدل من الحسين (عليه السلام) في زمانه في إمامته وعدالته، في قتال أهل الآراء))[4].

وقد دعم عدد من الكتّاب المصريين الرأي القائل بشرعية خروج الحسين (عليه السلام)، وقالوا بدافعه العقيدي ورغبته في اصلاح كثير من مسائل العقيدة بعد أن اختلت الموازين في خلافة معاوية الذي لم يدعم ملكه بالقوة فحسب، ولكن بايدلوجية تمس العقيدة في الصميم.. فحين أراد ان يطلب البيعة لابنه يزيد من أهل الحجاز أعلن ان اختيار يزيد للخلافة كان قضاءً من القضاء، وليس لهم الخيرة في أمرهم، وهكذا كاد يستقر في أذهان المسلمين ان كل ما يأمر به الخليفة – حتى لو كانت طاعة الله في خلافه – قضاء من الله قد قدر على العباد[5].

وقد أصرّ الأمويون ان ينتزعوا من الامام الحسين (عليه السلام) آخر قطرة من كرامة في الأمة الإسلامية، إذ لابد من بيعته لأن هذه البيعة تمنح يزيد شرعية البقاء، وتعني حصوله على صك الشرعية[6].

---

(1) تاريخ، 203/6، ابن كثير، البداية والنهاية، 166/8. وقد ناقش الباحث الرواية الأولى ورجحها، وما يقدمه من حجج هنا لبيان منهج ابن العربي الانتقائي.

(2) الطبري، تاريخ، 203/6.

(3) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص422 وقد وُثق ذلك في محله.

(4) المقدمة، ص217.

(5) أبو علم، الحسين بن علي، ص196 – 197.

(6) عيسى، دم الحسين، ص50 – 51.

وان خروجه كان استجابة لسلطان الإيمان الذي لا يُعصى ولا يُغلب، ولقد رأى الإسلام بكل قيمه الغالية وأمجاده العالية يتعرض لمحنة قاسية يفرضها عليه بيت أبي سفيان، ورأى خطيئة الصمت والسكوت تجتاح الناس رغبة أحياناً، ورهبة احياناً. فكانت بيعة يزيد دعماً لسلطان الجاهلية على حساب الدين، ودعماً لسلطان القبيلة والأسرة على حساب الأمة وهكذا صارت مقاومتها دعماً لسلطان الدين والأمة معاً[1].

وقد عزم الحسين (ع) على العمل للقضاء على الرجعية التي ابتدعها معاوية في الإسلام، وتخليص الناس من عسف بني أمية واستبدادهم، وإقامة حكم الشورى الذي يراعي مصالح الرعية قبل مصلحة الراعي،.. ومن هنا حق القول بأن الحسين (ع) راح شهيداً في سبيل القضاء على الرجعية السياسية التي أرادها معاوية وابنه يزيد، وبنو أمية بعد ذلك للإسلام وله في ذلك اجر الشهداء الذين استشهدوا في سبيل الخير للناس، وفي سبيل المصلحة العامة، ولا ينقص من أجره في ذلك تقاعس من استشهد في سبيلهم عن نصرته، لأن الحق لا ينقص من قدره تعاون الناس في نصرة القائمين به[2].

ولم يكن للحسين (ع) أن يبايع يزيد ويرضى بخلافته للمسلمين وهو ليس أهلاً لها بسبب طيشه وحمقه وسوء اخلاقه، ان هذه المبايعة أمر يتعلق بالذمة والعقيدة، وان اقراره على صلاحية يزيد فيه مخالفة للشرع يأباها سيدنا الحسين (ع)، كما انه إن بايعه لتحمّل المسؤولية فيما عاناه الناس من تصرفات يزيد وسوء خلقه وشدة بطشه[3].

واستطرد عبد العليم مصوباً فعل الحسين (ع)، ومؤكداً لشرعيته فقال: ان خروجه كان اضطراراً حتى لا يرغم على بيعة لا يؤمن بها، أو يشهد شهادة ليست صدقاً... ولقد اثبتت الأيام بُعد نظره وصدق تنبؤاته بما قارفه يزيد من استبداد وبطش وتجرؤ على حرمات المقدسات واستباحة المدينة المنورة وسفك دماء أهلها ونهب أموالها والتهجم على البيت الحرام وضربه بالمجانيق وحرق استار الكعبة المشرفة بمكة المكرمة[4].

لقد وجد الأمويون حجة شرعية لقتال الحسين (ع) وذلك ما يذكره ابن العربي عندما يقول: تأول عليه من قتله انه جاء ليفرق كلمة المسلمين بعد اجتماعها، وليخلع من بايعه الناس واجتمعوا عليه وقد ورد في صحيح مسلم الزجر عن ذلك والتحذير منه، والتوعد عليه، وقد رد ابن خلدون ذلك وقال انه لا ينطبق على الحسين (ع) وان قتاله ليس قتال بغاة لأن يزيد ليس إماماً عادلاً، بل هو فاسق ظهر فسقه عند الكافة[5] وأدلى شاهين برأي مطابق لرأي ابن

---

(1) خالد، أبناء الرسول في كربلاء، ص158، العقاد، أبو الشهداء، ص207 – 208.

(2) كريم، اعلام في التاريخ الإسلام، ص86 – 87، الجمل، سيرة الحسين، ص101، خالد، ابناء الرسول في كربلاء، ص159.

(3) عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص167.

(4) المصدر نفسه، ص168.

(5) المقدمة، ص217 – 218. قارن ذلك بقول ابن العربي نفسه: ((فأردنا ان نطهر الأرض من خمر يزيد فأرقنا دم الحسين)) العواصم من القواصم، ص155.

خلدون ولكن بتعليل مختلف؛ فقال أيضاً بأن ذلك الحديث لا ينطبق تماماً على ثورة الحسين(عليه السلام)، فإنه لما بلغه ما حدث لابن عمه مسلم بن عقيل وتخلي أهل الكوفة عنه عرض الرجوع من حيث شاء ولكن ابن زياد لم يوافق على ذلك... فقضى الحسين (عليه السلام) شهيداً مظلوماً مثاباً[1]. وجاء غنيم بتعليل آخر فذكر ان الحديث لا ينطبق لأن الحسين (عليه السلام) لم يستهدف بخروجه الفرقة، ولا تشتيت شمل الجماعة، وإنما كان يستهدف جمع الأمة على الهدى، وتوجيهها إلى الحق[2].

وعلى أية حال فالحديث الوارد في صحيح مسلم، قد كتب بعد ما يقارب 200 عام على شهادة الحسين (عليه السلام)، ويحتمل ان تكون السياسة قد فعلت فعلها في تصويب عمل الحكام فقهياً ودينياً، وان وروده في صحيح مسلم ليس كافياً للقطع بصحة صدوره عن النبي (صلى الله عليه وآله) فضلاً عن ان تأويله يتسع لأبعاد أخرى لا تشمل ثورة الحسين (عليه السلام).

ومما يشار إليه ان ناصحي الحسين (عليه السلام) في مكة من الصحابة، قد تطرقوا إلى الخوف من الفتنة وشق عصا الطاعة[3] وسواء أكان ذلك صادراً من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) المدركين حقاً أهمية الأمر بالمعروف والقيام بوجه الظلم والجور – فيفسر على انه تقصير منهم في نصرة الحسين (عليه السلام)، وقعوداً عن القيام بالحق، وتماهياً مع السلطة في شجب نهوض الحسين (عليه السلام) –، أم انه كان كذباً[4] أضيف لنصائح المشفقين عليه بعدم الوثوق في أهل الكوفة، أو الخشية من إعداد السلطة له ما لا قِبَل له به، فإنه يدل على أية حال ان ذلك السلاح (وصف الخارج في طلب الحق بصاحب فتنة) قد استخدم في وقت مبكر – ولا شك متأخر أيضاً – لمجابهة الحسين (عليه السلام) وكان سلاحاً بيد السلطة لتُبعد عنه العامة وتشك في شرعية وجدوى خروجه، فقد تكرر ذلك على لسان جنود الوالي الأموي الذين حاولوا إعادة الحسين (عليه السلام) إلى مكة بعد خروجه عنها[5]، ثم على لسان بعض قادة الجيش الذين حاربوا الحسين (عليه السلام) في كربلاء لحث الجنود على قتاله، وترك الارتياب في أمره[6].

---

(1) الدولة الأموية المفترى عليها، 328 – 329.

(2) الثورات العلوية، 200 – 201.

(3) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 159/8 – 163.

(4) إذ إنفرد ابن عساكر وابن كثير بذكر نصائح التحذير من الفتنة، أو الخروج على الامام، والدعوة إلى الطاعة ولزوم الجماعة على لسان الصحابة بهذه الصيغ. بينما أوردها الطبري بصيغة الاشفاق والخوف من غدر الكوفيين فقط. ينظر: تاريخ الطبري 202/6، ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله، ص201 – 202، ابن كثير، البداية والنهاية، 161/8 – 163.

(5) مما قالوه: ((يا حسين، ألا تتقي الله ! تخرج من الجماعة، وتفرق بين هذه الأمة)). المصدر نفسه، 203/6.

(6) ورد عن عمرو بن الحجاج انه كان يصيح في أهل الكوفة: ((الزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الامام)). المصدر نفسه، 235/6.

أما ما ذكره ابن العربي من أن الحسين (عليه السلام) لم يخرج بالعدة اللازمة، فقد رده شاهين بالقول: قدّر الحسين (عليه السلام) ان في قوة انصاره وشيعته ما يكفي لتحقيق ذلك الغرض (الثورة)... فأهل الكوفة أرسلوا كتبهم بدعوته إليهم، وهو لم يقنع بذلك فقط وإنما ارسل ابن عمه مسلم بن عقيل إليهم ليتأكد من صدقهم فأرسل إليه يستدعيه ويبشره بعد مبايعة ثمانية عشر ألف رجل له، كما كان الحسين (عليه السلام) يظن – فيما يبدو – ولاء الحجاز له عند طلبه الخلافة، وهو ما كان يبدو أمراً محتملاً على أية حال، وعلى ذلك فلا يصح القول بأن الحسين(عليه السلام) لم يبذل جهداً يذكر لتحقيق هدفه[1].

ويدعم وجهة النظر هذه ان للحسين (عليه السلام) رأياً في الحرب والاعداد نستطيع من خلاله ان نتبين انه لم يكن غافلاً – كما حاول ان يصوّره مخطئوه – عما تحتاجه الحرب ويتطلبه القتال، فقد خطب الكوفيين في أيام أبيه فقال:

((... ألا ان الحرب شرها مريع وطعمها فظيع، فمن أخذ لها أهبتها وأعدّ لها عدتها ولم يألم كلومها قبل حلولها، فذاك صاحبها، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها واستبصار سعيه فيها فذاك قمنَ ان لا ينفع قومه وان يهلك نفسه))[2].

ويضاف لذلك ان خطة الامام الحسين (عليه السلام) عندما أراد التقدم إلى الكوفة، كانت محاولة إلحاق البصرة بالكوفة، إذ بعث برسائل إلى رجالات وشخصيات البصرة مطالباً اياهم بالتأييد بيد انه لم يفلح في الحصول على تأييد معتد به لتخاذل الاشراف، وتباطؤ الشيعة فيها عن اللحاق به[3]. ومع ذلك يمكن القول ان خطة الحسين (عليه السلام) كانت مستمدة من تجربة تاريخية إذ لا يمكن الفصل بينهما في أي خطوةٍ اصلاحية، فأي عمل عسكري في الكوفة سيواجه بالفشل إذا كان بمعزل عن ضمان البصرة أو العكس،... فانضمام أحد البلدين دون الآخر يجعله مفتوحاً عسكرياً أمام الهجمات المحتملة الآتية من البلد الآخر فكان لابد من السيطرة على البلد الآخر أو على الاقل تحييده عسكرياً لتكوين نتيجة حاسمة، وهذه الحقيقة كانت ماثلة امام الحسين (عليه السلام) يوم اقدم على الارتباط بأهل البصرة بموازاة ارتباطه بأهل الكوفة[4].

ومن جانب آخر رأى غنيم ان خروج الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة قبل اعداد العدة هو أمر اضطرته إليه الظروف، والذي يلومونه من الكتّاب والمؤرخين لم يفطنوا لهذا المعنى ولم يتنبهوا إليه، والذي يدرس الظروف التي لابست معركة كربلاء يكاد يرجح ان الحسين (عليه السلام) كان ضحية لخطة مهيأة ومعدة تستهدف قتله[5].

---

(1) الدولة الأموية المفترى عليها، ص327.

(2) المنقري، صفين، ص115.

(3) ينظر: البلاذري، انساب الاشراف، 375/3، الطبري، تاريخ، 186/6، ابن طاووس، اللهوف، ص25 – 28.

(4) كرامي، الحسين كما رأيت، ص484 – 485.

(5) الثورات العلوية، ص197.

ومن هذه الزاوية ولكن برأي مختلف ذكر يوسف: ان الحسين (عليه السلام) خرج من مكة في عدة من الرجال لا تتجاوز الثمانين، ومثل هذا العدد لا يكفي للخروج على مدينة واحدة، فكيف بدولة مترامية الأطراف كما انه لم يحاول في أي ظرف من الظروف ان يستكثر من الأعوان، بل كان يعمل في كل مناسبة على العكس من ذلك.. ولو ان الحسين (عليه السلام) كان يريد قوة أو شوكة، لمظاهرته في الخروج على يزيد لدعا الناس لنصرته، ولاستجاب لدعوته الكثيرون، ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا القبيل لأن الخروج على يزيد لم يكن على باله[1].

وقد فسر يوسف عبارته الأخيرة بأن خروج الحسين (عليه السلام) كان اضطراراً وخوفاً من ان يؤخذ، واشفاقاً من ان يُستحل به البلد الحرام، ولو انه تُرك وشأنه في المدينة أو في مكة ما فكر في الخروج من أي منهما[2].

ويبدو ان الحماس لدى يوسف ورغبته بتبرأة الحسين (عليه السلام)، والقاء تبعة خروجه على من أخرجوه دفعه إلى ذلك متغافلاً عما يفند ذلك وهو ان العدة التي خرجت مع الحسين (عليه السلام) كانت هي التي استجابت لدعوته العامة بخروج من يوطن نفسه على الشهادة والتضحية، وان قلة اتباع الحق ليس مبرراً ليترك الحسين (عليه السلام) دعوته في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإصلاح امة جده، وان الحسين (عليه السلام) حاول ان يستكثر من الأعوان، ولكن من ناحية النوع لا الكم، ومن خلال دعوات فردية تقدم بها لأشخاص بعينهم، في الوقت الذي فرّق أهل الدنيا الذين رافقوه لطمع، ورفض دعوة الطرماح – التي تحتاج لتنجح إلى وقت غير هين، في الوقت الذي كانت القوة الأموية على استعداد كامل – لعدة اغراض منها ان الحسين (عليه السلام) استهدف ((الابقاء على صفة رجال الجهاد، والحرص على بالغ الأصالة الرسالية. فتجنب استخدام القوى القبلية ولم ينفذ من خلال الصراع القبلي القائم يومذاك، الأمر الذي يؤدي إلى ان تصطبغ الثورة بصبغة قبلية، فيتسنى لأهل التمويه ان يزعموا ان الحسين قد استخدم الصراع القبلي ليتوصل إلى الحكم.. وهذا يفقد الثورة المباركة جليل معناها))[3].

فضلاً عن ان نفي فكرة الخروج على يزيد عن الحسين (عليه السلام) هي دعوى لا يوجد ما يؤيدها، بينما اثبتنا في البحث رغبة الحسين (عليه السلام) الواضحة بالتوجه إلى العراق ومنذ خروجه من المدينة ولم تكن مدة بقائه في مكة إلاّ اعداداً لذلك التوجه وعندما اقتضت الظروف التعجيل عجّل، وكان قد ارسل مسلماً قبل حوالي شهر كامل من خروجه إلى الكوفة. ليُعد أهلها لقدومه، والقول بأنه لم يخرج على يزيد يناقض كل النصوص الواردة عن الحسين (عليه السلام) في طريقه إلى العراق، أو خطبه في جيش عمر بن سعد التي كانت تؤكد قدومه إلى الكوفة لغاية واضحة وللتخلص من حكم بني أمية فيها، والعجيب ان يجعل يوسف

---

(1) سيد شباب أهل الجنة، ص429، وذكر يوسف للتدليل على عدم الاستكثار من الاعوان بتفريقه للأعراب، ورفض دعوة الطرماح بن عدي بنصرة الطائيين له، ودعوة اصحابه ليلة العاشر لتركه.

(2) المصدر نفسه، ص431.

(3) عابدين، الدوافع الذاتية لانصار الحسين، 182 – 183.

الخوف من القتل سبباً في خروج الحسين (عليه السلام)، وهو الذي صرح بأنه مقتول لكل من حاول ان يثنيه عن وجهته، بل انه أمر عرفه ناصحيه انفسهم واشفقوا منه عليه.

فإذا كان مخطئوا الحسين (عليه السلام) قد أثموا بأن جعلوا خروجه فتنة أُثيب قاتله على اخمادها، فلا نجد يوسف إلا مخطئاً أيضاً عندما يحصر هدف الحسين (عليه السلام) بذلك الدافع الذاتي الذي كان بوسع الحسين (عليه السلام) أن يتلافاه ببيعة يزيد من دون أن يكابد كل تلك المصاعب والآلام.

لقد وجدت أفكار وآراء ابن العربي انتشاراً في اوساط معظم الكتّاب والباحثين المصريين فاتفق قسم منهم تماماً مع آراء ابن العربي وزاد عليها جرأةً في اللفظ وتحاملاً في العرض، ونفي غاية الإصلاح والقيام بالحق من اهداف الحسين (عليه السلام) وابرز من مثّل ذلك الخضري بك إذ قال:

((بذلك الشكل المحزن انتهت هذه الحادثة التي أثارها عدم الاناة والتبصر في العواقب فإن الحسين بن علي رمى بقول مشيريه جميعاً عرض الحائط وظن بأهل العراق خيراً وهم أصحاب أبيه فقد كان أبوه خيراً منه وأكثر عند الناس وجاهة وكانت له بيعة في الاعناق ومع كل ذلك لم ينفعوه حتى تمنى في آخر حياته الخلاص منهم، أما الحسين فلم تكن له بيعة وكان في العراق عماله وامراؤه فاغتر ببعض كتب كتبها دعاة الفتن ومحبو الشر فحمل أهله وأولاده وسار إلى قوم ليس لهم عهد، وانظروا كيف تألف الجيش الذي حاربه هل كان إلاّ من أهل العراق وحدهم الذين يرفعون عقيرتهم بأنهم شيعة علي بن أبي طالب؛ وعلى الجملة فإن الحسين اخطأ خطأً عظيماً في خروجه هذا الذي جر على الأمة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا وقد أكثر الناس من الكتابة في هذه الحادثة لا يريدون بذلك إلاّ ان تشتعل النيران في القلوب فيشتد تباعدها وغاية ما في الأمر ان الرجل طلب امراً لم يتهيأ له ولم يعد له عدته فحيل بينه وبين ما يشتهي وقتل دونه وقبل ذلك قتل أبوه فلم يجد من اقلام الكاتبين من يبشع أمر قتله ويزيد به نار العداوة تأجيجاً وقد ذهب الجميع إلى ربهم يحاسبهم على ما فعلوا والتاريخ يأخذ من ذلك عبرة وهي انه لا ينبغي لمن يريد عظائم الأمور أن يسير إليها بغير عدتها الطبيعية فلا يرفع سيفه إلاّ إذا كان معهم من القوة ما يكفل له النجاح أو يقرب من ذلك كما انه لابد أن تكون هناك أسباب حقيقية لمصلحة الأمة بأن يكون هناك جور ظاهر لا يُحتمل وعسف شديد ينوء الناس بحمله أما الحسين فإنه خالف على يزيد وقد بايعه الناس ولم يظهر منه ذلك الجور ولا العسف عند اظهار هذا الخلاف))[1].

ومع هذه الفكرة الأخيرة انسجم شاهين وأكد ان الحسين (عليه السلام) إنما ثار لأنه ((ظن الفسوق بالخليفة الجديد – يزيد بن معاوية – رغم انه كان قد تولى الخلافة لفوره، ولم يظهر منه ما يؤكد ذلك، ويبدو ان الدعاية المعادية لمعاوية وبني أمية قد اصابت بعض النجاح في تشويه صورة يزيد منذ همّ أبوه باستخلافه وقد كان الحسين يرى في نفسه الأهلية لخلافة

---

(1) محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، 2/129 – 130.

المسلمين في فضله وعلمه – وهما مما لا شك فيه – وكفايته وهي ما لم يتأكد بصورة قاطعة لبعده عن الأعمال الإدارية والسياسية منذ عهد بعيد))[1].

وفصّل النجار في اعتقاد الحسين (عليه السلام): (بظلم يزيد، وجدارته بالخلافة)، ومراسلة الكوفيين اياه – موافقاً ابن العربي والخضري وشاهين – ووجد ان ((هذه الأسباب لا تكفي في تبرير موقف الحسين لأن الخروج على الحاكم الظالم إنما يكون إذا تهيأ الجو واكتملت العدة. وبدون ذلك يعتبر الخروج تقصيراً وخطأً كبيراً. بل انه – حينئذ – القاء بالنفس إلى التهلكة))[2].

وقد تساءل كاتب مصري أخر للرد على دعوى ايقاع الحسين (عليه السلام) نفسه في التهلكة محتجاً بسيرة أبي بكر التي لم ينكرها أحد، ولم يقل في خطأها شيئاً، فقال:

((وما لنا نستنكر على الحسين تعريض نفسه للقتل وقد عرّض أبو بكر قبله نفسه للقتل فقام وخطب في قريش وتلا عليهم القرآن وليس معه أحد ينصره، فانهال الكفار عليه ضرباً حتى كادوا يقتلونه، وذلك في بدء الإسلام. ثم لما نصحه أصحابه وفيهم عمر بن الخطاب وغيره من كبار الصحابة الذين لا يشك في شجاعتهم واخلاصهم باجتناب قتال أهل الردة لكثرتهم، أصرّ على قتالهم ولو بقي وحده))[3].

ويبدو ان مبدأ اعذار السلف حين كان ينبغي ان يتسع للسلف الصالح قاطبة، نراه قد توجه توجهاً منحازاً إلى الفئة المتنفذة وصاحبة القرار السياسي، فلا يتردد أصحاب هذا المبدأ في صب اللوم على رجال من كبار الصحابة حين اظهروا خلافاً أو أبدوا رأياً معارضاً للخلافة في بعض عهودها دون ان يراعي فيهم مبدأ اعذار السلف،... فخصوم علي (عليه السلام) كانوا دائماً مجتهدين مأجورين على خلافهم ذاك حين اخطأوا في الاجتهاد وكل ما ثبت عنهم من الخلاف.. فصار اللوم يقع هنا على الخليفة الحاكم لا على مخالفيه.. حتى إذا انقضى عهد علي (عليه السلام) عاد مبدأ اعذار السلف يستأنف دورته الأولى فكل من اظهر خلافاً على الخلفاء فهو صاحب فتنة ! فلا الحسين السبط معذور، ولا مئات من المهاجرين والانصار في وقعة الحرّة معذورين[4].

ومما لا شك فيه ان الحسين (عليه السلام) لم يقم بعمل انتحاري يُحسب عليه من قبيل القاء نفسه في التهلكة فقد قطع على أعدائه كل عذر ولم يدع لهم حجة تبرر سفك دمه حين لم يبدأهم القتال ثم اغلق عليهم باب كل عذر حين وقف فيهم يخطبهم قبيل نشوب القتال فيسألهم فيمَ يقتلونه وليس لديهم ثأر عنده ولم يغتصب من أحد منهم مالاً ثم هل يشكون انه ابن بنت نبيهم ؟ وهو إن خرج فهذه كتب أهل العراق إليه تدعوه[5].

---

(1) الدولة الأموية المفترى عليها، ص327.

(2) الدولة الأموية في الشرق، ص92.

(3) رضا، الحسن والحسين، ص112.

(4) عبد الحميد، تاريخ الإسلام، ص147 – 149، ينظر: ابن تيمية، منهاج السنة، 241/2 – 253.

(5) أبو علم، الحسن بن علي، ص198.

وقد أجاب الباحث عن قضية الاغترار بأهل الكوفة في الفصل السابق وأوضح انهم أقاموا عليه الحجة بالنهوض ضد الحاكم الجائر، ولم يكن له ان يترك ذلك لاحتمال خيانتهم التي لم تكن قد وقعت بعد.

ولعل أصدق مصاديق ذلك انه لو لم يخرج إليهم لقيل انه تهاون في الثورة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مع وجود الناصر، وانهم أهل بيت يؤثرون السلامة والاستسلام. وهذا ما اتهم به الحسن (عليه السلام) من قبل مع كل ملابسات الخذلان التي احيطت بها خلافته، وحكمت ظروف المواجهة العسكرية مع خصومه.

وقد وُجد من المستشرقين من يتهم الحسين (عليه السلام) بأنه ترك الآخرين يعملوا كل شيء لأجله، ولكنه لم يبذل شيئاً[1].

مع انه سار على قلة عدده، وبذل نفسه وأصحابه وأصرّ على الايفاء بعهده مع أهل الكوفة، وصمم على دخولها لمقابلة أهلها.

أما ما ذكره الخضري وشاهين بأن الحسين (عليه السلام) خرج بدون وجود أسباب حقيقية فليس هناك جور ظاهر وعسف شديد ينوء الناس بحمله !! فهو أمر يتطلب الرد والتوضيح لأنه تغاضي عن كثير من الحقائق التي وردت في كتب التاريخ على اختلاف مشاربها، ولأنه يجعل قضية الحسين (عليه السلام) قضية شخصية، ورغبة ذاتية في الوصول إلى الخلافة التي لم تتأكد قابليته بعد في ان يقف على سدتها – كما يذكر شاهين – !!!

إن قضية الخروج هذه لم تكن من أجل الخلافة بين فرد وفرد ولا بين بيت وبيت، وإنما كانت من أجل الخلاف بين سياسة وسياسة، وقد آمن الحسين (عليه السلام) بسياسة الخلافة التي هي سياسة أبيه وأخيه وسياسة النبي (صلى الله عليه وآله) والراشدين من بعده وكفر بسياسة الملك التي هي سياسة معاوية والتي لن تكون سياسة ولده إلا امتداداً لها وشدّاً لأركانها، وقد قاوم الحسين(عليه السلام) هذه السياسة ولام معاوية وعماله من أجلها، ووعد أنصاره بتغييرها والانتقاض عليها إذا ما تحلل بموت معاوية من عهده له[2].

فقد حاول الإسلام ان يخلق شعوراً فياضاً ملتهباً في نفوس المسلمين، وألقى على عاتقهم تكليفاً مهماً هو رعاية الأمة ومشاركتها في أحزانها، وعدم الانفصال عنها، ووحدة الصف ضد المخاطر التي تواجهها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسعى الإسلام إلى خلق كتلة قوية جريئة تقول بجرأة، وتهدد الظلم والاستبداد والتسلط والانحراف[3] وقوله تعالى شاهداً على هذا الاعداد: **﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾**[4].

---

(1) فلهاوزن، الخوارج والشيعة، ص136.

(2) غنيم، الثورات العلوية، ص193.

(3) الساعدي، نعمة هادي، الامام الحسين (عليه السلام) والفكر السياسي، ط بيروت، 1426هـ/2005م، ص216.

(4) سورة آل عمران: الآية 104.

ولذلك فقد أكد كاتب مصري[1] ان الحسين (عليه السلام) لم يخرج على حكم يزيد على وجه التحديد ولكنه خرج على نظام الحكم الأموي الذي وضع أسسه معاوية، ورسخه بممارساته الفعلية، وكذلك كان الخروج على العوامل التي مهدت لقيام هذا النظام وحجته في ذلك ما يلي:

أ – من استقراء نصوص خطب الحسين (عليه السلام) في المواضع المختلفة منذ خروجه نجد أقواله[2]:

- فإن السنة قد اميتت، وان البدعة قد أحييت.
- ألا ان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله.
- ألا ترون ان الحق لا يُعمل به، وان الباطل لا يُتناهى عنه. وواضح ان كل تلك الأعمال لم يأت بها يزيد يوم اعتلائه العرش، ولكنها تنسحب على فترة ماضية.

ب – في كتاب أهل الكوفة إلى الحسين (عليه السلام) بعد وفاة معاوية يحددون موقفهم بالخروج بناء على ما خبروه من معاوية ونظامه:

((... الحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة بغير رضا منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها واغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود...))[3].

وهنا أيضاً لم يأتِ ذكر ليزيد، بوصفه امتداداً طبيعياً لنظام معاوية.

ج – في المحاورة التي جرت بين مسلم بن عقيل وعبيد الله بن زياد يتأكد ذات المعنى؛ إذ يعدد مسلم الشنائع التي ارتكبت على يد زياد بن أبيه فيقول:

((ان اباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم اعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعوا إلى حكم الكتاب))[4]. ومن الجلي ان ذلك كله كان من فعل معاوية وعماله، ومن بينهم زياد بن أبيه.

د – في خطاب زهير بن القين أحد أصحاب الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء يحذر أهل الكوفة مما عانوه من قبل:

((... انا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فانكم لا تدركون منهما إلا بسوء عمر سلطانهما كله، ليسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقراءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهانئ بن عروة وأشباهه))[5].

---

(1) الصدفي، أبداً حسين، ص285 – 286.

(2) تم توثيق أقوال الحسين (عليه السلام) هذه في مواضعها من الرسالة.

(3) الطبري، تاريخ، 182/6 – 183.

(4) المصدر نفسه، 198/6.

(5) الطبري، تاريخ، 229/6.

وكل ذلك كان على عهد معاوية، وعلى يديه ويدي عامله زياد. ولما كان حكم يزيد المعروف بسلوكه الطائش امتداد لحكم أبيه ((فقد كان خروج الحسين على منهج في الحكم برفضه وعلى طرائق في السياسة يكفر بها، ويؤمن بانها لا تقاد بها امة ولا يقوم بها دين،.. فإن الحسين... لم يفكر في الانتقاض إلاّ بعد ان رأى السياسة المثالية للنبي عليه الصلاة والسلام والراشدين من خلفائه تحرف عن مواضعها وتوجه إلى غير أهدافها، ورأى المجتمع يُسار به في طريق الرغبة والرهبة يقيم عليها حياته ويبني على أساسها حاضره ومستقبله وكان الظلم والمحاباة، وكانت الاثرة والتمايز، وكان الملق والنفاق حتى عطلت الحدود وطمست معالم الحق، وراحت مثل الإسلام العليا تأخذ طريقها إلى الأفول، وإذا لم تكن هذه الأسباب كلها مقتضية لخروج الحسين فأي الأسباب.. هي التي تبرره وتقتضيه؟))[1].

وقد أثبت المستقبل تمادي يزيد في جوره، الذي ظهر مع بداية عهده في التضييق على الحسين(عليه السلام) ومن امتنع عن بيعته، وإجراءات الترهيب والقتل الوحشي التي سبقت ثورة الحسين(عليه السلام)، مروراً بمأساة كربلاء، وانتهاء بوقعة الحرة وضرب الكعبة وفي كل ذلك شواهد تاريخية على سوء وجور وظلم يزيد وحمقه في التعامل مع الأمة ما لا ينكره إلاّ متعصب فضلاً عما أورده باحث مصري لا يُتهم بالتشيع من امثلة عديدة على سياسة يزيد المالية واستنتج منها:

((ان يزيد بالغ.. في انفاق الأموال للأغراض السياسية، أو الشخصية، إلى درجة يمكن الحكم عليها بأنها تقرب من السفه أو التبديد. كما انه لم يبال أيضاً بتصرفات بعض ولاته التي يمكن الحكم عليها بمثل هذا))[2].

وفي الوقت الذي وجدنا اتفاقاً كاملاً للخضري مع ما ورد لدى ابن العربي، فان قسماً آخر من الكتّاب والباحثين المصريين قال ببعض تلك الآراء والأفكار جاعلاً اياها سبباً في تخطئة الحسين (عليه السلام)، فيقول كاتب مصري: لو كان الحسين (عليه السلام) محقاً في خروجه إلى العراق لما اشفق عليه الكثير من الصحابة، وما حذره الكثير من هذا الخروج، ولقد كان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن يحصل لو قعد في بلده، فإن قصده كان تحصيل الخير ودفع الشر، ولم يحصل من ذلك شيء بل زاد الشر بخروجه وقتله، ونقص الخير وصار سبباً لشر عظيم، ويخلص الكاتب إلى القول: بأن الحسين (عليه السلام) كان مجتهداً فإن اصاب فله أجران، وان اخطأ فله اجر واحد وهو ما حصل، إذ كان يجدر به ألا يدخل في هذا الأمر منذ البداية كما حذره منه الكثير من الصحابة[3].

وإلى هذا الرأي في تجاهل الحسين (عليه السلام) لنصح الناصحين ذهب آخرون، وحسبوا ذلك نقطة عليه لا له[4]، فلم ينثن ومضى إلى حتفه

(1) غنيم، الثورات العلوية، ص193 – 194.

(2) الريس، الخراج والنظم المالية، ص197.

(3) فرحات، دراسة وتحقيقة كتاب قيد الشريد، ص76.

(4) الجميلي، دراسة وتحقيق كتاب استشهاد الحسين، ص21، الخطيب، تحقيق وتعليق حواشي العواصم من القواصم، ص155.

بظلفه[1]، وألقى نفسه في عرين الأسد بالخروج من مكة ومواصلة سيره تجاه الكوفة رغم ما أتاه من تحذيرات خطيرة[2] فاغترّ بدعوة أهل الكوفة وكتبهم ورسلهم[3]، وحضّ ابن الزبير واغراءه بالخروج إلى العراق لما سيجده هناك من العون والنصرة[4].

ولم يرَ في أبيه وأخيه عبرة فالأولى بعد ان رأى خذلان الناس لهما ألا يتحرك ما عاش وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس لأن الجماعة خير[5] وان الخروج في هذه الحال شكل من أشكال العصيان للخلافة وثورة على الدولة الحاكمة دون ان يستعد بقوة كافية لمواجهة الطوارئ والأحداث، ودون أن يعمل حساباً لما سيفعله الخليفة في سبيل احتفاظه بكيانه وتوطيد ملكه[6].

إن هذه الآراء المتقدمة للكتّاب والباحثين المصريين التي كانت مرجعيتها ابن العربي، أو مَن أخذوا عنه كانت تمثّل نظرة من وصفهم شلبي بأتباع المنطق والعقل العادي الذي لا يقبل خروج الحسين (عليه السلام)، فيحكمون عليه بالمقاييس العادية ويقضون عليه باللوم[7]، ولكن شلبي يرى ان اتجاه المنطقيين ليس كل شيء في قضية ثورة الحسين (عليه السلام)، ويقول: فما كانت هذه الملاحظات لتغيب عن فكر الحسين (عليه السلام)، ومن أجل هذا ينبغي علينا ان نذكر ان بعض المفكرين الذين يمتازون بالعمق يرون ان تصرفات الحسين (عليه السلام)، كانت صادرة عن عقل عميق موهوب، ليس من السهل على الطبيعة العادية أن تدرك كنهه، وان الحسين (عليه السلام) رأى ان صرح بني أمية لا يزعزعه إلا تضحية جسيمة، فجعل من نفسه وآله هذه التضحية وهذا الفداء، ليثير الناس على قاتليه، فيقضي بذلك على هذا الصرح، وينقذ المسلمين من نظام توارث السلطة، وسواء خطر هذا ببال الحسين (عليه السلام) أو لم يخطر فإن النتيجة كانت مطابقة لهذا الاتجاه، وكان دم الحسين (عليه السلام) هو المعول الذي قوض الحكم الأموي[8].

ولا يتفق شاهين مع هذه النتيجة بوصف عمل الحسين (عليه السلام) عملاً فدائياً ويرى ان ذلك الرأي يخلط بين اهداف الثورة في حينها وبعض نتائجها التي آلت إليها، كما انه يهمل الحقيقة التاريخية القائلة بأن الحسين (عليه السلام) أراد الانسحاب من المعركة لما علم بتخلي جنده عنه، لأنه كان مسلماً يلتزم قواعد الإسلام في ثورته، ويعلم انه لابد لتحقيق مشروعية هذه الثورة من الاعداد الجيد لها وتحقيق فرص كاملة لنجاحها.. وينفي أن يكون المجتمع الإسلامي في

---

(1) الجبري، حوار مع الشيعة، ص248.

(2) صالح، العرب والإسلام، ص315.

(3) رضا، الحسن والحسين، ص73، الجبري، حوار مع الشيعة، ص248 – 249، شاه، العقائد الشيعية، ص72، الحوفي، أدب السياسة، ص40.

(4) السيد، سيرة آل بيت النبي، ص326، صالح، العرب والإسلام، ص214.

(5) السيد، سيرة آل بيت النبي، ص325.

(6) حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص285.

(7) موسوعة التاريخ الإسلامي، 207/2.

(8) المصدر نفسه، 208/2.

الستين عاماً الأولى للهجرة مجتمعاً سلبياً مريضاً، وهو المجتمع المتحرك الفوار، الذي حقق كثيراً من معاني الإسلام، ورفع راياته على كثير من بقاع الأرض آنذاك[1].

ويُرد على ذلك بما أفدناه مما تقدم في الفصل السابق، من ان رغبة السلام لدى الحسين(عليه السلام) هي القاء للحجة في جيشٍ ظالم، ولتأكيد المظلومية، وزيادة أثر الصدمة النفسية التي سعى إليها وبغير ذلك لا تُحدث أثرها المطلوب. ورغبة السلام هي التزام إسلامي لا يتناقض مع الهدف طالما ان الحسين (عليه السلام) صرح مرات متتالية بأنهم سيقتلونه، وانه سيذهب شهيداً فكشف تعنت المعسكر المعادي، وأبطل حجة من سيقول لو آثر السلام، ولذا يرى الباحث ان ذلك هو تقدير مستقبلي يليق بعقلية الحسين (عليه السلام) السياسية التي حاولت استثمار كل ما يمكن لنجاح الثورة وان على المدى البعيد، أما استبعاد حالة السلبية عن المجتمع الإسلامي – آنذاك – فيُرد بالقول: ان ذلك المجتمع المتحرك الفوار الذي حقق كثيراً من معاني الإسلام، هو أيضاً المجتمع الذي بدأ يستسلم لجور الولاة، ويستسهل قتل العترة، وينعت الآمر بالمعروف مفرقاً للجماعة، ويزيد أميراً للمؤمنين، وحجر وأمثاله بغاة خارجين، وهذا كله من القضايا التاريخية التي أشارت لها المصادر ومرّت في غضون البحث.

ومع ما قدمه شلبي في تفسير وتقويم الثورة الحسينية إلاّ انه يرى انها كانت ((فتنة أيسر ما نقول عنها انها وسعت باب الفرقة والتهمت الآلاف والملايين من المسلمين ولا يزال بابها مفتوحاً))[2].

وهو بذلك يتناقض مع نفسه، ويعطي مثالاً صارخاً لذلك التشوش الفكري والتضارب الذي حفلت به المدرسة المصرية في بعض وجهات نظرها – مثل تقديس الحسين (عليه السلام) ثم إجازة قتله؛ وتخطئة خروجه ثم الاعتراف بنتائجه الحاسمة في اسقاط الأمويين وغير ذلك – إذ انه ذكر في موضع آخر: انه إذا كان التفكير الإسلامي يرى انه لا يجوز الخروج على السلطان الجائر إلاّ لجماعة لهم من القوة والمنعة ما يغلب على ظنهم معها انها تكفي للنهوض وإزالة الجور، فإن قوة الحسين (عليه السلام) ومن معه كانت كذلك، ولكن على المدى الطويل، فقد استطاع الحسين (عليه السلام) بهذه الدماء ان يسقط بني أمية، وتكاد هذه النتيجة تكون موضع جماع من المؤرخين[3].

2- آراء الشيخ ابن تيمية (ت728هـ/1327م):

لقد مهد ابن تيمية لرأيه في خروج الحسين (عليه السلام) بتوضيح آراء أهل السنة في الخارج على الحاكم الجائر فقال فيمن يرى الخروج بالسيف:

---

(1) الدولة الأموية المفترى عليها، ص329 – 230، ويناقض ذلك رأي طه حسين بأن مفاوضة الحسين (عليه السلام) دليل على انه لم يُرد الحرب بين المسلمين، ولا إثارة الشر والفتنة. الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، ص243 – 244.

(2) موسوعة التاريخ الإسلامي، 208/2.

(3) شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، 208/2.

((فهذا رأي فاسد فإن مفسدته اعظم من مصلحته وقلّ من خرج على إمام ذي سلطان إلاّ كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة))[1].

ويستطرد لبيان تلك العقيدة بالقول:

((ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلّى الله عليه وسلم وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين))[2].

وقد جعل ناصحي الحسين (عليه السلام) بعدم الخروج على يزيد ممن أصابوا الرأي في منعه، والحسين (عليه السلام) ممن أخطأه لأن ليس في الخروج مصلحة في دنيا ولا في دين فقال:

((لما أراد الحسين رضي الله عنه ان يخرج إلى أهل العراق لما كاتبوه كتباً كثيرة أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين كابن عمر وابن عباس وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن لا يخرج وغلب على ظنهم انه يقتل.. وهم بذلك قاصدون نصيحته طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين والله ورسوله إنما يأمر بالصلاح لا بالفساد لكن الرأي يصيب تارة ويخطئ أخرى فتبين ان الأمر على ما قاله أولئك إذ لم يكن في الجور مصلحة لا في دين ولا في دنيا بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم حتى قتلوه مظلوماً شهيداً وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن يحصل لو قعد في بلده فإن قصده من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شيء بل زاد الشر بخروجه وقتله ونقص الخير بذلك وصار سبباً لشر عظيم وكان قتل الحسين مما أوجب الفتن))[3].

فابن تيمية يمثل الرأي الذي سبقه إليه الغزالي في ان السلطان الظالم الجاهل، مهما ساعدته الشوكة، وعسر خلعه، وكان في الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق، وجب تركه ووجبت الطاعة له، كما تجب طاعة الأمراء[4].

والغريب ان أهل هذا الرأي يتناقضون مع انفسهم بما لا يستطيعون دفعه من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيقولون:

((فلقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة، والتعرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذلك شهادة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):... " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر "[5]... ولما علم المتصلبون في الدين، ان

---

(1) منهاج السنة، 241/2.

(2) منهاج السنة، 241/2.

(3) المصدر نفسه، 241/2 – 242.

(4) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي (ت505هـ/1111م)، احياء علوم الدين بذيله المغني عن حمل الأسفار في الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الأخبار، ط بيروت، 1425هـ/2004م، 175/2.

(5) للترمذي، الجامع الصحيح، ص597، وقد وردت عنده: ((ان من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)).

أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر، وان صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد.. قدموا على ذلك مُوطنين انفسهم على الهلاك ومحتملين أنواع العذاب وصابرين عليــه فــي ذات الله تعالى، ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله))[1].

فلماذا لا يعاب على السلف احتمال أنواع العذاب، والتصريح بالمعارضة والانكار مع غير المبالاة بالهلاك ويعاب على الحسين (عليه السلام) ذلك عندما واجه الحاكم الجائر !!!؟.

وما الذي جعل ابن تيمية يذكر كلام الناصحين للحسين (عليه السلام) بالتصويب ويغفل جواب الحسين (عليه السلام) إليهم ؟ لم يكن ذلك إلا لأنه يعود باللوم على يزيد، إذ يذكر الحـسين (عليه السلام) رغبته بالحفاظ على حرمة مكة، ويؤكد ان بني أمية سيسعون لقتله. فلا نجد مــن جــواب الحسين لناصحيه حرفاً واحداً في كل ما كتبه ابن تيمية[2].

وأن وصف قاتلي الحسين (عليه السلام) بالظلمة والطغاة على لسان ابن تيميــة فــي الــنص المتقدم لم يكن يعني انه يشمل يزيد بهذا المعنى وإنما هم في رأيه: أهل الكوفة، وعبيــد الله ابن زياد، أما يزيد فقد خصه ابن تيمية بالتنزيه عن قتل الحسين (عليه السلام) فقال:

((والذي نقله غير واحد ان يزيد لم يأمر بقتل الحسين ولا كان له غرض في ذلك بل كان يختار ان يكرمه ويعظمه.. ولكن كان يختار ان يمتنع من الولاية والخروج عليه))[3].

ولأجل تنزيه يزيد فقد حاول ان يحشد لذلك دلائل من روايات تعامل معها بالتبعيض، فأخذ منها ما يشاء وأهمل أو كذّب ما يشاء، فذكر ان من دلائل براءة يزيد من قتل الحسين (عليه السلام) انه استاء بعد ان علم بمقتل الحسين (عليه السلام)، وساء أهله ذلك وبكوا عليه، ولعن يزيد ابن زياد وعاب فعله ثم جهز أهل الحسين بأحسن جهاز وردهم إلى المدينة !! وبناءً على ذلك يكذب حادثة نكت يزيد لثنايا الحسين (عليه السلام) بالقضيب ويحصرها بابن زياد[4]، وينفــي إرسال رأس الحسين (عليه السلام) إلى الشام نفياً قاطعاً[5] لأن الأخذ بها سيجره إلى القول بــصلبه في الشام، وهو ما يعني قبول يزيد بالقتل، ورضاه بفعل ابن زياد وهذا يناقض ما يريد ابــن تيمية اثباته، وعلى المنوال نفسه نفى سبي عائلة الحسين (عليه السلام) بعد قتله، بيــد انــه قــال بحضورهم عند يزيد واكرامه لهم !![6] ولم يبين هل كان حضورهم رغبة مــنهم وشــوقاً لرؤية يزيد ؟! أم قدموا مصطافين فأحبّوا زيارته ؟![7].

---

(1) الغزالي، احياء علوم الدين، 421/2.

(2) عبد الحميد، ابن تيمية، ص394 – 395.

(3) منهاج السنة، 249/2.

(4) المصدر نفسه، 249/2.

(5) رأس الحسين، ص207.

(6) رأس الحسين، ص208.

(7) عبد الحميد، ابن تيمية، ص413.

وتأثراً بهذا المنهج فقد حمّل معظم الكتّاب المصريين مسؤولية قتل الحسين (عليه السلام) لطرفين هما في الاغلب: أهل الكوفة، والحسين نفسه، وخففوا أو نفوا المسؤولية عن يزيد الحاكم الذي إئتمر ابن زياد بأمره، وبطش بالحسين (عليه السلام) على وفق توجيهه !!.

وانسجم الجبري مع آراء ابن تيمية تماماً، ففي الوقت الذي برأ يزيد من قتل الحسين (عليه السلام) لأنه لم يأمر بالقتل ! وأظهر التألم، وذم من قتله، ولم يسبِ أهله، ولا حُمل الرأس إليه، فإنه ألقى بمسؤولية القتل على أهل الكوفة الذين بايعوا مسلماً ثم غدروا به، ولم يبلغوه بعجزهم ولو أنهم ابلغوه ذلك لما خرج إليهم ولرجع من الطريق، ثم حمّل الحسين (عليه السلام) جزءاً من التبعة لأنه لم يأخذ بأمان والي الحجاز، ولم ينثن عن السفر، ومضى إلى حتفه[1].

وإلى المعنى ذاته قصد صالح عندما جعل قتل الحسين (عليه السلام) مسؤولية أهل العراق الذين وضح فيهم النكوص بعد الاقدام، وشاطرهم الحسين (عليه السلام) المسؤولية – في رأيه – لأنه أهمل النصائح المخلصة التي وجهت إليه بعدم اتيان الكوفة، ولم تكن له عصبية ضرورية لتحقيق هدفه[2].

وإلى ذلك ذهب الخربوطلي، فعدّ شيعة العراق يتحملون الجانب الأكبر من دماء الحسين (عليه السلام)، فالكوفيون خذلوه، وشيعة البصرة لم يحركوا ساكناً، ولكنه عاد ليعذرهم بسبب السياسة الارهابية التي اتبعها عبيد الله بن زياد، أما الحسين (عليه السلام) فلم يهتم بتنظيم دعوته ونشرها بين الناس، واغفل عنصر الدعاية اللازمة للحروب، فظن ان القوم سيقدمون على بيعته ويتهالكون في نصرته لانتسابه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولكن الحياة جهاد، والقوي هو السبّاق إلى اكتساب ولاء الناس أما ببذل الأموال لهم واشراكهم في بعض المطامع الدنيوية وأما باسناد المناصب العالية لأشرافهم وزعمائهم كما فعل الأمويون[3].

ولنا ان نتسائل هل اغفل الحسين (عليه السلام) الدعاية في مواجهة القوة والدهاء وهو يعلم بلا شك انقلاب الناس بفعل الأموال ؟ فقد شهدت خلافة أبيه انقلاب كثير منهم وانحيازهم إلى معاوية بتأثير ذلك[4].

والحق ان ما قاله الخربوطلي ليس صحيحاً فقد مارس الحسين (عليه السلام) الدعاية على وفق شروطها الدينية والرسالية وهي الدعوة إلى الخروج على جور الظالم، والترهيب من عقوبة الله على السكوت، وبيان ثقله المعنوي بانتسابه لأكبر رمز ديني وهو الرسول(صلى الله عليه وآله)، ومن ثمّ أحقية بيته بالقيام بالإصلاح والتغيير وتولي حكم الأمة لما توفر فيهم من العدل والقيام بالقسط. وقد مرّ في فصل سابق ان ذلك جرى في مكة وفي موسم الحج، في أيام

---

(1) حوار مع الشيعة، ص247 – 248.

(2) العرب والإسلام، ص313 – 314.

(3) الخربوطلي، علي حسيني، المختار الثقفي مرآة العصر الأموي، ط مصر، 1382هـ/1962م، ص71 – 74.

(4) الثقفي، الغارات، 1/46 – 47.

معاوية، ثم استمر بعد بيعة يزيد واستعداد الحسين (عليه السلام) للخروج ضده، ومن ثمّ بعد اعلان ثورته.

وان ما تضمنه كلام الخربوطلي من ان القويّ هو السبّاق لاكتساب ولاء الناس، بوسيلة الترغيب ببذل المال أو الترهيب بالقتل والتعذيب واتهام الحسين (عليه السلام) باغفال الدعاية إنما يبين وجهة نظر دنيوية للتقوى شاركه فيها كاتب مصري آخر وجد في قتل عبيد الله لهانئ ومسلم، وعدم مبالاته بالعهد الذي أعطاه باستبقائهما، حزماً ودهاءً اتبعه ابن زياد في سبيل الغاية التي يهدف إليها وتبريره ان ((الدول في أول نشأتها لا يتأيد استقلالها وتنجو من الدعاة والمطالبين إلاّ إذا صم اصحابها آذانهم عن نداء الضمير وجعلوا كل همهم في مصالحهم الخاصة))[1].

وعلى وفق ذلك فقد أخفق الحسين (عليه السلام) لأنه التزم بواجبات التقوى وسلامة الضمير التي لا تغفرها السياسة في نظر هذين الكاتبين. ومن هذا البعد نفسه برأ ماجد يزيد لأنه اظهر التندم[2] وأهل الكوفة لأنهم لم يكونوا يستطيعون شيئاً أمام الحكم الأموي القوي[3] ولكنه آخذ الحسين (عليه السلام) لأنه لا يتمتع بمزية الدهاء فلم يحتط للمواجهة وخرج خلف مسلم إلى الكوفة ولم ينتظر ما يفعله[4].

وإذا كان الباحث لا يُنكر تورع الحسين (عليه السلام) عن استعمال وسائل الغدر والخداع والدهاء المحرّم مستناً بسنة أبيه علي بن أبي طالب (عليه السلام)[5]، فإنه لم يهمل الأخذ بكل محاولات الربح المشروع، فقد احتاط للمواجهة ولم يخرج إلاّ بعد ان جاءته رسالة مسلم تخبره ببيعة الكوفيين وليس قبل ذلك – كما يذكر ماجد – رغم حراجة ظروفه وصعوبة بقاءه في مكة المهدد فيها بالقتل كل حين.

وقد حصر كل من منصور[6] وشلبي[7] المسؤولية عن دم الحسين (عليه السلام) بأهل الكوفة الذين راسلوا الحسين (عليه السلام) وبايعوه وفي اللحظة الحاسمة انفضوا عنه وقتلوه.

فكانت محنة للطالبيين عامة وأبناء فاطمة (عليها السلام) خاصة، ثم كانت محنة أي محنة للإسلام نفسه خولف فيها عما هو معروف من الأمر بالرفق والنصح وحقن الدماء إلاّ بحقها، وأنتهك أحق الحرمات بالرعاية، وهي حرمة رسول الله صلّى الله عليه وسلم التي كانت

---

(1) زيدان، غادة كربلاء، ص253.

(2) التاريخ السياسي، 76/2.

(3) المصدر نفسه، ص79.

(4) التاريخ السياسي، ص71.

(5) فقال الامام علي (عليه السلام): ((والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرةٍ فجرةٌ، وكل فجرةٍ كفرةٌ، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة)).
نهج البلاغة، ص401.

(6) الشقيقان في كربلاء، ص113.

(7) شلبي، أحمد، المكتبة الإسلامية لكل الاعمار – الدولة الأموية، ط القاهرة، (بلا.ت)، 45/5.

تفرض على المسلمين ان يتحرّجوا أشد التحرج، ويتأثموا أعظم التأثم، قبل ان يمسوا أحداً من أهل بيته كل ذلك ولم يمض على وفاة النبي صلّى الله عليه وسلم إلاّ خمسون عاماً[1].

وقد اجتهد أحد الباحثين المصريين في تفسير هذا الموقف وتأوله لقتل الحسين (عليه السلام) كما ذكر ابن العربي[2] وابن تيمية[3]. وتساءل عن الأسباب التي تجعل الأشخاص يقترفون الآثام دونما شعور بالإثم، ويأتون بأكبر الكبائر وكأنها لم تبلغ حد الصغائر مع انهم ليسوا بمغيبين، وإنما مدركون لمعنى الخطيئة، وواعون بحد الكبيرة؛ ووجد ذلك الباحث ان السبب في ذلك هو التبرير الذي مارسه الإنسان على مرّ الأزمان، وهو التمويه على الباطل بما يشبه الحق، وعقلنة الضلال، وإضفاء الشرعية على المحرمات، والحيلة الدفاعية التي يُلجأ إليها لخداع الذات –قبل الآخرين – بغرض التنصل من الالتزامات، ونفياً للقيم والضوابط ذاتها لحساب المتعارض معها من مصالح وأهواء[4].

ويمضي هذا الباحث للولوج إلى أسباب ظهور هذا التبرير فيُرجع ذلك إلى البداية الأولى في مخالفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو حي في قضية بعث اسامة، وفي عدم الانصياع لأمره بموافاته بدواة وكتب ليكتب للأمة ثم توالت التبريرات في السقيفة، ثم على يد الخلفاء الثلاثة مثل قضية خالد ومالك على يد أبي بكر (رض)، ومخالفة النصوص المحكمة على يد عمر (رض)، والانحراف المالي والاداري في عهد عثمان (رض)، ثم موبقات عثمان (رض).. حتى كانت كارثة كربلاء، ففي مجتمع ساد فيه نظام شديد المركزية كالمجتمع الإسلامي الأول، تتضح فيه المشابهة بين نظام الدولة والسلطة الأبوية.. بما يعنيه ذلك من مسايرة غير منطقية وإذعان وولاء وطاعة غير معقولة للسلطة، حتى وإن لم تفِ تلك السلطة بشرط الطاعة الحاسم وهو الإشباع فها هنا تعمل عملها العلاقات غير المرئية من التقليد والعادة، فلما مورس التبرير وبتكرار من السلطة الأموية، وعلى مدى طويل نسبياً – بالنظر إلى مجتمع إسلامي وليد لم يتمثل بعد واقعياً محدداته النظرية – انساب هذا المدرك من علٍ، وتخلل خلايا المجتمع، وصار أحد مكونات اللاوعي الجماعي، ليستحضر في أوقات لازمات، ويستظهر في أنماط السلوك الطفلية تجاهها[5].

---

(1) حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 245/2.

(2) العواصم من القواصم، ص156 – 157.

(3) ينظر: رأس الحسين، ص204.

(4) الصدفي، ابدأ حسين، ص402.

(5) الصدفي، ابدأ حسين، ص403. ان اشد الناس إلحاحاً على التفسير السوسيولوجي للظواهر يتفقون وهذه النتيجة؛ فالنظرية الماركسية تؤيد فكرة ان الاذعان للسلطة تعتمد على العادات والتقاليد والقبول النفسي لسيطرة طبقة ما، نتيجة عمليات التربية الموجهة والتطبيع الاجتماعي والتدعيم. المصدر نفسه، ص403 – 404، د. اوسبورن، الماركسية والتحليل النفسي، ترجمة: د. سعاد الشرقاوي، ط2، القاهرة، 1401هـ/1980م، ص143.

وقد ضرب لذلك أمثلة صارخة من أقوال قاتلي الحسين (عليه السلام) أبان المعركة، فشمر ابن ذي الجوشن يقول: يا حسين، استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة[1]، وعبد الله ابن حوزة يقول: يا حسين ابشر بالنار[2]، وعلي بن قريظة ينادي: يا حسين، يا كذاب ابن الكذاب[3].. ويرى ان الغلو والاسراف والفحش في تلك الأقوال يبلغ مداه في التمثيل بالحسين (عليه السلام) بحز الرأس، والإصرار على دكه بسنابك الخيل، وهذه خصيصة بارزة للتبرير تأكيداً لحاجةٍ في النفس إمعاناً في الزيف وخداع الذات، وكأن من يقوم بالتبرير يؤكد لنفسه انه صاحب قضية جديرة بالاستغراق فيها، كما ان مبرر التبرير المصلحة الشخصية المباشرة ذات المدى الواسع الذي يشمل كلاً حسب طاقته[4].

ولا يفوت الباحث وهو يفسر الموقف الكوفي أن يؤكد على تأثير الأساليب التي اتبعتها السلطة مع الكتلة الشعبية للابقاء على اذعانها بالتعامل مع عوامل الاهتزاز في بنائها النفسي من مخاوف وقلق واطماع وتردد، فاثرت خطة ابن زياد في أصحاب مسلم وانفضوا من حوله لأن القاعدة لم تكن على مستوى الوعي الذي يؤهلها للانفلات مما اعتادت عليه، فضلاً عن الطموح لاستشراق مستقبل أفضل، بالإضافة إلى استشراء الخراب في أعمال بنائها الداخلي،.. فتحققت كارثة كربلاء: من سيطرة النخبة القبلية التقليدية وهي قيد قبضة الحاكم ذي السيطرة المادية والنفسية، إلى قاعدة شعبية مردت على الاذعان، إلى انحسار الوعي والنضج في فئة قليلة للغاية كان من المفترض أن تكون الطليعة عن طريق تعظيم اعليتها في محيطها، ولكنها تمتعت بمثالية لم يدعمها في الغالب حنكة ومراس[5].

وقد قسّم بعض الكتّاب والباحثين المصريين مسؤولية قتل الحسين (عليه السلام) على طرفين هما أهل الكوفة، وعبيد الله بن زياد ليخرج يزيد بريئاً – كما أراد ابن تيمية –.

فأهل الكوفة هم القتلة الحقيقيون، يشاركهم في ذلك عبيد الله الذي رفض عرض الحسين (عليه السلام) بالسلام والانسحاب من المعركة ويزيد راعه ما حدث وأكد لآل الحسين (عليه السلام) لما ذهبوا !! إلى دمشق انه لو كان صاحب الحسين (عليه السلام) ما قتله !! في نظر شاهين[6] جرياً على ما كتبه ابن تيمية.

ورأى حمادة أن يزيد لم يكن يريد أن يَصلَ الأمر إلى هذا الحد ناسياً ان الناس إذا أُطلقت من عقالها صعب بل استحال التحكم بها،... فأهل الكوفة – برسائلهم الكثيرة – هم

---

(1) الطبري، تاريخ، 228/6.

(2) المصدر نفسه، 232/6.

(3) الطبري، تاريخ، 234/6.

(4) الصدفي، ابدأ حسين، ص404. ويتضح ذلك فيما تقدم من ان عمر بن سعد كان طامعاً في ولاية الري، وان حامل رأس الحسين (عليه السلام) إلى ابن زياد قال لامرأته: جئتك بغنى الدهر. ينظر: الطبري، تاريخ، 219/6 – 247.

(5) الصدفي، ابدأ حسين، ص406 – 407.

(6) الدولة الأموية المفترى عليها، ص328 – 329.

المسؤولون الأولون عن هذه المأساة.. ويدل سلوك الحسين (عليه السلام) برفضه النزول على حكم ابن زياد على انه شخص مؤمن بالمثل العليا التي ينادي بها، مستعد للتضحية بالنفس في سبيلها كرامة نفسه مقدمة على أي اعتبار آخر حتى الحياة، وتبدو هنا مسؤولية ابن زياد أضخم وأعظم وأكبر من مسؤولية يزيد في وقوع هذه المأساة[1].

ونزّه السيد يزيد وحمّل ابن زياد مسؤولية القتل معتمداً على دفاع ابن تيمية بلا زيادة[2]، وكذلك فعل فرحات وأضاف لدفاع ابن تيمية ما حصل عليه من تأييد لذلك في كتاب قيد الشريد؛ فالأمر بقتال الحسين (عليه السلام) المفضي إلى قتله هو عبيد الله بن زياد والي العراق آنذاك وليس يزيد[3].

ومما يثير الدهشة ان كتّاباً آخرين[4] حملوا أطراف النزاع جميعاً المسؤولية: أهل الكوفة، الحسين (عليه السلام)، عبيد الله بن زياد، شمر بن ذي الجوشن، عمر بن سعد، إلاّ انهم توقفوا عن ان يجعلوا ليزيد نصيباً فيها، فهو لم يأمر بقتل الحسين (عليه السلام)، ولم يسعد به، وبكى عليه، ولعن ابن زياد لأنه قتله. ويتضح اعتماد هؤلاء الباحثين على رأي ابن تيمية لأنهم كرروا كل ما قاله وانتقاه من روايات، وما فعله من اهمال روايات أخرى في نفس المصادر تُحمّل يزيداً المسؤولية وتُظهره شامتاً بقتل الحسين (عليه السلام).

بل ان بعضهم تطرف برأيه بعد أن نزّه يزيد من قتل الحسين (عليه السلام) ويبدو انهم أرادوا ان يجعلوا لله شيئاً من تلك المسؤولية فنُسب فعل العباد إليه فقتل الحسين (عليه السلام) بنظرهم قضاء قدّره الله[5] ولم يكن محيص عن ذلك القدر المقدور[6].

وينبغي الإشارة إلى تشدّد بعض الكتّاب المصريين إزاء قضية تخطئة الحسين (عليه السلام)، وتبرئة يزيد، فقالوا بأن يزيد هو المسؤول عن خروجه وقتله[7]، وانه لا يحق له قتل الحسين (عليه السلام) ومن معه لأنهم جاهدوا في سبيل الدين وإعادة السلطان المغتصب من فرد لا يملك أية مؤهلات لتولي السلطة[8] وقد كان له ندحة عن قتل الحسين (عليه السلام) فإن قلنا ان قتل الحسين (عليه السلام) تم بتهاون يزيد ودون علمه، فهذه مساءة تلحق به لا محالة، لأن التهاون في شؤون الدولة يسير بها إلى الخراب، وكان جديراً به ان يحاسب ولاته عن كربلاء[9].

---

(1) دراسة وثقية، ص44 – 45.

(2) سيرة آل بيت النبي، ص335 – 338.

(3) دراسة وتحقيق كتاب قيد الشريد، ص75 – 77، وينظر: ابن طولون، قيد الشريد، ص141 – 142.

(4) النجار، الدولة الأموية في الشرق، ص92 – 93، عبد اللطيف، العالم الإسلامي، 476 – 477.

(5) فرحات، دراسة وتحقيق قيد الشريد، ص77.

(6) الجبري، حوار مع الشيعة، ص248.

(7) غنيم، الثورات العلوية، ص200.

(8) الجمل، سيرة الحسين، ص101.

(9) العقاد، أبو الشهداء، ص289 – 290، قرون، عظمة الامام الحسين، ص111 – 112.

ولا مناص من التأكيد انها كانت مؤامرة تستهدف التخلص من ابن بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وأكبر عدد من أهل بيته، ضماناً لاستقرار العرش الأموي، آمناً من كل خطر يتهدده، وكل مزاحم قد يطمع فيه، وذلك ما ظنه يزيد ورجاله وسعوا إلى تنفيذه[1].

ولم تكن دموع يزيد التي تحدث عنها مبرؤه في نظر آخر إلاّ رياءً ((وإنما أطلق الروع دموعه، وانطق الفزع لسانه، بقالة رياء فلقد كرر جنده يوم (الحرة) ما فعلوه، منذ عامين في كربلاء، كما صنعوه مرة ثالثة إذ قذفوا الكعبة بالمنجنيق.. فالجريمة الأولى تدفع إلى الثانية فالثالثة. وغيرها.. ويبقى هذا الرياء من يزيد صيحة استهزاء بقوم باعوا انفسهم للشيطان لقاء متاع قليل، لا يلبث أن يزول.. فالقائد الظالم مسؤول عما يقع من جنده فما يظلمون إلاّ بظلمه، إن لم يظلموا بأمر صريح منه))[2].

وما أشبه عمل يزيد بعمل أبيه، فمن قبله قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه ثم ألقى عبء قتلهم على زياد وقال: حمّلني ابن سمية فاحتملت[3].

3- آراء ابن كثير (ت774هـ/1372م):

أورد ابن كثير تفاصيل ثورة الحسين (عليه السلام) في فصل خاص في تاريخه واعطاه عنوان: ((قصة الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وسبب خروجه بأهله من مكة إلى العراق في طلب الامارة وكيفية مقتله رضي الله عنه))[4].

ثم أبدى رأيه بعد أن ذكر تفاصيل مقتل الحسين (عليه السلام) فقال:

((وقد تأول عليه من قتله أنه جاء ليفرق كلمة المسلمين بعد اجتماعها وليخلع من بايعه من الناس واجتمعوا عليه، وقد ورد في صحيح مسلم الحديث بالزجر عن ذلك، والتحذير منه، والتوعد عليه وبتقدير أن تكون طائفة من الجهلة قد تأولوا عليه وقتلوه ولم يكن لهم قتله، بل كان يجب عليهم إجابته إلى ما سأل من تلك الخصال الثلاثة المتقدم ذكرها، فإذا ذمت طائفة من الجبارين تذم الأمة كلها بكمالها وتتهم على نبيها (صلى الله عليه وسلم)، فليس الأمر كما ذهبوا إليه، ولا كما سلكوه، بل أكثر الأئمة قديماً وحديثاً كاره ما وقع من قتله وقتل أصحابه، سوى شرذمة قليلة من أهل الكوفة قبحهم الله، وأكثرهم كانوا قد كاتبوه ليتوصلوا به إلى اغراضهم ومقاصدهم الفاسدة. فلما علم ذلك ابن زياد منهم بلّغهم ما يريدون من الدنيا وآخذهم على ذلك وحملهم عليه بالرغبة والرهبة، فانكفوا عن الحسين وخذلوه ثم

---

(1) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص441.

(2) الجندي، الامام جعفر الصادق، ص51.

(3) حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 242/2.

(4) البداية والنهاية، 149/8.

قتلوه، وليس كل ذلك الجيش كان راضياً بما وقع من قتله، بل ولا يزيد بن معاوية رضي بذلك والله أعلم، ولا كرهه، والذي يكاد يغلب على الظن ان يزيد لو قدر عليه قبل أن يُقتل لعفا عنه كما أوصاه بذلك أبوه، وكما صرح هو به مخبراً عن نفسه بذلك. وقد لعن ابن زياد على فعله ذلك وشتمه فيما يظهر ويبدو، ولكن لم يعزله على ذلك ولا عاقبه ولا أرسل يعيب عليه ذلك والله اعلم))[1].

وقد رجح ان رأس الحسين (عليه السلام) أرسل إلى الشام ونصب بدمشق ثلاثة أيام ثم وضع في خزائن السلاح[2].

ونلاحظ مما تقدم ان ابن كثير جعل غاية خروج الحسين (عليه السلام) على يزيد هو طلب الامارة من صاحبها الشرعي الذي بايعه الناس واجتمعوا عليه !! وان من قاتلوه تأولوا حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) في قتال الخارج لتفريق كلمة المسلمين. ويتضح ان ابن كثير قد قال بالعامل السياسي في خروج الحسين (عليه السلام) وقد سبقه ابن تيمية إلى ذلك[3]، وخالف رأي ابن العربي بأن خروج الحسين (عليه السلام) كان غضباً للدين وقياماً بالحق ولكنه اعتمد رأيه في تأول قاتلي الحسين (عليه السلام) للحديث النبوي. وقد توافق مع هذا الرأي عدد من الكتّاب المصريين وقالوا بأن الحسين (عليه السلام) خرج متشوقاً إلى الخلافة بتأثير تحريض أهل الكوفة[4]، أو انه طلب أمراً لم يتهيأ له ولم يعد له عدته فحيل بينه وبين ما يشتهي[5]، بينما علل آخرون طلب الحسين (عليه السلام) للخلافة بدوافع دينية تتعلق بعدم أهلية يزيد للمنصب، أو ظهور فسقه وظلمه[6].

ومع ان الباحث قد ذكر شواهد عديدة أوضح فيها ان الحسين (عليه السلام) قد أكد أحقية أهل البيت (عليهم السلام) بالخلافة، ومؤهلاتهم لتولي زمام القيادة في الأمة، إلا انه أيضاً ذكر شواهد أخرى بيّن فيها الحسين (عليه السلام) انه ثائر لغاية الإصلاح، ولتجاوز يزيد وولاته الحدود الإسلامية وكرر على مراحل الطريق إلى كربلاء انه يطلب الشهادة في هذا السبيل ضارباً للمسلمين المثل في عدم الركون إلى الجور على قلة العدد وخذلان الناصر ((فليس الحسين يحرّض على الخلافة لمأرب أو هدف دنيوي أو معنوي.. بقدر ما هو يحرص على استمرار مبادئ الإسلام وقيمه وأولها الشورى))[7] في نظر كاتب مصري، يشاركه العقاد وهو لا يرى

---

(1) البداية والنهاية، 202/8 – 203.

(2) المصدر نفسه، ص204.

(3) ينظر: منهاج السنة، 243/2.

(4) ماجد، التاريخ السياسي، 68/2.

(5) الخضري، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، 130/2.

(6) ينظر: رضا، الحسن والحسين، ص111، النجار، الدولة الأموية في الشرق، ص92، منصور، الشقيقان في كربلاء، ص111.

(7) كريم، اعلام في التاريخ، ص88، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص171.

ان طلب الملك مُعيباً من الحسين (عليه السلام) طالما انه كان للحق وقارن بين نهجين في هذا المجال نهج الحسين (عليه السلام)، ونهج الأمويين فقال:

((فمن طلب الملك بكل ثمن وتوسل له بكل وسيلة وسوّى فيه بين الغصب والحق وبين الخداع والصدق وبين مصلحة الرعية ومفسدتها، ففي سبيل الدنيا يعمل لا في سبيل الشهادة. ومن طلب الملك وأباهُ بالثمن المعيب وطلب الملك حقاً ولم يطلبه لأنه شهوة وكفى، وطلب الملك وهو يعلم انه سيموت دونه لا محالة، وطلب الملك وهو يعتز بنصر الإيمان ولا يعتزّ بنصر الجند والسلاح، وطلب الملك دفعاً للمظلمة وجلباً للمصلحة كما وضحت له بنور إيمانه وتقواه، فليس ذلك بالعامل الذي يخدم نفسه بعمله ولكنه الشهيد الذي يلبي داعي المروءة والاريحية، ويطيع وحي الإيمان والعقيدة، ويضرب للناس مثلاً يتجاوز حياة الفرد الواحد وحياة الاجيال الكثيرة))[1].

ويرى غنيم ان الحسين (عليه السلام) لو كان يطلب الملك لأعدّ له عدته، ولما خرج في سبعين من رجاله وأهل بيته لطلبه، وهو يعلم ان خروجه هذا قد يؤدي إلى قتله فأردى نفسه، وأبار نسله، وقضى على خلاصة رجاله وانصاره، على ان طلب الملك لو كان ليس عيباً فهو أهله وأحق الناس به لفضله وقرابته[2].

ويبدو أن ((هدف أولئك الذين يذكرون طلب الملك أن يغمروا شهادة الحسين في طيات أكاذيبهم))[3]. كما رأى كتّاب آخرين.

ولا يمكن أن نتجاهل تأثر ابن كثير الواضح باستاذه ابن تيمية[4] سواء فيما قاله من خروج الحسين (عليه السلام) في طلب الامارة أم في دفاعه عن يزيد وتحميل أهل الكوفة وعبيد الله بن زياد مسؤولية قتل الحسين (عليه السلام)، مع اننا نستطيع القول انه احتاط أكثر من ابن تيمية في موقفه من تنزيه يزيد، فلما ذكر ان يزيد لم يكن راضياً بقتل الحسين (عليه السلام)، زاد: ولاكرهه، وعندما نقل ما أورده ابن تيمية[5] من ان يزيد ما انتصر للحسين (عليه السلام) ولا أمر بقتل قاتله ولا أخذ بثاره، زاد: ولا أرسل يعيب عليه ذلك[6]، ومع انها زيادات بسيطة إلا انها قد تشير إلى شكه ببراءة يزيد التي لم يستطع التصريح بنقيضها. وذلك لأن ابن كثير قد مارس التاريخ بدافع إعادة بناء الحقيقة القدسانية كما يتصورها السلفي، وجعل الانتصار للمذهب غايته القصوى فابن كثير كمؤرخ يهدف إلى تبرير تاريخ قدساني للسلف، وكمحدث يستطيع ان يأخذ ويرد ما شاءت له

---

(1) أبو الشهداء، ص296.

(2) الثورات العلوية، ص194.

(3) الجمل، سيرة الحسين، ص103؛ العقاد، أبو الشهداء، ص295.

(4) لاسيما وقد وصفت علاقة التلميذ باستاذه بالتميز في العديد من المصادر ومنها قول ابن حجر: ((... وأخذ عن ابن تيمية ففُتن بحبه وأُمتحن بسببه)). ابن حجر، الدرر الكامنة، 113/1، الحسيني، محمد، الحافظ ابن كثير مؤرخاً، بحث منشور في كتاب المنهاج رقم 11، بيروت، 1425هـ/2004م، ص490 – 493.

(5) منهاج السنة، 249/2.

(6) البداية والنهاية، 202/8 – 203.

ضرورات المذهب من أخبار من أجل صياغة الموقف المقبول لدى التيار الذي يمثله... فالكتابة التاريخية حينما يتولاها نصير السلفية، سوف تكون محاولة ارتجاعية دؤوبة وتبرير متواصل للأخطاء والانحرافات وهو ما يعيد تسطيح التاريخ[1].

وقد اعتمد عدد من الكتّاب والباحثين المصريين آراء ابن كثير في ما رواه من تفاصيل خروج الحسين (عليه السلام)، ووقائع مقتله، ومن ثمّ ما روي من ظواهر وآثار غريبة بعد قتل الحسين (عليه السلام) والتي نسب كثير منها إلى كذب الشيعة – كما ذكر في مواضعه – وكان مع ابن تيمية مرجعاً لكثير منهم ممن أراد الادلاء برأيه في تصويب خروج الحسين (عليه السلام) أو تخطئته، أو في مناقشة قضية مسؤولية مقتل الحسين (عليه السلام)[2]. وقد رد الباحث ابرز الاشكاليات الموجودة في رأي ابن كثير عندما رد ذلك في آراء ابن تيمية – للتطابق بين الرأيين – وعلى لسان الباحثين المصريين انفسهم.

4- آراء ابن خلدون (ت808هـ/1405م):

قال ابن خلدون في شأن الحسين (عليه السلام):

((وأما الحسين فإنه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من أهل عصره بعثت شيعة أهل البيت بالكوفة للحسين أن يأتيهم فيقوموا بأمره فرأى الحسين أن الخروج على يزيد متعين من أجل فسقه لاسيما من له القدرة على ذلك وظنّها من نفسه بأهليته وشوكته فأما الأهلية فكانت كما ظن وزيادةً وأما الشوكة فغلط يرحمه الله فيها لأن عصبية مضر كانت في قريش وعصبية عبد مناف إنما كانت في بني أمية تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا يُنكرونه وإنما نُسي ذلك أول الإسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وأمر الوحي.. فاغفلوا أمور عوائدهم وذهبت عصبية الجاهلية ومنازعها ونُسيت ولم يبقَ إلاّ العصبية الطبيعية في الحماية والدفاع يُنتفع بها في إقامة الدين وجهاد المشركين... حتى إذا انقطع أمر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوائد فعادت العصبية كما كانت واصبحت مضر أطوع لبني أمية من سواهم بما كان لهم من ذلك قبلُ، فقد تبين لك غلط الحسين إلاّ انه

---

(1) هاني، محنة التراث الآخر، ص34. وقد ذكر الحسيني بعد أن درس منهج ابن كثير كمؤرخ ان ابن كثير: ((ينتمي إلى مرجعية فكرية سلفية حادّة تركت أثرها وبصماتها بشكل مفرط في تعاطيه مع التاريخ والأحداث، وقادته إلى انتقائية غير مسوّغة، وقد فرضت عليه هذه المرجعية ان يرسم للتاريخ مساراً غير المسار المعروف... ولذلك بدا دقيقاً في انتقاء مصادره، ومعلوماته واصطفائها بدقة متناهية)). وقد أورد أمثلة عديدة لذلك. للمزيد ينظر: ابن كثير مؤرخاً، ص502 – 511.

(2) ينظر مثلاً: غنيم، الثورات العلوية، ص195 – 198، ص201، يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص418، ص421، ص422، ص424، ص427، ص428، ص429، ص433، ص436، الجمل، سيرة الحسين، ص97، ص99، فرحات، دراسة وتحقيق كتاب قيد الشريد، ص75، شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص326، ص327، ص328، السيد، سيرة آل بيت النبي، ص336، عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص132 – 133، الخربوطلي، المختار، ص73 – ص75.

في أمر دنيوي لا يُضرّه الغلط فيه وأما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لأنه منوط بظنه وكان ظنُه القدرة على ذلك))[1].

وفي الوقت الذي صوّب ابن خلدون فعل القاعدين عن نصرة الحسين (عليه السلام) لأنه كان عن اجتهاد، إلاّ انه لم يصوب قتاله وقد ذكر ان تجويز قتال الحسين (عليه السلام) هو مما انفرد به يزيد وأصحابه، وان هذا الفعل لا يمكن أن يكون مشروعاً حتى عند القائلين بإمامة الفاسق لأن شرط قتال البغاة عندهم أن يكون مع الامام العادل وهو مفقود في يزيد لأن فسقه قد ظهر للكافة وقد أعطى ابن خلدون رأياً قاطعاً في مسألة قتال الحسين (عليه السلام) فقال:

((وقتاله لم يكن عن اجتهاد هؤلاء [ويقصد الصحابة الذين قعدوا عن نصرته ونصحوه بالقعود] وان كان خلافُهُ عن اجتهادهم وإنما انفرد بقتاله يزيد وأصحابه ولا تقولنّ إنّ يزيد وإن كان فاسقاً ولم يُجز هؤلاء الخروج عليه فأفعاله عندهم صحيحة واعلم انه إنما ينفذُ من أعمال الفاسق ما كان مشروعاً وقتال البُغاة عندهم من شرطه ان يكون مع الامام العادل وهو مفقود في مسئلتنا فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا ليزيد بل هي من فعلاته المؤكدة لفسقِهِ والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد، والصحابة الذين كانوا مع يزيد على حق أيضاً واجتهاد !!))[2].

وقد تماشى مع رأي ابن خلدون في القول بأن خروج الحسين (عليه السلام) على يزيد لظهور فسقه عدد من الكتّاب المصريين[3] ومنهم غنيم الذي رد كل قول بفصل سلوك الحاكم عن حكمه وسياسته، وأكد ان يزيد حتى لو كان خليفة فطاعته مشروطة بطاعة الله ورسوله فقال:

((والقول بأن سلوك يزيد شيء وان حكمه وسياسته شيء آخر وانه ما دام لم يدعُ إلى معصية، ولم يخالف الكتاب والسنة مخالفة صريحة فإن الخروج عليه غير جائز قول لا يستقيم، لأن الدعوة إلى المعصية لا تكون باصدار الأوامر وانشاء القوانين وحسب، وإنما تكون كذلك بعمل الحاكم وسلوكه فإن الناس على دين ملوكهم، وهم يصلحون ويفسدون بصلاحهم أو فسادهم وقول العاذرين ليزيد: إن الخروج على الخليفة القائم إذا دعا إلى المعصية وخالف الكتاب والسنة لا يجوز إلاّ باجماع من الأمة واتفاق من شتى طوائف الجماعة قول تعوزه الحجة وينقصه الدليل، فإن الاتفاق على شيءٍ ما خيراً كان أو شراً هو إلى دائرة الاستحالة أقرب منه إلى دائرة الامكان، والمجتمعات أيام انحرافها لا يكون انحيازها إلى الصلاح بقدر ما يكون إلى الفساد، ولو أخذ هذا القول هكذا على عواهنه لكان معناه ان الإسلام لا يحض على مقاومة ابداً، لأنه يقيدها بقيد لا سبيل إلى وجوده ولا إلى

---

(1) المقدمة، ص216 – 217.

(2) المقدمة، ص217.

(3) أبو علم، الحسين بن علي، ص187، الجمل، سيرة الحسين، ص103. وينظر: خالد، ابناء الرسول في كربلاء، ص158 – 159، رضا، الحسن والحسين، ص111.

تجاوزه وهو ما لا يتفق وما جاء في الكتاب والسنة في مكافحة الشر، ومقاومة المنكر باليد واستعذاب التضحية بالمال والنفس في سبيل المبادئ والمثل))[1].

وقال آخرون بتخطئة الحسين (عليه السلام) في خروجه على يزيد متمثلين بذلك قول ابن خلدون وحجته بأن الحسين (عليه السلام) اخطأ سياسياً لأنه لم تكن له شوكة أو عصبية ضرورية لتحقيق هدفه[2]، ويُرد على ذلك بأن الحسين (عليه السلام) دعا الناس لنصرته، فلم يستجب له منهم سوى ثلة قليلة سار بها على أمل ان يجد في تأييد أهل الكوفة ما يسد به عجز قوته، ولم يتوقف عن تحريض الناس للحاق به في كل مراحل الطريق بما فيهم بني هاشم – من تخلف منكم لم يبلغ الفتح – مع انه في الوقت نفسه حاول تنقية ركبه من كل من يُحتمل تردده ونكوصه لدنيا أو طمع وسار بنخبة وطنت نفسها على الموت حتى آخر لحظة وحققت غاية الحسين (عليه السلام) من الشهادة.

وقد خطأ الخربوطلي فِعلَ الحسين (عليه السلام) السياسي من جانب آخر إذ ان الامام الحسين (عليه السلام) برأيه قد اكتفى بابداء معارضته لخلافة يزيد والامتناع عن البيعة له، ولكنه لم يبادر بأخذ البيعة لنفسه ليظهر أمام المسلمين بمظهر الخليفة صاحب الحق الشرعي، ولو انه فعل لسارع الناس إلى بيعته ودانت له الأمصار جميعا، ولكن خروجه والامتناع عن البيعة جعل من البعض ينظر إليه باعتباره خارجاً عن الخليفة الشرعي، وهو ما أتاح الفرصة ليزيد لأن يقاومه ويقتله بالتالي بحجة القضاء على الفتنة التي تهدد كيان الدولة الإسلامية[3].

وهذا النص يتجاوز عدة أمور:

- ان يزيد قد أُخذت البيعة له في زمن معاوية.
- ان المبادرة لطلب البيعة لنفسه بعد وفاة معاوية تجعل حركة الحسين (عليه السلام) ذات طابع شخصي، وسيكون من السهولة ان تدعي السلطة انه شق عصا الطاعة بالدعوة إلى منفعة ذاتية، وسيكون أكثر سهولة وصم أهل البيت (عليهم السلام) بالتهافت على السلطان إذ ان المعروف انهم ما انفكوا يؤكدون هذا الحق وأهليتهم له.
- ان الحسين (عليه السلام) بادر إلى أقل من أخذ البيعة لنفسه، وهو اعلان المعارضة على مفاسد النظام القائم ورفضه فلم يستجب له أحد على مشروعية هذا الأمر، فما الذي يضمن ان تستجيب الامصار لدعوة البيعة على ما فيها من مظهر مصلحي يخص الحسين (عليه السلام).
- وما الذي فعل إيمان أهل الكوفة بأنه صاحب الحق الشرعي ألم يسارعوا إلى بيعته ثم انقلبوا عليه بعد حين ؟

---

(1) الثورات العلوية، ص192 – 193.

(2) صالح، العرب والإسلام، ص314، وينظر: منصور، الشقيقان في كربلاء، ص111.

(3) المختار الثقفي، ص86.

ومن الجدير ذكره ان ابن العربي في دفاعه عن بني أمية، وتنزيه يزيد، وتصويب فعل ناصحي الحسين (عليه السلام) قد جعل هؤلاء جميعاً مجتهدين مأجورين فيما دخلو فيه، وأرجأ حكمهم إلى الله في الآخرة[1] ويبدو ان مرجعية ابن العربي في هذه الفتوى هي فعل معاوية ابن أبي سفيان إذ نقل في موضع أخر من كتابه في قضية حجر بن عدي: ان معاوية قد جعل حجراً ممن سعى في الأرض فساداً فلما كلمته السيدة عائشة في أمره حين حج قال لها: دعيني وحجراً حتى نلتقي عند الله، ولذلك استأنف ابن العربي حديثه داعياً إلى تبني هذا الارجاء فقال: وانتم معشر المسلمين أولى ان تدعوهما حتى يقفا بين يدي الله مع صاحبهما العدل الأمين المصطفى المكين، وما انتم ودخولكم حيث لا تشعرون، فما لكم لا تسمعون ؟[2].

فما دام الحسين (عليه السلام) قد كان في خروجه فساد أكثر من الإصلاح فهو كحال حجر، ويزيد كحال معاوية، والأمر إلى الله، فلماذا يبحث الناس في خطأ الخليفة الفقيه فهو مأجور على كل حال ؟!!.

وقد شارك ابن تيمية ابن العربي فرأى ان أهل التأويل المحض مجتهدون مخطئون مغفور لهم، وهم مثابون على ما أحسنوا فيه من حسن قصدهم واجتهادهم في طلب الحق وأتباعه[3]، هذا الكلام قاله ابن تيمية في الجدال عن يزيد وتبرير أخطائه، فمن المناسب جداً ان يدعمه باتفاق العلماء على انهم لا يكفرون أهل القبلة بمجرد التأويل وان الشخص الواحد إذا كانت له حسنات وسيئات فأمره إلى الله[4]، فيزيد مجتهد مغفور له، وأهل الكوفة ممن تأولوا قتله مجتهدون مأجورون لأنهم طلبوا الحق في قتل الحسين (عليه السلام) !!.

وقد أوضح ابن كثير تلميذ ابن تيمية – عن غير قصد – ان مرجعية ابن تيمية في ارجاء فعل المجتهد المخطأ إلى الله هو يزيد نفسه، إذ ورد لديه:

((ان أبا أيوب الانصاري قال عند موته: قد كنت كتمت عنكم شيئاً سمعته من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: [لولا انكم تذنبون لخلق الله قوماً يذنبون فيغفر الله لهم]، وقال أيضاً: [من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة] وعندي ان هذين الحديثين هما اللذان حملا يزيد بن معاوية على طرف من الارجاء وركب بسببه افعالاً كثيرة أنكرت عليه))[5].

وقد شارك ابن خلدون كل من ابن العربي وابن تيمية في القول بأن الحسين (عليه السلام) كان على حق واجتهاد، وقاتليه الذين كانوا مع يزيد على حق واجتهاد !![6].

وقد أثرت هذه النظرة في التبرير والارجاء حتى على بعض الباحثين المصريين ممن يرى أن يزيد فجع القلوب، وجرح الخواطر، وقطع الرحم[7] إذ قال أحدهم: ((نقول اننا

---

(1) العواصم من القواصم، ص156 – 157.

(2) ابن العربي، العواصم من القواصم، ص143.

(3) رأس الحسين، ص204.

(4) المصدر نفسه، ص206، عبد الحميد، ابن تيمية، ص373.

(5) البداية والنهاية، 59/8.

(6) المقدمة، ص217.

(7) الجميلي، تحقيق ودراسة استشهاد الحسين، ص23.

مأمورون بالاستغفار لهؤلاء وهؤلاء والدعاء لهم فإذا ما بعثوا يوم القيامة يفصل الله بينهم فأمرهم راجع إلى ربهم فهو وحده الذي يعلم السر وأخفى وهو وحده أعرف بحقيقة نوايا كل منهم وهو أعلم بالسرائر))[1].

وكما اتخذ تقويم ثورة الحسين (عليه السلام) لدى الكتّاب والباحثين المصريين جانب تسليط الأضواء على علل ثورة الحسين (عليه السلام)، ونقدها من خلال ميزان الخطأ والصواب، فقد تمثّل في جانب آخر بالآثار المترتبة على شهادته وتقويم هذه الشهادة في ميزان الغالب والمغلوب، والمنتصر والمهزوم ((ومن هنا يدخل التاريخ ألزم مداخله وأبيّنهاعن قيمة البحث فيه؛ لأنه المدخل الذي يُفضي إلى الجزاء الحق والنتيجة الحقة، وينتهي بكل عامل أفلح واخفق في ظاهر الأمر إلى نهاية مطافه وغاية مسعاه في الأمد الطويل. وقد ظفر التاريخ في الصراع بين الحسين بن علي (عليه السلام) ويزيد بن معاوية بميزان من اصدق الموازين التي تتاح لتمحيص الجزاء الحق في اعمال الشهداء وأصحاب الطمع والحيلة، فقلما تتاح في اخبار الأمم شرقاً وغرباً عبرة كهذه العبرة بوضوح معالمها وأشواطها وفي تقابل النصر والهزيمة فيها بين الطوالع والخواتم على اختلاف معارض النصر والهزيمة. فيزيد في يوم كربلاء هو صاحب النصر المؤزر الذي لا يشوبه خذلان.. وحسين (عليه السلام) في ذلك اليوم المخذول الذي لم يطمع خاذله من وراء الظفر به إلى مزيد. ثم تتقلب الآية.. ويقوم الميزان، فلا يختلف عارفان بين كفة الرجحان وكفة الخسران))[2].

فالنصر العسكري والنجاح المسلح ليسا دليلاً على النجاح الحقيقي..، فقد نجحت ثورة الحسين (عليه السلام) فكرياً وعاطفياً ومعنوياً، فقد نبّه الحسين (عليه السلام) بثورته الاذهان إلى فساد الوضع الذي وصلت إليه الدولة في عهد معاوية.. وكان في خروج الحسين (عليه السلام) بما يحمله من صفة دينية إفساد لكل الخطط الايديولوجية التي أرسى معاوية قواعدها طوال اربعين سنة أقامها والياً ثم خليفة[3].

ومن الفساد ما يُستغلظ فيحوج اصلاحه إلى آية من السماء مثل كسوف الشمس وخسوف القمر، وفي استشهاد أبي الشهداء آية من الآيات. كانت كربلاء قارعة رجت الأرض رجاً يعيد الإسلام غضاً في الانفس، بما كان فيها من التصميم والاجماع على الاستشهاد في سبيله، لقد انقضى بين يوم وفاة النبي وبين كربلاء خمسون عاماً، كانت ضرورية لتدهور احساس بعض الرجال في اجيال، تدهوراً كافياً ليقتلوا ابن نبيهم وهم يصلون عليه ! وعلى آله الذين يقتلونهم![4] ان الحسين (عليه السلام) قدم للمسلمين الذين تعاقبوا في آثاره على مدار الزمان، حجة بالغة من أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله). إذ ينفردون في التاريخ بهذه الخصيصة التي لم يماثلهم، أو

---

(1) الجميلي، تحقيق ودراسة استشهاد الحسين، ص23 وينظر: الجبري، حوار مع الشيعة، ص252 – 255، السيد، سيرة آل بيت النبي، ص337 – 338.

(2) العقاد، أبو الشهداء، ص286 – 287.

(3) الجمل، سيرة الحسين، ص103، ينظر مؤنس، عالم الإسلام، ص196.

(4) الجندي، الامام جعفر الصادق، ص51.

يقاربهم فيها أهل بيت آخر في تاريخ الإنسانية: الاستشهاد في سبيل هداية البشر لما هو أقوم، وهي بعض خصائص الرسل[1].

وإذا كان الحسين (عليه السلام) قد هُزم في معركة حربية أو خسر قضية سياسية فلم يعرف التاريخ هزيمة كان لها من الأثر لصالح المهزومين كما كان لدم الحسين (عليه السلام)[2].

ذلك الدم الذي أراد الحسين (عليه السلام) أن يكون دلالة على الإباء ورفض الظلم ووسيلة التحريض على الاستبداد، فليس من ثمن لتلك الشهادة وذلك الخطأ الجسيم بحق أبي الشهداء (عليه السلام) سوى ادراك ثأره من الطغاة في كل مكان:

((فانا سأذبح من جديد
وأظل أقتل من جديد
وأظل أقتل كل يوم ألف قتلة
سأظل أقتل كلما سكت الغيور وكلما أغفا الصبور
سأظل أقتل كلما رغمت أنوف في المذلة
ويظل يحكمكم يزيد ما... ويفعل ما يريد
وولاته يستبعدونكم وهم شر العبيد
ويظل يلعنكم وإن طال المدى جرح الشهيد
لأنكم لم تدركوا ثأر الشهيد
فأدركوا ثأر الشهيد))[3].

فالحسين (عليه السلام) قدم نفسه الزكية للحق طائعاً مختاراً، وان المتأمل في كل خطوة خطاها يُحس انه على موعد مع السيادة المسبوغة عليه في الأرض لترتقي به في عليين[4].

((وهذا هو النصر
أن يخلد الذكر
يبقى شهيداً على العالمين
يؤذّن بالفكر: حيّ على صفحة الصادقين
تروح السيوف وتعلو الحروف فمن ذا الذي كان في الظافرين
هو الوقت يمضي سريعاً
هو الموت يأتي جميعاً
هو الدهر يطوي جفاء الغناء
وينشر سفر الهدى والنقاء
فبئس القصور على الغدر دالت

---

(1) المصدر نفسه، ص52.

(2) أبو علم، الحسين بن علي، ص202.

(3) الشرقاوي، الحسين شهيداً، ص189.

(4) قرون، عظمة الامام الحسين، ص116.

ونعم السطور من الحق قالت

فسادت وقادت

وصالت وجالت

وبالخير والنور والمجد عادت

ومملكة الشر في الشام بادت))[1].

إن الشهادة خصم ضعيف مغلوب في اليوم والاسبوع والعام، ولكنهـا أقـوى الخـصوم الغالبين في الجيل والأجيال ومدى الأيام[2]. ولا تُخلد الأيام إلاّ الذين عاشوا للمبادئ والقيم والأخلاق، ويهمل الزمن في رمال النسيان من عاداهم مـن أصـحاب المـصالح العاجلـة والأغراض الزائلة[3] والدعاة المستشهدون يخسرون حياتهم وحياة ذويهم، ولكنهم يرسـلون دعوتهم من بعدهم ناجحة متفاقمة، فتظفر في نهاية مطافها بكل شيء حتى المظاهر لعرضية والمنافع الأرضية[4].

((عفت الرسوم ولا يزال الموضـع هـذا سـناك بكـل افـق يـسطع

....

هانت عقيبـك كـل داهيـة بهـا في كـربلاء عـزاءُ مـن يتفجـع

....

في كـل بيـت للحـسينِ مناحـةٌ وبكل صـدر خـافقٌ يتوجـع))[5]

ولعل من اقوى الظواهر التي تؤكد عدالة موقف سيد شباب أهل الجنة، وتدين في نفـس الوقت خصومه، هو سرعة انتصار الله تعالى له، وغضبه على المعادين له، وانتقامه العاجل منهم، حتى لم يُبق منهم ولم يذر.. ولم تمض بضع عشرات من السنين، حتى صارت دولـة الأمويين أثراً بعد عين[6] وهذا هو البعد الثاني من النتائج والتداعيات لثورة الحـسين (عليه السلام) التي نظر إليه الكتّاب المصريين بتفاوت وتناقض أحياناً كل حسب توجهاته الفكرية ومتبنياته المذهبية التي تحكمت أساساً في طبيعة دراستهم لثورة الحسين (عليه السلام) وكما تجسد بوضوح في تقويمهم لثورة الحسين (عليه السلام) من حيث الخطأ والصواب.

---

(1) قابيل، اشعار مختارة في الحسين (عليه السلام) ضمن موسوعة الشيعة في العالم – الشيعة في مـصر، ص274، وينظـر: الشرقاوي، الحسين شهيداً، ص180.

(2) العقاد، أبو الشهداء، ص296.

(3) غريب، الامام الحسين، ص164.

(4) العقاد، أبو الشهداء، ص294.

(5) جبر، محمود، رثاء للحسين (عليه السلام) منشور ضمن كتاب شهيد كربلاء لفهمي عويس، ط مصر، 1368هـ/1948م، ص192 – 193.

(6) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص441؛ العقاد، أبو الشهداء، ص295.

وقد عرج بعض الكتّاب والباحثين المصريين على النتائج القريبة المنظورة لثورة الحسين(ع) فقد سطر الحسين (ع) ((بدمائه نهج الثورة والمواجهة للإسلام الأموي وكل صور الإسلام الزائفة التي نبعت منه، ووضع الخطوط العريضة للأمة لتبني على أساسها التصدي ومواجهة الصور الزائفة للإسلام.. ان ثورة الامام الحسين (ع) هزت واقع الأمة وشهادته زلزلتها. ووجهت ضربة قوية إلى معاوية ونهجه ايقظت الأمة من سباتها وبعثت فيها روح التحدي والمواجهة))[1] وان جذوة الحق والصمود التي اضاءها الحسين (ع) وأصحابه بدمائهم، لم تنطفئ ولم يخبُ نورها باستشهاده بل ازدادت القاً واندلاعاً على نحو يبهر الألباب[2].

وقد فسر غنيم اسراع الحجاز قبل غيره من الاقاليم الإسلامية إلى الثورة والجرأة على الانتفاض بوجه الأمويين بأنه موطن الحسين (ع) ومجمع أهله وعشيرته، وموطن زعماء المعارضة الذين رفضوا البيعة ليزيد منذ عهد معاوية ومنهم عبد الله بن الزبير الذي فرّ من المدينة إلى مكة، ولأن الجو لم يكن على ما يرام بين الانصار وبني أمية فقد كانوا يتهمونهم بالممالأة على عثمان (رض).. ولأن هذه الأقاليم كانت مجمع اعلام المهاجرين والانصار فكان النقد فيه أكثر، وكانت الرغبة في التغيير على المنحرفين أشدُ وأشهر، وكان الانصار في المدينة يرون حزم الهاشميين وشماتة الأمويين فيحزنهم ذلك ويشعرون ببعض المسؤولية فيما أصاب ذرية النبي (ص) من القتل والسر نتيجة التخلي عنهم وعدم مؤازرتهم وقد كانت حمايتهم عليهم واجبة بمقتضى البيعة التي اعطوها للرسول (ص) عند العقبة من أجل هذا كانت المدينة المنورة اسبق مدن الحجاز إلى الثورة ضد يزيد وبني أمية[3].

وقد أضاف باحثين آخرين[4] لهذه الأسباب، سبب آخر يتعلق بوجود السيدة زينب (ع) بالمدينة إذ كان ذلك كافياً ليلهب مشاعر الناس ويثيرها على حكم الأمويين لاسيما وانها كانت ((تألب الناس على القيام بأخذ ثأر الحسين، فلما قام عبد الله بن الزبير بمكة وحمل الناس على الأخذ بثار الحسين وخلع يزيد، بلغ ذلك أهل المدينة فخطبت فيهم زينب وصارت تؤلبهم على القيام للأخذ بالثأر، فبلغ ذلك عمرو بن سعيد فكتب إلى يزيد يعلمه بالخبر فكتب إليه ان فرّق بينها وبينهم، فأمر ان ينادى عليها بالخروج من المدينة والإقامة حيث تشاء))[5] وجعل عبد العليم رحيل السيدة زينب (ع) إلى مصر من أسباب حنق أهل المدينة وثورتهم[6].

---

(1) الورداني، السيف والسياسة، ص144.

(2) خالد، ابناء الرسول في كربلاء، ص153.

(3) الثورات العلوية، ص207 – 208، ينظر: ماجد، التاريخ السياسي، 82/2.

(4) كريم، اعلام في التاريخ، ص99، محمد، أهل البيت في مصر، ص101 – 102، منصور، الشقيقان، ص140 – 142، غريب، بطلة كربلاء، ص153 – 158، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص137.

(5) العبيدلي، اخبار الزينبيات، ص115 – 116، كريم، اعلام في التاريخ، ص99، محمد، أهل البيت في مصر، ص101 – 102. وقد أُبعدت السيدة زينب (ع) إلى مصر وتوفيت فيها سنة 62هـ/681م. العبيدلي، اخبار الزينبيات، ص122.

(6) سيدنا الامام الحسين، ص141 – 143.

وهكذا استطاع دم الحسين (عليه السلام) ان يركز حملة من السخط والكراهية لبني أمية بعد ان كادت تُسبغ على خلافتهم صفة شرعية بعد عام الجماعة[1].

وقد استفاد عبد الله بن الزبير من صدمة أهل الحجاز بمحنة الحسين (عليه السلام) واستغل مقتله لصالحه، فلما جاءت الأنباء بمقتل الحسين (عليه السلام)، عظّم ابن الزبير من قتله وعاب أهل العراق، ولام أهل الكوفة، وعرّض بيزيد ولهج به اشد اللهج، وكاتبه أهل المدينة وطالبوه بأن يُظهر بيعته ولكنه طلب منهم ألا يعجلوا[2]. وقد حاول مبعوث يزيد ان يهدأ المدينة ويضم اشرافها إلى جانب يزيد باستعمال المال كوسيلة للاقناع فبعث وفداً من اشراف أهل المدينة من المهاجرين والانصار إلى يزيد.. ولكنهم بعد عودتهم اذاعوا عنه كل سوء، واعلنوا خلعه فتابعهم الناس وعمت الثورة المدينة وولوا عبد الله بن حنظلة الغسيل الانصاري عليهم ليحارب يزيد ويقاوم الحكم الأموي[3].

ثارت المدينة في حنق جارف سنة 63هـ/682م، وأرسل يزيد جيشه لقمعهم، واستباح المدينة ثلاثة أيام، وقتل عدداً من أهلها[4].

وقد وثق ذلك عدد من الكتّاب المصريين، ولكنهم ألقوا باللوم على أهل المدينة لخروجهم على يزيد لأنهم لم يعدوا العدة اللازمة[5] للخروج على حاكمهم الذي لا يكفي كرهه[6] أو فسقه، عذراً للقيام بوجهه[7] فطاعة الحاكم واجبة في المعروف وإن كان فاسقاً[8]، وان ثورة أهل المدينة قد سببت فساداً كبيراً وفتنة أكثر مما كان يحدث من يزيد بن معاوية[9] وان التصدي للثورة وقمعها والقضاء عليها أمر مشروع للخليفة ولا يستطيع أحد أن ينكر عليه ذلك، ولو لم يبح المدينة لما لامه أحد على قتالهم[10].

بهذا الفكر التبريري فهم هؤلاء الباحثون ثورة الحرة، وأدانوها لأنها – كثورة الحسين – ثورة بلا عدة وعلى حكم واجب الطاعة، وله أن يقمعها، وإذا كان من بينهم – كطه حسين

---

(1) أبو علم، الحسين بن علي، ص205.

(2) الطبري، تاريخ، 259/6 – 260، الشريف، دور الحجاز، ص428 – 429، الخربوطلي، المختار الثقفي، ص90 – 91، عبد العال، الحالة السياسية، ص73.

(3) الطبري، تاريخ، 262/6 – 263، الشريف، دور الحجاز، ص430.

(4) ينظر: الطبري، تاريخ، 264/6 – 266، ابن كثير، البداية والنهاية، 222/8 – 223.

(5) شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص344، شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، 51/2 – 53، الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم، 132/2.

(6) عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص493.

(7) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص306، وينظر: شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، 51/2.

(8) فرحات، دراسة وتحقيق كتاب قيد الشريد، ص79.

(9) المصدر نفسه، ص81 – 82، ص116، الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم، 132/2.

(10) عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص492 – 493، طه حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 246/2 – 248.

ويوسف –[1] مَن لم يجز قتل الحسين (عليه السلام) من قبل الجيش الأموي، فمـا ذلـك إلاّ لقداسـة شخصه والأحاديث الثابتة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأنه سيد شباب أهل الجنة، أما أهل المدينـة فليزيد في نظرهم ان يعاقبهم على الخروج وان يردهم إلى الطاعة، وفات هذين الباحثين ان أسباب الخروج واحدة وان الإسلام الذي لا يبيح قتل الحسين (عليه السلام) هو أيضاً لا يبيح قتل أهل الحرة ليس لأنهم مقدسون وإنما لأنهم ثاروا بوجه الظالم، وانكروا منكره، ورغبـوا بتغييـر فساده إلى إصلاح[2]. ويتضح خطل المنهج المصري في الحكم علـى القـضايا التاريخيـة، والانسياق وراء التأثيرات العقيدية أو الفكرية على حساب الموقف السليم والموحد من الحدث التاريخي.

وقد شد من أزر عبد الله بن الزبير اعلان أهل المدينة ثورتهم على الامـويين، فأصـبح الحجاز في قبضته وتلقب بأمير المؤمنين[3] وقد زاد اتباعه بسبب جرائم الأمـويين، وعلـى رأسها مقتل الحسين (عليه السلام)، ومهاجمة مكة والمدينة إضافة إلى قسوتهم البالغة مع الرعيـة[4] ولم يفلح الجيش الأموي الذي أرسله يزيد بالقضاء عليه لاسيما وقد مات يزيد وتنازل ابنـه عن الحكم، فانسحب الجيش الأموي عن حصار ابن الزبير، واتجه ابن الزبير بانظاره نحـو العراق[5].

وفي العراق كان من نتائج ثورة الامام الحسين (عليه السلام) إحساس البعض بعد مقتله بـأنهم كانوا من الأسباب المباشرة لوقوع هذه المأساة بنقضهم لعهودهم، فوجدوا ان لا سبيل للتكفير عن ذلك إلاّ بالتعاهد على أخذ ثأره ممن قتله والتضحية في سبيل تحقيق ذلك بالمال والأرواح، وهكذا بدأت الدعوة إلى الأخذ بثارات الحسين (عليه السلام) تشق طريقها حثيثاً سراً وعلانية وتزداد قوة يوماً بعد يوم[6].

---

(1) الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 245/2، سيد شباب أهل الجنة، ص440 – 441.

(2) ان من بين أسباب ثورة أهل المدينة أيضاً:

الظلم الذي لحق بأهلها بقطع عطائهم وغلاء اسعارهم، ومن أسباب اصرارهم على القتال خطاب قائد يزيد مسلم بن عقبة المري فيهم يدعوهم إلى الدخول في بيعة يزيد، وانه يؤجلهم ثلاثة أيام فإن اجابوا تركهم وسار إلى مكة لقتال ابن الزبير، فصمم أهل المدينة على القتال، وعلى ألا يسمحوا له بالتوجه إلى مكة فقالوا: ((يا اعداء الله، والله لو أردتم ان تجوزوا إليهم، ما تركناكم حتى نقاتلكم، نحن ندعكم ان تأتوا بيت الله الحرام، وتخيفوا أهله، وتلحدوا فيه، وتستحلوا حرمته ؟! لا والله لا نفعل)).

ينظر: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 186/2، الطبري، تاريخ، 267/6.

(3) شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص345.

(4) محمد، حضارة الدولة العربية، ص163 – 164.

(5) ينظر: الطبري، تاريخ، 273/6 – 274، الشريف، دور الحجاز، ص433 – 434.

(6) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص312.

وكانت بداية التنظيم في الكوفة مع سليمان بن صرد الخزاعي الذي أسس جماعة التوابين[1] الذين تجمعوا وندموا على التفريط بدم الحسين (ع) واعلنوا التوبة، وساروا سنة 65هـ/684م لملاقاة جيش الشام فالتقوا بجيش عبيد الله بن زياد في عين الوردة[2] وانتهت المعركة بهزيمة التوابين وانتصار ابن زياد ومقتل سليمان وكثير من أصحابه[3]. وقد أشار عدد من الباحثين المصريين إلى تفاصيل حركة التوابين وانها من نتائج ثورة الحسين (ع) في الكوفة التي لم تبغ هدفاً سوى الانتقام لمقتل الحسين (ع) من قاتليه دون الدعوة إلى أحد من بيت علي بن أبي طالب[4].

وقد تسلم المختار قيادة التوابين – الذين نجوا من الموت – في الكوفة بعد فشل الخزاعي وبدأ يدعو للثأر من قتلة الحسين (ع)[5] وقد لاحق أصحاب المختار كل من شهد قتل الحسين (ع) فقتلوه، وهرب من يستطيع الهرب منهم إلى ممثل ابن الزبير في البصرة[6].

وقد تفاوت الباحثين المصريين في النظر إلى المختار الثقفي فمنهم من رأى فيه شخصية طموحة تقلبت بين السبل لنيل ما تطمح به من المجد والسلطان وجمع حوله التوابين وموالي الفرس[7]. ومنهم من عدّه زعيم عربي قاد ثورة ضد التفرقة العنصرية التي خالفت روح الإسلام وتعاليمه التي تحث على المساواة والحرية والاخاء[8] ونظر إليه البعض على انه

---

(1) أبو السعود، الشيعة، ص87.

(2) وهو رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة، كانت فيه وقعة للعرب ويوم من ايامهم. ياقوت، معجم البلدان، 180/4.

(3) ينظر: الطبري، تاريخ، 34/7 – 41، 53 – 67.

(4) ينظر: سرور، الحياة السياسية، ص138 – 141، أبو السعود، الشيعة، ص87 – 92، حسن، زعماء الإسلام، ص205، أبو علم، الحسين بن علي، ص202 – 203، صالح، العرب والإسلام، ص317 – 319، عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص478 – 480، النجار، الدولة الأموية في الشرق، ص83 – 84، الحوفي، أدب السياسة، ص41. وينظر: انتقاد حركة التوابين لدى: عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص481.

(5) الحوفي، أدب السياسة، ص41 – 42.

(6) ينظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص292 – 304، الطبري، تاريخ، 80/7 – 81 ؛ أبو السعود، الشيعة، ص106.

(7) النجار، الدولة الأموية، ص95 – 97، محمد، حضارة الدولة العربية، ص162 – 163، الليثي، سميرة مختار، جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، (د.م)، (بلا.ت)، ص29 – 30.

(8) الخربوطلي، عشر ثورات في الإسلام، ص121.

تجسيد لعقوبة الله للعصابة التي قتلت الحسين (عليه السلام)، أو الذين اشتركوا في العدوان على أهل بيته وأصحابه، فبمقدار ما كان الاعتداء على الحسين (عليه السلام) وصحبه اثيماً واليماً، كان الانتقام من الجناة سريعاً وحاسماً[1] وقد تصدى عبد الرازق للدفاع عنه فقال:

((ان المصادر المعادية وكتابات بعض المحدثين الذين انساقوا وراءها حاولت تفريغ ثورة المختار من محتواها ومضمونها الاجتماعي وتصويرها ثورة لتحقيق طموحات المختار الشخصية، إلا أن الواقع ان المختار تزعم المستضعفين العرب والموالي على السواء، وليس من مانع يدفع بالزعيم ان ينسلخ من طبقته ليقود ثواراً من طبقة أخرى أقل منه، ثم ان ليس ما يمنع من قبول الجمع بين تحقيق الأماني الشخصية وطموحات الجماهير والمعروف ان المختار تبنى قضية العدل الاجتماعي منذ وقت مبكر مع نظرتنا له كشيعي مخلص لمعتقده مما أهّله لقيادة العرب والموالي من المستضعفين على حد سواء، ولعل دلائل اخلاصه عديدة من رفضه الشهادة على تمرد حجر بن عدي على الامويين إلى مناصرة مسلم بن عقيل، وايوائه في بيته، ومن ثم نصرة الحسين (عليه السلام) وسجنه بسبب ذلك، ثم سعيه الحثيث للأخذ بثأر الحسين (عليه السلام)، مما أدى به إلى ان يقبع في سجن الزبيريين والامويين مرات عديدة))[2].

وقد واجه المختار الثقفي بعد سيطرته على الكوفة خطرين يتمثل احدهما بالخطر الداخلي الذي مثله الاشراف إذ وقفوا ضده، لأن حكومته تمثل تقليصاً لقدراتهم الاقتصادية لاسيما وقد كانوا وطدوا علاقاتهم مع حكام بني أمية، فالتغيير يعني القضاء على مستقبلهم ونفوذهم من جهة، ولأن المختار خرج يدعو للثأر من قتله الحسين (عليه السلام)، وكان الاشراف من المتورطين في حربه أو ممن نشروا حمايتهم على عدد كبير من القتلة من جهة أخرى، أما الخطر الخارجي فتمثل بالجيش الأموي القادم من الشام للقضاء عليه[3].

وقد تمكن المختار من الانتصار على هذا الجيش وقتل عبيد الله بن زياد[4]، إلا ان الاشراف تعاونوا مع الزبيريين في البصرة، مما سهل قتل المختار والتخلص منه[5].

وعلى هذا النحو استطاع دم الحسين (عليه السلام) بعد موته ان ينتزع العراق كله من بني أمية، وان ينشئ فيه مركزاً هاماً لمقاومة الأمويين، وظل العراق حرباً على البيت الأموي من عام 61هـ/680م وهو عام كربلاء إلى عام 73هـ/692م حيث اجتمعت الأمصار على بيعة عبد الملك بن مروان (65هـ – 86هـ/684م – 705م) فانتقل العراق من المقاومة العلنية إلى المقاومة السرية[6].

---

(1) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص324 – 325، صبيح، خصوصية وبشرية النبي، ص134.

(2) فرق الشيعة، ص23 – 24.

(3) عيسى، دم الحسين، ص121 – 123.

(4) ينظر: الطبري، تاريخ، 133/7.

(5) الدينوري، الأخبار الطوال، ص304 – 305. الشريف، دور الحجاز، ص448.

(6) الشريف، دور الحجاز، ص428.

ولم يكن ذلك خاتمة المطاف فقد جاءت ثورة زيد بن علي[1] سنة 122هـ/739م في ظروف عصيبة، بعد استشهاد الحسين (عليه السلام)، وفشل المختار، ولجوء العلويين إلى المهادنة الحذرة، أو العمل السياسي السري[2] لكن زيداً خالف هذه السياسة ورأى ان يتبع المثل الذي ضربه جده الحسين (عليه السلام) وهو مقاومة السلطان الظالم بالقوة[3]، ولكن فشلت ثورته وقُتل[4] ثم خرج ابنه في خراسان سنة 125هـ/742م وقتل كذلك[5].

وقد عدّ أحد الباحثين المصريين كلاً من زيد وابنه خارجين على الشرعية كما كان الحسين (عليه السلام) من قبل !![6].

وقد استمرت النقمة التي حاقت ببني أمية، نتيجة لمقتل الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، تلاحقهم وتنخر في عظام الدولة الأموية، حتى لم ينقض سبعون عاماً من استشهاد ابن بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حتى انهارت تلك الدولة وسقطت[7]. ولقد كاد يضيع مغزى حروب علي (عليه السلام) بين كيد اعدائه، وخيانة انصاره حتى جاء مقتل الحسين (عليه السلام) ليتبلور الشعور بالاثم على نحو لم يعرفه مذهب من المذاهب[8].

وقد ركز الباحثون والكتّاب المصريون على أثر استشهاد الحسين (عليه السلام) في عقيدة الشيعة بقوة نحو ابناء فاطمة الزهراء (عليها السلام) والتشيع لهم[9].

وقد يُفهم من هذا الرأي ان التشيع هو عملية عاطفية وليست عقلانية انتهى إليها معتنقوها بمعاناة وتقييم واعيين[10].

ومما يفند هذا الرأي ان في موقف عدد من المهاجرين والانصار ممن تخلف عن بيعة أبي بكر (رض)، ومال إلى الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) معارضة مبدئية تعبدية، لا عاطفية تقتصر على محبة علي (عليه السلام)، بل تنادي بأحقيته في الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

---

(1) ابن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أمه أم ولد، يكنى أبا الحسين، عُرف بورعه وتقواه، خرج على هشام بن عبد الملك في العراق فوجه إليه من يقاتله، فاقتتلوا وتفرق عن زيد من خرج معه ثم قتل وصُلب سنة 122هـ/739م.

ابن سعد، الطبقات، 325/5 – 326؛ الطبري، تاريخ، 234/8؛ الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص124 – 139.

(2) عبد الرازق، فرق الشيعة، ص38 – 40.

(3) الشريف، دور الحجاز، ص453.

(4) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص129 – 138.

(5) المصدر نفسه، ص150.

(6) شاه، العقائد الشيعية، ص74 – 75.

(7) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص353، النجار، الدولة الأموية، ص99.

(8) أبو علم، الحسين بن علي، ص203 – 204.

(9) النجار، الشيعة وامامة علي، ص12.

(10) الوائلي، أحمد، هوية التشيع، ط2، (د.م)، (بلا.ت)، ص23.

وتستند في ذلك إلى ما سمعته من رسول الله من مجموعة الأحاديث الدالة على فضل أهل البيت (عليهم السلام) وضرورة التمسك بحبلهم وكونهم عدل القرآن الكريم، أو تلك الأحاديث التي خصت الامام علياً (عليه السلام) نفسه بالمناقب والفضائل، أو بالوصاية والولاية، مما يدل على ان معارضتهم كانت تستند فكرياً ودينياً إلى نص نبوي عدّته عهداً إلهياً لا اجتهاداً شخصياً[1].

وقالوا بأن التشيع قبل مقتل الحسين (عليه السلام) كان رأياً سياسياً نظرياً، فلما قتل الحسين(عليه السلام) امتزج التشيع بدمائهم واصبح عقيدة راسخة في نفوسهم[2].

وقد اتفقت الليثي مع هذه الآراء فقالت بأن مصرع الحسين (عليه السلام) في كربلاء كان الحدث التاريخي الكبير الذي أدى إلى بلورة جماعة الشيعة، وجعل منها فرقة متميزة ذات مبادئ سياسية وصبغة دينية[3]، ولكن هذه الباحثة أخفقت حين قالت: ثم أخذ الشيع يأخذ طابعاً دينياً غلب فيه هذا الطابع على الجانب السياسي، فبعد أن كانت الشيعة قبل مقتل الحسين (عليه السلام) طائفة صغيرة، فإن دماء الحسين (عليه السلام).. قد ركزت الانتباه إلى مدى مظلومية واضطهاد آل البيت (عليهم السلام)[4]. والحق أن التشيع كان منذ نشوئه في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) مقروناً بأحقية آل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) بالخلافة وعلى هذا قامت معارضة قسم منهم لما حدث في السقيفة كما ذكرنا آنفاً.

ولذلك يتفق الباحث مع الجمل في ان لمصرع الحسين (عليه السلام) أثراً في تحريك الاحداث.. والوصول بالعقائد الشيعية إلى مرحلة النضج والاكتمال على ان نضع في الاعتبار ان التشيع – كظاهرة فكرية وعقائدية لا يمكن أن يكون كغيره من الظواهر الأخرى وليد كربلاء، فالظاهرة لا تظهر فجأة مكتملة النضج، وإنما لابد من أن تكون قد مرت بمراحل سابقة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه بعد مصرع الحسين (عليه السلام)[5].

---

(1) ينظر: البحث في هذه القضية، والاستشهاد باحتجاجات الصحابة الأوائل من مصادر عدة لدى: الحسناوي، المعارضة، ص154 – 161.

(2) لطفي، الشهيد الخالد، ص63، حسن، زعماء الإسلام، ص205، عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص470، الجمل، سيرة الحسين، ص7، النجار، الدولة الأموية، ص93، سرور، الحياة السياسية، ص138، وينظر: أبو السعود، الشيعة، ص84.

(3) جهاد الشيعة، ص24 – 27.

(4) المصدر نفسه، ص28 – 29.

(5) سيرة الحسين، ص8.

المبحث الثاني

المصنفات المصرية

المنهج... الاسلوب

نظرة عامة وتقويم

توزعت المادة العلمية لثورة الامام الحسين (عليه السلام) في المصنفات المصرية على وفق اتجاه تلك المصنفات وغايتها العلمية فمنها ما انفرد بكتابة سيرة الحسين (عليه السلام)، وتفاصيل ثورته بما يجعلها كتب سيرة متخصصة[1] ومنها ما كان مشتملاً على تراجم لزعماء الإسلام أو لاعلام التاريخ الإسلامي، فخصت الحسين (عليه السلام) في جانب منها[2]. ودرس قسم آخر سيرة آل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وجعل للحسين (عليه السلام) فصلاً خاصاً[3]، أو جُمعت سيرته مع سيرة السيدة زينب(عليها السلام)، لارتباط الشقيقين بالمواقف التاريخية[4]، أو ضُمت لسيرة أئمة آخرين من آل بيته(عليهم السلام)[5].

وقد كانت ثورة الحسين (عليه السلام) جزءاً مهماً في مؤلفات من كتب عن التاريخ الإسلامي العام[6]،

(1) ينظر: عبد العليم، سيدنا الامام الحسين،؛ عيسى؛ دم الحسين، العقاد، أبو الشهداء؛ النفيس، على خطى الحسين؛ أبو النصر، الحسين بن علي؛ غريب، الامام الحسين؛ قرون، عظمة الامام الحسين، يوسف، سيد شباب أهل الجنة؛ السحار، حياة الحسين، عويس، شهيد كربلاء،، مشتهري، سيد شباب أهل الجنة، لطفي، الشهيد الخالد، أبو علم، الحسين بن علي.

(2) حسن، زعماء الإسلام، ص197 – 201، كريم، اعلام في التاريخ، ص80 – 88.

(3) السيد، سيرة آل بيت النبي، ص316 – 339؛ السحار، أهل بيت النبي، ص300 – 349؛ النفيس، نفحات من السيرة، ص97 – 119، محمد، أهل البيت في مصر، ص43 – 82، أبو كف، آل بيت النبي، ص17 – 34.

(4) سيد الأهل، زينب، ص43 – 108، غريب، بطلة كربلاء، 77 – 125، سعد، السيدة زينب، ص42 – 49؛ خالد، ابناء الرسول في كربلاء، منصور، الشقيقان في كربلاء، ص14 – 22، 35 – 83، ص71 – 169.

(5) رضا، الحسن والحسين، ص55 – 80، الجندي، الامام جعفر الصادق، ص37 – 49.

(6) حسن، تاريخ الإسلام، ص398 – 400، حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص283 – 285، سرور، الحياة السياسية، ص134 – 138، ماجد، التاريخ السياسي، 67/2 – 79، كحيلة، العقد الثمين، ص152 – 154.

أو تاريخ بني أمية[1] أو تاريخ المدينة المنورة[2] فضلاً عن المصنفات التي اتخذت طابعاً فكرياً أو عقائدياً أو حضارياً[3] أو أدبياً[4]، وبعض مقدمات الكتب المحققة[5].

وقد تنوعت عناوين الكتب المتخصصة في سيرة الحسين (عليه السلام) فحمل بعضها عناوين ذات طابع تقديسي لشخصية الحسين (عليه السلام) مثل: كتاب (شهيد كربلاء) لفهمي عويس، و (عظمة الامام الحسين) لعرفات القصبي قرون، و (الشهيد الخالد) لحسن أحمد لطفي، (أبو الشهداء الحسين بن علي) لعباس محمود العقاد. و (سيدنا الامام الحسين) لمحمد محمود عبد العليم.

واتخذ بعضها الآخر من خصائص الحسين (عليه السلام) عنواناً مثل كتاب (سيد شباب أهل الجنة – ابن بنت رسول الله – الحسين بن علي رضي الله عنهما) لحسين محمد يوسف، و(سيد شباب أهل الجنة – الامام الحسين) لعبد اللطيف مشتهري.

ونحى بعضها منحى رمزياً فحمل عنوان (دم الحسين) لابراهيم عيسى، ليوحي بفاعلية تضحية الحسين (عليه السلام)، وأثرها البعيد في سقوط الدولة الأموية، والانتقام من القتلة.

ومما قاله عيسى بهذا الصدد: ((ان دماءه المراقة ستتحول إلى فيروس النهاية في جسد هذه الدولة، وان مقتله سيمثل طعنة في الغلاف الجوي الذي يحيط برئة الظالمين، ونظريات السلطة التي يقفون عندها وعليها ! شهادة الحسين بن علي ورقة اثبات مختومة بالدم على تلوث العصر وعظمة المقاومة والارتكاز على الضمير الحي ضد الضمير المشترى،

---

(1) شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي – الدولة الأموية، 195/2 – 208؛ النجار، الدولة الأموية، ص81 – 93، شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص307 – 330، عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص472 – 476، الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم – الدولة الأموية، 124/2 – 129، خفاجي، معارك فاصلة، ص32 – 33، غنيم، الثورات العلوية، ص130 – 197.

(2) عبد العال، الحالة السياسية للمدينة المنورة، ص53 – 60، الشريف، دور الحجاز، ص417 – 426.

(3) ينظر: صالح، اليمين واليسار، ص160 – 169، شاه، العقائد الشيعية، ص70 – 71، صالح، العرب والإسلام، ص311 – 318، الجبري، حوار مع الشيعة، ص246 – 248، ص252 – 256، طه حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، ص237 – 247، صبيح، خصوصية وبشرية النبي، ص13 – 77، ص77 – 105، ص106 – 116، ص123 – 125، الصدفي، الحسين ابدا، ص268 – 284، 291 – 336، ص369، أبو السعود، الشيعة، ص67 – 82، محمد، حضارة الدولة، ص159 – 160.

(4) خليف، حياة الشعر، ص67، ص126 – 132، الحوفي، أدب السياسة، ص40 – 41، الجمل، سيرة الحسين في الشعر العربي،، ص62 – 77، ص80 – 98، زيدان، رواية غادة كربلاء، عيش، رواية صوت الحسين، الشرقاوي، مسرحية الحسين ثائراً – الحسين شهيداً.

(5) فرحات، دراسة وتحقيق قيد الشريد، ص73 – 79، الجميلي، تحقيق ودراسة كتاب استشهاد الحسين للطبري، ص9 – 23.

والاعتماد على قوة القلب ضد رخاوة العقل المحكوم بالواقع والضغوط والاقتصاد والمال والسيف والسلطان))[1].

وقد توخى بعضهم لكتابه ان يجمع بين الطابع العلمي والبريق الجماهيري فأطلق عليه اسمين[2].

وأفردت في كتب التراجم للحسين (عليه السلام) مساحة تحت عناوين متميزة مثل: (الامام الحسين مجدد أراد إنقاذ الإسلام من الرجعية)[3]، أو (الحسين بن علي سبط الرسول وريحانته وسيد شباب أهل الجنة)[4] وكذلك الحال في المصنفات التي تطرقت لسيرة الحسين(عليه السلام) ضمن سيرة آل بيت النبي (صلى الله عليه وآله)[5]. أو اقتصرت على سيرته مثل عنوان: (الثورات الحسينية: النهوض بمهمة حفظ الدين)[6].

وتفاوتت المصادر الأخرى في التعريف بثورة الحسين (عليه السلام) في عناوينها فعدّه البعض ضمن الاحزاب المعارضة التي ناهضت الدولة الأموية، وبالتحديد ضمن حركات[7] أو ثورات الشيعة[8] فعدّه أحد الكتّاب ضمن 66 ثائراً على الشرعية !![9]، واطلق بعضهم عبارة

(مقتل الحسين)[10]

أو (خروج الحسين)[11]

أو (حادثة الحسين)[12]

---

(1) دم الحسين، ص54.

(2) ذكر غنيم ذلك في مقدمته فقال: ((ولأن هذا الموضوع قد تتبع الثورات العلوية في العصر الأموي عامة، وركز على الحياة السياسية للحسين وثورته على يزيد بصفة خاصة فقد أطلقت عليه اسمين. احدهما: علمي لطلابي في الجامعة وهو (الثورات العلوية في العصر الأموي). والثاني ذا بريق جماهيري وهو (الحسين بن علي امام محكمة التاريخ)...)). الثورات العلوية، ص8.

(3) كريم، اعلام في التاريخ، ص80.

(4) حسن، زعماء الإسلام، ص197.

(5) ينظر: محمد، أهل البيت في مصر، ص43، أبو كف، آل بيت النبي، ص17، السيد، سيرة آل بيت النبي، ص316، النفيس، نفحات من السيرة، ص97.

(6) النفيس، على خطى الحسين، ص59.

(7) خفاجي، معارك فاصلة، ص32 – 33، كحيلة، العقد الثمين، ص152.

(8) صالح، العرب والإسلام، ص310، أبو السعود، الشيعة، ص67، شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي – الدولة الأموية، 195/2، عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص472، وينظر: شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص307، الحوفي، أدب السياسة، ص38، سرور، الحياة السياسية، ص132.

(9) شاه، العقائد الشيعية، ص70.

(10) الجبري، حوار مع الشيعة، ص246، ماجد، التاريخ السياسي، 67/2.

(11) النجار، الدولة الأموية، ص81، حسن، تاريخ الإسلام، ص398؛ عبد العال، الحالة السياسية، ص53.

(12) الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم – الدولة الأموية، 124/2.

للدلالة على ثورة الحسين (عليه السلام) ومجرياتها. وتوسط آخرين فاختاروا عنواناً محايداً مثل (الحسين بن علي ومأساة كربلاء)[1]، أو (بين يزيد والحسين بن علي)[2]، وقد خرج صاحب العنوان الأخير عن حياديته أثناء معالجته للأحداث فعدّ الحسين (عليه السلام) قد ((خرج في عصيان للخلافة، وثورة على الدولة الحاكمة))[3].

لقد خلت بعض كتب المصريين المختصة بسيرة الحسين (عليه السلام) من مقدمات توضح الغاية من الكتاب، أو أهميته، أو ابرز القضايا التي رغب الكاتب بالوقوف عليها[4] بينما حفلت كتب أخرى بمقدمات ممنهجة – إذا صح التعبير – وضحت غاية المؤلف من الكتاب، ونقده للمصادر المختلفة (القديمة والمعاصرة) والإشارة إلى أهم المصادر التي اعتمدها، ومنهجه الذي سار عليه في مؤلفه، ولمحه عن ابرز استنتاجاته[5].

وقد تباينت غاية الكتّاب والباحثين من الالتفات إلى تدوين سيرة الحسين (عليه السلام)، فقد رأى أبو علم ان المؤرخين والباحثين قد انصبت عنايتهم على تاريخ السلطة الحاكمة التي تسبغ على نفسها الشرعية أما الثورات التي تمثل الجانب الأخر من قصة الحكم في الإسلام فقد عولجت بصورة جانبية[6]، ولذلك جاء كتابه في دراسة حياة الحسين (عليه السلام) لأنه رأى انها ((تجمع التاريخ كله فليس معناها في حدود ما وقعت من الزمان والمكان، بل حدودها حيث لا تتسع لها حدود – وهي بعد ذلك حديث الشخصية الكاملة من اقطارها ففيها القدوة الصالحة، وفيها المثل الاسمى للإنسان الكامل، والصراط السوي للمسلم القرآني – وربما امتازت سيرة هذه الشخصية بشيء آخر عن الشخصيات التاريخية بأنها تقع في مضاعفات بيرة تجمع شتى الصور بحيث تعطي في كل صورة شخصية فذة وإنسانية رفيعة))[7].

وبيّن عويس غاية كتابه العلمية بالقول: ((رأيت الفئام من الناس قد ذهبوا في تفسير سبب حركة الحسين رضي الله عنه مذاهب شتى، وخبط بعضهم خبط العشواء في رواية أصدق الانباء لذلك وجدت ان تحريرهم من رق الخرافات من أوجب الواجبات، حتى يماط اللثام عما غشى الافهام من غياهب الجهالة، وتراث الضلالة))[8].

وإلى ذلك ذهب يوسف حين أراد ان يحقق ما يتصل بأحداث الثورة من ((شبهات بما يمكن القارئ من الحصول على الصورة الصادقة للوقائع، والبواعث الحقيقية لها، والآثار

---

(1) محمد، حضارة الدولة، ص159.

(2) حسن، التاريخ الإسلامي، ص283.

(3) المصدر نفسه، ص285.

(4) ينظر: السحار، أهل بيت النبي؛ لطفي، الشهيد الخالد؛ قرون، عظمة الامام الحسين، رضا، الحسن والحسين.

(5) ينظر: يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص9 – 16، غنيم، الثورات العلوية، ص6 – 8.

(6) الحسين بن علي، ص10.

(7) الحسين بن علي، ص8.

(8) شهيد كربلاء، ص5.

البعيدة التي ترتبت عليها وبما يبدد ظلمات الشكوك والأوهام، التي تكاثفت على مرور القرون حول كثير من الشخصيات البارزة في تاريخ الإسلام، ويدحض الكثير من الاتهامات الكاذبة التي وجهت إليهم))[1]. فذكر ان بعض كتابات المعاصرين انحرفت عن الحقيقة الواقعة في اتجاهين متعارضين بتأثير انفعالاتهم النفسية، ونزعاتهم الشخصية، فمنهم من دفعته العاطفة بحب الحسين وأهل بيته، والحماسة الجارفة لما اشتهروا به من سمو في الخلق، ونبل في المعاملة، وفروسية وبطولة، واباء وشمم فتحاملوا على خصوم أهل البيت، وكل من اتصل بهم..، ومنهم من دفعه الغرور والغفلة أو ضعف العقيدة وفساد الذوق، أو الشعور بالقصور عن ادراك المقام الكريم لأهل البيت بصفة عامة وابناء الرسول بصفة خاصة، فتحاملوا على الحسين (رضي الله عنه)، فاتهموه بما هو براء منه من استبداد بالرأي، وإثارة للفتنة، وتفريق لكلمة الأمة، وإلقاء بنفسه وأهله في التهلكة[2]. ولذلك نوّه بمنهجه في بحث الروايات المتناقضة، وتمحيص الشبهات[3].

وقد اندفع آخرون بدوافع العاطفة والمحبة لآل بيت النبي (ﷺ) إلى التأليف عن حياة الامام الشهيد[4]، أو لغاية دينية هي التقرب إلى الله تبارك وتعالى وإلى رسوله (ﷺ) وآل بيته الطاهرين، وجمع القلوب على محبة الحسين وآل بيته الأطهار[5]، ورجوع ((كثير من الناس إلى حضن النبي (ﷺ) وحب أهل بيته))[6].

وحاول أحدهم من خلال قضية الحسين (عليه السلام) ان يستشرف مستقبل يُفك فيه الاشتباك التاريخي بين السنة والشيعة – وهو الناجم في جزء كبير منه عن المعالجة المغلوطة للنصوص – بما يؤسس وعيا توحيدياً لبنية النظام الإسلامي[7].

ولم يفت كُتّاب سيرة الحسين (عليه السلام) الإشارة إلى غاية هامة وهي الاهتداء بسيرة الحسين (عليه السلام) روحياً، لما فيها من غذاء للروح، وما في ذكر الصالحين، وتعداد مآثرهم من حافز للهمم، ومجدد للضمائر[8]. والإقتداء بسيرته العطرة إذ ان ((القارئ لتاريخ الامام الحسين

---

(1) سيد شباب أهل الجنة، ص12، وينظر: غنيم، الثورات العلوية، ص6، أبو النصر، الحسين بن علي، ص5.

(2) يوسف، سيد شباب اهل الجنة، ص12 – 13.

(3) المصدر نفسه، ص14.

(4) غريب، الامام الحسين، ص9.

(5) عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص3، ص7، صبيح، خصوصية وبشرية النبي، ص10.

(6) صبيح، خصوصية وبشرية النبي، ص11.

(7) الصدفي، ابدا حسين، ص7. وينظر: ما ذكر أبو النصر ختاماً به كتابه من دعوة للوحدة الإسلامية ومما قاله: ((... وكل أملنا ان يلاقي كتابنا هذا ما يستحقه من تأييد وان يسير سبيله بين المسلمين موحداً صفوفهم، مؤيداً رغبة الامام في الوحدة، عاملاً على اقرار رغائبه ومبادئه وما كان يعمل له ويسعى إليه)). الحسين بن علي، ص155.

(8) مشتهري، سيد شباب أهل الجنة، ص5 – 6، كريم، اعلام في التاريخ، ص20.

يرى فيه المثل الأعلى للإباء، والشمم، والمروءة، والكرم، والعلم والحلم، والفضيلة، والعفة، والصدق، والأمانة، والعبادة، والزهد، والنصح للأمة))[1].

وقد وقف آخرين عند استلهام السيرة الصالحة للاقتداء بأخلاقها ومنهاجها على نطاق الأمة فقال مشتهري: ((ان محبة الشيء تتولد من تعظيمه، وتعظيمه يأتي من معرفة أحواله، وتلك المعرفة تتوقف على دراسة سيرته، فحبذا لو عني كل محب للصالحين، وكل محتفل بذكراهم بمطالعة حياتهم وأعمالهم التي صاروا بها صالحين، ثم حاول ان يحول كل هذا في نفسه أخلاقاً ومنهاجاً منفذاً واتخذه وصايا يوصي بها غيره فبهذا تأخذ محبتنا صبغة الجدية، ولا نكون بالعبث الفارغ.. اضحوكة الأمم، وسخرية الاجانب الذين درسوا من سير صالحينا ما لم ندرس، ووقفوا من مجدهم وعظمتهم على ما لم نقف، بل كشفوا من نواحي البطولة وسر المثالية الحقة فيهم ما كنا نحن أولى بكشفه))[2]. فالعرب والمسلمون في حاجة ماسة إلى التضحية والفداء وايثار الموت الكريم في سبيل المثل التي يؤمنون بها، والمبادئ التي يدعون إليها، وقضية الحسين هي خير ما يعطيهم هذه الدروس ويبلغ بهم هذه الغاية، فإن إيمان الحسين رضي الله عنه بالسياسة المثالية للنبي عليه الصلاة والسلام والراشدين من بعده واستشهاده رجع أضوائها، وإعادة مثلها، قد كان وما يزال لحناً يشدو به الزمان على قيثارة البطولة[3].

بل ان مصر كانت في أعقاب نكسة حزيران 1387هـ/1967م في حاجة إلى تذكر بطولات كربلاء، في رأي أحد كتّاب السيرة، فرأى ان تخليد كربلاء وتذكر بطولاتها هو خطوة للتهيؤ باتجاه المعركة المرتقبة مع اليهود، فهي دعوة للثأر والتضحية والاستبشار بالنصر [4].

وقد ذكر آخرون ان غايتهم من كتبهم هي الاشادة بيوم كربلاء الذي كان له سمته المجيدة وميزته الفريدة فإن ((اعظم ما صنع الحسين وأهله وصحبه في ذلك اليوم هو انهم جعلوا الحق قيمة ذاته، ومثوبة نفسه فلم يعد النصر مزية له ولم تعد الهزيمة ازراء به !!))[5].

فكانت غاية احدهم معرفة الحلقة الجوهرية في مسلسل الصراع بين الحق والباطل، وللكشف عن ان الموقف الحسيني معيار وقدوة، ومواجهة إمام الحق لإمام الباطل حيث تتبين الحقيقة وتقام الحجة وتستنهض الأمة، فكربلاء مثلت نهجاً في مقاومة الطغيان، وشقت دربا يسير على هديه الساعون إلى الحق[6].

---

(1) أبو علم، الحسين بن علي، ص7، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص3.

(2) سيد شباب أهل الجنة، ص7 – 8.

(3) غنيم، الثورات العلوية، ص6.

(4) منصور، الشقيقان في كربلاء، ص3 – 5.

(5) خالد، ابناء الرسول في كربلاء، ص8، وينظر: عيسى، دم الحسين، ص8.

(6) النفيس، على خطى الحسين، ص5 – 6.

يتضح مما تقدم ان غاية كُتّاب السيرة تجتمع في أهداف بحثيـة علميـة، أو إصـلاحية تربوية تستلهم القدوة الصالحة لأغراض دينية وأخلاقية وإسلامية ووطنية، فضلاً عن غايـة الامتاع[1] والتوعية[2] التي استهدفتها بعض المؤلفات الأدبية.

وقد أشاد بعض كُتّاب السيرة بمؤلفاتهم – ربما للفت انظار القراء إليهـا – فـذكر أبـو النصر ما قدمه من جديد في سيرة الحسين (عليه السلام) فقال: ((وكتابنا هذا يعرض تاريخ الامـام الحسين عرضاً جديداً، فيتناول الأسباب التي حدت بالامام إلى المطالبة بالخلافـة والتـشمير نحو الكوفة، ثم يتبسط في ذلك تبسطاً أقره المنطق، وروج له وفرة الأخبار، وأيده العقل،... مما نحسب انه من الظرافة بالمكان الأرفع خصوصاً ما عرضنا له من بحـوث مستـشرقي الفرنجة في هذا الموضوع، وبذلك خرج كتابنا والحالة هذه ينتظم في جدة نظن انها تصادف التأييد المرغوب عند جمهرة القراء ومحبي الامام، وعشيرته وآل بيته صـلوات الله علـيهم أجمعين))[3].

وقد لمح آخرون إلى قيمة ما كتبوه، فضمن صبيح ذلك في دعائه لله العلـي العظـيم أن يكون كتابه ((أعلى، وأقيم، وأنور، وأعظم ما كُتب عن مولانا وسـيدنا سـيد شـباب أهـل الجنة..))[4].

وتحدث آخر عن ان من المفترض أن يكون كتابه (أبداً حسين) دراسة أكاديميـة لنيـل درجة جامعية في تخصص المعتقدات الشعبية بعنوان: الحسين بن علي في المعتقد الـشعبي المصري، إلا انه عزف عن تقديم هذه الدراسة بهذا العنوان والمحتوى، لأمرين: الأول مـا لاحظه من غياب أو تغييب الحدث الأساس المرتبط بالحسين (عليه السلام) (الخروج والاستـشهاد) تغييباً يكاد يكون مطلقاً، ووقوع استبدال وخلط مصاحبين للاحتفاء بـذكرى الحـسين (عليه السلام)، حين تسود مظاهر احتفالية انشراحية في مواقف استدعاء الحزن النبيل وكلتـا الملاحظتـين تشيان بعدم البراءة، أما الأمر الثاني فهو اختلافه مع الاساتذة المشرفين – علـى تعـاقبهم – حيث أريد له قصر البحث على المرحلة الوصفية، كما اختلف معهم في زاوية الرصد ويعلق على ذلك فيقول: ((كلا الاختلافين ربما لا يتواجدان في ظل مناخ أكثر سماحة، وتبنيا لمفهوم

---

(1) ينظر: زيدان، غادة كربلاء، عيش، صوت الحسين.

(2) الشرقاوي، مسرحية الحسين ثائراً، الحسين شهيداً.

(3) الحسين بن علي، ص6.

(4) خصوصية وبشرية النبي، ص11، وينظر: يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص21.

حرية البحث العلمي))[1]. وقد دفعه ذلك إلى صرف النظر عن الدرجة الجامعية مستعيضاً عنها بشرف المساهمة في جلاء قضية الحسين (عليه السلام)[2].

وتُلقي هذه الشهادة من الصدفي ضوءاً على طبيعة المكتوب اكاديمياً عن الحسين (عليه السلام)، لتحكم عوامل متعددة: سياسية ومذهبية واجتماعية تجعل المكتوب يقتصر على المعالجات الوصفية، وقد وُجدَ مصداق ذلك فيما كُتب عن الحسين (عليه السلام) في كتب التاريخ العام، وتاريخ الأمويين – وهي في أغلبها كتباً أكاديمية – إذ عمدت هذه الكتب إلى الاختصار والاقتضاب في عرض ثورة الحسين (عليه السلام) تاريخياً دون تعليق أو تحليل أو مناقشة[3].

أما من حيث تبويب المادة العلمية التي تخص ثورة الحسين (عليه السلام)، فقد اختلف كتّاب السيرة فيها فمنهم من قسّم كتابه إلى مقدمة وتمهيد وعدة فصول وخاتمة، مثل النفيس الذي جعل مادته تنقسم إلى اربعة فصول[4]، وخالد الذي قسمها إلى سبعة[5] وعبد العليم الذي رتبها في تسعة[6] ويوسف الذي جعلها اثنين وعشرين فصلاً[7].

ومنهم من لم يتبع هذا اللون من المنهجية وإنما قسموا المادة إلى عناوين رئيسة تتفرع إلى عناوين صغيرة[8] واتجه احدهم إلى تقسيم كتابه إلى جزئين حسب مضمونه، الجزء

---

(1) الصدفي، الحسين أبداً، ص5.

(2) المصدر نفسه، ص6.

وقد أطلع الباحث على إشارة لاطروحة الماجستير التي كان يزمع الصدفي تقديمها إلى أكاديمية الفنون – المعهد العالي للفنون الشعبية للدراسات العملية بالقاهرة في موسوعة الشيعة في العالم، ومما قاله في هذا المجال: ((ودراسة الحسين بن علي في المعتقد الشعبي تتطلب ما يلي:

1- دراسته (بالإضافة إلى ولايته) من خلال المعتقد الشعبي في آل البيت بشكل عام.

2- دراسة المعتقد الشعبي في السلسلة المنتسبة إليه (الاشراف).

3- دراسة بعض الأفكار المرتبطة به وتتبعها من خلال المصادر المختلفة كأفكار: الغيبة، العودة، المسيح الدجال، المهدي المنتظر، يوم عاشوراء (العاشر من محرم)، الاربعين (20 صفر)، فكرة الفداء بالدم وخلاص العالم بين المسيح والحسين، بين يحيى بن زكريا والحسين..)). الشيعة في مصر، ص276 – 277.

(3) ينظر: سرور، الحياة السياسية، ص134 – 138، حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص283 – 285، ماجد، التاريخ السياسي، 67/2 – 79.

(4) على خطى الحسين، ص151 – 152.

(5) ابناء الرسول في كربلاء، ص173.

(6) سيدنا الامام الحسين، ص206 – 207.

(7) سيد شباب أهل الجنة، ص469 – 479.

(8) ينظر: العقاد، أبو الشهداء، ص429 – 432، أبو علم، الحسين بن علي، س213 – 214، أبو النصر، الحسين بن علي، ص157، قرون، عظمة الامام الحسين، ص ، عويس، شهيد كربلاء، ص255 – 256، لطفي، الشهيد الخالد، ص64.

الأول عن ثورة الحسين (عليه السلام) وتفاصيل معركة الطف، وينقسم إلى عناوين صغيرة، والجزء الثاني عن نتائج الثورة ومظاهر الانتقام وينقسم إلى عناوين فرعية أيضاً[1].

وقد ذهب كتاب السيرة طرائق شتى في وضع الخطة الشاملة التي تجمع ابعاد قضية الحسين (عليه السلام)، فمنهم من بدأ باستعراض تاريخ النزاع بين أمية وهاشم وعدّه أحد أسباب التنافس والخصومة فضلاً عن أسباب العصبية، والسياسة، والعاطفة الشخصية، واختلاف لخليقة.. والنشأة والتفكير[2].

وقد فسر غنيم هذا الاتجاه باستعراض تاريخ أمية وهاشم قبل البدء بالتفاصيل الأخرى لسيرة الحسين (عليه السلام) فقال: ((ويبدو لي ان هذه العداوة هي التي رسمت للتاريخ الإسلامي طريقه وحددت له سبيله، وصبغته بلونه الذي هو عليه، وانه لولاها لكان له نهج غير نهجه، ولون غير لونه، ومن هنا كانت دراسة العلاقة بين هذين البيتين وتتبع أطوارها أمراً ضرورياً لفهم الأحداث وتفسير الوقائع والظروف التي لا بست حياة المسلمين حتى آلت مقاليد الحكم إلى العباسيين في القرن الثاني لهجرة النبي عليه الصلاة والسلام))[3].

ويرى الباحث ان هذه الخطة قد سبق إليها العقاد، وتبعه آخرين إلى التأثر به فنسجوا على منواله ولاسيما أن العقاد له قصب السبق والريادة في الكتابة عن الحسين (عليه السلام) إذ صدرت طبعة كتابه الأولى سنة 1348هـ/1929م، والثانية سنة 1364هـ/1944م[4] ولم تكن قد ظهرت بعد طبعتي الكتابين (الشهيد الخالد)[5]، و (شهيد كربلاء)[6] وهما أقدم من سار على طريقة العقاد.

وقد فصّل هؤلاء الكتّاب في منزلة الحسين (عليه السلام)، وولادته، ورعاية النبي (صلى الله عليه وآله) له، وعرضوا صفاته وأخلاقه وعبادته، وجهاده ثم مقارنة ذلك بما عرف عن يزيد من صفات، ثم مطالبة يزيد للحسين (عليه السلام) بالبيعة وتفاصيل دعوة أهل الكوفة للحسين (عليه السلام) ومسيره إليهم حتى استشهاده، ونتائج هذا الاستشهاد في الحجاز والكوفة[7].

ومن الكتّاب المصريين من بدأ دراسة سيرة الحسين (عليه السلام) منذ فترة النزاع بين الامام علي (عليه السلام) ومعاوية، وامتداد ذلك النزاع حتى خلافة الحسن (عليه السلام)، ثم خلافة الحسن (عليه السلام)

---

(1) ينظر: عيسى، دم الحسين، ص164 – 165.

(2) العقاد، أبو الشهداء، ص91 – 130، لطفي، الشهيد الخالد، ص8 – 91، عويس، شهيد كربلاء، ص7 – 9، قرون، عظمة الامام الحسين، ص3 – 8، غريب، الامام الحسين، ص13 – 15، غنيم، الثورات العلوية، ص9 – 16.

(3) الثورات العلوية، ص10 – 11.

(4) ينظر: حاشية التحقيق لكتاب أبو الشهداء للعقاد، ص64.

(5) طبع كتاب أحمد لطفي الطبعة الأولى سنة 1367هـ/1947م.

(6) طبع كتاب فهمي عويس الطبعة الأولى سنة 1368هـ/1948م.

(7) العقاد، أبو الشهداء، ص91 – 197، لطفي، الشهيد الخالد، ص18، عويس، شهيد كربلاء، ص101 – 115، غريب، الامام الحسين، ص33 – 143، قرون، عظمة الامام الحسين، ص42 – 50.

وملابساتها، وملك معاوية وبعض سيرته، وبيعة يزيد ورحلة الحسين (عليه السلام) إلى مكة ثم تفاصيل وصوله إلى كربلاء واستشهاده[1]، وقد سار أبو النصر والنفيس في تبويب كتابيهما على هذا الترتيب بيد ان أبا النصر بدأ كتابه بنبذة عن آل البيت (عليهم السلام) وحقهم في الخلافة منذ السقيفة[2]، وبدأه النفيس بالمروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) في عدد من الكتب التاريخية في نصرة الحسين (عليه السلام)[3].

واشترك كل من أبي النصر[4] والجمل[5] في اعطاء نبذة عن حياة الحسين (عليه السلام) منذ ولادته ورعاية النبي (صلى الله عليه وآله) له، ومكانته لدى الصحابة والخلفاء، وما أثر عنه من مناقب وصفات ومحاسن ليكون مجالاً للمقارنة بينه وبين يزيد بن معاوية وفيما أثر عنه.

وسرد بعض كتّاب السيرة حياة الحسين (عليه السلام) منذ ولادته، ونسبه ونشأته ومنزلته عند جده (صلى الله عليه وآله)، ومكانته لدى الصحابة والخلفاء، ثم حياته في خلافة الامام علي (عليه السلام)، والامام الحسن (عليه السلام)، ثم ذكر شمائله، وصفاته، وعلمه، وفقهه، وأدبه، وبلاغته وما روي من كلامه المنظوم نثراً وشعراً، وعبادته، وورعه، وأخوته، وزوجاته، وأولاده ثم بيان موقفه من بيعة يزيد ومسيره إلى مكة ومن ثم إلى الكوفة، حتى نزوله بكربلاء واشتعال اوار معركة الطف، واستشهاد الحسين (عليه السلام) ونتائجه[6].

وقد قدم مشتهري ملخصاً عن حياة الحسين (عليه السلام) جعل محوره فضائل الحسين (عليه السلام)، وميزاته، وبدأ كتابه بمحبة المؤمنين للامام مستنداً على آيات القرآن التي تفرض المودة لقربى النبي (صلى الله عليه وآله)، وأحاديث رسوله (صلى الله عليه وآله) الدالة على ذلك، وقصة نزول آية التطهير فيهم، وقصة وفد نصارى نجران، ثم تعهد النبي (صلى الله عليه وآله) برعاية الحسين وتربيته، والاشادة بمنزلته، واجلال الصحابة للحسين (عليه السلام)[7]، ثم نسب الحسين (عليه السلام) (أمه، أبوه، جده، جدته لأمه، جده لأبيه، جدته لأبيه) وأعطى ذلك عنواناً: ((انظر إلى هذا النسب العريق للحسين، ثم احكم))[8] ثم

---

(1) خالد، ابناء الرسول، ص13 – 147، الجمل، سيرة الحسين، ص1 – 104، أبو النصر، الحسين بن علي، ص17 – 151، النفيس، على خطى الحسين، ص15 – 147.

(2) الحسين بن علي، ص10 – 16.

(3) على خطى الحسين، ص8 – 9.

(4) الحسين بن علي، ص35 – 43.

(5) سيرة الحسين، ص61 – 77.

(6) عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص11 – 144، أبو علم، الحسين بن علي، ص13 – 170، يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص54 – 70، ص91 – 114، ص169 – 173، ص177 – 195، ص199 – 253، ص445 – 457.

(7) سيد شباب أهل الجنة، ص12 – 23.

(8) المصدر نفسه، ص27.

عرج على بعض صفات الحسين (عليه السلام)، وبره وكرمه وشجاعته، وقوة بيانه، وحلمه وتواضعه، وعرض شيء من حكمه ونصائحه[1]، ثم ذكر باختصار ابرز التهم الموجهة للحسين (عليه السلام)، ورد تلك التهم تحت عنوان: ((دفاع عن الحسين))[2] ثم ذكر العبرة من استشهاده[3]. وقد ابتعد مشتهري عن التطويل في تفاصيل مسير الحسين (عليه السلام) إلى مكة، أو إلى كربلاء، ولم يغفل بعض مواقف الحسين (عليه السلام) ليستشف منها صفاته كرسالته إلى معاوية التي يذم فيها ولايته واستدل بها على شجاعة الحسين (عليه السلام) الأدبية ومما قاله في ذلك:

((ولقد كان امامنا أبو عبد الله الحسين في هذه القوة الروحية، والشجاعة المعنوية الفارس الذي لا يُدرك كان يصدع بأمر الله وبما يعتقده الحق مهما لاقى في سبيله لا يثنيه شيء دون الانتصار لله أو الموت في سبيله، ها هو يكتب لمعاوية في ابان جبروته وسطوته))[4].

وقد كانت تلك التفاتات نابهة من المؤلف تغنيه عن الاستعراض المطول، وهو لم يُهمل الإشارة إلى ذلك الخلاف في قضية ثورة الحسين (عليه السلام)، والاتهامات التي قيلت بشأن خروجه إلى الكوفة، ومحاولة رد تلك الاتهامات، وتصويب عمل الحسين (عليه السلام)[5].

وقد نهج عيسى من بين كُتاب السيرة نهجاً مختلفاً فبدأ كتابه بعنوان (أنت يا حرُ حرّ)[6] ارداً بلغة عاطفية جياشة تفاصيل انضمام الحر الرياحي للحسين (عليه السلام)، ثم يستمر بتفاصيل طلب والي المدينة من الحسين (عليه السلام) مبايعة يزيد، واستدعاء الكوفيين للحسين (عليه السلام)، حتى استشهاده (عليه السلام)، ليبدأ الجزء الثاني فيورد تفاصيل انتقام المختار من قتله الحسين (عليه السلام)، وما حاق بهم من انتقام[7].

وفي كتب التراجم لم يكن المؤلفون عادة في مقام التبويب أو التطويل إذ عرضوا لحياة الحسين (عليه السلام) باختصار ضمن مجموعة من الاعلام الذين تُرجم لهم، فكان الحسين (عليه السلام) واحداً من 75 شخصية إسلامية من الصحابة والتابعين في كتاب كريم[8]، فبدأ ترجمة الحسين(عليه السلام) من مقتل الخليفة عثمان ليشير إلى انقسام دولة الإسلام، وتأسيس الملك العضوض من معاوية، وتطلع الحسين (عليه السلام) إلى العدل، ثم محاولة أخذ البيعة ليزيد من

---

(1) سيد شباب أهل الجنة، ص23 – 26، ص33 – 54.

(2) سيد شباب أهل الجنة، ص55 – 57.

(3) المصدر نفسه، ص58.

(4) مشتهري، سيد شباب أهل الجنة، ص44 – 45.

(5) المصدر نفسه، ص55 – 58.

(6) دم الحسين، ص13.

(7) المصدر نفسه، ص13 – 162.

(8) اعلام في التاريخ الإسلامي، ص379 – 382.

الحسين (عليه السلام) وذهابه إلى الكوفة، ومن ثم استشهاده، ثم رد المؤلف للقول المشهور: ان الحسين (عليه السلام) قد قُتل بسيف جده لأنه خرج على امام المسلمين، ونزه خروج الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة من رغبة في خلافة أو لهدف دنيوي أو معنوي[1]. وقد اكتفى باشارة بسيطة إلى مزايا الحسين (عليه السلام) وصفاته دون تفصيل[2].

وكان الحسين (عليه السلام) في كتاب حسن إبراهيم حسن من بين واحد وثلاثين من زعماء المسلمين من البعثة النبوية إلى آخر العصر الأموي، فعرض باختصار لمولده وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله)، فيه ورعايته له، واحترام الخلفاء الراشدين لشخصه، ثم سرد تفاصيل ثورته سرداً تاريخياً مقتضباً، ثم ذكر نتائج ثورة الحسين (عليه السلام) على عقيدة الشيعة، وخروج التوابين بدعوى الثأر للحسين (عليه السلام)، ثم أشار إلى بعض مظاهر عاشوراء لدى من اسماهم الأمويون السنيون من حيث الابتهاج والاحتفال، واظهار الفرح والسرور، والشيعة من انصار علي بن أبي طالب من حيث اتخاذ يوم عاشوراء مأتماً، يبكون فيه الحسين، ويظهرون اشد مظاهر الحزن والأسى لفقده[3].

أما الكتب التي عُنيت بسيرة آل بيت النبي (صلى الله عليه وآله)، فقد خصت الحسين (عليه السلام)، بمكانة مميزة بين عناوينها، وتقسيماتها، فتحت عنوان (الامام الشريف، سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) وريحانته من الدنيا ومحبوبه..)، عقد السيد للحسين (عليه السلام) فصلاً تحدث فيه عن القابه، ونسبه، ومولده، ووصفه الخلقي، وذكر فضائله مبتدءاً بأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيه، ومحبته له، ودعوته إلى حب الحسين (عليه السلام)، واكرام الصحابة للحسن والحسين (عليهما السلام)، ثم تفاصيل خروج الحسين (عليه السلام) إلى مكة، ونصائح الناصحين إليه بعدم الخروج إلى الكوفة، ثم وصوله إلى أرض كربلاء وشهادته، وذكر من استشهد مع الحسين (عليه السلام) باسمائهم، والحوار بين يزيد وزين العابدين بالشام، ثم انتقام الله من عبيد الله بن زياد بقتله على يد المختار[4].

وقد سار على النهج نفسه وبصورة أكثر تفصيلاً محمد[5]، وبصورة أكثر اختصاراً أبو كف[6] والنفيس[7]. وقد ركز السحار من بينهم على تفاصيل ثورة الحسين (عليه السلام) من المدينة وحتى كربلاء تاركاً الوقوف على الترجمة الشخصية من حيث المولد والنشأة، والصفات والمناقب[8].

---

(1) اعلام في التاريخ الإسلامي، ص80 – 88.

(2) المصدر نفسه، ص81.

(3) زعماء الإسلام، ص197 – 207.

(4) سيرة آل بيت النبي، ص316 – 332.

(5) أهل البيت في مصر، ص43 – 82.

(6) آل بيت النبي، ص17 – 28.

(7) نفحات من السيرة، ص97 – 113.

(8) أهل بيت النبي، ص300 – 349.

وفي كتب السيرة المشتركة بين الحسين (عليه السلام) والسيدة زينب (عليها السلام) كـان للحـسين (عليه السلام) أحياناً النصيب الأكبر من الصفحات والتبويب مثل كتاب (الشقيقان في كربلاء) إذ بدأ الكتـاب بالتعرض لتاريخ العداوة بين أمية وهاشم، ثم طفولة الحسين (عليه السلام) ورعاية النبـي (صلى الله عليه وآله) لـه، وخصاله الحميد، ورفضه لبيعة يزيد ورحيله إلى مكة ثم إلى الكوفة وتفاصيل المعركـة فـي كربلاء[1]، واحتلت التفاصيل المكتوبة عن الحسين (عليه السلام) ثمانية فـصول: (الفـصل الثـاني، والثالث، والخامس، والسادس، والسابع، والثامن، والتاسع، والعاشر)، بينما خُـصص للـسيدة زينب (عليها السلام) ثلاثة فصول فقط هي: (الثالث، والحادي عشر، والثاني عشر)[2].

وقد وازن سيد الأهل في سيرة السيدة زينب (عليها السلام)، ويوم الطف في كتابه إذ جعل نصفه للسيدة زينب (عليها السلام) قبل الطف وبعدها، ونصفه تقريباً لوقائع ثورة الحسين (عليه السلام) منذ البيعـة ليزيد وحتى الاستشهاد[3].

وقد مرّ كل من غريب[4]، وسعد[5] على تفاصيل ثورة الحسين (عليه السلام) منذ بيعـة يزيـد وحتى مأساة كربلاء باختصار تاركين المساحة الأكبر لسيرة السيدة زينب (عليها السلام) وما مرّ بها من أحداث.

وفي السيرة المشتركة بين الحسن والحسين، وازن أحد الكتّاب المصريين بين سـيرتهما، فشغل كل منهم ما يقارب (35) صفحة، وقد استوعب في ترجمة الحسين (عليه السلام) المواضـيع التالية: نسبه، ولادته، وصفه، خُلقه، اولاده، الأحاديث الواردة في حقه، روايته عن رسـول الله (صلى الله عليه وآله)، كراماته، وموقفه من صلح الحسن (عليه السلام)، ثم كتب أهل الكوفة إليـه، واراء مـن خالف الحسين (عليه السلام) في الخروج إلى الكوفة، ثم تفاصـيل وصـوله إلـى كـربلاء حتـى استشهاده[6].

وقد عزف الجندي عن هذا الاسلوب عندما خص الحسين (عليه السلام) بالفصل الثاني من كتابه، وبدأ من السنوات الست التي بدأ الانكار فيها على الخليفة عثمان (رض)، ثم خلافتي الامـام علي والحسين (عليهما السلام)، وحكم معاوية، وبيعة يزيد، ثم عرض تفاصيل ثـورة الحـسين (عليه السلام) اقتضاب في صفحتين إلاّ انه ركز على الدروس والعبر المستخلصة من كربلاء[7].

---

(1) منصور، الشقيقان في كربلاء، ص6 – 22، ص35 – 114.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص149 – 151.

(3) زينب بنت علي، ص20 – 35، ص43 – 108، ص108 – 174.

(4) بطلة كربلاء، ص77 – 109.

(5) السيدة زينب، ص41 – 56.

(6) رضا، الحسن والحسين، ص53 – 98.

(7) الامام جعفر الصادق، ص37 – 60.

وقد أختصرت قضية الحسين (عليه السلام) في كتب التاريخ العام التي عرضت لثورته ضمن الحركات السياسية والدينية المعارضة لبني أمية واقتضبت تفاصيلها، مما أثر على طبيعة المعالجة والاستنتاج[1].

وقد سارت على هذا النهج الكتب التي تخصصت في تاريخ الدولة الأموية فاستعرضت ثورة الحسين (عليه السلام) ضمن ثورات الشيعة أو عهد يزيد وقدمت عرضاً مبتسراً[2]، وقد كان أوسعهم في ذلك شاهين الذي كان مشغولاً بتبرير موقف الأمويين، وتكذيب الحوادث التاريخية التي أشار إليها ناقلوا مقتل الحسين (عليه السلام)[3].

أما الكتب التي اختصت بتاريخ المدينة المنورة أو الحجاز، فمنها ما أشار إلى ((خروج الحسين بن علي وواقعة كربلاء ومقتله))[4] في فصل خاص مختصراً الأحداث التاريخية التي احاطت بالبيعة، والمقتل دون سرد تفاصيل الطريق أو المعركة[5]، ومنها ما لم يفرد لثورة الحسين (عليه السلام) فصلا أو باباً أو موضوعاً مستقلاً وإنما تحدث عنه ضمن بيعة يزيد وما أعقب ذلك من امتناع الحسين (عليه السلام) عن البيعة، وصعوبة البقاء في الحجاز، واسباب الانتقال إلى كربلاء حتى الاستشهاد[6].

وفي الكتب التي تضمنت ابعاداً فكرية وعقائدية وحضارية تفاوت موقف المؤلفين، فجعل الخربوطلي ثورة الحسين (عليه السلام) واحدة من عشر ثورات في الإسلام وعنوان لها بـ ((ثورة أبي الشهداء))[7]، وأعطى تقويماً لأسباب ثورة الحسين (عليه السلام) من بداية حديثه عنها، ثم سرد وقائعها بشكل تاريخي مع تعليق بسيط[8] وقد اعتمد آخر اسلوب التعريف بالحسين (عليه السلام) مطولاً مشيراً إلى نسبه وولادته، ووصفه، وأخلاقه، ورعاية النبي (صلى الله عليه وآله) له، وأولاده وبناته وزوجاته وأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) في منزلته، ودعاءه له، وتعبده، ومنزلة الحسين (عليه السلام) عند الصحابة، وذكر الأخبار الواردة عن النبي في مقتله، ثم عرض تفاصيل الثورة من المصادر

---

(1) ينظر: سرور، الحياة السياسية، ص134 – 138، حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص283 – 285، ماجد، التاريخ السياسي، 67/2 – 79، كحيلة، العقد الثمين، ص152 – 154.

(2) ينظر: الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية – للدولة الأموية، 124/2 – 129، النجار، الدولة الأموية، ص81 – 91، شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي – الدولة الأموية، 195/2 – 208، خفاجي، معارك فاصلة، ص32 – 33، عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص472 – 476.

(3) الدولة الأموية المفترى عليها، ص307 – 330.

(4) عبد العال، الحالة السياسية، ص53.

(5) عبد العال، الحالة السياسية، ص53 – 60.

(6) الشريف، دور الحجاز، ص417 – 426.

(7) عشر ثورات، ص70.

(8) المصدر نفسه، ص70 – 87.

التاريخية، وأسماء الشهداء من أهل بيته وأصحابه[1]. وقد اختصر الصدفي تفاصيل ثورة الحسين (عليه السلام) في صفحات قليلة من الباب الرابع في كتابه، بعنوان ((خروج الحسين عليه السلام))[2]، وقد كان ذلك لصالح دراسة قضية الحسين (عليه السلام) بعمق وجدية مركزاً على العلل والأسباب أكثر من الاستطراد في تفاصيل تاريخية بلا تعليق[3]. هذا في الوقت الذي نجد مصادر أخرى ابتسرت ملابسات المقتل واختصرتها، ولم تورد كلمة واحدة للحسين (عليه السلام) لبيان علل خروجه وأسباب ثورته[4]. أو اورد تفاصيل الثورة ملخصة، وأدلى بآرائه التي لم تدعمها الأدلة[5] أو عرض لابرز النقاط البارزة في الثورة مثل اختيار الحسين للشهادة، وأسباب انضمام الاشراف في الكوفة لعبيد الله بن زياد، وتخاذل العامة، وعدم تراجع الحسين(عليه السلام) عن الكوفة[6].

ويلاحظ مما تقدم ان كتب التراجم، والتاريخ الإسلامي العام، والكتب التي تضمنت أبعاداً عقائدية، أو فكرية أو حضارية قد تركت الإشارة إلى ما اهتم كُتاب السيرة بايراده من فضائل ومناقب، ونسب وتفاصيل حياة الحسين (عليه السلام)، وركزت على انطلاق الثورة الحسينية وأسبابها وملابساتها ومعركة الطف ونتائجها وكل ذلك بتفاوت في طريقة العرض والمعالجة.

أما في الكتب الأدبية فقد بحث خليف ثورة الحسين (عليه السلام) ضمن موضوع الكوفة في عصر الثورات، وعرج عليها باختصار وفي مواضع مختلفة مبيناً باقتضاب سبب ثورة الحسين (عليه السلام)، وموقف الكوفيين اشرافاً وعوام منها[7].

أما الروايات الأدبية التاريخية فقد صاغ مؤلفيها ما جرى على الحسين (عليه السلام) في اسلوب أدبي، اتخذ من قصة زينب بنت إسحاق أو أُرينب – التي تقدم ذكرها – محوراً وموضوعاً لدى أحمد عيش، وقد أضاف إليها الكاتب من خياله الكثير[8]، ليجعلها تنسجم مع الفكرة الأساسية التي انطلق منها لتفسير ما وقع من يزيد من قتل وتمثيل بالحسين (عليه السلام) فجعل مرد

---

(1) صبيح، خصوصية وبشرية النبي، ص13 – 125.

(2) ابدا حسين، ص268.

(3) الصدفي، ابدا حسين، ص268 – 275، ص275 – 336، ص336 – 369.

(4) ينظر: الجبري، حوار مع الشيعة، ص246 – 248، شاه، العقائد الشيعية، ص71 – 73، محمد، حضارة الدولة، ص159 – 160.

(5) ينظر: أبو السعود، الشيعة، ص67 – 84، صالح، العرب والإسلام، ص310 – 317، حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 240/2 – 441، ص243 – 245.

(6) صالح، اليمين واليسار، ص162 – 164، ص168 – 169.

(7) حياة الشعر في الكوفة، ص67، ص26 – 128، ص130 – 132. وينظر: الحوفي، أدب السياسة، ص40 – 43.

(8) مثل القول بأن الحسين (عليه السلام) تزوج زينب هذه، وأحبها، وأغرمت به، ثم طلقها لتعود إلى زوجها ابن سلام. ينظر: صوت الحسين، ص71، ص75، ص76 – 79، ص82.

ذلك إلى حقدٍ متأصل من يزيد لأن الحسين (عليه السلام) حرمه الوصول إلى المرأة التي تعلق قلبه بها وهي زينب في الرواية[1].

أما رواية (غادة كربلاء) فقد تضمنت ولاية يزيد وما جرى فيها من قتل الحسين (عليه السلام) وقد كانت وسيلة سرد الأحداث سلمى بنت حجر بن عدي، التي تخيل الكاتب انها سعت للانتقام لأبيها حجر، من يزيد، وعبيد الله بن زياد فقادتها الأحداث إلى قصر يزيد تارة وإلى الكوفة، وأرض كربلاء تارة أخرى، فتروي وقائع معركة الطف، ثم تسبى مع عائلة الحسين (عليه السلام) وتنتقل معها إلى الكوفة ثم الشام، وتنتهي الرواية بموت يزيد[2].

وفي مقدمات الكتب المحققة، حاول بعض المحققين دراسة ثورة الحسين (عليه السلام) فبدأ الجميلي بذكر مكانة الحسين (عليه السلام) عند جده النبي (صلى الله عليه وآله)، وعدّ قضية الحسين (عليه السلام) من القضايا التي يكتفنها الغموض الشديد والابهام لاختلاط اقوال كثيرة فيها أدت إلى ضياع الحقائق، وعندما عرض وجهة نظر ابن العربي في تنزيه يزيد وجد انه يميل إلى بني أمية وينافح عن يزيد في كثير مما احتوشه من الاتهامات، ولكنه لام الكثير من الشيعة أيضاً لأنهم – برأيه – مغرقين في حملتهم على يزيد بأقوال كثيرة لا تُصدق !!، ولذلك رجح المحقق ان يُمسك عن الخوض في أمر النزاع بين الحسين (عليه السلام) ويزيد لأن هذا أفضل من الكلام طالما أن الحق لم يصرح عن محضه !!، وقدم بعد ذلك نبذة مختصرة عن نسب الحسين (عليه السلام)، وولادته، وأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيه ومنزلته عنده ومناقبه، وعبادته[3]، ثم عرض رأيه الخاص بعنوان (رأينا الخاص في هذه القضية)[4]، وخطأ الحسين (عليه السلام) باحسانه الظن بأهل الكوفة، وعدم وضعه احتمال خيانتهم في الحسبان، واصراره على الخروج رغم تحذير اقربائه وناصحيه، ولكنه رأى في الوقت نفسه ان الحسين (عليه السلام) انتصر على المدى البعيد لأن استشهاده كان سبباً مباشراً في زلزلة عرش الأمويين وانصباب جام اللعنات والسخطات عليهم بسبب هذه الجريمة البشعة، وأخيراً استغفر ودعا لجميع اطراف النزاع وارجأ حكمهم إلى الله !![5].

أما فرحات فقد كتب مقدمة لتحقيق كتاب ابن طولون، ودرس قضية الحسين (عليه السلام) تحت عنوان: (التعليق على يزيد بن معاوية ومقتل الحسين رضي الله عنه)[6]؛ فقدم لكلامه بما رواه ابن العربي عن شهادة العدول بعدالة يزيد بناءً على قول الليث بن سعد فيه (أمير المؤمنين)، ثم ذكر قتل الحسين (عليه السلام) وطرح عدة اسئلة عن خروجه من مكة إلى العراق،

---

(1) المصدر نفسه، ص164.

(2) ينظر: زيدان، ص25 – 26، ص260 – 308، ص309 – 334.

(3) تحقيق ودراسة كتاب استشهاد الحسين، ص9 – 18.

(4) المصدر نفسه، ص21.

(5) المصدر نفسه، ص21 – 23.

(6) دراسة وتحقيق قيد الشريد، ص73.

وهل كان محقاً، وهل ليزيد يد في قتله أو هل يُعد مسؤولاً عن القتل وبين انه سيتبع للرد على هذه الاسئلة سبيل المنطق والانصاف والحق والعقيدة المعتدلة التي تقوم على منهج الكتاب والسنة، والعلماء الأئمة، ولكنه بعد أن يعرض أسباب ثورة الحسين (عليه السلام) يرجح رأي ابن العربي ان أهل الكوفة هم الذين منوه بالخلافة، واستقدموه ليعطوه البيعة ويُهمل ما ذكره – هو نفسه – من أسباب على لسان مؤرخين آخرين وهو ان الحسين (عليه السلام) خرج لأنه رأى الشريعة رُفضت فجدّ في رفع اصولها، وعندما أجاب هل كان الحسين (عليه السلام) محقاً أم لا اعتبر نصائح المحذرين من الخروج دليل على الخطأ، واعتمد رأي الخضري بك في ان ثورة الحسين (عليه السلام) كانت سبباً في الفتنة، وعاد ليعتبر الحسين (عليه السلام) مجتهداً رغم خطأه بالاعتماد على ابن تيمية، وبالاعتماد على الأخير أيضاً نزه يزيد من مقتل الحسين (عليه السلام) وألقى بالتبعة على عبيد الله بن زياد[1].

ونلاحظ مما تقدم ان مقدمات المحققين عبرت عن وجهات نظر حاول فيها الجميلي ارضاء جميع الاطراف؛ ولم يستطع فيها فرحات التخلص من انتمائه المذهبي ومرجعياته في الكتابة (ابن العربي، ابن تيمية، ابن كثير) ومن أخذ منهم (الخضري)، وتأثير تلك المرجعيات في صياغة الرأي التاريخي رغم انه حاول التخفيف أو الارضاء بجعل الحسين (عليه السلام) مجتهداً رغم خطأه.

استخدم مؤلفي سيرة الحسين (عليه السلام) مصادر تاريخية متنوعة في تأليف كتبهم ولكن لم يلتزموا جميعاً بمنهجية واحدة في الإشارة إلى مصادرهم تلك، فنجد بعض الكتب قد خلت من أي إحالة لأي مصدر داخل صفحات الكتاب، ولم يُلحقوا بكتبهم ثبتاً بالمصادر التي رجعوا إليها[2]، وفي كتب أخرى نجد ان صفحاتها خالية من هوامش المصادر ولكن ألحقت قائمة المصادر في نهاية الكتاب[3].

بينما حرص المؤلفون في كتب أخرى على استعمال الهوامش للاشارة إلى المصادر وإن كانت تلك الإشارة متباينة فقد تكون أحياناً بانضباط عالي بالمنهجية يشمل اسم المؤلف، والمصدر، وأرقام الصفحات التي تمت الاستعانة بها[4]، وأحياناً أخرى يتحرر المؤلف من تلك المنهجية فيكتفي بذكر اسم الكتاب، بدون مؤلف، أو اسم المؤلف بدون كتاب، ومن دون

---

(1) فرحات، دراسة وتحقيق قيد الشريد، ص73 – 79.

(2) العقاد، أبو الشهداء، خالد، ابناء الرسول في كربلاء، قرون، عظمة الامام الحسين،، عيسى، دم الحسين، مشتهري، سيد شباب أهل الجنة.

(3) غريب، الامام الحسين، ص165 – 166.

(4) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، جميع صفحات الكتاب، النفيس، على خطى الحسين، ص64، ص65، ص76، ص80 – 81، ص87، ص89، ص95، ص96، وغيرها، الجمل، سيرة الحسين، في كل صفحاته، غنيم، الثورات العلوية، في كل الصفحات، ويهمل احيانا ذكر المؤلف.

ذكر ارقام الصفحات التي أخذ منها[1]، بل يصل الأمر ببعضهم إلى أخذ عبارات كاملة دون الإشارة إلى مصدرها[2] مع عناية هؤلاء المؤلفين بتقديم ثبت بمصادرهم المعتمدة في نهاية كل فصل[3] أو في نهاية كتبهم[4].

وقد تمثلت مصادر كتاب السيرة بمصادر أصيلة مثل: القرآن الكريم وتفاسيره، وكتب الحديث، والمصادر الاولية مثل (الامامة والسياسة) لابن قتيبة، و (انساب الاشراف) للبلاذري، و (الأخبار الطوال) للدينوري، وتاريخ اليعقوبي، وتاريخ الطبري، (مقاتل الطالبيين) للاصفهاني، ومروج الذهب للمسعودي، (الكامل في التاريخ) لابن الاثير و(البداية والنهاية) لابن كثير وغيرها[5]، فضلاً عن استعانتهم بمصادر ذات طابع فقهي مثل (العواصم من القواصم) لابن العربي، و (منهاج السنة)، و (رأس الحسين) لابن تيمية)[6]. ورجعوا إلى مراجع معاصرة لهم وأبرزها كتاب (أبو الشهداء الحسين بن علي) للعقاد، و(الفتنة الكبرى) لطه حسين، و (تاريخ الإسلام السياسي) لحسن إبراهيم حسن، و (سيد شباب أهل الجنة) لحسين محمد يوسف، و (ابناء الرسول في كربلاء) لخالد محمد خالد[7].

وقد أقبل بعض هؤلاء الكتّاب على نقد المصادر ومناقشتها، قديمة وحديثة، وقابلوا آراء بعضها ببعض لاستخراج الأصوب والأدق، أو لاستجلاء الحقيقة فيما ذكر من أخبار في قضية الحسين (عليه السلام)[8].

---

(1) ينظر: عويس، شهيد كربلاء، ص110، ص122، ص123، ص217، ص218، أبو النصر، الحسين، ص53، ص148، أبو علم، الحسين بن علي، ص18، ص53، ص54، ص168، ص169، ص170، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص54، ص148، ص172.

(2) عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص70.

(3) لطفي، الشهيد الخالد، ص42 هامش (1)، ص59 هامش (1).

(4) أبو علم، الحسين بن علي، ص211 – 211، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، 204.

(5) أبو النصر، الحسين بن علي، ص9، الجمل، سيرة الحسين، في مختلف الصفحات، يوسف، سيد شباب أهل الجنة، في مختلف الصفحات، لطفي، الشهيد الخالد، ص42، ص59، عويس، شهيد كربلاء، ص110، ص122، ص123، ص254، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص51، ص204، أبو علم، الحسين بن علي، مواضع متعددة، غنيم، الثورات العلوية،، مواضع متعددة، غريب، الامام الحسين، ص165 – 166، النفيس، على خطى الحسين، عدة صفحات.

(6) أبو النصر، الحسين بن علي، ص148، الجمل، سيرة الحسين، ص97 – 98، ص100 – 101، يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص10.

(7) ينظر: غريب، الامام الحسين، ص84 – 85، ص165 – 166، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص204، أبو علم، الحسين بن علي، عدة صفحات، لطفي، الشهيد الخالد، ص22، ص51، ص63، الجمل، سيرة الحسين، ص70 – 75، ص83، ص96، ص105، غنيم، الثورات العلوية، ص192، ص201.

(8) ينظر: العقاد، أبو الشهداء، ص292 – 293، الجمل، سيرة الحسين، ص74، غنيم، الثورات العلوية، ص7، ص190 – 192، يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص12 – 14، ص407 – 408، ص417، ص420 – 436، النفيس، على خطى الحسين، ص98، ص104 – 106.

وقد رجع عدد من كتّاب السيرة إلى مصادر المستشرقين وأفادوا مما كتبوه في هذا المجال[1].

ولم يشر من عني بسيرة الحسين (عليه السلام) من كتّاب التراجم إلى أي نوع من المصادر في ثنايا ما كتبوه[2]. بينما رجع كتّاب سيرة آل البيت (عليهم السلام) في الفصل الخاص بالحسين (عليه السلام) إلى مصادر أولية متنوعة مثل: كتب الحديث النبوي (مسند أحمد، صحيح البخاري، سنن الترمذي)، تاريخ ابن خياط، فضلاً عن المصادر التي استعان بها كتّاب السيرة من قبلهم[3] وقد وثّق ذلك في هوامش منهجية[4]، وان اهملت في مواضع معينة[5]، أو اكتفى بعضهم بالإشارة إلى مصادرهم في متن الكلام دون توضيح ارقام صفحات تلك المصادر في المتن أو في الهامش[6]. وعلى نفس النسق كانت المصنفات المصرية التي جمعت ترجمة الحسين (عليه السلام) مع سيرة السيدة زينب (عليها السلام) إذ خلا بعضها من الهوامش لتوثيق المصادر من دون قائمة أو ثبت يعين على التعرف عليها أو تميزها[7] أو خلت من الهوامش التوضيحية للمصادر وعوضت عن ذلك بقائمة نهائية[8]، لمصادر ترجمة الشخصيتين، أو أشير إلى المصادر في متن الكتاب من دون توضيح ارقام صفحاتها في الهامش[9]، وقد زودت كتب أخرى بهوامش محدودة للمصادر التي أفيد منها لكتابة المادة التاريخية[10]. واعتمدت هذه الكتب فضلاً عن الطبري على مصادر أخرى مثل (نور الابصار) للشبلنجي، و (معالي السبطين) لمهدي الحايري[11].

---

(1) ينظر: أبو النصر، الحسين بن علي، قائمة المراجع ص9، الجمل، سيرة الحسين، ص1، ص64، ص97، ص98، ص101، غنيم، الثورات العلوية، ص190، ص192.

(2) ينظر: كريم، اعلام في التاريخ، ص80 – 88، حسن، زعماء الإسلام، ص197 – 199.

(3) ينظر: السيد، سيرة آل بيت النبي، ص317 – 318، ص322، ص324 – 326، ص329 – 331، ص333 – 338، النفيس، نفحات من السيرة، ص99 – 113.

(4) النفيس، نفحات من السيرة، ص99 – 113، السيد، سيرة آل بيت النبي، ص317 – 318، ص322، ص324 – 326، ص329 – 331، ص333 – 338.

(5) السيد، سيرة آل بيت النبي، ص319 – 320.

(6) أبو كف، آل بيت النبي، ص24، ص26، ص29؛ محمد، أهل البيت في مصر، ص70، ص71، ص72، ص74.

(7) منصور، الشقيقان في كربلاء.

(8) غريب، بطلة كربلاء، ص164 – 165.

(9) سعد، السيدة زينب، ص44، ص46، ص47، ص48، ص49.

(10) سيد الأهل، زينب بنت علي، ص43 – 108.

(11) ينظر: المصدر نفسه، ص48، ص50، ص51، ص52، ص69، ص72، ص74، ص80، ص87، ص89، ص90، ص92، ص97 وغيرها، سعد، السيدة زينب، ص49، ص77.

وقد تعاملت الكتب التي ضمت سيرة الحسين (عليه السلام) إلى سيرة غيره من الأئمة بنفس الطريقة، فأشار بعضها إلى مصادره وأرقام صفحاتها في الهامش[1] وأهمل آخرين ذلك معتمدين على ثبت مصادرهم في آخر الكتاب[2]. وقد اعتمدت هذه الكتب على كتب الحديث ومصادر أولية عديدة[3].

واختلفت كتب التاريخ الإسلامي العام في استخدام المصادر ففي الوقت الذي رجع بعضهم إلى عدة مصادر أولية وثقها في هوامش كتابه[4]، نجد آخرين أما ان يهملوا المصادر تماماً في هوامش الكتاب، ويتركون وضع قائمة نهائية[5]، أو يوثقون في الكتاب الواحد بطرق مختلفة مثل حسن إبراهيم حسن الذي يضع المصدر أحياناً في الهامش[6]، أو يضع اسم الكتاب والصفحة في المتن قبل الاقتباس من المصدر[7]، أو يضع اسم الكتاب والصفحة التي يأخذ عنها داخل الاقتباس نفسه[8]، أو يضع اسم المؤلف بدون كتاب، مع رقم الصفحة فقط في الهامش[9] أو يترك بعض صفحاته دون توثيق بالهامش[10]. ويعتمد في توثيق المعلومة التاريخية على مصدر أولي تارة[11]، أو يرجع إلى مراجع حديثة لتوثيق حوادث قديمة تارة أخرى[12]. وعلى هذا السياق الأخير سار كاتب آخر في توثيق كتابه فرجع إلى مصادر أولية ومراجع حديثة لتوثيق معلومات تاريخية قديمة[13] ورجع المترجمون للحسين ضمن تاريخ الحجاز والمدينة المنورة إلى مصادر أولية[14]: كابن قتيبة، والدينوري، والطبري، والاصفهاني، والمسعودي، وابن كثير، فضلاً عن المراجع الحديثة[15] ووضعوا هوامش أحالت إلى مصادرهم وأرقام صفحاتها[16]، بيد أن بعضهم كان يهمل توثيق بعض المعلومات،

---

(1) رضا، الحسن والحسين، ص55 – 96.

(2) الجندي، الامام جعفر الصادق، ص37 – 50، وينظر: ص394 – 397.

(3) ينظر مثلا: رضا، الحسن والحسين، ص84.

(4) ماجد، التاريخ السياسي، 67/2 – 79، سرور، الحياة السياسية، ص134 – 138.

(5) ينظر: كحيلة، العقد الثمين، ص152 – 154، ابراهيم، أيام العرب، ص399 – 482.

(6) تاريخ الإسلام، ص398.

(7) المصدر نفسه، ص400.

(8) حسن، تاريخ الإسلام، ص399.

(9) المصدر نفسه، ص400.

(10) المصدر نفسه، ص399.

(11) المصدر نفسه، ص398.

(12) المصدر نفسه، ص400.

(13) حسن، التاريخ الإسلامي، ص283 – 285.

(14) وكتبهم على التوالي: الامامة والسياسة، الأخبار الطوال، تاريخ الرسل والملوك، مقاتل الطالبيين، مروج الذهب، الكامل.

(15) مثل: الفتنة الكبرى لطه حسين، والخوارج والشيعة لفلهاوزن.

(16) ينظر: عبد العال، الحالة السياسية، ص53، ص54، ص55، ص57، الشريف، دور الحجاز، ص417 – 426.

وارجاعها إلى مصدرها[1]. أو يورد العبارة من دون اقتباس أو إحالة مصدر بينما وجد الباحث انها لكاتب آخر لم يوثق اسمه ولم يُشر إليه[2].

أما الكتب التي اهتمت بتاريخ الدولة الأموية، فقد أهمل قسم منها الإشارة إلى المصادر التي أخذ منها تفاصيل ثورة الحسين (عليه السلام)[3]، بينما استخدمت كتب أخرى هوامش للإشارة إلى تلك المصادر، وثبتاً تنتظم فيه أهم المصادر والمراجع المستخدمة[4] وقد تنوعت تلك المصادر بين أولية شملت: تاريخ ابن خياط، وطبقات ابن سعد، وتاريخ اليعقوبي، تاريخ الطبري، مقاتل الطالبيين للاصفهاني ومروج الذهب للمسعودي، والعقد الفريد لابن عبد ربه، والكامل لابن الاثير، والبداية والنهاية لابن كثير، والفخري لابن الطقطقا، والكتب الفقهية مثل: كتاب العواصم من القواصم لابن العربي، ومنهاج السنة لابن تيمية، وقد رجعت تلك المراجع إلى مقدمة ابن خلدون أيضاً[5].

وقد دعا عبد اللطيف – بعد أن انتقد عدد من الكتّاب المحدثين – إلى الاعتماد على كتب: ابن العربي، وابن تيمية لكتابة تاريخ أموي خالي من التحريف، ووصف هذه المصادر بالاعتدال والنزاهة والحيادية[6] وإلى المعنى ذاته قصد شاهين وهو يقدم رؤية عامة عن رواة التاريخ الأموي في كتاب الطبري، فشكك بعثمانية عوانة بن الحكم (ت147هـ/764م) التي قال بها مترجميه، وقال بعدم وثاقة أبي مخنف (ت157هـ/773م) اعتماداً على ما ذكره ابن حجر[7] في حقه مهملاً ما ذكرته المصادر الأخرى في وثاقته[8]، وعلى هذه الصورة من الانتقاء سار في الكتابة عن هشام بن محمد الكلبي (ت204هـ/819م)، أو الهيثم بن عدي (ت206هـ أو 207هـ/821م أو 822م) أو الواقدي (ت207هـ/822م) أو أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت211هـ/826م)، والمدائني علي بن محمد (ت225هـ/839م) فجعل الجميع

---

(1) ينظر مثلا: الشريف، دور الحجاز، ص420 – 422.

(2) المصدر نفسه، ص424، وينظر للمقارنة: حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 245/2.

(3) ينظر: الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية – الدولة الأموية، 124/2 – 129، خفاجي، معارك فاصلة، ص32 – 33.

(4) ينظر: عبد اللطيف، العالم الاسلامي، ص472 – 476، شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي – الدولة الأموية، 195/2 – 208، النجار، الدولة الأموية، ص81 – 93، شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص307 – 330، ص478 – ص501.

(5) ينظر: عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص472 – 476، النجار، الدولة الأموية، ص81 – 93، شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص307 – 330.

(6) العالم الإسلامي، ص د، ص هـ، ص و، ص ح، ص472.

(7) قال ابن حجر عن أبي مخنف: ((اخباري تالف، لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره، وقال الدارقطني ضعيف، وقال يحيى بن معين: ليس بثقة، وقال ابن عدي: شيعي محترق صاحب اخبارهم)) !!. ابن حجر، أحمد بن علي (ت852هـ/1448م)، لسان الميزان، ط مصر، (بلا.ت)، 492/4، يتضح التوجه في التكذيب لتشيعه.

(8) الدولة الأموية المفترى عليها، ص44 – 46.

ذوي ميول عباسية، سيئي السمعة عند أصحاب الحديث ورجاله الخبيرين بأحوال الرواة، وهو لا يرجع لغير ابن حجر، في الميزان أو البخاري في كتابه التاريخ الكبير، مخفياً وجهات نظر أخرى قالت بوثاقتهم[1]. وقد وجه شاهين انتقاده لمعظم مصادر التاريخ التي أتهم اصحابها بالتشيع أو الميول الشيعية مثل اليعقوبي الذي قال ان ((رواياته عن بني أمية تحمل روحاً معادية))[2]، والمسعودي الذي قال فيه: ((... أما تشيعه فهو أمر يثبته استعراض قوائم كتبه ففيها كتب ألفت في الامامة وآل البيت، وقد ظهر آثار ذلك التشيع على روايات تاريخية في كتابه مروج الذهب حيث يتحدث باعجاب كبير عن علي بن أبي طالب، كما ظهرت في تاريخه للأمويين حيث لا تحمل رواياته وداً نحو معاوية.. وقد صور المسعودي حياة يزيد بن معاوية وضروب اللهو المزعوم الذي يُنسب إليه بطريقة لا تخلو من الانصاف، بل تخرجه عن دائرة الإسلام))[3].

وقد كان رأي شاهين هذا يخالف رأي كاتب مصري آخر عني بدراسة مصادر تاريخ بني أمية وتوثيقها إذ قال عن اليعقوبي والمسعودي: ((وهناك مؤلفان علميان مفيدان في هذا المضمار لابد من ذكرهما على الرغم من ان المؤلفين ليسا من أهل السنة: ولكن ذلك لم يمنعهما من ان يكونا منصفين للأمويين إلى حد بعيد..))[4].

وان ما ذكره شاهين عن مبالغة المسعودي فيما نقله عن يزيد بن معاوية، فهو لا يتعدى في النتيجة ما حكم به ابن كثير على يزيد في كتابه البداية والنهاية وقد ذكرنا ذلك في موضعه، وابن كثير ممن ينقل عنه شاهين ويعتمد كثيراً في الرجوع إليه.

ومما يلفت النظر ان شاهين عدّ الطبري ممن تحرر من الضغوط المذهبية لأنه كان ((يكفر الخوارج والرافضة ولا يقبل شهاداتهم ولا يجيز التوارث بينهم وبين المسلمين))[5] !! فلا قيمة حقيقية لاتهامه بالتشيع – في نظر شاهين – ولكنه مع ذلك لا يسلم من النقد لأنه ((تناول هذه الثورات [حركات المعارضة ضد الأمويين] من خلال الرؤية العراقية لها، وهي رؤية لا شك في تحاملها على الأمويين، وأبرز رواة الطبري في هذه الأحداث هم من الشيعة أو الشعوبيين أو الخاضعين، أو الناقلين لروايات هذين الصنفين من الرواة وهكذا جاء

---

(1) ينظر على سبي المثال: ابن النديم، الفهرست، ص111 – 113، العاملي، محسن الأمين، اعيان الشيعة، ط بيروت، 1401هـ/1980م، ح1، ق1، ص127، ص128، الخوانساري، محمد باقر، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق: اسد الله اسماعيليان، ط طهران، 1392هـ/1972م، 7/268 – 270.

(2) الدولة الأموية المفترى عليها، ص58.

(3) المصدر نفسه، ص61.

(4) حمادة، دراسة وثقية، ص17.

(5) وذلك ما قاله: ابن حجر، لسان الميزان، 5/100.

حديثه المسهب عن ثورة الحسين وابن الزبير.. وغيرهم ليحمل وجهة نظر هؤلاء الثائرين في الدولة الأموية))[1].

ومما يلفت الانتباه ان ابن العربي قد وثق الطبري، ودعا ألا تؤخذ رواية في تاريخ الأمويين وغيرهم إلا عنه[2]، وقد اعتمد ابن تيمية على رواياته، وهم جميعاً ممن استعان بهم شاهين لتفنيد ما لحق بالأمويين، فضلاً عن ان شاهين نفسه في احتجاجه ببعض الروايات يرجع إلى روايات الطبري ومن شك في وثاقتهم من رواته الشيعة والشعوبيين !! ولاسيما تلك الروايات التي تظهر نزاهة يزيد وبراءته من مقتل الحسين (عليه السلام)[3].

ومن الآراء التي اعتمدها شاهين للقول بتحامل ابن عبد ربه على الأمويين وعدم مجاملتهم، رأي ابن كثير في نقد ابن عبد ربه إذ قال: ((كان فيه تشيع شنيع، ومغالاة في أهل البيت، وربما لا يفهم من كلامه ما فيه من التشيع، وقد اغتر به شيخنا الذهبي فمدحه بالحفظ وغيره))[4].

وقال عنه أيضاً في موضع آخر:

((ويدل كثير من كلامه على تشيع فيه، وميل إلى الحط من بني أمية، وهذا عجيب منه، لأنه أحد مواليهم وكان الأولى به ان يكون ممن يواليهم لا ممن يعاديهم))[5] !!.

ويظهر مما تقدم ان ابن كثير انتقد الذهبي لأنه قال بحفظ ابن عبد ربه، وهذا ما لا يجب أن يكون لأن فيه تشيع شنيع !! ولم يكن ذلك آخر لا موضوعية ابن كثير وإنما انتقد ابن عبد ربه لأنه من موالي بني أمية ويميل إلى نقل ما يسيء لهم ((فأي منطق أملى على الشيخ ان يقول: الأولى من ابن عبد ربه أن يكون ممن يوالي الأمويين ؟! هل هو المنطق الديني ؟ أو التجرد للحقيقة ؟ لا انه منطق العصبية فحسب))[6].

وعلى هذا النحو من التعصب والميل للمذهب لا إلى الحقيقة سارت مصادر شاهين الموثقة !!

أما المصنفات ذات الطابع الفكري أو العقائدي أو الحضاري فقد تفاوتت في منهجها المتبع في الاستعانة بالمصادر، والاشارة إليها، فترك بعضهم وضع هوامش المصادر في الصفحات مكتفياً بالقائمة النهائية[7]. واعتمد آخرين على سرد ثورة الحسين (عليه السلام) دون إشارة إلا لمصدر واحد[8]، واتبع غيرهم منهجية واضحة في الأخذ من المصادر والإشارة لذلك في

---

(1) الدولة الأموية المفترى عليها، ص64.

(2) العواصم من القواصم، ص166.

(3) الدولة الأموية المفترى عليها، ص321 – 323.

(4) البداية والنهاية، 21/10، وينظر: شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص74 – 75.

(5) المصدر نفسه، 193/11.

(6) الحسيني، الحافظ ابن كثير، ص504.

(7) ينظر: حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 240/2 – 245، 250، صالح، اليمين واليسار، ص171 – 172.

(8) ينظر: محمد، حضارة الدولة، ص160، أبو السعود، الشيعة، ص67 – 74، شاه، العقائد الشيعية، ص72.

حاشية الصفحة بهوامش منظمة تضمنت اسم الكتاب ورقم الصفحة المأخوذ عنها[1]، وقد تنوعت مصادر هذه المصنفات بين مصادر تاريخية أولية[2]، ومصادر فقهية[3]، ومراجع حديثة[4].

وقد أشارت بعض المصنفات الأدبية إلى مصادرها في هوامش منتظمة[5]، أو اكتفت بالإشارة إلى مراجع الحوادث في بداية الكتاب[6]. وقد تضمنت مصادر أصيلة ومصادر مستشرقين.

ويمكن القول ان المصنفات المصرية قد اعتمدت غالباً في سرد الحوادث التاريخية فيما يتعلق بثورة الحسين (عليه السلام) على المصادر الأولية ولاسيما الطبري، بينما اتجه بعضهم إلى اعتماد مصادر فقهية لرد الاتهامات عن بني أمية، أو لتصويب افعال معاوية، ويزيد. وقد اتجه بعضهم إلى النظر في موقف االحسين (عليه السلام) من خلال اتهامات المدرسة السلفية الممثلة بالغزالي، وابن العربي، وابن تيمية، وابن كثير، فعرضوا آرائها للنقد والتمحيص الذي يتيح تبني وجهة نظر مقاربة أو مباعدة[7].

وتجدر الإشارة إلى طريقة تعامل بعض المصادر المصرية – على تنوعها – مع آراء المستشرقين واستنتاجاتهم في ثورة الحسين (عليه السلام)؛ لاسيما وان للاستشراق الاوربي تأثيراً لا ينكر على منهج المدرسة المصرية[8] وهي حقيقة اشار لها نيكلسون عندما قال:

((ويعتبر جميع المؤرخين الإسلاميين الذين – باستثناء القليل النادر منهم – يكادون يُجمعون على بغض الأمويين، والعداء لهم.. يعتبرون الحسين بن علي شهيداً، في الوقت الذي يعتبرون فيه يزيد بن معاوية سفاكاً، على حين يرى جمهرة المؤرخين المحدثين رأي (سير وليم ميور) الذي يذهب إلى ان الحسين، بانسياقه إلى تدبير الخيانة، سعياً وراء العرش،

---

(1) الجبري، حوار مع الشيعة، ص236، ص240، ص244، ص246 – 247؛ الصدفي، ابدا حسين، ص270، ص276، الخربوطلي، عشر ثورات، ص71 – 87، صالح، العرب والإسلام، ص310 – 317.

(2) ينظر: الصدفي، الحسين أبداً، ص270، 276، صالح، اليمين واليسار، ص171 – 172، حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 250/2، الخربوطلي، عشر ثورات، ص71 – 87.

(3) لاسيما الجبري، الذي اعتمد ما كتبه ابن العربي وكان كتابه تكرار لاحتجاجاته في تنزيه يزيد، فضلاً عن اعتماده ابن كثير وابن خلدون، ينظر: حوار مع الشيعة، ص236، ص240، ص245، ص246؛ الخربوطلي، عشر ثورات، ص76 – 87، ص84 – 85.

(4) ينظر: صالح، اليمين واليسار، ص171 – 172، حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، 250/2، الصدفي، ابدا حسين، ص258.

(5) خليف، حياة الشعر في الكوفة، ص67، ص127 – 132.

(6) وعلى ذلك سار جرجي زيدان فوضع قائمة من المراجع لروايته التاريخية غادة كربلاء، ص4.

(7) ينظر: يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص389 – 391، 417 – 429، غنيم، الثورات العلوية، ص189 – 192.

(8) ينظر: غزاوي، التيار الاسترداي، ص75؛ يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص10 – 11، عبد الآخر، التآمر على التاريخ الإسلامي، ص81 – 85.

فقد ارتكب جريمة هددت كيان المجتمع، وتطلب من أولي الأمر في الدولة الأموية التعجيل بقمعها))[1].

ولم ينفي يوسف هذه الحقيقة عندما علق على رأي نيكلسون فقال: وواضح ان (جمهرة المؤرخين المحدثين) إنما كونوا آراءهم، متأثرين بآراء أمثال (سير ميور) وغيره من المستشرقين، الذين جعلوا منهم ائمة لهم، في المعرفة والبحث العلمي، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً، وكان الأولى بهم الرجوع إلى المصادر الإسلامية الموثوق بها، بدلاً من النقل عن قوم مشكوك في أمانتهم العلمية[2].

ففي الوقت الذي نرى ان بعض الباحثين المصريين تبنى وجهات نظر المستشرقين ووصف تعليقاتهم بأنها عملية، وفيها جُرأة[3] أو إجترّ تلك الآراء دون تعليق[4]، نجد آخرين سعوا إلى فرز الآراء المنصفة، وبيان خطل المجحفة منها وبتفاوت في طريقة فهم تلك النصوص أو التعامل معها حسب ثقافة الباحثين واتجاههم الفكري.

فعلى رأي (وليم ميور) الذي أوردناه آنفا رد الجمل فقال: ان الحسين (عليه السلام) لم يكن يسعى وراء العرش، فهو لم يرد خلافة أو ملكاً ولو طلبهما لما عدّ ذلك عجباً، فهو أهلٌ لذاك من يزيد.. وأكد الجمل ان الطاعة لا تجوز إلاّ فيما وافق الشرع، ويزيد لم يكن يستحق الطاعة أو الخلافة[5].

وعدّ حسن رأي وليم ميور وجهة نظر تمثّل الفريق الذي كان بيده النفوذ والسلطان، وأما حكم التاريخ في هذا الموضوع – إذا تصدينا لبحثه وتمحيصه – فلن يعدو أن يكون حكم الدين على الملكية أو قضاء الحكومة الدينية على الدولة العربية وعلى هذا الأساس يحكم التاريخ بحق بادانة الأمويين[6].

وقد حكم بعض المستشرقين حكماً قاسياً على الحسين (عليه السلام) فاتهموه بالقصور عن إدراك الدوافع الكامنة وراء حركته وسوء تقديره لموقف حُكم عليه فيه ان يشهد مصرع أولاده وأهله أمام عينيه وهو يعلم ان القتل سيلحقه لا محالة[7]. من ذلك ما ذكره فلهاوزن: ((لقد مضى الحسين كما مضى المسيح في طريق مرسوم، ليضع ملكوت الدنيا تحت الاقدام، ومدّ يده كالطفل ليأخذ القمر. ادّعى اعرض الدعاوى، ولكنه لم يبذل شيئا في سبيل تحقيق أدناها، بل ترك للآخرين ان يعملوا من أجله كل شيء، وفي الواقع لم يكن أحد يوليه ثقة، إنما قدّم القوم

---

(1) من كتابه (The Pereacing of Islam) نقلا عن يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص437، وينظر بعض الباحثين المصريين الذي نقلوا هذا الرأي وقيموه انه تعليق عملي، أو من أخذه بتسليم وقبول: شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي – الدولة الأموية، 206/2، حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص285.

(2) سيد شباب أهل الجنة، ص438.

(3) شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي – الدولة الأموية، 206/2 – 207.

(4) ينظر: الخربوطلي، عشر ثورات، ص86 – 87.

(5) سيرة الحسين، ص103، وينظر: يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص437.

(6) تاريخ الإسلام، ص401.

(7) ينظر: أبو علم، الحسين بن علي، ص199.

رؤوسهم يائسين، ولم يكد يصطدم بأول مقاومة حتى انهار، فاراد الانسحاب، ولكن كان ذلك متأخراً فاكتفى بأن راح ينظر إلى انصاره وهم يموتون في القتال من أجله، وابقى على نفسه حتى اللحظة الأخيرة))[1].

وقد أيد شلبي رأي فلهاوزن لأن المهاجرين والانصار وهم عصب الإسلام تخلوا عن الحسين (عليه السلام) ولم يؤيدوا حركته من أول الأمر[2] بينما ردّ أبو علم هذا الرأي بأن الحسين (عليه السلام) كان عازماً على الخروج عزماً أكيداً ولم يكن فشله عسكرياً بعيداً عن ذهنه، وان الحسين (عليه السلام) كان يقدر الموت في خروجه أكثر مما يقدر النصر[3].

وفصّل الجمل في رده على فلهاوزن فقال: كيف لم يبذل الحسين (عليه السلام) شيئاً لتحقيق دعواه وهو الذي ارسل ابن عمه مسلم بن عقيل ليعرف احوال الكوفة قبل القدوم عليها، وهذا من فطنته السياسية، ولم يسير إليها إلاّ بعد ان جاءه كتاب مسلم بن عقيل يدعوه إلى القدوم بعد ان اجتمع إليه عدد لا بأس به من الانصار والمؤيدين وما ذنبه إذا تخلى عنه أهل الكوفة واسلموه إلى اعدائه ؟! وهل كان فلهاوزن يريد من الحسين ان يقدم نفسه وهو قائد الجيش ليُقتل في أول المعركة ؟ وبهذا تنتهي المعركة عند بدايتها، إذ معنى موت القائد ان يستسلم جنوده أو أنصاره، ولكن الحسين (عليه السلام) – ببقائه حتى اللحظة الأخيرة – قد حافظ على تماسك الروح المعنوية بين الجنود، فقاتلوا بين يديه وقُتلوا دونه، ولم يؤخر نفسه.. لكي يفر من الموت، أو ينجو منه، وإلاّ لما مات وقُتل ومُثّل به... وهل يسمي فلهاوزن الاخلاص للدين والمبدأ يأساً حتى يُطلق على انصار الحسين (عليه السلام) انهم قدموا رؤوسهم يائسين، قد يكون ذلك صحيحاً على اعتبار انهم يائسون من إصلاح أمر يزيد ورجوع الخلافة إلى ما كانت عليه أيام الرسول (صلى الله عليه وآله) فهانت عليهم الدنيا فباعوها بالآخرة[4].

ولاصابة ثورة الحسين (عليه السلام) في نتائجها الواسعة دخل في روع بعض المستشرقين انها تدبير من الحسين (عليه السلام) توخاه من اللحظة الأولى وعلم موعد النصر فيه فلم يخامره الشك في مقتله ذلك العام، ولا في عاقبة هذه الفعلة التي ستحيق لا محالة بقاتليه بعد أعوام[5]، فقال ماربين الالماني في كتابه السياسة الإسلامية:

((ان حركة الحسين في خروجه على يزيد إنما كانت عزمة قلبٍ كبير عزّ عليه الاذعان، وعزّ عليه النصر العاجل، فخرج بأهله وذويه ذلك الخروج الذي يبلغ به النصر الأجل بعد موته، ويحيي به قضية مخذولة ليس لها بغير ذلك حياة))[6].

---

(1) الخوارج والشيعة، ص136 – 137.

(2) موسوعة التاريخ الإسلامي – الدولة الأموية، 207/2.

(3) الحسين بن علي، ص200.

(4) سيرة الحسين، ص101 – 102.

(5) العقاد، أبو الشهداء، ص210.

(6) نقلا عن المصدر نفسه، ص210.

وقد رأى أبو علم ان هذا إدراك من المستشرق الألماني الذي لم ينظر إلى خروج الحسين(عليه السلام) نظرة عسكرية بحتة أدت إلى الحكم السطحي عليه كما فعل غيره من المستشرقين[1]. ووجد العقاد انه إذا لم يكن رأي ماربين حقاً كله، فبعضه على الاقل حقّ لاشك فيه، ويصدق ذلك – في رأيه – على حركة الحسين (عليه السلام) بعد أن حيل بينه وبين الذهاب لوجهه الذي يرتضيه، فآثر الموت كيفما كان، ولم يجهل ما يحيق ببني أمية من جراء قتله فهو بالغ منهم بانتصارهم عليه ما لم يكن ليبلغه بالنجاة من وقعة كربلاء[2].

ولكن عيش ردّ قول ماربين، ورفضه؛ وعدّ تسليم الحسين (عليه السلام) بالموت هو بدافع الإيمان لا بدافع التخطيط فقال:

((فهو قول لا يؤبه به اطلاقاً فما يقال عن الامام الحسين يقال عن كل مجاهد حر يحمل رأسه على كفه في الوقت الذي يحمل فيه راية الجهاد، ويحارب الطغيان والفساد، ولا يبالي أياً كان في الله مصرعه))[3].

ومن جانب آخر انتقد أبو النصر رأي بعض المستشرقين – مثل الأب لامانس وغيره – الذين قالوا ان يزيد اكتوى بنار وخطيئات معاوية، وغيره من رجال بني أمية، وان الثورة الفكرية التي اضطرمت في الصدور وجدت لها مخرجاً في عهده فقال:

((ونُصفتهم ليزيد مملوءة بالمبالغة، بعيدة كل البعد عن الحقيقة الواقعة فقد أظهر يزيد أول عهده بالملك انه بعيد عن اللباقة السياسية، وانه كثير الحدة، شديد التورط، لم يوفق إلى اختيار عماله في مختلف الامصار، ولم يوصهم بالتريث والتؤدة. وأخذ الناس بالرأفة والاحسان، فهو والحالة هذه مسؤول عن عصره وعهده وعمله، وما كان بطوق عبيد الله بن زياد وغيره من العمال ان يخرجوا عن رأي مليكهم لو افضى إليهم أمره بالحسنى والتلطف في معاملة الناقمين والغاضبين، خصوصاً ان الثورة لم تكن ثائرة قوية، ولا جارفة قاصمة، فتجر يده لسيف النقمة والعدوان، واطلاق العنان لنوابه وعماله وقواده بأخذ الناس بالسيف خطيئة لا تغتفر، وسياسة اضرّت بالدولة الإسلامية أول عهدها))[4].

ويتفق رأي أبو النصر في هذه الأبعاد مع ذلك التفصيل القيّم الذي قدمه يوسف عن مسؤولية يزيد فيما جرى على الحسين (عليه السلام) عندما ذكر انه: عزل الوليد بن عتبة عن امرة المدينة، لتهاونه في أمر الحسين (عليه السلام)، وولى عمرو بن سعيد بن العاص بدلاً منه وكان معروفاً بالقسوة والغلظة وهذا يؤكد ان ما نسب إلى يزيد من دعوته إلى الرفق بالحسين(عليه السلام) لا أساس له، كما انه عزل النعمان بن بشير عن ولاية الكوفة لسبب مشابه وهو عدم أخذ القائمين بالدعوة للحسين (عليه السلام) بالشدة واكتفاؤه بنهيهم عن الاختلاف والفتن وكان عزل الوليد في رمضان أي بعد شهر ونصف من تولي يزيد للحكم، وعزل النعمان بعد ذلك بقليل، وقد

(1) الحسين بن علي، ص197.

(2) أبو الشهداء، ص210.

(3) مقدمة صوت الحسين، ص20.

(4) الحسين بن علي، ص49.

اختار عبيد الله بن زياد للكوفة، ومن الطبيعي انه زوده بالتعليمات التي يعمل في حدودها، وعلى ضوء هذه التصرفات يمكن التأكد من كنه هذه التعليمات، وهل كانت تدعو إلى الرفق والتسامح، وتقوم على الحق والعدل، أم كانت بعكس ذلك تبيح سفك الدماء، وأخذ الابرياء ؟! فبعد قتل ابن زياد لمسلم وهانئ، بعث برأسيهما إلى يزيد، فكتب إليه يعلن رضاه عنه، وثقته فيه واستمر ابن زياد في جبروته طبقاً لتعليمات يزيد إليه، يحبس على الظنة، ويأخذ على التهمة،.. وبعد قتل الحسين (عليه السلام)، وأهل بيته والتمثيل بهم لم يقف يزيد من عبيد الله أي موقف يشعر باستنكاره لفعلته الشنيعة، مما يدل على ان كل ما فعله كان طبقاً لأمره، ولو كان مخالفاً به ليزيد لعزله كما عزل الوليد والنعمان بن بشير لتهاونهما في تنفيذ تعليماته؛ كما ان تعليمات يزيد إلى مسلم بن عقبة حين ارسله إلى المدينة بعد الحرة تتسق في روحها العامة التي تتسم بالقسوة والبطش والاسراف في سفك الدماء، والاستهتار بالحرمات والمقدسات مع ما حدث قبل ذلك في كربلاء[1].

يمكن القول ان معظم المصنفات المصرية قد أهملت من الناحية الفنية وضع الهوامش التوضيحية بمختلف أنواعها بينما قام بعضها بتوضيح ما تم اختصاره في المتن، أو الإشارة إلى تفصيل أكثر، أو تبيين ما غمض في المتن، أو دعمه بدليل في الهامش وإن لمرة واحدة[2]، أو توضيح معاني الالفاظ من الناحية اللغوية[3]، أو وضع هوامش للآيات القرآنية[4] ولتراجم بعض الأعلام، وتوضيح الأمكنة[5].

---

(1) سيد شباب أهل الجنة، ص334 – 335.

(2) ينظر: عويس، شهيد كربلاء، ص218، أبو النصر، الحسين بن علي، ص138، ص139، ص144، ص147؛ خالد، ابناء الرسول في كربلاء، ص107، العقاد، أبو الشهداء، ص300، عيسى، دم الحسين، ص96، ص111، محمد، أهل البيت في مصر، ص43، النفيس، نفحات من السيرة، ص116، ص119؛ سعد، السيدة زينب، ص46؛ الجندي، الامام جعفر الصادق، ص38، ص39، ص40 – 41، ص47 – 48، ص49، رضا، الحسن والحسين، ص62، النجار، الدولة الأموية، ص81، ص83، ص87؛ صالح، العرب والإسلام، ص310 – 317، الصدفي، ابدا حسين، ص269، ص277، ص287، ص288، خليف، حياة الشعر في الكوفة، ص126، عبد العال، الحالة السياسية، ص59، ماجد، التاريخ السياسي، 68/2، 69، 73، 75، غنيم، الثورات العلوية، ص10، ص185، ص185، لطفي، الشهيد الخالد، ص43، يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص181، 183، 215، 246، 148.

(3) عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص12، ص22، ص36، ص103، ص128، ص174؛ العقاد، أبو الشهداء، ص300، ص305، عيسى، دم الحسين، ص28، ص35، ص89، ص95، ص97 – 98؛ رضا، الحسن والحسين، ص57، ص58، ص60، ص63، ص64، ص65، ص72، ص73، ص82، ص86، ص87، ص88، ص95، ص102، لطفي، الشهيد الخالد، ص29، يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص237.

(4) عيسى، دم الحسين، ص61، ص69، ص73، ص74، ص103، ص117، ص160، الصدفي، ابدا حسين، ص270، يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص178، ص179، ص221، ص228، ص229.

(5) عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص89، ص128، عيسى، دم الحسين، ص137، الجندي، الامام جعفر الصادق، ص50، عبد العال، الحالة السياسية، ص55، ماجد، التاريخ السياسي، 70/2، 73، 75؛ غنيم، الثورات العلوية، ص166 – 167، 168، 169، يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص71، ص95، ص100، ص179، ص182.

ومن طريف ما يذكر في هذا المجال ان بعض الكتّاب المصريين احتاج لتوضيح ألفاظه البليغة التي انتقاها بعناية لسرد تفاصيل ثورة الحسين (عليه السلام) إلى هوامش توضيحية عديدة[1]، بينما أجاز آخر لنفسه استخدام اللهجة العامية في الهامش لتوضيح مغزى بعض العبارات[2] أو أُستغلَ الهامش احيانا لسرد أمور شخصية تخص المؤلف، وليس لها علاقة بقضية الحسين(عليه السلام)، مثال ذلك ما ذكره أبو علم من تفاصيل زيارته لمدنية رسول الله (صلى الله عليه وآله) والحرم لنبوي وأثر ذلك فيه روحياً ونفسياً[3].

يمكن للباحث ان يتوصل في ضوء دراسته للمصنفات المصرية إلى نظرة عامة وتقويم لبعض ادوات البحث العلمي التي سارت عليها تلك المصنفات مع محاولته – قدر الامكان – عدم تكرار ما تم ذكرهُ أو الاستشهاد به في الفصول السابقة.

لقد تبين من استعراض تبويب كتب السيرة انها حرصت في الغالب على التوفيق بين الترجمة الشخصية للحسين (عليه السلام)، وابراز الفضائل والمناقب باطناب وتفصيل، وبين سرد تفاصيل ثورته (عليه السلام) سرداً تاريخياً، وقد خلا هذا السرد في الغالب من مناقشة الروايات أو طرح الآراء، وعمد بعض كتّابها إلى افراد عنوان خاص في نهاية السرد التاريخي للثورة ليبين رأيه فيما قدمه من تفاصيل تاريخية، أو مناقشة آراء المؤرخين والباحثين في أسباب وأبعاد وتداعيات ثورة الحسين (عليه السلام)، فحملت تلك المباحث عناوين بيّنت هذه المضامين مثل: ((هل أصاب))[4]، و ((الشهيد ويزيد))[5]، ((في ميزان الحق))[6]، ((رحلة الحسين في الميزان))[7]، ((دفاع عن الحسين))[8] أو صياغة ابرز الاشكالات التاريخية على شكل اسئلة والعنونة لها بـ ((سؤال))[9]. وقد سبق جميع الباحثين المصريين إلى هذا اللون من التنسيق العقاد، حتى

---

(1) عويس، شهيد كربلاء، ص117 – 119، ص121 – 122، ص128، ص131، ص134 – 135، ص152 – 153، ص155.

(2) قام عيسى بتفسير قول الكوفيين في تخذيل بعضهم بعضا: ((.. انصرف الناس يكفونك)) فسّرها بالهامش (1) احنا مالنا – المرادف من العامية المصرية. وفسر القول الثاني لأهل الكوفة: ((ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول.. فما تصنع بالحرب)) بقوله في هامش (2) هوة احنا قدهم يا عم – مرادف أخر. ينظر: دم الحسين، ص41.

(3) الحسين بن علي، ص101 – 103، هامش 1.

(4) العقاد، أبو الشهداء، ص197 – 198.

(5) قرون، عظمة الامام الحسين، ص111.

(6) عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص164 – 177.

(7) أبو علم، الحسين بن علي، ص184 – 202.

(8) مشتهري، سيد شباب أهل الجنة، ص55.

(9) عويس، شهيد كربلاء، ص201 – 203.

يمكن القول ان جميع من سار على ذلك قد أفاد منه في هذا المجال وان اختلفوا معه في طريقة المعالجة.

وقد تفاوتت المصنفات المصرية في عرض الخبر التاريخي الخاص بثورة الحسين (عليه السلام)، والاسترسال بالنقل دون توسع أو تعليق حيناً[1]، أو الاتجاه إلى التحليل والتدقيق، وربط الأسباب بالنتائج للتوصل إلى بعض الاستنتاجات حيناً آخر، وقد تباين أصحاب هذا الاتجاه في القدرة على التحليل والتفسير والاستنتاج، وفي توجيه تلك الاستنتاجات لخدمة غاية معينة.

فقد أظهر العقاد قابلية جيدة على التحليل والتدقيق، وبرز حسه النقدي في الوقوف على بعض الأخبار مثل رده على ما قيل عن ولادة الحسين (عليه السلام) لستة اشهر، أو تغذيته من ابهام النبي (صلى الله عليه وآله) إلى كونها صورة رمزية نسجتها الاجيال المتعاقبة حول شخصية الحسين (عليه السلام) الرمزية أرادت بها ان تلتمس له مولداً غير المولد المألوف، والنشأة المعهودة وتلحقها أو توشك بالخوارق والمعجزات[2]، وقد ناقش بعض قضايا الخلاف بين المؤرخين المتأخرين مثل قضية اخراج الحسين لعياله معه إلى العراق، وهل كان هذا العمل خاطئاً أم انه كان الاحزم والأكرم ؟ فقال: ((وليس للمتأخرين ان يقضوا في مسألة كهذه بعقولهم وعاداتهم لأنها مسألة يقضى فيها بحكم العقل العربي وعاداته في اشباه هذه المواقف، وقد كان اصطحاب النساء والابناء عادة عربية في البعوث التي يتصدى لها المرء معتمداً القتال دون غيره فضلاً عن البعوث التي قد تشتبك في القتال وقد تنتهي بسلام كبعثة الحسين))[3] ورصد لرأيه شواهد من حروب المسلمين والنبي (صلى الله عليه وآله) فضلاً عن اشعار العرب قبل الإسلام[4].

وتبرز في هذه الملاحظة قابلية العقاد على الافادة من أدوات البحث العلمي الذي لا يقيس الغائب بالشاهد وإنما يفهم الحادثة التاريخية في ضوء الزمان الخاص بها، وقد حاول العقاد، أن يطبق – وهو يعالج قضية الحسين – ألواناً متعددة من مناهج البحث العلمي الذي لا يُغفل اثبات بعض الحوادث، أو مقاربة احتمال صحتها، بالاستفادة من التطور العلمي في عصرنا، من ذلك مثلاً ما ذكره عن ادمان يزيد للخمر فحاول الوصول إلى حقيقة ذلك من غير طريق اجماع الروايات فقال:

((وقد يكون عبد الله بن حنظلة مبالغاً في المذمة [ليزيد] لكن الروايات لم تجمع على شيء كاجماعها على ادمانه الخمر وشغفه باللذات.. وقد مات بذات الجنب وهو لما يتجاوز السابعة والثلاثين، ولعلها اصابة الكبد من ادمان الشراب والافراط في اللذات))[5].

---

(1) ينظر: إبراهيم، أيام العرب، ص399 – 387، سرور، الحياة السياسية، ص134 – 138، الحوفي، أدب السياسة، ص40 – 41، حسن، زعماء الإسلام، ص199 – 201، سعد، السيدة زينب، ص42 – 49، محمد، أهل البيت في مصر، ص64 – 82.

(2) أبو الشهداء، ص134 – 135.

(3) المصدر نفسه، ص211.

(4) العقاد، أبو الشهداء، ص212.

(5) أبو الشهداء، ص150، وينظر: عرموش، هاني، المخدرات امبراطورية الشيطان، ط بيروت، 1413هـ/1992م، ص147.

وقد استثمر العقاد التفسير النفسي للوصول إلى علل بعض المواقف، إذ أرجع مواقف الشمر، وعبيد الله بن زياد، ومسلم بن عقبة، العنيفة والقاسية إلى عيوب خَلقية ونَسبية، ولدت طباع ثائرة حاقدة على الناس، وأفرغت هذا الحقد في عداء الحسين (عليه السلام) وإن لم ينتفعوا بأجر أو غنيمة[1].

وقد استفاد من المنهج المقارن إذ عقد مقابلة بين أعوان معاوية، وأعوان يزيد[2] ثم بين اعوان يزيد وأصحاب الحسين (عليه السلام) وخلص من المقارنة إلى القول: ((وهكذا كان ليزيد أعوان إذا بلغ احدهم حده في معونته فهو جلاد مبذول السيف والسوط في سبيل المال، وكان للحسين أعوان إذا بلغ احدهم حده في معونته فهو شهيد يبذل الدنيا كلها في سبيل الروح وهي إذاً حرب جلادين وشهداء))[3].

وهما طرفان متناقضان، والحرب بينهما حرب بين النور والظلام، وبين اشرف ما في الإنسان وأوضع ما في الإنسان[4].

وقد حاكى العقاد في هذا المنهج بعض الكتّاب المصريين، فحاول بعضهم ان يفسروه عداوة يزيد للحسين (عليه السلام) تفسيراً نفسياً مرتبطاً بالكره والحسد الذي ورثه من كره وحسد بني أمية لهاشم[5]. وذهب آخر إلى تفسير سلوك المحيطين بيزيد من نفس الزاوية النفسية التي رصدها العقاد وبيّن ان وحشية ابن زياد في تعامله مع الحسين (عليه السلام) كان من الممكن ان تكون ((أقل خسة ووحشية ويرضي أسياده المزيفين على عرش الخلافة في دمشق ولكن هذه الخسة والدناءة ربما ترجع إلى أنّ هذا الرجل كان مجهول النسب وانه لا مقارنة بينه وبين الامام الحسين)[6].

واستخدم الصدفي منهج التحليل النفسي والاجتماعي للاجابة عن اشكالية خذلان أهل الكوفة للحسين (عليه السلام)[7].

وقد أفاد عدد آخر من منهج العقاد في المقارنة، فقارنوا بين معسكر الحسين (عليه السلام) ومعسكر ابن زياد ورأوا انهما متناقضان احدهما يمثل شريعة الحق والعدل وهم قلة قليلة يحدوهم الأمل في نصر الله، ويشكون من العطش والضيق ولكن هذا المعسكر يعرف انه يلقى الموت في سبيل اعلاء كلمة الله، أما المعسكر الآخر فكل منهم يشعر بالخوف والحيرة والاضطراب رغم انهم اضعاف مضاعفة عن المعسكر الآخر[8]. فمأساة كربلاء ملحمة إلهية

(1) المصدر نفسه، ص162 – 166؛ وينظر: ص87.

(2) المصدر نفسه، ص159 – 162.

(3) المصدر نفسه، ص168.

(4) المصدر نفسه، ص228 – 252.

(5) عويس، شهيد كربلاء، ص118 – 119.

(6) غريب، الامام الحسين، ص97.

(7) ينظر: ابدا حسين، ص369.

(8) منصور، الشقيقان في كربلاء، ص83.

ومعركة بين الخير والشر، والفضيلة والخداع واللؤم والدس والفجور، والحق والباطل والحرية، بين يزيد وعبيد الله ومن معهم وما يمثلون من خداع ولؤم ودس وفجور وباطل وخيانة وعبودية ومذلة وبين الحسين (عليه السلام) وما يمثل من الخير والفضيلة والحق والحرية والفداء والتضحية والنبل والإسلام كما يجب أن يكون والإيمان الأسمى والطاعة الكاملة لله والرسول[1] وقرر باحث ثالث ان وسيلة الحسين (عليه السلام) للوصول إلى قلوب الناس كانت صفاته الحميدة، ولذلك لم يتخل عنه في صراعه مع الباطل من يعشقون ديدنه حتى في أحلك ساعات الموت، أما يزيد فقد كانت وسيلته إلى قلوب الناس هي الاغداق عليهم بالمال والعطايا، فمن أبت نفسه قهره بالسيف..، فاستمال حوله السفهاء وقد ملأ صدورهم بالطمع ومناهم بالمزيد[2].

كما عرج هذا الكاتب على طبيعة المنافسة بين الحسين (عليه السلام) ويزيد موضحاً الفارق الذي يؤدي إلى شدة الصراع؛ والمتمثل بالتناقض في الصفات والنسب والسن بما يجعل المنافسة على أشدها[3].

ويمكن ان نقوّم منهج العقاد بالموضوعية والريادة في الكتابة عن ثورة الحسين (عليه السلام) إذ تعرّض ((لهذا الموضوع بأمانة وانصاف.. وأبدى ماله من النظرات فيه مع التمحيص والتحليل الفني والنفسي الرائع للأحداث ولبعض الشخصيات التي بحث عنها في الكتاب))[4].

ويمكن ان نتلمس محاولات أخرى في المناقشة والاستنتاج لدى كتّاب آخرين بلغت ذروتها لدى الصدفي الذي اتبع اسلوب البحث العلمي في الافتراض والتحليل والتركيز[5]، وعلى نحو أقل لدى يوسف[6] وغنيم[7] اللذان اعترفا في مقدمتي كتابيهما بحاجة تاريخ الحسين (عليه السلام) إلى مزيد من البحث والتمحيص، على الرغم من تناول الاقلام له إذ لم يحظ بكتاب يبسط الروايات.. ويحللها ويقارن بعضها ببعض، ويقيم أحكامه على أساس هذا البسط والتحليل والموازنة؛ وقد جهد هذان الباحثان في سد ذلك الخلل ولاسيما غنيم الذي قدّم دراسة متميزة في هذا المجال.

وقد اتجه كل من الشريف[8] والنفيس[9] والجمل[10]، إلى ربط الحوادث بأسبابها، محاولة الوصول إلى بعض الآراء والاستنتاجات.

---

(1) أبو علم، الحسين بن علي، ص8.

(2) قرون، عظمة الامام الحسين، ص7.

(3) قرون، عظمة الامام الحسين، ص35. وينظر: النفيس، على خطى الحسين، ص85 – 88.

(4) الساعدي، محمد جاسم داغر، مقدمة تحقيق كتاب أبو الشهداء الحسين بن علي للعقاد، ط طهران، 1425هـ/2004م، ص63.

(5) ابدا حسين، ص72 – 73، ص74 – 87، ص124 – 133، ص176 – 179.

(6) ينظر: سيد شباب أهل الجنة، ص9.

(7) الثورات العلوية، ص6.

(8) دور الحجاز، ص421 – 422، ص425.

(9) نفحات من السيرة، ص101 – 105.

(10) سيرة الحسين، ص80 – 81، ص98، ص100 – 103.

وتميز أحد كتّاب السيرة ببعض النقاشات والاستنتاجات رغم ان كتابه لم يأخذ شكلاً علمياً من النواحي الفنية، إلاّ انه كان دقيقاً في معالجة ونقد بعض الآراء التي لم يأخذها أخذ المسلمات كما فعل غيره، فنفى ما ردده كثيرون من ان الحسين (عليه السلام) ذهب ضحية خدعة لم يُحسن تدبرها، أو ضحية انصار لم يحسن تقدير اخلاصهم وثباتهم، وقرر ان الحسين (عليه السلام) ذهب شهيد إيمان قرر مختاراً ومشتاقاً ان يكون شهيده وقربانه، واستدل على هذا الاستنتاج برسالة الحسين (عليه السلام) إلى أهل البصرة الذين لم يكتبوا إليه، فكتب يدعوهم لنصرته ويعدهم للمجابهة، لأنه قرر ان ينهض بتبعات دينه وكان قراره آتياً من أعماق روحه وضميره وليس من حركة أهل الكوفة ودعوتهم اياه[1].

وقد حاول خالد الوصول إلى مغزى الصراع الذي قاده الامام علي والحسين (عليه السلام) ضد الأمويين، ويأخذ من ذلك الواقع المنظور دلالة على عدالة القضية التي ناضل دونها الامام علي وابناؤه فيذكر ان لنا ان نبصر عدالة القضية أكثر مما كان متاحاً لمعاصريها؛ فإذا كانوا ينظرون إليها من خلال حدسهم وتقديرهم فنحن اليوم نرى ما كان حدساً بالأمس قد صار حقيقة وواقعاً وتاريخاً، فها هو معاوية لا يكتفي باغتصاب الخلافة، بل يمعن في تحويل الإسلام إلى ملك عضوض، فيأخذ البيعة ليزيد كولي عهد له.. ويزيد يسلط قواده ورجاله ينزلون بالعباد والبلاد من الهول ما يخجل الشيطان نفسه من اقترافه، فابن زياد في الكوفة والبصرة يحز رأس كل من تسول له نفسه ان يقول: لمَ ؟ ثم يقتل ابناء الرسول في كربلاء.. ومسلم بن عقبة مبعوث يزيد إلى دار الهجرة يصنع بها من الوحشية ما يتعاظم كل وصف ثم يسطو على الخلافة بينت مروان وهو امتداد آخر للأمويين يُظهر.. الخراب والدمار والقتل.. هذه الأهوال كلها التي نراها اليوم بعد وقوعها كان الامام علي يحسها ببصيرته قبل وقوعها وقام من بعده ابنه ليمنع امتداد الكارثة واستمرارها[2].

ومن آرائه في رد القول بأن معاوية أخذ البيعة ليزيد لحرصه على عدم نشوب الخلاف والصراع من جديد بين المسلمين، فقال: انه لتبرير يدينه أكثر مما يشفع له فلماذا خشي الصراع والفتنة.. إذا هو وسد الأمر لغير أهله وسلم قيادة الدولة المسلمة إلى أكثر العاملين بُعداً عن الصلاحية لها، وهو يزيد.. ؟؟!![3].

---

(1) خالد، ابناء الرسول في كربلاء، ص90، ص93.

(2) خالد، ابناء الرسول في كربلاء، ص36 – 37.

ويجدر التنويه إلى ان خالد قد تدارك موقفه من معاوية – محاولا التأكيد على اتباعه الموضوعية في البحث – فقال: ((ونحن لا نريد الطعن في معاوية، فان منهجنا ان نحترم كل الاحترام من صحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقاتل تحت لوائه مفوضين أمره فيما يكون له من خطأ إلى الله بيد أننا خلال قيامنا بواجبنا في تحري الحقيقة في هذه القضية التي ندرسها لا نملك إلاّ ابداء الاسف الشديد، والجزع الاشد لهذا النهج الذي سار عليه مؤسس دولة الامويين)). المصدر نفسه، ص74.

(3) خالد، ابناء الرسول في كربلاء، ص76.

وقد أبدى رأيه في بعض الروايات مفسراً[1]، أو رافضاً ومفنداً ومن ذلك رفضه القول بأن الحسين (عليه السلام) عرض على عمر بن سعد ان يبايع ليزيد في كربلاء فقال: ((هذا تحريف واضح.. وإلاّ ففيمَ إذن كان امتناعه عن ان يقول بلسانه: بايعت يزيد، فينفضّ جيش ابن زياد وينتهي كل شيء ؟!))[2].

ويتضح مما قدمناه من آراء العقاد وخالد انهما حاولا – كُلّ على قدرته – عرض الحوادث وابداء الآراء فيها، ونقد ما يتيسر نقده منها؛ ولذلك قد نجد بعض الاجحاف في تقويم أحد الكتّاب المعاصرين لكتاباتهم عندما قال: ((امتاز خالد محمد خالد بنزعته العاطفية على حساب الجانب المعرفي، ويتقاسم معه هذه الصفة العقاد رغم ان العقاد يوظف الحوادث التاريخية لابراز هذه النزعة العاطفية، مع ميله إلى تحليل تمتزج به العاطفة مع التعقل لهذه الحوادث التاريخية))[3].

ولم يتوانَ كتّاب آخرين عن توضيح آرائهم وتعليقاتهم وهم يسردون ثورة الحسين (عليه السلام)، وكانت تلك الآراء تتوخى البحث عن العلل والاسباب، وتستهدف الوصول إلى الحقيقة التاريخية عن طريق نقد النصوص حيناً أو عن طريق نقد آراء المؤرخين القدامى والمحدثين[4]، وقد توصل بعضهم إلى آراء دقيقة أو غير دقيقة كما ذُكر ذلك في ثنايا الرسالة.

ومن الملفت ان بعض الباحثين والكتّاب المصريين قد حاولوا توجيه استنتاجاتهم لخدمة الاتجاه الفكري الذي يؤمنون به، ولم تتجرد آرائهم عن الأهواء والميول المذهبية، ولاسيما أولئك الذين خصصوا بعض كتاباتهم للدفاع عن الدولة الأموية ومنهم عبد اللطيف الذي كان يضطر أحياناً تحت ضغط ميوله الأموية إلى توجيه استنتاجاته بما يحفظ لهم فيه الصواب على كل حال، ومن ذلك ما أورده على شكل سؤال يرد في ذهن المنكر على معاوية اختيار ابنه للخلافة لأن بني أمية هم عصابة قريش ولا يرضون بسواهم فقال: ومع ذلك كله فقد يقول قائل: ألا ترى معي انه لو بحث معاوية عن رجل من ذوي الكفاءة من قريش، واستفتى ذوي الرأي والنهي بشأنه، ثم وقف وراءه بثقله الكامل.. ألا ترى معي ان ذلك كان ممكناً، وانه كان محققاً للغرض القائل بأن القصد من ولاية العهد هو سد أبواب الخلاف بين المسلمين وتجنيب

---

(1) المصدر نفسه، ص84 – 85، ص104.

(2) خالد، ابناء الرسول في كربلاء، ص121.

(3) عبد الرازق، محمود إسماعيل، مقابلة شخصية، في كلية الآداب – جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية، بتاريخ 2005/5/7م.

(4) ينظر: عيسى، دم الحسين، ص19، ص22 – 23، ص28، ص62، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص80 – 82، ص91؛ أبو النصر، الحسين، ص14، ص44، ص68 – 69؛ لطفي، الشهيد الخالد، ص47، ص51، أبو علم، الحسين بن علي، ص136 – 137، ص184 – 202، غريب، الامام الحسين، ص42، ص99، ص118، الجمل، سيرة الحسين، (ص74، يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص203، رضا، الحسن والحسين، ص65، ص73، ص75 – 79، ص80، ص111، الخربوطلي، عشر ثورات، ص70 – 87.

الأمة اخطار التنازع والفتن من جديد؟ وقد يكون هذا القول وجيهاً ولكن معاوية على كل حال اجتهد، فإن كان مصيباً فله أجران، وإن كان مخطئاً فله أجر واحد[1].

وعلى هذا النحو من التبرير تبنى رأي ابن العربي بعدم صحة الخروج على بيعة يزيد، وقال بأن ذلك كان رأي ومنطق الصحابة الحريصين على وحدة الأمة وسلامتها، ولو قدر لهذا المنطق ان يسود لتغير وجه التاريخ الإسلامي[2]، وبذلك فقد جعل الكاتب – وإن لم يصرح بذلك – الحسين (عليه السلام) غير حريص على وحدة الأمة وسلامتها؛ أو غير مدرك ما أدركه غيره من مواطن السلامة.

وعلى التوجه المذهبي نفسه سار شلبي متناقضاً مع نفسه في مؤلفاته التي ((امتازت بضعف المنهج والتحامل على الذين كتبوا أو أظهروا مثالب الدولة الأموية))[3]، وذكر ((قتل الأمويون الامام الحسين))[4]، ضمن ما أشيع عن مساوئ الأمويين !! التي اخترعها الفكر المعادي لهم !![5]. ومما دافع به عن الأمويين قوله: ان قتل الامام الحسين (عليه السلام) عمل بشع نهاجمه، ونمقته ولكن لماذا خرج الامام الحسين واستجاب لأهل الكوفة الذين انقلبوا عليه فحاربوه وقتلوه ؟!![6]. فالامام مخطئ بهذه النظرة العقيمة التي تستهدف الدفاع عن الأمويين، ولكنه تناقض وتطرف في كتابه الثاني فتارة يجعل الحسين (عليه السلام) ينطلق في ثورته من عقل عميق موهوب، وتارة يجعل ثورته فتنة وسعت باب الاختلاف، ثم لا يُنكر ان دماء الحسين (عليه السلام) استطاعت ان تسقط بني أمية[7].

واتفق الجبري مع شلبي في تخفيف تبعات مقتل الحسين (عليه السلام) عن الأمويين فقال: ((لقد قتل الحسين أولئك الذين بايعوا له مسلماً ثم غدروا به ولم يبلغوه انهم عاجزون عما بايعوا عليه))[8].

وابتسر ملابسات مقتل الحسين (عليه السلام)، ولم يورد كلمة واحدة للامام (عليه السلام) توضح أسباب الثورة، وعلل رفض البيعة ليزيد، بل حرف حقائق التاريخ فصوّر ان الحسين (عليه السلام) كان

---

(1) العالم الإسلامي، ص126، هامش 60.

(2) المصدر نفسه، ص135. وينظر: الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية – الدولة الأموية، 119/2.

(3) عبد الرازق، محمود إسماعيل، مقابلة شخصية في كلية الأداب – جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية، بتاريخ 2005/5/7م.

(4) المكتبة الإسلامية لكل الاعمار – الدولة الأموية، 8/2.

(5) المصدر نفسه، 5/2.

(6) المصدر نفسه، 8/2.

(7) شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي – الدولة الأموية، 207/2 – 209.

(8) حوار مع الشيعة، ص247.

مبايعاً ليزيد، ثم خلع بيعته عندما قال: ((وغادر الحسين وابن الزبير المدينة إلى مكة فالتقيا على خلع يزيد))[1].

وقد يكون عدم التبصر، وضعف الإطلاع على التاريخ عند بعض هؤلاء الكتّاب وراء الاخطاء التي وقعوا بها والتي كانت بمثابة تحريف للحقائق، وتزوير للتاريخ ينحى به إلى تشويه صورة الحسين (عليه السلام)، وتخطئة فعله، من ذلك ما ذكره محمد في أثناء سرده لتفاصيل ثورة الحسين (عليه السلام) فقال: ((وقد أرسل الحسين إلى أهل الكوفة ينبأهم هذا الأمر [الامتناع عن بيعة يزيد] فاشاروا عليه بترك مكة والقدوم إليهم في الكوفة))[2].

وقد تغاضى عن ان المكاتبات بين الحسين (عليه السلام) وأهل الكوفة كانت لطلب النصرة منهم، والانضمام إليه في اعلان الثورة، وان أهل الكوفة لم يكونوا العامل الأول في توجه الحسين (عليه السلام) وترك مكة، وإنما كان ذلك للخطر المحدق به وليس بمشورتهم.

وقال في موضع آخر: ((فلما انقطعت أخبار مسلم قرر الذهاب إلى الكوفة برغم نصح الناصحين))[3]. والصواب ان الحسين توجه إلى الكوفة بعد مجيء رسالة مسلم، وليس قبلها وان ما ذكره محمد يوهم بأن الحسين (عليه السلام) خرج مجازفاً رغم النصح على غير أهبة.

ومضى بعض الكتّاب في طريق الاستنتاج غير المدعم بالأدلة فظن صالح ان رسائل أهل الكوفة إلى الحسين كانت بدافع العصبية فقد بادروا يستحثونه للقدوم إليهم ليبايعوه ((اماماً بالعراق، ينافسون به يزيداً خليفة الشام، محاولة ثانية لاستعادة العراق مركز السيادة ومكان الصدارة في الدولة، وتلك إذن نزعة أو عصبية اقليمية متجددة بين العراق والشام))[4].

وبهذا التبسيط الساذج أختصرت قضية الحسين (عليه السلام) وأسدل الستار على كل تصريحات الحسين (عليه السلام) بأنه اعلن الثورة للنهي عن المنكر والوقوف بوجه الظلم والجور، وما خاطب به الكوفيون الحسين (عليه السلام) في رسائلهم معددين مساوئ النظام الأموي، ولكن أنى لهؤلاء الكتّاب القول بذلك !! وقد عدّ بعضهم الدولة الأموية ((حامية العروبة والإسلام))[5] مثل شاه الذي فسر ثورة الحسين (عليه السلام) تفسيراً لم يقل به أحد قبله فقال:

---

(1) حوار مع الشيعة، ص247.

(2) حضارة الدولة، ص159 – 160.

(3) المصدر نفسه، ص160، وينظر: حسن، تاريخ الإسلام، ص398 – 399.

(4) العرب والإسلام، ص311، وانظر ما يناقض ذلك ص308 – 310.

(5) شاه، العقائد الشيعة، ص11.

يجدر التنويه إلى ان هذا الكتاب ألف في أواخر الحرب العراقية الايرانية، ومؤلفه من الداعين إلى إعادة كتابة التاريخ، وقد دعا إلى أن يكون المؤرخ متجرداً من عواطفه وميوله وتبعيته وينظر إلى الحوادث بعين مجردة، ولكنه تصدى في كتابه للفرق الشيعية (التي تدعي الإسلام، وكلها على ضلالة برأيه)، لكي لا تستمر على خداع المسلمين، ينظر: ص5 – 21.

((خرج الحسين عن الطاعة ولاسيما حين رأى أهل الكوفة وقوف ابن الزبير في وجه يزيد، خافوا ان تدور الدائرة على يزيد فيظلون بلا سند لهم ولا عضد فكاتبوا الحسين يحثونه على رفع راية العصيان ليبايعوه بدلاً عن يزيد))[1].

ويقف على رأس الباحثين المصريين الذين وجهوا استنتاجاتهم في قضية الحسين (عليه السلام) للدفاع عن بني أمية، الكاتب حمدي شاهين، الذي ذكر العوامل التي شكلت من وجهة نظره اسباباً في تصلب الحسين (عليه السلام) في رفض بيعة يزيد راداً بعضها إلى ((الدعاية المعادية للأمويين والتي نشطت لتشويه صورة يزيد بن معاوية ولتلصق به صفات الفسق والاستهتار وعدم الكفاية، وربما ايقن أعداء الأمويين ان الدعاية ضد معاوية عمل عسير لا يأتي بالثمار المرجوة فركزوا على شخصية ولده، وولي عهده))[2]. ولم يبين شاهين ما هو مصدر الدعاية المعادية، التي شوهت سيرة يزيد، وإدانته بما ليس فيه من فسق، وكيف تأثر بها الحسين ؟!

وعلى هذا النحو سار في عدد من استنتاجاته، مثل تكذيب الروايات التي ذكرت سعي بني أمية لقتل الحسين (عليه السلام) في مكة[3] وتنزيه يزيد عن الأمر بقتل الحسين (عليه السلام) على الرغم من اعترافه انه صوب فعل ابن زياد بقتل مسلم بن عقيل وحذر ابن زياد من الثورة، وأمره بحصار الحسين (عليه السلام)[4]، واعتمد في تبرأة يزيد على روايات كان قد اتهم رواتها بالكذب والتشيع ثم قبلها حين كانت تدعم توجهه الفكري[5]. وتساهل في اعتماد رأي ابن تيمية في نفي السبي الذي وقع على أهل البيت (عليهم السلام) بعد استشهاد الحسين (عليه السلام)، دون دليل علمي كافي سوى انفراد ابن تيمية بالنفي، وتكذيب التواتر القائل بعكس ذلك[6].

وغير ذلك من شواهد أخذت مكانها على صفحات الرسالة وكانت دليلاً على عدم التزام هذا الكاتب بما أخذ به نفسه من دراسة أقوال المؤرخين في عدالة وانصاف[7].

ومن الجدير بالاشارة ان بعض المصنفات – ذات الطابع الأكاديمي – قد اساءت التعامل مع شخصية الحسين (عليه السلام) من حيث تدري أو لا تدري، وقد يكون ذلك لأسلوب الفهلوة[8] الذي تعامل به بعضهم مع قضية الحسين (عليه السلام) بحيث أرادوا ارضاء جميع المذاهب، ((ورغم ان ذلك لا يعني انه [الفهلوي] لا يدرك الحقيقة أحياناً، لكنه غالباً ما

---

(1) المصدر نفسه، ص71.

(2) الدولة الأموية المفترى عليها، ص307.

(3) شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص313.

(4) المصدر نفسه ص314 – 316.

(5) شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص323 – 325.

(6) شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص322.

(7) المصدر نفسه، ص7.

(8) أو مصطلح الشطارة: ويتصف الفهلوي عادة بشعوره بالقدرة على ارضاء الجميع وخداعهم في ان معاً، مع الحفاظ على خط سيره نحو الهدف الذي حدده لنفسه ضمن نزعته الاستعلائية ونظرته إلى الاخر على انه كائن مؤهل للانخداع والتصديق والتبعية. غزاوي، التيار الاستردادي، ص75.

يتجاهلها، فنحن نلمس انه يشير إليها بوسائل الإشارة المختلفة هنا وهناك، بما يجعله يقع في التناقض في المسار لمنطقي لمجمل النص الداخلي، حتى ان هذا التناقض يبدو أحياناً في الصفحة الواحدة))[1].

من ذلك ما ذكره حسن عندما صوّر الحسين (عليه السلام) بصورة مهزوزة فقال: ((كان الحسين رجلاً طيب القلب، اغترّ بدعوة الشيعة فأرسل ابن عمه مسلم إلى الكوفة ليبلغه حقيقة الأمر))[2] وأظهره كحيلة بشخصية مترددة، واصل طريقه إلى الكوفة بتأثير نزعة الثأر فقال: ((خرج الحسين من مكة في نفر قليل.. وعندما اقترب من العراق علم بمصرع ابن عمه ففكر في ان يعود أدراجه بالحجاز، خصوصاً وانه التقى بالفرزدق الشاعر.. الذي قال له: قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية عليك، عدل الحسين عن تردده بعد ان أصرّ اخوة مسلم على الأخذ بثأره))[3].

وقد اتضحت رغبة ارضاء جميع المذاهب – وان على حساب الحقيقة التاريخية – لدى عبد العال الذي ذكر ان الحسين (عليه السلام) عرض الذهاب إلى يزيد ليضع نفسه تحت تصرفه أو يذهب إلى حدود الدولة الإسلامية وأطرافها لحمايتها من غارات الترك[4]، وأخفى شهادة عقبة بن سمعان بعكس ذلك. وكذلك سار على نفس النهج من التحريف السيد عندما ذكر ان الحسين (عليه السلام) انطلق يسير نحو يزيد عندما علم بمحاصرة عبيد الله بن زياد لطرق الكوفة، فتلقته الخيول بكربلاء.. فناشدهم الله والإسلام ان يسيروه إلى أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده، فرفضوا إلاّ ان ينزل على حكم ابن زياد، الذي يتحمل مسؤولية ما جرى للحسين(عليه السلام)[5]. والغريب ان يأخذ هذا المؤلفان بهذه الرواية ويهملان شهادة عقبة بن سمعان التي نفت عن الحسين (عليه السلام) ذلك في نفس المصدر.

وقد لفت نظر الباحث تعليق للجبري في الدفاع عن ولاية يزيد، اساء فيه للحسين (عليه السلام) بصورة كبيرة وإن كانت غير مباشرة نوعاً ما، إذ عدّ الحسينَ (عليه السلام) عاصياً لأوامر الله ورسوله (صلى الله عليه وآله)، غير قادر فقهياً على استخلاص الحكم الشرعي من بيعة يزيد، مناقضاً تواتر المصادر القديمة والحديثة بضمنها المصرية منها القائلة بفقه الحسين (عليه السلام) علمه، فقال:

---

(1) المصدر نفسه، ص75.

(2) التاريخ الإسلامي العام، ص183، وينظر: ماجد، التاريخ السياسي، 71/2.

(3) العقد الثمين، ص153 – 154.

(4) الحالة السياسية، ص59.

(5) سيرة آل بيت النبي، ص333، وينظر لجونه عندما أراد أن ينزه يزيد من مقتل الحسين (عليه السلام) إلى ما قاله ابن تيمية في هذا الموقف. ص335 – 338.

((لقد اجتهد معاوية ورأى فيما فعله وقاية للمسلمين من شر فتنة كالتي شاهدها، فأراد بما فعله حقن الدماء ولكن عصيان بعض المسلمين أوامر الله ورسوله في طاعة أولـــي الأمـــر، لأراء غير ممحصة فقهياً أوردهم كؤوس المنايا، فنعب البوم على خرائب الديار))[1].

فإذا كان الجبري أفقه من الحسين (عليه السلام) بشريعة جده، فلماذا عدّ معاوية مجتهــداً، ولــم يحسب الحسين (عليه السلام) كذلك ؟

ان المفهوم الشائع الموروث لدى أهل السنة تجاه حكام الجور.. ينطوي على مفارقة حادة لحقيقة هذا الدين، بمثل ما يحوي من تناقضات صارخة تجعل من العسير جداً علـــى المـــرء المحايد فهم كيف غابت تلك التناقضات على طارحي هذا المفهوم، إلاّ أن يكون ذلك نابعاً من محاولة أولى للخلط المتعمد من فقهاء وقفوا أنفسهم على سلاطين الجور، ثم تلاهم من اتبعهم؛ أما لدأبهم على تقديس الماضي بغير تمحيص وبغير رغبة في بذل الجهد أو امعان فكر، وأما لذات أسباب الأولين في مداهنة واسترضاء حكام الجور[2].

لم يخلُ المنهج المصري من بعض الاخطاء الفنية حيناً والعلمية احياناً أخرى، من ذلــك اهمال بعض الكتّاب وتجاوزهم لفترة النزاع بين الحسين (عليه السلام) ويزيد، وعــدم ذكـــر ثـــورة الحسين (عليه السلام) ضمن الحقبة التاريخية التي يدرسونها[3].

ولم يلتزم أخرون بالتسلسل الزمني أو المنطقي في معالجة الأحداث من ذلك مـــا فعلـــه غريب عندما درس حياة الحسين (عليه السلام) في كتابه، ومرّ على تفاصيل ثورته، ثم استعرض في نهاية كتابه مشكلة الخلافة من وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) إلى قيام الدولة الفاطمية ليبين أثر الـــصراع والخلاف حول الحكم في التاريخ الإسلامي، وكان الأجدى أن يكون ذلك في بداية الكتاب لا في نهايته[4]. ومنهم أيضاً السيد الذي ذكر تحذير بعض أئمة التـــابعين للحـــسين (عليه السلام) مـــن الثورة خوف الفتنة، ثم عاد ليعرض نصائح الصحابة[5]. وقرون الذي بدأ كتابه بالمنافسة بين أمية وهاشم، ثم خلافة الحسن (عليه السلام) وحكم معاويـــة، وبيعـــة يزيـــد، ثـــم تفاصـــيل ثـــورة الحسين(عليه السلام) ثم عاد ليذكر صفات الحسين (عليه السلام) الخَلقية والخُلقية، ومكانتـــه عنـــد رســـول الله(صلى الله عليه وآله)، وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) فيه، واجلال الصحابة له، وشيء من فقهه وعلمه وحكمتـــه،

---

(1) حوار مع الشيعة، ص244، ينظر: النجار، الدولة الأموية، ص92 – 93.

(2) الصدفي، ابدا حسين، ص297.

(3) ينظر: الطيباوي، محاضرات، ص149؛ عبد الأخر، التآمر على التاريخ الإسلامي، ص140 – 141.

(4) الامام الحسين، ص143 – 161.

(5) سيرة آل بيت النبي، ص319 – 320، ص321 – 322.

ووفاءه وشجاعته[1]. فضلاً عن تكرار بعض الكتّاب لما كتبوه عن الحسين (عليه السلام) نصاً في كتب أخرى[2].

ورصد الباحث بعض الاخطاء في اسماء الشخصيات التاريخية أو الأماكن لدى الكتّاب المصريين من ذلك ما نقله مشتهري من ان الذي التقاه الامام الحسين (عليه السلام) في الطريق إلى العراق كان عوانة بن الحكم بدلاً من الفرزدق الشاعر[3] وما ذكره لطفي من انّ اعظم دليل على الروح الجريئة القوية للحسين (عليه السلام) هي تلك الرسالة البليغة التي بعث بها إلى معاوية على أثر قتله محجن بن عدي وستة من أصحابه لأنهم كانوا ينكرون سب علي[4]. والمعروف ان رسالة الحسين (عليه السلام) كانت احتجاجاً على قتل حجر بن عدي ورفاقه، وقد تكرر هذا الخطأ في اسم حجر حتى في نص رسالة الحسين (عليه السلام) الذي نقله لطفي في كتابه[5]. واخطأ قرون عندما سمى والي مكة ابان خروج الحسين (عليه السلام) إليها النعمان بن بشير[6]. بينما النعمان كان والياً على الكوفة في ذلك الوقت.

وورد لدى بعض الكتّاب المصريين اخطاءً تدل على عدم الدقة في فهم المرحلة التاريخية من ذلك ما ذكره حسن من أنّ الحسين (عليه السلام) طلب من قائد جيش ابن زياد ان يرجع إلى الحجاز أو الذهاب إلى الخليفة في بغداد[7] !!.

وكرر الجبري الخطأ الذي وقع به ابن تيمية قبله من ان عبيد الله قتل على يد بني أمية[8]، والثابت في كتب التاريخ ان المختار هو الذي قتل ابن زياد، وليس بني أمية.

ولم يدقق كُتّاب آخرون في تاريخ شهادة الحسين (عليه السلام)، ولا مبرر لذلك مع كل الشهرة والتواتر الذي حظي به يوم وسنة شهادة الحسين (عليه السلام)، فذكر منصور ان شهادة الحسين (عليه السلام) كانت في 10 ذي الحجة عام 61هـ ووضع هذا التاريخ بعنوان بارز: (مذبحة كربلاء

---

(1) عظمة الامام الحسين، ص3 – 42، ص42 – 50، وينظر: يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص54 – 64، ص91 – 96.

(2) ينظر: السحار، أهل بيت النبي، ص127 – 199، السحار، حياة الحسين، ص19 – 199، الخربوطلي، المختار، 79 – 81، الخربوطلي، عشر ثورات، ص73، ص82 – 83، شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي – للدولة الأموية، 206/2 – 209، كالشلبي، المكتبة الإسلامية لكل الأعمار – الدولة الأموية 36/5 – 41.

(3) سيد شباب أهل الجنة، ص55 – 56.

(4) الشهيد الخالد، ص26.

(5) المصدر نفسه، ص26.

(6) عظمة الامام الحسين، ص51، وينظر: ص103 عندما ذكر ان يزيد ابنا لسمية، والصواب انها أم زياد وجدة عبيد الله بن زياد.

(7) التاريخ الإسلامي العام، ص284.

(8) حوار مع الشيعة، ص255 – 256.

– الجمعة 10 ذي الحجة عام 61هـ) في الفصل الثامن من كتابه[1]. واخطأ مؤنس في سنة الشهادة فجعلها 63هـ/683[2] بدلاً من 61هـ/680م.

وقد تساهل بعضهم في ايراد وسرد تفاصيل مقتل الحسين (عليه السلام)، مثل ايراد تفاصيل غير دقيقة[3]. أو اختزال الحدث مع الاخلال المعيب في تفاصيل الثورة وأسماء الشخصيات، وتهوين المأساة لجعل النتيجة نكراء، وذلك ما حدث في كتاب حافظ: إذ يروي ان الحسين (عليه السلام) بعد ان تقابل مع عبيد الله بن زياد وهو في اربعة آلاف، علم انه ليس به طاقة فبعث إليه وقال: انا معك بين ثلاثة أمور، أما ان تدعني اذهب من حيث جئت، وأما ان تعين لي موضعاً أخر اقصده وأعيش به، وأما ان اسلم نفسي إليك نازلاً على حكم يزيد ابن معاوية فتحملني إليه ليفعل في امري ما يشاء، فقال له عبيد الله: أما الافراج لك عن الطريق فلا سبيل إليه، وأما تعيين موضع تقصده فليس ذلك لي، وأما نزولك على حكم يزيد فلا والله ما تنزل إلاّ على حكمي، فقال الحسين: الموت تحت ظلال السيوف أحب اليّ من النزول على حكمك، وتواعدوا للقتال ولما التقى القوم لم يرم أحد من عسكر عبيد الله سهماً، ولم يسل سيفاً، فقال عبيد الله: من أتاني برأس الحسين (عليه السلام) فله الري، فتقدم عمر ابن سعد وطلب ان يكتب له عهد الري وسيفعل ما يريده منه في الحال فكتب وسلم إلى عمر عهده فتقدم وانتزع سهماً من كنانته، ورمى به فوقع في نحره فسال دمه على صدره ولحيته فأخذ الدم ورمى به وصالح اللهم هذه افعالهم بابن بنت نبيك ! ثم تكاثروا عليه وجاء الشمر فأحتز رأسه ووضعه في مخلاة فيها تبن وحمله لابن زياد فنفذه ابن زياد على هيئته إلى يزيد، ولعل هذه الصورة هي التي اشعلت الصراعات للاطاحة بالاسرة الأموية الحاكمة التي تسببت في قتل علي والحسين، ونسب إليها سم الحسن (عليه السلام) ومن هنا وجدت الشيعة المجال النفسي الشعبي للتعاطف معها[4].

ويبدو من النص المتقدم، ان الكاتب قد جعل قائد جيش الخلافة المباشر لمعركة كربلاء هو عبيد الله بن زياد وليس الحر أولاً وعمر بن سعد ثانياً، ثم جعل مفاوضات الحسين (عليه السلام) مباشرة معه وليس مع عمر بن سعد، واختصر ظروف انضمام عمر بن سعد إلى جيش ابن زياد، وبدأ القتال، وجعل القاتل عمر بن سعد أولاً ثم الشمر بعد ذلك، وقد استثمر قضية ارسال رأس الحسين (عليه السلام) إلى يزيد للقول ان صورة القتل المأساوي هي التي أشعلت الصراعات التي اطاحت بالدولة الأموية؛ ولنشأة الشيعة وانتشارها من وجهة نظر الكاتب ((آثار مدمرة في مجال صراعات المسلمين ضد انفسهم))[5].

(1) الشقيقان في كربلاء، ص74.

(2) عالم الإسلام، ص196.

(3) ينظر: السحار، حياة الحسين، ص180.

(4) الإسلام والصراعات الدينية، ص154.

(5) المصدر نفسه، ص154.

ولعل هذا المنطق ذاته هو الذي حكم استنتاج أحمد أمين عندما ذكر ان التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد ادخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية[1]، وقد اتخذ باحثين آخرين[2] ذلك منطلقاً للإساءة إلى معتقدات الشيعة جميعاً الغالية منها والمعتدلة.

ولم يتورعوا عن القول ان العراق صار موئلاً للشيعة، ومنبعاً للثورات على بني أمية لأنهم وجدوا علياً أجدر بالخلافة من معاوية وذلك لاعجابهم بعلمه وتقواه وعطفه عليهم، ثم لشعورهم بأن في التشيع لابناء علي نصرة للجنس الفارسي، لأن الحسين (عليه السلام) تزوج احدى بنات يزدجرد فابناء الحسين (عليه السلام) في نظرهم ورثة ملوكهم وورثة تقاليدهم القومية، وقد لائمت العقيدة الشيعية الفرس من أهل الكوفة لأنها ملائمة لعواطفهم وماضيهم القائل بأن ملوكهم مصطفين من الله، وهم ظل الله على أرضه، ولهم على الناس السمع والطاعة، ولا غرابة في ان ينقل الفرس ولائهم القديم لملوكهم إلى ولاء جديد لعلي وبنيه، لأنهم أقرب الناس إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وأحقهم بوراثته[3].

ان هذا الرأي الذي ردده عدد من الباحثين المصريين نصاً عن المستشرق دوزي[4] يتناقض مع الحقيقة التاريخية وهي ان التشيع للامام علي بدأ قبل دخول الفرس في الإسلام، وبدأ بالقول بتقديم الامام علياً على غيره، وقال بأحقيته بالخلافة لكفاءته وعلمه وجهاده في الإسلام من ناحية، ولقرابته للنبي (صلى الله عليه وآله) وقربه منه من ناحية أخرى فلماذا لا يُقال – جدلاً – ان هذا تأثير عربي لأن العرب من قديم تفخر بالرياسة، وبيت الرياسة[5]، ولماذا لم يتخذ أئمة الاثني عشرية فارساً بدلاً من المدينة مقاماً لهم[6] إذا كانت توفر لهم هذا الامتداد السياسي

---

(1) أمين، أحمد، فجر الإسلام، ط7، القاهرة، 1375هـ/1955م، ص276. وينظر: ص111 – 112، ص274 – 275، ص277 – 278.

(2) ينظر: الخربوطلي، المختار الثقفي، ص46 – 47، النجار، الدولة الأموية، ص77، عبد اللطيف، العالم الاسلامي، ص470، النجار، الشيعة وامامة علي، ص67 – 69، الشايب، تاريخ الشعر، ص223 – 228، الحوفي، أدب السياسة، ص24، ص41، ماجد، التاريخ السياسي، 77/2، شاه، العقائد الشيعية، ص9 – 10، كحيلة، العقد الثمين، ص169 – 170، صبيح، خصوصية وبشرية النبي، ص335 – 339، البنا، رجب، الشيعة والسنة واختلافات الفقه والفكر والتاريخ، ط القاهرة، 1425هـ/2004م، ص11 – 14، طعيمة، صابر، الأصول العقدية للامامية دراسة نقدية لعقائد غلاة الشيعة، ط القاهرة، 1425هـ/2004م، ص28 – 29.

(3) الحوفي، أدب السياسة، ص24، الخربوطلي، المختار الثقفي، ص46 – 47، كحيلة، العقد الثمين، ص169 – 170، ماجد، التاريخ السياسي، 77/2، شاه، العقائد الشيعية، ص9 – 10؛ وينظر: خليف، حياة الشعر في الكوفة، ص69.

(4) ينظر: رأي دوزي الذي نقله البنا، الشيعة والسنة، ص20 – 21.

(5) ينظر: المصدر نفسه، ص21.

(6) عبد الرازق، فرق الشيعة، ص103 – 104.

بوصفهم ورثة الملوك الأكاسرة !! وهم مَن لم ينفك اعدائهم باتهامهم بـالطمع فـي الملـك والسلطان !!

لم تكن هذه النظرة جديدة، ولا كان الكتّاب المصريون هم السبّاقون إليها، فقد كان اقبال الفرس على اعتناق المذهب الاثني عشري من أسباب نظرة المـؤرخين الرسـميين[1] إلـى المذهب باعتباره مذهباً شعوبياً يتبنى الزندقات والهرطقات الفارسية[2].

لقد استلهم عدد من الكتّاب المصريين العبرة والدروس من استشهاد الحسين (عليه السلام) وقـد كان وقوفهم عند ذلك البعد المهم دليل على فاعلية وظيفة التاريخ في حياة الإنسان؛ إذ اعتبر احدهم ان مأساة كربلاء رسالة من ابن النبي للمسلمين هي الأولى من نوعها بما تحتويه من دروس منها: ألا يقر أحد الباطل، فالامم تبقى بالمقاومة والدرس الثاني يتعلق بجزاء الـسماء ومصير الطغاة فالسماء تُملي للظالم حتى إذا أخذته لم تفلته... والاهداف العظيمة لا يبلغهـا الناس إلا باعمال عظيمة ووسائل سليمة، وانها درس في الواجب وأدائه في كل الظروف وان وهم المطالب به انه غير مجدٍ عليه أو على غيره فهو لم يصبح واجباً إلاّ لأن التكليـف بـه يحقق المصلحة العامة أو الخاصة، إن حالة، وان مؤجلة، منظورة أو غير منظورة[3].

وقد توجه الصدفي إلى فهم ثورة الحسين (عليه السلام) فهماً يستقرأ التاريخ، ويحلل نتائجه فـي مقام رده على الآراء التي وجدت ان ثورة الحسين تسبب فتنة هوجاء فقال:

((ان الحقيقة.. التي أوجزها ابن خلدون في قوله (الظلم مؤذن بخراب العمران) ترد على ذلك الزعم، فهي تلخص استقراء وقائع التاريخ، والنظر في أحوال الأمم والملوك، وهو مـا أكدته من قبل أدلة القرآن والسنة، فليست هناك فتنة أشد من الخراب على يد الظالمين وليست هناك فتنة أشد من تعطيل أحكام الشرع واتباع الهوى دون العدل))[4].

واستطرد مبيناً تداعيات الظلم على حياة الناس، التي حاول الحسين (عليه السلام) التصدي لهـا بثورته فقال:

---

(1) بديهي ان يعمد مؤرخو بني العباس – بايحاء من الخلفاء – إلى تشويه المذهب الاثني عشري حتى في حياة الامام جعفر الصادق (عليه السلام) الذي كان يقول: ((ان الناس قد أولعوا بالكذب علينا، وإن أُحدث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير وجهه، وذلك انهم كانوا لا يطلبون بأحاديثنا ما عند الله، وإنما يطلبون الـدنيا)). وثمة اشكالية أخرى تتعلق بمحاولات الطعن في هذا المذهب وتكمن في كونه يتبنى قضية العـدل الاجتمـاعي، الأمر الذي جذب إليه العوام، ومعلوم ان كتب التاريخ الرسمي تتحامل على حركات العوام وفق نظرة اسـتعلائية تنتهك حقائق التاريخ.

ينظر: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، 70/1؛ عبد الرازق، فرق الشيعة، ص104 – 104، الحسني، سيرة الأئمة، 249/2 – 250.

(2) عبد الرازق، فرق الشيعة، ص103.

(3) الجندي، الامام جعفر الصادق، ص53 – 54.

(4) أبدا حسين، ص333.

((والحكم الظالم يدفع الناس دفعاً للوقوع في حبائل الفتنة، فتنة التعرض للأذى في النفس والبدن والمال والرزق والعرض، وفتنة النفاق وفتنة فقدان المروءة، وفتنة الانطواء على الضيم، وفتنة الانكفاء على الذات طلباً للنجاة الفردية، وفتنة الركون إلى الظالمين ثم تكون العاقبة لذلك كله فتنة التعرض للغضب الإلهي))[1].

لقد كانت ثورة الحسين (عليه السلام) في رأي أبي النصر دلالة على ان الإسلام لا يؤيد الحاكم الطاغية، ولا الأمير العاتي، بل انه يأمر المسلمين بانكاره وحربه، فمقام الحكم لا يجب ان يتصل بغير الافاضل من القوم الخلص من البشر، الذين يقسطون بين الناس، ويقيمون العدل، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر[2].

لقد نقلت المصنفات المصرية ثورة الحسين (عليه السلام) بأساليب مختلفة، فتارة عُرضت ثورة الحسين (عليه السلام) بأسلوب وعظي ارشادي يعتمد اللغة البسيطة[3] التي تركز على الوعظ الديني والأخلاقي واستلهام السيرة الصالحة التي تشحن القلوب بالايمان والاخلاص مثل اسلوب مشتهري[4]؛ ولا ريب ان يأخذ كتابه هذا المنحى؛ فمؤلفه مارس نشاطاً وعظياً كبيراً، فعُين مديراً للوعظ في مصر، وتجول في عدد من الاقطار العربية واعظاً، فضلاً عن عمله في حقل الجمعية الشرعية والقاء التوجيهات الإسلامية في أنحاء مصر[5].

ومزج كتاب فهمي عويس بين الأدب والتاريخ والوعظ والارشاد واستعمل الفاظاً بليغة مسجوعة احتاج أحياناً إلى توضيح معانيها في هامش الكتاب[6]، وأودع كتابه ثلاث رسائل وعظية سماها ((تخيلات في الأدب الرفيع في ثلاثة مواضيع أولها كلمتي ليزيد فيمن هو أحق بالخلافة وثانيها كلمتي ليزيد في مصرع سيد الشهداء، وثالثها على قبر يزيد))[7].

وسرد بعض الباحثين ثورة الحسين (عليه السلام) سرداً تاريخياً باسلوباً مبسطاً أقرب إلى القصة الشيقة التي تكون السيدة زينب (عليها السلام) محورها تارة[8]، أو تأخذ شكل الحوارات المتنوعة تارة أخرى[9].

---

(1) المصدر نفسه، ص334.

(2) الحسين بن علي، ص7. وينظر: العقاد، أبو الشهداء، ص214.

(3) ينظر: محمد، أهل البيت في مصر، ص182 – 183.

(4) سيد شباب أهل الجنة، ص5 – 11.

(5) الطرابيشي، سامي صالح، المؤلف في سطور – ملحق بكتاب سيد شباب أهل الجنة لمشتهري، ط مصر، 1412هـ/1991م، ص66 – 67.

(6) شهيد كربلاء، ص117، ص118، ص119، ص121 – 122، ص128، ص131، ص134، ص135، ص152 – 153، ص155.

(7) شهيد كربلاء، ص5، وتنظر صفحات هذه المواعظ: ص128 – 135، ص194 – 205، ص219 – 222.

(8) سيد الأهل، زينب، ص69 – 150، غريب، بطلة كربلاء، ص77 – 109.

(9) السحار، أهل بيت النبي، ص277 – 390.

وجمع أغلب الكتّاب المصريين بين الاسلوب الوصفي والموضوعي العلمي باسلوب سهل غير ممل[1]. وإن كان يغلب عليه أحياناً اللغة العاطفية التمجيدية[2]، أو التوسل ببعض الألفاظ القاسية والنابية بحق قتلة الحسين (عليه السلام)[3]، أو اعتماد الصورة الفنية في التعبير مثـل قـول عيسى وهو يصف موقف الحر الرياحي في كربلاء: ((كانت حوافر الفرس تخبط في الرمال، فتثير غباراً، وتفجر تراباً فوق تلك الربوة التي اعتلاها الحر. وبـين عمـرين، وحيـاتين، وقدرين ومستقبلين يتردد))[4].

ومع حلاوة لغة هذا المؤلف إلا انه كان يستخدم التعبير الدارج أو القريب مـن العاميـة المصرية أحياناً لتوضيح أفكاره مثل قوله:

((لم يكن الحسين يبحث عن نصر عسكري.. ولم يكن يبحـث عـن خلافـة تمـلأ الأرض والسماء، وتهز عروشاً، وتفتح امماً وبلداناً لكي يرجع إلى حيث كان عندما وصلتها انباء انفضاض الجموع، وتخاذل المبايعين، وتراجع المؤيدين فيأخذها من (أقصرها) ويرجع !))[5].

ويطيب للباحث ان ينوّه باسلوب خالد محمد خالد، الشيق الجذاب، إذ كان يجمـع بـين التحليل الموضوعي والسرد التاريخي بلغة جميلة قوية، يقترب فيها أحياناً من لغـة الاديـب الغنية المتدفقة، فيطنب في الوصف، ويصطنع الحوار ليقرب الفكرة للقارئ، مثل ما فعل حين صوّر ما جال بفكر الحسين (عليه السلام) حين أقام بمكة منتظراً الرحيل إلى الكوفـة[6]. أو يطـرز لغته بخيال القاص إذ يقول بعد مقتل الحسين (عليه السلام):

((وعلى غير عادة الطقس والمناخ في ذلك الحين وفي تلك الأرض، دوت طلقات قويـة صاعدة كأصوات الرعود، ولقد حسبها المجرمون نذيراً لهم ولكن لا.. إنما هي السماء كانت تطلق مدافعها تحية !! تحية اجلال، للمهمة التي أنجزها الشهداء !! وتحية استقبال لـلأرواح التي كانت قد بدأت رحلة خلودها حيث تتلقى من يمين الرحمن ما أعده لها من مثوبة ونعـيم وعطاء))[7].

ويسكب في لغته أحياناً حكمة الفيلسوف فنراه يقول:

((فأي شيء في يومهم ذاك [المعركة] يخدعنا عن حقيقته، فنرى فيه وجـه المأسـاة ولا نرى أمجاد البطولة ؟ لأنهم وحدهم في تلك الفلاة يقاتلون، وهناك في طول البلاد الإسـلامية وعرضها ملايين البيوت آوى إليها أهلها واستقروا آمنين تحت سقوفها ؟؟ وأي بأس مـا دام

---

(1) ينظر على سبيل المثال: لطفي، الشهيد الخالد؛ غريب، الامام الحسين؛ أبو النصر، الحسين بن علي.

(2) يتجسد ذلك لدى النفيس، نفحات من السيرة، ص116، ص119.

(3) ينظر على سبيل المثال: غريب، بطلة كربلاء، ص122 – 123؛ محمد، حضارة الدولة، ص160.

(4) دم الحسين، ص13.

(5) المصدر نفسه، ص53.

(6) ابناء الرسول في كربلاء، ص81 – 84.

(7) خالد، ابناء الرسول في كربلاء، ص146 – 147، وتنظر: ص164 – 165.

الله سبحانه قد ترك الملايين من تلك البيوت، ثم اختصّ هذا البيت وحده بأعظم ما في الدنيا من مجد وشرف – شرف اصطفائهم لحمل رسالته واعلاء كلمته، واي شيء في يومهم ذاك يخدعنا عن حقيقته ؟ الآن المعركة ستخلف أجسادهم فوق أرضها صرعى بينما المجرمون يتلمظون بنصر تعس رخيص ؟! سلوا الله إذن عن حكمته في تلك الصفوف العارمة من القديسين والأبرار الذين صرعهم الباطل عبر التاريخ من كل امة، وعصر، ودين.. !!))[1].

وقد حقّ لواصفي اسلوبه ان يشبهوه بالعزف اللغوي، لرشاقته وجماله، ونفوذه إلى القلوب، فقد اتسمت كتاباته ((باسلوب رشيق بديع، وقدرة فائقة على التعبير والغوص إلى جوهر الأشياء، ووصفها بيسر وروعة واقتدار وكان كثيراً ما يُسأل عن السّر في جمال اسلوبه فكان يقول: ان الاسلوب في الكتابة لا يصنعه شيء إلاّ رب العالمين))[2].

ومما يدفع الباحث إلى القول ان بعض المصنفات المصرية قد جمعت بين الطابع الوصفي والعلمي في آن واحد، هو عدم اهمال تلك المصنفات ايراد خطب الحسين (عليه السلام)، وبعض أقواله ورسائله إلى أهل العراق، ورسائلهم إليه، وشيء من كلامه المنظوم شعراً ونثراً، وأدعيته، ونصوص الحوارات التي جرت بينه وبين اصحابه، وخطب ابن زياد في أهل البصرة والكوفة، ورسالة زياد إلى يزيد بقتل مسلم، ورسائل ابن زياد إلى الحر، وعمر بن سعد[3].

وقد انفرد عبد العليم بنوع آخر من التوثيق وهو وضع خريطة لبلاد العرب في عصر الحسين (عليه السلام)[4] ثم ملحق يتضمن ثلاث خرائط: الأولى تحت عنوان: تحركات سيدنا الحسين؛ وتمثل انتقاله من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ثم إلى كربلاء ثم انتقال الرأس إلى دمشق، وعسقلان، ثم القاهرة وقد مثّل الانتقال على شكل نقاط وأسهم تدل على اتجاه الحركة[5].

---

(1) المصدر نفسه، ص166 – 167.

(2) خالد، ثابت محمد، تعريف بالمؤلف ملحق بكتاب ابناء الرسول في كربلاء لخالد محمد خالد، ط8، القاهرة، 1425هـ/2004م، ص183 – 184.

(3) ينظر: السحار، أهل بيت النبي، ص310 – 311، ص314، ص341، ص344 – 345، ص349؛ النجار، الدولة الأموية، ص81 – 82، ص87؛ رضا، الحسن والحسين، ص79 – 80، ص82 – 83، ص101، ص113، ص114؛ محمد، أهل البيت في مصر، ص52، ص62، ص64، أبو النصر، الحسين بن علي، ص54 – 56، ص57، ص58 – 61، ص66 – 67، ص83 – 84، ص107، ص111، ص114 – 117، ص119، غريب، الامام الحسين، ص71 – 73، ص78، ص81، ص83 – 84، ص93 – 94، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص76 – 77، ص91، ص98، أبو علم، الحسين بن علي، ص89، ص97 – 98، ص105، ص116، ص135، ص142 – 143، عيسى، دم الحسين، ص19، ص27، ص28، ص55، ص59.

(4) سيدنا الامام الحسين، ص200.

(5) المصدر نفسه، ص208.

وألحق خريطة ثانية[1] تحت عنوان: المعركة؛ ومثّل فيها ساحة المعركة فرسم صفاً من الجيش وكتب قربه: 5 آلاف، ليشير إلى معسكر عمر بن سعد، ورسم قباله فرداً واحداً وكتب إلى جانبه: 72 ليشير إلى عدة معسكر الحسين (عليه السلام)، كما زود الخريطة بتاريخ المعركة فكتب قرب الرسم الذي يمثل المتحاربين: 10 محرم 61هـ؛ وكتب تاريخ خروج الحسين من المدينة إلى مكة بعبارة (قيام 28 رجب 60هـ)، وعلى مكة كتب تاريخين: (وصول 3 شعبان 60هـ / قيام 8 ذي الحجة 60هـ).

أما الخريطة الثالثة[2]، فقد حملت عنوان: انتقال الرأس الشريف؛ وقد رسم فيها خطاً يمتد من المدينة المنورة إلى مكة ثم كربلاء وجعله بخطوط متقطعة فاتحة اللون، ثم رسم من كربلاء إلى الكوفة، ثم إلى دمشق، وعسقلان، والقاهرة خطاً آخر بخطوط تقطعها اسهم تشير إلى اتجاه الحركة وبلون غامق؛ وقد زود الخريطة بتاريخين إذ وضع على عسقلان: (من 61هـ إلى 449هـ) ليشير إلى المدة التي بقي فيها رأس الحسين (عليه السلام) في عسقلان على احدى الروايات، ثم كتب على القاهرة: (من 499هـ حتى الآن) ليبين ان الرأس انتقل إليها من تلك السنة وحتى الوقت الحاضر حسب ما هو مشهور. ولا يفوت الباحث التأكيد على ان شكل الخرائط الثلاث واحد وهو يمثل بلاد المشرق الإسلامي بحدودها الجغرافية: الخليج العربي شرقاً، والبحر الأحمر غرباً، وبحر العرب جنوباً، والبحر المتوسط شمالاً.

وقد دبج بعضهم كتبهم وختمها بقصائد رثاء للحسين (عليه السلام) سواء أكانت المروية في كتب التاريخ التي سردت استشهاد الحسين[3] أم تلك التي وردت على لسان الشعراء والعلماء قدامى[4] ومحدثين عربا[5] ومصريين[6].

وجاء على لسان عويس رثاءً نثرياً في كتابه بعنوان رثاء[7] جاء فيه:

((يا سيد الشهداء... أنا بك لمحزون، تبكي العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، ولئن كان أجلّ الحوادث رزؤك، وأعظم المصائب فقدك. فإن كتاب الله وسنة جدك ليعدان بحسن الصبر فيك، وحسن العوض منك، فعليك منا يا حسين السلام))[8].

---

(1) المصدر نفسه، ص209.

(2) المصدر نفسه، ص210.

(3) ينظر: السيد، سيرة آل بيت النبي، ص339، رضا، الحسن والحسين، ص114 – 117.

(4) ينظر: الجمل، سيرة الحسين، ص63 – 64، قرون، عظمة الامام الحسين، ص117 – 120.

(5) ينظر: أبو علم، الحسين بن علي، ص143 – 144، ص157، رضا، الحسن والحسين، ص116 – 117.

(6) ينظر: أبو علم، الحسين بن علي، ص210، محمد، أهل البيت في مصر، ص83، عويس، شهيد كربلاء، ص192 – 194، عبد العليم، سيدنا الامام الحسين، ص149.

(7) شهيد كربلاء، ص190.

(8) المصدر نفسه، ص191 – 192.

الخــاتمة

الخاتمة

بعد أن أكملت بتوفيق الله – سبحانه وتعالى – هذه الاطروحة التي درست فيها ثورة الامام الحسين (عليه السلام) في المصنفات المصرية في القرن العشرين الميلادي، سأحاول تسليط الضوء على بعض النتائج التي تم التوصل إليها، فضلاً عما سيجده القارئ من آراء واستنتاجات علمية:

- ان تأثير التيار السلفي في المدرسة التاريخية المصرية لم يكن كبيراً في النصف الأول من القرن العشرين، ولكنه زاد شيئاً فشيئاً حتى مثّل ظاهرة مع بدايات النصف الثاني من ذلك القرن، وقد زاد تأثير التيار القومي بعد أن تنامت الحركة القومية العربية في مصر، وبين هذين التيارين السلفي والقومي تنقل الكتّاب المصريون في كتابة التاريخ. وفي النصف الثاني من القرن العشرين واتحد التيار القومي والديني في وجهة النظر في الكتابات التاريخية التي قدمها من عملوا على تطبيق مفهوم إعادة كتابة التاريخ، ومن نماذج ذلك دراسات رجال الدين، والأكاديميين ممن حاولوا تنزيه تاريخ بني أمية أو انصافه على حد قولهم، فكانت قراءة أحداث معينة من زاوية محددة غلبت عليها النظرة المسبقة، والتغييب لبعض المصادر التاريخية لأسباب مذهبية.
- فند الباحث رواية تسمية الامام علي ولده الحسين (عليه السلام) باسم حرب وهو قول استند إليه عدد من الباحثين المصريين، وأكد ان النبي (صلى الله عليه وآله) هو الذي تولى تسمية أولاد الامام علي (عليه السلام) ونأى بهم عن مسميات الجاهلية.
- ذكرت المصادر المصرية اعتماداً على بعض المصادر المتأخرة خروج الحسين (عليه السلام) إلى افريقية في المدد الذي ارسله الخليفة عثمان إلى هناك، ونفى الباحث ذلك ومعه خبر خروج الحسين (عليه السلام) في الحملة إلى طبرستان وجرجان، وفتح مصر، اعتماداً على تتبع الروايات، والمصادر المتقدمة، والمتأخرة لاسيما تلك التي عُنيت باحصاء أسماء الصحابة الذين واكبوا فتح مصر.
- أعان تتبع الباحث لمنهج بعض الباحثين المصريين في تبرير بعض أحداث التاريخ الإسلامي لاسيما تلك التي لها صلة بالخلفاء الراشدين ودراستهم لخلافة الحسن (عليه السلام) التي اتسمت بالتجني والتأويل بما لا يقوم عليه دليل علمي دقيق، واطلاق العنان للخيال لتفسير بعض القضايا التاريخية، اعان ذلك في معرفة الاتجاه الذي سلكه هؤلاء الباحثين في نقل وفهم التفاصيل الخاصة بثورة الحسين (عليه السلام).
- بدأ المجتمع الإسلامي يشهد منذ وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) تحولات اجتماعية واقتصادية وإدارية بلغت ذروتها على يد معاوية وولاته فاستدعت وقوفاً فاعلاً لا يعطل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولا يتماشى مع ذلك الانحدار الكبير الذي باتت تمثله السلطة في الدولة الإسلامية، وقد طرأ على مفهوم الخلافة عدة تغيرات خاصة في

أيام حكم معاوية وولده يزيد احتاجت عودة بالمسار إلى النظرة الإسلامية الاصيلة للحكم والحاكم والتي دفعت الحسين (عليه السلام) إلى الوقوف بوجه أئمة الجور. فقد شهد عهد معاوية اللجوء إلى القوة ولاسيما مع أكثر الأطراف خطراً وهم شيعة علي (عليه السلام) والموالين له، فضرب الخوارج بالشيعة، وحبس أحياناً عطاء الكوفيين وأرزاقهم، وأوصى ولاته بشتم علي (عليه السلام) وذمه والعيب على أصحابه وترك الاستماع لهم، وقد مثل سب علي (عليه السلام) لدى معاوية الأساس القوي في ابعاد العامة عن بني هاشم لاسيما العلويين منهم الذين يمثلون القمة في كيانهم باعتبارهم سلالة النبي (صلى الله عليه وآله) وابناء بضعته ومركز القوة قبال الحكومة القائمة في أوساط المسلمين، ومنطلق الثورة، وقد سلط معاوية ولاته على أهل الكوفة يسومونهم العسف، ومنهم زياد بن أبيه الذي اتبع أساليب النفي والاقامة الجبرية والقتل، والصلب بالناس جماعة وأفراداً، وأخذ بالظنة، وعاقب على الشبهة وقضية حجر بن عدي شاهد على ذلك، والغريب ان بعض الكتّاب المصريين مدحوا اختيار معاوية لعماله، ووصفوهم بالكفاءة والعقل، وتعهد احوال الناس، وكشف ظلاماتهم، وهذا ما يجانب الحقيقة لولاة تركوا السنن في طاعة معاوية.

- بدأ نشاط الحسين (عليه السلام) في توعية الناس، وإيجاد قاعدة عامة مؤمنة بأحقية أهل البيت في النهوض بأمر الناس قبل موت معاوية وجعل ذلك في اطار تشخيص اخطاء النظام الأموي ومسؤولية الأمة في الاستجابة لدعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتأكيد مسؤولية الناس وأهل العلم منهم خصوصا، والانذار باستحواذ الظلمة على أمر الأمة إذا لم تنهض لنصرة الحق، وقد توجه الحسين (عليه السلام) بانتقاده إلى أعلى سلطة في الدولة آنذاك وهي سلطة معاوية عبر رسالة بعث بها إليه، وعدد فيها مساوئه ومنكراته، دون أن يكون ذلك خروجاً صريحاً على الدولة لما عرف عن معاوية من اسلوب في القضاء على خصومه السياسيين وأسباب أخرى لها نصيب من الأهمية.
- انقسم الكتّاب المصريون حول شخصية يزيد، فقسم ذهب إلى ايراد ما عرف به من صفات وسلوك مشين كما ورد في مصادر التاريخ، واجتهد قسم آخر في رد تلك الأخبار وقاموا بمحاولات حثيثة لتبرئة يزيد ولتبرير أفعاله التي لا يجدون محيصاً من تصديقها وقد ساروا على منهج ابن العربي في هذا المجال واعتمدوا أحياناً أسلوب الانتقاء في النصوص.
- رجح الباحث ان ولاية العهد ليزيد مرّت بأربع مراحل بذل فيها معاوية جهده في الاعداد والتمهيد المتمثل بالتخلص من الخصوم، وتهيأة يزيد لمنصب الحكم، وتوطيد الأمر في الأمصار الإسلامية، وقد زكى عدد من الكتّاب المصريين فعل معاوية وتولية يزيد متأثرين بآراء (ابن العربي، وابن كثير، وابن خلدون) التي أقرت ولاية المفضول عند الضرورة درءاً للفتنة، وقد كان ذلك مقدمة لهؤلاء الكتّاب أنفسهم لتخطئة الحسين (عليه السلام) في ثورته وتسويغ فعل يزيد بقتله بالحجة نفسها.

- تفاوت المصريون كتّاباً وباحثين في فهم دوافع الثورة الحسينية وركنوا إلى تفسيرات شتى، تضمن بعضها تفسيراً أحادياً أو جاءت على شكل عوامل متداخلة، وقد انقسموا بين هذه الدوافع إلى صنفين، صنف تعامل بأمانة وانصاف، وصنف تعامل بأجحاف وتناقض مع الواقع التاريخي الذي لا يؤيد وجود الكثير مما اتهم به الباحثون المصريون الحسين (عليه السلام)؛ وقد نوقشت قصة أرينب التي قال بها البعض لتوجيه الصراع توجيهاً ذاتياً بعيداً عن فحوى ثورة الحسين (عليه السلام) الإصلاحي، ورجح الباحث القطع بوضعها مع ملاحظة ان بعض من أدرجها من الكتّاب المصريين استهدف تفسير حقد يزيد فحسب دون القصد إلى تخفيف جريمته لأنهم من الكتّاب المنصفين الذين عالجوا ثورة الحسين (عليه السلام) بروح موضوعية.
- تضمن انتقال الحسين (عليه السلام) العلني إلى مكة – بعد مطالبة السلطة اياه بالبيعة ليزيد في المدينة – رغبة في تعبئة الرأي العام الإسلامي، إذ حرص الحسين (عليه السلام) على أن تكون ثورته جماهيرية التأثير والاستمرار وتوخى ايصال أنباء ثورته إلى سائر البلاد الإسلامية عندما أعلن عن عزمه على الثورة في البيت الحرام وفي موسم الحج حيث التجمع السنوي للمسلمين في مختلف البلدان الإسلامية، وتصريحه بالدعوة إلى الشهادة والتضحية ولذلك أعطى بعض الكتّاب المصريين لخروج الحسين (عليه السلام) طابعاً مقدساً، وبعداً تاريخياً فشبهوه بهجرة النبي (صلى الله عليه وآله) من مكة إلى المدينة.
- لقد فوت خروج الحسين (عليه السلام) من مكة بذلك التوقيت المدروس الفرصة على السلطة للتخلص من الحسين (عليه السلام) بالطريقة التي تراها أو تطويق الثورة ومحاصرتها؛ وقد اجتمعت عدة أسباب رجحت توجه الحسين (عليه السلام) إلى العراق وجعلته أفضل الخيارات المطروحة وانسبها للقيام بثورته.
- انقسم الباحثون المصريون إلى فريقين في رواية المطالب الثلاثة التي عرضها الحسين (عليه السلام) في أثناء مفاوضاته مع عمر بن سعد والمتضمنة: الرجوع إلى المدينة أو الاتجاه إلى أي ثغر من ثغور المسلمين أو الذهاب إلى يزيد ووضع يده في يده. فأقرها بعضهم ورأى فيها عروضاً كريمة منصفة، ابرأ فيها الحسين (عليه السلام) ذمته، ورجعَ إلى الصواب !!، بينا أورد آخرون رواية عقبة بن سمعان ببراءة الحسين(عليه السلام) من هذه التهمة، واستندوا إليها في رفض القول بالرجوع إلى يزيد، وانتقى قسم ثالث من هذه القضية خيارين: خيار الرجوع إلى الحجاز، وخيار الذهاب إلى يزيد، دون ذكر شهادة عقبة مما يبين تهاون بعض الكتّاب المصريين في نقل الحقيقة التاريخية من مصادرها، والسير بها عن قصد أو غير قصد إلى سبيل التحريف.
- لم يجد الباحث دليلاً تاريخياً حاسماً لترجيح رواية من الروايات التسع التي ذكرت بشأن مصير رأس الحسين (عليه السلام) ولذلك أوردها دون ترجيح مع إيمانه بأن الرأس الشريف قد عاد إلى الجسد في كربلاء ودُفن هناك، ولكنه يفتقر إلى الدليل القاطع

الذي يدعم ذلك الإيمان. وقد دافع عدد من الكتّاب المصريين عن وجود الرأس في المشهد القاهري، وتزمت بعضهم في اثبات وجوده، وآثار بركته في القاهرة.

- امتد أثر الخلاف القديم بين أكابر العلماء والمؤرخين عن المسؤولية في قتل الحسين(عليه السلام) إلى أصحاب المصنفات المصرية إذ أصبحت الآراء المتباينة مرجعية لكثير منهم يعودون إليها للترجيح أو التفنيد أو للوصول إلى رأي مقارب أو مباعد في ثورة الحسين وتصويب أو تخطئة خروجه مع التنبيه إلى ان المدرسة المصرية تأثرت بآراء فقهاء ومؤرخين مثل ابن العربي، وابن تيمية، وابن كثير، وابن خلدون، وكانت هناك وجهة نظر مصرية قابلت أو خالفت تلك الآراء ومن تأثر بها من باحثين وكتّاب.
- تبين خطل المنهج المصري – أحياناً – في الحكم على القضايا التاريخية والانسياق وراء التأثيرات العقيدية والفكرية على حساب الموقف السليم والموحد من الحدث التاريخي.
- غلب الاختصار والاقتضاب للمقتبس من كتب التاريخ العام في عرض ثورة الحسين(عليه السلام) تاريخياً دون تعليق أو مناقشة، مما أثر في طبيعة المعالجة والاستنتاج. وقد أساءت المصنفات ذات الطابع الأكاديمي في التعامل مع شخصية الحسين من حيث تدري أو لا تدري؛ فصورته بشخصية مهزوزة، ومترددة، وجاهلية.
- استخدم أصحاب المصنفات المصرية مصادر متنوعة قديمة وحديثة، ودعا قسم منهم إلى العودة إلى كتب فقهية بعينها لتخليص التاريخ الأموي مما لحق به من تحريف – على حد قولهم –، وتعمد بعضهم اتهام رواة الطبري بعدم الوثاقة – اعتماداً على مصادر ذات توجه نفسي مذهبي، واهملوا مصادر أخرى وثقتهم أو انصفتهم مع ان هؤلاء الكتّاب اعتمدوا على هؤلاء الرواة في ما أدرجوه من معلومات تاريخية قالوا بصحتها.
- تفاوتت المصنفات المصرية في عرض الخبر التاريخي الخاص بثورة الحسين (عليه السلام)، والاسترسال بالنقل دون توسع أو تعليق حيناً و الاتجاه إلى التحليل والتدقيق والاستنتاج – وبتفاوت – حيناً أخر.
- حاول بعض الباحثين والكتّاب المصريين توجيه استنتاجاتهم لخدمة الاتجاه الفكري الذي يؤمنون به، ولم تتجرد آرائهم عن الأهواء والميول المذهبية ولاسيما أولئك الذين خصصوا كتاباتهم للدفاع عن الدولة الأموية، وقد قادهم ذلك إلى اللاموضوعية، والتناقض، والابتسار، والتحريف وتشويه صورة الحسين (عليه السلام).
- نقلت المصنفات المصرية ثورة الحسين (عليه السلام) بأساليب مختلفة منها الوعظي الارشادي الذي يتراوح بين اللغة البسيطة أو المعقدة المسجوعة؛ والاسلوب المبسط الأقرب إلى القصة الشيقة أو الحوارات المتنوعة، وجمع أغلب الكتّاب المصريين بين الاسلوب الوصفي والموضوعي العلمي باسلوب سهل غير ممل.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر

ان خير ما نبتدأ به: القرآن الكريم

أولاً: المخطوطات غير المنشورة.

- **سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فرغلي (ت654هـ/1256م).**

1- مرآة الزمان في تواريخ الاعيان حوادث سنة (50- 89هـ)، مخطوط مصور في مكتبة الامام أمير المؤمنين العامة، النجف الاشرف، برقم (17/1/2).

ثانياً: المصادر الأولية.

- **الابشيهي، شهاب الدين محمد بن احمد بن أبي الفتح (ت850 هـ/1446م)**

1- المحلى، ط مصر، 1368هـ/1948م.

- **ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت630هـ/1232م).**

2- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط بيروت، 1377هـ/1957م.

3- الكامل في التاريخ، ط 4، بيروت، 1423هـ/2002م.

- **الاربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت692هـ/1292م)**

4- كشف الغمة في معرفة الأئمة، قدم له: احمد الحسني، ط قم، 1379هـ/1959م)

- **الازورقاني، عز الدين أبو طالب إسماعيل بن الحسين المروزي (ت بعد سنة 614هـ/1217م).**

5- الفخري في انساب الطالبين، تحقيق: مهدي الرجائي، ط قم، 1411هـ/1990م.

- **الاشعري، أبو الحسين علي بن إسماعيل (ت324هـ/935م).**

6- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط3، د.م، 1400هـ/1980م.

- **الاصبحي، أبو عبد الله مالك بن انس (ت179هـ/795م).**

7- الموطأ، اعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط بيروت، 1418هـ/1997م.

- **الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت356هـ/966م).**

8- مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق: السيد احمد صقر، ط ايران، 1425هـ/2004م.

- **ابن اعثم،أبو محمد احمد الكوفي (ت314هـ/926م).**

9- كتاب الفتوح، تحقيق: علي شيري، ط بيروت، 1412هـ/1991م.

10- مقتل الحسين وقيام المختار، ط2، قم، 1424هـ/2003م.

- **الانصاري، خزيمة بن ثابت (ت37هـ/657م).**

11- ديوان خزيمة بن ثابت الانصاري، جمع وتحقيق وشرح: قيس العطار، ط2، قم، 1421هـ/2000م.

- **الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر (403هـ/1012م).**

12- التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، تحقيق، الخضري وأبو ريدة، ط القاهرة، 1366هـ/1947م.

- **البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256هـ/869م).**

13- صحيح البخاري، ط بيروت، 1422هـ/2001م.

- **البغدادي، عبد الله القاهر أبو منصور بن طاهر التميمي (ت429هـ/1037م).**

14- أصول الدين، ط استانبول، 1346هـ/1928م.

- **ابن بكار، الزبير (ت256هـ/896م).**

15- الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، ط بغداد، 1392هـ/1972م.

- **البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت487هـ/1094م).**

16- المسالك والممالك، حققه ووضع فهارسه: جمال طلبة، ط بيروت، 1424هـ/2003م.

17- معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط3، القاهرة، 1417هـ/1996م.

- **البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/892م).**

18- جمل من انساب الاشراف، حققه وقدم له: سهيل زكار ورياض زركلي، ط بيروت، 1417هـ/1996م.

19- فتوح البلدان، اشراف: لجنة تحقيق التراث، ط بيروت، 1409هـ/1988م.

- **البيروني، أبو الريحان محمد بن احمد (ت440هـ/1408م).**

20- الآثار الباقية عن القرون الخالية، ط بغداد، (بلا.ت).

- **البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت بعد سنة320هـ/932م).**

21- المحاسن والمساوئ، وضع حواشيه: عدنان علي، ط بيروت، 1420هـ/1999م.

- البيهقي، أبو بكر احمد بن الحسين (ت458هـ/1065م).

22- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المنعم قلعجي، ط2، بيروت، 1421هـ/2000م.

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت297هـ/909م).

23- الجامع الصحيح – سنن الترمذي، ط بيروت، 1421هـ/2000م.

- التميمي، أبو حنيفة النعمان بن محمد (ت363هـ/973م).

24- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، ط بيروت، 1415هـ/1994م.

- ابن تيمية، أبو العباس احمد بن عبد الحليم (ت728هـ/1327م)

25- رأس الحسين، تحقيق ودراسة: السيد الجميلي، ط2، بيروت، 1417هـ/1997م.

26- السياسة الشرعية وإصلاح الراعي والرعية، ط القاهرة، 1375هـ/1955م.

27- منهاج السنة النبوية، ط بيروت، (بلا.ت).

- الثقفي، أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال (ت283هـ/896م).

28- الغارات أو الاستنفار والغارات، حققه وعلق عليه: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، ط بيروت، 1407هـ/1987م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ/868م).

29- البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط بغداد، 1403هـ/1982م.

30- البيان والتبيين، ط 2، القاهرة، 1380هـ/1960م.

31- التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: احمد زكي، ط القاهرة، 1333هـ/1914م.

32- رسائل الجاحظ، رسالة النابتة، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط القاهرة، 1385هـ/1965م.

- ابن جبير، أبو الحسين محمد بن احمد البلنسي (ت614هـ/1217م).

33- اعتبار المناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، ط بيروت، 1402هـ/1981م.

34- تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار (رحلة ابن جبير)، ط مصر، (بلا.ت).

- الجرجاني، علي بن محمد (ت816هـ/1413م).

35- شرح المواقف، ط مصر، 1325هـ/1907م.

- **ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ/1200م).**

36- الرد على المتعصب العنيد، تحقيق: محمد كاظم المحمودي، (د.م)، 1403هـ/1982م.

- **الجوهري، أبو بكر احمد بن عبد العزيز البصري (ت323هـ/934م).**

37- السقيفة وفدك، تقديم وجمع وتحقيق: محمد هادي الاميني، ط طهران، (بلا.ت).

- **الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت405هـ/1014م).**

38- المستدرك على الصحيحين، تحقيق: محمود مطرجي، ط بيروت، 1423هـ/2002م.

- **ابن حجر، احمد الهيتمي المكي (ت974هـ/1566م).**

39- الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة، ط بيروت، 1420هـ/1999م.

- **ابن حجر، شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني (ت852هـ/1448م).**

40- الاصابة في تمييز الصحابة وبهامشه الاستيعاب لابن عبد البر، ط بيروت، 1328هـ/1910م.

41- تهذيب التهذيب، ط بيروت، 1405هـ/1984م.

42- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، ط مصر، (بلا. ت).

43- لسان الميزان، ط مصر، (بلا.ت).

- **ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد المدائني (ت656هـ/1258م).**

44- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، 1385هـ/1965م.

- **الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة (من علماء القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي).**

45- تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم، تصحيح: علي اكبر غفاري، طهران، 1373هـ/1953م.

- **ابن حزم، أبو محمد علي بن احمد بن حزم الظاهري (ت456هـ/1063م).**

46- الفصل في الملل والاهواء والنحل، ط2، بيروت، 1395هـ/1975م.

- **ابن حمدون، أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت562هـ/1166م).**
47- التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، ط بيروت، 1417هـ/1996م.
- **ابن حنبل، أبو عبد الله احمد بن محمد (ت241هـ/855م).**
48- مسند احمد، ط بيروت، (بلا.ت).
- **الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت1089هـ/1678م).**
49- شذرات الذهب في إخبار من ذهب، ط بيروت، (بلا.ت).
- **الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي (ت463هـ/1070م).**
50- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ط بيروت، (بلا.ت).
- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ/1405م).**
51- تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط بيروت، 1400هـ/1979م.
52- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ط بيروت، 1400هـ/1979م.
53- المقدمة: ط5، بيروت، 1403هـ/1982م.
- **الخوارزمي، الموفق بن احمد بن محمد (ت568هـ/1172م).**
54- مقتل الحسين، تحقيق: محمد السماوي، ط قم، 1423هـ/2002م.
55- المناقب، تحقيق: مالك المحمودي، ط4، قم، 1421هـ/2000م.
- **الخوانساري، محمد باقر**
56- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق: أسد الله إسماعيليان، ط طهران، 1392هـ/1972م.
- **ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري (ت240هـ/854م).**
57- تاريخ خليفة بن خياط، راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه: الدكتور مصطفى نجيب فواز والدكتورة حكمت كشلي فواز، ط بيروت، 1415هـ/1995م.
58- طبقات خليفة، تحقيق سهيل زكار، ط مكة المكرمة، 1414هـ/1993م.
- **أبو داود، سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني (ت275هـ/888م).**
59- سنن أبي داود، ضبط وتصحيح: محمد عدنان بن ياسين، ط بيروت، 1421هـ/2000م .
- **الدميري، كمال الدين بن موسى بن عيسى (ت808هـ/1405م) .**
60- حياة الحيوان الكبرى، صححها: عبد اللطيف سامر، ط قم، 1425هـ/2004م.

- **ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان (ت281هـ/894م).**
61- كتاب الاشراف، تحقيق: وليد قصاب، ط الدوحة، 1414هـ/1993م.
- **الدولابي، أبو بشر محمد بن احمد بن حمادة الانصاري (ت310هـ/922م).**
62- الذرية الطاهرة، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي، ط 2، بيروت، 1409هـ/1988م.
- **الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت982هـ/1574م).**
63- تاريخ الخميس في أحوال انفس النفيس، ط بيروت، (بلا.ت).
- **الدينوري، احمد داود (ت282هـ/895م).**
64- الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال / ط2، قم 1379هـ/1959م.
- **الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/1347م)**
65- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والاعلام، ط القاهرة، 1367هـ/1947م.
66- تذكرة الحفاظ، ط3، الهند، 1375هـ/1955م.
67- دول الإسلام، ط بيروت، 1405هـ/1985م.
68- سير اعلام النبلاء، تحقيق: محمد سعد اطلس، ط مصر، (بلا.ت).
- **الزبيدي، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (ت236هـ/850م).**
69- نسب قريش، عنى بنشره وتصحيحه: أ. ليفي بروفنسال، ط القاهرة، 1420هـ/1999م.
- **الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت538هـ/1143م).**
70- تفسير الكشاف، اعتنى به وخرج احداثيه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، ط بيروت، 1423هـ/2002م.
- **سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي البغدادي (ت654هـ/1256م).**
71- تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة عليهم السلام، تحقيق: حسين علي زادة، ط قم، 1426هـ/2005م.
- **السخاوي، شمس الدين (ت902هـ/1496م).**
72- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط2، مصر، 1377هـ/1957م.
- **ابن سعد، محمد بن منيع (ت230هـ/844م).**
73- الطبقات الكبرى، ط بيروت، (بلا.ت).

- **ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت224هـ/837م).**

74- كتاب الأموال، تقديم ودراسة وتحقيق: محمد عمارة، ط بيروت، 1409هـ/1989م.

- **السلاوي، أبو العباس احمد بن خالد الناصري (ت1315هـ/1897م).**

75- الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ط الدار البيضاء، 1365هـ/1945م.

- **السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت562هـ/1166م).**

76- كتاب الانساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ط بيروت، 1409هـ/1988م.

- **السيوطي، أبو الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن (ت911هـ/1505م)**

77- تاريخ الخلفاء، ضبط وتحقيق: رضوان جامع رضوان، ط مصر، 1425هـ/2004م.

78- طبقات الحفاظ، تحقيق: علي محمد عمر، ط مصر، 1393هـ/1973م.

- **الشافعي، أبو سالم كمال الدين محمد بن طلحة النصيبي (ت652هـ/1254م).**

79- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، تحقيق: ماجد احمد العطية، ط بيروت، 1420هـ/1999م.

- **الشبراوي الشافعي، عبد الله بن محمد بن عامر (ت1171هـ/1757م).**

80- الاتحاف بحب الاشراف، ط2، قم، 1263هـ/1846م.

- **ابن شبه، أبو زيد عمر بن شبه النميري (ت262هـ/875م).**

81- تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: حبيب محمود احمد، ط قم، 1402هـ/1981م.

- **الشيرازي، عبد المجيد بن محمد رضا الحسيني (ت1345هـ/1926م) .**

82- ذخيرة الدارين فيما يتعلق بمصائب الحسين واصحابه عليهم السلام، تحقيق: باقر درياب النجفي، ط قم، 1421هـ/2000م.

- **الشيرواني، حيدر علي بن محمد (من اعلام القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي).**

83- ما روته العامة من مناقب اهل البيت عليهم السلام، تحقيق: محمد الحسون، ط2، ايران، 1417هـ/1996م.

- **ابن الصباغ، علي بن محمد بن احمد المكي (ت855هـ/1451م).**

84- الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة، ط النجف، (بلا.ت).

- **الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي (ت381هـ/930م).**

85- علل الشرائع، ط النجف، (بلا.ت).

- **الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت211هـ/826م).**

86- المصنف، تحقيق: حبيب عبد الرحمن الاعظمي، ط بيروت، (بلا.ت).

- **ابن أبي طالب، علي (ت40هـ/660م).**

87- نهج البلاغة، تعليق وفهرسة: صبحي الصالح، تحقيق: فارس تبريزيان، ط3، قم، 1425هـ/2004م.

- **ابن طاووس، علي بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد (ت664هـ/1265م).**

88- اللهوف في قتلى الطفوف، ط قم، 1424هـ/2003م.

- **الطبراني، أبو القاسم سليمان بن احمد بن ايوب اللخمي (ت360هـ/970م).**

89- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط2، القاهرة، (بلا.ت).

- **الطبرسي، أبو منصور احمد بن علي (ت620هـ/1223م).**

90- الاحتجاج، تعليقات: محمد باقر الموسوي الخرساني، ط بيروت، 1425هـ/2004م.

- **الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (من اعلام القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي).**

91- اعلام الورى باعلام الهدى، ط قم، 1417هـ/1996م.

- **الطبري، عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم (كان حياً حتى سنة 553هـ/1108م).**

92- بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تحقيق: جواد القيومي، ط2، قم 1423هـ/2002م.

- **الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ/922م).**

93- استشهاد الحسين، تحقيق: السيد الجميلي، ط2، بيروت، 1418هـ/1997م.

94- تاريخ الرسل والملوك، تقديم ومراجعة: صدقي جميل العطار، ط2، بيروت، 1423هـ/2002م.

95- جامع البيان عن تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري، ضبط وتعليق: محمود شاكر، ط بيروت، 1421هـ/2001م.

- **ابن الطقطقى، محمد بن علي بن طباطبا (ت701هـ/1301م).**
96- الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، مراجعة: محمد عوض إبراهيم بك وعلي الجارم، ط2، مصر، (بلا.ت).
- **الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت406هـ/1067م).**
97- امالي الشيخ الطوسي، ط قم، 1414هـ/1993م.
- **ابن طولون الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي الصالحي (ت953هـ/1546م).**
98- قيد الشريد من اخبار يزيد، دراسة وتحقيق: كرم حلمي فرحات، ط القاهرة، 1426هـ، 2005م.
- **ابن الطولوني، الحسن بن الحسين بن احمد (923هـ/1517م).**
99- النزهة السنيه في اخبار الخلفاء والملوك المصرية، تحق: محمد كمال الدين عز الدين علي، ط بيروت، 1409هـ/1988م.
- **ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت463هـ/1070م).**
100- الاستيعاب في معرفة الاصحاب بهامش الاصابة لابن حجر، ط بيروت، 1328هـ/1910م.
- **ابن عبد الحق البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن (ت731هـ/1338م).**
101- مراصد الإطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، ط بيروت، 1373هـ/1954م.
- **ابن عبد ربه، أبو عمر احمد بن محمد الاندلسي (328هـ/939م).**
102- العقد الفريد، شرحه وضبطه: احمد امين واخرون، ط القاهرة، 1384هـ/1965م.
- **العبيدلي، أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر (ت277هـ/890م).**
103- اخبار الزينبات، نشره وقدم له: محمد الجواد الحسيني المرعشي النجفي، ط ايران، (بلا.ت).
- **ابن العديم، كمال الدين عمر بن احمد بن أبي جرادة (ت660هـ/1261م).**
104- ترجمة الامام الحسين من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: عبد العزيز الطباطبائي، ط قم، 1423هـ/2002م.

- **ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري (ت543هـ/1148م).**

105- العواصم من القواصم، حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب، 1425هـ/2004م.

- **ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت573هـ/1177م).**

106- ترجمة الامام علي بن أبي طالب (ﷺ)، من تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط بيروت، 1395هـ/1975م.

107- ترجمة ريحانة رسول الله الامام الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب (ﷺ) من تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط بيروت، 1399هـ/1978م.

- **ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت580هـ/1184م).**

108- الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، ط ليدن، 1393هـ/1973م.

- **ابن عنبه، جمال الدين احمد بن علي (ت828هـ/1424م).**

109- عمدة الطلاب في انساب آل أبي طالب، ط بغداد، 1409هـ/1988م.

- **الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن احمد الطوسي الشافعي (ت505هـ/1111م).**

110- احياء علوم الدين بذيله المغني عن حمل الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار، ط بيروت، 1425هـ/2004م.

111- الاقتصاد في الاعتقاد، ط بيروت، 1389هـ/1969م.

- **الفراء، أبو يعلي محمد بن الحسين الحنبلي (ت458هـ/1065م).**

112- الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد سامر الفقي، ط 2، مصر، 1406هـ/1985م.

- **الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ/1414م).**

113- القاموس المحيط، اعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط2، بيروت، 1424هـ/2003م

- **ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ/889م).**

114- الامامة والسياسية، علق عليه ووضع حواشيه: خليل منصور، ط بيروت، 1422هـ/2001م.

115- المعارف، ط2، بيروت، 1424هـ/2003م.

- **القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله الانصاري (ت671هـ/1272م).**

116- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ط بيروت، 1407هـ/1986م.

- **القرطبي، أبو عمران موسى بن عبد الله (ت601هـ/1204م).**

117- الجامع لأحكام القرآن، ط بيروت، 1305هـ/1984م.

- **القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت862هـ/1457م).**

118- اثار البلاد واخبار العباد، ط بيروت، (بلا.ت).

- **القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي (ت821هـ/1418م).**

119- صبح الاعشى في صناعة الانشا، ط القاهرة، 1383هـ/1963م.

- **القمي، سديد الدين شاذان بن جبرائيل (من اعلام القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي).**

120- الفضائل، تحقيق: محمود البدري، ط قم، 1402هـ/1981م.

- **ابن قولويه، أبو القاسم جعفر بن محمد (ت367هـ/977م).**

121- كامل الزيارات، صححه وعلق عليه: عبد الحسين الأميني، ط النجف، 1356هـ/1937م.

- **ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر الشافعي (ت774هـ/1372م).**

122- البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق: محمد عبد العزيز النجار، ط الرياض، (بلا.ت)

- **الكنجي الشافعي، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد (ت658هـ/1259م).**

123- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق: محمد هادي الاميني، ط3، طهران، 1404هـ/1983م.

- **الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت353هـ/964م).**

124- الولاة والقضاة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل واحمد فريد المزيدي، ط بيروت، 1424هـ/2003م.

- **ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت275هـ/888م).**

125- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد مطيع الحافظ، ط2، بيروت، 1407هـ/1986م.

126- سنن ابن ماجه، ط بيروت، 1421هـ/2000م.

- **الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت450هـ/1058م).**

127- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط2، مصر، 1386هـ/1966م.

- **المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت285هـ/898م).**

128- الكامل في اللغة والادب، ط بيروت، 1405هـ/1985م.

- **محب الدين الطبري، احمد بن عبد الله (ت694هـ/1294م).**

129- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تقديم ومراجعة: جميل إبراهيم حبيب، ط بغداد، (بلا.ت)

- **أبو مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي الازدي (ت157هـ/773م).**

130- مقتل الحسين (ع)، تعليق: الحسن بن عبد الحميد الغفاري، ط قم، 1398هـ/1977م.

131- نصوص من تاريخ أبي مخنف، استخراج وتنسيق وتحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط بيروت، 1419هـ/1999م.

- **ابن مردويه، أبو بكر احمد بن موسى الاصفهاني (ت410هـ/1019م).**

132- مناقب علي بن أبي طالب (ع) وما نزل في القرآن في علي، جمعه ورتبه: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، ط 2، قم، 1424هـ/2003م.

- **المروذي، نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعي (ت229هـ/843م).**

133- الفتن، تحقيق: أبو عبد الله ايمن محمد محمد عرفة، ط قم، 1424هـ/2003م.

- **المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/957م).**

134- اثبات الوصية للامام علي بن أبي طالب (ع)، ط2، بيروت، 1409هـ/1988م.

135- التنبيه والاشراف، ط بيروت، 1414هـ، 1993م.

136- مروج الذهب ومعادن الجوهر، عني بتنقيحه وتصحيحه: شارل بلا، ط قم، 1422هـ/2001م.

- **مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القسيري (ت261هـ/874م).**

137- صحيح مسلم، ط بيروت، 1421هـ/2000م.

- **المقدسي، أبو عبد الله محمد بن احمد بن البناء البشاري (ت380هـ/990م).**

138- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وحواشيه: محمد مخزوم، ط بيروت، 1408هـ/1987م.

- **المقدسي، مطهر بن طاهر (ت355هـ/965م).**

139- البدء والتاريخ (المنسوب إلى أبي زيد احمد بن سهل البلخي)، ط باريس، 1335هـ/1916م.

- **المغزيزي، أبو العباس تقي الدين احمد بن علي (ت845هـ/1441م).**
140- اتعاض الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد عبد القادر احمد عطا، ط بيروت، 1422هـ/2001م.
141- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، المعروف بالخطط المقريزية، ط بيروت، (بلا.ت).
142- النزاع والتخاصم فيما بين أمية وبني هاشم، صححه: محمد عرنوس، ط مصر، 1356هـ/1937م.
- **المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (ت656هـ/1258م).**
143- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ضبطه وخرج أياته واحاديثه: إبراهيم شمس الدين، ط 3، بيروت، 1423 هـ/2002م.
- **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم الافريقي المصري (ت711هـ/1311م).**
144- لسان العرب، مراجعة وتدقيق: يوسف البقاعي وأخرون، ط بيروت، 1426هـ/2005م.
- **الشيخ المفيد، محمد بن محمد النعمان العكبري (ت413هـ/1022م).**
145- الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ط قم، 1426هـ/2005م.
146- أمالي الشيخ المفيد، ط النجف، 1367هـ/1947م.
- **المنقري، نصر بن مزاحم (ت212هـ/827م).**
147- وقعة صفين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط قم، 1418هـ/1997م.
- **ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب المعروف بالوراق (ت380هـ/990م).**
148- الفهرست، تحقيق رضا تجدد، ط طهران، (بلا.ت).
- **النسائي، أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب (ت303هـ/915م).**
149- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تحقيق: محمد الكاظم المحمودي، ط ايران، 1419هـ/1998م.
150- سنن النسائي، ط بيروت، (بلا.ت).
- **أبو نعيم الاصفهاني، احمد بن عبد الله (ت430هـ/1038م).**
151- دلائل النبوة، ط2، بيروت، 1406هـ/1985م.

- **ابن نما، جعفر بن محمد بن جعفر الحلي (من اعلام القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي).**

152- ذوب النضار في شرح الثار، ط قم، 1417 هـ/1996م.

- **النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف (676هـ/1277م).**

153- تهذيب الاسماء واللغات، ط بيروت، (بلا.ت).

- **النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م).**

154- نهاية الارب في فنون الادب، ط القاهرة، (بلا.ت).

- **ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعافري (ت218هـ/833م).**

155- السيرة النبوية، علق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، ط بيروت، 1395هـ/1975م.

- **الهلالي، سليم بن قيس (ت76هـ/695م).**

156- كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: محمد باقر الانصاري الزنجاني، ط2، ايران، 1424هـ/2003م.

- **الواحدي، أبو الحسن علي بن احمد النيسابوري (4685هـ/1075م).**

157- اسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ لأبي النصر المفسر، ط مصر، 1315هـ/1897م.

- **ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ/1348م).**

158- تاريخ ابن الوردي، ط بيروت، 1417هـ، 1996م.

- **ياقوت، شهاب الدين بن عبد الله الحموي الرومي (ت626هـ/1228م).**

159- معجم البلدان، ط بيروت، 1398هـ/1977م.

- **اليعقوبي، احمد بن اسحق بن جعفر بن وهب (ت بعد سنة 292هـ/904م).**

160- تاريخ اليعقوبي، علق عليه: خليل المنصور، ط بيروت، 1420هـ/1999م.

161- البلدان، وضع حواشيه: محمد امين خناوي، ط بيروت، 1423هـ/2002م.

ثالثاً: المقابلات الشخصية:

ا – سعيد أبو زيد، استاذ في كلية الآداب، جامعة المنوفية، مصر.

1- 16 مايس، 1426هـ/2005م، في كلية الآداب، جامعة المنوفية، مصر.

ب – عبادة عبد الرحمن كحيلة، استاذ في كلية الآداب / جامعة القاهرة، مصر

2- 9 مايس، 1426هـ/2005م، في كلية الآداب جامعة المنوفية، مصر.

ج- محمود إسماعيل عبد الرازق، استاذ في كلية الآداب / جامعة عين شمس، مصر.

3- 7 مايس، 1426هـ/2005م في كلية الآداب / جامعة عين شمس، مصر.

4-10 مايس، 1426هـ/2005م في كلية الآداب / جامعة عين شمس، مصر.

5- 13 مايس، 1426هـ/2005م في داره بالمنصورة، مصر.

رابعاً: المراجـــع:

أ- المراجع المصرية:

- إبراهيم، محمد أبو الفضل وعلي محمد البجاوي.

1- أيام العرب في الإسلام، ط4، القاهرة، 1394هـ/1974م.

- إبراهيم، محمود،

2- قصيدة صرحة الحق، موسوعة الشيعة في العالم – الشيعة في مصر، ط بيــروت، 1423هـ/2003م

- الأبياري، إبراهيم

3- معاوية الرجل الذي انشأ دولة، ط القاهرة، 1382هـ/1962م.

- اسكندر، أمير.

4- ثأر الله، مقالة منشورة في ملحق كتاب الحسين وبطلة كربلاء لمحمد جواد مغنية، ط بيروت، (بلا.ت)

- امين، احمد

5- فجر الإسلام، ط 7، القاهرة، 1375هـ/1955م.

6- يوم الإسلام، ط القاهرة، 1372هـ/1952م.

- برج، محمد عبد الرحمن.

7- محب الدين الخطيب ودوره في الحركة العربية، ط مصر، 1411هـ/1990م.

- البنا، رجب.

8- الشيعة والسنة واختلافات الفقه الفكر والتاريخ، ط القاهرة، 1425هـ/2004م.

- بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن

9- بطلة كربلاء زينب بنت الزهراء، ط بيروت، 1381هـ/1961م.

- البهي، محمد.

10- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، ط 8، القاهرة، 1395هـ/1975م.

- بيومي، زكريا سلمان.

11- الاخوان المسلمين والجماعات الإسلامية في الحياة الــسياسية المــصرية 1928-1948م، ط2، القاهرة، 1412هـ/1991م.

- **التوبة، غازي**

12- الفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقويم، ط3، بيروت، 1398هـ/1977م.

- **ثابت، مصطفى.**

13- عفواً... سيدي عثمان لقد ظلمك الناس، ط كندا، 1420هـ/1999م.

- **جبر، محمود**

14- رثاء للحسين (عليه السلام) قصيدة منشورة ضمن كتاب شهيد كربلاء لفهمي عويس، ط مصر، 1368هـ/1948م.

15- على اعتاب كربلاء قصيدة منشورة في موسوعة الشيعة في العالم – الشيعة في مصر، ط بيروت، 1423هـ/2003م.

- **الجبري، عبد المتعال**

16- حوار مع الشيعة حول الخلفاء الراشدين وبني امية، ط مصر، 1406هـ/1985م.

- **الجمل، وحيد عبد الحكيم.**

17- سيرة الحسين في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب / جامعة القاهرة، 1401هـ/1980م.

- **الجميلي، السيد.**

18- تحقيق ودراسة كتاب استشهاد الحسين للامام الطبري ويليه رأس الحسين لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط2، بيروت، 1417هـ/1997م.

- **الجندي، عبد الحليم.**

19- الامام جعفر الصادق، ط القاهرة، 1407هـ/1986م.

- **حسن، إبراهيم حسن.**

20- تاريخ الإسلامي السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط 7، القاهرة، 1394هـ/1974م.

- **حسن، علي إبراهيم.**

21- زعماء الإسلام – تراجم 31 من زعماء المسلمين من البعثة النبوية إلى اخر العصر الاموي، ط القاهرة، 1401هـ/1980م.

22- التاريخ الإسلامي العام – الجاهلية – الدولة العربية – الدولة العباسية، ط6، القاهرة، 1426هـ/2005م.

- **حسين، طه.**

23- اسلاميات طه حسين، ط 5، بيروت، 1412هـ/1991م.

24- الفتنة الكبرى (عثمان بن عفان)، ط 13، القاهرة، 1420هـ/1999م.

- **الحسيني، اسحق موسى.**

25- الاخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية في العـالم العربـي، ط بيـروت، 1375هـ/1955م.

- **حلمي، محمود.**

26- المجتمع العربي، ط القاهرة، 1385هـ/1965م.

- **حمادة، محمد ماهر.**

27- دراسة وثقية للتاريخ الإسلامي ومصادره من عهد بني امية حتى الفتح العثماني لسورية ومصر، ط بيروت، 1409هـ/1988م.

- **حمروش، احمد.**

28- قصة ثورة يوليو، ط بيروت، 1394هـ/1974م.

- **الحوفي، احمد محمد.**

29- ادب السياسة في العصر الاموي، ط بيروت، 1385هـ/1965م.

- **خالد، ثابت محمد.**

30- تعريف بالمؤلف ملحق بكتاب ابناء الرسول في كربلاء لخالد محمـد خالـد، ط8، القاهرة، 1425هـ/2004م.

- **خالد، خالد محمد.**

31- ابناء الرسول في كربلاء، ط 8، القاهرة، 1425هـ/2004م.

- **الخربوطلي، علي حسني**

32- عشر ثورات في الإسلام، ط2، بيروت 1399هـ، 1978م.

33- المختار الثقفي مرآة العصر الاموي، ط مصر، 1382هـ/1962م.

34- مصر العربية الإسلامية السياسة والحضارة في مصر في العصر العربي الإسلامي منذ الفتح العربي إلى الفتح العثماني، ط مصر، 1383هـ/1963م.

- **الخضري بك، محمد.**

35- محاضرات تاريخ الامم الإسلامية الدولة الاموية، ط مصر، 1398هـ/1977م.

- **الخطيب، محب الدين.**

36- القاضي، أبو بكر العربي مؤلف العواصم من القواصم – مقدمة وتحقيـق كتـاب العواصم من القواصم لابن العربي، ط3، بيروت، 1425هـ/2004م.

- **خفاجي، عبد المنعم وعبد العزيز شرف.**

37- معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي، ط2، القاهرة، 1413هـ/1992م.

- **خليف، يوسف.**

38- حياة الشعر فــي الكوفــة إلــى نهايــة القــرن الثــاني للهجــرة، ط القــاهرة، 1388هـ/1968م.

- **أبو الخير، علي.**

39- الحسين من التربية النبوية إلى الحالة الثورية، بحث منشور ضمن كتاب دراســات وبحوث مؤتمر الامام الحسين (عليه السلام) الذي عقد في سوريا في محــرم الحــرام ســنة 1424هـ/2003م، ط قم، 1426هـ/2005م.

- **دسوقي، محمد عزب**

40- القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العــصر الامــوي، ط مصر، 1419هـ/1998م.

- **دكير، محمد.**

41- كتاب تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي للاستاذ صائب عبد الحميد – نحــو قــراءة واعية للتاريخ الإسلامي، بحث منشور في كتاب المنهاج – مــشروع اعــادة كتابــة التاريخ الإسلامي مقاربات نقدية، الكتاب الحادي عــشر، ط بيــروت، 1425هـ، 2004م.

- **دنيا، عبد العزيز حافظ.**

42- بحث ضمن كتاب علي بن أبي طالب نظرة عصرية جديدة لمجموعة مــؤلفين، ط القاهرة، 1394هـ/1974م.

- **رضا، محمد**

43- الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة، ط بيروت، 1424هـ/2003م.

- **رضا، الشيخ محمد رشيد.**

44- الخلافة، ط مصر، 1409هـ/1988م.

45- ذي النورين عثمان بن عفان – الخليفة الثالث، ط بيروت، 1402هـ/1982م.

- **رفعت، محمد ومحمد احمد حسون.**

46- معالم تاريخ العصور الوسطى، ط4، مصر، 1346هـ/1927م.

- **رمضان، عبد العظيم محمد.**

47- تطور الحركة الوطنية في مصر 1937- 1948م، ط القاهرة، 1393هـ/1973م.

- **الريس، محمد ضياء الدين.**

48- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ط 5، القاهرة، 1985/1406م.

- **أبو رية، محمود.**
49- اضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث، ط قم، 1416هـ/1995م.
- **زلط، احمد.**
50- الدكتور محمد حسين هيكل بين الحضارتين الإسلامية والعربية، ط مصر، 1409هـ/1988م.
- **زيادة، محمد مصطفى.**
51- الحسين في التاريخ بحث منشور في سلسلة مقالات العترة ضمن كتاب الملحمة الحسينية، ط بيروت، 1421هـ/2000م.
- **زيدان، جرجي.**
52- غادة كربلاء، ط بيروت، (بلا.ت).
- **السحار، عبد الحميد جودة.**
53- اهل بيت النبي، ط مصر، 1398هـ/1977م.
54- حياة الحسين، ط مصر، 1398هـ/1977م.
- **سرور، محمد جمال الدين.**
55- الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرن الأول والثاني بعد الهجرة، ط القاهرة، 1400هـ/1979م.
- **سعد، طه عبد الرؤوف وسعد حسن محمد.**
56- السيدة زينب اخت الحسين، ط القاهرة، 1421هـ/2000م.
- **أبو السعود**
57- الشيعة النشأة السياسية والعقيدة الدينية، ط 2، القاهرة، 1425هـ/2004م.
- **سيد الاهل، عبد العزيز.**
58- زينب بنت علي، ط2، مصر القاهرة، 1381هـ/1961م.
- **شاه ناصر الدين.**
59- العقائد الشيعية تعريف بالفرق الشيعية ونقدها، ط مصر، 1408هـ، 1987م.
- **شاهين، حمدي.**
60- الدولة الاموية المفترى عليها دراسة الشبهات ورد المفتريات، ط2، القاهرة، 1426هـ/2005م.
- **الشايب، احمد.**
61- تاريخ الشعر السياسي، ط6، القاهرة، 1404هـ/1983م.

- **الشرقاوي، عبد الرحمن**
62- ثأر الله – الحسين ثـائراً، الحـسين شـهيداً (مـسرحية شـعرية)، ط القـاهرة، 1389هـ/1969م.
- **الشريف، احمد إبراهيم.**
63- دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثـاني الهجـري، ط القاهرة، 1388هـ/1968م.
- **شعوط، إبراهيم.**
64- اباطيل يجب ان تمحى من التاريخ، ط بيروت، 1409هـ/1988م.
- **شلبي، احمد.**
65- المكتبة الإسلامية لكل الاعمار الدولة الاموية، ط القاهرة، (بلا.ت).
66- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – الدولـة الامويـة والحركـات الفكرية والثورية خلالها، ط9، القاهرة، 1417هـ/1996م.
- **صالح، احمد عباس.**
67- اليمين واليسار في الإسلام، ط2، بيروت، 1393هـ/1973م.
- **صالح، محمد امين.**
68- العرب والإسلام من البعثة النبوية حتى نهايـة الخلافـة الامويـة، ط القـاهرة، 1413هـ/1992م.
- **صبحي، احمد محمود.**
69- الزيدية، ط بيروت، 1405هـ/1984م.
- **صبري، احمد.**
70- راس الحسين تناقض العامل الذاتيـة ومـنهج الحـراك التـاريخي، ط مـصر، 1422هـ/2002م.
- **صبيح، محمود السيد.**
71- اخطـاء ابـن تيميـة فـي حـق رسـول الله (ﷺ) واهـل بيتـه، ط مـصر، 1424هـ/2003م.
72- خصوصية وبشرية النبي (ﷺ) عند قتلة الحسين، ط القاهرة، 1426هـ/2005م.
- **الصدفي، شريف راشد.**
73- أبداً حسين، ط قم، 1425هـ/2004م.
- **طبارة، عفيف عبد الفتاح.**
74- روح الدين الإسلامي عرض وتحليل لاصول الإسلام وادابه واحكامه تحت ضوء العلم والفلسفة، ط6، بيروت، 1384هـ/1964م.

- **الطرابيشي، سامي صالح.**

75- المؤلف في سطور – ملحق بكتاب سيد شباب اهل الجنة لمشهري، ط مصر، 1412هـ/1991م.

- **طعيمة، صابر.**

76- الاصول العقدية للامامية دراسة نقدية لعقائد غلاة الشيعة، ط القاهرة، 1425هـ/2004م.

- **الطنطاوي، مرسي شاكر.**

77- مسرح العين في موكب الحسين – ملحمة شعرية، ط مصر، 1363هـ/1944م.

- **الطيباوي، عبد اللطيف.**

78- محاضرات في تاريخ العرب والإسلام، ط بيروت، 1383هـ/1963م.

- **عبد الاخر، أبو الوفا احمد.**

79- التآمر على التاريخ الإسلامي، راجعه وقدم له: الدكتور محمد كامل البنا، ط القاهرة، 1410هـ/1990م.

- **عبد الحليم، محمود**

80- سيدنا زين العابدين، ط2، القاهرة، 1420هـ/1999م.

- **عبد الرازق، علي.**

81- الإسلام واصول الحكم بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، ط3، مصر، 1344هـ/1925م.

- **عبد الرازق، محمود إسماعيل.**

82- سوسيولوجيا الفكر الإسلامي – طور التكوين، وطور الانهيار، ط4، القاهرة، 1421هـ/2000م.

83- فرق الشيعة بين الدين والسياسية، ط القاهرة، 1426هـ/2005م.

- **عبد الرحيم، عبد الرحمن عبد الرحيم.**

84- تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط4، القاهرة، 1407هـ/1986م.

85- الدولة السعودية الأولى، ط2، مصر، 1401هـ/1980.

- **عبد العال، محمد.**

86- الحالة السياسية للمدينة المنورة ابان الحكم الاموي، ط دسوق، 1421هـ/2000م.

- **عبد العليم، محمد محمود.**

87- سيدنا الامام الحسين رضي الله عنه، ط القاهرة، 1404هـ/1983م.

- **عبد اللطيف، عبد الشافي محمد.**

88- العالم الإسلامي في العصر الاموي (41هـ - 132هـ/661م - 750م) دراسة سياسية، ط القاهرة، 1405هـ/1984م.

- **عثمان، حافظ.**

89- الإسلام والصراعات الدينية، ط القاهرة، 1415هـ/1994م.

- **عطية، محمد هاشم.**

90- قصيدة شهيد كربلاء، موسوعة الشيعة في العالم - الشيعة في مصر، ط بيروت، 1423هـ/2003م

- **العقاد، عباس محمود.**

91- أبو الشهداء الحسين بن علي، تحقيق: محمد جاسم الساعدي، ط طهران، 1425هـ/2004م.

92- معاوية بن أبي سفيان، ط4، القاهرة، 1424هـ/2003م.

- **أبو علم، توفيق.**

93- الحسين بن علي، ط 6، القاهرة، 1425هـ/2004م.

- **عمارة، محمد.**

94- الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب ضمن كتاب علي بن أبي طالب نظرة عصرية جديدة، ط بيروت، 1394هـ/1974.

- **عمر، عبد العزيز.**

95- دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط بيروت، 1395هـ/1975م.

- **عويس، عبد الحليم.**

96- بنو امية بين السقوط والانتحار، ط القاهرة، 1386هـ/1966م.

- **عويس فهمي.**

97- شهيد كربلاء الامام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ط مصر، 1368هـ/1948م.

- **عياد، عبد الرحمن.**

98- نظام الحكم والصحوة الإسلامية، ط القاهرة، 1416هـ/1995م.

- **عيسى، إبراهيم.**

99- دم الحسين قصة قتل سيدنا الحسين والانتقام من القتلة، ط القاهرة، 1424هـ/2003م.

- **عيش، محمد احمد.**

100- صوت الحسين، ط القاهرة، 1383هـ/1963م.

- **الغتيت، محمد علي.**

101- الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس ثورات العرب في سنة 1919م، ط مصر (بلا. ت).

- **غريب، مأمون.**

102- الامام الحسين (رضي الله عنه) حياته استشهاده، ط القاهرة، 1418هـ/1997م.

103- بطلة كربلاء السيدة زينب رضي الله عنها، ط القاهرة، 1420هـ/1999هـ.

- **غنيم، عبد العزيز.**

104- الثورات العلوية في العصر الاموي، ط القاهرة، 1396هـ/1976م.

- **فرحات، كرم حلمي.**

105- دراسة في مقدمة تحقيق كتاب قيد الشريد من اخبار يزيد لابن طولون الدمشقي (ت953هـ/1546م)، ط القاهرة، 1426هـ/2005م.

- **قابيل، ماهر احمد.**

106- ابيات شعرية، موسوعة الشيعة في العالم – الشيعة في مصر، ط بيروت، 1423هـ/2003م.

- **قاسم، جمال زكريا.**

107- الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر 1945-1971، ط الكويت، 1399هـ/1978م.

- **القرضاوي، يوسف.**

108- تاريخنا المفترى عليه، ط القاهرة، 1426هـ/2005م.

- **قرون، عرفات القصبي.**

109- عظمة الامام الحسين، ط مصر، 1398هـ/1977م.

- **كحيلة، عبادة عبد الرحمن.**

110- العقد الثمين في تاريخ المسلمين، ط القاهرة، 1422هـ/2001م.

- **كريم، سامح.**

111- اعلام في التاريخ الإسلامي في مصر افكار للتجديد ومواقف للحياة، ط 2، القاهرة، 1417 هـ/1997م.

- **أبو كف، احمد.**

112- أل بيت النبي (ﷺ) في مصر، ط3، القاهرة 1419هـ/1998م.

- **لطفي، حسن احمد.**

113- الشهيد الخالد الحسين بن علي، ط مصر، 1367هـ/1947م.

- **الليثي، سميرة مختار.**

114- جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول (د.م)، (بلا.ت).

- **ماجد، عبد المنعم.**

115- التاريخ السياسي للدولة العربية عصور الجاهلية و النبوة والخلفاء الراشدين، ط6، القاهرة، 1400هـ/1979م.

- **مؤسسة تراث الامام الشهيد حسن البنا.**

116- مقدمة مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا، ط الاسكندرية، 1423هـ، 2002م.

- **مؤنس، حسين.**

117- تعليق على تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان، ط مصر، 1378هـ/1958م.

118- عالم الإسلام، ط القاهرة، 1393هـ/1973م.

- **متولي، احمد فؤاد.**

119- الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، ط القاهرة، 1414هـ/1995م.

- **محمد، احمد رمضان احمد.**

120- حضارة الدولة العربية في عهد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الاموية، ط مصر، 1399هـ/1978م.

- **محمد، احمد فهمي.**

121- ريحانة الرسول سيدنا الحسين، ط القاهرة، (بلا.ت).

- **محمد، سعاد ماهر.**

122- مساجد مصر وأولياءها الصالحون، ط القاهرة، 1391هـ/1971م.

123- مشهد الامام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف، ط القاهرة، 1388هـ/1968م.

- **محمد، سعد حسن.**

124- اهل البيت في مصر، تقديم: طه عبد الرؤوف سعد، ط القاهرة، 1424هـ/2003م.

- **محمود، حسن احمد وعبد الحليم راضي عبد الله.**

125- الدولة العربية الإسلامية، ط جامعة القاهرة، 1411هـ/1990م.

- **مشتهري، عبد اللطيف.**

126- سيد شباب اهل الجنة الامام الحسين، ط مصر، (بلا.ت).

- **المصري، حسين مجيب.**
127- كربلاء بين شعراء الشعوب الإسلامية، ط القاهرة، 1421هـ/2000م.
- **مصطفى، احمد عبد الرحيم.**
128- تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة، ط مصر، 1393هـ/1973م.
- **مصطفى، شاكر.**
129- التاريخ العربي والمؤرخون، ط بيروت، 1411هـ/1990م.
- **منصور، فوزي.**
130- خروج العرب من التاريخ، ترجمة: ظريف عبد الله وكمال السيد، ط مصر، 1414هـ/1993م.
- **منصور، محمود.**
131- الشقيقان في كربلاء الامام الحسين والسيدة زينب، ط 2، القاهرة، 1391هـ/1971م.
- **النبراوي، فتحية.**
132- علم التاريخ دراسة في مناهج البحث، ط مصر، 1416هـ/1995م.
- **النجار، عامر.**
133- الشيعة وامامة علي، ط القاهرة، 1425هـ/2004م.
- **النجار، عبد الوهاب.**
134- الخلفاء الراشدون، ط بيروت، 1400هـ/1979م.
- **النجار، محمد الطيب.**
135- الدولة الاموية في الشرق بين عوامل البناء و معاول الفناء، ط3، القاهرة، 1398هـ/1977م.
- **النص، احسان.**
136- العصبية القبلية واثرها في الشعر الاموي، ط بيروت، 1383هـ/1963م.
- **نصر، عايدة إبراهيم.**
137- الكتب العربية التي نشرت في الجمهورية العربية المتحدة (مصر) بين عامي 1926- 1940م، ط القاهرة، 1389هـ/1969م.
- **أبو النصر، عمر.**
138- الحسين بن علي حفيد محمد بن عبد الله، ط بيروت، 1353هـ/1934م.
139- فاطمة بنت محمد (ﷺ)، ط بيروت، 1353هـ/1935م.
140- معاوية بن أبي سفيان، ط القاهرة، 1355هـ/1936م.
- **النفيس، احمد راسم.**
141- على خطى الحسين، ط ايران، 1418هـ/1997م.
142- المصريون والتشيع الممنوع، ط بيروت، 1426هـ/2005م.

143- نفحات من السيرة موجز سيرة الرسول صلى الله عليه واله وسلم واهل بيته، ط بيروت، 1422هـ/2001م.

- **هيكل، احمد.**

144- الادب القصصي والمسرحي في مصر من اعقاب ثورة 1919 إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، ط3، مصر، 1400هـ/1979م.

- **هيكل، محمد حسين.**

145- مدافع آية الله قصة ايران والثورة، ط6، القاهرة، 1423هـ/2002م.

- **الورداني، صالح.**

146- السيف والسياسة صراع بين الإسلام النبوي والإسلام الاموي، ط بيروت، 1420هـ/1999م.

147- المد الحسيني في مصر، بحث منشور ضمن كتاب دراسات وبحوث مؤتمر الامام الحسين (عليه السلام) الذي عقد في سوريا، محرم، 1424هـ/2003م، ط قم، 1426هـ/2005م.

- **يحيى، جلال.**

148- التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى، ط مصر، 1404هـ/1983م.

149- العالم العربي الحديث، ط مصر، 1386هـ/966م.

- **يوسف، احمد يعقوب.**

150- أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين من الإسلام إلى الاستشهاد، ط القاهرة، 1423هـ/2002م.

- **يوسف، حسين محمد.**

151- سيد شباب اهل الجنة الحسين بن علي (رضي الله عنه)، ط القاهرة، 1409هـ/1988م.

ب - المراجع العربية والمعرّبة

- **احمد، إبراهيم خليل.**

1- تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، ط الموصل، 1404هـ/1983م.

- **احمد، فوزي ربيع.**

2- آل سعود من دموع عبد الناصر ودماء السادات إلى مطاردة بن لادن واعتقال صدام حسين، ط بيروت، 1424هـ/2003.

- **الادهمي، محمد مظفر.**

3- تاريخ أوربا الحديث عصر النهضة - عصر الثورة الفرنسية القرون 16- 18م، ط بغداد، 1410هـ/1989م.

- **الاميني، عبد الحسين احمد.**
4- الغدير في الكتاب والسنة والادب، ط 3، بيروت، 1387هـ/1967م.
- **انطونيوس، جورج.**
5- يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة: ناصر الدين الاسد واحسان عباس، ط6، بيروت، 1401هـ/1980م.
- **اوسبورن.**
6- الماركسية والتحليل النفسي، ترجمة: د. سعاد الشرقاوي، ط2، القاهرة، 1401هـ/1980م.
- **برنارد، لويس.**
7- السياسة والحرب – دراسة في كتاب تراث الإسلام، ط الكويت، 1409هـ/1988م.
- **بروكلمان، كارل.**
8- تاريخ الشعوب الإسلامية – العرب والامبراطورية العربية، ترجمة: د. نبيه امين فارس، ومنير البعلبكي، ط3، بيروت، 1380هـ/1960م.
- **بيضون، إبراهيم.**
9- الحجاز والدولة الإسلامية دارسة في اشكالية العلاقة مع السلطة المركزية في القرن الأول الهجري، ط بيروت، 1403هـ/1983م.
10- ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، ط بيروت، 1400هـ/1979م.
11- من دولة عمر إلى دولة عبد الملك دراسة في تكوين الاتجاهات السياسية في القرن الأول الهجري، ط قم، 1427هـ/2006م.
- **التميمي، هادي عبد النبي محمد.**
12- الدور اليهودي في الدولة الإسلامية حتى نهاية عصر الرسول (ﷺ)، ط النجف الاشرف، 1427هـ/2006م.
- **الجابري، محمد عابد.**
13- التراث والحداثة، ط بيروت، 1412هـ/1991م.
14- العصبية والدولة، ط الدار البيضاء، 1401هـ/1980م.
- **الجابري، مسلم.**
15- العقل والتاريخ، ط الكويت، 1420هـ/1999م.
- **جاسم، عزيز السيد.**
16- سقوط مدرسة هيكل وازمة العقل السياسي المصري، ط بغداد، 1408هـ/1987م.
- **الجزائري، عبد الباقي قرنه.**
17- معاوية، ط قم، 1426هـ/2005م.
- **جعفر، صادق.**
18- المشروع الاستراتيجي للنبي وأوصيائه (عليهم السلام)، ط بيروت، 1424هـ/2004م.

- **جعفر، نوري.**
19- علي ومناوؤه، قدم له: عبد الهادي مسعود، ط3، القاهرة، 1394هـ/1974م.
- **الجميل، سيار كوكب علي.**
20- تكوين العرب الحديث 1516- 1916م، ط الموصل، 1412هـ/1991م.
- **الجنابي، كاظم.**
21- تخطيط مدينة الكوفة، ط بغداد، 1386هـ/1967م.
- **جونيور، جاك كرابس.**
22- كتابة التاريخ في مصر في القرن التاسع عشر - دراسة في التحول الوطني، ترجمة: عبد الوهاب بكر، ط مصر، 1414هـ/1993م.
- **الحسني، هاشم معروف.**
23- سيرة الائمة الاثنى عشر، ط5، ايران، 1427هـ/2006م.
- **حسين، محمد محمد.**
24- الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر، ط بيروت، 1390هـ/1970م.
- **الحسيني، محمد.**
25- الحافظ ابن كثير مؤرخا، بحث منشور في كتاب المنهاج، رقم 11، بيروت، 1425هـ/2004م.
- **الحصري، ساطع.**
26- البلاد العربية والدولة العثمانية، ط2، بيروت، 1380هـ/1960م.
- **حليم، إبراهيم بك.**
27- تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ط القاهرة، 1425هـ/2004م.
- **حوراني، البرت.**
28- الفكر العربي في عصر النهضة، ط3، بيروت 1398هـ/1977م.
- **آل خليفة، محمد علي.**
29- امراء الكوفة وحكامها، مراجعة وتنقيح: د. ياسين صلواتي، ط ايران، 1425هـ/2004م.
- **الخيرو، رمزية عبد الوهاب.**
30- ادارة العراق في صدر الإسلام، ط بغداد، 1398هـ/1978م.
- **داغر، يوسف اسعد.**
31- معجم المسرحيات العربية والمعربة، 1848- 1975م، ط بغداد، 1398هـ/1978م.
- **دفتري، فرهاد.**
32- مختصر تاريخ الاسماعليين، ترجمة: سيف الدين القصير، ط دمشق، 1422هـ/2001م.

- **الدوري، عبد العزيز.**
33- الجذور التاريخية للقومية العربية، ط بيروت، 1380هـ/1960م.
- **دولف، جان.**
34- يقظة العالم العربي، نقله إلى العربية: لجنة من الاساتذة الجامعيين، ط بيروت، 1380هـ/1960م.
- **الديباجي، أبو القاسم.**
35- زينب الكبرى بطل الحرية، ط بيروت، 1424هـ/2003م.
- **رؤوف، عماد عبد السلام.**
36- التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ط بغداد، 1404هـ/1983م.
- **زرتوقه، صلاح سالم.**
37- انماط الاستيلاء على السلطة في الدولة العربية دراسة في الاساليب، النمط الوراثي – النمط الانقلابي – انماط اخرى (1950- 1985م)، ط2، القاهرة، 1414هـ/1993م.
- **زراقط، عبد المجيد.**
38- دراسات في التراث الادبي، ط بيروت، 1419هـ/1998م.
- **زين، نور الدين.**
39- نشوء القومية العربية، ط3، بيروت، 1400هـ/1979م.
- **الساعدي، محمد جاسم.**
40- مقدمة تحقيق كتاب أبو الشهداء الحسين بن علي لعباس محمود العقاد، ط طهران، 1425هـ/2004م.
- **الساعدي، نعمة هادي.**
41- الامام الحسين (عليه السلام) والفكر السياسي، ط بيروت، 1426هـ/2005م.
- **أبو سعيدة، السيد حسين.**
42- هكذا انت يا بطلة كربلاء فكر جهادي انقدح من مدرسة عاشوراء – دراسة وتحليل، ط بيروت، (بلا.ت).
- **السيد، رضوان.**
43- الامة والجماعة والسلطة دراسات في الفكر السياسي العربي الإسلامي، ط2، بيروت، 1406هـ/1986م.
- **سيد يو.**
44- خلاصة تاريخ العرب، ط بيروت، (بلا.ت).
- **شرف الدين، عبد الحسين الموسوي.**
45- النص والاجتهاد، قدم له: السيد محمد صادق الصدر، ط 4، بيروت، 1386هـ/1966م.

- **الشمري، هزاع بن عبد.**

46- حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، ط اليمامة، 1395هـ/1975م.

- **شمس الدين، محمد مهدي.**

47- انصار الحسين / دراسة عن شهداء ثورة الحسين الرجال والدلالات، ط طهران، 1407هـ/1986م.

48- ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها السياسية، ط6، بيروت، 1401هـ/1981م.

49- نظام الحكم والادارة في الإسلام، ط 7، بيروت، 1420هـ/2000م.

- **الصدر، محمد باقر.**

50- الحسين يكتب قصته الاخيرة، تحقيق وتعليق ومراجعة: صادق جعفر الروازق، ط قم، 1427هـ/2006م.

- **الصغير، محمد حسين علي.**

51- المستشرقون والدراسات القرآنية، ط بيروت و 1404هـ/1983م.

- **الصفار، حسن موسى.**

52- المرآة العظيمة قراءة في حياة السيدة زينب بن علي (عليها السلام)، ط لندن، 1421هـ/2000م.

- **الطبسي، محمد جواد.**

53- وقائع الطريق من مكة إلى كربلاء، ط قم، 1421هـ/2000م.

- **الطبسي، نجم الدين.**

54- الامام الحسين في مكة المكرمة، ط قم، 1421هـ/2000م.

- **عابدين، محمد علي.**

55- الدوافع الذاتية لانصار الحسين، ط3، قم، 1404هـ/1983م.

- **العاملي، جعفر مرتضى.**

56- دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، ط3، بيروت، 1414هـ/1993م.

- **العاملي، محسن الامين.**

57- اعيان الشيعة، تحقيق: حسين محسن الامين العاملي، ط بيروت، 1403هـ/1982م.

- **عبد الحميد، صائب.**

58- تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي مسار الإسلام بعد الرسول ونشأة المذاهب، ط بيروت، 1417هـ/1997م.

59- ابن تيمية حياته عقائده موقفه من الشيعة واهل البيت، ط قم، 1414هـ/1994م.

- **العدول، جاسم محمد واخرون.**

60- تاريخ الوطن العربي المعاصر، ط الموصل، 1403هـ/1982م.

- **عرجون، صادق إبراهيم.**

61- عثمان بن عفان، ط3، جدة، 1410هـ، 1990م.

- **العزاوي، عباس.**
62- تاريخ العراق بين احتلالين حكومة المغول (656هـ - 738هـ/1258-1338م)، ط بغداد، 1353هـ/1935م.
- **العسكري، السيد مرتضى.**
63- عبد الله بن سبأ واساطير اخرى، ط طهران، 1417هـ/1997م.
- **العلايلي، عبد الله.**
64- الامام الحسين سمو المعنى في سمو الذات، ط بيروت، (بلا.ت).
- **العلوي، سعيد بن سعيد.**
65- الخطاب الاشعري، ط بيروت، 1405هـ/1994م.
- **العلوي، هادي.**
66- الاغتيال السياسي في الإسلام، ط دمشق، 1408هـ/1987م.
- **العلي، صالح احمد.**
67- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ط2، بيروت، 1389هـ/1969م.
- **فضل الله، محمد جواد.**
68- صلح الامام الحسن اسبابه ونتائجه، ط قم، (بلا.ت).
- **فلهاوزن، يوليوس.**
69- احزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة، ترجمة عن الالمانية: الدكتور عبد الرحمن بدوي، ط 2، (د.م)، 1396هـ/1971.
70- تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الاموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريده، مراجعة: حسين مؤنس، ط مصر، 1378هـ/1958م.
- **القرشي، غالب.**
71- أوليات الفاروق السياسية، ط مصر، 1410هـ/1990م.
- **القزويني، عبد الكريم الحسيني.**
72- الوثائق الرسمية لثورة الامام الحسين، ط3، قم، 1404هـ/1984م.
- **كحاله، عمر رضا.**
73- اعلام النساء، ط 2، دمشق، 1377هـ/1958م.
- **الكرمي، ناصر.**
74- الامام الحسين كما رأيت، ط ايران، 1426هـ/2005م.
- **لا مبتون.**
75- الفكر السياسي عند المسلمين – دراسة في كتاب تراث الإسلام، ط الكويت، 1409هـ/1988م.
- **المحمودي، محمد باقر.**
76- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، تصحيح: عزيز آل طالب، ط طهران، 1418هـ/1997م.

- **مرجان، زينب فاضل رزوقي.**
77- احوال مصر الادارية والاقتصادية والاجتماعية من التحرير حتى نهاية العصر الراشدي، ط بغداد، 1424هـ/2003م.
- **المقدادي، الشيخ فؤاد كاظم.**
78- الإسلام وشبهات المستشرقين، ط2، بغداد، 1425هـ/2004م.
- **مقلد، إسماعيل صبري.**
79- امن الخليج وتحديات الصراع الدولي دراسة للسياسات الدولية في الخليج منذ السبعينات، ط الكويت، 1405هـ/1984م.
- **النصراوي، حسن عبد الأمير.**
80- رأس الحسين (ع) من الشهادة إلى الدفن، ط بيروت، 1421هـ/2000م.
- **نصر الله، إبراهيم.**
81- اثار آل محمد (ﷺ) في حلب، ط حلب، 1416هـ/1995م.
- **هاني، ادريس.**
82- محنة التراث الأخر – النزعات العقلانية في الموروث الامامي، ط بيروت، 1419هـ/1998م.
- **الهديبي، حبيب إبراهيم.**
83- قراءات في بيانات الثورة الحسينية وابعادها الرئيسية – العقيدي السياسي الاجتماعي الروحي الاعلامي، ط ايران، 1423هـ/2002م.
- **الوائلي، احمد.**
84- هوية التشيع، ط2، (د.م)، (بلا.ت).
- **الوردي، علي.**
85- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ط2، بيروت، 1426هـ/2005م.
86- وعاظ السلاطين، ط2، لندن، 1416هت /1995م.
- **ياسين، نجمان.**
87- تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين، ط الموصل، 1409هـ/1988م.
- **يعقوب، احمد حسين.**
88- النظام السياسي في الإسلام، ط لندن، 1413هـ/1992م.
89- نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام – رأي الشريعة – رأي السنة – حكم الشرع، ط4، قم، 1424هـ/2003م.
- **اليوزبكي، توفيق سلطان وآخرون.**
90- دراسات في الوطن العربي – الحركات الثورية والسياسية، ط الموصل، 1394هـ/1974م.

جـ - المراجع الفارسية:
- سبهر، لسان الملك ميرزا محمد تقي
1- ناسخ التواريخ في احوال حضرة سيد الشهداء (عليه السلام)، عني بمراجعة اصوله: نخبة من العلماء، ط4، طهران، 1421هـ/2000م.

خامساً: الرسائل الجامعية.

- الحسناوي، ختام راهي مزهر.
1- المعارضة في الدولة العربية الإسلامية (11هـ/632م - 41هـ/661م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب / جامعة الكوفة، 1428هـ/2007م.
- علي بيج، أمير جواد كاظم
2- الحائر الحسيني دراسة تاريخية (61هـ/680م - 656هـ/1258م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب / جامعة الكوفة، 1428هـ/2007م.
- العبودي، هناء سعدون جبار
3- السيدة زينب (عليها السلام) ودورها في احداث عصرها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب / جامعة الكوفة، 1427هـ/2006م.

سادساً: الموسوعات ودوائر المعارف:

- الامين، حسن
1- دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ط بيروت، 1392هـ/1972م.
- حسين، احمد
2- موسوعة تاريخ مصر، ط القاهرة، 1408هـ/1987م.
- شريفي، محمد وآخرون
3- موسوعة كلمات الامام الحسين (عليه السلام)، ط قم، 1415هـ/1994م.
- غربال، محمد شفيق وآخرون
4- الموسوعة العربية الميسرة، ط بيروت، 1408هـ/1987م.
- فنسنك، ارندجان إبراهيم
5- دائرة المعارف الإسلامية لمجموعة من المستشرقين، ترجمة: محمد ثابت الفندي واخرون، ط مصر، 1352هـ/1933م.
- مرغي، جاسم عثمان
6- موسوعة الشيعة في العالم - الشيعة في قارة افريقا - الشيعة في مصر، ط بيروت، 1423هـ/2003م.

7- الموسوعة الفلسفية المختصرة، تعريب: فؤاد كامل وآخرون، راجعها واشرف عليها: زكي نجيب محمود، ط القاهرة، 1383هـ/1963م.

سابعاً: البحوث في الدوريات.

- حنفي، حسن

1- قم تسأل والقاهرة تجيب، مجلة قضايا إسلامية، العدد الخامس، ايران، 1418هـ/1997م.

- زكار، سهيل

1-دور الامويين في تصفية المعارضة الشيعية، مجلة المنهاج، العدد الأول، بيروت، 1417هـ/1996م.

زكي، نبيل

3- عبد الرحمن الشرقاوي وملحمة الحسين، لقاء مع عبد الرحمن الشرقاوي، مجلة الكاتب، العدد 101، مصر، 1379هـ/1969م.

- الشاهرودي، محمود الهاشمي

4- الثورة الحسينية دراسة في الأهداف والدوافع (1) و (2)، مجلة المنهاج، العدد 29 والعدد 30، بيروت، 1424هـ/2003م.

- الصباغ، نجله قاسم.

5- التحول الاجتماعي بالحجاز في العصر الأموي، مجلة آداب الرافدين، العدد السابع، ط2، الموصل، 1396هـ/1976م.

- غزاوي، زهير

6- التيار الاستردادي الفلسفي المصري و دراسة الشيعة الامامية الاثنى عشرية، مجلة المنهاج، العدد الثاني، بيروت، 1417هـ/1996م.

- المقدادي، فؤاد كاظم

7- الامام الخميني ونظام القوى العالمي، مجلة رسالة الثقلين، العدد الثلاثون، ايران، 1420هـ/1999م.

المحتـــويات

الفصل الثالث

تخطيط الحسين (عليه السلام) للثورة وواقعة الطف

الفصل الرابع

ثورة الحسين (عليه السلام) المصنفات المصرية أسس المعالجة وأسلوب الكتابة

Imam Hussein's plot for his revolution had been studied in the third chapter which exhibits Al-Taf battle as well as the subject of Imam Hussein's head in the different historical sources comparing them with the Egyptian sources. The fourth chapter dealt with the evaluation of Imam Hussein's revolution, the method and style of the Egyptian complications in a general view and evaluating this method.

The conclusion includes the most important results that the research obtained such as :

. The historical Egyptian school had been affected by the national and selafy (Wahaby) trend and the movement of the writers of this school between these two trends, with some just writers, and the effect of these trends that appeared after the second half of the twentieth century.

. The researcher studied some of the Egyptian researcher justifications. for some of the Islamic history events, especially these that were connected with the Orthodox Caliphs.

. The Egyptian writers divided, in their opinions, upon the character of Yazeed, that some them released him from all the actions that had been ascribed to him, while the other set his bad and shameful characteristics and behaviour.

. The Egyptian writers differ in understanding the motives of the . Husseiny revolution, some treats it justly and fairly, while the other

treats it unjustly in away that contradicted with the historical status.

. The researcher did not find a deceive historical proof or evidence concerning the fate of Imam Hussein's head, so he mentioned all the related narrations without preferring one, believing that the honourable head had been returned to Karbalaa' and buried with the body.

After the conclusion, there is a bibliography of the resources and books.

on which the researcher depended to write the thesis such as the Holy Quran, the interpretation books, prophetic traditions books, the biographies books of literature and linguistics as well as the modern

sources where the Egyptian ones formed the backbone of the thesis. The researcher tried to obtain the Egyptian references via traveling to Egypt in the middle of ٢٠٠٥ to buy each Egyptian compilation that he

. set in his list, and to get use of the personal meeting with the master of history in the Egyptian University who contributed in submitting the thesis in its final shape.

Finally, the researcher wishes that he had get new results that contributed in adding something new to guide those who will wite in the subject of Imam Hussein

Imam Hussein's (P.D.B) Revolution in the Egyptian Compilations in the Twentieth Century A.D.

Hadi Abdul-Naby Mohammad Al- Timimy

Summary

Praise be to God alone, Lord of the worlds, and prayer and peace be upon His generous Messenger and his pure household.

Man may witness different events through his life, just the great ones draw his attention, and as the great event has its great effect on history, the great personality of character expresses the actual effect on the human essence, other personalities are submitted to forgetfulness, and this is the essential difference between the men of history and the men of time.

That who considers Imam Hussein (peace be upon him) and studies his revolution will find that both have the elements that make them a resource for history.

The Messenger Mohammad (peace be upon him) had revolted against the status that the society lived pre-Islam. Only fifty years had passed, this society lived a tergiversation, so it became necessary, for the Islamic society, to have a pmson who revolt again to enlighten the conscience and mind of the society and lead it again to the Mohammedan Islam instructions. So Imam Hussein's revolution was a reformative one and it is rightfulness to say that Islam is Mohammedan in its existence, Husseiny in its survival.

Due to the importance of that revolution, the researcher asked the help of His Almighty God and deal with one of the most important revolutions of the Islamic history throughout the works and writings of a historical school which is the Egyptian school, in a whole century, the twentieth cent_ry, so he entitled his thesis to be (Imam Hussein's Revolution in the Egyptian
compilations in the Twentieth century). Choosing this era was not randomly,
but it came for many reasons such as determining aspect a specific epoch or era for the thesis. the growth of the historical Egyptian school due to its contact with the European Western and affecting by the orientalism movement as well as its affecting by the political changes of the Arabic area, and' the Wahabian thought that tried to penetrate the educational institutions as well as possible.

The thesis is divided into an introduction, a preface and four chapters. The preface is a study of the historical writing development in the Egyptian school in the twentieth century, the effects that lead to the rise of this school and how it dealt with the Islamic history in general.

The first chapter is devoted to Imam Hussein, his growth and his life till the Orthodox Era. The second chapter studied the motives or the reasons of
Imam Hussein's revolution in the Egyptian complications. It also studies the general changes aspects of the Islamic state till the rise of the Umayyad State showing the situations in Mu'aweya's era and Imam Hussein's attitude

towards these situations and towards Yazeed after studying his personality and what had been written about him in different sources.